رواية عصفورة تحدت صقر كاملة

بقلم الكاتبة فاطمة رزق

لتحميل المزيد من الروايات زوروا موقعنا

ايجي فور تريندس

او يمكنكم زيارة الموقع مباشرة من خلال

الروابط التالية

www.egy4trends.blogspot.com

www.egy4trends.com

زداد صوت الصراخ والعويل فى ارجاء القصر ، حتى صار الصوت أشبه بصوت مذبحه دامية

...

من إحدى الغرف كان شق باب يظهر منه عينان صغيرتان تشاهد كل ما يجدث برعب

..

صرخت تلك السيده التى كانت مسجاه على الأرض وبدأت تحاول الزحف حتى تصل الى الرجل الذى كان يتجمع حوله عدد مهول من الحرس ، ويكبلون حركته ، وحين إقتربت منه أمسكها حارسان بقوه

فصاحت فى الرجلان بأعلى صوتها :

-سيبونى أروح لجوزى سيبووونى

نظر لها ذاك الرجل الذى كان يوجه المسدس نحو زوجها ، وهدر بها بنبرة غاضبة :

-مش دا جوزك حبيبك برضوه !!! أنا هعلمك إزاي تسيبينى وتروحيله ...

أعطاه احدى رجاله سكين كبير ، وحاد ، وثبته خمس رجال على الأرض بقوه حتى لا يتحرك

فقال زوجها وهو ينظر له بكل كره :

-طيب إقتلنى أنا بس يا معتز ، و سيب نوران وصهيب أرجوك

قهقه معتز وقال بنبره تهكميه :

-هه أرجوك !! متتصورش كان نفسى تقولهالى قد ايه ، كان نفسى أشوفك مذلول

قدامى ، بس لو مراتك رضيت تتجوزنى من بعدك مش هقتلها ...

لم يمهله أن ينطق كلمة أخرى حتى إستقرت السكين فى رقبته وبات يذبحه كما الخراف ،،،

صرخت نوران وهى ترى زوجها يذبح أمامها ودمه قد بات يجرى على الأرض كما يجرى الماء فى النهر :

-جلاااااااااااال .....

للكاتبه المميزة فاطمه رزق

الفصل الاول

ازداد صوت الصراخ والعويل فى ارجاء القصر ، حتى صار الصوت أشبه بصوت مذبحه دامية ...

من إحدى الغرف كان شق باب يظهر منه عينان صغيرتان تشاهد كل ما يجدث برعب

..

صرخت تلك السيده التى كانت مسجاه على الأرض وبدأت تحاول الزحف حتى تصل الى الرجل الذى كان يتجمع حوله عدد مهول من الحرس ، ويكبلون حركته ، وحين إقتربت منه أمسكها حارسان بقوه

فصاحت فى الرجلان بأعلى صوتها :

-سيبونى أروح لجوزى سيبووونى

نظر لها ذاك الرجل الذى كان يوجه المسدس نحو زوجها ، وهدر بها بنبرة غاضبة :

-مش دا جوزك حبيبك برضوه !!! أنا هعلمك إزاي تسيبينى وتروحيله ...

أعطاه احدى رجاله سكين كبير ، وحاد ، وثبته خمس رجال على الأرض بقوه حتى لا يتحرك

فقال زوجها وهو ينظر له بكل كره :

-طيب إقتلنى أنا بس يا معتز ، و سيب نوران وصهيب أرجوك

قهقه معتز وقال بنبره تهكميه :

-هه أرجوك !! متتصورش كان نفسى تقولهالى قد ايه ، كان نفسى أشوفك مذلول قدامى ، بس لو مراتك رضيت تتجوزنى من بعدك مش هقتلها ...

لم يمهله أن ينطق كلمة أخرى حتى إستقرت السكين فى رقبته وبات يذبحه كما الخراف ،،،

صرخت نوران وهى ترى زوجها يذبح أمامها ودمه قد بات يجرى على الأرض كما يجرى الماء فى النهر :

-جلاااااااااااال+

أفاق الشاب من نومه ، وقد اختفت الدماء من وجهه ، وشحب لون بشرته حتى صار كما الأشباح ، وأخذ يتنفس بصعوبه شديدة ، تناول كوب الماء الذى على الطاولة بجانبة وإرتشف منه رشفتان وأخذ يردد :

-إهدى يا صهيب محصلش حاجة ده كابوس بس ، إهدى

فجأه إنتبه الى الهاتف الذى يرن بجانبه ، أمسك الهاتف ونظر الى الإسم ومن ثم ...+

صهيب بنبرة محتقنة ، بعد أن ضغط على زر الإيجاب :

-ألو

أجاب المتصل من الجانب الآخر :

-صهيب انت لسا نايم ! أول مره تتأخر فى النوم كده !!

-بيجاد أنا مش جاى الشغل

النهارده ، مشّى إنت الشغل لوحدك ...

أردف بها صهيب ، بنبرة هادئة ، وهو يعبث بشعره ...

بيجاد بنبرة محتجة :

-إنت بتهزر يا صهيب النهارده مينفعش ..

قاطعه صهيب ، بنبره غضب :

-أنا قولت مش جاى ، ومش عاوزه نقاش انت عارف انا بتدايق من النقاش ازاي !!!

زفر بيجاد بضيق قبل أن يتشدق بـ :

-طيب المهم المندوبين الى جاين من ...

صهيب مقاطعا ، بنبرة حادة :

-لو قولت المندوبين الإستراليين أنا قسما بالله هزعلك ، عشان انا قولتلك مليون مرة إنى مش هتعامل معاهم ...

-يا صهيب إفهمنى بس ، دا هجيب ضرر لينا إحنا كمان ...

هدر بها بيجاد بنفاذ صبر :

-نخسر مش مهم يا بيجاد بس عشان تعرف مش احنا الى هنخسر هما الى هيخسروا عشان إحنا رفضنا التعاقد معاهم ، وقفل على الموضوع ده ولما يجوا متقابلهمش أتاه صوت بيجاد هاتفياً ، بنبرة ممتعضة :

-حاضر يا صهيب عاوز حاجه !!

-لا غور يلا

ضغط على زر انهاء المكالمه قبل أن يسمع دراً إضافياً ، وألقى الهاتف من يده على الفراش ، ووضع إحدى يداه على شعر رأسه وهو يرجعه للخلف يكاد يقتلعه من جذوره ، ثم وقف وسار متجهاً الى الحمام ..

.....

صهيب ، شاب وسيم يبلغ من العمر ٢٥ حولاً ..

شاب ذو عينين بنيتين ، وبشره سمراء ، وشعر مسترسل بنفس لون عينيه ، صهيب شابٌ غابت ضحكته فى الطفوله ، وطيف ضحكاته هى من تغازله بين الحين والآخر ، بينما لا تجرأ الضحكه ان تمر على شفتيه ..

تعلم منذ الطفوله أن الصرامهة والقسوة
هى ما يستحقه البشر ، ليس إلا ، فليس
هناك بشريّ صادق ، وبالأخص "النساء"
فقد ترعرع على كرههم والحقد عليهم
جميعاً ، لذا فهو شاب عنصري بطبيعته

+.....

فى إحدى جامعات مدينه القاهره ،،،،+

خرجت فتاه من بوابه الجامعه وهى تنظر
بالأوراق التى معها فى يدها ، فاجئتها احدى
الفتيات تركض من خلفها هاتفه :

-جـويرية !

استدارت جويرية لها وحدجتها بنظرات غير
راضيه وإنتظرت حتى صارت الفتاه الأخرى
بمحاذاتها ثم قالت بنبره محتقنه :

-نيرة انا كام مره اقولك بلاش تندهيلى بصوت عالى فى الشارع !

زاغت نظرات نيره الساخرة ، قبل ان تردف بـ ...

-يعنى مين الى سمعنى أوى !

تنهدت جويرية ثم قالت بهدوء :

-الشارع كله سمعك يا قلبى ، انتى صوتك مسرسع يا ماما ولا انتى ناسيه ؟؟؟

نيرة بنبرة مرحة :

-هههههههههه يابت انتى قافله أوى كده ليه ؟؟

نظرت لها بضيق وقالت بنفاذ صبر :

-كنتى عاوزه ايه يانيرة ؟

نيرة بنبرة طبيعية :

-عاوزه المحضرات بتاعه امبارح ، محتاجاهم وملقتش حد معاه المحضرات دى

عبثت بالأوراق بين يديها ، ثم قالت لها وهى تبتسم :

-حظك حلو أنا جبتهم النهارده عشان نجدة بس هى مجتش

ثم تابعت وهى تمد يدها لها بالأوراق :

-اتفضلى

ابتسمت الفتاه ، وأخذت الاوراق وهى تقول :

-هبقى ارجعهملك بكره بقى

-ماشى خلصيهم وإبقى رجعيهم بكره ، انا ماشيه الوقت بقى

قالت نيره غير مكترثه وهى تنظر فى الأوراق :

-اوك حبيبتى see you soon (أراكِ قريبًا)

سارت بضع خطوات بعيداً عنها وهى تتمتم بحنق :

-ربنا يهدى

وسارت بضع خطواط الى أن وصلت الى الشارع الرئيسي ، ومنه إستقلت سيارة أُجرة ، وركبتها عائدة الى المنزل ...

+.....

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+،،،،

كان بيجاد جالساً على مكتبه ، وكانت عيناه تتحركان بإتجاه الحاسوب المثبت أمامه وإحدى يديه مثبته على الفأرة ، كان منغمسا تماماً فى عمله ، حتى أنه لم يلحظ الباب الذى يطرق منذ عدة ثوانى ، بعد أن يأس

صاحب الطرقات من فتح الباب ، طرق بصوت أعلى حتى انتبه بيجاد و...

نظر بيجاد تلقاء الباب ، ثم أردف بنبره محتقنة :

-إدخل

دلفت السكرتيرة وهى ممسكه ببعض الأوراق ، التى تنظر لها وتقول بصوت رزين :

-لو سمحت يافندم ، الورق دا محتاج لتوقيع صهيب باشا ، بس هو مجاش النهاردة

دقق بيجاد بالأوراق التى تحملها بين يديها بإهتمام و ..

يبجاد وهو يمد يده لها لتعطيه الأوراق :

-هاتى الورق وأنا هتصرف

أعطته السكرتيرة الأوراق ، ثم قالت وهى تبتعد خطوتان عنه :

-ياريت حضرتك تاخد توقيعه قبل بكرة ، لأنه مهم جدا ، وبالنسبه للشركه الاسترالية هنـ ..

إحتقن وجهه ، وظهرت بعض علامات الحيرة جلية عليه، قبل ان يقاطعها مردفاً بـ :

-لا مش هنتعاقد معاهم صهيب لغى العقد ..

السكرتيرة بنبرة جادة :

-إزاي كده الشركه ممكن تتعرض لخساره كبيره ...!!!

رفع رأسه لها قليلاً ، وهز كتفه بحيره وهو يلوى فمه فى إمتعاض قبل أن يردف ببشمٍ بـ :

-أنا مالى هو مسمعش كلامى ، إنتى بس إسمعى الى بقولك عليه وإلغى التعاقد معاهم ، وبعدين صهيب ذكى ، وعمره ما بيخسر أبداً أكيد فيه حاجه فى دماغه

-حاضر يا بيجاد باشا ، المهم التوقيع على الورق دا يتم فى أقرب وقت

أردفت السكرتيرة بها بنبرة جادة ، وهى تنظر للأوراق فى يده ...

تأفف بيجاد وقال بنبره منفعلة :

-إنتى هتعلمينى شغلى !

نظرت هى له بضيق ، بعد أن أرجعت أرسها للخلف ثم ...

السكرتيرة بنبرة حادة :

-العفو يا فندم مقصدش ، بس كل الحكاية التوقيع مهم جداً النهاردة

وقف بيجاد ، وأمسك بسترته التى على المقعد خلفه ، وبدأ يرتديها و ..

بيجاد بنبرة محتقنه :

-أنا رايح عنده خلاص ..

ثم أمسك الأوراق قبل أن يمسك بحقيبته ووضعهم بداخلها وخرج من المكتب ..

تنحت السكرتيره قليلاً ليعبر هو ثم خرجت بعد خروجه مباشره وهى تقول بتبرم :

-فى ألف داهية

٥.....

فى منزل عائله عبد القدوس ،،١

خرجت جويرية من حجرتها بعد أن بدلت ثيابها لملابس البيت المريحة ، وإتجهت نحو المطبخ ، وفتحت الثلاجة لتخرج منها بعض الخضراوات لتبدأ بطهي الطعام واعداده

جويرية لنفسها ، وهى تقطع إحدى حبات البصل :

-الحمد لله إنى طبخت الأكل امبارح ومش هعمل الا الخضار عشان ألحق أروح على الشغل

وحين انتهت من تقطيعها أشعلت النار على إناء الطهو ووضعت بداخله بعض قطراط الزيت ثم اضافت له البصل وأخذت تقلبهم

وبعد عدة دقائق ، خرجت من المطبخ ، وذهبت الى الحمام ، وأخرجت الثياب التى كانت موضوعه فى دلو كبير به ماء ، وبدأت

تعصرها جيدا ، وتضعها بداخل طبق كبير الحجم ، ثم أمسكت الطبق وخرجت من الحمام لتضعه على الأريكه التى بجانب النافذه الكبيره ، وبدأت بنشر الثياب

وبعد عدة دقائق سمعت جويرية صوت الباب ، يُفتح وكان بيدها اخر قطعه من الثياب ، فتركتها وتوجهت ناحيه الباب الذى دلف منه والدها

بمجرد أن دلف عبد القدوس حتى قال :

-السلام عليكم

جويرية بإبتسامه ، وهى تمد يدها حتى أمسكت بيده وقبلتها :

-وعليكم السلام ، اتأخرت كده ليه يابابا ؟؟

تنهد عبد القدوس بإرهاق ، وهو ينظر لإبنته قبل ان يردف بـ :

-والله يابنتى الشغل قليل خالص نعمل ايه بس ، نحمده ونشكر فضله

جويرية بنبرة إشفاق :

-بابا حبيبى إنت كبرت وهرمت ، والشغل دا كتير عليك وعلى صحتك ، إنت اقعد من الشغل وأنا بشتغل أصلا وأسيب الجامعه وأشتغل شغلانه كمـ ..

رمقها بنظره غاضبه ، قبل ان يتشدق بـ :

-هنتكلم فى الموضوع دا كام مره ؟؟ أنا مفضلتش أعلم فيكى عشان فى الأخر تسيبى الجامعه بتاعتك ، وأنا مرضتش أشغلك إلا عشان تحوشى لنفسك قرشين

-يابابا بس ،،

عبد القدوس مقاطعا ، بنبره غاضبه :

-مفيش بس ، انتى تسمعى الى بقولهولك وبس ، وبعدين أنا زي الفل أهو الحمد لله

جويرية وهى تتنهدت بإستسلام :

-حاضر ياابا ، يلا عشان احضرلك الأكل

ثم دلفت الى المطبخ تحضر الطعام ، بدون أن تضيف حرفاً آخر

+.....

جويرية ، هى الإبنه الوحيد لعبد القدوس ، تبلغ من العمر اثنا وعشرون حولا ، فى السنه الأخيرة لها من جامعه الآداب ، والدها رجل فقير ، وقد توفيت والدتها منذ عام

جويرية فتاه ذكية ، عنيدة ، متمردة ، قوية من الخارج كالفولاذ ، ومن الداخل ضعيفة ، حساسة ، نقية

كينبوع الماء الصافى

شعرها شديد السواد ، كسواد ليله غير مقمره ، عينيها رماديتان ويتبدل لونهما بلون حالتها النفسية ، فإذا إزداد غضبها تبدلا من اللون الرمادي ، الى اللون الاخضر ، لون تموج البحر حين المغيب ، بشرتها بيضاء ، تملك قوما نحيفا يزيد من جاذبيتها

١.....

دقائق معدودة وكان الطعام محضراً على الطاولة وبدأوا بتناوله ، بالأحرى ، بدأ والدها يتناول الطعام بينما هى كانت تعبث بمحتويات الطبق امامها

إنتبه لها عبد القدوس فقال بنبره متسائله :

-جويرية ، مبتاكليش ليه ؟

نظرت له وهى تحاول التركيز على كلماته ،
قبل ان تردف بـ :

-ها باكل أهو

ثم وضعت الملعقه داخل فمها بعد أن
ملئتها بالأرز

عبد القدوس بنظرات متفحصة :

-مالك النهارده يابنتى ؟

ظهر شبح ابتسامه على محياها و ..

جويرية بنبرة هادئة :

-مفيش ياحبيبى أنا كويسة ، بس مكنتش
جعانة ، عن اذنك هروح انا أغسل الإطباق ،
عشان اروح الشغل بعدها

وقفت هى وأمسكت الطبق الذى أمامها
ودلفت الى المطبخ بدون ان تضيف حرفا

آخر وما إن دلفت حتى وضعت الطبق مع باقى الاطباق المتسخه على طاوله المطبخ و

..

جويرية لفسها بإنزعاج :

-لو بابا يسمع الكلام بس ، أنا خايفه عليه شكلو تعبان أوى والشغل دا كتير عليه و ،،

فزعت فجأه من صوت الطبق الذى وقع على الأرض وأصبح حطاما نظرت له ورمشت بعينيها عدة مرات قبل ان تنحنى على الأرض و تنتزع قطع الزجاج المكسور

جاء والدها على وقع الصوت وقال وهو ينظر لها :

-فيه إيه ايه الى حصل يا جويرية ؟

جويرية وهى تنتزع قطعة أخرى من الزجاج الحطم :

-معلش يا بابا مكنتش مركزه والطبق وقع منى ، روح إنت إرتاح بس وانا هشيلوا

-يعنى مفيش حاجه متأكده ؟

قالها وهو يقترب منها عدة خطوات

رفعت رأسها لتنظر له ، ثم قالت بنبره هادئة :

-أيوا يا بابا روح إنت يا حبيبى إرتاح

عبد القدوس ، وقال وهو يسير عده خطوات مبتعدا عن المطبخ :

-ماشى الى تشوفيه أنا رايح أنام شويه عشان صاحى من بدرى

انتشلت جويرية باقى قطع الزجاج ووضعتهم فى سله القمامه وبدأت تغسل الأطباق بسرعة أكبر+

+.....

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+،،،،

دلف صهيب داخل المبنى الضخم بشموخ ، وسار بخطوات متمهله داخل المبنى ، يرمق العمال بنظرات متفحصه ، حتى اقترب من مكتبه ، و ..

صهيب للسكرتيره ، وهو يدلف الى داخل المكتب ، وبنبرة طبيعية :

-فيروز عاوز كل الأوراق والعقود تكونى على مكتبى حالاً ، وقولى لبيجاد يجى عندى حالاً ...

رفعت فيروز عينيها من على الحاسوب الذى كانت منشغلة به ، وأحاطته بنظرات شبه مدهوشه ، قبل ان تردف بـ :

-صهيب باشا ! ، بس بيجاد بيه قالى إن حضرتك مش جاى ، وراح علشان ياخد توقيع حضرتك على بعض الأوراق المهمه

صهيب بتأفف ، وهو يسير خطوتان بعيدا عن مكتبه ، وبنبره غير مكترثه :

-إتصلى بيه وعرفيه إنى جيت

فيروز بنبره شبه طبيعيه :

-حاضر يا باشا

دلف صهيب الى مكتبه وجلس على مقعده الخاص ، وحدق قليلاً فى الفراغ ...

زفر بحنق بعد أن تذكر مقتطفاتٍ من الحلم الذى ساوره اليوم ، ثم نظر إلى الأوراق أمامه قبل أن ...

طرقت فيروز الباب فأردف هو بصوت محتقن ونظره مثبت على نقطه ما فى الا شئ :

-ادخلى

دلفت فيروز الى المكتب ممسكه برزمه كبيرة من الأوراق ، ثم وضعتها أمامه على المكتب بهدوء وهى تقول بنبره طبيعيه :

-دول الأوراق يافندم ، دول أوراق التعاقد مع الـ Companies (الشركات) المسؤلين عن التزويد بالمواد الازمة للتصنيع ، ودول أوراق الإستمارات المطلوب توقيعها عشان الموظفين الجداد يقدرو يباشروا فى العمل ودول ...

صهيب مقاطعاً بنبره حادة :

-خلاص يا فيروز أنا عارف الباقى ، المهم
اطلبى بيجاد حالاً و عاوز كوبايه قهوه ...

-حاضر يافندم

قالتها فيروز وهى تخطو بعيداً عن مكتبه

نظر صهيب للأوراق التى أمامه وأمسك
إحدى الرزم الموجوده وبدأ يتفحصها بإهتمام

...

+.....

فى مطعم زهران Fishes (للأسماك) „+

أمسكت جويرية بتلك الصينيه الكبيره
المحمول عليها أصناف مختلفه من
الأسماك وحملتها الى صاحب الطلب و ..

جويرية بإبتسامه مجامله :

-اتفضل

الرجل مبادلا اياها الابتسامة :

-شكرا

أومأت هى رأسها فى صمت ، ثم حملت الصينيه وذهبت بها الى مطبخ المطعم ، أسندت رأسها قليلا الى زاوية الحائط ، وأخذت تتنفس بصعوبه ، فرأتها إحدى الفتيات التى تعمل معها ، وإقتربت منها وهى تقول بنبره متسائله :

-جويرية مالك ؟

أبعدت جويريه ظهرها عن الحائط و ..

جويرية بنبره مرهقه :

-مفيش يا روز أنا كويسه ياحبيبتى

أمسكتها روز من يدها وسحبتها الى إحدى المقاعد القريبة و ..

روز بنبره محذره :

-على فكره إنتى مش بتسمعى الكلام أبدا أنا قولتلك إن كل دا كتير عليكى وعلى صحتك وخصوصا إنك مبتعرفيش تتنفسى كويس فى الاماكن الحر ، وإنتى مفيش سمع كلام

جلست جويريه حيث سحبتها روز و ..

جويرية بإتسامة :

-يابنتى أنا كويسه والله ، بس تعبت شويه بس ، وبعدين أنا قولت للمدير إنى مش عاوزه أقدم الطلبات بنفسى ، بس هو مش بيرضى وأنا إتخنقت

روز بنظرات حانيه ، وبنبره جاده :

-خلاص سيبى الموضوع دا عليا إنتى بس اطبخى هنا وانا الى هقدم الطلبات بدالك

جويريه بنظرات ممتنه ، وبنبره شبه محتجه :

-بس انتى مبتحبيش ،،

روز مقاطعة ، بنبره منفعله :

-ومش عاوزه نقاش خلاص انتى هتطبخى
وانا هقدم الطلبات ، هاتى الصنيه دى

مدت يدها وأخذت الصينيه منها ومن اليد
الأخرى أخذت الدفتر المدون به الطلبات
وسارت نحو الطهاه لتحضر ما كتب

١.....

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+،،،،

بداخل مكتب صهيب ،،،،+

+

كان صهيب جالساً منشغلاً بالتوقيع على
بعض الإستمارات ، وباليد الأخرى أمسك
بكوب القهوه الذى امامه وإرتشف منه
رشفه ثم أعاده لمكانه على المكتب ...

طرق باب مكتبه ..

صهيب وهو ينظر للأوراق ، و بنبره طبيعيه :

-ادخل

دلف بيجاد وهو ممسك بحقيبته الصغيره ،
وقد إكتست ملامح وجهه الضيق والحنق ..

بيجاد وهو يزفر ويقول بنبره منزعجة :

-انت مش قولت مش جاى ؟

صهيب بنظرات مستفزه ، وبنبره غير مكترثه
:

-أها

حدجه بيجاد بنظرات غاضبه ، قبل أن يردف بنبره غاضبة بـ :

-وايه الى جد بقى ان شاء الله ؟

لم يبدل صهيب تلك النظرات ، وقال بنبره طبيعيه :

-عادى جداً يعنى زهقت فجبيت ، فيه عندك مشكله ؟

اقترب بيجاد وسحب المقعد الذى امام مكتبه ثم ..

بيجاد بنبرة مغتاظه يشوبها الحدة :

-لا أبداً أجيلك البيت لحد عندك ، وبعدين أرجع هنا تانى عشان مش لاقيك ، ومفيش أي مشكله ....!!

صهيب بنبره غير مكترثه وكأنه لم يسمع ما قيل تواً :

-المندوبين الى الى أنا قولتلك مشيهم ، مشتهم ؟

بيجاد بنظرات محتقنه ، وبضيق جليّ فى نبرة صوته :

-فيروز لغت العقد زي ما أنا قولتلها ، بس مقولتليش ليه عاوز تلغى التعاقد معاهم ؟

صهيب بنبره طبيعيه :

-هما الى يستحقو كل الى يجرالهم ، مش ذنبى انهم شركة ضعيفة ...

بيجاد بنبرة مندهشة :

-ضعيفة !! دى من أقوى شركات الانتاج حالياً

صهيب بنبرة ماكرة :

-دا كان زمان ....!!!!!

+!!!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثانى

إرتفع إحدىّ حاجبيّ بيجاد في تعجب ،
وأردف بنبرة حائرة :

-إزاي كان زمان مش فاهم ؟

صهيب بنبرة جادة :

-بيجاد إنت عارف إنى قبل ما أوقع أي عقد
بتأكد الأول إن الشركة دى يتوثق فيها صح ؟

بيجاد بنبرة إعجاب :

-وأكيد لقيت مشكلة عندهم ...!

صهيب بنبرة هادئة :

-كدة تعجبنى

بيجاد بنبرة فضولية :

-طب و إنت عرفت إزاى ؟

صهيب بنبرة متريثة :

-درست الأوراق بتاعتهم وعملت Search (بحث) مفصل عن كل أركان الشركة ، لأن إلى يخليهم يقبلوا بـ ٢٠% بس مكسب ، خلانى أشُك فيهم ، وإتأكدت من شكى ... لما عرفت إنهم اتعرضو لخسارة ضخمة من سنة ، بس هما مستترين على الموضوع عشان مش عاوزين إسمهم ينزل للارض

بيجاد بنبرة إعجاب :

-يعنى لو كنا تمينا التعاقد مع الشركات دى كنا هنخسر ...!!!

كاد صهيب أن يتحدث إلا أن صوت طرقات الباب جعلتهما يصمتان ....

صهيب بنبرة طبيعيه :

-إدخل ...

دلفت فيروز وهى تحمل مستنداً أحمراً بإحدى يديها ، وباليد الأخرى تحمل فنجاناً من القهوة ، سارت فيروز عدة خطوات إلى أن وقفت أمامهم ...

فيروز وهى تعطى المستند لـ صهيب :

-إتفضل يا فندم دا البرنامج الجديد إلى حضرتك عملته لنظام الشركة في تطوير طرق التصنيع ..

أمسك صهيب المستند الأحمر منها وفتحه وبدأ ينظر بداخله بتفحص

صهيب وهو يطالع أوراق المستند ، وبنبرة جادة :

-والـ machine modern (الآلة الحديثه) الى أنا قولتلك عليها ؟

فيروز بنبرة هادئه :

-إستوردناها من اليابان ، زي ما حضرتك قولت ، محتاجة بس مراجعه وإمضى من حضرتك عشان نتقدر نشتغل بيها ، حاجه تانيه يافندم ؟

صهيب وهو يرفع نظره عن الأوراق ، وينظر لها بهدوء :

-لأ إتفضلى إنتى

رفعت يدها بفنجان القهوة الممسكه به ،
ووضعته أمام بيجاد و ...

فيروز بنبرة هادئة :

-إتفضل قهوتك يا فندم ...

ورمقته هى بنظرة حادة ، قبل أن تذهب من
أمامه ...

بينما كان بيجاد ينظر لها نظرات متشفية ،
وهو يجلس بمحاذاتها ...٢

سارت فيروز عدة خطوات حتى كادت
تقترب من الباب ، فسمعته ينطق بـ ...

بيجاد بنبرة عالية ، ومستفزة :

-تسلم اديكى ، القهوة ...

قاطعته وهى تمد يدها لتمسك بمقبض
الباب ، وبنفاذ صبر :

-مش أنا إلى عملاها ...

ثم خرجت من المكتب وهى تزفر بحنق ....

صهيب بنبرة مشمئزة :

-بيجاد لأخر مرة هقولك ، ألاعيبك القذرة دى برة المكتب مش هنا

بيجاد وهو يزفر ، وبنبرة متأففة :

-يعنى إنت شوفتنى عملتلها ايه يعنى ؟ كل الحكايه وأنا برة مسكت إديها وهى مش واخدة بالها ، فصدرتلى أم بوزها دة ، خلاص كان ناقص تقوم تضربنى ...

صهيب بنظرات نارية ، وبنبرة غاضبة :

-تانى ، تانى يا بيجاد ؟ السكرتيرة الى مشيتها قبل دى كانت بسببك فاكر ولا أفكرك ، أنا ساعدتك يوميها بس ووقفت جنبك ومشتها

لأنها بنت ستين**** بس قسماً بالله لو حصل حاجة تانى لـ ...

بيجاد مقاطعاً ، وبنبرة متعلثمة :

-خلاص يا صهيب حاضر

صهيب بنظرات محتقرة ، وبنبرة ساخرة :

-انا مش فاهم إيه إلى عدل في البنات دى ؟؟ انا بالنسبالى إن البنات كلها محتاجة الحرق

بيجاد بنبرة ساخرة :

-هه إنت عندك مشكله ، أنا مليش دعوة بيك ، أما بالنسبه ليا فالبنات دى هى أحسن حاجة في الدنيا ، يابنى البنات دى إتخلقت عشان تسلينا وتمتعنا بس ...

صهيب بنبرة متقززة :

-بيجاد إنت لو عاوز تفضل حيّ ، تنفذ الى قولتلك عليه ، إحنا هنا في شركة سمعتها نضيفة ، وأنا مش عاوز واحد زيك يعكرها

٢.....

في منزل عبد القدوس ،،،،+

في غرفة نوم عبد القدوس ،،،،+

اعاد عبد القدوس الضغط على زر الإتصال ، في هاتفه الصغير وملامح وجهه توحى بالقلق

عبد القدوس بنبرة قلقة :

-يارب البنت إتأخرت ساعة كاملة هى فين لحد الوقت ، تليفونها مقفول وأنا قلقان عليها اوى

سمع عبد القدوس صوت طرقات الباب ، فعاد إليه جزء من روحه ، وعدَى بسرعه نحو الباب ، وفتحه

وما إن وجد الطارق إبنته جويرية ، حتى فتح الباب على مصرعيه وهتف فيها بنبرة حاده :

-إدخلى

دلفت جويرية داخل المنزل بخطوات بطيئة ثم جلست على الأريكة التى بجانب الباب ، وهى تحنى رأسها لتضع أصابع يدها على جانب رأسها بإرهاق

أغلق عبد القدوس الباب ، وسار نحوها ثم ...

عبد القدوس بنبرة عالية :

-تقدرى تقوليلى انتى كنتى فين لحد دلوقت وإتأخرتى كدة ليه ؟؟

رفعت جويرية رأسها له قليلا ثم أنزلت يدها من على وجهها

جويرية بنبرة هادئة :

-اسفه يا بابا عشان إتأخرت ، أصل النهارده إجالنا زباين كتيره جداً ، وطلبو كتير وأنا إتضطريت أتأخر

جلس عبد القدوس بجانب إبنته ووضع يده على رأسها بحنو حين شعر بإرهاقها ..

عبد القدوس بنبرة هادئة :

-والصبح كنتى بتقولى إنى تعبان ولازم أستريح ، وانتى من حوالى اسبوع وصحتك في النازل ، تعالى نروح للدكتور

جويرية بنبرة طبيعية :

-لا يا بابا انا كويسه جداً الحمد لله ، بس كل الحكايه عندى صداع بس

عبد القدوس بنبرة غير مقتنعه :

-روحى نامى يابنتى ، وبكرة الصبح متروحيش الجامعه عشان هاخدك أوديكى للدكتور

كادت جويرية أن تحتج على ما قال إلا أنه قاطع تفكيرها في الكلام بـ ...

عبد القدوس بنبرة لا تقبل الجدال :

-ومش عاوز كلمه زيادة ، يلا روحى نامى

تنهدت جويرية بإستسلام

جويرية وهى تقف وتقبل رأس والدها :

-تصبح على جنه يابابا

عبد القدوس بنظرات حانية ، وبنبرة رخيمه :

-وإنتى من أهل الجنه ياحبيبتى

سارت جويرية إلى أن وصلت إلى غرفتها ، وأغلقت الباب خلفها ، وقبل أن تبدل ثيابها كانت قد تدثرت تحت غطاء سريرها ، الذى إشتاقت له بعد يومٍ طويلٍ ، وبعد عدة دقائق كانت قد ذهبت في ثبات عميق ،،،،

+.....

في إحدى المنازل الفارهة ، والقرييه من النيل ،،،،+

كان رجلاً عجوزاً قد عتى عليه الزمن ، وأخذ من جمال ملامحهِ ما أخذ ، واقفاً مستنداً على حافة ، النافذة ممسكاً بإحدى يديه فنجاناً من القهوة ، ينظر إلى النيل أمامه لدقيقة ، ثم يتذكر فنجان القهوة الممسك بها في يده ، فيعود ليرتشف منها رشفة ،

تنهد الرجل تنهيدة حارة ، تنم عن عدم الراحة الذى يشعر به ، ثم قرب الفنجان من فمه ليشرب ، فيطالعه الطعم المر ليدرك أنه يشرب بقايا القهوة المترسبة بأسفل الفنجان ، فعلم أن القهوة قد نفذت منه ، فوضع الفنجان فارغاً إلا من البقايا المترسبة أسفله ، على الطاوله بجانبه ، وتابع النظر إلى النيل أمامه ، لكنه قد بدأ يعود للوراء بذاكرته .. فشرد في ذكرى بعيدة ، كانت أكثر حدة من الآن ،،،+

+.....

كان هو يسير في احدى ممرات المشفي الواسعة ، حين طالعته ممرضة قادمة من بعيد فأسرع نحوها ، وحين أصبح بمحاذاتها

أردف هو بنبرة قلقه بـ :

-معلش ممكن تقوليلى الأوضة ١٠٩ فين عشان توهت ، ومش لاقيها

الممرضه بإبتسامة مجاملة ، ونبرة طبيعية ، هادئة :

-في أخر الطرقة دى ، إحود يمين هتلاقيها

أردف بنبرة ممتنة بـ :

-شكراً جداً

الممرضه بنبرة طبيعيه :

-العفو يافندم

أسرع هو نحو الغرفة ، وحين اصبح امام باب الغرفة سمع من خلف الباب صوت بكاء طفل رضيع ، فظهرت إبتسامه على وجهه تخفي في طياتها ، بعض آثار الحزن ، طرق الباب

وبعد عدة ثوانٍ ، فتح له جلال الباب ، وقد وكانت تعابير وجهه توحى بسعادة لا مثيل لها

جلال بصوت أجش :

-رحيل ! معقول إجيت على نفسك وجيت عندنا ؟ لازم يحصل مناسبه عشان نشوفك يعنى ؟

دفعه رحيل بخفه من امام الباب و ...

رحيل بنبرة محتجه :

-يعنى إنت أوى إلى بتيجى ، المهم عاوزه اشوف الولد

جلال بنبرة ماز :

-مفيش ولاد عندنا ، يلا يا بابا بيتك بيتك

رحيل بنبرة مغتاظة :

-يا بجاحتك ، كمان عاوز تحرمني من ابن اخويا !

جلال بنبرة طبيعيه :

-وانا أقدر برضوه ، تعالى هوريهولك

اقترب جلال من نوران النائمة على السرير ، وأمسكه برضيعها حديث الولادة ، ومد يده ليأخذ منها الطفل

جلال بابتسامة ، وهو يأخذ الطفل :

-هاتى نوريه لعمه شويه

تركته نوران له وهى تنظر لرحيل ، بتوجس ، فإبتسم لها رحيل مجاملاً

إقترب جلال من رحيل ، ومد يده له بالطفل مبتسماً

جلال بنبرة طبيعية :

-خد أهو ، بس على مهلك

بمجرد أن وُضع الطفل بين يديّ رحيل ،
حتى شعر بالحب يتدفق من قلبه نحو ذاك
الرضيع الصغير ، الذى لا حول له ولا قوة ...

رحيل بنبرة هادئه ، وهو ينظر للصغير بين
يديه ويبتسم :

-سميتوه ايه ؟

جلال بإبتسامة سعادة ، وبنبرة رخيمه :

-صهيب

عاد رحيل من ذكرياتهِ على صوت ...

الخادمة بنبرة عالية :

-رحيل بيه !

رحيل بنبرة منزعجة :

-إيه فيه ايه ..!! بتزعقى كده ليه !؟؟

الخادمه بنبرة هادئه :

-أسفة يا بيه بس بقالى فتره بنده على حضرتك ، ومسمعتنيش فعليت صوتى

زفر رحيل وقال بنبرة محتقنه :

-كنتى عاوزه ايه ؟

الخادمة بنبرة طبيعيه :

-الأكل يابيه اجيبهولك هنا ولا هتاكل تحت ؟

تنهد رحيل مرة أخرى ، ونظر للنافذه و ..

رحيل بنبرة محتقنه :

-مليش نفس

+.....

في المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+،،،،

داخل مكتب صهيب ،،،،+

كان صهيب ممدداً على مقعده ، بعد أن إنتهى للتو من عمله ، أغمض عينيه ليحاول إستجماع شتات نفسه ، ولكنه سمع صوت طرقات الباب ..

صهيب وهو يزفر ، ويقول بنبرة منزعجة :

-إدخل ...

دخل بيجاد عليه ، وعلى محياه تلك الإبتسامه السخيفه ثم...

بيجاد وهو يقترب منه ، قبل أن يردف ساخراً بـ :

-إنت ناوى تشتغل لبكرة ولا ايه ؟

صهيب وهو لا يزال مغمضاً عينيه :

-وإنت مالك ، غور إنت يلا

بيجاد بنبرة متذمرة :

-بتحسسنى إنى بشحت منك ، إتكلم معايا زى ما مخاليق ربنا بيتكلمو مع صحابهم ..

إعتدل صهيب في جلسته ، ومن ثم حدجه بنظاته الساخطه قبل أن ...

صهيب بنفاذ صبر :

-انا مضربتكش على إيدك وقولتلك تعالى صاحبنى ، بيجاد إمشى الوقت ، مزاجى مش رايق خالص

ثم وقف صهيب وأسرع بإلتقات حقيبته ، وأمسك هاتفه ليضعه في جيبه ثم ...

صهيب متابعاً بنبرة محتقنة :

-ولا أقولك خليك إنت ، أنا اصلاً ماشى

ذهب ييجاد خلفه ، وأمسك يده ليمنعه من الذهاب

بيجاد بنبرة هادئه :

-صهيب إستنى شوية بجد ، تعالى نخرج شوية ، إنت حياتك كلها شغل وبس ، لازم تطلع من الى انت فيه دا ...

إستدار صهيب ليحدجه بتلك النظرات النارية ، وبنبرة محذرة أردف بـ :

-إيه إلى أنا فيه ؟

بيجاد وهو يزفر بشدة :

-يا صهيب إفهمنى أنا عاوز مصلحتك ، أُخرج ، إتفسح ، شم هوا نضيف بدل الخنقه دى ،

مينفعش تعيش حياتك كلها للشغل وبس

..

صهيب وهو يفلت يده بقوة ، قبل أن يردف بنبرة غاضبة بـ :

-ميخصكش ، أنا حابب كدة ، وأكيد مش عاوز أبات كل يوم مع بنت شكل شبهك ...

ثم رمقه بنظرات مهينة قبل ان يتركه ويرحل

..

نظر له بيجاد بضيق وكتف ساعديه أمام صدره ثم ...

بيجاد بنبرة محتقنه :

-مش فاهم انا ايه الانسان ده ؟

+.....

كانت فيروز تضع أمتعتها داخل حقيبتها ،
وتستعد للذهاب ...

أمسكت حقيبتها بيدها وأغلقت درج
المكتب بالقفل على بعض الاوراق المهمة ،
قبل أن تستدير لتذهب ..

إنتفضت حين وجدت من يسحبها بقوة من
يدها ، فنظرت خلفها برعب ثم ....

فيروز بنبرة خائفه :

-بيجاد بيه !

قهقه بيجاد ، وقال بنبرة تهكميه :

-ايوة بيجاد ، إيه خُفتى ؟

فيروز بنبرة مذعورة ، وهى تحاول سحب
يدها بكل ما أوتيت من قوة :

-لو سمحت سيب إيدى ..

قبض بيجاد على يديها بقوة أكبر و ...

بيجاد بنبرة ساخرة :

-ولو مسبتهاش ؟

حاولت فيروز انتزاع يديها من بين مخالبه الممسكة بها ثم ...

فيروز بنبرة متحشرجة ، ومرتعبة :

-لو سمحت سيب إيدى ، إنت عاوز منى إيه ؟

بيجاد بنظرات متفحصة ، جريئة ، و بنبرة مستفزة :

-أظن إنى قولتلك انا عاوز ايه قبل كدة !!! ، بس لو عاوزانى أكرر إلى قولته مفيش مشاكل ...+

إحتقنت عيناها بنظرات نارية ، وسحبت يدها بقوة شديدة ، حتى إستطاعت إفلاتها من بين يديه و لم تدرى بنفسها إلا وقد هوى كف يدها ، وكادت تصفعه إلا أنه أمسك يدها بقوة و ...

فيروز بنظرات قاتمة ، وبنبرة غاضبة :

-إنت أكيد إتجننت أو حصل لمخك ده حاجه !! ، لحد كدة وخلاص سيبنى يا حيوان ...

اشتعلت عينا بيجاد غضباً ، ولوى يدها خلف ظهرها بقوة ، حتى كاد يهشم عظامها ثم ...

بيجاد بنظرات مشتعلة ، و بنبرة محذرة :

-إياكى ، إياكى ترفعى إيدك في وشى تانى ، أنا باخد الى أنا عاوزه دايماً ، غصب عن أي

حد ، وهاخدوأ سواءً برضاكى أو غصب عنك

...

كانت فيروز آن ذاك تحاول تحرير يديها ،
وإفلات ذمامها من بين براثنه ، إلا أن
محاولتها بائت بالفشل ، فهدأت قليلاً و ...

فيروز بنبرة راجية ، وقد بدأت الدموع تبلل
جفنيها :

-سيبنى يا بيجاد أرجوك ، سيبنى

بيجاد بنبرة باردة :

-هتعملى الى قولتلك عليه ؟

ازدادت قوة مقاومتها حال سماع تلك
الكلمه وكأنها إكتسبت طاقة من الا شئ ثم

...

فيروز بنبرة غاضبة :

-انا مستحيل أوافق أبيع شرفي ، وشرف عيلتى أبداً مهما كان التمن ، سيبنى بقى كفايه كدة ...

بيجاد بنبرة تهكم واضحة :

-محدش هيعرف إلا أنا وإنتى بس

فيروز بنبرة مختنقة :

-سيبنى يا بيجاد أرجوك بقى ..

وفي تلك اللحظه رن هاتف بيجاد ، فاضطر لإفلات إحدى يديها ، وأمسك بها الهاتف ، ليطالعه إسم المتصل ''صهيب''

ضغط بيجاد على زر الإيجاب ووضع الهاتف على أذنه ، وإزادادت فيروز مقاومة لتفلت يدها ومن ثم ...

بيجاد بنبرة هادئة :

-الو ، إيه غيرت رأيك وعاوز تخرج ولا إيه ؟

صهيب هاتفياً ، وبنبرة منزعجة :

-على فكرة أنا شايفك ، سيب البت تمشى

بيجاد بإندهاش واضح :

-هو إنت فين ؟

صهيب هاتفياً ، وبنبرة قاطعة :

-قولتلك سيبها

زفر بيجاد بشدة ، ثم أفلت يدها قبل أن يردف بـ :

-كدة حلو ، قول بقى إنت فين ؟

لم تتمهل فيروز ، حتى تعلم لما أفلتها وأسرعت راكضة لآخر الممر ، حتى تستطيع الخروج من مقر الشركة ..

بينما كان بيجاد يراقبها بغيظ و ..

بيجاد بنبرة مغتاظه :

-عاجبك كدة ؟ ، أديها مشيت ، وبعدين إنت شايفنى ازاي ؟

صهيب هاتفياً ، بنبرة ثائرة :

-أنا قولتلك إيه الصبح ؟ ، مش عاوز سمعة الشركة بتاعتى تتوسخ بسبب واحد ***** زيك

بيجاد بنبرة متعلثمة :

-خلاص يا صهيب بقى ، أنا كنت بخوفها بس و ..

صهيب هاتفياً بنبرة غاضبة :

-متحاولش تكدب عليا ، أنا عارف إنت كنت عاوز توصل لإيه ، بس ده كله برة الشركة ، إنت فاهم ؟

بيجاد بنبرة هادئة :

-فاهم فاهم اوك ، بس إنت شايفنى ازاى ؟

صهيب هاتفياً ، بنبرة باردة :

-من كاميرات المراقبة

جحظت عينيّ بيجاد ، وأخذ يجوب الغرفة بنظره ليراها ، قبل ان يردف بـ ...

-إنت ركبت كاميرا هنا إمت ؟

صهيب هاتفياً ، بصرامة :

-ركبتها عشان عارفك ، وعارف إنك ممكن تبوظ سمعة الشركة كلها بغبائك ده ....

لوى بيجاد فمه في امتعاض قبل ان يتشدق

بـ ...

-طيب يا صهيب ، انا ماشى الوقت ، اقفل

إنت

+.....

في منزل عائله عبد القدوس ،،،،+

في غرفة جويرية ،،،،+

تململت جويرية من على فراشها بتثاقل ،
وبدأت بفتح عينيها ، قبل أن تعتدل في
جلستها على الفراش وتزيح بعضاً من
شعرها المتناثر على حافة وجهها و ..

جويرية بنبرة خافتة :

-أما أقوم بسرعة ، عشان ألحق الشغل

ثم أزاحت الغطاء كليا من فوقها ونزلت من على السرير ، ذاهبة إلى الحمام ..

بعد عدة دقائق كانت جويرية قد خرجت من الحمام ، وبين يديها منشفة ، تجفف بها شعرها المبتل ، ثم جلست على المقعد قبالة المرآه وبدأت تمشط شعرها على عجالة ، وما إن إنتهت حتى وقفت ثم إنتجهت إلى الخزانه وأخرجت منها عبائة سوداء طويلة ، خاليه من النقوش او الزخارف ، وإرتدتها ثم اخرجت حجابها وارتدته بسرعة

فتحت جويرية باب غرفتها بهدوء شديد ، ثم تسللت خارج الفرفة ، وسارت عدة خطوات حتى وصلت إلى الباب ، وكادت أن تخرج إلا أن ...

عبد القدوس بنبرة هادئة :

-راحة فين يا جويرية الوقت ؟

تنهدت جويرية بضيق ثم استدارت له قبل أن تردف بـ ...

-أنا راحه الشغل يا بابا

عبد القدوس بنبرة حادة :

-نعم !! وهو أنا كنت قولتلك متروحيش الجامعة ، عشان تروحى الشغل ؟

جويرية بنبرة راجية :

-معلش يا حبيبى والله ، أنا امبارح نسيت أقولك ، إن ورديتى الصبح النهاردة وكدة كدة كنت هغيب أصلاً

عبد القدوس بضيق :

-لا يا جويرية ، انا عاوز أوديكى للدكتور عشان ...

جويرية مقاطعة بإلحاح :

-يا بابا أنا مية فل وعشرة الحمد لله أهو

اقترب عبد القدوس من ابنته حتى صار قبالتها و ..

عبد القدوس بنبرة هادئه :

-طيب هترجعى إمت ؟

جويرية بإبتسامة :

-على العصر كدة إن شاء الله

عبد القدوس بنبرة شبه راضية :

-ماشى متتأخريش عن كده

قبلت جويرية رأس والدها ، قبل أن تقبض على مقبض الباب لتفتحه ، وتردف مودعة بـ :

-يلا مع السلامه يا بابا

خرجت جويرية من المنزل ، بينما تنهد عبد القدوس بأسى قبل ان يتشدق بـ :

-البنت دى صعبانة عليا أوى ، ميادة ماتت وهى إلى شايلة كل حاجة على راسها ، يارب تكون مخبيلها مستقبل مليان سعادة وفرح ، زي ما هى بتحاول تفرحنى على قد ما تقدر ، وعينها يارب في حياتها الجاية١

!!!!!!!!.....

+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثالث

+

+

+

فى منزل ما بـ منطقة المهندسين ،،،،+

فتح بيجاد عينيه بتثاقل ، وهو يعتدل
بجلسته قبل أن يمط جسده بتكاسل ..

نظر بيجاد الى فتاة ما عارية لا يفصل بين
نظره وعراها إلا الغطاء ، وحتى أنه لم يحجب
جسدها كلياً ، بينما كانت قدماها مكشوفتان
كلياً ، وقد وكانت ممددة على الفراش بجانبه

...

ظل بيجاد لبرهة يتفرس جسدها بعينيه
المحدقتين بنظرات شهوانية ، الى أن سمع
رنين الهاتف بجانبه ..

إلتقط بيجاد الهاتف الذى كان على الوسادة
بجانبه ، ونظر الى إسم المتصل بضجر ،
وبشمِ واضحين على محياه ثم ..

بيجاد بنظرات زائغة ، وبنبرة محتقنة :

-يادى القرف ، على الصبح كده ؟

ضغط بيجاد على زر الإيجاب قبل أن يردف بنبرة هادئة بـ :

-كاثرن ، ازيك يا حبيبتى ، وحشتينى أوى

كاثرن هاتفياً بنبرة حادة :

-حبيبتك ! ، أنا والله عارفة إنك مش مسافر ، وعارفة إنك مع واحدة من الـ swingers (العاهرات) بتوعك

بيجاد بإنفعال مزيف :

-مين إلى قالك كده ؟ ، ده كله كدب والله أنا مسافر وهرجع النهارده ...

كاثرن هاتفياً بإختناق :

-بليز بيجاد بليز لو مش حابب تقضى وقت معايا ، ومش طايقنى ، وعاوز تروح لغيرى أوكى مفيش مشاكل ، بس فى الحالة دى محتاجة الطلاق ، عشان أنا واحدة مبتحبش تقيم علاقة على علاقة غيرها ...

تنهد بيجاد بتأفف ، وأبعد الهاتف عن أذنه قليلاً فى منتصف حديثها لكي لا يستمع الى تلك الجمل اليومية ، وما إن توقف صوت صراخها عبر الهاتف قربه من أذنه و ...

بيجاد بنبرة محتجة :

-حبيبتى إيه إلى إنتى بتقوليه ده بس ؟ أنا بحبك جداً وإنتى عارفة كده ، ومستحيل أعمل إلى إنتى بتقولى عليه ده ، ومستحيل أخونك ...!

كاثرن هاتفياً بنبرة غاضبة :

-ممكن تبطل تستغفلنى شوية ! .. يا بيجاد انا مش غبية I'm Sure (انا متأكدة) إنك معاها الوقت ، وصدقنى مش يفرق معايا ....

بيجاد بنبرة ضيق مصطنعة :

-انا متصورتش إن إلى حبتها ممكن فى يوم تـ ...

كاثرن مقاطعة بنبرة ساخرة :

-هـه !! really (حقاً) .. إنت بتحاول تخدع نفسك ولا تخدعنى ، أوكى على راحتك بس أنا عند كلمتى المرادى ، وهنطلق يعنى هنطلق ...

ثار بيجاد جراء تلك الطرقة التى لم يعهدها منها و ...

بيجاد بنبرة محذرة :

-كاثرن على فكرة انا صبرت عليكى كتير ، والظاهر إنك نسيتى نفسك و ...

كاد بيجاد أن يكمل بلكنته المحذرة ، الا أنه صدم بسماع صوت انهاء المكالمة .. رمش عدة مرات ، و ظل ينظر إلى الهاتف قليلاً بذهول ليحاول إستيعاب ما فعلته زوجته تواً

-هههههههههه ده انت شكلك بتحبها حب !

قالتها تلك الفتاه الممددة بجانبه ، بنبرة ساخرة ، ممزوجة ببعض الدلال ..

بيجاد وهو يقترب منها ، و بنبرة هادئة :

-سيبك منها ياحبيتى ، هى بتحب تعكر الجو وخلاص ، حتى اليوم الأجازة الى اخدتو عاوزة تضيعوأ عليا بعكننتها دى ، المهم خلينا فى الى احنا فيه بقى ...

وإزداد دنوّه منها ثم .....

+.....

فى مطعم زهران Fishes (للأسماك) ،،،،+

فى غرفة الطهو ،،،،،+

كانت جويرية تضع اللمسات الأخيرة على طبقها

لفت أنظارها ذاك الشاب الذى يعمل فى تنظيف الصحون ، وإذا به يلقى بالكثير من بقايا الطعام التى يطلبها الزبائن فقط ليتفاخروأ بأموالهم ثم يتركوها ليتم التخلص منها فى القمامة بكل بساطة ...

مر بذاكرة جويرية بعض من تلك الذكريات البعيدة ....+

+.....

كانت جويرية ممسكة بطبق به بعض بقايا الطعام النظيف ، وكادت أن تلقيه بالقمامة إلا أن ...

هتفت به سيدة ما يبدو على وجهها الوقار ، بنبرة ناهية :

-لا مترميهوش ، حرام لما ترمى الأكل وهو لسا زى ما هو كده ..

جويرية بنبرة محتجة :

-بس يا ماما الأكل ده إتحط على الغدا ، ومتاكل منه ..

ميادة بنبرة طبيعية :

-طب وايه يعنى ، فيه ناس كتير غيرنا بيتمنوا اللقمة الى إحنا بنرميها دى ، وإحنا بكل بساطة بنفرط فى الحاجة إلى غيرنا

بيتمناها ، وكأننا بنحسس الناس دى انهم ملهمش قيمة عندنا ...+

+.....

افاقت جويرية من ذكرياتها ثم تابعت النظر الى الطعام الذى تعده قبل أن تردف بحزن بـ :

-ربنا يرحمك يا ماما ، وحشتينى اوى ..

فزعت جويرية حين وجدت أحدهم يضع يده على عينها ، ويعصبها ، ولكنها قد هدأت من روعها حين سمعت ذلك الشخص يردف بمرح بـ :

-أنا مييين ؟

إعتلى ثغرها إبتسامة صغيرة قبل ، أن تهتف بـ :

-فيروز !

نزعت فيروز يدها من على عينها ، ثم وقفت أمامها وهى تعقد يداها و ...

فيروز بنبرة منزعجة :

-حاولت اغير صوتى ، لازم تعرفينى بسهولة كدة كل مرة !

جويرية بغرور مصطنع :

-مش جويرية عبد القدوس الى يتضحك عليها ، إصحى يا ماما

فيروز بنبرة هادئة :

-طب إسكتى يا ختى ، انتى اصلاً مبيلقش عليكى الغرور ده ..

جويرية بنبرة متسائلة :

-المهم انتى جيتى هنا ازاى ؟ و مين قالك إنى هنا ؟؟

فيروز بنبرة طبيعية :

-روحتلك البيت وعمو عبده قالى إنك هنا ، ودلنى على المكان ، فادخلت الطمعم واتسحبت لحد ما وصلتلك ، اصل عارفة الـ leader (المدير) الى عندكوأ ده بارد ، ومش هيرضى يدخلنى بسهولة ..

جويرية بنظرات هادئة ، و بنبرة سعادة :

-المهم إنك جيتى ، إنتى متتصوريش انتى وحشانى ازاى

فيروز بنبرة مشتاقة :

-وانتى والله جداً .. طب وقت الـ rest بتاعك امت ؟

تنهدت جويرية ببطئ قبل أن تردف بـ :

-لسا شوية ، ساعة كدة ولا حاجة

فيروز بتأفف :

-أوف طيب حاولى تنجزى عشان نقعد نتكلم شوية .....+

.....+

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+"""""

فى مكتب صهيب """""+

كان صهيب جالساً على مقعده ، ممسكاً بقلم ، و يمضى به على الأوراق التى أمامه

...

وفجأة ، دخل أحدهم مكتبه بدون أن يطرق الباب ، ثم أغلق الباب من جديد بعد أن دخل

نظر صهيب غاضباً وكاد أن يتكلم ، قبل أن يطالعه ذلك الوجه المحبب

صهيب بنبرة هادئة :

-الباب ..

رحيل بنبرة تحدى :

-ايه يا واد هتكبر على عمك برضوه ...!!

تقدم رحيل عدة خطوات الى أن جلس على المقعد المقابل له ثم ...

صهيب بنبرة رخيمة ، وهو يحرك يده بتعجب :

-إيه وحشتك ؟

إعتدل رحيل فى جلسته قليلاً ليجعلها أكثر ، راحة قبل أن يردف بنزق بـ :

-المفروض إن الأب الى بيربى ، ولا انت ايه رأيك ؟

صهيب بنبرة طبيعية ، يشوبها السخرية :

-أاااه يعنى وحشتك !

رحيل بضحكة عالية :

-لا طلعت ذكى ، عاوز قهوة من بتاعة فيروز ، من زمان مشربتش واحدة ...

-امممم ما كنت تقول إن قهوة فيروز هى الى وحشتك من الأول ، بس للأسف فيروز مجتش ومن غير ما تاخد إذن كمان ...

قالها صهيب بنبرة شامتة ، وهو ينظر إلى عمه بهدوء

رحيل بدهشة ، بعد أن عقد حاجبيه ، وإستطر جليساً :

-فيروز مجتش ! ومن غير ما تعتذر .. !! غريبة ...

صهيب بنبرة تهكم :

-أنا أصلاً مش واثق إذا كانت ناوية تيجى تانى ولا لا ...

رحيل بتساؤل :

-ليه ؟

صهيب بنبرة هادئة :

-ما إنت عارف بيجاد ، مش سايبها فى حالها ، ولولا إنى لحقته امبارح كان هيعمل فضيحة للا الشركة

وضع رحيل يده بين خصيلات شعره وجذبها للخلف بعنف ، قبل أن يردف بغضب بـ :

-مينفعش كده خالص يا صهيب ، الى إتبنى فى سنين صاحبك ده هيهدوأ فى ثوانى ...

صهيب بنبرة متغطرسة :

-ليه يعنى ، وهى بنت زى دى تقدر تعمل حاجة اصلا !! ، متخافش كله تحت السيطرة ...

رحيل بنبرة محتقنة :

-البنت دى مسكينة يا صهيب و ...

صهيب مقاطعا ، بنبرة حادة ، بعد ان ضرب على مكتبه بيداه الاثنتان بقوة :

-مفيش بنات مساكين ، كلهم كده فى الأول بيتمسكنوا لحد ما ياخدواْ الى هما عاوزينه ، وبعدين يبيعواْ فى ثوانى ، ولا إنت ناسى ، تحب أفكرك .....!!!!

أطرق رحيل رأسه فى خزيّ بيّن ، ثم حدق به بأعين قاتمة ، بعد أن صمت قليلاً ، قبل ان يتشدق بـ :

-لا مش ناسى ياصهيب وعمرى ما نسيت

+!!.....

+.....

فى مكان ما قريب من مطعم زهران Fishes

+،،،،

جحظت عينا جويرية بصدمة ، ووضعت يدها على فمها لتمنع شهقتها التى أردفت بعدها بصوت بنبرة غاضبة بـ :

-إنتى لازم تسيبى الشغل ده حالاً ، المرة دى ربنا سترها أما المرة الجاية منعرفش إيه الى ممكن يحصل !

اغرورقت عينا فيروز بالدموع ، وزفرت ببطئ محاولة السيطرة على إنفعالاتها و ..

فيروز بنبرة شبة باكية :

-طب أعمل إيه يا جويرية ، انتى عارفة إن بابا الله يرحمه مات ، وأنا الى بصرف على البيت من بعده ، وماما كمان تعبانه ولازم اجبلها الدوا كل شهر ، أعمل ايه يعنى ، ولو سبت الشغل ده مش هلاقى غيره الوقت خالص ، لأن نسبة البطالة عليت جداً ، وفرصة إنى ألاقى شغل ، شبه منعدمة ؟

ثم إختلط صوتها بشهقاتها التى علت ، ودموعها التى تزايدت بشكل لا إرادي على وجنتيها ، بعد إنخراطها فى البكاء ...

أخذتها جويرية فى أحضانها وهى تربت على ظهرها بحنو و ..

جويرية بنبرة حزينة ، ونظرات مشفقة :

-طب اهدى بس يا حبيبتى ، كل حاجه وليها حل إهدى إنتى بس ..

فيروز بنبرة متقطعة من بين شهقاتها :

-المشكلة انه حاططنى فى دماغه معرفش ليه ! ، ومش راضى يسينى فى حالى ابداً

ربتت جويرية على ظهرها بحنان أكثر ، قبل أن تردف بـ :

-علشان انتى مش عطياله وش ، هو مش متعود ان حد يرفضه ، هما الناس دول كدة ، وأنا عارفة إنك طيبة ومش فاهمة ، بس إنتى بكرة روحى للمدير واحكيله على كل حاجة ، وهو هيتصرف معاه

إبتعدت فيروز عن جويرية قليلاً ، ونظرت لها بحزن و ..

فيروز بنبرة منفعلة :

-المشكلة إنهم صحاب ، يعنى أكيد مش هيضر صاحبه عشانى !

جويرية بإبتسامة حانية ، وبنبرة متفائلة :

-لا اكيد هو أول ما يعرف هيقوله يبطل أو يحذره ، أكيد هو مش هيستغنى عن سمعة شركته بالبساطة دى ..!!!

فكرت فيروز قليلاً قبل ان ..

فيروز بنبرة قد عاد اليها بعض الأمل :

-تفتكرى ده هيخليه يحل عنى بقى ، أصل انتى متعرفيش الـ leader بتاعى عامل إزاي و ..

جويرية مقاطعة ، وبنبرة هادئة :

-متخافيش إن شاء الله هيجيبلك حقك ، او حتى يبعدوا عنك ، لو مكنش عشانك ، هيبقى عشان اسم شركته !

تنهدت فيروز بتمهل شديد ، وظهر على وجهها بعض علامات الإرتياح قبل ان تردف بإمتنان بـ :

-شكراً يا بنت خالتى ، والله مش برتاح إلا لما بكلمك ..

رفعت جويرية يدها ووضعتها على شعرها ، وعبثت به و ..

جويرية بنبرة دافئة :

-الإخوات لبعضيهم ، وافتكرى انا معاكى دايما لو حصل إيه ..

صمتت قليلاً وهى تنظر لها نظرات ذات مغزى ثم ...

تابعت جويرية ، بنبرة هادئة :

-مش ناوية بقى تلبسى الحجاب ، يمكن لو لبستيه يبطل يخنقك

فيروز بإبتسامة مودة ، وبنبرة طبيعية :

-انا برضوه كنت ناوية ألبسه وخصوصاً بعد الى حصلى امبارح ده ...

إتسعت إبتسامة جويرية أعلى ثغرها قبل ان تردف بنبرة متحمسة بـ :

-بجد والله ...!!!

فيروز وهى تومئ رأسها باسمة :

-اه والله ، يمكن فعلاً يحل عنى بعد أما ألبسه ....!!!!+

+.....

فى إحدى المنازل الفارهة ، القريبة من شارع المعز - لدين الله - الفاطمي ،،،،+

ضمت تلك الشابة ساعديها إلى صدرها ،
وتنفست عدة مرات بإختناق قبل أن ....+

كاثرن لنفسها بنبرة مختنقة :

-أنا الى غلطت ، مامى ياما قالتلى بلاش
تتجوزيه وأنا عمرى ما سمعت كلامها ، ما أنا
لو كنت سمعت الى قالت عليه ، مكنش
فاتنى متجوزة حيوان .. كل يوم مع واحدة
شكل

جلست على الأرض بجانب المكتب ،
وضمت قدماها الإثنتان الى صدرها وأخذت
تنتحب قبل ان تردف باختناق بـ :

-ياريتنى ما طلعت من أمريكا كنت أخده
راحتى هناك ، Oh my god (يا إلاهي)

سمعت هى هاتفها يرن فتنهدت بأسى
ومسحت عبراتها الباردة التى انسابت بهدوء

على وجنتيها .. مدت يدها لتصل إلى الهاتف فوق المكتب ، وما إن إستطاعت الوصول إليه .. أمسكته ونظرت الى إسم المتصل ومن ثم زفرت عدة مرات على مهل ليبدو صوتها طبيعياً و ..

كاثرن وهى تضغط على زر الايجاب وتضع الهاتف على اذنها ، وبنبرة شبه طبيعية أردفت بـ :

-Hello Mom (مرحبا أمى)

صمتت قليلا لتسمع الرد ثم قالت بنبرة هادئة :

-Why do my voice, my mother ؟؟! (ماذا به صوتى يا أمى ؟) ...

-don't worry, I am fine (لا تقلقى أنا بخير)

زفرت ببطئ ، وتمهلت محاولة إظهار صوتها طبيعياً ، قبل أن تردف بـ :

- How's Dad ؟ (كيف حال أبى ؟)

ظهرت شبه إبتسامة على ثغرها ، بعد أن أتاها الرد فتابعت بهدوء بـ :

- Really, my mother doesn't believe me, I'm fine !! (حقا يا امى لما لا تصدقينى ، أنا بخير)

بدأت الدموع تنذرف من عينيها ، وإحتقنت عيناها ثم ..

كاثرن بصوت مختنق من البكاء :

- Well, Mom will not be able to hide you more (حسنا أمى لن أستطيع أن أخفى عليكِ أكثر)

شهقت عدة مرات قبل أن تتشدق بـ :

I'm tired I can't stand and might was -
with you right in everything talk from
those marriages (لقد تعبت ، لم أعد
أحتمل ، ولقد كان معك حق فى كل ما
قولتيه عن تلك الزيجة)

زفرت بإنفعال وهى تمسح تلك العبرة التى
سقطت عنوة من عينيها و ...

كاثرن بنظرات قاتمة ، وبنبرة محتقنة :

Every day that passes, curse myself a -
thousand times to straighten it and
wonder how you are blind to that
degree ...!!!!! (كل يوم يمر ألعن نفسى ألف
مرة على ما قومت به ! ، وأتسائل كيف كنت
عمياء لتلك الدرجة)

تنهدت لتخرج تلك الأنفاس الملتهبة بداخلها

ثم ...

-Yes, I want a divorce, my mother)

نعم ، أريد الطلاق يا أمى) .....!!!؟

+.....

+،،،،، فى متجر عبد القدوس للبقالة

إستند عبد القدوس على ذاك المقعد الذى يضعه غالباً أمام المتجر ، وتمهل حتى جلس مستوياً وهو يتأوه قبل أن يردف بـ :

-اااه يا ركبتى ، يا رب عينى يارب

ناداه الرجل الذى يجلس فى متجر الأقمشة المقابل لمتجره بـ :

-يا حج عبد القدوس ..

نظر له عبد القدوس ثم اردف بإبتسامة مجاملة بـ :

-نعم يا أبو كريم ..!!

ترجل الرجل الآخر من على مقعده وخطى بعض الخطوات البسيطة التى تفصل بين المتجرين ، ثم سحب المقعد الذى بجانب عبد القدوس و جلس عليه ثم ...

أبو كريم بصوت أجش ، وبنبرة خفيضة :

-إلا صحيح يا حج قولت لبنتك على الى أنا قولتهولك ؟

عبد القدوس بنبرة ضيق يحاول اخفائه :

-لا والله لسا مقولتلهاش ، اصل مفيش مناسبة جت علشان أحكى

ابو كريم بنبرة محتجة :

-ليه كده بس يا حج ، دا حتى خير البر عاجله ، وبنتك مفيش احسن منها دين وأخلاق وتعليم ما شاء الله ...+

إحتقنت عينا عبد القدوس لثوانٍ وأخذ نفساً طويلاً قبل أن يردف بـ :

-ما انا قولتك من الأول يا ابو كريم إن بنتى مش عاوزة تتجوز قبل ما تخلص تعليم ...!

أبو كريم بنظرات ساخطة و بنبرة ساخرة :

-وانت سمعت كلامها !!! البنات ملهمش يحكموأ ويقرروا احنا الى بناخد قرارتهم بنفسنا

رمقه عبد القدوس بنظرات إزدراء ، وقد احتقن وجهه بشدة قبل أن يردف بحنق بـ :

-لا طبعاً انا بنتى ليها كامل الحرية فى تحديد مستقبلها ، وتحديد الوقت الى عاوزة تتجوز

فيه ، ومين تتجوز ، وانا لو فاتحت جويرية بموضوع إبنك كريم ، هترفض ، لأن انا فاهم بنتى كويس ، وعن إذنك بقى لأن الظهر أذن وأنا عاوز ألحقه

ثم وقف عبد القدوس على عجالة وهو يزفر بشدة ، فوقف ابو كريم بجانبه ووضع يده اليسرى على كتفه و ..

أبو كريم بإصرار :

-أنا مش قصدى أضايقك يا حج ، وحقك عليا ، انا بس كنت عاوزك تكلملى جويرية فى الموضوع بس

عبد القدوس بهدوء :

-إن شاء الله

ثم تركه وتوجه إلى المسجد ليصلى ...

بينما وقف ابو كريم ينظر له بسخط وهو يضرب كفاً بكف ويحدث نفسه بـ :

-هو مفكر نفسه ايه ده ؟ .. أنا بس اجوز الواد كريم للبت جويرية ، يمكن يبطل صياعة مع كل بنت شوية وحاله يتعدل ...+

.....+

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+،،،،،

فى مكتب صهيب ،،،،،+

اطال رحيل النظر الى صهيب ، الذى كان كل تركيزه منصب على الحاسوب النقال أمامه ..

زفر رحيل مرة أخرى ببشمٍ قبل أن يردف بـ :

-صهيب !

نظر له صهيب بنظرات غير مكترثة ثم أعاد النظر الى حاسوبه بعد ان ...

صهيب بنبرة شبه طبيعية :

-نعم !

رمقه رحيل بنظرات غاضبة على عدم إكترثه ثم ...

رحيل بنبرة محتدة :

-صهيب بصلى وانا بكلمك ...

ابعد صهيب الحاسوب النقال من أمامه قليلا ليطالعه رحيل بجسده البهيّ كاملاً و ..

صهيب بنظرات متأففة ، وبنبرة متبرمة :

-كده إرتحت !

رحيل بنظرات شبه راضية :

-يعنى ، المهم انا عاوزك ترجع البيت

إنعقد حاجبي صهيب بشدة ، وضيق حدقتا عينية قبل أن يردف بإستنكار بـ :

-ارجع البيت !!

رحيل بنبرة تحمل الحماسة :

-أيوة ، ترجع بدل ما كل واحد فينا قاعد لوحده

-لأ مش عاوز أرجع ، انا قاعد فى بيتى أحسن ، وسيبتلك انت البيت كله تمارس فيه الى انت عاوزه ، اما انا ....

زفر رحيل بضيق وقال بنبرة تحمل اللوم :

-يعنى مجرد انك شوفتنى مع واحدة حكمت عليا انى آآآ ...

صهيب مقاطعاً بإستهجان :

-رحيل بطل شغل الإستعطاف ده انت عارف إنى مبجيش بيه ! .. ثم انى شوفتك فى المناظر دى كتير قبل كده فامتحاولش تظهر نفسك سيد الأخلاق السامى قدامى ..!

رحيل بإمتعاض ، ونظرات زائغة :

-أوكى انا عارف إنك شوفتنى كده كتير بس انا عاوزك ترجع البيت الوقت ، انت عارف ، مبحبش أقعد لوحدى كتير

صهيب بنبرة طبيعية :

-بس انا مش بقعد فى البيت كتير ، مش هفيدك وحتى لو .. مش هتشوفنى كتير ...

رحيل بنبرة راجية :

-عادى ، على الأقل هشوفك كل يوم ولو لدقايق ، وبعدين انا مش بحب قاعدة البيت دى لوحدى ...

وقف صهيب ، وإنتصب فى وقفته ثم توجه الى احد الأرائك الوثيرة فى مكتبه وجلس عليها بتعالٍ و ..

صهيب بنبرة هادئة :

-امممممم عاوزنى ارجع مش كده ! ، انا موافق بس على شرط

رحيل بنبرة حانقة :

-قول ، اتفضل

-ما اشوفش ستات عندنا فى البيت ابداً ، ولو رغبتك بلغتك تقدر تروح اي مكان **** تشوف الى انت عاوزه فيه ، ها اتفقنا ؟

زم رحيل شفتيه بإمتعاض ، ونظر له بإستهجان كليّ ، ثم خرج صوته يعارض تماماً ما تشير إليه ملامح وجهه المستنكرة بـ :

-موافق .....!!!+

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الرابع

فتح ذلك الطفل الصغير الذى لم يتمَّ بعد الإحديّ عشر ربيعاً عينيه بفزع ، بعد أن سمع صوت الرصاص المدوى فى أرجاء القصر ...

إنتظر الصغير أن يهدأ الصوت ، ولكن صوت طلقات النار بات يزداد شئاً فشئاً ، فتدثر الطفل تحت الغطاء حتى إختفى تحته تماماً ، كان يرتجف بفزع عقب كل رصاصة يطلقها أحدهم ثم ...

الطفل لنفسه وهو يرتجف خوفاً وبنبرة متقطعة :

-آآ إ إيه ده !!

وضع هو يده على أذنه بعد أن سمع صوت إحدى الرَصَاصات مرة أخرى ، وتنفس عدة مرات بسرعة شديدة عله يهدّئ من روعه ، ثم هتف لنفسه يشجعها بـ :

-يلا يا صهيب ، إنت مش جبان ، ومش خايف ، يلا قووووم ..

أخذ نفساً عميقاً .. بل عميقاً جـداً ، قبل ان يقرر انه سوف ..

-انا لازم اخرج وأشوف ايه الى بيحصل دا !!

قالها بنبرة متحشرجة ، وهو ينزع الغطاء عنه بتمهل ..

كانت شفتاه ترتجفان وهو يحاول النزول من على الفراش ، وما إن وطِأت قدميه الأرض ، حتى أرسلت له برودة الأرض رجفة سرت فى انحاء جسده ، قاوم صهيب حالة الذعـر المسيطرة عليه بصلابة ، حتى ترك الفراش تماماً ، وأخذ يتسلل بهدوء شديد حتى وصل إلى الباب وصار الصوت واضحاً أكثـر ..+

فتح الباب بخفوت شديد ونظر من خلال شِقِ الباب و ...

-سيبونى اروح لجوزى سيبووونى ..

هتفت بها نوران بنبرة عالية ، وهى تحاول مقاومة الحراس الممسكين بها ...+

وما إن رأى صهيب ذلك المشهد ، حتى إرتجفت أواصله ، ولم تعد قدماه تقويان

على حمله ، فجلس وهو ينظر إلى الخارج بأعين فزِعـة ..+

نظر معتز لنوران نظرات ذات مغزى ، وهو يوجه مسدساً نحو زوجها ، وهدر بها بنبرة غاضبة :

-مش ده جوزك حبيبك برضوه !؟ أنا هعلمك إزاي تسيبينى وتروحيله ...

أعطاه إحدى رجاله سكين كبير ، وحاد ..

وأخذ ما يقرب من خمسة حراس ، يكبلون حركته من جميع الجهات ..

أحدهم كان ممسكاً بيديه الإثنتين ، والآخر قدمه ، وكلٌ له دور .. وحين أسقطوه أرضاً للقضاء على أي مقاومة لديه ..+

جلال وهو ينظر له بكل ما تعنيه الكلمة من كُره :

-طيب إقتلنى انا بس يا معتز ، و سيب نوران وصهيب ارجوك

إرتسمت ابتسامة متشفية على وجه معتز وهو يستمتع بذلك الإذلال العلنيّ الذى وضعه بـه ثم ..

قهقه معتز وأردف بنبره تهكمية بـ :

-هـه ارجوك !! متتصورش كان نفسى تقولهالى قد ايه ، كان نفسى أشوفك مذلول قدامى ، بس لو مراتك رضيت تتجوزنى من بعدك مش هقتلها

لم يمهله أن ينطق كلمه أخرى ، حتى إنحنى بجذعه إلى جواره ، وقرب ذاك السكين الحاد من رقبته حتى إستقر السكين فيها وبات يذبحه كما الخراف ...+

صرخت نوران وهى ترى زوجها يذبح أمامها ودمه قد بات يجرى على الارض كما يجرى الماء فى النهر :

-جلاااااااااااااال+

اغلق صهيب عينيه بشدة ، ووضع يده على فمه لكتم أنينه الذى بدأ يعلو ، وهو يرى دماء والده قد تناثرت فى أرجاء الغرفة ...

وإزداد شحوب وجهه ، وشعر بالإختناق ..

وفى ثوانٍ معدودة ، ظل شَريط الذكريات يعيد نفس المشهد أمامه ، ويعيد .. ويعيد .. ويعد ، وبعد كل مرة يرى بها ذلك المشهد ..

يطالعه إبتسامة والده ، ومزاحه معه وهو يركض خلفه كل صباحٍ فى الحديقة الواسعة ..

يطالعه وهو يميل عليه بقبلة حانية ..

يطالعه وهو يطعمه بيده ..+

ثم ليفيق من ذكريات طفولته البريئة ،
لتطالعه تلك الجثة الهامدة ..+

جثة والده ...+

ضحك معتز بعد أن ألقى بجثة جلال التى
أَدّمت الأرض حال وضعها عليها ، وأشار بيده
للحراس الممسكين بنوران أن يتركوها ثم ..

معتز وهو يضم ساعديه إلى صدره ،
وإبتسامة متشفية تعتلى ثغره :

-ها إيه رأيك فيا بقى ؟

سارت نوران نحو معتز إلى أن وقفت
بمحاذاته ، ثم رفعت ذراعيها الإثنتين
لتضعهم خلف رقبته و ..

نوران بنظرات إعجاب ، ونبرة هادئة :

-لا عجبتنى الصراحة ..

معتز بنبرة ساخرة وهو يحاول أن يقلد صوتها :

-سيبونى أروح لجوزى ، جلاااال

ضحكت نوران بميوعة ، ثم نظرت للجثة الملقاه على الأرض بتشفى قبل أن تردف بـ :

-مش يموت وهو راضى عنى أحسن !!+

وحين سمع صهيب تلك الكلمات ، فتح عينيه ليتأكد حقاً أن والدته هى من تشدقت تواً بتلك الكلمات ، وحال رؤيته لذراع والدته الممدود نحو ال .. السفاح الذى قتل والده منذ فقط عدة لحظاتٍ قليلة ، قتمت عيناه ، وتصلبت ملامحه ، وتشنشجت عضلة من فمه آبيـةٌ تصديق ما يحدث الآن ..+

منذ ذلك اليوم ، أدرك صهيب فى قرارة نفسه أن ، حواء مهما ظهر عليها من ضعف ، ومهما ذرفت هى من الدموع أنهاراً ، ليست إلا حرباءً تبدل لونها متى يحلو لها ..

وبالرغم من صغر سنه إلا انه قد أدرك كل ما حدث فى ذاك القصر اللعين ، وتخلله ذلك الإحساس بكره حواء إلى أن صار منهجه الذى طالما إنتهجه طيلة حياته ..+

صار كالصقر يحلق فى الهواء ولا ينظر أسفله الى تلك العصافير المزقزقة ، التى تدَّعى الضعف ، بينما هى فى الحقيقة ، تستطيع بحجمها الصغير فعل ما لا يستطيع ذاك الصقر الضخم أن يفعله ..+

+.....

-صهيب باشا ، يا باشاااا

أردف بها عامل التنظيف ببشمٍ وهو يضع فنجان القهوة على مكتبه ...

وضع صهيب يده بين خُصيلات شعره يكاد يقتلعها من جذورها ، وقد أفاق من ذكرى أليمة تطارده أطيافها منذ ذاك العمر الصغير

..

صهيب بنبرة غاضبة :

-بتزعق ليه ؟

عامل التنظيف بنظرات زائغة ، وبنبرة خافتة ، متعلثمة :

-أسف يا باشا ، بس أنا بقالى فترة كويسة بنادى على حضرتك عشان جبتلك القهوة ، وحضرتك مبتردش ...+

صهيب بنبرة منزعجة ، ونظرات حادة :

-خلاص روح إنت ..

حدجه العامل بنظرات ساخطة ، ولم يجرؤ على رفع عينيه قبالة عينية ، وسار وهو يغمغم بخفوت شديد إلى أن قبض على مقبض الباب ، وفتحه ، ثم ذهب ..+

ظل صهيب ينظر لفنجان القهوة الذى امامه لفترة طويلة ..

قبل أن يرفعه لفمه ويرتشف منه القليل ..+

.....+

فى منزل عائلة عبد القدوس ،،،،+

وصلت جويرية تواً إلى منزلها ، وبمجرد أن دلفت ، ذهبت إلى غرفتها ، وهى تنتزع حجابها الأسود ، وتخرج منه دبوساً دبوساً وتغرزه داخل قلب أحمر صغيرٍ ، منتفخ ، وموضوعٌ على رفٍ صغير فى غرفتها ، وحين

إنتهت من خلعه علقته داخل خزانتها ، بعد أن فتحتها ، وبدأت تبدل باقى ثيابها ..

حال انتهائها من تبديل ثيابها ، سمعت جرس الباب يرن ، فنظرت للسقف و ..

جويرية وهى تمط شغتيها بإستهجان :

-هما مستنين أغير هدومى عشان يخبطواْ ، صبرنى يارب

فتحت خزانتها وأحضرت عبائة فضفاضة وإرتدتها بسرعة بعد أن سمعت صوت الجرس من جديد ، وأخذت حجابها لتضعه على رأسها قبل أن تذتهب لتفتح الباب ..+

نظرت جويرية من خلف الباب ثم إبتعدت عنه وفتحت الباب بسرعة وهى تبتسم ..

-كل دا عشان تفتحى !

أردفت بها جارتها العجوز التى تقف أمام الباب ، بنبرة عالية نسبياً ، وهى ممسكة بوعاء كبير مغطى بكيس بلاستيكيّ ..

جويرية بنبرة طبيعية ، وهى تتنحى قليلاً عن الباب لتعدها تدخل :

-معلش يا طنط روحية كنت بلبس حاجة عشان أفتح الباب و ... ، اتفضلى يا طنط

الحاجة روحية بنبرة طبيعية وهى تدلف إلى الداخل :

-أه يا حبيبتى عارفة ، أنا كنت همشى خلاص قولت إنك فى الشغل ..!

جويرية بنبرة هادئة وهى تنزع الحجاب من على شعرها :

-انا لسا جاية ، روحت النهاردة بدرى عشان بابا بيتدايق لما برجع متأخر ..

إبتسمت السيدة روحية بودٍ وهى تربت على ظهرها ، قبل أن تردف بـ :

-ربنا يخليكى ليـه يابنتى ، إنتى إلى بقتيله من بعد ميادة الله يرحمها ...+

شردت جويرية فى ذكرى مضت ، ودنى الألم من قلبها ، فتلك هى والدتها .. هى الحب والعطاء ، هى السكينة والأمان ، هى السعادة والسلام ..

وحين رحلت خيم الحزن قلبها ، ورافق الألم كيانها ، وذرفت العين جُهدها ..

وفقط حينها أدركت جويرية أن لا شئ يستحق ذرف الدموع بعدها .. لا شئ أسوأ من تركها لها .. ومغادرتها حياتها .. فأصبحت جويرية تنهر عيناها إذا ما حاولت البُكـاء ، وتزجر قلبها إذا ما سلك للسعادة بـاب ،...+

أخذت خيارها ، أن الزواج ليس مصيرها ، بل يكفيها تلك الحياه البسيطة التى تعيشها ، الى ان تلقى منيتها وترى فى الجنة حبيبتها ..

والدتها ....+

أفاقت جويرية من شرودها على صوت ..

روحية بنبرة آسفة ، ونظرات حانية :

-أسفة يا بنتى والله ما كان قصدى ، انا بس إفتكرتها ، والكلمة حتى طلعت من غير قصدى

حاولت جويرية رسم إبتسامة على شفتيها فلم تفلح إلا فى ...

جويرية بنبرة هادئة :

-عادى يا طنط ولا يهمك ، إنتى لسا واقفة عندك ليه ؟ يلا إقعدى

أومأت الحاجة روحية رأسها وسارت عدة خطوات إلى أن دلفت إلى المطبخ فإستعجبت جويرية و ..

جويرية بنبرة مهتمة :

-هو حضرتك عاوزة حاجة من الم ...

روحية مقاطعة إياها بنبرة جادة :

-تعالى كدة يا جويرية

ذهبت جويرية إليها فوجتها قد إختارت حد المقاعد التى بجانب الطاولة ، وسحبتها لتجلس عليها ، ووضعت الوعاء الكبير الذى أحضرته فى منتصفها ..

روحية بنبرة طبيعية :

-تعالى يا بت اقعدى جنبى هنا

رمشت جويرية ثلاث مرات بدهشة ،
لإستيعاب ما تفعله تلك العجوز ...

ثم جلست على المقعد المقابل لها و ..

روحية بنبرة طبيعية وهى تكشف عن
محتوى الوعاء :

-بصى دول شوية جمبرى عاوزين يتقشروا والواد صبرى من فترة طويلة بيسألنى على المدفونة ، فنزلت جبتله من السوق النهارده ، وقولت نقشره سوا انا وانتى

أومأت جويرية رأسها لثوانٍ وهى تردف بـ :

-ماشى لحظة هجيب طبق نحط فيه
الجمبرى وطبق للقشر

-وهاتى طبق وحطى فيه ماية عشان نغسل فيه إدينا كل شوية ..

جويرية وهى تنخفض لتضر المتطلبات من خزانة المطبخ :

-طيب ..

أخرجت جويرية وعائين ووضعتهم امامها ثم أخرجت ثالثاً وملأته بالماء ، ثم وضعته على الطاولة وجلست بعدها ..+

روحية بنبرة جادة :

-بقولك إيه ، إنتى النهاردة متطبخيش لأن دا لينا إحنا الإتنين

جويرية وهى تهز إصبعها بالنفي ، بعد أن رفعته قبالة وجهها :

-لا ياطنط انا ...

روحية مقاطعة بنبرة شرسة :

-إتكمتى يا بت ، انا مش باخد رأيك ،
وبعدين فيها ايه لما نطبخ سوا ، جتك
وكسة ١

+.....

فى إحدى المنازل المتواضعة ...+

كانت فيروز واقفة أمام تلك المرأة العجوز ،
ممسكة بكأس الماء ، والدواء فى اليد الأخرى
..

فيروز بإبتسامة عذبة ، ونظرات دافئة :

-أنا عارفة إنك مش هاتشربى الدوا إلا لما أنا
أشربهولك بنفسى ..

الوالدة بنبرة محتقنة :

-انا قرفت من الدوا ده يا بنتى ، مش عاوزة
أشربه ، لا بيقدم ولا بيأخر ..

وضعط فيروز الكوب على الطاولة ، أمامها ثم أحاطت يدها بساعديّ والدتها ، وراقبتها بنظرات دافئة ثم ...

فيروز بنبرة حانية :

-يا حبيبتى لازم تاخدى الدوا عشان تخفى بقى ، وترجعى نعمة بتاعة زمان ..

تنهدت نعمة بأسى قبل أن تردف بحزن بـ :

-ياريت يا بنتى ، بس أنا كبرت خلاص وعجزت وعندى السكر ، والضغط ، وأمراض تانية كتير .. ومستحيل أرجع زي الأول ، الحمد لله يارب على كل حال+

فيروز بنظرات مشفقة على والدتها التى نال منها الدهر نيلاً ، فأصبحت عجوزاً هرمة ، لا تقوى على الحراك :

-لا يا حبيبتى متقوليش كدة هترجعى زى الأول وأحسن بمليون مرة كمان ، يلا بقى خدى الدوا

تنفست نعمة مطولاً وهى ترى إبنتها تحضر الماء وتقربه منها مرة أخرى مسترجية إياها أن تشربه ..

فيروز وهى تقرب كأس الماء من والدتها :

-يلا يا حبيبتى بقى ، إشربى يلا ..

بالفعل أمسكت نعمة بالكأس الممتلئ بالماء وشربت نصفه بعد أن وضعت الدواء داخل فمها ..

ربتت فيروز على ظهر والدتها بحنو بالغ قبل أن تردف بنبرة هادئة بـ :

-هسيبك أنا دلوقتى يا حبيبتى عشان تنامى وترتاحى شوية

ثم سارت هى مبتعدة بعد أن طبعت قبلة حانية على وجنتيها+

خرجت فيروز من غرفة والدتها وقد إجتاحتها نوبة من الإختناق بسبب ما تعانى منه والدتها ..

زفرت هى بقوة محاولة إخراج ما فى صدرها من ألم ، ودنت قليلاً من صورة كبيرة معلقة على الحائط ، لرجل قد بدى عليه الوقار ، نظرت فيروز إلى الصورة مطولاً بصمت مريب ثم ..

هدرت فى الصورة بوهن شديد :

-كدة يا بابا تسيبنا لوحدنا وتمشى ، شايف ماما مغلبانى إزاي ، أنا مش بتأمر ولا متدايقة ، بس .. بس أنا تعبت

تدافعت الدموع تتسابق على وجنتيها قبل أن تضم ساعديها الى صدرها ، علها تكتسب من القوة ما يجعلها تواجه باقى تلك الحياه البائسة التى تحياها ..

تابعت هى بنبرة أكثر إختناقاً من ذى قبل :

-أنا عمرى ما نسيت يا بابا لما قولتلى إنك هتفضل معايا دايماً ، وهتحمينى ده لما ماما بس كانت بتحاول تضربنى ، كنت بتقف لها ، بس شوفت بنتك بيحصلها إيه من بعدك ، بتتعذب عشان مجرد حيوان شايف نفسه على الكل .. انا بقيت بدخل الشركة مرعوبة أفضل أتلفت شمال ويمين ليكون موجود ..

حررت هى إحدى ذراعيها ورفعت كفها الى وجهها وبدأت تمسح دموعها ببطئ قبل أن تردف بنبرة خافتة بـ :

-الحمد لله يارب على كل حال ...+

+.....

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

+،،،،

فى مكتب صهيب ،،،،+

دلفت موظفة ما بعد أن أذن لها صهيب
بالدخول وهى تتمايل بجسدها المكتنز
بإغراء بيّن ، وقد كانت ممسكة بملف مكتظ
بالأوراق الهامة ، التى تحتاج الى توقيع أو ما
شابه ، فيما كان صهيب ينظر لعدة أوراق
أمامه بتركيز شديد ، وحين يأست تلك
الموظفة أن يلتفت لها تنحنحت بخفوت ثم

..

الموظفة بميوعة واضحة :

-إحم ... النهاردة فيروز مجتش يا بيه ، وأنا الى قومت بكل الى بتعمله ، بس بزمتك يا بيه مش أنفع برضوه !!

نظر لها شزراً قبل أن يردف بنبرة باردة بـ :

-إنتى معملتيش إلا واجبك بس ...

وضعت هى يدها على فمها ، بحرج زائف ، وهى تتقدم و تتمايل بخطواتها بطريقة أثارت فى نفسة الإشمئزاز ، والتقزز ، رغم أنه لا ينكر أن محاولاتها للتقرب منه ، تشعره بمدى إمتهانها أمام جاذبيته ، وتعزز من غروره داخل قرارة نفسه ..

وبالرغم من النفور الذى رأته تلك الموظفة فى عينيه ، إلا أنها إستمرت بالتقدم إلى أن وقفت أمامه ..

الموظفة بنبرة تحمل الإغراء ، وهى تمد يدها له بالملف :

-طبعاً واجبى ، وخصوصاً إن إنت إلى ...

صهيب مقاطعاً بنبرة حادة ، وهو يلتقط منها الملف :

-إسمها حضرتك

شعرت الموظفة أن جميع محاولاتها للتقرب منه تبوء بالفشل الزريع ، فمالت بجذعها نحو مكتبه بدلال ، ثم ..

الموظفة بنبرة خافتة :

-أاآه sorry مكنش قصدى حضرتك ..+

نظر لها صهيب وهى تحاول جاهدة الإقتراب منه قدر المستطاع ، بنظرات باردة تحمل فى طياتها إستحقاراً ظاهراً ...

وبنبرة جليدية أردف بـ :

-لو خلصتى محاولاتك الفاشلة فى إغرائى ، إطلعى برا ..

فغرت الموظفة فاها بصدمة ، وإنتصبت فى وقفتها ، ثم رمشت عدة مرات ... بعد أن شعرت بمدى حقارتها أمامه ، وقد نجح فى إيصال شعور النفور منها ، لها ببساطة ..

فأضاف صهيب بنبرة أكثر برود اً ، و إستحقاراً :

-وأاه نسيت ، عاوزك تاخدى مرتبك ومشوفش وشك فى شركتى تانى ..

تجمدت ملامح الموظفة الواقفة أمامه ، وبنبرة متعلثمة تشدقت بـ :

-ليه يا بيه أنا عملت إيه بس ..

لم يكلف نفسه عناء النظر إليها ، وظل ينظر إلى الملف الممسك به ، ويقلب أوراقه بهدوء ثم ..

صهيب بنبرة تحمل الغرور ، والتعالى :

-دى شركتى وأنا أقرر مين الى يفضل ، ومين الحشرات إلى أنفخ فيها وأطيرها ..

ثم صمت لبرهة ليحدجها بنظرات قاسية ، ليردف بعدها بـ :

-ثم إنك أكيد عارفة أنا بطردك ليه ، أكيد عشان مصلحتك ، عشان تلاقى شغل فى مكان أحسن ، فى ديسكو مثلاً ، أو .. أو ممكن ليلة مع راجل غنى ، الموضوع دا بيكسب كتير برضوه ..

شعرت الموظفة بالإذلال الذى أذاقها إياه ، فإندفعت نحو الباب لتخرج من ذاك السجن

البغيض ، الذى تفنن صاحبه بالعبث
بالكلمات لتصبح كسوط من نار ...+

أزاح صهيب الملف الممسك به من يده ،
وهتف بنبرة جافة هازءاً بـ :

-هـه ، كلكم شبه بعض ...

وفجأة سمع صوت هاتفه المجلجل ،
فإستدار نحوه ، وأمسكه ، ثم أجاب بعد أن
رأى إسم المتصل ..

صهيب بنبرة شبه طبيعية :

-طيب يا رحيل جاي ، كان عندى شوية
شغل بس وبخلصه ... تمام نص ساعة
وأبقى عندك ، أوكى سلام

أغلق الهاتف وبدأ بتجميع أغراضه إستعداداً
للمغادرة ...+

+.....

إستيقظت جويرية صباحاً ، وتمددت فى
فراشها بتثاقل قبل أن تنزل ببطئ من على
الفراش ، وتدلف إلى الحمام ..+

وبعد عدة دقائق خرجت جويرية وهى تحمل
منشفتها السوداء ، وتجفف وجهها ، ويديها

ودنت من سجاة الصلاه بعد أن إرتدت
عبائتها لتصلى ..

وحين انتهت من صلاتها ، إرتدت ثيابها
بسرعة ، ثم خرجت من غرفتها صوب غرفة
والدها لتطمئن عليه ..

وحين دلفت إلى حجرته ، وفور رؤيته نائماً
إتجهت نحو الباب وخرجت منه ، مودعة
المنزل ذاهبة إلى جامعتها ...+

+.....

إنتهت فيروز من تجهيز نفسها للنزول من المنزل ، لتذهب الى الشركة ، ولكن كان ينتابها بعض القلق تجاه ما ستؤل إليه الأمور .. فهل سيقف معها ذلك المدير القاسي ، المرعب الذى يخشاه الجميع ، ضد صديقه ! ، ولكنها حاولت تهدأة نفسها وطمأنتها أن كل شئ سيكون على ما يرام ..

أسرعت فيروز فى خطواتها وهي تعبث بحجابها حديث الإستعمال ، وتحاول أن تخفى خُصيلات شعرها التى تدافعت للخروج وهى تسير ....+

حين وقفت فيروز أمام الشركة حاولت أن تدلف بثبات وتخفى ذلك التوتر الذى إتضح أنه سيرافقها ولن يغادر تعابير وجهها ..

دلفت فيروز الى الشركة وهى تجر قدميها ، تتقدم واحدة ، بينما تتخاذل الأخيرة ، حتى

وجدت نفسها أمام مكتبه ، تطرق الباب

منتظرة الاذن بالدخول

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الخامس

+

فى المقر الرئيسى لشركات صهيب للسيارات

،،،،،

فى مكتب صهيب ،،،،،+

-إدخل ..

أردف بها صهيب بنبرة هادئة ، حين سمع

صوت طرقات الباب ..

دلفت فيروز بخطى ثابتة ، وهى مطرقة رأسها ..

وبنبرة شبه طبيعية أردفت بـ :

-آآآ أهلاً يا باشا

رفع صهيب رأسه محدجاً إياها بنظرات متصلبة ، قبل أن يندفع هاتفاً بنبرة غاضبة بـ :

-أنا مش عارف ، هى شركة أبوكى ، تيجى براحتك وتغيبى براحتك !!!

عضت فيروز على شفتها السفلى حتى كادت تدميها ، ووضعت يدها على مقدمة حجابها لتتأكد أنه لا يزال فى محله ، .. ثم أخذت تعبث بأكمام فستانها الزمرديّ الطويل الذى ترتديه ، وتجمعت بعض

الدموع بمقلتيها نتيجه صراخِه عليها ، حتى منعتهما من النزول بصعوبة شديدة ثم ...

فيروز بنبرة مختنقة ، من التوتر الذى تشعر به :

-أنا آسفة يا باشا إنى غبت بس دا للسبب إلى هقوله لحضرتك الوقت ..

صمتت قليلاً لتراقب ردة فعلِه ، وقد بدى على ملامحه الهدوء وكأنه ينتظرها لتتابع ، وكان هذا حافزاً كافياً لها لتكمل ، فإبتلعت ريقها و ...

حاولت بصعوبة إيجاد العبارات المناسبة لتنطق بها ، ولكن حتى سكونه يفرق شمل الكلمات لديها ، ثم أغمضت عينيها بشدة و ...

فيروز بنبرة خافتة :

-بيجاد بيه صاحب حضرتك بيفضل يدايقنى ، و بيتحرش بيا كل لما يشوفنى ..

-أها وبعدين ...

قالها هو بنبرة باردة ، وهو ينظر إلى حاسوبه الخاص ...

فتحت عينيها لترمقه بمقت جراء طريقته المستفزة ثم أضافت بنبرة تحمل الحدة بـ :

-ومش بيسيبنى فى حالى ، وأخر مرة فضل ماسكنى لحد لما حد إتصل بيه ، وربنا وحده إلى عالم إيه إلى كان ممكن يحصلى لـو ...

صمتت هى فلم تجد القدرة على متابعة حديثها ، وأخذت نفساً عميقاً وزفرته ببطئ ...

وترقب رده ...!+

ظل ناظراً إلى الحاسوب غير آبهاً بالمَرة لما تقول ، وهى كانت تنظر له ، محاولة سبر أغوار عقله لتعلم مايدور به ..+

أجابها هو بنبرة غير مكترثة وهو ينظر إلى الحاسوب :

-سبيه بيتسلى شوية ..

-نعم !!!!!!!

قالتها فيروز بنبرة قاتمة ، وقد أفلتت عبرتان حبيستان من عينيها ، برغم محاولاتها المستميتة لكبحهما ، إلا أنها لم تستطع أبداً ، فقد أشعرتها ردة فعله الباردة وكأنها متسولة تطلب منه أن يتفضل عليها بشئ يملكه ..+

رفع هو رأسه إليها قليلاً وحدجها بنظرات قاسية قبل أن يردف بنبرة عالية بـ :

-مهو لو كل واحدة حد عاكسها ، أو إتحرش بيها سابت شغلها ، يبقى مفيش ستات هتشتغل ...!!

بنبرة ممتعضة ومبترمة أردفت بـ :

-بس حضرتك هو ...

-وعشان كدة لبستى الحجاب !!!

قاطعها هو بذاك السؤال المفاجئ ، وقد حَوَتّ نبرته الكثير من السخرية والإستخفاف بالأمر ...

أخرجت نفساً حاراً من صدرها ، وأجابته بفتور بـ :

-إن كان دا هيخليه يحل عنى ، فأيوة لبسته عشان كدة ..

نظر هو للحاسوب مرة أخرى ، ثم بنبرة غرورٍ أردف بـ :

-أهـا ، وأنا أكيد برضوه مش عاوز إسم شركتى يتعكر بسبب واحدة زيك ، طلعت ولا نزلت مجرد سكرتيرة حقيرة ...

إبتلعت غصة مريرة فى حلقها ، وهى تستمع إلى إهاناته المتتالية لها ، فما الذى يمكنها فعله حيال الأمر ..

ولا ميمكنها حتى أن تخسر وظيفتها ، فوالدتها بالدواء وحالها يسوء كل يوم ، فما بالها إن إنقطع ..!!

لاحظت فيروز أن صمتها قد طال ، وقررت أن تقطع ذاك الصمت بـ ..

فيروز بنبرة متسائلة ، وهى ترفع يدها لتمسح تلك العبرة التى سقطت عنوة من عينيها ، ولم تلحظها إلا الآن بسبب برودتها :

-يعنى حضرتك هتبعده عنى !!!

صهيب ببشمٍ وتبرم :

-ما أنا قولتلك مش هخلى سمعة شركتى تتعكر بسبب واحدة زيك .. هاا عجبك الكلام ! تحبى أعيدواْ ؟

صمتت هى لبرهة قبل أن تتشدق بـ :

-بعد إذنك عاوزة أطلع ٢

+.....+

فى إحدى الحارات الشعبية ..+

صرخ بائع السمك بنبرة متذمرة و بصوتٍ عالٍ بـ :

-مين ابن الـ**** إلى رمى الطوب على السمك ...

أشار ثلاث شُبان ، إلى شاب آخر يقف على مقربة منهم وقد أردفوا ثلاثتهم فى صوتٍ واحدٍ بـ :

-دا إلى رماه والله ، كان عمال يرمى طوب الوقت ...

نظر له البائع شزراً وعلامات الغضب جليّة على وجهه ثم ..

بائع السمك بنبرة غاضبة :

-جرا إيه يا ابن المصديّة ، بترمى طوب هنا ليه ؟!!

نظر له الآخر بعدم إكتراث ، وأجابه بنبرة مستفزة بـ :

-طب تحب أقولك إسمها !!!

بائع السمك بنبرة غاضبة ، وهو يركض خلفه

:

-يلا يـ**** ولد ابن****+

تابعت جويرية المشهد أمامها بفتور تام ، بعد أن ترجلت من الحافلة ، وسارت عدة خطى نحو بيتها ثم ..

جويرية لنفسها بفتور :

-ربنا يهديهم ...

صعدت هى درجات السُلم حتى تصل إلى منزلها ، وما إن وصلت حتى أخرجت المِفتاح من حقيبتها ، وفتحت الباب ، ومن ثم دلفت إلى الداخل ..+

إستعجبت جويرية بعد أن رأت والدها لا يزال قابعاً فى غرفته .. نائماً على سريره ، دلفت إلى غرفته لتطمئن عليه ، وسارت عدة خطى حتى قتربت منه ، ومالت عليه بقبلة حانية ، ثم وضعت يدها على كتفه و ..

جويرية بنبرة خافتة :

-بابا ، حبيبى ، إنت كويس ؟

فتح عبد القدوس عينيه بإرهاق ثم ..

عبد القدوس بنبرة مجهدة :

-أه يا حبيبتى كويس ، بس تعبت شوية بس ، ومقدرتش أروح الشغل ..

أمسكت هى بكتفه بحنو ، وبنبرة دافئة أردفت بـ :

-مينفعش تفضل نايم كدة من غير أكل ، إستنانى بس خمس دقايق ويكون الأكل جاهز عندك ..

ثم مضت هى دون أن تستمع إلى ألى كلمة إضافية ..+

+.....

فى غضون دقائق معدودة كانت قد أنهت طهو الطعام ، وسكبته داخل الأطباق ثم سارعت بالذهاب إليه ...

دلفت إليه وجلست بجانبه ثم ..

جويرية بنبرة حانية :

-يلا يا بابا عشان تاكل ، وأنا إلى هأكلك عشان عرفاك مش هتاكل أبداً لو سيبتك لوحدك

إبتسم لها عبد القدوس وإستسلم لإبنته تاركاً إياها تطعمه ، فهو يعلم كم هى عنيدة ، ومن المستحيل أن تعدل عن قرار إتخذته أي ظرف ..

حين أنهت جويرية إطعامه ، دثرته تحت الغطاء جيداً ، قبل أن تردف بنبرة هادئة بـ :

-نام إنت بقى الوقت ، وأنا نازلة الشغل ، والماية جنبك أهى لو عطشت عشان متقومش ، بس حاول ترتاح أهم حاجة ماشى ...!!!

أومأ الأب رأسه بإبتسامة حانية ثم ..

عبد القدوس بنظرات راضية ، وبنبرة ممتنة :

-ربنا يحفظك ليا يا بنتى يا رب ، ويرزقك السعادة فى كل خطوة ، قادر يا كريم ..

إبتسمت هى له ثم مالت على رأسه وطبعت قبلة عليها قبل أن تردف بنبرة دافئة بـ :

-خلى بالك من نفسك ، وإن شاء الله مش هتأخر ..+

+.....

دلف بيجاد إلى الشركة ، وتوجه نحو مكتب صهيب ، ولكن قبل أن يمر ، لمح فيروز جالسة منهمكة ببعض الأوراق التى أمامها فلمعت عيناه بوهجٍ كما القطط حين تجد فرائسها .. وإقترب من مكتبها ببعض الخطوات ثم ...

-وحشتك امبارح مش كدة برضوه !

توجست هى من ذاك الصوت الذى تبغضه كثيراً ، وتبدلت ملامحها إلى العبوس الشديد ،

وإحتقنت عيناها ، بالرغم من أنها لم تجد الجرأة على رفع وجهها قبالته ولكن وعلى الرغم من كل ما تمر به الآن ، أردفت بنبرة حادة بـ :

-لو سمحت يا بيجاد بيه إتفضل على شغلك ، إحنا هنا بنشتغل وبس ...

قالتها هى بنبرة شبه محذرة ، وهى تنظر إلى الأوراق ، أو بالأحرى تتصنع ذلك ...+

حنى هو رأسه قليلاً ، وتلمس ذلك الحجاب الذى أثار مقته ، فإنتفضت هى حين شعرت بيده على مقدمة حجابها ، ورمقته بنظرات ساخطة ، ومحتقرة ، قبل أن تنتصب واقفة ، وتبتعد عنه خطوتان ، ثم ...

بيجاد بنبرة ساخرة :

-إيه ، إهدى شوية أنا جيت جنبك لسة ! ، وبعدين إيه الخرقة إلى حطاها على راسك دى ؟

تابعت هى نظراتها إليه بسخط شديد قبل أن تردف بنبرة محتدة بـ :

-أظن ده إلى إنت ملكش فيه ، وياريت تدخل بقى لصهيب باشا لأنه مستنيك ..

حدجها هو بنظرات ماقتة ، ومتوعدة قبل أن يتنحى ، وهو يتشدق بـ :

-أما نشوف هتفضلى لحد إمت تعاندى ، ما إنتى أخرك ليلة وأرميكى زي الكلاب فى الشارع ..+

ثم دلف إلى مكتب صهيب ، فزفرت بغضب وهى تنعته بـ :

-حيواااان !+

+.....

دلف بيجاد إلى مكتب صهيب وآثار الحنق جليّة على وجهه ، رمقه الأخير بنظرات إحتقارية ، فزفر بيجاد و ...

بيجاد بضجر بيّن :

-بتبصلى كدة ليه إنت كمان !!

صهيب بنبرة هادئة ، خطرة :

-بص يا بيجاد ، إنت معدش عندك إلا أخر فرصة عندى ، فيا تستغلها يا إما أطردك من الشركة خالص ، ولا كأننا كنا نعرف بعض ..

جحظت عينيّ بيجاد ، وإكتسى وجهه بعلامات الذعر ، فهو يعلم تمام العلم أن صهيب ليس بمهدد .. بل إنه لا يتوانى فى سبيل أن تكون كلمته كسيف قاطع لا مجال للجدال فيها ..

بيجاد بنبرة متعلثمة :

-ليه هو أنا عملت إيه لكل ده ؟

تابع صهيب بنبرة أكثر حدة :

-والى حصل برا ميتكررش ، وتسيب فيروز فى حالها لأنى قولتلك مرة وهقول تانى ، مش هسيب إسم شركتى يتعكر ويتوسخ بسبب كلب بنات زيك ، ومجرد سكرتيرة عادية ..

-إحنا صحاب يا صهيب ، إزاى تقول لصاحبك كدة وكله عشان مين عشان فيروز !!

قالها بيجاد بنبرة حزن زائف ، فهو لا يتأمل شيئاً من رفيقه ، لكنه يتودد إليه لربما يرضيه ...

وبهدوء أجابه صهيب بـ :

-مليون مرة قولتلك إنى مش بحط أولوية لأصحاب فى حياتى ، كل الناس شبه بعض عندى ، فهمت !! ، والكلام الى قولتهولك يتنفذ بالحرف ، متنساش إن أنا المدير هنا ...

صمت بيجاد ولم يعلم بما يجيب ، فقد علم أنه جاد تماماً فى كل ما قال ولا داعي للجدال فلن يغير من الأمر شئ فالجدال من عدمه سيان عنده ...

وقف صهيب ، وأمسك هاتفه ، ووضعه فى جيبه ، ثم تناول محفظة نقوده من على المكتب أمامه ووضعها فى جيب آخر ، فنظر له بيجاد بفضول و ..

بيجاد بنبرة فضولية :

-رايح فين ؟

أجابه صهيب بإقتضاب بـ :

-رايح أتغدى ...

وجد بيجاد تلك فرصة سانحة له ليصلح من علاقتهم قليلاً ، فأردف بنبرة متحمسة بـ :

-أنا أعرف مطعم بيـ...

صهيب مقاطعاً بنبرة قاتمة :

-وأنا برضوه أعرف واحد ، وإتفضل إنت على شغلك علشان عندك شغل كتير

طالعه هو بنظرات ساخطة قبل أن يندفع خارجاً من مكتبه ، وهو يرمق فيروز بنظرات نارية متأججة ..

وتلاه خروج صهيب من مكتبه ، وهو يلقن السكرتيرة بـ :

-لو حد إجى أنا برا ، والـ meeting بتاع النهاردة إلغيه ، عشان مش راجع تانى ..

أومأت فيروز رأسها مردفة بـ :

-حاضر يا باشا ..+

.....+

خلال لحظات كان صهيب قد خرج من الشركة وركب سيارته ، وضع يده على المقود مُرجعاً رأسه للخلف ..

صهيب لنفسه بتساؤل :

-أنا عاوز أروح مطعم جديد ، زهقت من التانين ، كان فيه واحد على أخرالشارع ده أما أجربه ..

أمسك هو بمقود السيارة وإنطلق بها بسرعة ، صوب الطريق الذى إختاره هو ..+

وقف صهيب أمام ذلك المطعم الذى رأه من قبل ، ولكنها تجربته الأولى بداخله ، ترجل

من سيارته ، وخطى بثبات حتى دلف إلى المطعم ..

إستقبله نادل ما يقف أمام الباب بترحاب شديد بـ :

-أهلا بحضرتك شرفت مطعمنا المتواضع ، إتفضل

دلف معه صهيب ولم يعقب بكلمة ، وإختار له النادل إحدى أفخم الطاولات لديهم ، ثم أعطاه قائمة الطعام مردفاً بـ :

-إتفضل يافندم دا الـ menu إختار إلى حضرتك عاوزه

وبعد وقت قصير ناداه صهيب معلناً عن طلبه فإبتسم له النادل بودٍ وذهب لكي يحضر له طلبه ..

تنهد صهيب وهو ينظر للمكان حوله .. وبنبرة هادئة أردف لنفسه بـ :

-هو صحيح مش كبير أوى ، بس أما نشوف أكله عامل إزاي !

مضى القليل من الوقت عليه ، قبل أن ..+

جاءت جويرية من بعيد ممسكة بطلبهِ على صينية صغيرة وبجانبها كأس من المياه الباردة .. وحين إقتربت منه جويرية ، واضعة طلبه على الطاولة أمامه إهتزت يدها عن غير قصدٍ فإنسكب القليل من الماء على بنطاله باهظ الثمن ، فنظر لها بشراسة ، قابلتها هى بنظرات هادئة لم تتأثر بها ، ثم أردفت بـ :

-أسفة جداً يا فندم

قال هو بنبرة عالية :

-أسفة !! إنتى مش شايفة إنتى عملتى إيه !!!

حاولت هى بذل جهدها كي تهدأ ، وتهدّئ غضبها لكي لا ترتكب أي حماقة تندم عليها فيما بعد ، ثم ..

جويرية بنبرة هادئة :

-معلش يا فندم دى ماية وهتنشف على طول

إشتعلت عيناه من طريقتها المستفزة ، وبرودها فى الرد عليه ، وأثارت حفيظته بشدة فـ ...

إنتصب فى وقفته ، وبنبرة غاضبة أردف بـ :

-يعنى بدل ما تعتذرى ، تقولى هتنشف بسرعة

إبتسمت هى بإستفزاز لـهُ ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها و ..

جويرية بنبرة مستفزة :

-يا الله ، هو إحنا المفروض نعتذر كام مرة ، عشان أحط فى بالى بس ..!! ، قولت لحضرتك أسفة مكنش قصدى ، محصلش حاجة يعنى لكل دة ..

كور هو قبضتاه فى غلٍ من التى أخرجته عن طوره وصاح عالياً بعد أن إشتعل وجهه إحمراراً من الغضب :

-فييين صاحب المطعم دة ...!!!!

لم تستعجب هى من ردة فعله ، فقد توقعت أن ينتهى الأمر بطردها أيضاً ، ولكن لا يهم ، لم يخلق بعد من يستطيع كسر كبريائها .. وإعتزازها بنفسها تحت أي ظرف ..

-فيه إيه يا باشا بس ، حد دايقك ...!!!

قالها المدير بنبرة قلقة ، وهو يهرع راكضاً نحوهم ..

صهيب بنبرة حادة ، ونظرات نارية :

-إنتم إزاي تشغلواْ عندكم واحدة زي دى ، متعلمتش إزاي ترد على الأعلى منها ...!!!

نهرته هى بنبرة جادة بـ :

-كلنا سواسية ، مهما علت قيمتك فى الدنيا ، عند ربنا مجرد عبد ، مش بيميزواْ إلا عمله ...

نظر هو لها بحنق ، وبنبرة مشتعلة أردف بـ :

-البنت دى متقعدش هنا يوم واحد كمان ، إطردها ومترجعهاش تانى تحت أي ظرف ، والمبلغ الى هتعوزه هيكون عندك

نظرت هى للمدير وهى واثقة أنه سيقبل بعرضٍ مغرى كهذا

تنحنح المدير ، ثم قال بنبرة متعلثمة :

-أااه طبعاً هتطرد لأنها تجاوزت الحدود معاك ..

لم تنتظر هى أن ينهى كلماته ، وبدأت بخلع رداء الطهو الذى كانت ترتديه لكي لا تتسخ ..

فنظر صهيب لها بإنتصار ، ظناً منه أنها ستبكى قهراً لفقدانها وظيفتها .. إلا أنها خالفت التوقعات وسلمت الرداء للمدير مردفة بإبتسامة مستفزة :

-أوعى تنسى إلى هتقبضه ، ولا أه صحيح من إمت وإنت بتنسى فلوس أصلاً

ثم حولت نظرها لصهيب وتابعت بـ :

-الله يكون فى عونك ، هيفلسك ..

وخرجت هى من المطعم تاركة إياه يشتعل عضباً ، حتى أن وجهه قد صار كجمرة من النار آن ذاك .. من هي لتتحدث معه بتلك الطريقة ، من تظن نفسها تلك الوقحة !!!!!!!!..

لم ينكر هو أنه لم يرى مثلها من قبل ..

تلك أفعى ظهرت بسمومها دون أن تتخفى تحت قناع البراءة ...!!+

+.....

خرجت جويرية من المطعم ، وقد إشتعل وجهها غضباً ، فقد حمّلت نفسها الكثير لكي تحاول الهدوء ، والآن خسرت عملها ، ماذا ستفعل ؟!!

كان لديها ذاك المبدأ الذى لا تتنازل عنه أبـداً منذ نعومة أظافرها ..

لن تجعل من يُرد التشفى بها يتشفى ،فهي فقط ولا سواها يحق لها رؤية معاناتها ، أما البقية ، فيجب أن يظنواْ أنها لم تتأثر بكل ما يحدث ...+

لن تجعل أحداً يتشفى بها ....

لا لن تفعل ..+

وضعت يدها على جبهتها قبل أن تهتف بإحتقان بـ :

-الوقت هعمل إيه ، لازم ألاقى شغل بسرعة عشان أساعد بابا ، والغبى إلى شايف نفسه دا خلانى أسيب الشغل ، أووف بقى ، طب أعمل إيه !!!

ضمت هى مرفقيها أمام صدرها وتنهدت بحزن فقد إفتقدت والدتها الآن .. أكثر مما سبق ، فقد كانت الأحن عليها حين تشعر باليأس الذى يحيطها ....+

فكم تركت خلفها من فراغ .....!!!!!+

.....+

خرج هو من المطعم وقد تأججت عيناه بشرر غريب ، لم يسبق أن أخرجته فتاه عن طوره إلى هذا الحد ، لقد جعلته يفقد السيطرة تماماً

دلف إلى سيارته الفارهة ، ووضع يده على المقود وسار بأقصى ما لديه من سرعة

هتف لنفسه فى غضب :

-مالك يا صهيب من إمت وإنت بتتنرفز كدة من كلام حد ، ومتعرفش تسيطر على نفسك ...!!!!

زفر بغضب وأردف بـ :

-مش أنا الى غلطان ، هى الى حاولت تستفزنى بأقصى الطرق ، بس كان نفسى أشوفها مكسورة بعد أما خسرتها شغلها ، لأ فضلت زي ما هي ..+

ولكنه جهل لما شرد فجأة فى إحدى أبشع ذكريات حياته ....+

+.....

نظرت نوران صوب غرفة صهيب وبنبرة جادة أردفت بـ :

-صهيب ..!! ، أنا نسيته معقول يكون سمع حاجة ..

أمسكها معتز من يدها وهو يسحبها مردفاً بنبرة متحمسة بـ :

-أكيد لا ، تعالى بقى نروح على أوضتنا

حاولت هى إفلات يدها بدلال وهى تتمايل فى حركتها قبل أن تردف بـ :

-هاشوفه بس ، مستعجل كدة ليه ، ما أنا هفضل معاك طول العمر ..

لم يترك هو يدها ، ورمق الحرس بنظرات ثابتة وهو يقول :

-إرموأ جثته فى الصحرا ، زي ما قولتلكوأ قبل كدة وإخفو كل الأدلة ، على .. الى تدل على الجريمة

أومأ الحرس رأسهم وهم يحملونه ، بينما نظرت له نوران بإعجاب و ..

نوران بنبرة هادئة :

-متوقعتش إنك هتقدر تقتل أ .. أخوك بجد عشانى

قهقه معتز ، قبل أن يردف بـ :

-إنت الكل فى الكل برضوه يا جميل .. تعالى بقى نروح الأوضة

-طب وصهيب !!

سحبها هو من يدها ، متجهاً نحو إحدى الغرف بعد أن أردف بـ :

-لو كان صحى كان فاته عيط ولا سرخ ..+

ولكن للأسف كان صهيب يرى كل ما يحدث ، وحين تأكد من دخولهم الغرفة سوياً ، أحضر مقعداً ووضعه أسفل نافذة غرفته

وقفز بعدها هارباً من واقعه .. حقيقته .. بيته .. أهله .. كل شئ ..+

هرب من كل شئ ..+

وهل بقيَّ له من أحدٍ ليبقي عليه فى طيات حياته ...!!!+

+.....

أفاق هو من ذكرياته الأليمة على صوت بوق سيارة عالٍ ، وإستطاع تفادى الإستضام بصعوبة بالفعل ..+

أسرع أكثر بالسيارة علَّه يلحق بالهواء الذى هرب منه ، فيستنشق منه البعض ...

علَّه يلحق بسعادة يجهل طريقها .. علَّه ..+

ومن يدرى ..+

+.....

تدثرت كاثرن تحت الغطاء أكثر وهى ترتجف بشدة ، لم تجف دموعها للحظة ، تنهمر على وجهها لتذبله ، كما تدفق الفيضانات على على الزهور فتغرقها ، وتذهب برائحتها العَطرة ...

رفعت يدها إلى وجهها الشاحب لتمسح الدموع العابرة ، وقد إمتلئ وجهها بجروح طفيفة ، بينما تناثرت الكدمات الزرقاء على جسدها كلِـه ..

كانت تحدق فى سقف غرفتها وكل ما تفعله ، تذكر ما حدث ليلة أمس ، فقد أصبحت كشريط الذكريات الذى يستمر بإعادة نفسه مرات ومرات ومرات "+ "

إنسابت تلك العبرة الحارة من عينيها وهى تعيد إسترجاع ما حدث ليلة أمس ...

فمدت يدها مرة أخرى لتمسحها ، وتهدّئ من روعها قليلاً ..+

+.....

دلف بيجاد إلى الشقة بعد منتصف الليل ، وكانت هى فى ذلك الوقت جالسة تشاهد التلفاز ، إقترب منها بخطوات متباطئة ثم ...

كاثرن بنظرات غاضبة ، وبنبرة ممتعضة :

-المفروض إنى أصدق إنك كنت فى شغل لحد الوقت صح !!

أجابها بنبرة مستفزة :

-أهـا ، وليه متصدقيش ...!!!

كاثرن بنبرة حادة :

-أااه ليه مصدقش ، مثلاً ممكن أكون بعت حد يراقبك ، وقالى إنك كنت عند الست هانم

بتاعتك ، أو ممكن يكون صورلى الصور دى مثلاً يعنى ..+

إنحنت بجذعها قليلاً لتلتقط بعض الصور الموضوعة على الطاولة أمامها ، ثم إختارت منهم ما يقرب من عشر صور ، كانواْ بجانبها على الأريكة ، وكل صورة منهم له مع فتاه مختلفة فى أوضاع مشينة ، وألقتهم هى عليه فتناثرت الصور فى كل مكان ...

وأضافت بنبرة محتقنة :

-طلقنى ..

ظل هو ينظر لهم لوهلة قبل أن يرفع رأسه ، ويحدجها بتلك النظرات المميتة ثم ...

بيجاد بنبرة غاضبة وهو يندفع نحوها ، ثم يمسك بها من شعرها بقوة ، حتى أُفلتت باقى الصور من يدها :

-يلا يابنت الـ**** بتراقبينى ...!!! ، والله لهوريكى

صرخت بقوة وهو يجرها جراً من شعرها ، حتى كاد يقتلعه من جذوره ، ثم دلف إلى غرفتهما وهو لا يزال يجرها ، ثم قام بإلقائها بكل قوته على الأرض ...+

بكت هى بشدة وتوسلت له بـ :

-خلاص يا بيجاد سيبنى ، أاااه حرام عليك ...

أمسكها هو من شعرها ورفعها عن الأرض وهو يهدر بها بنبرة عالية بـ :

-أنا هعلمك الأدب ، عشان تعرفى تتجسسى عليا إزاي ..!!! ومفيش طلاق وهتشوفى كلام مين إلى هيمشى ..

ثم ألقاها من جديد بعد أن سدد لها عدة لكمات فى أجزاء متفرقة من جسدها ، وسبها

بأفظع الشتائم ، وهى تصرخ طالبة الإغاثة

فهل من مغيث ..!!!+

ثم حتى إذا ما هدَّه التعب ، تركها فاقدة

وعيها بأحد الأركان فى الغرفة ..

+.....

توعدت هى له ، فهى ليست بقليلة أبداً

ليصنع بها هذا ، إن علم فقط والدها بما

حدث ، فلن يَبقى على قيد الحياه أكثر ...

ولكنه أدرك ذلك فسجنها فى المنزل بعد أن

صادر منها هاتفها ، وقطع الإتصال على

الهاتف العموميّ بالمنزل ...+

وبنبرة متوعدة ، وحادة تشدقت بـ :

-will repents (سوف يندم)٣

!!!!!!!.....

+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السادس

+

+

فى منزل عائلة عبد القدوس ،،،،،+

دلفت جويرية إلى المنزل ، بعد أن فتحت الباب بمفتاحها الخاص ، ثم أغلقته بهدوء ..+

كان عبد القدوس آن ذاك ، منطوياً على سجادة الصلاة ، يصلى فرضه ..+

دلفت جويرية إلى غرفته ، وجلست على حافة السرير تراقبه بأعين زائغة ...+

ظلت تراقبه قليلاً ، وهمت أن تنصرف بعدها ، إلا أنه كان قد أنهى صلاته و ..

عبد القدوس بنبرة دافئة :

-جويريـة ..!

إستدارت جويرية لوالدها حالما سمعته ، ثم توجهت نحوه بخطى بطيئة ثم ..

جويرية بنبرة هادئة ، تبعتها إبتسامة طفيفة ، وهى تقترب منه :

-نعم !

أمسك عبد القدوس يدها ، بعد أن أصبحت أمام ناظريه ، وحثها على الجلوس وهو يقربها منه ثم ..

-تعالى أقعدى جنبى ..

قالها هو بنبرة حانية وهو يدفعها للجلوس بجانبه

ظهرت شبه إبتسامة على محياها ، قبل أن تجلس بجانبه فى صمت ...

إبتسم لها عبد القدوس مبادلاً ، قبل أن يردف بـ :

-مالك يا جوري ..!

عقد حاجبيها بطريقة طفولية ، وهزت كتفها ، تزامناً مع تحريكها لرأسها يميناً ويساراً ثم ...

جويرية بنبرة شبه طبيعية :

-مالى ، ما أنا كويسة أهو ..!!

ضيق عينيه قليلاً ، وبنبرة ثقة أردف بـ :

-عليا برضوه ، قولى يابت مالك ...!!!

إستندت برأسها على كتفِه ، فقربها هو منه ليضمها ، قبل أن تزفر بضيق ، و ..

-إتفصلت من الشغل

عبد القدوس بنبرة مندهشة :

-ليه !

غرزت أصابعها بين خُصيلات شعرها السوداء، بعد أن خلعت حجابها وألقته جانباً ..

ثم تشدقت بنبرة منزعجة قائلة :

-واحد شايف نفسه جاي يتكبر على خلق الله ، مخلصنيش الموضوع ، فكلمته بالذوق ، بس الناس دى مينفعش معاها الذوق أبداً ، وبعدها خلى صاحب المطعم يطردني ....

ربت عبد القدوس على رأس إبنته بحنو ، ثم ...

عبد القدوس بنبرة هادئة :

-معلش يا حبيبتى ، ياما الدنيا بتورينا أشكال وألوان ، المهم إنتى متزعليش نفسك ، وكويس إنك معدتيش هتشتغلى تانى ، عشان تشوفى مذاكرتك ومصلحتك بقى ..

إبتعدت هى عنه قليلاً ، وأردفت مسرعة بنبرة جادة بـ :

-لا مينفعش يا بابا أنا عاوزة أشتغل وأساعدك و ....

قاطعها هو بنبرة جادة قائلاً :

-لا طبعاً مستحيل ، خلاص بقى تقعدى فى البيت ، هو أنا مش راجل يعنى عشان أصرف عليكى !!

حاولت جويرية أن تجادله ، فأردفت هى بنبرة محتجة :

-بس يا بابا أنا ...

قاطعها عبد القدوس بنبرة صارمة ، قبل أن تصيبه نوبة سعال حادة :

-لا يا جويرية ، ومتجادلنيش فى الموضوع لأنه منتهى خلاص ...

ناولته جويرية كأس ماء ، بعد أن سكبته له ، و ..

جويرية بنبرة قلقة :

-مالك يا بابا ؟

سعل مرة أخرى ولكن أقل من سابقتها ،
قبل أن يشرب المزيد من الماء ، و ...

عبد القدوس بنبرة منهكة :

-مفيش أنا كويس .. و .. كلامى يتنفذ
بالحرف .....+

.....+

فى الصباح ، وبعد أن فتح عينيه على إثر
صوت هاتفه النقال ..

أمسك صهيب الهاتف بيده مطالعاً إسم
المتصل قبل أن يتفوه بسباب ما ، ثم ...+

صهيب بنزق ، بعد أن ضغط على زر الإيجاب
:

-أيوة يا زفت ... عاوز إيه !

أتاه الصوت هاتفياً بنبرة جادة :

-الـ meeting إلى إنت لغيته امبارح أجلناه للنهاردة بصعوبة ، وأنا فضلت أتصل بيك امبارح مردتش خالص

زفر صهيب بضجر ، وبنبرة هادئة أردف بـ :

-الـ meeting ده الساعة كام ؟

أتاه صوت بيجاد الحذر ، عبر الهاتف مردفاً بـ :

-بعد ساعتين من دلوقتى ...

هتف به صهيب بنبرة غاضبة :

-وإنتم إزاى تقرروا ده من غير ما ترجعولى !!!!

تحشرجت الكلمات بحلق الأخير ، ثم وبنبرة متعلثمة أردف هاتفياً بـ :

-والله يا صهيب فضلت أتصل بيك كتير وإنت آآآ ...

قاطعه صهيب بنبرة صارمة :

-ولو مردّتش تختار إنت المعاد بنفسك !!

أجابه بيجاد بنبرة حذرة :

-يا صهيب كانواْ هيلغواْ العقد الى ما بينا ،
وإنت مش بتحب حد يقول على شركتك
إنها مش منظمة ، أو مش بتحترم مواعيدها ،
أنا عملت كدة عشان إسم الشركة بس ..

أخذ صهيب نفساً مطولاً وزفره على عجالة ،
وبنبرة أقل حدة أردف بـ :

-مصلحة شركتى !! ، وعليا أنا الكلام ده ...!!!!!

حاول بيجاد أن يردف بنبرة مؤكِدة بـ :

-طبعاً يا آآ ....

صهيب مقاطعاً ، بنبرة لا تحتمل إضافة
حرف آخر :

-خلاص إسكت، أنا جـاي ..+

+.....

إستيقظت جويرية على صوت سُعال أحدهم ، وحين فتحت عينيها ببطئ، أنصتت إلى الصوت جيداً، فتغيرت بسرعة تعابير وجهها إلى القلق الشديد ...

أردفت قائلة حينها بنبرة خائفة :

-بابا ..+

ثم أزاحت الغطاء عنها بسرعة، وخرجت من غرفتها، ثم أسرعت نحو غرفته ، فوجدته منكباً على الأرض، يسعل بطريقة هيستيرية ، فدنت منه وجلست أمامه ، ثم أمست كلتا ذراعيه و ...

جويرية بنبرة قلقة :

-م مالك يا بابا ؟

نظر لها عبد القدوس ، وحاول أن يتكلم ، إلا أنه لم يستطع بسبب السعال ..

وقفت جويرية بسرعة ، وأسرعت راكضة صوب المطبخ ، ثم فتحت الصنبور لتملأ كأس الماء الذي أحضرته تواً، قبل أن تسرع عائدة إليه لتجعله يشربها ...+

إلا أنها حين عادت ، وجدته فاقداً للوعيّ ...

جفت الدماء من وريدها، وشحب لون وجهها، بعد أن جحظت عيناها وهى تسرع إليه و ...+

جلست هي إلى جانبه، وبدأت تهزه بقوة، وهي تردغ قائلة بنبرة راجية :

-بابا إصحى ، يا باباااا ... قوم بقى يلا.. يـ... يا بـابـاااا ....+

حين يأست أن يستفيق هو بتلك الطريقة ، تذكرت كأس الماء الذى بيدها ، فنثرت منه بعض قطرات الماء على وجهه ، ولكن بلا فائدة، فأعادة الكَرة، ونثرتها مجدداً ، فلم يتغير شئ ..+

-بابا اوعى تسيبنى لوحدى ، والله ما أقدر على بعدك ، أنا ، .. أنا ..يلا يا بابا قوم بقى الله يخليك

بعد محاولات عديدة مخيبة للآمال ..

أسندت رأسه بحذر على مؤخرة السرير ، ثم ركضت خارح الغرفة على عجالة ، ودلفت إلى غرفتها ، ومن ثم ظلت تجوب الغرفة بناظريها باحثة عن شيءٍ ما، وفجأة إقتربت بسرعة من فراشها ، وإلتقطت الهاتف الذى عليه، وبدأت تعبث بأزراره ، وهى متجهمة الوجه ..+

إلى أن وضعته على أُذنها ، قبل أن تهتف بنبرة حادة بـ :

-يلا بقى خلصونى ..

هدأت قليلاً وهى تستمع إلى تلك الرسالة التى ما قبل الإغاثة ، التى تحتوى على أن المكالمة سوف تُسجل فى حال البلاغات الكاذبة ..

ركلت هى السرير أمامها بغضب ، وزفرت بضيق ثم ..

إنتظرت قليلاً إلى أن أتاها الرد ، فهتفت هى بنبرة إستجداء بـ :

-أيوة، أنا بابا تعبان جداً وأغمى عليه وأنا مش عارفة أتصرف، طيب تمام، تعالو بسرعة، العنوان إلى هديهولك ده ...+

صمتت قليلاً لتستمع إلى الرد ثم ..

جويرية بنبرة متصلبة :

-هو ده وقته تقولى إنتى عندك كام سنة ، بقولك حالة طارءة ، بابا أغمى عليه ومش عارفة أفوقوأ ..

أخذت هى نفساً مطولاً ، وزفرته على مهل ، لكي لا تفقد أعصابها، وتهدر فرصتها الوحيدك فى إحضار من ينجد والدها ..

هدأت جويرية قليلاً ، وبنبرة شبه حادة أردفت بـ :

-إستنى هماليك العنوان ...+

ظلت هى تومئ رأسها بإيماءاتٍ خفيفة وهى تعطيه العنوان ، إلى أن أنهت حديثها معه ...

فأسرعت هى نحو إحدى إسدالات الصلاة الخاصة بوالدتها ، وإرتده على عجالة قبل أن ترجع إلى غرفة والدها ...+

وكالعادة تأخرت سيارة الإسعاف ...

ولم يكن الأمر بالجديد ، فهي تعلم جيداً .. مدى أهمية البشر فى دولتلها ...!!!+

وكم لبلدها فضل عليها ..!!+

تنفست مرة أخرى لتخرج نفساً ثقيلاً من صدرها، نظرت إلى والدها الممدد أرضاً، وأصابها الشعور باليأس ..+

وحتى أنها الآن لا تستطيع ذرف دمعة واحدة .. فعلى ما يبدواْ، أنها فقدت تلك القدرة حتى ..

فقدت القدرة على البكاء ، وهذا يؤلمها كثيراً ..

فكيف لها أن لا تبكى على من إعتبرته
الشمس بعد إختفاء الضوء من حياتها ..

تتسلل العبرات إلى مقلتيها ، لكنها تجف
قبل إنحدارها من عُلوِ عينيها ..+

نظرت إلى الساعة مرة أخرى ، مضت ساعة
منذ أن طلبتهم ، ولكن لا أثر لهم .. تلاها نظرة
إلى الباب لربما قد ..+

لا فائدة ..

لم يأتو بعد ..+

ولنفسها بنبرة تحمل الغضب ، والقلق ، بل
و تحمل الكثير من المشاعر المضطربة ،
أردفت بـ :

-هما ما إجوش ليه دول لحد الوقت ...!! يا
اللّٰه ..+

وضعت هى يدها على مقدمة جبهتها ،
لتمسح بعض حباتٍ من العرق الذى تصبب
من حدة ما تشعر به الآن ...

أحضرت هى كوب ماء مرة أخرى ، و سكبت
البعض منه على يديها ثم نثرته على وجه
والده علّه يفيق ..+

ولكن لم يتغير شئ ...+

وبالرغم من كل ما تعانيه الآن ... لم تنفك
عينيها عن إيلامها بجمودها، وصلابتها،
وأضافت إليها وجعاً آخر ..

ولكن من نوع خاص ...+

وقفت بعدها بسرعة ، وسارعت بوضع كوب
الماء على الطاولة بجانبها ، قبل أن تعدِّل
من وضعية حجابها ، لتحجب تلك
الخُصيلات المتناثرة خارجه ..+

ثم نظرت لوالدها مرة أخرى ، وهى تردف بنبرة قلقة بـ :

-أنا لازم أشوف حد يساعدنى ، مينفعش أسيبه أكتر من كدة ...

كادت هى أن تخرج من الغرفة .. ولكن أوقفها صوت صافرة سيارة الإسعاف المجلجل ..+

فتنهدت هى بالقليل من الأمل وهى تتجه نحو النافذة لترمق السيارة بعينها ...+

+.....

فى مقر شركة صهيب للسيارات ،،،،+

بداخل غرفة الإجتماعات ،،،،+

كانت الغرفة مظلمة تماماً ما عدا تلك الشاشة الكبيرة ، المضيءة فى منتصف الغرفة ...+

ظل صهيب محدقاً برفيقه بيجاد، وهو يقف أمام شاشة العرض كبيرة، التى يوجد عليها بعض النمازج لهياكل السيارات ، وبعض أجزائها ..+

تابع بيجاد بنبرة أكثر إتزاناً ، بعد أن رمقه صهيب بنظراته المتصلبة نحوه ، وهو يشير بإصبعه نحو إحدى صور الهياكل المجسمة أمامهم :

-وطبعاً إنتو عارفين إن الـ engine (المحرك) دة هيحرق بطاقة أقل ، و alacrity (سرعة) أكبر ، وبالتالى الـ petrol (البنزين) الى هتستخدخوْ هيكون أقل ، وكمان التقوس فى المنطقة إلى ما قبل الـ wheel (الدولاب /

العجلة) دا بيساعد على تجنب معظم الحوادث ، وعبور المنعطفات بسهولة جداً +..

أخذ نفساً مطولاً قبل أن ينظر لأعين الحاضرين جميعاً ، ليتابعهم بصمت ، فوجد على وجههم علامات الرضى بما قاله ..

وحين نظر إلى صهيب، ندم على ما فعل، وعلى نظره إليه ، فقد كان متجهم الوجه، وكأنه فى عالمٍ آخر ..+

لم يأبه هو به ، فهو على الأرجح لن ينفك يطالعه بتلك النظرات مهما فعل ..+

أضاف بيجاد بنبرة أعلى قليلاً :

-دة exemplar (نموذج) مفصل عن الـ cars (السيارات) إلى إحنا بنصدرها ، وبنصنّعها حالياً ....+

صمت قليلاً ليراقب الحاضرين بأعين ثاقبة ، ثم أردف بعدها بتساؤل بـ :

-حد عنده سؤال ؟+

ظل الصمت سيد الموقف حينها ، بينما ظل بيجاد يتفرس وجوه الحاضرين ليرى هل يوجد بينهم من معترض ، أو من يريد أن يسأل ؟

وحين تأكد أنه لا يوجد من لديه سؤال ، مد يديه إلى المقبس القريب منه، وأشعل الأضواء لينير الضوء إلى جميع أركان تلك الغرفة الواسعة ..

وإقترب منهم بخطىً ثابتة قبل أن يسحب إحدى المقاعد الموجودة على منضدة الإجتماع ، ويجلس عليه ..+

أردف أحد الحاضرين بنبرة هادئة :

-عجبنى النظام الى بتشتغلواْ بيه جداً ، وأنا يشرفنى نشتغل معاكم ..

إبتسم له بيجاد مجاملاً ، قبل أن يردف بنبرة طبيعية :

-وإحنا يشرفنا إن يكون فيه تعامل بينا ، وبتمنى التعامل بينا يتطور فى المستقبل ..

أومأ الرجل رأسه قبل أن ينظر للأوراق أمامه ، متفحصاً إياها بدقة عالية ، ثم طالع صهيب ، وبيجاد بعدها بنظرات ثابتة وهو يوقع على العقد ، قبل أن يردف قائلاً بصوت هاديء :

-إتفقنا ..+

.....+

أمام إحدى المشافي الحكومية ...+

ترجلت جويرية من سيارة الإسعاف ، وتبعها
أربعة رجال يحملون والدها على سرير
الإسعافات ..

ظلت جويرية تنظر إلى والدها المحمول
أمامها بحزن شديد ، ما يؤسفها أكثر ..+

أنه فقط ولا سواه .. حياتها ..

ولا تستطيع حتى البكاء على من هو الحياة
بالنسبة لها ..+

ضمت ذراعيها إلى صدرها بقوة ، علها تستمد
منهما الدفئ الذى لم تشعر به منذ الأزل ..+

ظلت تسير خلفهم ، تارة تنظر لوالدها
المسجي أمامها ، وتارة تغمض عينيها،
لتغفل .. لتغفل ولو .. ولو لثانية واحدة ..
بعيداً عن دنيا أرهقتها ألماً وظلماً .. بعيداً+

لا بل بعيداً جداً ..+

ولكن منذ متى تصبح الآمال حقيقةً ..!!!!+

حال دلوفهم إلى المشفى ..

نظر أحد الأطباء إلى جسد عبد القدوس الملقى على سرير الإسعافات، وتشنجت قسمات وجهه لتصبح أكثر ضيقاً من ذى قبل ...+

وحين أتو به إليه .. وأوقفو السرير صوب إحدى الغرف الواقف هو أمامها ..

إمتعض وجهه ونظر لعبد القدوس بنزق .. قبل أن يزفر بشدة مقطباً جبينه ، ومكتفاً يداه ..

ثم وبنبرة تخلوأ من الحِسِ والتعاطف ، أردف بـ :

-يووووه بقى إحنا مش هنخلص من أم القرف دة بقى !!+

نظرت جويرية له بشراسة ، وإتسعت عيناها غضباً لترمقه بنظراتها النارية ..

ثم تشدقت بصوتها المنفعل قائلة :

-على فكرة إنت هنا بتقوم بواجبك بس ، وبيدفعلك على إللى بتعملوأ دة مش صدقة جارية ...!!!

نظر لها الطبيب وقد سيطر عليه الغضب، وإستمر فى قطب حاجبيه إلى أن إقتربا من التلاقي .. قبل أن يرفع إحدى أصابع يده اليمنى ويلوح به فى الهواء محذراً ...

ليقول بعدها بنبرة تحمل التهديد :

-إنتى تحترمى نفسك وإنتى بتتكلمى معايا ، أنا مبشتغلش عند حد سمعاني ..!!+

كادت أن ترد هى ، فلا يزال فى جُعبتها الكثير .. ولكن والدها ..!!

كل هذا التأخير ليس من مصلحته على الإطلاق ..+

وقف بينهما رجلٌ مِن مَن يمسكون بالسرير .. ثم نظر إلى الطبيب يلومه على ما يفعل ..+

وبنبرة هادئة أردف بـ :

-د. أيهم مينفعش كدة أبداً ، حضرتك عمال تتشاكل وحالة الراجل خطيرة جداً ، وهى معذورة برضوه ، دة والدها وهى خايفة عليه ...+

زفر أيهم بضجرٍ ، ثم أعاد النظر إلى عبد القدوس مرة أخرى ، قبل أن يصيح فى الرجلين مردفاً على فوره :

-دخلـووووه ...+

نظرت له جويرية شزراً ، قبل أن يتبعهم هو داخل الغرفة ...+

تنهدت جويرية بأسى ، وظلت تنظر إلى الغرفة ، بعد أن خرج منها الرجلان وتبعهم الثالث ، ثم أغلقواْ عليه الباب بحذر ...+

ظلت تسير يميناً ويساراً أمام الغرفة ، وإكتسى الحزن والألم تعابير وجهها ...+

وبعد ما يَقرب من الربع ساعة ، التى مضت عليها كدهر كامل .. خرج الطبيب من عنده، فأسرعت جويرية نحوه ..+

نظر لها الطبيب ببرود شديد ، قبل أن يحول بنظره عنها إلى بعض الأوراق الممسك هو بها ...

-بابا كويس ؟

بنبرة هادئة أردفت بها ، بعد أن يأست هى أن يخبرها شئ بدون أن تسأل هي ..

أطال الطبيب أيهم النظر إلى الورقة أمامه ،
قبل أن يجيبها فى النهاية بنبرة جامدة :

-واحد فى غيبوبـة عاوزاه يكون كويس إزاي !!

-غيبوبــة !!!

بصدمة أرفت بها ، بعد أن فغرت فاها إثر
تلك الكلمة القاسية ..

الطبيب بنبرة طبيعية :

-أيوة غيبوبة سكر .. بس حالته متأخرة جداً ،
وأنا من رأيي الخاص تخديه على مستشفى
خاص، لأنه طول ما هو هنا مش هيتعالج ..+

ثم أضاف بنبرة ساخرة بعد صمته :

-دة حكومي ، يعنى خير بلدنا بقى !!!+

وإكتفى هو بتلك الكلمات قبل أن يتركها
ويرحل ..+

إستجمعت نفساً عميقاً من بقايا
الأكسوجين المتبقية حولها بعد أن شعرت
بالإختناق فجأةً ...

وهتفت لنفسها وهى تقبض على مقبض
باب الغرفة ، بنبرة حاسمة :

-لازم ألاقى شغل بسرعة ، عشان أنقله من
المستفى القذرة دى ....

ثم دلفت إلى الحجرة ، وأغلقت الباب عليها
+.....

+.....

فى منزل رحيل قُصيّ بالقرب من النيل ،،،،+

نظر رحيل إلى الطعام أمامه بعدم إكتراث ،
وتلاها نظرة فى أرجاء الغرفة ..

زفر بضيق شديد حين شعر بالوحدة مرة أخرى ، فحتى وجود صهيب بالمنزل ، لا يشكل فارقاً عظيماً ، فنادراً ما يلتقون ... حين قرب الملعقة من فمه وبدأ بتناول اللُقيمة الصغيرة التى وضعها فى فمه فوراً .. لوى فمه فى إستهجان بيّن قبل أن يترك الملعقة و ...+

ثم وبصوته الجهوري أردف :+

-سنـاء ..!!!+

أجابته وهى تركض على عجالة للذهاب إليه :

-نعم يا بيه ..!!

وحين وقفت أمامه نظر لها بضيق قبل أن يردف بنبرة غاضبة :

-مين إلى طبـخ !!!

إرتعدت أواصلها جراء صوته العالى، وبنبرة متحشرجة أجابته قائلة :

-دى .. دى ....

-دى إبتهاج مش صح !!

أومأت سناء برأسها معلنة موافقتها على ما يقول، وإلتزمت الصمت ..

فنظر لها شزراً ، قبل أن يردف قائلاً بنبرة عالية :

-أنا كام مرة قولتلك مخليهاش تطبخ لو عاوزاها تفضل تشتغل هنا ..!!!

لم ترفع رأسها ، بل ظلت مطأطأة إياه أمامه ، ثم رفعت يدها ، وأشارت للخلف بإصبعها ..

لتقول بعدها بنبرة تحمل التبرير :

-والله يا بيه أنا مكنتش موجودة ساعتها ، وقولت لحضرتك إنى خارجة عشان أجيب إبنى من المدرسة وأروحوا البيت، وهى صعب عليها تفضل من غير أكل فعملته ..

زفر ببشمٍ معلناً عن حنقه ، ثم بنبرة محذرة أردف بـ :

-آخر مرة هقولك فيها ، متخليهاش تطبخ تانى ..

ظلت سناء تومئ عدة مرات برأسها، ثم ..+

نظر رحيل إلى الطاولة بتقزز بيّن ، وأشار بيده نحو الطعام الموضوع عليها ، قبل أن يضيف بنبرة آمرة :

-شيلى القرف دة من هنا ....+

+!!!!!!!!.....

+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السابع

في المقر الرئيسي لشركات صهيب قصي للسيارات ....

داخل مكتب صهيب الخاص ...+

رنا بيجاد صهيب طويلاً، وهو يعبث ببعض الأوراق التي أمامه غير آبهاً به، قبل أن يدنو منه قليلاً بخطىً هادئة ثم ..

بيجاد بنرة هادئة :

-عجبتك النهاردة صح ؟

لم يرفع صهيب نظره عنه، بل ظل كما لم يسمع شيئاً، وإستمرت يداه بالتحرك بين

رزم الأوراق و المستندات أمامه، تارة يوقعها، وتارة يتفحصها ..+

زفر بيجاد بضيق جراء تلك المعاملة الجافة التي يتلقفها منه، ثم وبخطوات محسوبة بدأ يقترب منه إلى أن سحب ذلك الكرسي المجابه لمقعده أمام المكتب وجلس عليه بهدوء ثم ...+

تنحنح بيجاد بخفوت ليعلن عن وجوده للمرة الألف في ذاك اليوم، ثم وبلا مقدمات أردف بنبرة شبه متّزنة بـ :

-إحم ... صهيب إنت هتفضل كدة كتير !!

صمت قليلاً وهو يتابع حركات يده المتكررة على تلك الأوراق، وَدَّ لو يقتلعها الآن من يده ويمزقها إرباً، لكي ينتبه له ولو قليلاً ..

أضاف قائلاً بنبرة أكثر إتّزاناً :

-صهيب أنا بكلمك على فكرة، ثم إني ملمستهاش ولا كلمتها كلمة من بعد لما إنت كلمتني، وإنت حتى النهاردة مقولتليش رأيك في إللي عملته عشان الصفقة تنجح، و... آآ ..آآآ

-لخص عاوز توصل لإيه ؟

قاطعه صهيب بتلك النبرة الجافة، بعد أن رفع عينيه من على الأوراق، ليرمقه ببشم ..

بيجاد بنبرة متعلثمة :

-آآ مش عاوز أوصل لحاجة أنا أقصد بس إن، أنا كنت عاوز نرجع زي الأول ...

ظل صهيب يرمقه لدقيقة بنظراته الجامدة، الجليدية، ثم عاود النظر إلى الأوراق، بعد أن أردف قائلاً بنبرة هادئة :

-لسا مش دلوقت، لما أتأكد منك ...

زفر الآخر بضيق وهو يتابع ردوده المستفزة، ثم ألقى نظرة على الأوراق أمامه و ...

بيجاد بنبرة شبه طبيعية، وهو يتظر للأوارق أمام صهيب :

-دي أوراق إيه ؟

-الشركة السعودية

-أهـا ..

صمت لبرهة قبل أن يتابع بنبرة أكثر حذراً بـ :

-إيه رأيك في إللي عملته النهاردة فى الـ meeting ؟

أومأ صهيب رأسه، ولم ينظر له ..

نظر له بيجاد بإحتقان قبل أن يردف لنفسه بنبرة متوعدة :

-ماشي يا صهيب، إما وريتك مبقاش أنا بيجاد ..

-هدّي نفسك شوية مش كدة ...

نطق بها صهيب ساخراً، وهو يرى آثار الإمتعاض جلية على وجهه ...

نظر له بيجاد بضيق، وهو ينتصب واقفاً ويعلن بصوت عالٍ بـ :

-أنا ماشي ..

-إقفل الباب وراك ...

ركل بيجاد الأرض بكل قوته غضباً قبل أن يفتح الباب، ويغادر صافقاً الباب خلفه بقوة +..

نظر صهيب للباب، ثم أعاد النظر للأوراق وهو يقول بنبرة ساخرة :

-غبي ..+

.....+

كانت تسير بخطىً هادئة، تنظر بوجوم شديد إلى كل ما حولها، إلى المتجر الذى تمر بجواره، إلى الأطفال الذين يلعبون بالكرة في الشَارَع، إلى الحصى التى ركلتها بقدمها تواً، إلى تلك المرأة المتسولة التى تطلب منها المال، إلى كل شيء..+

كل شيء....+

هل سبق لها حقاً أن شعرت بأن الحياة قد ذبلت، لا بل لم تذبل بل ماتت تماماً ..!!

لقد شعرت بأسوأ ما قد يشعر به بشريّ بعد فقدانها من كانت بمثابة الحياة بالنسبة لها

..+

لكن الأسوأ، أن الحياة حتى بعد أن ماتت

بعينها ترفض تركها ..+

بل ترفض تماماً ..+

والأكثر سوءاً، أن من تعيش هي حياتها

الباقية لأجله، راقد على إحدى الأَسِرة غائب

عنها، وعن الحياة جميعها ....+

لما هي على قيد الحياة حتى الآن ؟،

لتتعذب ربما ..!!+

بل لما هي تمشي بين الأحياء الآن بعد أن

خبت الحياة بها ...!!+

ركلت حصى أخرى كانت أمامها بالطريق

بعد أن كادت تقع حين سارت فوقها، وظلت

تمشي ببطئ على نفس المنوال، إلى أن ..+

إصطدمت بها تلك الكرة التي جاءت من

حيث لا تحتسب، فكادت أن تقع، ولكنها

تماسكت ورفعت رأسها بسرعة قبل أن تزل قدمها، ثم ظلت تنظر للكرة أمامها قليلاً، قبل أن تمد يدها .. وتمسك بها ..+

يا الله، حتي أن تلك الكرة قد ذكرتها بصباها، وكم كانت من أيام رائعة !!+

كانت تركض خلف أطفال الحي وهي تركل الكرة، لقد كانت هي وأصدقائها الفتيات يتبارون .. يتبارون مع فريق الصِبيان، كل يوم حين تقرر تلك النجمة فى الأعالي أن تضيء بذلك الوهج الأصفر، وتذكرت أيضاً تلك الأهداف التي كانت تحرزها واحداً تلو الآخر، هل من الممكن أن حياتها قد فنيت بعد ذلك !؟+

كم كبرت الآن وصار عليها التحمل، كم صار عليها أن تتعايش مع كل تلك الآلام المضنية كل دقيقة في حياتها الفانية، كم ....!!!+

-طنط، طنط لو سمحتي ممكن الكورة !!+

نطق بها ذلك الطفل الصغير، مرتسماً تلك الإبتسامة العذبة على وجهه، مخرجاً إياها من غياهب أفكارها المظلمة ..

نظرت له وإبتسمت.. فنظر الطفل إلى أصدقائه في الجهة المقابلة، وأومأ لهم برأسه باسماً، وكأنه يعدهم أن الكرة ستكون بين يديهم بعد قليل ..+

تابعت هي ملامح ذلك الصغير وهو ينظر لزملائه فى الجهة الأخرى، وطرح عقلها ذلك السؤال المحير ...

هل كنت بكل بتلك البراءة يوماً ؟ ، بمجرد إبتسامة جافة أشعر بالرضى ؟ ، هل لا يعود بوسعي أن أرجع كطفلة من جديد ؟ ...+

-ممكن

مدت يدها له بتلك الكرة وهى تردف بتلك الكلمة بنبرة حانية ومن ثم أعطته إياها وقد شعرت أن ذلك الطفل ولو قليلاً .. أشعرها ببعض التحسن ..+

وحينها سارع الصغير بالركض نحو أصدقائه ممسكاً بالكرة، تاركاً على محياها إبتسامة تأبى الإكتمال ..+

رحلت حينها، وكأنها قد وجدت ما يحثها على المضي قدماً ...+

سمعت هاتفها النقال يضج بالصوت، فأخرجته من حقيبتها، ونظرت إلى شاشته ..

ثم أجابت بعد أن تنهدت بأسى ...+

-السلام عليكم ..

أتاها الصوت عبر الهاتف، مردفاً بنبرة طبيعية بـ :

-وعليكم السلام، والله يا جوري وحشتيني أوي ..

جويرية بنبرة شبه طبيعية :

-وإنتي كمان يا روز ..

روز بنبرة مرحة :

-إيه بقى لحقت أوحشك ومن الصبح بتتصلي، وإنتي عارفة إني بكون في الشغل ..

وضعت جويرية يدها على رأسها، للحدّ من نوبة الدوار التي إجتاحتها فجأة .. ولم تجبها +...

بل لم تستطع ...+

زفرت روز عبر الهاتف بضيق ثم ..

روز بنبرة جادة :

-مالك يا بت صوتك عامل كدة ليه ؟

هزت رأسها بالنفي عدة مرات، ونظرت مطولاً إلى السماء فوقها وهي تقول بنبرة مضطربة :

-مفيش، أنا كويسة، بس ممكن تعمليلى خدمة ..

أتاها صوت رفيقتها سريعاً، مردفاً بنبرة مؤكِدة بـ :

-إنتي لسا هتسألي .. قولي طبعاً ...

-فاكرة لما قولتيلي إن واحدة صاحبتك قالتلك تروحي تشتغلي معاها، وتسيبي الشغل دة ...!!

روز هاتفياً بنبرة طبيعية :

-قصدك تالا لما قالتلي أشتغل طباخة في فيلة معاها ؟

أومأت جويرية رأسها، قبل أن تردف قائلة :

-أيوة، الشغل دة بقى لو لسة موجود أنا عاوزاه ..

قالت روز حينها بنبرة غاضبة :

-لأ طبعاً مش هسيبك تشتغلي عند حد و آآآ..

قاطعتها جويرية بنبرة لا تحتمل المزيد من الجدال بـ :

-معلش يا روز هتقل عليكي ..

أتاها صوت روز بنبرة أقل غضباً مردفة :

-هو أنا بتكلم على إنك هتتقلي عليا، بطلي غباء، أنا بس كل الحكاية مش عاوزاكي تشـ...

جويرية مقاطعة بنبرة أكثر إضطراباً :

-معلش يا روز محتاجة الشغل دة جامد، وبعدين أنا مش هشتغل خدامة، أنا بس كل الحكاية هطبخلهم ...+

+.....

توقفت سيارة بيجاد أمام ذلك الملهى الليلي، ولم تمضِ ثوانٍ قبل أن يترجل هو من سيارته ويغلق الباب بعدها تاركاً إياها، ومتجهاً نحو مدخل الملهى ...+

جاءه رجلٌ منتفخ الصدر، أسود البشرة، ذو بأسٍ شديد، يرتدي تلك البِزة الرسمية السوداء ...+

قال الرجل حين وقف أمامه، بصوتٍ هادئ :

-ممكن المفاتيح يافندم ...!!!+

أعطاه بيجاد المفتاح، ودلف هو إلى الداخل

+..

ظل يجوب المكان بناظريه ما إن وصل،
وعلى وجهه تلك الإبتسامة الشهوانية ..

تفرس هو أجساد تلك الراقصات الاتي
يتمايلن بأجسامهن لإثارة ذوي الأنفس
المريضة، الذين يعملون عبيداً تحت ميول
غرائزهم الحيوانية ...+

-أمممممم أما جامدة بشكل ..

قالها بيجاد وهو منغمس بالنظر إلى تلك
الفاجرة، البعيدة، ..+

أجبر بيجاد عينه أن تنصرف عن تلك
الراقصة، وظل ينظر حوله إلى أن وجد أحدهم
يلوح له من بعيد، فسار نحوه ..+

وقف الرجل الذي كان يلوح له حين وجده
أمامه، ورفع يده في الهواء وهوى بها على
كفه بعد أن بسطها بيجاد ..+

بيجاد بنبرة طبيعية :

-عاش من شافك يا عُقاب، كنت واثق إني هلاقيك هنا ..

ضحك عُقاب بصوتٍ عالٍ، وأردف قائلاً بنبرة خبيثة :

-تلاميذك يا معلم ..

أصدر بيجاد ضحكة خفيفة وقد ركز عينيه على إحدى الراقصات المثيرات، فظر عُقاب حيث ينظر هو، وإبتسم الأخير إبتسامة تنم عن خبث دفين، ثم ..

عُقاب بنبرة هادئة :

-لأ بص الناحية التانية دي، البت دي جامدة أوي ..

نظر بيجاد إليها، ثم أردف بنبرة إعجاب، وهو يتفرس جسدها :

-تسدق دا أنا علمتك صح أوي

ثم تابع وهو يقترب منها، بنبرة مغيبة :

-المهم إطلبلنا إتنين على ذوقك أعبال ما أسلم ..+

ضحك عُقاب، وهو يتجه إلى مكان إحضار المشروبات ليعلن عن طلبه ....+

+.....

في المقر الرئيسي لشركات صهيب قُصيّ للسيارات ....+

داخل مكتب صهيب الخاص ....+

-إدخل ..

أردف بها صهيب ليسمح للطارق بالدخول، ولم تفارق عيناه ذلك الحاسوب الذي يتمم عمله داخله ..+

دلفت فيروز ممسكة بإحدى يديها مستنداً أزرق اللون، وباليد الأخرى فنجاناً من القهوة الذي وضعته على مكتبه حال دنوها منه ..

أعطته ذلك المستند مصحوباً بإبتسامة مجاملة، ثم ..

فيروز بنبرة طبيعية :

-دة المستند إللي حضرتك طلبته، تؤمر بحاجة تانية يا باشا ؟

لم تكد تنهي حديثها حتى أشار لها بيده لتنصرف، ولم يزيح عينيه عن حاسوبه ..

أومأت فيروز رأسها مرتين قبل أن تنصرف ..+

ظل صهيب يتفحص ذلك المستند بعد أن أنهى عمله على الحاسوب ...

جحظت عيناه، وتبدلت ملامحه إلى الغضب الشديد، حين وصل إلى نقطة ما داخل تلك الورقة الممسك بها، وأعاد قراءتها مراراً حتى يتأكد مما تلاه حالاً .. وحين تأكد مما قرأ قام بـ....+

فتح أحد المجلدات على حاسوبه الخاص، ثم ضغط بالفأرة على مستند ما داخله، وظل يقارن بعينيه الثاقبتين ما دون في كليهما ..+

وحين تأكد من وجود خطأ ما ... بسرعة وبدون تردد ....

أمسك الهاتف بإحدى يديه الإثنتين وهاتف السكرتيرة قائلاً بنبرة نارية :

-فيروز، تعالي هنا حالاً ..

ثم أغلق الهاتف حتى قبل أن يسمع ردها عليه ...+

زفر صهيب بشدة وهو ينظر إلى تلك الورقة الممسك هو بها، وبنبرة مشتعلة أردف بـ :

-مين المسؤل عن دة، فيروز مستحيل تعملها، طب مين ..!!!

ما هي إلا ثوانٍ معدودة، وسمع صوت طرقات الباب ..

فأردف آمراً بإنزعاج بـ :

-إدخلي ...

دلفت فيروز بخطىً سريعة إلى أن وقفت أمامه، ثم ..

فيروز بنبرة هادئة، ونظرات قلقة :

-نعم يا باشا ؟

نظر لها صهيب وقد علت علامات الغضب وجهه، و ...

أخرج صهيب الكلمات من بين أسنانه، وهو ينطق بـ :

-حد مسك الـ voucher (مستند) دة غيري وغيرك ؟؟

أجابت فيروز على الفور، بنبرة قلقة :

-لأ يا باشا، حضرتك عارف إني مستحيل أعطيه لحد، وبشتغل عند حضرتك من زمان .. يعني مجربني ...

نظر لها بضيق شديد، ثم ألقى نظرة أخرى على ذلك المستند قبل أن يرفع يده إليها ويهزها بعلامة النفي ثم ....

صهيب بنبرة غاضبة :

-إسكتي، وحاولي تفتكري أي حد مسكه غيرك ..

كادت أن تنفي مرة أخرى لكنها تذكرت شيئاً ما فصمتت ..

نظر لها صهيب بتفحص، قبل أن يردف متسائلاً بنبرة أقل غضباً :

-هاا إفتكرتي ...!!!

أومأت فيروز رأسها مرتين، ثم وضعت يدها على جبهتها لكي تتذكر ماحدث معها قبل عدة أيام ثم ...

فيروز بنبرة جادة، رغم تحشرجها :

-آآآ أيوة يا باشا، من كام يوم لما حضرتك خرجت من الشغل، وقولتلي أعين الملفات دي، إجالي تلفون من بعض العملاء وإضطريت أتأخر شوية ...

صمتت فيروز قليلاً لتبتلع ريقها، وترقب ردة فعله، الهادئة على غير العادة، ثم تابعت هي بنبرة أكثر توتراً :

-ولما خلصت التليفون روحت على مكتب حضرتك ولقيت بيجاد بيه هناك، و ...

-و إيـه ..!!

قالها صهيب بنبرة حادة، ليحثها على المتابعة ..

فأضافت فيروز بنبرة متعلثمة :

-وأول ما شافني إتوتر جداً، ولما سألته بيعمل إيه هنا !!، قالي إنك قولتله على شغل يعمله، ولما خرج لقيت المستند دة مفتوح، فقفلته ورتبت الحاجة وخرجت ...+

رمقها صهيب بنظرات مشتعلة، متأججة، قبل أن يردف بنبرة حادة بـ :

-أنا كام مرة قولتلك إن الـ voucher دوناً عن أي واحد غيره مهم جداً، ومينفعش حد يشوفه أبداً، دة فيه كل ميزانية الشركة، ولولا إني محتفظ بنسخة إضافية كان فاتنا الوقت

....

إشتعلت عيناه بوهج غريب، وكأنه بدأ بربط أحد الحدثين سوياً في عقله، فرفع يديه لها مسترجعاً الأحداث وتذكز أمراً ما ..+

+.....

-لخص عاوز توصل لإيه ؟

قاطعه صهيب بتلك النبرة الجافة، بعد أن رفع عينيه من على الأوراق، ليرمقه ببشم ..

بيجاد بنبرة متعلثمة :

-آآ مش عاوز أوصل لحاجة أنا أقصد بس إن، أنا كنت عاوز نرجع زي الأول ...+

+.....

وبالعودة إلى الواقع ..+

وضع صهيب يده على رأسه ورحلت ذكراه من جديد إلى ...+

+.....

دلف صهيب مكتبه ذلك اليوم، وتفاجأ برؤية بيجاد جالساً على كرسيه الخاص، وبمجرد أن فُتح الباب حتى إنتفض بيجاد على إثره، ووقع منه ملفاً ما كان يحمله بيده ..+

نظر له صهيب مدهوشاً من وجوده بمكتبه حينها، وبنبرة متسائلة أردف بـ :

-بتعمل إيه هنا ...!!!

إرتبك بيجاد وظهر ذلك جلياً بين قسمات وجهه، وأجابه بنبرة متعلثمة قائلاً :

-آآآ .. أبداً آآ.. أنا بس كل الحكاية، آآآ ..

جاب ببصره المكان للبحث عن الكلمات المناسبة، أو إستجماع جملة مفيدة، ثم تابع بنبرة حاول وزنها قدر المستطاع :

-آه بص، كنت نسيت حاجة هنا امبارح وجيت أجيبها ..+

+.....

وحين عاد صهيب من تلك الذكريات وقف في حاله، مردفاً بنبرة متوعدة بـ :

-أيوة، أنا كنت واثق إن فيه حاجة مش مظبوطة، بيجاد أحب أقولك إنك فتحت على نفسك أبواب جهنم ...+

+.....

داخل الملهى الليلي ...+

صاح بيجاد عاليا بنبرة متفاخرة وهو يتجرع رشفة أخرى من كأس الخمر الممسك هو به :

-مستحيل يكتشف أصلاً حاجة زي كدة، وحتى لو إكتشف أنا بعيد جداً عن التهمة ..

قهقه عُقاب ساخراً، وأردف بإستنكار وهو يمد يده نحو الطاولة ليمسك بالكأس :

-إنت دماغك دي تودي في داهية، المهم إنت واثق إنك هتّخسره كدة !!

-طبعـًا، دة أنا هخلي شركته مش في الأرض وبس، لأ تحت الأرض كمان، و...

كاد أن يتابع إلا أنه سمع صوت هاتفه يرن، فأخرجه من جيب سترته، ونظر إلى إسم المتصل ..

إمتعض وجهه، وتشنجت قسماته وهو يرى ذلك الإسم، ثم ترك الهاتف على الطاولة، و ....

بيجاد بنبرة منزعجة :

-أووووف بقى ..

-مين !!!

تسائل بها عُقاب بفضول شديد ..

بيجاد وهو ينظر إلى الهاتف قبل أن يعاود النظر مرة أخرى إلى عُقاب :

-حماتي ...

بضيق زائف أردف عقاب بـ :

-ودي عاوزة إيه هي كمان ..!!!!!

-أكيد هتسألني عن بنتها، عشان أنا مانع عنها التليفون لحد ما تظبط كدة ..

أجاب الأخير وهو يرتشف من كأسه رشفة كبيرة :

-أاااه والنبي ما ينفع معاهم إلا كدة، نسوان آخر زمن ...+

+.....

أمام إحدى المشافي الحكومية .....+

داخل الغرفة التى يقبع بها عبد القدوس +.....

نظرت جويرية إلى والدها المنعزل عن العالم أجمع، وبدأت أنفاسها تختنق رويداً رويداً ....

قالت لنفسها بنبرة مختنقة، وهي تتابعه بنظراتها :

-أنا لازم أوديه مستشفى خاص، من الصبح وهو هنا ومفيش أي تغير في حالته .. وكمان حاسة إن صحته بتتراجع ....+

وقفت حينها وإتجهت نحو حقيبتها الموضوعة على طرف السرير، وأمسكتها، ثم فتحتها وبدأت تخرج منها النقود التي بها، ثم ...

جويرية بعد أن أخذت نفساً عميقاً :

-الفلوس إللي معايا دي، وكمان أنا شايلة قرشين في البيت، وغوشتين دهب أبيعهم، النهاردة، وبكرة أنقله على المستشفى الخاص ..+

رمقت حينها والدها بحزن، ثم وضعت النقود داخل الحقيبة، وأعادت وضها على السرير

قبل أن تقترب منه، وتضع يدها على وجهه ثم ..

جويرية بنبرة حانية :

-مش هتأخر عليك يا حبيبي إن شاء الله، هروح بس أجيبلك الفلوس عشان أنقلك مستشفى أحسن من المستشفى القذرة دي ..+

قبلت رأسه حينها، ثم سحبت يدها وكادت أن تذهب، لكنها إلتفتت إليه مرة أخرى وأضافت بنبرة راجية :

-لما ماما ماتت، أنت بس إللي عشت عشانه، بس يوم ما هيحصلك حاجة، إتأكد إني هروح وراك ..

صمتت، قليلاً قبل أن تضيف قائلة بنبرة مختنقة :

إنت بس إللي باقيلي يا بابا ..+

نزعت بعدها حقيبتها وأخذتها في يدها، قبل أن تخرج، وتغلق الباب خلفها بهدوء ...+

حين خرجت من المشفى، سارت في الطريق الرئيسي الذي يقود إلى منزلها ..+

ولكنها حين بدأت تعبر الشارع، ووقفت في منتصف الطريق، دنت منها سيارة قادمة من بعيد بسرعة مهولة، وحين رأتها جويرية نظرت لها بفتور ولم تبتعد ..+

تيبست قدماها.. ولم تبذل هي أدنى جهد في تحريكهما ..

وكأن غريزة البقاء قد إنطفأ وهجها داخلها .. وكأن الحياه قد فنيت لديها، لم تخف وهي ترى الموت يقترب .. لم تخف وهي ترى الحياه تودّعها ..+

ولما قد تخاف .....!!!

إذ أن ذاك ما أرادته ...+

سألت نفسها .. هل يمكن أن تكون الحياه
رحيمة بها فتجهز على بقيتها الباقية ؟+

ظلت تنظر للسيارة وهي تقترب أكثر فأكثر،
وتركت لنفسها العنان لتفكر، كيف حياتها
بعد الموت .. هل هي أفضل ؟

هل لن تمر بكل تلك الآلام وتتحملها وحدها
؟!!+

أرادت إنهاء تلك الحياه إن كانت تلك هي
الطريقة الأسهل لوأد الألم داخل سريرتها ...+

تمنت ذلك حقاً ....+

أغمضت عينيها، وبسطت ذراعيها نحو تلك السيارة القادمة صوبها .. ، بل نحو الطريق إلى

خَلاصِها.....!!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

٨

+

داخل سيارة صهيب .....

كان صهيب يقود سيارته متجهاً إلى منزله أخيراً، بعد يوم مضني من العمل ...+

بالنسبة لشخص كرس حياته للعمل فقط، فلن يشكوا إن زاد العمل يوماً، ولن يشكوا إن إرهقته مشاقُه أبد الدهر ...+

كان يسير مستقيم المسار، ولكن فجأة ..
ظهرت تلك الفتاه من حيث لا يدري ..

في البداية ظن أنها ستبتعد، ولكن ما أثار
ذهوله حقًا أنها لم تحرك ساكناً، بل على
العكس إستكانت .. غير آبهة ...

إتسعت عيناه من إثر الدهشة، وعقد حاجبيه
مقوسًا كليهما في حيرة ..

أعاد إطلاق بوق السيارة مرة أخرى بإنفعال،
ولكن بدى له أنها لن تتحرك !+

إنحرف بسيارته عن المسار حتى كاد يصطدم
هو بالجدار الجانبي، إلا أن براعته في القيادة
مكَّنته من تفادي الإصطدام، والعودة
بالسيارة إلى مسارها الفعلي ..+

ثم وقف بسيارته .. وترجل منها، وقد إعتلى
وجهه بشارات الغضب الشديد .. وذهب نحو

تلك الفتاة التي لم تتحرك من موضعها بعد

..!+

وقف أمامها، وبنبرة غاضبة أردف بـ :

-المعروف إن الناس الطبيعين هيتحركوا لما يلاقوا عربية بتقرب !+

إبتسمت له بعد أن فتحت عينيها، ولم تعي تلك الإبتسامة إلا حين بدأت تتحدث بنبرة غامضة قائلةً :

-بس إنت بتقول الطبيعين !+

ذلك الصوت الذي جعله يمعن النظر جيداً إلى محياها، حينها فقط إرتسمت على وجهه علامات الصدمة، الممزوجة بالغضب الهادر

ثم ..

صهيب بصدمة، وهو يضيق عينيه :

-إنتي !!!

رفعت وجهها لتراه جيداً، وحينما تذكرته ...
أومأت رأسها على فورها مؤكدة ...

ثم وبنبرة هادئة أردفت بـ :

-أيوة أنا ..

ثم أطالت النظر إلى سيارته .. وهي تقول لنفسها متحسرة، بعد أن إعتلت إبتسامة إستنكار ثغرها :

-حتى الموت مش طايلاه ..!!!+

ظل ينظر صهيب إلى تعابير وجهها، كم بدت غامضة، لا تبكي، لا تحزن، جامدة وكأنها لا تتألم، هاك تبدوا ..

تبتسم مع كل ما يواجهها وحين يحاول
أحدهم تحديها تشعره وبدون حتى أن تحرك
النَرد كم هو ضئيل ...+

-كمجنونة مثلاً مكانك مش هنا ..!

أردف بها صهيب بنبرة ساخرة وهو يرمقها
بإحدى نظراته المشدوهة ..

أعادت النظر له، وبكل هدوء وثبات وجمود
أردفت بـ :

-عارفة، مكاني مش هنا ..

ثم أنزلت إصبعها الصغير مشيرة به تجاه
الأرض، قبل أن تضيف بنفس النبرة التي
ذادت عليها لمحة من الحزن جاهدت
لإخفائها :

-مكاني هنا ..

ثم ضمت ذراعيها حولها وذهبت من أمامه
ببطئ كما تتهادى أوراق الشجر حين تنجرف
على سطح الماء ...+

تابع النظر لها وهي تسير مبتعدة، لن
يستطيع أن ينكر مدى الجلبة التي أثارتها
داخل عقله، أو لما هي هكذا !

أهي مجنونة ..!!!!

هز كتفه مستعجباً فقد كان يتصور أنه
سيفجر بركاناً من الغضب في الحال ..

ولكنها لا ... لا تغضب، لا تبدي أي ردة فعل
!+

حتى أنها وبكل بساطة تستطيع إشعال
لهيب الغضب داخله، و خلال ثوانٍ معدودة
تطفئها ببضع كلمات متريثة، متمهلة،
ومتهادية ..+

وحين تذهب من أمامه، يسأل نفسه ألف مرة لما لم يستطع إلجامها بإحدى كلماته الاذعة ...

هل عجز حقًا عن الرد عليها !+

وحين وصل إلى هذه النقطة، نفاها كيانه تمامًا، فليذهب عقله للجحيم .. كفى تفكيرًا+

سار حينها نحو سيارته، وعيناه لا تفارق إثرها حتى اختفت ...+

.....+

-شكراً يا روز على الخدمة دي هحاول أردهالك قريب

قالتها جويرية عبر الهاتف بنبرة ممتنة، ثم صمتت قليلاً لتستمع إلى رد المتحدث ..

تابعت هي بنبرة شاكرة بـ :

-اللّٰه يخليكي، ماشي بلغيهم إني هبدأ من بكرة إن شاء اللّٰه، الساعة كام قولتي ..!

هدأت بعدها، قبل أن تردف بـ :

-الساعة ٠١:٠٠ يعني تمام، طب بصي أنا هقفل الوقت عشان مشغولة جداً ماشي

أومأت رأسها ثلاث مرات وهي تقول مودعة بـ :

-مع السلامة

أغلقت الهاتف بعدها، ثم تنهدت بإرهاق قبل أن تكمل طريقها نحو المنزل ..

ثم قالت لنفسها بنبرة شبه طبيعية :

-لازم أروح أجيب الدهب بسرعة قبل ما الصايغ يقفل عشان ألحق أبيعه

ثم أسرعت في خطاها نحو المنزل ..+

.....+

في اليوم التالي ...+

ترجلت جويرية من سيارتة الإسعاف أمام
ذلك المشفى الخاص، الذي علمت أنه من
أفضل المشافي في المدينة ..

وصاحبها والدها محمولاً على السرير النقال،
يجره رجلان ..

وحين دخلو إلى المشفى، تجمعت بعض
الممرضات حولهم وأخذوه من الرجلان

-خذوه بسرعة على الأوضة ٢٠١

قالها إحدى الأطباء حين رآهم قادمين،
فأومأوا برءوسهم وهم يجرونه نحو الغرفة

وكانت جويرية تسير بجانبهم تنظر إلى والدها بحزن ..+

بمجرد أن إستقر عبد القدوس في غرفته، جاء ذلك الطبيب الذي أمرهم بإدخاله، ليفحصه ..

-لو سمحتي ممكن تستنينا برا عشان نكشف عليه

-حاضر+

خرجت جويرية من لدنه بعدما طلب منها

ثم أغلقت الباب خلفها وإنتظرت جالسة على إحدى المقاعد في الخارج ..+

وبعد عدة دقائق، خرج الطبيب يصحبه ثلاث ممرضات بينما ترك إحداهن بالداخل ..

أسرعت جويرية نحوه، بوجه قلق ..

وحين وقفت أمامه، طمئنها هو بـ :

-هو حاليًا حالته مستقرة، ومفيش داعي للقلق، بس لازم نعمل تحاليل شاملة عشان نتأكد إن إللي عنده مجرد غيبوبة سكر ومفيش أمراض تانية ..

إتسعت عيناها فزعة مما سمعت وأردفت بنبرة تحمل الذعر بـ :

-يـ يعني هو آآآ ..

-بإذن الله معندوش حاجة ربنا يقومهولك بالسلامة، بس التحاليل دي روتينية عشان نطمن

قاطعها الطبيب مطمئنًا إياها بتلك الكلمات بنبرة هادئة ..+

تنفست الصعداء حين طمأنها الطبيب ولو قليلًا، ثم ..

أومأت رأسها، ثم قالت :

-طيب أنا لازم أمشي الوقت ضروري، أسيب رقمي فين عشان لو فيه جديد تقدروا تبلغوني ؟

الطبيب بنبرة طبيعية :

-في الريسبشن تحت

جويرية وهي تومئ رأسها :

-تمام شكرًا+

+.....

خرجت كاثرن من الحمام وهي تلفُ شعرها بالمنشفة، ثم أخذت نفسًا مطولًا قبل أن تتجه إلى المرآة ..

نظرت لنفسها بحزن في المرآة، ثم وضعت يدها أسفل عينها وهي تنظر إلى ذاك السواد الذي تكّون بعد أيام قضتها تنتحب

أشاحت بوجهها الغاضب بعيدًا وهي تلهث، وبنبرة عالية أردفت بـ :

-سلمى !

أتاها الرد من الأسفل، سريعًا بـ :

-جاية يا هانم

جلست كاثرن على الفراش وأزاحت المنشفة من على رأسها، لينسدل ذاك الشعر الأشقر الحريري، الذي قارب لونه البني بعدما بَلل الماء خصلاته ..

ألقت كاثرن المنشفة على الأرض بضيق وهي تزفر بحنق ..+

وخلال ثوانٍ كانت سلمى قد جاءت، وحينما إقتربت منها ..

سلمى بنبرة طبيعبة :

-نعم يا هانم !

لم تنظر لها كاثرن، بل ظلت تنظل إلى آثار الخدوش التي تملؤ جسدها المتهالك، قبل أن تأمرها بنبرة هادئة بـ :

-عاوزة المرهم إللي بدهن منه دايمًا

ثم صمتت قليلًا قبل أن تتابع قائلة :

-وكوباية قهوة ..

ثم نظرت لها فجأة بعينيها الحمراوتين، من الأرق، والإعياء، وأضافت قائلة بنبرة أكثر هدوءاً :

-بس أنا عاوزاها instruct أوي

نظرت لها سلمى بعدم إستيعاب، وبنبرة محرَجة أردفت بـ :

-أنا أسفة يا هانم بس أنا مش آآآ ..

قاطعتها كاثرن وهي تستمر بالنظر إلى جروحها بنبرة غائمة بـ :

-يعني مُره يا سلمى، عاوزاها مُره أوي+

أومأت سلمى رأسها، ثم ذهبت وهي تتأسى على حالها وتشفق على سيدتها المسكينة +...

سقطت بضع عبرات من عين كاثرن، قبل أن تمد كفها الصغير لتمسحها، ثم جلست على الأرض مستندة على السرير .. ضامة قدميها إلى صدرها، ورغمًا عنها إستمرت دموعها تزداد ..+

فتلك ليست بحياه تحياها إمرأة ! ...+

+.....

خرجت جويرية من السيارة التي إستأجرتها، ثم أعطت السائق بعض النقود قبل أن تتركه وترحل ..

هتفت لنفسها بنبرة هادئة بـ :

-هو دا العنوان، بس أمشي من أنهو إتجاه بقى ؟

زفرت بشدة وهي تنظر لعدة إتجاهات ثم ..+

فتحت حقيبتها، وأخرجت منها ورقة بيضاء، مدونٌ عليها بعض الكلمات ...

وبنبرة هادئة أردفت لنفسها قائلة :

-يبقى من هنا ..

ثم سارت في الجهه ناحية الشمال وهي تنظر في تلك الورقة ..+

+.....

في منزل رحيل، القريب من ضفاف النيل

+....

نزل صهيب من على الدرج بتمهل، ثم إقترب من طاولة الطعام التي كان يجلس رحيل على أحد مقاعدها ..

وما إن وصل حتى إستدار له رحيل لكي يراه، قبل أن يفتح فمه ويتفوه بنبرة مندهشة بـ :

-صهيب ! ، إنت مروحتش الشغل بجد !

بنبرة هادئة وهو يسحب المقعد المجاور له ليجلس عليه، أردف قائلًا :

-لأ.

إبتسم رحيل، ووضع يده على كتف صهيب ثم ..

قال رحيل حينها بسعادة :

-فعلًا

رفع صهيب إحدى حاجباه، ونظر له
بإستهجان قبل أن يتشدق قائلًا :

-تحب أغيـر رأيي !

تنهد رحيل بضجر قبل أن يردف بنرة هادئة
بـ :

-لأ وعلينا من دة بإيه، خليك قاعد وأنا
هسكت ..+

+.....

ذهبت سلمى إلى المطبخ، وقد إمتعض
وجهها، وظهرت الشفقة عليه فهي كل يوم
تقريبًا ترى سيدتها على ذاك النحو ..+

أخذت سلمى إحدى الأكواب المخصصة للقهوة، ووضعتها على طاولة المطبخ، ومن ثم أحضرت القهوة، والسكر، وبدأت تحضر كوب القهوة ..+

تذكرت سلمى ما آل إليه الوضع أمس، حين جاء سيدها للمنزل

وحين سمعت صوت كاثرن وهي تصرخ مستجدية ليلاً، وبكاءها كل ليلة طالبة العون ..+

كم شعرت بالإشفاق عليها، والحزن لأجلها فهي طيبة القلب ولم تتسبب يوماً في فعل ما قد تضرهم به ..

بل على العكس، كانت دومًا تدافع عنهم حين يعنفهم سيدها، أو يعلن جبروته على أي منهم ..+

كانت شاردة الذهن وهي تقلب فنجان القهوة، إلى أن ...+

-سلمى، إنتي يابت ياسلمى !

قالتها سيدة ما وهي تهز كتف سلمى بإنفعال

إستدارت سلمى ونظرت لها، وكادت أن تتحدث، ولكنها وجدت أمامها تلك الشابة التي لم تراها من قبل

فأردفت سريعاً متسائلة بـ :

-اومال مين دي ؟

أجابتها السيدة مبتسمة، وهي تضع يدها على زراع تلك الشابة :

-دي جويرية، الطباخة الجديدة ..

هزت سلمى رأسها وهي تردف بنبرة طبيعية بـ :

-أه

إبتسمت لها جويرية مجاملة، ثم وبنبرة هادئة أردفت قائلة :

-هو النهاردة المفروض أطبخلهم إيه ؟

إبتسمت لها سلمى مبادلة، وأمسكت كوب القهوة الذي صنعته مؤخراً .....

كوبالقهوة المُره، كما أمرتها سيدتها تماماً ...

وحينما إستقر الكوب بين يديها، قالت ببساطة :

-أنا هطلع أوديلها القهوة، وهسألها عاوزين ياكلوا إيه النهاردة ؟

أومأت جويرية رأسها، ولم تعقب ...+

+.....

كانت ممسكة بالهاتف، تحرك رأسها يمينًا ويسارًا بإيماءات خفيفة ثم ...

-حاضر يا باشا، يعني حضرتك مش جاي النهاردة ؟

أتاها صوته عبر الهاتف بنبرة جادة :

-لأ، وأول ما بيجاد يوصل تقوليلي، ولو دخل مكتبي تدخلي وراه وتشوفيه بيعمل إيه !

صمت قليلاً، ثم عاد ليضيف بنبرة حادة، مشدداً على كل كلمة :

-عشان لو فيه أي خساير إنتي أو هو حس بحاجة إللي هتتولي المسؤلية ها !+

أشعرتها جملته الأخيرة بشيء من الرهبة، إلا أنها تمالكت نفسها بأُعجوبة وأردفت بنبرة شبه طبيعية :

-آآ إطمن ياباشا مش هخلي بيجاد يعرف إننا عرفنا حقيقته تحت أي ظرف+

أغلق صهيب الخط بدون أن ينطق بكلمة أخرى فنظرت هي إلى الهاتف وزفرت بضيق، وهي تقول :

-وأنا مالي أنا بكل القرف دة هو صاحبك ولا صاحبي؟، ياكشي تولعوا سوا+

-يعني هو عرف !

إستدارت فيروز ناحية الصوت ثم !!!!+

+.....

كان ذلك الطفل الصغير يركض بسرعة كبيرة في كل مكان، ولم ترهقه الدقائق تلك الكثيرة التي قطع فيها أشواطًا طويلة

كان يرتطم بكل ما يمر به، ويصطدم بكل من يمشي أمام قدميه العمياوتان، وبعد ثوانٍ وجد نفسه أمام ذلك المنزل الضخم، يدق الباب بكل ما أوتي من قوة ..

ولم ينتبه ذلك الطفل إلى تلك الدموع التي جفت على وجنتيه الصغيرتين ..+

فتح رحيل الباب، ثم نظر إلى صهيب الصغير وهو يبكي، فجحظت عيناه، قبل أن يسأل برعب بـ :

-صـ صهيب إيه إلى حصل، مالك !

بدأ صهيب يبكي بشدة، وحاول أن يتكلم لكن كل ما إستطاع النطق به هو :

-بـ بأ بابى، و ومامى هي إلل إللي بـ بابى ..

نزل رحيل إلى مستواه، ثم ضمه إليه و ..

رحيل بنبرة حانية، ونظرات مذعورة :

-إهدى يا صهيب بس، أنا أول مرة أشوفك كدة يا حبيبي

تشبث به الطفل بكل قوته، وهو يرتجف، فحمله رحيل وأدخله منزله، ثم إتجه به نحو إحدى الغرف ..

وحين جاء ليضعه بالفراش، لم يزح صهيب يداه من حول عنقه بل تشبث بها أكثر ..+

حينها حقًا شعر رحيل أن هناك شيئًا مريعًا قد حدث، ودنى الذعر من قلبه ..

فذلك الصغير قلما يخاف، بل هو معتاد على شجاعته الدائمة ..+

حاول رحيل إبعاد يده عن عنقه ليستطيع النظر في وجهه، ولكن لم يستطع فقد كان يتشبث به أكثر كلما حاول إبعاده عنه

تنهد رحيل بقلق وهو يربت بحنان على شعره، ثم ..

رحيل بنبرة حذرة :

-مش عاوز تقولي إيه إللي حصل !

ظل الطفل متمسكًا به أكثر وبدأ يبكي بشدة وهو يحاول أن يقول :

- عموا مـ معتز ومأ مامى قتلوه، مامـمى قتلـوه، و وء آآآ مـ مـات ..

+.....

إستفاق صهيب من تلك الذكرى الأليمة، حين سمع صوت عمه بالأسفل وهو ينادي عليه بـ :

-صهيب معلش تعالى، عاوزك ثواني

تخللت يده خصيلات شعره ساحبة إياها من جذورها تكادت تُقتلعها ..

ثم وبنبرة حادة أردف قائلًا :

-جاي+

خرج صهيب من غرفته متجهًا إليه، وعلى وجهه عبوس قاتم ..

دخل صهيب غرفة، رحيل الذي كان جالسًا على الفراش، وأمامه لعبة الشطرنج ..

-ها عاوز إيه ؟

أردف بها صهيب وهو ينظر له بضيق ..

فإبتسم له رحيل قائلًا بمرح :

-فاكر لما علمتك اللعبة دي، وبقيت تغلبني !

-أها

-يلا بقى تعالى نلعب شوية، ملعبناش من زمان ..+

زفر صهيب وهو ينظر إلى ما وراء النافذة المفتوحة في غرفته، يحاول إيجاد ما يصبوا إليه خلالها، لربما وجد الحرية في إحدى زواياها أو من خلال سماءها ..

أعاد النظر إلى عمه، قبل أن يردف بنبرة هادئة :

-مليش مزاج الوقت يا رحيل

وقف رحيل، ثم سار متجهًا إليه قبل أن يضع يده على كتفه و...

رحيل بنبرة حانية :

-مالك يا صهيب، كنت الصبح أحسن من كدة !

أشاح بوجهه بعيدًا عنه، وكاد أن يذهب إلا أن رحيل أمسكه من ذراعه وهتف به قائلًا :

-خلاص مش مهم تقول مالك تاني، وعارف إنك مبتحبش حد يسألك، بس متعملش في نفسك كدة، أنا مش بتحمل أشوفك بالوضع ده !

نظر له صهيب بغضب قبل أن يردف بنبرة جامدة بـ :

-أنا كويس يا رحيل

تنهد رحيل بضيق، ثم أردف بهدوء بـ :

-يبقى تعالى إلعب معايا

أجابه صهيب ببرود قائلًا :

-قولتلك مليش مزاج

سحبه صهيب بقوة أكبر نحو فراشه، ثم ألقاه عليه بخفة، فنظر له صهيب غاضبًا، وكاد أن يتحدث لكن سبقه هو بـ...

رحيل بنبرة طبيعبة :

-صح أنا عجزت، بس لسة عندي قوة برضوه ..

أشاح صهيب بوجهه عنه، قبل أن يرف قائلًا بسخرية :

-دا على أساس إن أنا قاومت !

-مش مهم المهم إنك هتلعب معايا

نظر له صهيب مطولًا ..

سأل نفسه مراراً لما يتحمله ذلك الرجل، لما لا يتركه كما الآخرين، فطريقته في التعامل معه لا تختلف كثيراً عن البقيه، حتى أنه لم يناده بلقب يوماً، ولم يكن لديه أدنى مشكلة في ذلك ...

أعاد السؤال على نفسه من جديد

ما الذي يدعوه للتمسك به ؟!

ربما يشفق عليه !

هل هو محط للإشفاق إلى ذاك الحد !

لن يستطيع أن ينكر أن هناك شيء ما في قلبه يجعله مميزاً لديه، لا يدري ما هو ..

ليس مهماً ما هو، المهم أنه موجود دوماً ..+

زفر صهيب بضيق، قبل أن ينظر له تارة، وللشطرنج أخرى ويقول :

-أنا الإسود ..+

.....+

كانت جويرية تضع اللمسات الأخيرة على ما صنعت من طعام ..

كان جميع الخدم ينظرون لها بين الحين والآخر، مشدوهين من صمتها وقتامة عينيها، حتى أنهم حين يحادثوها تجيبهم ببضع كلمات مقتضبة ...

مالت سلمى على أذن رفيقتها، وأردفت بنبرة متسائلة بـ :

-بت يا سهام، أومال يا ختي البت دي مالها، زي ما تكون واكلة سد الحنك كدة ليه !

أجابتها الأخيرة وهي تمط شفتاها بإستهجان :

-علمي علمك يا ختي !+

لم تأبه جويرية لكل ما يقال، فهذا آخر همها الآن، ولما تأبه أصلًا، هل سيفيدوها في شيء !+

أنهت هي جميع ما وكِل إليها ..

ثم إلتفتت إلى المدبرتين الواقفتين خلفها، وأردفت بنبرة هادئة :

-أنا خلصت ..

أجابتها سهام بنبرة طبيعية :

-طب بصي، كاثرن هانم كانت عاوزة تشوفك بحكم إنك جديدة هنا، فاروحي مع سلمى وهي هتوصلك عندها عشان تعرفك ..

أومأت جويرية رأسها بإتزان، ولم تعقب ...+

إبتسمت لها سلمى مجاملة وهي تقترب منها مردفة بـ :

-تعالي

لم تتغير لمحة الحزن البادية على قسمات وجهها، بالرغم من أنها إبتسمت مبادلة لها ..

ذهبت جويرية مع سلمى إلى غرفة كاثرن، وحين وقفو قبالة الغرفة ..

أردفت سلمى بإيجاز وهي تتركها وحدها أمام الباب وترحل :

-دي أوضتها، همشي أنا عشان مشغولة جداً

نظرت لها جويرية إلى أن رحلت، ثم طرقت الباب ثلاث مرات بإتزان ..

-إدخل !

قالتها كاثرن لتسمح لها بالدخول، فأمسكت بمقبض الباب ودخلت ..

كانت كاثرن حينها جالسة على الفراش، ممسكة بكوب ماء تشرب منه البعض ..

نظرت لها جويرية، نظرات تخلوا من الحياه، فبادلتها كاثرن نفس النظرة...

نظرة ألم، نظرة إنكسار، نظرة من فقدت حياتها بين زقاق سنوات عمرها ..

أردفت جويرية بعدها بهدوء قائلة :

-أنا الطباخة الجديدة

رمقتها كاثرن بنظرات مطولة، ثم قالت بعدها محذرة بـ :

-تمام، بس حاولي تفضلي في المطبخ طول ما جوزي هنا ..

لم تتبدل نظراتها، ولم تحتد أبدًا نبرة صوتها، بل على العكس، أجابتها بتأني بـ :

-أنا أصلًا هطبخ الغدا بس، وعلى حد علمي هو مابيجيش حاليًا ..

هزت رأسها مرتين، قبل أن تردف بثقة بـ :

-مالوش ميعاد محدد، عمتًا دة عشان مصلحتك إنتي ..

لم تشعر بالفضول أبداً، لمعرفة كيف يكون الأمر في صالحها ؟

وببساطة أعطتها الرد بـ :

-تمام، الأكل أنا جهزتوا خلاص

-وإنتي تقدري تروحي الوقت، وأنا مش جعانة أصلًا، ولو جوعت سلمى هتحضرلي ..

أومأت رأسها وأجابتها مؤيدة إياها بـ :

-تمام+

+.....

-كش ملك

قالها صهيب بنبرة طبيعية، حين سد الطريق
على الملك الخاص برحيل ..

نظر له رحيل بضيق، وأردف بإقتضاب بـ :

-أووووف بقى، يعني أنا إللي أعلمك
بتتلعب إزاي، وإنت تكسبني كل مرة

هز كتفه غير آبه له، قبل أن يستقيم واقفًا و
...

صهيب بنبرة هادئة :

-أنا همشي أنا بقى عشان عندي شغل،
وعاوز أعرف فيروز عملت إيه مع الزفت دة !

وقف رحيل هو الآخر، ومن ثم قال بنبرة جادة

:

-إنت فكرت هتعمل معاه إيه !

نظر له بثقة، وظهر ذلك الوهج في عينيه وهو

يردف بـ :

-إتفرج إنت بس وشوف، بس مش فاهم

فيروز متصلتش ليه لحد الوقت ؟

بنبرة قلقة أردف رحيل بـ :

-ليكون الحيوان دة عمل فيها حاجة ...!+

+.....

قبل بضع ساعات من الآن ...+

أغلقت فيروز سماعة الهاتف و ..+

-يعني هو عرف ؟!!!+

إستدارت فيروز وقد إنتفض قلبها على إثر صوته، ثم وبنبرة متحشرجة أردفت بـ :

-عـ عرف آآ عرف إيه ؟

نظر لها بيجاد بشراسة، ولكن فاجأها برده الهاديء خلاف عينيه الجامدتين بـ :

-ها لأ مفيش حاجة، كنت بكلم الـ factor (العامل) إللي كان هنا ناو، صهيب جوا ؟

ردت بتوجس، وهي تهز رأسها نافية :

- لأ مش ... مش جوا، هو مش جاي النهاردة أصلاً ... بس ... بس إنت جاي من إمت ؟

أجابها ببساطة وهو يحوك يده بهدوء :

-لسا الوقت

تنفست هي الصعداء حين علمت أنه لم يدرى شيئًا، ثم وبنبرة هادئة رغم تعلثمها قالت :

-أها

قالها هو ببرود وهو يتجه نحو مكتبه، ثم إستدار ليحدجها بإحدى نظراته المتفحصة، الجريئة، حتى رأى علامات الذعر بادية على محياها ..

فإبتسم بمكر، وقال بنبرة خبيثة :

-أومال إيه الجمال دة !

إكفهر وجهها، وشعرت بالدم يغلي في عروقها، حتى صارت هي والدم شريكان في نفس اللون

وبنبرة غاضبة أردفت قائلة :

-لو سمحت إلزم حدودك، أنا هنا مجرد سكرتيرة مش زيهم ..

ننظر لها بخبث، وأطال النظر هذه المرة قبل أن يردف بـ :

-أاااه ، وماله ..

ثم سار نحو مكتبه وهو يضيف قائلًا بخفوت :

-دة لسة حتى اليوم طويل، وهعلمك إزاي تحاولي تخدعيني كويس !+

صمت هو قيلًا قبل أن ينظر لها للمرة الأخيرة، وهو يدلف إلى مكتبه، ثم أكمل قائلًا بنبرة تشبه الفحيح :

-أنا هكسرلك غرورك دة، واعلمك مين هو بيجاد على أصول ..

+.....

بالفعل أشعرتها نظراته بالخوف، ولكن لديها هدفٌ اليوم، وهي تلم علم اليقين أن صهيب لا يتهاون في حقه، لذا فأيامه هنا صارت على المحك ..

أمسكت الهاتف وعبثت بأزراره لثوانٍ، قبل أن تضعه على أذنها ..

وبعد وقت ليس بالطويل أردفت بهدوء بـ :

-أيوة بيجاد إجى يا باشا.....!!!!!!

+

واصل قراءة الجزء التالي

٩

الفصل التاسع :+

+

تشنجت قسمات وجهها، وبإنفعال شديد
حركت يدها اليسرى عدة مرات، وهي
ممسكة بالهاتف في اليد اليمنى ..

ثم وبعد أن نظرت بإحتقان لكل شيء
حولها، أردفت بنبرة غاضبة عبر الهاتف بـ :

-براء، معتش تتصل بيا تاني إنت سامعني،
ولا كأنك تعرفني خالص..

جاءها الرد عبر الهاتف بنبرة راجية، متوسلة
بـ :

-جوري عشان خطري إهدي، وبعدين أنا من
إمت كنت بسيبك لوحدك في أي مشكلة
وآآآ ..

قاطعته هي بنبرة محتدة بعد أن تصلبت
عيناها، وسارت خطوتين في الردهة المجاورة :

-هه صح دا كان زمان، مكنتش تسيبني وتمشي بس الوقت أنا ولا حاجة بالنسبالك

صمتت قليلًا لتتابع بعدها بإختناق :

-معتش تتصل بيا تاني يا براء

كادت أن تنهي المحادثة بينهم، وبالفعل نزعت الهاتف عن أذنها إلا أنها سمعته يردد بعلو الصوت :

-إستني يا جوري، عشان خطري ماتقفليش..

زفرت هي بنفاذ صبر، بعد أن إحتقنت عينيها، وضمت ذراعها الحرة إلى صدرها، قبل أن ترد بإيجاز قائلة :

-عاوز إيه ؟

وصلها تنهيدته الحارة عبر الهاتف، ثم وبنبرة هادئة قال هو :

-يا حبيبتي إنتي عرفاني كويس، والله كانت ظروف اللي منعتني اجي، أو حتى أتصل ..

-طيب ماشي

قالتها بإقتضاب، وهي تلتفت بعينيها في أرجاء المكان، وتحرك ساقها بإتزان منفعل ...

وحين وصله ردها المقتضب، تابع قائلًا بثبات :

-طيب مش مصدقاني أنا عارف، طيب أنا كدة كدة بكرة ....!!

قبل أن يكمل هو حديثه أغلقت بوجهه !

فهي لن تسامحه بكل تلك البساطة، هذا إن سامحته أصلًا، فلم تكن يومًا الدُمية التي ما إن أرادوا أخذوها وحين يفرغوا منها يلقوها ..

لا لم ولن وسوف لن يحدث هذا أبدًا

ماحيِّيَتْ!

نظرت للهاتف بفتور وحزن واضحين، بيِّن، على قسماتها ..

وبعد أن سارت عدة خطوات في ردهة المشفى، متجهة إلى غرفة والدها، علت إبتسامة ساخرة وجهها، تسخر من حالها، وما صارت عليه!

أتلك هي حقًا الفتاة القوية، ذات الشخصية المرحة! لا بل تلك ليست إلا ظل بالٍ لها ... ولأول مرة تشعر حقًا أنها يتيمة ...

يتمة بالوحدة المسيطرة على قلبها،

وصلت أخيرًا غرفة والدها وبهدوء فتحت الباب،

ونظرت له نظرات العاجز عن تقديم المزيد،
وقد عبَّرت نظراتها لحظتها عن مدى ما
تشعر به من وهن وألم الآن ..

دلفت إلى الغرفة ولم تهمل إغلاق الباب
خلفها، ثم إقتربت منه إلى أن وقفت على
بُعد خطواتٍ من سريره ..

ووقفت تراقبه في هدوء، تراقب أنفاسه
المنتظمة، وهدوءه الذي لم تعتده ..

تنهدت بحزن، ثم سارت متجهة إليه، وحين
إقتربت منه ... وضعت يدها على رأسه
وقبلتها، ثم أمسكت يداه بكلتا يديها ..

وبنبرة حزينة أردفت بـ :

-بابا إنت سامعني ؟

صمتت قليلًا وهي تنظر إلى وجهه، ثم تابعت
بإنكسار في قولها :

-أنا عارفة إنك سامعني، يلا بقى فوق عشان خطري، فتح عينك مش قادرة أتحمل كل دة ..

قبلت يده المستكينة بين يديها، وأردفت قائلة بإختناق :

-قوم يلا، دا أنا كنت هموت، ولما العربية قربت مني معرفتش أتحرك، م .. مكنتش قادرة أتحرك، لأول مرة يا بابا أحس.. أحس إني اتجمدت مش قادرة أمشي ولا أتحرك ومستنية مصيري المحتوم ...

إبتسمت بتَرَحٍ رغم ما تعانيه وأكملت قائلة :

-على فكرة ماما زارتني في الحلم امبارح، وقالتلي إنها مش حاسة بالوحدة وفرحانة، يعني بالمختصر هي مش عاوزاك، أنا بس إللي .. إللي عاوزاك ..+

+.....

في مقر شركة صهيب قصي للسيارات ....+

أمسكت فيروز سماعة الهاتف واضعة إياها على أذنها، بعد أن سمعت صوته يرن ..

وبنبرة هادئة عبره قالت :

-أيوة يا بيجاد بيه !

صمتت قليلاً لتستمع إلى الجانب الآخر، قبل أن تتغير تعابير وجهها إلى الفزع الشديد، وزلزل الرعب كيانها ..

بعدها أردفت قائلة بنبرة متحشرجة، متقطعة :

-طب .. طب حضرتك عاوز إيه، وأنا أبعتلك حد يجبهولك !

علا صوته عبر الهاتف هادراً بـ :

-بقولك فيه ملف مهم جداً مش لاقيه، تعالي شوفيهولي، مش دي وظيفتك برضوه !

تسارعت أنفاسها، وإختفى الدم من وجهها، حتى كادت تبكي من فرط الضغط النفسي الحاد الذي تمر به ...

قالت بنبرة مذعورة :

-طب أبعتلك حـ آآآآ

قاطعها بنبرة لا تحتمل النقاش بـ :

-فيروز تعالي حالاً ..

-حـ... حاضر

أردفت بها حين وجدت أنه لا مفر من الأمر، ثم وضعت الهاتف على المكتب من جديد، وسارت في اتجاه مكتبه ..

كان مكتبه قرب مكتبها تماماً، ولكنها
شعرت أنها لن تصل إليه إلا وهي جثة
هامدة، الآن هي بالفعل خائفة .. تتذكر وادها
حين تعهد بحمايتها، وحين كانت تبكي
راكضة إليه إذا ما أصابتها شائبة ما ..

وطرح عقلها حينها هذا السؤال..

الآن من ذا الذي ينجيها من بطش رجلٍ أقل
ما يقال عنه أنه متحجر القلب !+

وقفت أمام مكتبه، ومدت يدها لتفتح الباب،
ولكن قبل أن تصل يديها إلى المقبض ...

-دخلة عنده ليه !

إستدارت سريعاً حين سمعت صوته الذي
جاء كما الماء البارد إذا ما عتت النيران ..

-ص صهيب باشا

قالتها هي بنبرة رُدَّ إليها الأمل، بعد أن فقدته

فأردف صهيب بنفس النبرة الهادئة :

-جاوبي !

نظرت له بإطمئنان، وبنبرة شبه طبيعية أردفت :

-هو كلمني وقالي ملف ناقص عنده و .. و عاوزني أدور عليه !

إحتدت نظراته، وأردف قائلاً بإحتقان :

-روحي إنتي شوفي شغلك، وأنا هشوفه ..

أومأت رأسها بسعادة سريعاً ثم ذهبت ..

أما هو فدلف إليه ...+

ما إن رآه بيجاد حتى إعتلت علامات الحيرة الممزوجة بالدهشة محياه ..

وبنبرة متسائلة أردف بـ :

-إنت مش قولت مش جاي !

لم يهتم له صهيب، بل إقترب من الأريكة المجاورة لمكتبه وجلس عليها، قبل أن يضع قدمه اليمنى فوق اليسرى ثم نظر له كما ينظر الصقر الجارح لفرائسه قبل إصطيادهم

و ..

صهيب بنبرة هادئة :

-كنت عاوز إيه من فيروز ؟

تعلثمت نبرته وتشنجت عضلات وجهه وهو ينطق بـ :

-كان فيه ملف مش ...

-ما بلاش كدة يا بيجاد !

تردد بيجاد وهو يسأله بنبرة منفعلة بـ :

-قـ... قصدك إيه !

زفر صهيب بنفاذ صبر، وحدجه بإحدى نظراته الساخطة وهو يقول :

-إحنا مش إتفقنا تسيب البت في حالها لو همك مصلحة الشركة ؟

نظر له بيجاد بضيق، ثم هتف قائلاً :

-وأنا معملتلهاش حاجة !

صمت صهيب قليلاً وهو يراقب تعابير وجهه المحتقنة، قبل أن يتابع مردفاً بـ :

-قولي إيه الملف إللي كان ناقصك ؟

إرتبك بيجاد وظلت نظراته مشتتة بين أرجاء الغرفة ودهاليزها، ولم يجد الجواب، فقرر أن يدافع عن نفسه بـ :

-دا .. ده ملف بتاع آآ ... أنا مكنتش ناوي أجي جنبها ...

وقف صهيب ثم سار متجهاً إليه، حتى وقف أمام مكتبه، ووضع يداه على ذاك المكتب وهو ينظرله بإشمئزاز ...

ثم وبنبرة خفيضة أردف بـ :

-يعني إنت همك على الشركة دي !

إرتجف صوته، وأجاب بتعلثم بـ :

-آآآ ... طبعاً هاممني

تجهم وجه صهيب أكثر، وأردف قائلاً بثبات :

-وأنا عشان كدة بقولك، فيروز خط أحمر ...

-عشان مصلحة الشركة !

-أها+

إبتعد صهيب عنه، وإقترب من النافذة في مكتبه، وظل يظر خلالها ..

ثم أضاف قائلًا بعدها بنبرة ساخرة :

-أنا واثق إنك هتهتم جداً بمصلحة الشركة و .. و هتفضل وفي ليها دايماً !

مشى صهيب الهويني إلى أن صار بمحاذاته، فنظر له بشموخ ثم تابع :

-صح !

كانت تعابير وجه بيجاد ممتعضة بعض الشيء وبها بعضاً من آثار الخوف الممزوج ببعض الإرتباك، فنعم هو يعرف أنه قد علم عن مخططه المحكم، ولكن المواجهة أصعب مما يتوقع !

ربما حياته على المحك الآن، ولم يدرك هو ذلك إلا في التو !

حاول جاهداً إخفاء ذاك الشعور بالإرتباك، والتحدث بنبرة تخلو إلا من الإتزان والهدوء ....

وقد نجح بعض الشيء فبنبرة متريثة بها القليل من الثقة أردف بـ :

-طبعاً يا ... يا صهيب، وبعدين إنت عارفني يعني !

ظل يتابعه صهيب بنظرات قاتمة، على الرغم من نبرته الهادئة، فقد كان أكثر ما يميزه هدوءه المستفز، ونبرته التي لا تعبر عما يكمن بداخله، أو حتى نظرات عينيه، وحتى أن التلاعب بالأعصاب كان لعبة مسليه إذا ما أراد أن يضغط على أحد أعدائه

..

فأضاف صهيب قائلاً ليزيد من حدة الموقف :

-فاكر أشهب !

-مـ ماله !

نطق بها بيجاد بذعر جلي وقد تبدلت جميع ملامحه إلى الرعب الشديد ..

مسح صهيب على شعره مرة، ثم تخلله بأصابعه الأخرى، ومن ثم أنزل يده وضمها بجانب الأخرى إلى صدره ..

وبنبر خطيرة، محذرة أردف قائلاً :

-مفيش افتكرته فجأة بس، وبالذات لما هوخسر كل فلوسه، وبعدها دخل السجن مديون، عشان بس حاول يقف في طريقي ..

تسارعت أنفاس بيجاد وهو يتخيل نفسه عاري المال ! ، وقد خسر كل ما كان يملك من ثروات طائلة ... كان الأمر بشعاً جداً حتى لمجرد التفكير في الأمر !

حاول الدفاع عن نفسه، وهو لا يريد كشف أوراقه، لا يريد أن يعلم هو أنه على دراية كاملة بمعرفته بالأمر ..

لربما إستطاع إخراج ذاك الشك من عقله وللأبد فقال بتردد :

-بس .. بس إنت ليه بتفكرني بكل ده، دا واحد حيوان و**** ، بس أنا مالي !

هز صهيب كتفه، وهو يقول بإستنكار :

-أبداً، بس كنت بفكرك .. كنت عاوز أعرف فاكر ولا لأ...!

ثم سار ناحية الباب وأمسك بالمقبض، وحانت منه إلتفاتة أخيرة قبل أن يتركه بما سببه له من تضارب في الشعور، ويرحل ....+

وحين تأكد بيجاد من مغادرة صهيب إنتصب وسار جيئة وذهاباً أمام مكتبه عدة مرات،

وهو متجهم الوجه، تظهر عينيه حقداً دفيناً لم تستطع أن تستره السنين، ثم وما إن توقف حتى ركل الركسي الذى أمامه بقوة شدية فأوقعه أرضاً، وتنفس عدة مرات بنفاذ صبر ..+

وأردف قائلاً بعدها بنبرة تحمل الحقد :

-أنا هوريك يا صهيب، أنا هعرفك إزاي تتكلم معايا حلو، عشان أنا من صغري ماشي وراك، كنت دايماً بساعدك في كل كبيرة وصغيرة، وكنت بدعمك، لكن إيه جزائي في الآخر ! أتهان بكل بساطة عشان مجرد سكرتيرة !

إشتعلت عيناه بالغل أكثر وهو يتخلل خصيلات شعره بأصابعه الخمس جاذباً إياها من جذورها حتى كان يقتلعها ..

هدأت نبرته قليلاً جداً وهو يتشدق بـ :

-بس لأ يا صهيب مش أنا إللي بكلمتين أسكت، مش أنا اللي أتهان وأفضل واقف أتفرج على بقية كرامتي وهي بتتبعتر جنبك !

صر على أسنانه، وتحدث من بينها بنبرة تحمل الوعيد :

-مفكر لما تهددني هخاف وأقعد في جنب ! مستحيل حتى ولو عملت إيه مش هتراجع ويا أنا يا إنت يا صهيب ..+

+.....

واتاها النوم حينما كانت تستند برأسها على سريره، فتركت له المجال ليسرق روحها إلى مكان آخر خالٍ من العذاب، فلربما تستريح من عناء دنيا أشبعتا ألمًا وقهرًا ..

وفجأة شعرت بحركة غريبة بجانب وجهها، فإستيقظت على فورها ونظرت بجانبها، فوجدت يد والدها تتحرك ..

أسرعت ناظرة إليه، وهي تتحدث بنبرة عاد إليها بعض الأمل :

-بـ بابا، إنت سامعني !

كانت عيناه ترمشان وهو يحاول جاهدًا أن يفتحهما، فشعرت جويرية أن بعضاً من ذاك الشعور بالتفاؤل قد رُد إليها .. إستمرت في النظر إليه بعد أن أمسكت يداه وظلت تربت عليها.

وأردفت حينها بنبرة منفعلة :

-بابا رد عليا

حتى وأن تعابير وجهها كانت تدل على السعادة المختلطة بالقلق، و عيناها لمعتا

ببريق فضي، وهي تنظر إليه لا تكاد تأخذ أنفاسها ...+

فتح عبد القدوس عينيه أخيراً بعد محاولات عديدة، ونظر لإبنته

حالما فتح عينيه إبتسمت بسعادة وإزاداد بريق عينيها، ثم وضعت إحدى يديها على شعره بعد أن سحبتها من على يده ومسحت على رأسه ..

وبنبرة حانية، لم تكد تخفي الأسى أردفت بـ :

-حرام عليك كل ده يا بابا، دا أنا كنت هروح فيها

إبتسم بصعوبة شديدة، بعد أن أغلق يديه على يديها، وبصوت مبحوح، متقطعٍ أردف بـ :

-بـ بعد الشر عليـ .. عليكي يا جوري، طب أنا كبرت خلاص !

نظرت له بضيق وبنبرة محتدة أردفة بـ :

-بابا متقولش كدة تاني، أنا راحة أنادي للدكتور

ثم وضعت يده الممسكةمحلها، لتتركه وترحل قاصدة الطبيب ...

+.....

أمسك القداحة بعد أن إستقرت الغليونة في فمه، وأشعلها بروية وهو ينظر إلى السماء أمامه، نعم إن أيام العمر تجري بسرعة ونعم لم يستطع نيل مراده منها ..

وحتى ولو القليل من الأماني قد تحققت فقد إكتفى بها ولم يطلب المزيد !

راح فِكرُه إلى البعيد وتسربت عبرتان شريدتان من مآقيه، ترك لهما العنان ليهبطا حيثما أحبا ..+

+.....

كان نائمًا، بجانب الصغير صهيب، وفجأة واتاه إتصال، فإستيقظ من نومه وتناول هاتفه الموضوع على حاملة الأدراج بجانبه، ثم نظر للصغير النائم بجانبه وجعل هاتفه على الوضع الصامت لكي لا يزعجه، وأخذ الهاتف وخرج به من الغرفة ..+

جلس على إحدى الأرآئك ونظر إلى الإسم المدون على الشاشة أمامه، فإمتعض وجهه، وقبل أن يرد كان الهاتف قد توقف عن الرنين...

ثم عاد ليرن من جديد، فأخذ نفسًا مطولًا وزفره بإنفعال ..

ومن ثم ضغط على زر الإيجاب، وبنبرة حادة أردف بـ :

-نعم !

أتاه الصوت عبر الهاتف مزعوراً قائلًا :

-رحيل مشوفتش صهيب، أنا مش لاقياه من امبارح !

نظر رحيل إلى الغرفة التى ينام فيها الصغير صهيب، وبنبرة هادئة أردف قائلًا :

-صهيب عندي من امبارح يا نوران

-نعم !

أردفت بها نوران عبر الهاتف بصدمة، فتابع هو مردفاً بـ :

-إنتي عملتي إيه، صهيب مش بيتكلم إلا لما يتهته، وخايف وعمال يترعش من امبارح، دة غير إنه مرضانيش أتصل بيكي خالص .

إضطربت نبرتها، ثم أردفت قائلة بتوتر :

-هو قالك إيه !

زفر بنفاذ صبر، وهو ينظر ناحية غرفته وقال :

-كل إللي بيقوله، بابي وأونكل معتز ومامي، وكلمة مات دي إللي مش فاهمها، وجبتله الدكتور قالي إتعرض لصدمة عنيفة !

تابع حديثه وقد خف إحتداد تعابيره، وظهرت بعض أمارات القلق وهو يقول :

-بس أنا قلقان عليه، قوليلي يا نوران إيه إللي حصل !+

حينها خرج صهيب من الغرفة وهو يضم يداه إلى صدره ويبحث بعينيه عن أحد ما ..

وما إن رآه رحيل حتى أنهى المكالمة في التو بدون أن ينطق بحرف آخر وذهب إليه ..+

نظر له صهيب وقال بنبرة هادئة :

-متسبنيش أنام لوحدي، أنا ...

لم يمهله رحيل إنهاء جملته حتى حمله، وقبل وجنته مبتسمًا قبل أن يردف بـ :

-لأ طبعًا أنا كنت بشرب بس، إنت عطشان إجيبلك ماية !

هز الصغير رأسه بالنفي في الحال، وتشبث بعنقه من شدة الخوف، فذهب به رحيل إلى الغرفة ووضعه على سريره ثم إستلقى بجانبه ..

ظل يمسح على شعره بحنان، وهو يردف لنفسه غاضبًا بـ :

-مهو مش معقول تبقى حاجة بسيطة إللي وصلتك للحالة دي، وبعدين أنا إتصلت بجلال كتير مش بيرد وتليفونه مقفول، أنا بكرة لازم أعرف فيه إيه !+

عدا ذلك لم يفهم هو ما تلك العاطفة التي تسيطر عليه حالما يرى ذلك الطفل !

فقد أحبه أكثر مما أحب أي أحد آخر في كل حياته !+

+.....

أفاق من ذكرياته بعد أن أبعد الغليونة عن فمه، وبنبرة هادئة أردف بـ :

-حياته عمرها ما كانت طبيعية، يارب خرجوا من إللي هو فيه، أنا عارف إنه بيتوجع،

وحاسس بيه، بس هو مبيرضاش يشارك همه مع حد !

واستطرد قائلًا بعد أن تنهد بأسى :

-إسعِده يارب، أنا عارف إني عملت ذنوب كتير في حياتي، بس أنا هتخلى عن كل عاداتي عشان تستجيب دعوتي، يارب أنا عارف إني مليش حق أدعي بيه، بس .. بس أنا في النهاية مجرد عبد مش معصوم وإنت رب العالمين، إنت إللي رحمتك وسعت كل الحدود والآفاق ...+

.....٢

فحص الطبيب عبد القدوس بإهتمام بيّن، ثم أردف قائلًا بإبتسامة :

-لأ كدة صحتك عال العال الحمد لله إتحسنت كتير ..

إبتسمت جويرية للطبيب، ثم نظرت لوالدها وقالت بهدوء :

-الحمد لله

أومأ عبد القدوس رأسه، وهو ينظر إلى إبنته، ثم قال فجأة :

-وأقدر أخرج إمت يا دكتور ؟

ظل الطبيب بنفس الإبتسامة وهو يتحدث بروية بـ :

-لأ الخروج لسة شوية، أقل ما فيها أسبوعين ولا حاجة، عشان نتأكد إنك إتعافيت تمامًا.

قوس حاجباه في ضيق، وبنبرة معترضة قال :

-أسبوعين إيه يا دكتور بس كتير جدًا !

أكد الطبيب كلامه بـ :

-أصل حضرتك مش عندك السكر كدة من مفيش، ده حصل نتيجة للإهمال المفرط في صحتك !

نظرت له جويرية بضيق وهي تعقد حاجبها، قبل ذراعيها، ثم ..

وبنبرة جادة أردفت بـ :

-متقلقش يا دكتور هيفضل هنا لحد لما يخف تمامًا، وأنا هتأكد من ده ..

إبتسم لها الطبيب بود، بينما إمتعض وجه والدها، وتشنجت قسماته آبيه ما سمع !

وحينها أردف الطبيب محذرًا بهدوء :

-أهم حاجة ميزعلش، وميتعرضش لأي ضغوط مهما كانت نفسية أو جسدية ..

صمت قليلًا وهو يتفحصه بنظراته، قبل أن يضيف بنبرة طبيعية :

-ممكن الوقت تكون حاسس بصداع أو رعشة، أو زغللة في عينك، بس كل دة من عوارض المرض، وأنا هبعتلك قايمة بالأكل إللي هتاكله اليومين الجايين، تمام !

أومأت جويرية رأسها وأضافت بنبرة هادئة :

-تمام يا دكتور، إنت بس قول إللي لازم يتعمل وأنا هعمله على طول+

-تمام

أردف بها الطبيب بإتزان، ثم إتجه نحو الباب ليخرج بعد أن أضاف :

-طيب أنا همشي أنا.. أسيبكم لوحدكم شوية+

وبعد أن ذهب الطبيب .. جلست جويرية بجانب والدها على الفراش، ونظرت له بضيق

فبادلها نفس النظرات، قبل أن يردف بنبرة محتقنة بـ :

-أسبوعين كتير أوي يا جويرية، إنتي عرفاني مبطقش الأماكن دي !

تنهدت جويرية بنفاذ صبر، ورمقته بإحدى نظراتها المحتقنة، وبنبرة مختنقة أردفت بـ :

-بابا، إنت أاااه مش بتحب تقعد هنا، بس أنا مقدرش أتحمل إنك تروح مني لمجرد إنك مش بتحب تقعد هنا !!

أخرجت نفسًا حارًا من صدرها، وتابعت بنفس النبرة المختنقة قائلة :

-إنت متعرفش إيه إللي مريت بيه اليومين دول، عارف إحساس إن الدنيا كلها عليك !

لأ طب عارف لما تحس إن كل حاجة راحت من بين إديك !

كانت تتحدث وقد تصلبت عيناها في نقطة ما أمامها في تلك الغرفة، وقد أبيت تمامًا الإنصياع إلى ما في قلبها وذرف الدموع ..

أبيت إراحتها، ولو قليلًا

كيف لها أن تظهر ضغفًا أمام نفسها إن كان عليها تحمل كل قسوة العالم بقوة وحدها !

إعتدل عبد القدوس في جلسته وجذب يدها ليقربها منه، فساعدته هي على ذلك حتى إستقرت بين أحضانه الدافئة علها تلتمس بعضًا من دفئها فتسكن روحها ..+

ظل يمسح عبد القدوس على شعرها بحنو، وقبل رأسها قبل أن يقول بنبرة حانية :

-أنا معاكي أهو مش هسيبك إن شاء الله ..

لم تقل هي شيئًا في المقابل، بل ظلت صامتة متشبتة به ..

متشبثة بآخر حبل في حياتها خِشية أن ينقطع.+

أما هو فظل ينظر لها بين الحين والآخر ..

هو أكثر دراية بكل ما حدث لها، بل الأكثر دراية بما كانت عليه إبنته سابقًا، قبل ذاك التحول العظيم الذي طرأ عليها !+

أغلق ذراعيه عليها، ليشعرها أنه معها الآن، وإلى جانبها ...

ولنفسه، وبنبرة متأسية أردف قائلًا :

-أنا عارف إنك ملكيش غيري، وعارف إني لو روحت في أي وقت وسيبتك كدة لوحدك من غير سند ليكي مش هتقدري تعيشي، بس إنتي حتى مبتديش مجال لحد يدخل حياتك، إنتي ضايعة يا جويرية، ضايعة يا بنتي في الماضي ونفسي ألاقيكي ...

تنهد في حزن، وعيناه قد أنذرتاه بلؤمٍ بالبكاء

+!

+.....

-إيييييه !!

صاح بها صهيب عبر الهاتف بعد أن إحتقنت عيناه وجفت الدماء في عروقه ..

واتاه الصوت هاتفيًا بنبرة مذعورة :

-يا باشا لازم تيجي حالًا، رحيل باشا أغمى عليه وبنحاول نفوق فيه مش بيفوق !

أردف صهيب بنبرة عالية ومنفعلة، وهو يمسك بالمقبض ويفتح الباب بعد أن قام من على مكتبه وسار نحوه :

-طب .. طب كلمتوا الدكتور !

جاءه الرد عبر الهاتف مؤكدًا بـ :

-أيوة يا باشا، وهو في الطريق الوقت+

مضى هو في ذلك الوقت أمام فيروز، فنادته وهي تراه يغادر :

-صهيب باشا، يا باشا !

لم يجب عليها، بل على الأرجح لم ينتبه !

قوست حاجبها مستعجبة، ثم وبدون قصد منها وقع نظرها على مكتب بيجاد، فشعرت بالذعر يجتاح كيانها لمجرد فكرة أنهما

وحدهما مع العمال اللذين هم بالأسفل ولا يصعدون إلا لتسليم الأوراق ...

وبنبرة خوف أردفت بـ :

-ربنا يستر ولو مشيت الوقت الباشا ممكن يخصم مرتبي كله، المفروض أنا اللي براقبه !

وجدت هاتفها النقال يرن، فإلتقطته بسرعة ونظرت إلى اسم المتصل قبل تضغط على زر الإيجاب وترد سريعًا ...

-ألو ! أيوة يا ماما

توقفت عن الحديث لتستمع إلى الجانب الآخر، قبل أن تقول بهدوء :

-يعني خالي هياخدك عشان تسافري البلد معاه !

أومأت رأسها ثلاث مرات، ثم إبتسمت ليخرج صوتها طبيعيًا وقالت بمرح زائف بعدها :

-أيوة بقى يا عم

صمتت قليلًا قبل أن تردف بصوت شبه طبيعي بـ :

-لأ مش هينفع أجيلكوا النهاردة، بس متنسيش تاخدي الدوا بتاعك كامل تمام !+

+.....

فتح صهيب باب سيارته على عجالة ..

وبعد أن ركب قادها بأقصى ما لديه من سرعة وقد إضطربت جميع مشاعره في تلك اللحظة ..

لا لن يحدث له مكروه

كان عقله ينطق بها طوال الوقت، فإنه
الشخص الوحيد ..

لا بل الأوحد في كل تلك الدنيا مَن .. مَن
وقف إلى جانبه في كل وقت قد إحتاج إليه
فيه .. بل لم يتركه للحظة .....

تحرك ذلك الشيء الذي في قلبه تجاه عمه،
بل تجاه من رباه طيلة حياته وأحبه وإعتنى
به كما لم يفعل أحد من قبل !+

وما إن وصل لتلك النقطة حتى أسرع
بسيارته أكثر كما الإعصار
+!!!.....

+

واصل قراءة الجزء التالي

+

الفصل العاشر :

خرج بيجاد من مكتبه، ممسكًا بورقة ما
وعلى وجهه آثار الغضب، ثم اتجه ناحية
مكتب صهيب وفتح الباب بدون حتى أن
يطرقه، ولكنه تفاجأ حين لم يجده بالداخل،
فدلف إلى المكتب ليتأكد ..

كانت فيروز حينها تتابعه بنظرات متوجسة
ولم تنبس بكلمة ..+

وحين تأكد هو من خلو المكتب إلا منه خرج
على فوره وهو لا يزال ممسكًا بتلك الورقة ..

ثم إقترب من مكتب فيروز، وضرب على
مكتبها بقوة وهو يضع الورقة البيضاء
الممسك بها على مكتبها ..

فإنتفضت هي على إثر قبضته، ثم وقفت
بصعوبة محاولة الإتزان بعد أن كادت تقع

وتزلزلت نبرتها وهي تسأله بخفوت بـ :

-فـ فيه إيه !

ظل وجهه متجهمًا، وعينيه ينبعث منها شرار
مرعب، فسرت رجفة في أنحاء جسدها
بسبب تلك النظرات ...

وبنبرة نارية أردف قائلًا :

-فين صهيب !

تحشرجت الكلمات في حلقها، قبل أن تشير بيديها المرتجفة ناحية الممر الذي عبر منه صهيب قبل قليل ثم قالت :

-هو .. هو مشى من شـ شوية

نظر لها بحقد أكثر، فارتجفت هي فزعًا، ثم ..

بيجاد بنبرة عالية :

-ولما إنتي عارفة إنه مشى مقولتليش ليه وأنا بدور عليه !

ضمت ساعديها أمام صدرها وأنزلت رأسها للأسفل لتبتعد عن نظراته القاتمة، ولم تجبه بل إكتفت بهذا

وقبل أن تبتعد بعينها لمحت الورقة التي وضعها على المكتب، وقرأت المكتوب بها بروية resignation (الإستقالة) !

لم تكد تستوعب ما قرأت حتى ..

وجدت من يمسك يديها المقعقودتين بشدة ويهزها قائلًا بصوت كالفحيح :

-لما أنا أتكلم تردي مش تطنشي، سمعاني !

تسارعت أنفاسها لدرجة لا تحتمل، وإزداد قلبها خفقانًا حتى شعرت أنه سينفجر، وسريعًا لتنجو من براثنه أومأت رأسها مرارًا ثم حاولت أن تنتزع يديها من بين يديه فلم تستطع

فقالت بنبرة مترجية وهي تكاد تبكي :

-حاضر، بس شيل إيدك عني

رآها على وشك البكاء فإبتسم بتشفي، رآها تكاد تنهار فأطبق يديه عليها أكثر ..

وبنبرة حادة قال :

-لأ مش هشيلها

أغمضت عينيها خوفًا منه، ولكن دمعة خانتها فوقعت !+

ثم سحبها بقوة لتخرج من حيز مكتبها، وحتى وقفت أمامه إستمر بجذبها ..

ثم .....

هدر بها بيجاد بصوت مشتعل :

-إنتي السبب في كل دة ولازم تدفعي التمن

رفعت رأسها لتواجه عينيه، فلم تستطع من حدت نظراته وأنزلتها ...

ثم وبنبرة مرتجفة قالت :

-ط .. طب أنا عملت إيه ؟

رفع إحدى حاجبيه ساخرًا، وقهقه بصوت عالٍ قبل أن يردف بـ :

-عملتي إيه ؟ ، دا إنتي أُس البلاوي ..

توقف قليلًا وهو يرمقها بنظراته الهادئة لدرجة مرعبة، بينما هي تحاول جاهدة الإفلات بدون جدوى ...

وتابع بعدها بنبرة خافتة، ولكن خطرة كصوت أفعى تبث سُمومها بفرائسها :

-وأنا بقى الوقت هعمل إللي إنتي خايفة منه، وأنا أصلًا ماشي من الشركة دي بس مش قبل ما أخد حقي منك

حاولت جاهدة الإبتعاد عنه فلم تستطع، وقبل حتى أن تفكر بالصراخ داهمها بوضع يده على فمها ثم مشى بها وهو يتلفت يمينًا ويسارًا نحو مكتبه، وظلت هي تحاول الإبتعاد أو الصراخ، لكن لم تستطع ...

وإن صرخت فالآن جميع الموظفين قد غادروا !+

ثم .. أغلق بيجاد الباب خلفه بسرعة ...!!!!+

.....+

في منزل رحيل قصي ...+

كان صهيب جالسًا على الفراش بجانب عمه النائم، بينما كان الطبيب ينظر له قائلًا بنبرة هادئة :

-متقلقش هو كويس ده بس كله من آثار الهبوط، وبعدين هو مبيتغذاش حلو خالص ..

نظر له صهيب بقلق جليّ وأردف بنبرة ثابتة بـ :

-يعني هو كويس ؟

أومأ الطبيب رأسه قائلًا بنبرة متزنة :

-هو كويس، وإن شاء الله يصحى بعد ساعة بالكتير .. بس المشكلة عنده الأكل

أجابه صهيب بنبرة هادئة :

-طيب إوصفلي إللي المفروض ياكله، وأنا بنفسي هشرف على أكله اليومين الجاين وأنظمله فيهم

إبتسم له الطبيب مجاملًا قبل أن يخرج ورقة من حقيبته ويعطيه إياها قائلًا بصوت طبيعي :

-الورقة دي مدون فيها معظم الأكل الصحي، كنت عاملها للحالات إللي شبه كدة، وأمراض تانية خاصة، تمام ؟

-تمام+

ثم طلب الطبيب الإذن بالإنصراف+

وحين إختلى به صهيب نظر له نظرات غامضة، وظل يتابعه بهدوء ...

قبل أن ...+

.....+

كان ذلك الطفل الصغير متشبثًا بسترة عمه، وهو ينظر لمن أمامه بإحتقان ...

مدت نوران يدها لتأخذه وهي تردف بنبرة جادة بـ :

-صهيب، تعالى هنا أنا مش بهزر على فكرة

اختبأ صهيب خلف عمه قبل أن تصل يدها إليه وغمغم هو بأنين خافت بـ :

-مش .. مش عاوز أجي معاكي

نظرت له نوران غاضبة هو تردف قائلة بنبرة عالية :

-صهيب قولتلك تعالى !

كان رحيل حينها مكتفي بالنظر إليهما وقرر أن لا يتدخل بين إبن وأمه !+

هز رأسه مرارًا وتكرارًا بالنفي، فإقتربت أمه منه وأمسكته من يده بقسوة وهدرت به بـ :

-أنا أمك يعني تسمع كلامي فاهم !

هز صهيب رأسه بالنفي وهو مغمض العينين، ولم تترك يداه اليمنى بعد سترة رحيل المتشبث هو بها بقوة

لم يستطع رحيل التحمل أكثر من هذا، فتعنيف صهيب أمامه كان يشعره بالألم، ولم يدري له سببًا لكنه أوقفها قائلًا بضيق :

-نوران، إهدي عليه شوية مش كدة...

فنظرت له الأخرى بإمتعاض، فلم يهتم بل على العكس تمامًا خلص يد الصغير منها، ورمى بيدها بعيدًا ..

ثم انحنى ليصل إلى مستواه وأردف قائلًا بنبرة هادئة :

-صهيب يلا يا حبيبي ماما بقالها أسبوع كامل بتيجي عشان تجيبك وإنت مـ ...

وقبل أن ينتهي رحيل من سرد باقي المشكلة عليه، ضمه صهيب أو بالأحرى إختبأ صهيب داخل أحضانه وإنخرط في بكاء عنيف ..+

ومن بين بكائه خرجت شبه كلمات متقطعة قالها باكيًا بإسراف :

-مـ .. مش عاوز أروح معاها، خليها تسيبنييي خليها تسيبني عندك ...

ولم يكن بعدها أمام رحيل أي خياراتٍ أخرى،
لن يستطيع أصلًا أن يتركه ...

فبالرغم من أن ما يفعله صهيب الآن لم يكن
محسوبًا، إلا أنه حقًا ولسبب ما يسعده !

وقف بعدها رحيل ولم يتفوه بكلمة، ولما
كان الطفل متمسكًا به لا يريد تركه حمله
ووقف به ثم إتجه به نحو غرفته ..

وحين أصبح بالغرفة تركه واقفًا على الأرض،
ثم همس بأذنه قبل أن يخرج بدونه :

-خلاص إنت خليك هنا وأنا هتكلم معاها

أومأ صهيب برأسه وبعد أن ذهب رحيل
إنزوى في إحدى أركان الغرفة وقد بدى عليه
هدوء مريب ...

وبعد ما يقرب من الربع ساعة عاد رحيل ..

وجلس بجانبه حتى أنه مد يديه على ساقه ليجلس مثله، فإبتسم له صهيب ..

وأردف متسائلًا بتوجس :

-أنا هفضل معاك هنا ؟

إبتسم له رحيل بمحبة وأجابه بنبرة هادئة بـ :

-إنت عاوز تفضل ؟

أومأ صهيب رأسه عدة مرات بدون حتى أن يفكر، فإقترب منه رحيل وطبع قبلة حانية على وجنته، ثم ..

رحيل بنبرة دافئة :

-خلاص هتفضل معايا طول ما إنت عاوز كدة، وأنا إتكلمت مع نوران خلاص وهي وافقت+

+.....

تابع صهيب النظر له، هو حقًا يعلم ... بدونه
لكان حاله أسوأ بأضعاف مضاعفة ..

يعلم أنه هو من أخرجه من تلك الهوة
السوداء حين وقع بها ..لم ينسى ولا لثانية
عطفه الذي كان يطفي على حياته بعضًا من
ألوان غير موجودة !

بالطبع له أثر كبير ..

له الكثير من الفضل ...

وجده صهيب يفتح عينيه أخيرًا، فشعر
بالسكينة تتسرب إليه ..+

فتح رحيل عينيه بإرهاق، ثم حاول الإعتدال
في جلسته بعد أن سأل بهدوء بـ :

-صهيب هو إيه إللي حصل !

عبست ملامح صهب وأردف بنبرة حادة قائلًا وهو يساعده في الإعتدال :

-أغمى عليك، عشان طبعًا حضرتك مش بتاكل عدل !

أشاح رحيل وجهه للجانب الآخر وبتبرم قال :

-باكل بس إنت عارفني مش ...

-مش بحب آكل لوحدي هتقول كده صح !

قاطعه صهيب مكملًا له باقي عبارته بضيق وهو يتأفف

زفر رحيل بشدة وقال بنبرة عالية :

-قبل ما تلومني لوم نفسك بقى هه مليش فيه، وبعدين إنت مش بتاكل معايا و .. والطباخة إللي هنا أكلها بشع !

كتف يداه وأردف بإحتقان بـ :

-خلاص هبقى أنظم وقتي وأحاول أفطر معاك قبل ما أنزل الشغل، وحكاية الطباخة دي هشوف واحدة كويسة .. وأجيلك على ميعاد الغدا عشان ميبقالكش عذر !

ضحك رحيل، وبنبرة ساخرة أردف بـ :

-صهيب حبيبي إنت فاكر مين فينا عم مين !

-مش بهزر معتش تقصر في أكلك تاني، وبعدين إنت إللي بتجبرني أتعامل معاك كدة !

-طيب طيب هاكل+

راقب رحيل إنكثام وجه صهيب، بأعين مغتمَّة ..

ثم إبتسم له، ومد يده ليلتقط ذراعه، وحال تلامست يداه وذراع صهيب، بدفئ النبرات أردف قائلًا :

-على فكرة أنا كويس متخافش عليا

نظر له صهيب تارة ثم لذراعه الممتدة تارة، بعينين جامدتين ...

ثم أزاح يد رحيل بهدوء، قبل أن يقف على عجالة ويردف بإحتقان بـ :

-أنا مش خايف إنت إللي بيتهيألك، ثم أنا بس بعمل واجبي مش أكتر ... إنت برضوه إللي ربتني وأنا ...+

لربما يلين الصخر قبل أن يلين لسانه !

ولكن لن يلومه، فإن كان هناك من يفهمه، ويدرك ما يشعر به هو، فليس هناك إلاهُ بالطبع بعد العليم الحكيم ..+

لم تختفي الإبتسامة عن محياه، بل على العكس إزدادت إتساعًا ..+

وبهدوء قال :

-هو شرط تكون خايف عليا عشان أقولك كدة !

أعطاه صهيب إحدى نظراته الساخطة، قبل أن يتركه ويذهب ..

فقد أدرك هو أنه قد أفرط كثيرًا اليوم في القلق، وقد ظهر ذلك جليًا على قسماته ...

وهذا خطأ كبير !+

بلى هو كذلك ....!+

.....+

كان مطبقًا على ذراعيها عند حائطٍ ما .. فقد كتفها كما يقيد الأسير بالأغلال ..

وظل ينظر إلى الخوف في عينها، وقد ملأ شعور الإنتشاء روحه، وخاصة أنها تستحق كل ما يفعله هو بها الآن، فهي من جنت على نفسها حين قررت تحديه والوقوف في طريقه، والأدهى أنها كانت تتجسس عليه !+

حاولت الإفلات قدر إستطاعتها، وقد إنسكبت الدموع أنهرًا من حدة الخوف الذي يجتاح كيانها الآن .. ومع أنها شعرت به يترنح على غير عادته، وحتى أن الضعف قد دب فيه قليلًا وم ذلك لم تفلح في الفرار من قبضته ..

ولم تهتم حين اشتمت رائحة غريبة تفوح من فمه فهي لم يكن لديها الوقت للتفكير...+

ومرة أخرى بدأت تحاول الإفلات وتحريك يدها القابعة تحت يديه القويتين، لن تستلم هي، مستحيل أن تفعل ..

ولكن كيف لها أن تظفر بنفسها وهي مقيدة هكذا ؟+

-سـ سيبني بقى أرجو.. أرجوك يا بيجاد بـ... بيه !

قالتها فيروز وهي تبكي بشدة، وحتى تحشرُج الكلمات في حلقها قد أظهر مدى الرعب الذي تعيشه الآن ..+

تصلبت عينا بيجاد أكثر، وتجلدت نبراته أثناء قوله :

-لأ مش سايبك يا فيروز .. مش سايبك، مش بعد كل إللي إنتي عملتيه دة، وبعدين

أنا قولتلك تعالي بالذوق مجتيش فإضطريت
أخدك بالعافية ....+

شعرت فيروز أن قواها تنهار شيئًا فشيئًا،
وشعرت أنها على وشك الإغماء، لكن
الشعور بالفزع لما قد يحدث لها إن سلمت
جسدها له على طبق من فضة .. جعلها
تكتسب قوة من الا شيء، ولأنها حقًا فاجأته
.. فلم يكُ منتظرًا أي مقاومة منها ..

وحين دفعته فجأة بعيدًا عنها، وظلت تصرخ
عاليًا، أصابته بشحنة جديدة من الغضب ..

ولكن شحنة أقوى من ذي قبل ...+

ولذلك أسرع هو في خطواته إليها حتى
إستطاع إمساك يدها، فصرخت فيروز عاليًا
وبخطواطٍ محسوبة مدت يدها الحرة إلى

المكتب خلفها وأخذت يدها تعبث بين أغراض المكتب وهي تنظر له بذعر ..+

إلى أن وجدت شيئًا ما صلبًا، فحملته بدون حتى أن تفكر، ولوحت به في الهواء المقابل لوجهه ..

وبنبرة غلفتها قوة غريبة قالت :

-لو مفكر إني هسمحلك تقرب مني تبقى.. تبقى بتحلم..

لم يستطع هو تمالك نفسه حين وجدها تهدده بهذا التمثال العتيق، فسمح لضحكة متهكمة أن تصدح و...

قال هو بنبرة مستفزة بعدها، وهو يداعب أنفها الصغير :

-لأ خوفت !

جحظت عيناها أكثر، وتراجعت عدة خطوات

...

بدت كما المعلقة على سفح الجبل إذا ما تداعى الحبل .. ولكنها حاولت جاهدة إستجماع شتات نفسها الضآلة، لكي تقاومه

..

وبالفعل صرخت فجأة وهي ترفع يدها عاليًا لتضربه بالتمثال في رأسه ..

فأمسك هو يدها قبل أن تصل إلى رأسه مباشرة ..

وظل يضغط على يديها بقوة حتى أفلتته وهي تتأوه ..+

نظر لها بغضب شديد وهو يقول محذرًا :

-كفاية كدة عشان إللي جاي مش هيعجبك !+

هزت رأسها عدة مرات مستنكرة الوضع الذي تعيشه، مستنكرة اليوم الذي بدأت تعمل به هنا، مستنكرة رؤيته أمامها، مستنكرة يوم ولدت، وحاولت الدفاع من جديد عن جسدها المعرض للإنتهاك في أي لحظة !+

حاولت دفعه للخلف بكل قواها الجسامانية، ولم يتحرك قيد انملة، ولكنها إستطاعت إثارة حفيظته أكثر ..

ولأن يداها الإثنتان قُيدتا، فقد خطر لها إستعمال قدميها، وبالفعل رفعت قدمها اليسرى وبكل قوتها دعست بها قدمه اليمنى ..

فأغمض هو عيناه بألم وهو يسبها بإحدى الشتائم، ونظر إلى قدمه ومنه إلى قدمها وهو يقول بنفاذ صبر :

-أنا حذرتك كتير، وإنتي الوقت المسؤلة عن اللي هيجرالك !+

إرتعدت فرائصها وظلت تحاول الإنفكاك عن يداه الاتي أطبقتا على يدها بقوة أشد بعدما فعلته، ولكن لم تستطع و ...

فيروز بنبرة راجية :

-سـ... سيبني أرجوك، طب .. طب أنا هسيب الشركة و .. و هعمل كل إللي إنت عاوزه بس سيبني

مد يده إلى رأسها وبدون أن ينبس بكلمة سحب الحجاب أعلى رأسها بقوة، ذلك الحجاب الذي يثير مقته يوم رآها به ..

فإنسدل على الأرض، ولم تستطع هي حتى الدفاع عن شعرها الذي عَرى فجأة ..

ولكن فعلته جعلتها تصاب بنوبة أحد من الفزع وظلت تنظر للأرض حيث رماه هو، وقبل أن تفكر في أي شيء آخر وجدته يهمس في أذنها بخفوت :

-أنا مش هستناكي تحققيلي إللي أنا عاوزه، أنا باخده بنفسي ...+

جفت الدماء من وريدها، وشحب لون وجهها، وحتى الدموع تجمدت في مآقيها من فرط الرعب ..

هزت رأسها بقسوة رافضة كل ما يقول هو، وحركت يداها تحت قبضته بإصرار أكبر محاولة تحريرها ...

وأردفت حينها ببكاء :

-خلاص بقى أرجوك، أنا عملتلك إيه لكل ده !

-مزاجي، أنا أصلًا ظــالم !+

ولم يمهلها بعدها ثانية قبل أن يجرها جرًا من شعرها ويرمها على الأريكة المجاورة لمكتبه ..

فإنتفضت هي لتحاول الهرب إلا أنه أمسك بذراعها قبل حتى أن تحاول الوقوف وإنحنى بجذعه نحوها فتراجعت للخلف مبتعدة عن وجهه، فأمسك هو بطرف ثوبها الطويل ثم نظر لها متشفيًا، آخذًا بثأره من تلك التي أرهقته خلفها طويلًا والآن قد آن الأوان ليأخذ ما هو من حقه !

حاولت هي تخليص ثوبها من قبضته وما إن إستطاعت حتى ضمت قدماها إليها وهي ترتجف،

فإبتسم بقسوة وهو يدنوا منها أكثر، تحت وقع ضربات قلبها المستغيثة، وبكاؤها المميت ..

فلم يهتم ولم يآبه أبدًا بعبراتها، والذعر الكامن في قلبها، فقد أتيح له أن يأخد ما أراد وإن كان عنوة فما الفرق !

أخذت تتراجع بصعوبة بيديها المرتجفتين، حتى إصطدمت بظهر الأريكة ولم يعد هناك مجال حينها للتحرك أكثر .. فإتسعت إبتسامته المتسلية وهو يراها تعاني، ووضع يده على وجنتها المرتجفة، فنظرت هي إلى يده الممتدة على وجهها بطرف عيناها نظرات ذُعر، وأخذت تحاول الإبتعاد عن يده بلا جدوى تُذكر، فكلما أبعدت رأسها قليلًا قرب يده هو اكثر، وإبتسامة متسلية تعلوا ثغره ..+

ثم وبنبرة إستهجان قال :

-خلاص يا فيروز إنتهينا

وأضاف بصوت كالفحيح بـ :

-أنا قولتلك من زمان لما بعوز حاجة باخدها، والوقتي هاخدها يا .. يا جميل ....+

+.....

خرجت من الغرفة القابع بها والدها وقد إكتسبت نظرات أكثر سَكينة من الأيام القليلة السابقة، وإن لم تكن نظرات خالية من الألم ولكنها كانت تشعر ببعض من الراحة ... فقد أعطتها الأيام السابقة كآبة لم تتحضر لها، وإزداد وجهها شحوبًا مع كل لحظة أسى مرت بها ...+

أن ترى الدموع في مآقيها وتثبُت وتجمُد لكي لا تنحدر ..

أن يختنق نفس الحياة لديها، وأن تظل
مدعية القوة رغم كل شيء ..

أن تظل وحيدة مع كل مصيبة تجرف
بحياتها ..

ما أقسى هذا الشعور، وما أشد حدته وآلامه
!+

سارت بعض الخطى بعد أن رسمت
إبتسامتها المعهودة، وإلى أن جلست على
الكرسي القريب من الغرفة أعطت
لإبتسامتها شكلًا جديدًا، رونقًا خاصًا ومختلفًا
فقد إنحنت شفاهها، لم تقوى على الإبتسام!

هزت رأسها وهي تتعجب من حالها وتقول
بنبرة آمرة :

-متضعفيش

فنعم، تلك الإبتسامة تدل على القوة

أن تبتسم رغم كل شيء، تبتسم مع الحزن
والغم، تبتسم مع الأسى وتجدد الإبتسامة
بأخرى كلما بهتت ثم تتبعها بالحمد !

أليست تلك بقوة !+

وفجأة بدون سابق إنذار، وجدت يدًا خشنة
تمتد نحو عينها، إلى أن إلتصقتا بها ..

فإنتفضت هي على إثر ذلك

وبصوت جهوري نطق صاحب اليدين
الممتدتين بـ :

-أنا مين؟

حالما تبين لها الصوت تصلبت ملامحها
وعبست بوجهها وهي ترد عليه بغلظة، بينما
تزيح يده عن عينها بقوة :

-إبعد عني أنا أصلًا مش طايقاك

إستطاعت إبعاد يده عنها، وبدون أن تنظر له حتى ذهبت مبتعدة عنه، فلحق بها هو بسرعة وأمسك يدها ليمنعها من الحركة أكثر ثم ..

وبنبرة هادئة أردف بـ :

-جوري، إستني عشان خطري

نظرت هي له بإحتقان ومن ثم مدت يدها نحوه وهي تنطق محذرة بـ :

-بص يا براء مش عاوزة كلام كتير خد بعضك وامشي من هنا خالص عشان فعلًا مش ...

قاطعها هو قائلًا بصوت حزين :

-بجد! مش طيقاني للدرجادي ؟!

أشاحت هي وجهها عنه، لتخفي ملامحها وبنبرة هادئة قالت :

-اه، امشي يلا

أدار هو جهها إليه ونظر لها بتمعن وهو يقول :

-لأ مش ماشي، أنا مش جاي عشان أمشي، وبعدين راعي حتى إننا من .. من سنة مشوفناش بعض!

-هه

نطقت بها جويرية ساخرة وهي تنظر إليه بغضب، ثم حررت يدها بحركة مفاجئة لكي تبتعد، إلا أنه أمسك بيدها بسرعة مرة أخرى وإحتضنها بقوة وهو يضحك ..

-سيبني يا بارد

قالتها جويرية وهي تحاول أن تبتعد عنه، إلا أنه أطبق يديها حولها بقوة أكبر

ثم وبنبرة مرحة قال هو :

-تصدقي بالله، وحشتني حركات الجنان دي وكنت متوقع تعمليها

هدرت به بصوت حاد وهي تدفعه بعيدًا عنها :

-إبعد عني أنا مش بهزر على فكرة

أجابها بحصافة وهو يستند برأسه على كتفها ليغيظها أكثر :

-لأ مش قبل ما تسمعيني، أنا عارف إنك مش هتقفي ساكتة لو سبتك كده

علمت هي أنه لن يبتعد، ربما هي عنيدة، ولكنه ليس بأقل منها عندًا ... لذلك هدأت قليلًا ولم تتفوه بحرف ..

لن تنكر أنها اشتاقت له، ولصوته، ولن تنكر أن عينيها رغبتا كثيرًا برؤيته، فلذا قررت مجارات روحها ولو لمرة ..

وإستكانت ...+

إبتسم هو بسعادة حين وجدها هدأت ثم بدأ بنبرة لائمة قائلًا :

-إنتي بجد ممكن تتوقعي إني أتخلى عنك !

-أبدًا

قالتها بإستهجان وسخرية جليين فقال هو بعدها بهدوء :

-بصي يا مجنونة أنا مش هرد على التريقة دي وهحكيلك اللي حصل عشان تفهميني

..

صمت لثانيتين قبل أن يستطرد حديثه قائلًا :

-طبعًا كنتي في المطار معايا يوم ما قررت أسافر الأردن وأشتغل هناك !

لم ينتظر الرد ولذلك تابع بـ :

-وكنت بكلمك يوميًا أكيد، المهم بعدها بشهرين قررت أنزل أجازة، ولما روحت عشان أمضي العقد منفعش وقالولي إني ماضي عقد مرجعش البلد إلا بعد سنة وإلا هضطر أدفع نص مليون، وأنا مكنش معايا المبلغ دا ! ..

قاطعته هي بإستخفاف قائلة :

-وإنت مفكرتش في كدة قبل ما تمضي العقد!

زفر بفاذ صبر من طريقتها واردف بعدها قائلًا :

-أنا ممضتش عليه بإراتي يا فالحة

-أومال يا فالح!

-أصل .. أصل الحقيقة أنا مابصتش على بنود الـ ..

-فالح!

-بت .. بت بطلي تريقة وإسمعيني ...

ضحكت على طريقته العفوية في الحديث، فأبعدها عنه ونظرإلى وجهها وقال بعد أن إرتفع إحدى حاجباه :

-زودتيها !

صمتت هي ونظرت له بضيق، ثم وحين قررت الهرب وجدت نفسها قد إلتصقت بالحائط فقد تراجعا كثيرًا، ووضع هو يداه كحائل يمنعها من الفرار .. ولكنها لم تستسلم وبسرعة إنحنت بجسدها لتتحرر من بين ذراعيه الممدوتين وتخرج من تحتهما إلا أنه قد إستطاع مجاراتها في نفس الثانية التي إنحنت هي فيها وإنحنى معها ووضع يداه حولها مرة أخرى ..

وبنبرة إعتزاز أردف بـ :

-مش براء يا جوري، يابت إحنا سوا من الرضعة يعني حافظك

حاولت كبت إبتسامتها التي خرجت عنوة، وبنبرة مستفزة قالت :

-أي حد ممكن يفكر في كدة .. عادي يعني

إبتسم حين رآها تبتسم، وشعر ببعض الراحة فتلك تحتاج إلى من يفهمها وقلما تجده لا بل نادرًا

وقال حينها ببرود :

-عادي مش فارق كتير، ثم اسمعيني بقى

-طب حاسب بجد دا مش منظر حد يقعد كدة

إبتعد عنها قليلًا لتقف وظل ممدد اليدين على الحائط قبل أن يردف بضجر بـ :

-أكمل؟

كتفت يديها وأشاحت ببصرها عنه وبنبرة غير آبهة قالت :

-ومالوا !

قرر هو متابعة حديثه فهدأت نبراته وهو يقول بحذر :

-و.. و لما إنتي قولتيلي إن والدتك مـ..آآ ماتت

لاحظ هو قتامة عينيها عند تلك النقطة، فأسرع بالحديث ليبعدها عن تلك عن ذلك الموضوع قائلًا بنبرة سريعة :

-كان دا نفس اليوم اللي أنا كنت ناوي أقولك فيه على اللي حصلي، وطبعًا لما عرفت اللي حصل مقدرتش أقولك حاجة ...

ثم صمت قليلًا ليسترد نفسه الذي ضاع مع آخر عباراته ليقول بعدها بنبرة أكثر إتزانًا من ذي قبل :

- ويومها حاولت أجيلك كتير اوي ومنفعش خالص كان حتى ممنوع عليا أهوب ناحية

المطار الدولي لأني كنت عملت مشكلة كبيرة جدًا مع المدير وهو سببلي مشاكل هناك

وهنا نظر لها مطولًا بعتاب وهو يردف قائلًا بحزن :

-وفضلت اتصل بيكي وإنتي مردتيش، ومعرفتش أعمل إيه وفضلت كل يوم أتصل متعبرنيش وبقيت أعرف أخبارك من ماما أو بابا !

ظلت كما هي مشيحة بوجهها عنه، فأدار وجهها قبالته و أخذ ينظر إليها بهدوء قليلًا قبل أن يقول :

-يابت إنتي تتوقعي إني ممكن أسيبك لوحدك للحظة من غير سبب! - دا إحنا روحنا في بعض+

لا حركة، لا كلمة أو نظرة، لا عزيمة لتثبت له
أنه مخطئ في كل الأحوال، لا محاولة
للتشاجر و التجادل أوالعناد ..

أين هي جويرية من كل ذاك ! ، ليست تلك
هي الفتاة نفسها التي كانت قبل سنة
تذهب وتأتي وعلى وجهها إبتسامة مشرقة،
تضيء كونًا بأكمله ...

ليست هي تلك التي ذهبت وتركتها قبل
عام مغلفة بالحياة، صحيح هو يذكر أنه قبل
أن يتركها كان حزن دفين يظلل عيناها لما
حدث معها بعد تلك الفاجعة ولن ينسَ يومًا
أن كان يرها دامعة العين حين يدخل عليها
خلسة ..

لكنها كانت أقوى بكثير .. كانت تتحمل
الحزن وتقول أنها بخير، وتجعل أقرب
الأقربين يصدق الأمر إلاهُ ..

ولكنها الآن صارت مختلفة تمامًا، صارت هائمة الروح غائمة القلب .. صارت أُخرى !+

كيف لها أن تسامحه كيف !، كيف لها أن تتناسى كل ما فعله غيابه عنها، وذلك الأثر العميق بأن أحد أقرب الأقربين إليها تخلى عنها !

كيف لإمرئ أن يتحمل خيانة وخَسارة داعمه الأكبر !

بل كيف لها هي أن تشرح له أن كل المبررات لن تكفي لتبرر فعلته ! ، لن تكفي أبدًا !+

ضمها بقوة شديدة إلى قلبه، وهو يقول بثبات :

-جويرية، أنا بقولك كل اللي حصل دا كان خارج إرادتي، مكنتش عارف أتصرف

هزت رأسها عدة مرات نافية كل ما يقول، وبنبرة مختنقة قالت هي :

-واللي راح مني، وكل اللي واجهته لوحدي، إنت كدبت عليا لما قولتلي إنك عمرك ما هتسيبني لما أحتاجك !

أغمض عيناه بألم، وبدفء النبرات أردف هو بـ :

-بس أنا مقدرتش أجيلك، والله ماقدرت، أنا كنت بتعذب لما أشوفك في مشكلة ومش عارف أقف جنبك !

تنهدت الأخرى بإنهاك، وأسندت رأسها على صدره، ولم تعد تريد الحديث، كفاها هذا العتاب، كفاها ذاك الألم، ولربما إن ضَعُفت قليلًا الآن هناك من يتحمل عنها !

وعند تلك النقطة .. شعرت ببعض السكينة تتسرب إلى قلبها وأغمضت عينيها تاركة لروحها العنان لتستمتع ببعض الدفئ الذي يحتويها ...+

لن تتحدث بعدها ..

ولن يطالبها هو بالمزيد .. فقط دقائق بين ذراعيه لربما تهدأ، أو يعيد إليها القليل من الماضي ....!!!+

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

١١

+

لفصل الحادي عشر :

كان براء جالسًا على أحب المقاعد في المشفى، وكانت قدماه تتحرك بإتزان وهو يراقبها وهي مكتفة يديها وجالسة بجانبه بهدوء، مستندة على مسند المقعد خلفها، ناظرة إلى الفراغ ..

هدأت قدماه قليلًا، ومن ثم قرب يده إلى وجهها ووراى بعض خصلات شعرها التي تسللت خارج حجابها ..

أما هي فنظرت فقط إلى يده ولم تحرح ساكنًا ...

تنهد هو بحزن على حالها، وأعاد سؤاله عليها بنبرة أكثر هدوءًا بـ :

-جوري مالك! إيه اللي جرالك و.. وخسيتي كدة ليه؟

أجابته بفتور دون أن تنظر له بـ :

-عادي

قطب هو حاجباه، ونظر لها بضيق وهو يقول بنبرة شبه منفعلة :

-إيه اللي عادي

ثم تشنجت نبراته، وإزاداد إنعقاد ما بين حاجبيه أثناء إردافه بـ :

-إنتي شايفة نفسك! إنتي كدة بتموتي نفسك بالبطيء!

-إتعودت

-وأنا مش متعود أشوفك كدة!

ثم حاول تهدأة نفسه وهو يقول ملطفًا للجو :

-على فكرة أنا أصلًا جاي من المطار على هنا وماما نفسها متعرفش إني جيت، عدي الجمايل بقى

-مكنتش تتعب نفسك

قالتها ببساطة وهي تقف ...

وحينها وسارت مبتعدة عنه متجهة نحو غرفة والدها، فسار هو متجهًا إليها حتى ووقف أمامها

زفرت بضجر حين رأته أمامها ثم ...

جويرية بنبرة هادئة :

-عاوزة أشوف بابا إبعد

ترك لها المجال لتعبر، وعبر هو أمامها، ثم ذهب معها قبل أن يقول باسمًا :

-طيب أنا جاي معاكي

لم تمنعه هي بل تركته يمر معها وحين دخلا إلى الغرفة كان عبد القدوس قد إستيقظ

وحين دخلا إليه طالعهما بنظراته المشتاقة، ومن ثم أردف قائلًا بإبتسامة وهو يرمق براء :

-براء! معقولة!

ضحك الأخير وهو يتقدم نحوه، ثم أجاب على تساؤله قائلًا بروية قبل أن يقبل يديه ورأسه :

-أيوة يا عمي، إزيك إنت عامل إيه الوقت؟

حينها كانت جويرية واقفة مكتفة اليدين تنظر إليهما ببعضٍ من الجمود ..+

-أنا كويس يابني الحمد لله وإنت عامل إيه وإيه الغيبة الطويلة دي كلها؟

نظر براء حينها لجويرية قبل أن يجيب بفتور بـ :

-كانت ظروف والله يا عمي

وضع عبد القدوس يده على كتفه وقال بود :

-المهم إنك رجعتلنا بالسلامة

أومأ الأخير وهو ينطق بهدوء بـ :

-أيوة الحمد لله

نظر عبد القدوس لإبنته وأشار لها بيده أن تأتي، فذهبت نحوه بوجه قد تجهمت ملامحه ...

ونظر للإثنين بعطف وهو يقول :

-ممكن أطلب منك طلب يابني

-طبعًا يا عمي إنت محتاج تسأل!

نظرت له جويرية وقد توقعت طلبه، فأردفت هي بـ :

-لأ مش هروح يا بابا، أنا عاوزة أفضل هنا

نظر لها والدها بعناد قبل أن يردف قائلًا :

-أيوة يا براء عاوزها تروح البيت، عشانعشان من ساعة ما أنا تعبت مسابتتيش،والمشكلة أصلًاإنها تعبانة جدًا من كام يوم ومبتقولش

-لأ أنا كويسة

نطقت بها جويرية بضيق

فقال براء وهو يتفحصها بنظراته :

-أيوة والله أنا حاسس إنها تعبانة، أصلًا وشها دبلان خالص!

نفخت هي بتأفف، وأبعدت نظراتها عنهما فأعاد عبد القدوس حديثه بـ :

-المهم خدها وروحها البيت حتى لو بالغصب عشان أنا مكنتش عارف أخليها تروح لوحدها، حتى لو ينفع تبات معاها النهارضة .....!!!+

+.....

كانت تجهش ببكاء عنيف أثناء ركضها في الشارع بثيابها الممزقة بوحشية، وشعرها شعث بعدما حدث!

لم تكن تدري إلى أين تذهب هي، لكن كان همها الوحيد أن تبتعد عن تلك الشركة بالكثير والكثير من الأميال ...

لم تتوقف أبدًا فقد ظلت تركض وتركض غير عابئة لآلامها الحادة ..

فقد كان ذلك الألم لا شيء بالنسبة لما تعانيه الآن، وجع في روحها، هتك في عرضها،

جرح في شرفها، وقد شعرت بأنه قد مات قلبها ...

تشعر بكل ما هو أسوء من السوء، وأفظع من شعور ضحية قطعوا لها قدماها قبل ذبحها ..

كانت تشعر بالنفور .. بالنفور الشديد من نفسها، كيف سمحت له أن يتخللها، وبكل شهوة يقهرها!+

بكت هي حتى إختنقت أنفاسها، وإصطدمت بأحدهم فوقعت أرضًا ... لم تستطع النهوض بعدها أبدًا ..

نظر براء لتلك التي اصطدمت به، وقبل أن ينطق بحرفٍ وجدها تتهادى حتى تقطت تمامًا، فنظر مصدومًا لها ثم إلى جويرية التي كانت واقفة بجانبه ..

نظرت له جويرية بصدمة في البداية، ثم وحين تعرفت عليها تحولت نظراتها إلى الفزع

و ..

-دي فيروز!

نطق بها الإثنان سويًا وهما يهرعان إليها ..

ربتت جويرية على وجهها وهي تناديها بقلق قائلة :

-فـ فيروز، فيروز فوقي

نظر لها براء ثم مد يديه نحوها ليحملها وهو يقول بجدية :

-الأول نوديها على البيت وبعدين نحاول نفوقها

أومأت جويرية رأسها وحاولت مساعدته في حملها، إلا أنه وضهةع إحدى يديه خلف

رقبتها والأخرى أسفل ركبتها وحملها بسرعة

.. وسار بها متجهًا إلى منزل جويرية ....!!!+

+.....

كانت جالسة على أرض غرفتها تبكي،

بصوت عالٍ وقد قارب صوتها الصراخ ...

وقد كانت يداها الإثنتان تجذب خصلات

شعرها بقوة، ثم وقفت فجأة وصارت تهدر بـ

:

-لاااااااا

ظلت تصرخ لدقائق، وتتفوه بسباب غير

مفهوم أحيانًا وأخرى كلمات حزينة سريعة

+..

وكانت كل من في المنزل مجتمعين خلف

باب غرفتها الذي أغلقته خلفها بالمفتاح

يحاولون فتح الباب ..+

تهادت على الأرض بعدها بألم وصمتت
فجأة، فأرهبت كل من بالخارج وإزدادت
الطرقات عنفًا بلا جدوى ..+

ثم صرخت فيهم بعدها بصوت متشنج :

-إبعدوا عني، كلوا يبعد+

أتاها صوت أحدهم من الخارج قائلًا بقلق :

-يـ... يا هانم إفتحي بس ومتعمليش في
نفسك كدة، دا قدر ربنا وكلنا بنموت في
النهاية+

ظلت هي تبكي بقوة أكبر وتنعي حظها ..
وبنبرة عالية أردفت بـ :

-إشمعنا أنا اللي بيحصل معايا كل دة لييه!
لييييييه!!!+

إستندت بظهرها على السرير ومن ثم تحولت نوبة الصراخ والعويل إلى الضحك الهستيري، ظلت هي تضحك لفترة ثم ...

هدأت قليلًا وهي تقول بنبرة متحسرة :

-قالي خدي الموبايل وكلميهم وهو كان عارف إنهم ماتوا من أربع أيام

إمتلأ وجهها بالعبرات، وهي تصيح بنبرة غاضبة :

-هو كان عارف، أيوة كان عاااارف و.. ومقاليش، سابني أعيش على أمل مش موجود، دمرني+

إزداد نحيبها أكثر وهي تضرب رأسها من الخلف بالسرير بقوة قبل أن تتابع قائلة :

-دمرني، ماما متت وبابا مات، كلهم مـ. ماتوا، سابوني وراحوا، سابوني لوحدي، مع الحيوان ده

أغمضت عينيها بألم وهدأت من نفسها قليلًا تتذكر بأسف ما قاله الطبيب لها صباحًا ..+

فقد أعطاها بيجاد الهاتف قبل أن يذهب ويتركها قائلًا لها :

-خدي كلمي أمك عشان خنقتني إتصالات بقالها كام يوم

وإقترب منها عدة خطى إلى أن مد يده إلى ذقنها وإعتصرها بيده بشدة وهو يهمس بخفوت محذرًا :

-بس لو عرفت إنك حكيتيلهم حاجة عن إللي بيحصل بينا، اليومين اللي فاتوا دول إنتي ماشوفتيش حاجة مني

دمعت عيناها وسقطت إخدى عبراتها الحارة على يديه .. فزفر بضجر وتركها ..

ثم وبنبرة باردة قال :

-أنا عملتلك حاجة عشان تعيطي، أنا بوضحلك بس+

ثم تركها وذهب فأمست الهاتف بسرعة وهاتفت والدتها

ظلت تعيد الإتصال عدة مرات بدون جدوى إلى أن أجابها أحدهم، وقد كان صوته مجهولًا لديها ..

وبكل بساطة أخبرها المجيب بـ :

-يا هانم أهلك ماتوا بحادثة عربية من ٣ أيام وإحنا من ساعتها بنتصل ومحدش بيرد علينا

جحظت عيناها، وقد دق قلبها فزعًا حتى كاد ينفجر، وتسارعت أنفاسها بشدة

ثم تحشرج صوتها وظهر الرعب جليًا فيه أثناء قولها :

-آآ لأ إنت بتكدب أكيد!

-لأ مش بكدب وهما لسا مدفونين بس إمبارح بالليل لما يأسنا إن حد يرد، وهما في الجبانة إللي جنب**** في****+

وقعت هي حينها مغشيًا عليها .. وحين أفاقت كان الخدم مجتمعون حولها ولم رتذكر حينها إلا أنها صارت يتيمة وحيدة ..

لم يكن الألم فقط ما شعرت به، بل الحسرة والشجن، وأعطتها حياتها حينها لونًا آخرًا من ألوان العذاب، ألا وهو ألم "اليُتم" ...

هي لم تعلم للحظة ماذا حدث! كل شيء ترتب خلف آخر وكل حدث إنطوى في حياتها يُعاد فتحه ..

في البداية تزوجته تحت مسمى "الحب" وبالفعل كانت هي قد أحبته بصدق المشاعر والأحاسيس ليريها بعدها وجهه الجديد!

لن تنكر أنه لم يكن يتصرف معها بوحشية في البداية، إنما كان هو الرجل الذي أحبته، ولكن لا تدري ما حدث بعدها فكل شيء قد تبدل وصارت في كل مرة تعاني فيها من جفائه، وغليظ كلامه، تتذكر حوارها مع والدتها حين نهتها عنه فأخذته قصرًا، فقد كانت والدتها تنصحها دومًا بالإبتعاد عنه، فهي لم تكن تريد لإبنتها أن تتركها وتقيم في دولة أخرى بعيدة! وبالإضافة إلى ذاك ... كانت تخبرها دومًا أنه ليس القرار الأمثل، فترفض

هي ببساطة وتعطيها رأيًا صريحًا حوله... هو أنه شرقي وهي تريد الزواج برجل يغار عليها ويحبها وهو كذلك!

وكان دور والدها في الأمر.. أن إعترض في البداية ثم دعمها حين لم يجد مفرًا من الأمر، فقد كانت المدللة لديهم!

ومع مرور الأيام إتضح لها أن والداها الحبيبان كان معهما كل الحق في ما قولوا ... ولكن أين هما الآن!

تحت التراب ... كما تنتهي حياة البقية، إنتهت حياتهما في حادث مريع أدى إلى وحدتها الأليمة!+

تمنت هي حقًا لو يعود بها الزمن فلا تترك منزل والداها ...

تمت لو ترتوي من نبع حنان والدتها الفقيدة،
وترتمي فى أحضان والدها الراحل+

أفاقت هي من ذكرياتها وبدأت تمسح
عبراتها المنسابة ..

ثم دلفت إلى الحمام المتصل بغرفتها
وغسلت وجهها وقد ملأ شعور القهر روحها
...

صدأ قلبها من كل ما حولها، ويجب عليها
الآن أن تنهي حياتها، فماذا بقي لها لتبقى
بها؟

إستُبدل الشخص الذي حسبته حبيبها يومًا!
ورحل عنها ضوء الشمس في حياتها! رحل
الضوء والأمل

رحلت السعادة ورفرفت بعيدًا على غيرها،
إلاها+

ولكن قبل أن تفكر في أن تنهي على البقية الباقية في حياتها، يجب عليها أولًا أن تصب جام غضبها على من دمر حياتها، ومات بسببه والداها!

فهما قد لقيا حدفهما هنا، بعد أن كانا في الطريق إليها!+

وهي الآن ستنتقم لكل شيء .....+

نظرت لوجهها الذابل في المرآة، وبنبرة حقد جلية قالت :

-حياتهم بتمن حياتك يا بيجاد.....!!!+

.....+

وصلت جويرية إلى المنزل وبرفقتها كلًا من براء وفيروز ..

وبعد أن فتحت الباب بنسختها الخاصة دلف
براء الحامل فيروز ووضعها على سرير
جويرية بعد أن ولج إلى داخلها ...

وبنبرة قلقة هتفت جويرية قائلة :

-فيروز قومي!

ثم جلست بجانبها وظلت تفرك يداها
الإثنتان علها تستفيق .. ولكن كان كل هذا بلا
جدوى فقد كانت كمن ينتظر الفرصة للفرار
من الواقع!+

نظرت جويرية لبراء الذي إبتعد عنهما قليلًا
وولاهما ظهره لمراعة ما وصلت له الأخرى،

وبنبرة هادئة وهي تقف متجهة إليه قالت :

-خلاص تقدر إنت تروح دلوقتي عشان إنت
لسا جاي من السفر وآآ

هز رأسه نافيًا وهو يقاطعها بـ :

-إنسي، عمي قالي أخلي بالي منك، وأنا مكنتش مستنيه عشان أعمل كدة

زفرت هي بنفاذ صبر ونظرت نحو فيروز وهي تقول :

-أنا مش لوحدي الوقت، وكمان عشان ...

خرج من الغرفة وقال وهو يسير مبتعدًا عنها :

-أنا فاهمك بس مش عاوز أسيبك لوحدك وكمان ماما متعرفش إني جيت أصلًا!

أخرجت دبوسًا من منتصف حجابها وهي تنزعه عن رأسها، وبإحتقان أردفت بـ :

-طب أعمل إيه الوقت هي مش بتصحى!

تنهد هو بإرهاق وبنبرة حذرة قال :

-سبيها للصبح ويمكن هي تفوق بنفسها

هزت رأسها نافية قبل أن تردف بـ :

-مينفعش، طب بص إنزل إنت هات شنطك من العربية تحت، وتعالى نام النهاردة في أوضة بابا وأنا هحاول أتصرف معاها

-طب نجيب دكتور!

قالها بنبرة متسائلة لإشفاقه عليها ..

فأردفت هي حينها بنبرة حزينة بـ :

-طب .. الأول بس أصحيها وأجيبلها هدوم تانية

أومأ رأسه مستفهمًا وبنبرة خفيضة قال :

-طيب أنا نازل أجيب الحاجة ...+

+.....

حالما ذهب هو أسرعت نحو المطبخ
وأحضرت كأسًا من الماء وأسرعت به نحوها

..

وحينما إقتربت منها نظرت له بإمعان فقد
كان وجهها يظهر عليه فراغ إنحدار الدموع
من مآقيها، وقد إزداد عبوس وجهها بشكل
ملحوظ

دنت هي منها وإبتلعت غصة مريرة في
حلقها، فهل من المعقول أن ما تشك به
هي الآن حقيقة!

لو كانت حقيقة فالجاني قد جنى على نفسه،
فلن ترحمه هي!+

سكبت هي بعضًا من قطرات الماء داخل
يدها، ثم نثرتهم على وجهها وهي تنادي
بخفوت بـ :

-فيروز قومي يا حبيبتي

أعادت الكرة حين لم تجدي المرة الأولى نفعًا .. وبالفعل وجدتها جويرية تنتفض فجأة وهي تصرخ بـ :

-إبعد عني لأ ... إبـ آآ إبعد

تعالت أنفاسها، وإزدادت شهقاتها بصورة خطرة وهي جاحظة عينها في الفراغ .. وقد أخذت تبتعد وتتراجع للخلف منكمشة على نفسها وهي ترتجف ...

وما إن رأتها جويرية بتلك الحالة حتى وضعت يدها على كتفعا لتهدأها و...

جويرية بنبرة حانية :

-إهدي يا فيروز أنا معاكي أهو

ظلت فيروز تشير إلى نقطة مجهولة وهي جاحظة العين وتهتف بنبرة مرتعدة بـ :

-هو ... هو جاي عندي

ضمتها جويرية لتهدأ من روعها وظلت تربت على ظهرها بهدوء ..

ومن ثم تكرر بنبرة دافئة :

-هو مشى خلاص أنا اللي موجودة هنا الوقت

لم تهدأ كثيرًا بل ظلت ترتجف بقوة ثم تحولت حالتها من الصراخ والعويل إلى الباء والنحيب ..

وظلت تردد بعض الكلمات الغير معلومة وهي تجهش بالبكاء ..

وبنبرة متقطعة ظهر فيها أنها بدأت تدرك ما حولها قالت :

-جـ.. جو.. جويرية!

-أيوة أنا جنبك أهو

قالتها بحنو بعد أن نظرت لها بحزن

فنظرت لها فيروز بأعينها المبللة بدموعها وهي ترتجف، ثم إختبأت فيروز في حضنها وهي تأن فأغلقت جويرية يدها عليها وظلت تردد بعض الكلمات المهدأة ...

حينها قالت فيروز بنبرة متقطعة :

-فـ.. فضلت أقووله يبعد عني.. فضلت أأ أترجاه و آآآ

ثم دخلت هي مرة أخرى في إحدى نوبات البكاء الحادة وإنخرطت بها ..

ظلت حينها تربت على ظهرها بهدوء ولم تسألها سؤالًا واحدًا وحين كانت تتحدث لا تقاطعها فلربما كان ذلك الأفضل بالنسبة لها ...+

كانت جويرية تشعر وكأن قبضة من جمر أشعلت فتيل الحريق في قلبها على ابنه خالتها المسكينة وقد كانت دومًا بمثابة الأخت لها ..

ولم يمنعها عنها في الأيام السابقة إلا ما مر بها من إضطرابات في حياتها حالت دون أن تعلم عنها شيئًا .. وقد تناسيت مع مرور الوقت ما إشتكت هي لها منه!

والآن هي حقًا تشعر بالندم على تركها لها تواجه كل ذلك وحدها بدون أن تكون ندًا لأي شخص يعترض طريقها ...+

نظرت لها بأسى، ثم حاولت إخفاض نبرتها وهي تقول :

-هو دا نفس اللي... اللي قولتيلي عليه؟

إزداد نحيبها وهي مطأطأة رأسها - وكانت تلك إجابة كافية بالنسبة لجويرية التي إكفهر وجهها أكثر وأخذت تضمها بشدة أكبر وقد شعرت بفظاعة ما تشعر به فيروز الآن ..

فهناك ميزة كونها فتاة لا تظهر مشاعرها - تغطيها بطبقة من الجليد لكي تخفى - ولكن ما لا يعلمه أحد .. أن تلك باردة المشاعر هي أكثرهم تأسيًا بكل من حولها ولربما تشعر بالعذاب بمثل ما يشعرون هم به ...

فكونها قوية صارمة تستطيع الدفاع عن نفسها وعن عرضها بكل ما أوتيت من قوة لا يجعلها تستعلي على من هم أقل منها قوة!

لا يجعلها تُشعرهم بوهنهم!

بل ثمنى مساعدتعم دومًا والوقرف إلى جانبهم، لذلك وبدون تفكير حتى أبعدتها عنها قليلًا ..

ثم رفعت لها رأسها بيديها، ونظرت إلى عينها مباشرة وهي تقول بنبرة محذرة :

-إرفعي راسك إنتي معملتيش حاجة غلط، إللي بيغلط هو اللي بيتعاقب فهماني+

زاغت نظراتها وقد أصبحت الرؤية ضبابية أمامها بسبب الدموع العالقة في مآقيها ...

وهزت رأسها نافيةً وهي تخفضها شيئًا فشيئًا، وإستطاعت بصعوبة شديدة النطق بترحٍ بـ :

-طب ليه، أنا .. آآ أنا عملتله إيه؟ .. طب إنتي قوليلي يا جويرية أنا أذيته في إيه عشان يعمل فيا كدة!

ظلت هي تبكي بشدة أمام ناظري جويرية المتأسية على حالها ...

فتارة تمد يدها لتحاول إيقاف نوبة الإنفعال الحادة التي تصيبها، وأخرى تحاول ضمها لتهدئ من روعها.+

مسدت على شعرها برفق وهي تحاول تهدأتها بنبرتها الحانية بـ :

-كل حاجة هتبقى كويسة، متخافيش وإهدي بقى عشان خطري+

تشنجت الأخرى بين يديها ثم صرخت بقوة لتفرج عما في صدرها من ألمٍ وحزن فتركتها جويرية تريح تصرخ وتبكي لربما ترتاح

فهي أكثر من يعلم كم لهذا أثرٌ مفيد!+

ولكنها حين سمعت الباب وهو يغلق في نفس التوقيت الذي صرخت فيروز به، لم تُرِد لبراء أن يدخل عليهما فهي الآن ليست في كامل حُلتها التي من المفترض أن يراها هو بها .. ولم ترد أيضًا تركها للحظة لذلك ...

أردفت بنبرة شبه عالية بـ :

-براء متدخلش علينا

أتاها صوته القلق بالخارج، وقد كان على وشك الدخول بـ :

-كل حاجة تمام !

تنهدت هي في حزن وهي تلك المسكينة منكمشة داخلها، متشبثة بها باحثة عن الأمان الذي إختفى عنها لفترة طويلة.... طويلة جدًا

ولكن بالرغم من هذا إضطرت أن تردف بنبرة هادئة بـ :

-أيوة، روح إنت نام

-طيب

قالها هو من خلف الباب حينما أجبرته هي على تركهما ..+

شعرت جويرية بالقلق حين وجدتها قد هدأت تمامًا فجأة، وكادت أن تتحدث إلا أن فيروز قاطعتها بهدوء مريب بـ :

-خديني على الحمام

نظرت لها جويرية بتوجس تجاه حالة الهدوء التي سيطرت عليها فجأة، ولكنها لم تستمر على صمتها طويلًا بل نزلت سريعًا من على السريرممسكة بيدها آخذة إياها معها، ثم فتحت باب الغرفة بحذر وخرجتا حين لم تجدا براء بالخارج ...+

ساقتها إلى الحمام الملحق بالمطبخ .. وأوقفتها أمامه وهي تقول لها بنبرة هادئة :

-إدخلي إنتي وخدي شاور وأنا هجيبلك هدوم تلبسيها

أومأت فيروز رأسها مرة واحدة وهي تدلف إلى الحمام، مطأطأة الرأس منكسرة الجناح حبيسة آخر ذكريات حياتها مع من جعل منها شبحًا لفتاة كانت موجودة يومًا ما...+

+.....

كان صهيب ممددًا على سريره محدقًا بسقيفة غرفته البيضاء ...

كانت عيناه محتقنتين ووجهه شبه متشنج، وقد تقوس حاجباه تقوسًا بسيطًا ..

تنهد هو بألم حين صارت أشباح ماضيه العكر تطارده من جديد، وأغمض عينيه عله يستطيع إبعادها عنه، وتنظيف ذاكرته منه ولو لساعات قليلة من هذه الآفات، لكنه لم يستطع إلا أن يستطرد أحداث ماضيه من جديد ..

وكأن ذاكرته تعاقبه على شيء لم يقترفه يومًا...

وكأنها تسير خلف جميع أهوائه فقط لتعذبه وتذيقه مرارة محتواها مرة بعد مرة ..+

+.....

كان الصغير صهيب قادمًا من الحديقة الملحقة بمنزلهم، وهو في طريقه إلى غرفته سمع صوت صراخ أحدهم يأتي من غرفة والده، فإقترب من الغرفة لكي يلم بما يجري من الأمور ونظر من خلال فتحة في الباب لـ +...

-أيوة ما إنت بتاخد كل حاجة ليك، إنت مش مكفيك الورث كله إللي بابا الله أعلم ضحكت عليه إزاي وخليته يكتبه كله بإسمك!

صاح بها معتز بغضب وهو يحدج جلال بتلك النظرات المتلظية

زفر جلال بضجر وهو يتابعه بأعينٍ جليدية، قبل أن يتحرك نحوه بسرعة ويقف أمامه، ثم وضع يده اليسرى على كتف أخيه ..

وبنبرة مالَّة أردف بـ :

-معلش بقى كل شيء قسمة ونصيب!

ثم أنزل يده فجأة وقال حين تبدلت نبرته إلى الجدية فجأة :

-وبعدين عادي يعني بابا كتب الورث بإسمي لأن أنا الكبير وأستحق كل دة، وأنا أكتر واحد ساعده وتعب معاه و..آآ

بسخرية قاطعه معتز بـ :

-أرجووووك - مش عليا أنا قولي عملت إيه عشان تاخده!

ضحك الأخير متسليًا وإبتعد عنه عدة خطوات محسوبة الأمد، وبدون تردد قال :

-يعني إنت مزهقتش من السؤال دة، من عشر سنين وإنت بتسألهولي - مزهقتش!

صر الأخير على أسنانه وهو يقول بنفاذ صبر

:

-عاوز إجابة واضحة؟

-ماشي هقولك

سار جلال عدة خطوات حتى توقف أمام مكتبه، وتناول مفتاحًا من جيبه قبل يمد يده ليفتح به أحد الأدراج ..

وأخرج منها بعض الأوراق، ثم إتجه به نحو الأخير الواقف على مقربة منه

وقال بعدها بنبرة هادئة وهو يره الأوراق واحدة تلو الأخرى بـ :

-شايف دا ورق أحقية التصرف في أملاكه ودا التوكيل بإسمه اللي بيسمحلي أمشي كل الشغل بتاعه، أما دا بقى ورق الورث اللي

كتبه كله بإسمي الله يرحمه بقى كان طيب وعلى نياته ...

-ازاي!

نطق بها معتز متسائلًا بفضول وهو يضيق عينيه

أجابه جلال بخبث بـ :

-إنت عارف لما تكون دراع أبوك اليمين لا يمكن أبدًا يشك فيك، ومن غير ما يقرأ هيمضي كفاية إنها جاية من ابنه!

إتسعت مآقيه بسخط وقبض على عنقه هادرًا به بنبرة غاضبة :

-أنا كنت عارف إنك حقير وزبالة وبتلجأ دايمًا للطرق الملتوية

كاد الأخير أن يختنق فوضع يداه على يدي معتز المطبقة عليه وحاول إنتزاعها بصعوبة حتى إستطاع في النهاية نزعها

ثم صاح به جلال قائلًا حينها :

-يعني إنت عاوز تموتني عشان الورث ومش هامك مراتي الأولة اللي قتلتها!

هدر به الأخير بهياج بعد أن سدد له لكمة قوية في أنفه جعلته ينزف بشدة بـ :

-أنا مقتلتهاش وإنت عارف كدة كويس

صمت هو قليلًا ليلتقط أنفاسه قبل أن يتابع بنبرة ممتعضة وهو ممسك بسترة جلال :

-أنا كنت بحبها وإنت عارف وخدتها مني عشان تحسرني

عليها.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

١٢

+

الفصل الثاني عشر :

دفع جلال معتز بقوة أسقطته أرضًا، ثم جثى على ركبته ليمسك به من تلابيبه ويوقفه على قدميه وهو يقول صارًا على أسنانه :

-أنا مخدتهاش عشان أحسرك عليها يا غبي، أنا خدتها عشان حبتها بجد ! وإنت، .. وإنت قتلتها !

نظر له معتز بسخط و دفعه بقوة ليبعده عنه ثم ...

معتز بنبرة حادة :

-أنا مقتلتهاش، دي كانت حادثة، وأنا إتعذبت على فراقها أكتر منك ! وإنت لما إتجوزتها كنت عارف إني بحبها

-مش ذنبي لو حبيت نفس اللي إنت حبتها وهي إختارتني أنا...+

لم يكن الصغير بالخارج يفهم شيئًا من ذاك الحديث الغريب عن الورث أو ما شابه، في حين أنه كان يعلم أن والده قد تزوج بأخرى قبل أمه، فلم تكن تلك معلومة جديدة فقد إعتاد على سمعها من والدته ووالده عند إحتدام شجارٍ بينهما،

لكنه حين وجد من يضرب والده وضع يده على فمه في ذعر، وبدأ يرتجف وإرتعدت أواصله... فدونًا عن أي أحد هو يكره ذلك الـ"معتز" كثيرًا، ويشعر بالخوف من مجرد لقياه، فوجهه يوحي بالشر دومًا...

لذلك شعر حقًا بالرعب حين وجدهما يتشاجران ..

إكتفى هو بمشاهدة المشادة بالداخل، في صمت مع بعض الشهقات، والإرتجافات التي تلي أي ضربة يتلقاها أحدهم..+

-صح مراتك ماتت بس قدرت تتجوز بعدها وتجيب ولد وعايش حياتك بفلوسنا !

قالها معتز بحقد جلي في نبرة صوته ..

فنطق الأخير محذرًا بغضب :

-وإنت مالك ؟ إبعد عننا مش عاوز أشوف وشك هنا تاني إنت سامع، يلا غور من وشي

ضحك هو ساخرًا لوهلة وبدون أي أثرٍ للمرح أردف يستوعده وهو يرفع إصبعه مشيرًا إلى أخيه بـ :

-أسبوع ... أسبوع واحد بس عيش وإتهنى فيه إنت وعيلتك، وبعدها هدمركم كلكم إنت سامع يا جلال، هدمركم كلكم ...

ثم إندفع خارج الغرفة في حين جرى صهيب مبتعدًا حين رآه يقترب من الباب+

.....+

وبالعودة إلى الحاضر ...+

زفر صهيب بغضب ناتج عن كل تلك الذكريات الأليمة ....

وبسرعة شديدة إنتصب واقفًا من وردد بهدوء غريب :

-كان نفسي أنتقم منكم كلكم بإديا الإتنين دول..

ركل الكرسي الذي أمامه فوقع قبل أن يردف هو بغضب بـ :

-كلكم إتنجدتم مني، كلكم مجرمين+

+.....

ظلت جويرية جالسة بجانب فيروز التي لم يغمض لها جفن وظلت تنظر إلى الفراغ بدون أن تدع للأحرف ملجأ من شفتيها ..+

وكانت هي جالسة متألمة لحالتها، فقد كان يَشُّقُ عليها أن ترَ ابنة خالتها على تلك الحال..

وبرغم صلابة أعينها وجمودها المعتاد إلا أن قلبها كان يتمزق أشلاءًا..+

-يا ريتني كنت قوية زيك !

قالتها الأخيرة الممدة عابسة بوجوم.. بعد أن سالت تلك القطرات من أعينها..+

قطرات مالحة تلك أم دماء تحترق !+

نظرت لها جويرية بشجن وردت عليها شاردة :

-برغم كل حاجة حصلتلك إنتي لسا برضوه أحسن !

دمعت أعينها أكثر وهي تقول بحزن :

-هو أنا أستحق ده كله !

كادت أن تجيب جويرية، لكنها سبقتها بالقول بعد أن جلست فجأة :

-أكيد أنا غلطت في حاجة عشان .. آآآ

وضعت جويرية يدها على فمها لتمنعها من المتابعة، ثم وبنبرة هادئة سألتها بـ :

-إنتي مجنونة ! إنتي ليه بتقولي كدة ؟

هدرت بها الأخرى بعنف بعد أن نزعت يدها
عن فمها بـ :

-عشان إحنا دايمًا بس إللي بنتلام
وبنتحاسب ! ، دلوقتي بعد كل اللي حصل
دة عارفة الناس هتقول عليا إيه ؟ طب ...
طب عارفة قرايبي حتى هيفكروا بإيه ؟

لم تجيبها جويرية وتركتها تفرغ كل شحنات
الحزن فالألم والقهر بداخلها - لربما تركتها
لتستريح - أو لأنها لم تجد ما تجيبها به !+

تابعت الأخرى بصوت أقل احتدادًا وقد
سعلت عدة مرات بعد تلك النوبة
الهيستيرية بـ :

-انا بكره حياتي، وبكره يوم ما روحت الشركة دي ... بس كنت مضطرة أفضل والله كنت مضطرة !+

نكست جويرية رأسها في حزن ولم تحرك ساكنًا، بل حانت نظراتها كثيرًا عن ذي قبل... فقد شعرت أن الزمان يستدير ويرجع لتلك النقطة التي بدأ منها عذابها..

شعرت أنها قد وقعت في نفس الهوة السوداء من جديد..

أهذا هو الشعور بالعجز !

حين تقف عاجزة أمام نفس المشهد مرتين..+

وعنوة تحررت عبرة واحدة .. فقط واحدة من عينها، فلم تشعر بها إلا حين وجدتها تسقط على يدها الموضوعة على السرير أمامها..

وبسرعة مسحتها ، وبددت أي أثر من للبكاء قبل أن تنظر للجالسة بجانبها تنعي حظها...+

لم تكن فيروز قد صمتت بل إزدادت عبراتها سقوطًا، ونبرتها شجنًا و تابعت ببكاء قائلة :

-كنت مضطرية والله إن أفضل أشتغل هناك عشان أجيب الدوا لامي .. أنا غلط في إيه !

لم تنتبه وهي تكمل للجالسة بجانبها والتي تتمالك نفسها بصعوبة شديدة، ومع ذلك لم تقاطعها.. وإنما تركتها تشكوا لها بثها لتريح صدرها ولو قليلًا...

فتابعت هي بنبرة تحمل الكثير من الأسى والألم بـ :

-أنا كنت خلاص هحضر حاجتي عشان
امشي قام خدني غدر ! و أخد شرفي من غير
إحساس، من غير قلب !

إستمرت الدموع تتساقط من عينيها وكأنها
أمطار قد فاضت كرمًا ..+

شعرت جويرية أن أنفاسها قد باتت تُعد..
ولم تستطع أن تسيطر على شعور الإختناق
الذي أصابها فجأة ..

فوقفت وإبتعدت عنها قليلًا ووقف في شرفة
غرفتها علها تهدأ قليلًا...+

+.....

وعلى الجانب الآخر...

وعلى الحائط في الجانب الآخر...

إستندت رأس براء وجلس ليستمع لما يحدث بالداخل، ليس تنصطًا بل ترقبًا.. وقلقًا ليس فقط على فيروز بل هو خائف حقًا على جويرية !

لقد توقع ما حدث لفيروز حين رآها بذلك الحال.. وتمنى لو يستطع أن يخفيها أولًا عن ناظري جويرية.

لا أحد ..

بالفعل لا أحد.. يستطيع أن يشعر بها كما هو.

فقد قضوا جميع مراحل حياتهم سويًا وإن لم يكن تحت سقف واحد لكنه يشعور بها، وبما يختلج في صدرها، ويرى بعيناه الشفافتين تمزُق قلبها..

وإن كانت أقوى فهي تتظاهر، وإن بالشجاعة إتصفت هربًا من الجبن !+

لكن الآن هو قلق عليها حقًا ..

لم يستمع حتى لصوتها لمرة واحدة ليطمئن من نبرته عليها..

فكل ما هي فيه الآن يتوقف على لحظات كتلك..!

هو واثق أن الأمر لن يمر ببساطة عليها ..+

لن يمر بكل تلك البساطة أبدًا عليها !+

صدم رأسه في الحائط خلفه عدة مرات وهو يردف بخيبة أمل بـ :

-هي ملحقتش تخف .. ملحقتش تنسى، أنا شايف الوجع ساكنها طب بعد كدة هتعمل

إيه لما يتكرر نفس اللي حصل تاني، بس في حد مختلف !+

+.....

إستطاعت جويرية أخيرًا وبصعوبة إستجماع بعض القوة لتعود إليها، وتجلس بجانبها

لتقول بهدوء وهي تنظر لصديقتها المنتحبة بعد أن أمسكت ذراعها اليمنى :

-هششششش خلاص الكلام اللي إنتي بتقوليه ده ملوش أي صحة !

نظرت في عينيها مباشرة بعد أن هدأت قليلًا وتابعت بـ :

-أنا عاوزة واحد بس يتكلم عليكي كلمة وإنتي هتشوفي أنا هعمل فيه إيه .. حياتك موقفتش هنا إنتي سامعاني !

هزت الأخرى رأسها بعد أن نكستها في أسفٍ
فرفعتها جويرية لتقابل عينيها بحفاوة
المشاعر الحانية قبل أن تشتعل مباشرة
بلهيب الغضب وهي تقول :

-لأ حياتك لسة زي ما هي ! مفيش حيوان
هيقدر يأثر عليها...

صمتت قليلًا لتتابع تعابيرها الذابلة المعبرة
عن التناقد في عقلها مع كل كلامها فزادت
نبرتها إصرارًا وإقناعًا وهي تقول :

-أنا بأكدلك إن محدش هيتنفس بكلمة
عليكي ! بس عشان خطري ما ..
ماتستسلميش !

عارفة إنتي حاسة بإيه دلوقتي وقد إيه
الموضوع صعب بس إنتي لازم بدل ما
تعيطي على اللي فات تفكري هتوصليه

للعذاب إزاي، هتدفعيه التمن إزاي مش تفضلي مسالمة !

نظرت لها فيروز بعد أن إنتبهت لها بكل حواسها، لكن ظهرت بعض أمارات التشاؤم على محياها وهي تهتف بـ :

-هه مستحيـل يتعاقب !

-واللي يحققلك المستحيل !

قالتها هي بثبات متصلبة العين، برغم بعض الأسى الظاهر داخلها لمن دقق النظر .. وليس لأي مدقق...

بل للمحترفين فقط..

ولكن على الأقل إستطاعت أن تعطيها بعض الأمل ولو كان بنسبة ضئيلة إلا أنه موجود .. وإستطاعت هي أن تره في عينيها بعد تلك الكلمات الجادة، الجامدة، الثابتة،..+

صمتا سويًا ينظر كل منهما للآخر بحزن وألم.

لكن جويرية قطعت ذاك الصمت وقد
لمعت عيناها ببريق عحيب فجأة بـ :

-عاوزة تتخلصي من كل اللي إنتي فيه !+

ثم قامت من على الفراش وتوجهت نحو
خزانة ملابسها، وأخرجت إسدالان ومن ثم
توجهت نحو الناظرة إليها بإستعجاب قبل أن
تردف بنبرة شبه طبيعية بـ :

-نصلي

مدت يدها لها بإحداهما فأمسكته الأخرى
بين نظرات حائرة وغائمة بين دموع مآقيها.

ثم تابعت جويرية قولها بإبتسامة شاحبة :

-الصلاة هتريحك، وأنا لسا ماصلتش العشاء
لحد الوقت، إنتي صلي وأنا هصلي

أجابتها فيروز بصوت متقطع بـ :

-بس أنا مش.. مش متوضية !

عبثت جويرية بشعرها بحنان وهي تقول بهدوء :

-ولا أنا حتى تعالي نطلع نتوضي !

أومأت الأخرى رأسها مرتين وهي تنزل من على السرير فساندتها جويرية ليخرجا...

لكن جويرية كانت واثقة من وجوده في الخارج لذا جعلت نبرتها أعلى قليلًا وهي تقول :

-يلا نطلع يا فيروز...!!!

+.....

جلس الأخير في الجانب المقابل يستمع إلى نبرات صوتها ... لم يرَ مثلها قط !

نبرة باردة برغم دفئها !

متفائلة برغم شجنها !

هادئة برغم حزنها، غضبها، ألمها،... كيف لها أن تفعل !

وتتظاهر بالقوة في أوج العاصفة !+

وبنبرة إصرار قال هو :

-القضية دي بتاعتي !

لكن فجأة سمع صوتها وكأنها تحذره بخروجهما وبسرعة ذهب إلى الغرفة المجاورة أغلق عليه الباب .. '

وبعد دقائق...

وحين تأكد من دخولهما الغرفة خرج ثانية لكنه جلس بجانب النافذة تلك المرة يراقب المارة في الطريق بوجوم شديد..+

بعد مرور بعض الدقائق الطوال خرجت جويرية من غرفتها وأغلقت الباب بعدها بحذر.

قبل أن تنتبه للجالس بجانب النافذة..+

أولته ظهرها وهي تتقدم عدة خطوات لتصل للنافذة الأكبر في بيتهم ..

وبنبرة تُؤَدَة أردفت بـ :

-روح نام ومتقلقش

بمجرد أن رآها وهي تخرج وقف بسرعة وإقترب منها حتى وقف امامها.

فتحركت تتجنبه ثم وقفت أمام النافذة ووضعت يدها على السور...

فلمحها بنظرات حزينة ثم جاورها في وقفتها

و...

بهدوء قال :

-هي عاملة إيه !

لم تنظر له فهي تعلم أنه سيكشف نظراتها الملتاعة، فأجابته بنبرة خفيضة بـ :

-شبه سوفانا بالظبط،

صمتت قليلًا قبل أن تتابع بإصرار قائلة :

-بس.. بس أنا مش هسيبها تواجه نفس المصير

تنهد الأخير بأسى قبل أن يقول لها بنبرة تحمل الثقة بـ :

-وأنا واثقة إنك هتقدري تساعديها وتقفي جنبها زي ما وقفتي مع سوفانا وأكتر كمان !

أومأت جويرية رأسها ولم تعقب، وظلت تنظر على المُشاة بدون أدنى تركيز.

وحين طال صمتها، وأدرك هو

أنها لن تتحدث، قال ناظرًا لها :

-لحد امتَ !

بروية أجابته متهكمة وهي تبتسم بـ :

-إنت بنفسك شايف، حتى الزمن مش عاوز ينسيني !

غاص هو في أعماق أعماق صوتها الذي يبدوا للوهلة الأولى مجرد صوت بنبرة تهكم عادية، لكنه أدرك ما تشعر به، فكم من نبرة تظهر الفرح على خلاف ما تبدوا !+

نظر لها بثبات محاولًا إخفاء حزنه عليها عنها فهي لا تحتمل المزيد !

ثم وبنبرة مشجعة يحاول بها إستدراجها للكلام أردف بـ :

-هتفضلي عايشة كدة كتير !

-زي ما إنت شايف !

مسد على شعرها بحنو فلم تبعده.. وإنما نظرت له بسيل من المشاعر المتضاربة..

حينها فقط علم هو أنها لم تعد كسابقها، بل هناك خطأ ما بها، فتاة شفافة ليس للجميع بل له بحكم الوقت الذي كانوا يقضونه سويًا

لكنه الآن ولأول مرة لا يفهمها تمامًا

نظرات عتاب مطلية ببعض الغضب وسكب عليها الحزن فالأسى ..

وبعض من المشاعر الأخرى التي لا يفهمها لأول مرة !

-هتعملي إيه الوقت !

أجابته دون تردد بـ :

-هعاقبه

إبتسم لها بعد أن أمسك يدها الموضوعة على حافة النافذة وقال :

-وأنا معاكي

تنهدت لتخرج بعض من الإختناق الذي تشعر به خارجها، وبنبرة ساكنة أردفت بـ :

-طيب

-صدقيني كل حاجة هتتغير وتبقى احسن

قالها برجاء وهو يربت على يديها برفق ..+

فنظرت له بحزن وهي تحاول البقاء على القدر المعهود من القوة..

هو واثق من أنها لن تبكي امامه وستحاولة جاهدة البقاء بكل قوتها، فهي شخصية غير إعتيادية تكره الضعف حتى أمام نفسها !

تكره الشعور بالعجز ولا تحب أن تكون محط للأنظار..

لذلك فتلك الفتاة إذا أردت يومًا أن تخفف عنها، أعطها إهتمامًا من كل قلبك بدون أن تطلب أو تشير وبعد أن تستمد القوة منك أوهمها أنك الأضعف لا هي، أوهمها أنك أنت من إحتجت لذلك فحتى إن لم تصدقك ستقدرك كثيرًا.+

لذلك وبدون حتى أن يفكر سحبها من يدها ليضمها إليه بقوة، فإلم يفعل هو فلن تبادر وإن كانت تموت حاجة إلى من يحتوي آلامها، بل ستفضل أن تبقى بشعورها على أن تبادر هي، ولكن لربما حقًا تلك هي المرة

الأولى في حياتها التي لا تقاومه فيها حين يضمها أو حتى يحاول !

أإلى ذاك الحد من اليأس وصلت هي !

من يعرف تلك الفتاة يكاد يقسم على كتاب الله أنها كعالم مليء بالأسرار المدفونة، أو كشفرة سرية لم يحلها أحد بعد حتى هو..+

تركته يضمها ففي النهاية هي تحتاج لذلك، تحتاج دفئًا، تحتاج حبًا وإهتمامًا حقيقيًا...

براء هو ما تحتاج إليه الآن..

فمن أفضل منه إذا ذُكر الحنان !+

+.....

وبعد يوم قد حمل الكثير من المشاعر المتضاربة، وإنقضى يستزفهم واحدًا تلو الآخر..

جاء يوم جديد بشمس جديدة .. وفي الحقيقة حتى الشمس توارت خلف السحب الغائمة الكثيفة، يومٌ ممطر !

هاك يبدو !

وما أسوء المطر بالنسبة له !

أسرع بسيارته حاملًا شحنة من الغضب في بكرة الصبح و الآن فقط يدري مصدرها.

البارحة... ذلك اليوم الغبي - لقد أدرك أنه - قد أفرغ جيبه من كل المخدرات التي كان يتعاطاها !

فبعد الصدام الذي دار بينه وبين صديقه لم يتحمل ذلك الضغط وظل يستهلك كل ما معه منها..

وفي الصباح فقط أدرك بعض الأمور التي كان يجهلها .. مثل موت والدي زوجته.+

وتذكر الكثير مما فعله أمس !

لربما هو يتخيل أنه قدم ورقة إستقالته
واعتدى على فيروز !

مستحيل هو يتخيل فقط...

لن يصل تهوره إلى تلك الدرجة مستحيل !+

الآن كل ما يريده هو أن يؤكد لنفسه أنها
ليست إلا مجرد أوهام...+

أسرع أكثر بسيارته، يكاد يجزم أنه يسمع
سباب الناس حوله له فقد كاد يدعس سيدة
عجوز إلا أنه إنحرف قبل أن تُدعس بعدة
سانتيميترات ...

ودعس بالفعل ذيل قطة في الطريق فلم
يرها هو إلا حين فات الأوان على تجنبها...+

وفي النهاية وأخيرًا وصل وبدون حوادث !

صفق باب السيارة بإهمال بعد أن ترجل منها، وجعل يسرع إلى مدخل الشركة، ومنه استقل المصعد ليصل به بعدها إلى مكتبه +..

إكفهر وجهه وحمل ألوان الطيف عدا البنفسجي فقد توقف عند الأزرق ! ، حينما وجد ورقة دون عليها إسمه مصحوبًا ببعض الكلمات مفادها "الإستقالة"

إنحنى بجزعه وأمسك بتلك الورقة وأخذ يضقق بها وقد إنفلتت من لسانه كلمة :

-لأ .. مـ.. مش معقول !

قطع الورقة بيده إلى أشلاء وظل ينظر لمكتبها لبرهة..

وبسرعة خطر على باله مكتبه فأسرع إليه وحين ولوج صعق ...

وتأكدت شكوكه حين نظر إليه خاصة حين رآى حجابها المرمي بإهمال بإحدى الأركان، وعلى الأريكة المجاورة لمكتبه وجد بعض قطرات الدم المتجلطة من البارحة !

وبعض الخدوش عليها فقد كانت الأريكة سوداءً من الجلد فظهرت تلك الخدش جلية عليها ..+

وظل يراقب المكان حوله لفترة، تارة هنا وأخرى هناك..+

تمثال مرمي بإحدى الزوايا ..

ودماء تناثرت على الأرض القريبة من مكتبه، وقد شعر بالضيق حين خمن مصدرها...

خدشٌ على ظهر يده لم يلاحظه إلا الآن !

زفر بحنق من نفسه ومن كل شيء ومِن مَن كان السبب وراء كل شيء.

-أنا لازم أتصرف حالًا، لو صهيب عرف هروح
في داهية !+

وبدون أن يفكر أكثر أخذ يمحوا آثار جريمته
.. فذاك الأهم الآن فهو لا يدري كيف
سيتعامل صهيب مع الموقف !+

+.....

إستيقظت فيروز صباحًا في ميعادها المعتاد
للعمل إلا أن اليوم مختلف تمامًا...

لا عمل، بل تذكرت نكبة الأمس بمجرد
إستفاقتها، تذكرت ما ألم بها البارحة..

أنى لرجلٍ أن يفهم وجع إمرأة أغتيلت حية !
وكيف له أن يحس بألمها...

فقط عليهم أن يمهدوا أسباب الوجع والدمار
لهم... ثم يرمقوهم بأبشع نظرات الإحتقار

متناسين ما فعلوهم هم من قبل ويتناسون كل منكر إرتكبوه في حقهم !

كانت تفكر هي بتلك الطريقة.. وحاولت ألا تبكي لكن الدموع غدرت بها، وتنافست تتسابق.

فتنهدت بحزن ونظرت بجانبها ولكن لم تجد أحدًا، فنزلت من على السرير تتباطأ في مشيتها، لتخرج من الغرفة

ولما كانت قدماها لا تقويان على حملها جيدًا كانت تترنح.

لكن في النهاية إستطاعت الخروج من الغرفة وظلت تنظر حولها فلم تجد أحدًا..

لا جويرية ولا أحد، لم تهتم كثيرًا فشاغلها الأكبر الآن أن تصل إلى الحمام القريب البعيد

..

مدت يدها إلى عينها لتمسح دمعة أخرى
خانتها قبل أن تدلف إلى الحمام أخيرًا...+

وحين خرجت كانت يداها ووجهها برأسها
وقدماها مبللتان بالماء، وبالرغم من
الشحوب العميق الظاهر على وجهها..
وحُمرة عينها وتبلور مآقيها بالدموع
الحبيسة..+

حاولت الثبات والإتزان، لقد كانت كلمات
جويرية البسيطة المقنعة تدور بعقلها كلما
قررت الإستسلام، أن لا تنكسي رأسك مهما
حدث فليس ذنبك إن إعتدى عليك ذاك
الحيوان !

ربما هي تعلم أن والدتها قد تتخلى عنها أو
تتبرأ منها إن علمت الأمر،

وهي على يقين العلم أن لا ناصر لها من أقاربها، والآن من ذا الذي يرضى بمثلها، فتاة إنتهك عرضها بلا شفقة أو رحمة في الإتيان !

لكن كلمات صديقتها كانت كالبلسم الشافي، فحتى إن لم تقتنع تمامًا فهي على الأقل معها ولن تتخلى عنها.+

دارت برأسها عدة مرات باحثة عن شيء ما، وحين عثرت على ضآلتها إقتربت من أحد المقاعد وإنحنت بحذر لتحضره..

لقد كان إسدالًا للصلاة قد هُذب مؤخرًا، فأمسكت به ونظرت إليه لثوان قليلة قبل أن تبدأ في إرتدائه..+

حين إتخذت القبلة وكبرت لتبدأ بالصلاة بانت بعينيها الدموع، مع أول آية تقرأها فاضت مآقيها بالعبرات.

مع ذكر "الرحمن الرحيم" إنهار تماسكها تمامًا - بدأت تقرأ بعدها من منتصف سورة يوسف التي حفظتها عن ظهر قلب من شدة حبها لها، ولقد شعرت فجأة بأن الله معها، يسمعها ويخاطبها، فإذا يئست وجدته ينادي " وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ" وإذا شعرت بعجزها ينادي "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ" وإذا بكت تألمًا وقهرًا وجدته ينادي "إِنَّهُ هُوَ اَلعَلِيمُ اَلحَكِيمُ"

لماذا شعرت حينها بتلك المسافة الكبيرة جدًا بينها وبين خالقها، بل لماذا شعرت أن كل ما حدث لها تستحقه بكل ذاك الإبتعاد، فجأة شعرت وكأن الدموع لا تواكب ماحدث لها، بل ندمًا.. ندمًا على ذاك البعد، متى كانت آخر مرة تصلي فيها ؟!+

بل متى شعرت بالإشتياق إلى الصلاة وتلاوة قرآن باريها !

حياة ليس فيها ذكر، ليس فيها عبادة ماذا تنتظر... أن تُفتَّح أبواب السماء لتُتقبَّل دعاويها !+

وحين ركعت في خشوع زاد التضرع لربها، وتناسيت من هي حين سجدت...

ظلت تناجي ربها، وإزداد صوت شهقاتها فبكائها ونحيبها لثواني، ليست قلائل بل ما أطولها من ثواني.+

وكأنها لم ترد رفع رأسها، بل لم ترد الرجوع إلى تلك الدنيا، ولأول مرة في حياتها تستشعر تلك اللذة في العبادة..

لأنها وببساطة قد خرجت من قلبها، فاروحها وفؤادها... عبادة صادقة تخلوا من الكسل.+

ولماذا كلما زادت في الخشوع تشعر
بتقصيرها، نسيت فجأة آلامها، وأحزانها
وتذكرت مولاها..

لما نتناسى دومًا السبب الرئيسي الذي جئنا
لأجله، أليست عبادة ربنا !

أليس الإنصراف عن كل ملذات الحياة الفانية
الواهية !+

لم تدرِ هي إلى متى ظلت تصلي، لكنها
تعلمت... أيان يأتيها الألم تهرع
للصلاة.....!!!!!!!!+

.....!!!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

١٣

+

الفصل الثالث عشر :

الآن هي تقف أمام الشركة، تراقبها بإحتقان، تلك الشركة كانت كثيرًا ما تقابل ابة خالتها أمامها لكن الآن هي قادمة لغرض مختلف تمامًا.

نظرت حيث يقف الحرس متأهبين، هي واثقة أنها لن تمر ببساطة، نظرت لثيابها، عباءة سوداء من الأعلى إلى الأسفل خالية من النقوش..

كما تحب هي، فهي لم تسعَ يومًا لتتباها بجمالها أو بنحافة قوامها، أرادت دائمًا أن تكون كما يحب ربها لا الناس..

وحتى في عملها السابق كان المدير قد سئم من كثرة تنبيهها بضرورة إرتداء ثياب جذابة،

وأن تُقلع عن إرتداء تلك العباءات السوداء التي تشعره بالغثيان، ولكن من قال أنها تريد أن يشتهيها أحدهم !+

لكن هي تعلم الآن أن تلك الثياب ستجلب لها المشاكل، وعلى أي حال.. لن تفكر في التراجع.+

سارت بثبات إلى أن وقفت أمام الحراس وحين حاولت العبور سد أحدهم الطريق عليها، وقد تركزت نظراته علام تردي، ومن أعلى لأسفل مرت عيناه عليها، فشعرت برغبة في لكمه أو وضع ما في قدمها بين عظام رأسه.

لكنها تمالكت نفسها وقبل أن تنطق هي أردف هو بصوت جاد بـ :

-على فين !

رفعت حاجبها الأيسر فقد إستفزها السؤال حقًا وبالأخص أن الطريقة التي يتحدث بها يشوبها بعض التهكم والسخرية.

أجابته بإحتقان وهي ترمقه بإحدى نظراتها المشتعلة بـ :

-إنت شايف الباب فين !

نظر الرجل لأعينها الجادة والمتسلطة نحوه، وقد كاد يقسم أنه رأى تلك النظرة الحادة عدة مرات قبلًا..

فقال هو بنبرة حادة :

-مش مسموح لأي حد يدخـ..آآآ

قاطعته جويرية بهدوء عجيب بـ :

-تصور لو المدير عرف إنك معطلني كل دا هيقول إيه !

إرتبك الرجل حين سمع تهديدها الواضح، وبالأخص أن مديره لا يتهاون أبدًا، وحين أراد أن يسألها عما تريده... كانت قد تركته وولجت، فعقد حاجباه بضيق وهو يردف بنبرة محتقنة بـ :

-أعوذ بالله، ميكونوش إخوات، أنا مالي طلاما الباشا هو اللي طلبها !+

+.....

كانت جويرية قد تركته وذهبت فقد شعرت بالغضب حقًا من حديثة الغبي معها ولولا أنها سيطرت على نفسها ووجدت ما تقوله حين هددته لكان الأمر أصبح عسيرًا.

فهي لم تكن لتتركه يتطاول في حقها أكثر، ألا تكفي نظراته !+

حينما نظرت للأسفل وجدت الكثير من العمال، أمامها لكنها كانت في الطابق الأعلى حينها، ولم يكن فيه أي أحد.

لقد كان ذلك الطابق مكون من غرفتين ومكتب بالخارج فقط بعيدًا عن إزعاج الموظفين، ومن المتوقع أنها لن تجد أي أحد هنا لأن مساعدة المدير قد إعتُدي عليها بالأمس،

إقتربت هي من أحد المكاتب وطرقت الباب فلم يجب أحد...

فزفرت ببضيق فهي حقًا مشحونة من البارحة، وأي تفصيلة صغيرة خاطئة تزيد من إشتعالها ...

كادت أن تطرق على الباب المجاور له لكن....

-إنتي مين !

حين سمعت صوته إستدارت مباشرة وحين رأته جحظت عيناها قبل أن تردف بنبرة مشدوهة بـ :

-إنت المدير !+

لم يكُ هو أقل منها شدهًا وبالأخص أنه لم يظن أنه قد يراها مجددًا وقبل أن يتكلم قالت هي بتهكم بـ :

-هه صح ما كلكم شبه بعض

ثم تبعت الكلمة بنظرة ساخطة لم تستطع إخفاءها فتعجب هو فلم تكن تلك نفس ردة فعلها في المرة السابقة ... لكنه قال أخيرًا بعدها ببرود :

-عاوزة إيه ؟

أجابته بنفس البرود وهي تحرك يدها اليمنى على مقدمة حقيبتها الصغيرة بـ :

-فيه موضوع مهم جاية أكلمك فيه...

كاد أن يسألها عما تريد إلا أنها تابعت سريعًا

بـ :

-بصفتك مدير مش أكتر

صمت حين وجدها قد وأدت السؤال بداخله،

ثم تقدم خطوتين وفتح باب مكتبه، وما إن

دلف حتى قال بنبرة هادئة :

-إدخلي+

أمسكت هاتفها قبل أن تدخل وعبثت

ببعض أزاره ثم ..

ولجت داخل غرفة مكتبه، وتابعها هو وهي

تدلف بعد أن إستقر على مقعده، فنظر لها

وقال بإتزان :

-ها إتكلمي !

إختارت أحد المقاعد المتواجدة على الجانب الآخر من المكتب وجلست عليه، قبل أن تنظر له وتقول بهدوء :

-الوقتي امبارح موظف حقير هنا إعتدى على فيروز بنت خالتي، و..

صمتت هي قليلًا تبتلع غصة مريرة في حلقها، فقد شعرت بالألم يجتاحها حين قررت أن تقص عليه ما حدث...

لكنها اضطرت أن تتابع بنبرة أقل هدوءًا وأكثر إضطرابًا بـ :

-و إعتدى عليها بأفظع آآ...

قاطعها وهو جاحظ العين مصدومًا بـ :

-إغتصبها ؟

لم تنظر له، بل أشاحت وجهها عنه، وبأسف أردفت بـ :

-آه، و.. وأنا جيت عشان هي قالتلي من كام يوم إنك طلبت منها تحط كاميرات مراقبة في كل الدور لإنك مش واثق في نفس الموظف ده ... وأكيد اللي هو عمله متسجل فيه

هدأت قليلًا قبل أن تتابع :

-بما إن الشركة كلها كاميرات حتى مكتبه أكيد فيه فيديو يثبت الجريمة دي

عقد حاجباه بضيق وهو يردف بإهتمام :

-اممم على كدة هي بتقولك على كل حاجة، مع إن دي معلومات شغل المفروض متقولهاش !

زفرت جويرية بغضب وسلطت أنظارها المحتقنة نحوه وقالت :

-أنا مش محتاجة أبررلك لا موقفي ولا موقفها، أنا بس عاوزة الفيديو+

ضحك الأخير بتهكم ..

نعم لم يضحك منذ .... لا يدري ماذا، لكنه شعر برغبة شديدة في الضحك، فلم يمنع نفسه أبدًا، وضحك ...+

أرجع رأسه للخلف قبل أن يتشدق بـ :

-وأنا إيه اللي يخليني أدهولك، دا أولًا هيضر بإسم الشركة وبعدين دي حتى راحت ولا جات مجرد سكرتيرة.+

كانت هي واثقة أنه يرد لها نفس الصفعة وبنفس الطريقة، لكنها لم تترك أحدًا يتلاعب بها قبلًا، ليس ما ستفعله في الآخرين تناله هي،

لذلك أخذت نفسًا هادئ حاولت من خلاله تهدأة نفسها تمامًا ووزنها.+

ثم حين شعرت أنها قد بدأت بالتحكم في نفسها قالت بثبات :

-شكلك أصيل أوي، هو يخونك ويغدر بيك وإنت تدافع عنه !

إشتعل الأخير غضبًا إثر كلمتها تلك، لكنه كان مضطرًا لإحتمال ذاك الغضب فقد أصبحت الآن حربًا مشادية بين طرفين، كلًا منهم يأبى الإستسلام...

والجائزة هي إخراج الآخر عن طوره !+

سيطر هو بصعوبة شديدة على شحنة الغضب تلك، ثم قال ببرود شديد على خلاف عينيه النافذتين كعيني صقر :

-مش يمكن تكون هي سلمتله، صحيح أنا عارف إن بيجاد عنيه زايغة بس مش توصل للإغتصاب إلا لو...آآآ+

نعم ضايقتها عباراته الجارحة، ونعم أرادت أن تقتله حينها، لكن الصبر مفتاح الفرج !

حينها قاطعته بنبرة هادئة رزينة على خلاف ما توقع بـ :

-تؤ تؤ تؤ لو كان واحد من الموظفين بس كدة، يبقى المدير عامل إزاي ؟!

كاد أن ينفجر فيها، إلا أنها تابعت غير آبهة بـ :

-بص يا حضرت.. أنا بس عاوزة الفيديو، وأنا مش هجيب لا سيرتك، ولا سيرة شركتك.+

وكأن هناك مجال للتفاهم! ، طرح عقله ذاك السؤال، يا الله أهناك إنسي هكذا، لا يظهر

أي مشاعر كما الجليد، من المستحيل أن يرَ لها شبيهًا،

لكن لماذا تذكر نفسه حين سأل ذاك السؤال ؟+

زفر ليخرج غضبه بعيدًا، وأجاب بنبرة تخلوا من المرح عدا إبتسامته الجانبية التي إلتوى بها فمه فجأة وقال :

-على كدة إنتي مفكرة إني ممكن ادهولك كدة بالسهولة دي بعد كل اللي قولتيه !

-وإنت مفكر إني ممكن أتذللك !

كانت تلك إجابتها بدون أن تطرف لها عين ..

وصمتت قليلًا بعدها لتتابع بنبركة أكثر تهكمًا :

-فكر مرتين يا..

نظرت هي لإسمه الموضوع أمامه محفورًا على خشبة صغيرة من الزان، ومن ثم تابعت بنفس التهكم الملحوظ قائلة :

-يا صهيب.. باشا+

لمعت عيناه بإعجاب شديد من طريقتها، حتى وإن ضايقته لكن بها شيء ما مألوف.. مألوفٍ جدًا،...

برغم إختلافها عن البقية !+

وفجأة قبل أن يتحدث أحدهما، فتح بيجاد الباب بدون إذن حتى، لكنه صدم حين رآى صهيب وضيفته أمامه، فقد كان يظن أنه لم يأتِ بعد !+

تحشرج صوته وهو ينطق بـ :

-آآ إنت هنا !... أنا آآ كنت

نظر له الأخير بإشمئزاز حاول جاهدًا اخفائه، ثم أشار له بيده ليلج للداخل، قبل أن يقول بنبرة هادئة على خلاف ما يبدوا ك :

-إدخل الـ ...

نظر هو إلى جويرية نظرات ثابتة وتابع بنبرة أكثر هدوءًا بـ :

-كانت بتسأل عليك !+

عظيم، هو ليس مجرد رجل مستفز غليظ، بل هو تلميذ جيد أيضًا ...+

نظرت له بضيق ثم نظرت خلفها للزائر الجديد ...

نظرت له مطولًا فقد شعرت أنها رأته من قبل

ضيقت عينيها وظلت تجوب بذاكرتها علها تتذكره.

وبالفعل تذكرته .. لذلك تقلقائيًا إتخذ وجهها غضبًا جديدًا أكثر من الذي كانت عليه، وربط عقلها أنه بالتأكيد الجاني ...+

وفي ذات الوقت إتسعت مقلتي بيجاد وهو يرى تلك الفتاة التي لم تلبث أن حطمت سطوته عليها في ثوانٍ معدودة..

أنى له أن ينساها وهو لم يرَ مثلها من قبل !

لذلك وبدون تردد هتف بنبرة مشدوهة بـ :

-إنتي !

حين سمعت صوته تذكرته تمامًا، ذاك الحقير

تذكرت محاولاته للعبث معها، زفرت بضيق فجأة ثم أعادت النظر إلى صهيب وهي تقول بنبرة شبه عالية :

-ده بيجاد نفسه مش كدة !

إندهش هو لتبدل نبراتها إلى الغضب فجأة، لكنه أجابها بنبرة طبيعية بـ :

-أيوة

إبتسمت بإستنكار وهي ترمقهما بنظرات محتقرة فتارة تنظر لبيجاد بنظرات نارية محتقرة، وأخرى لصهيب بنظرات محتقنة.+

-إيه جاب البت دي هنا !

قالها بيجاد بنبرة حائرة وهو ينظر لها بضيق..

أجابه صهيب بنبرة مشمئزة بـ :

-جاية تستفسر عن اللي حصل لفيروز امبارح !

إحتقنت عينا الأخير وظهر بهما الإرتباك، وبنبرة شبه متزنة قال وهو يتقدم عدة خطوات :

-لـ ... ليه إيه اللي حصلها !

كتفت جويرية ذراعاها ونظرت له بإزدراء وهي تقول بتهكم :

-آه صح إيه اللي حصل ؟!

نظر بيجاد إلى صهيب فوجده مركزًا عينيه على تلك الفتاة الغريبة، وقد إلتوى فمه بإبتسامة عجيبة.+

لكن فجأة قال صهيب بهدوء :

-كانت عاوزاني اديها الفيديو اللي انت متسجل فيه وانت بتغتصبها امبارح ايه رأيك في الموضوع !

إرتجفت نبرات الأخير بعد أن جحظت عيناه وهو يقول بصدمة :

-آآ فـ.. فيديو آآ ايه !+

وقف صهيب وأبعد المقعد للخلف قليلًا ثم سار عدة خطوات إلى أن توقف أمام بيجاد

مد يده ووضعها على كتفه وهو يقول بنبرة حادة :

-ها تحب ادهولها

تنهد بيجاد بضيق وقال وهو يشيح وجهه :

-أنا كنت شارب ومش في وعيي+

وهنا سمعوا صوت التصفيق القادم من خلفهم، كانت جويرية قد سارت حتى وقفت خلفهم مباشرة، ثم قالت بنبرة ساخرة :

-وعلى كدة كنت شارب قبل ما تحاول تمد إيدك عليا في الشقة !، لأ لأ ثواني بلاش أظلمك، إشرب إنت ودمر حياة بنت لمجرد إنك مش في وعيك أو مختل عقليًا !

رمقها بيجاد بنظرات غاضبة فهو لم ينسَ بعد ما فعلته هي به في المرة السابقة، ثم قال محذرًا :

-أنا لو كنت مكانك هسكت خالص !

إتسعت إبتسامة مغترة وجهها لتردف بثقة بـ :

-عيبة في حقي لو قارنت نفسك بيا، ايش جابك ليا !

صمتت قليلًا قبل أن تضيف قائلة بهدوء :

-أنا أهلي كانوا نضاف فطبعوا نضافتهم عليا، أما انت أهلك كانو ..... الله أعلم بقى يمكن إنت طالع كدة لنفسك !

لم يجد صهيب تعقيبًا على ما تقوله، فإن ما قالته كان مشابهًا كثيرًا لردات فعله تجاه الناس، وبالأخص حين يريد إستفزازهم بالقول.

فصمت وتابعها ..+

نظر لها بيجاد بغضب وأردف بنبرة عالية بـ :

-أنا ممكن أعمل فيكي زي ما عملت فيها امبارح

لم ترمش حتى بعينيها، وببرود أجابته قائلة :

-فكرت القلم بتاع المرة اللي فاتت هيهدك، تحب تاخد تاني !

ثار بيجاد عليها وكادت قبضته أن تهوي على وجهها إلا أنها إنحنت متزامنة مع الوقت الذي حاول هو ضربها فيه.... وكاد أن ينحني ليمسكها من ثيابها ويعيد محاولة ضربها ...+

إلا أن صهيب كان يتابع ما يحدث وحين حاول هو صفعها ولم يستطع ذهب ووقف بينهما فتراجعت جويرية بعد أن إستقامت، ونظرت لهما بفتور

حينها أردف صهيب ببرود :

-اهدى شوية هي مش هتقدر تعمل حاجة

زفر بيجاد بغضب وهو يرى تلك المبتسمة المستفزة الباردة المشاعر في الخلف تراقبه بإنتصار

ثم قال بنبرة عالية :

-تعرفي اني فرحان في اللي عملته في فيروز الوقت، والدور عليكي

هزت كتفها وقالت بتؤدة :

-يعني انت اللي اعتديت على فيروز صح !

-ايوة وانا، انا اغتصبتها والدور جاي عليكي

-اممممممم+

كانت ردودها حقًا تثيره وتجعله يتقلب على جمرة من النار، وقد بان في عينيها لذة في رؤيته على ذاك الوضع

أما صهيب فقد إرتفع حاجب والآخر قد تمرد مستمرًا على وضعيته، ظهرت الحيرة على محياه وبدأ يحاول التحليل المنطقي لتلك التي تقف أمامه، فقد كان يملك القدرة على

تحليل الشخصيات، لكن ليس شخصية معقدة كتلك !

هو لن ينكر أنها تخلف عن الآخرين، تلك ليست بأفعى أبدًا ... تلك ليست حية تترقب الفرصة للإنقضاض عليك، لا أبدًا بل ليس لديها بوادر الخبث

هي ذكية وتوقع بعدوها في العلن، توقع به على مرأى ومسمع، ليست مثل باقي الفتيات الاتي يتجنبهم بل .... بل هي أخطر بكثير منهم.

وحين أدرك عقله ذلك شعر بضرورة إيقافها عند ذلك الحد فتشدق بنبرة هادئة بـ :

-أنا شايف إنك مش هتاخدي حاجة من وقفتك دي !

أجابته بغموض وهي تنظر إلى صديقه الممسك هو به بـ :

-مين قالك إني مخدتش !

-قصدق إيه ؟!

قالها بترقب بعد أن ضيق عينيه..

فأجابته بإتزان بـ :

-إنسى، المهم هتجيب الفيديو !

-لأ

قالها بإحتداد حين تضايق من تجاهلها لسؤاله

حينها أردفت جويرية بلكنة هادئة :

-كدة هتضطر تتحمل العواقب معاه ..

ضيق هو عينيه قليلاً ، ورمقها بنظرات متفحصة ثم سألها :

-يعني أعتبر دا تحدي !

إبسمت بكل ثقة ، وهي تكتف ذراعيها ، قبل أن تردف بنبرة إعتزاز بـ :

-معنديش مانع ، بس يكون في حساباتك إن قبل الساعة ١١ وعد مني إن صاحبك دا هيترمي فى السجن ..

وكادت أن تستدير لتذهب إلا أنها بدت وكأنها تذكرت شيئًا ما

فنظرت له نظرات هادئة ، لتردف بعدها بـ :

-وآآآه نسيت إنت كمان هتروح معاه بتهمة الإستتار على قضية مهمة زي دي

رمقها هو بنظرات قاتمة ، وقد تبدلت
ملامحه الى الجدية التامة ، وبنبرة هادئة ،
خطرة ، قال :

-تقدري ترجعي في كلامك دا دلوقتي ، إنتي
مش قد التحدي صدقيني ودي آخر فرصة !

إبتسمت هي دون أي أثر للدعابة ، وبكل ثقة
هددته بـ :

-أنا شايفة إنك تخاف على نفسك وعلى ....
وعلى صاحبك .. ونشوف مين الى هيكسب
فى النهاية !+

ثم إستدارت وبكل خيلاء تركتهما بين نظرات
الغضب والإمتعاض، ونظرات أخرى
مشدوهة مدهوشة مصدومة !+

+.....

خرجت جويرية من مقر الشركة وقد إعتلت إبتسامة ثقة وجهها، لتردف بعدها بحصافة بـ :

-تمام كدة قدرت أجيب اللي جيت عشانه

لكنها تذكرت ما نغص عليها هذه السعادة البسيطة ... فنعم هي تعلم لما ذلك الحقير يشعر بالضيق لوجودها، وتذكرت ما حدث في اليوم ذاته الذي ذهبت فيه للعمل لديهم ...+

+.....

أنهت جويرية صنع الطعام الذي فُرض عليها اليوم، ثم بدأت تسكبه في أطباق التقديم ..

تأففت حين لم تجد أحدًا برفقتها في المطبخ .. فمن المفترض أن يوضع الطعام على المائدة في الحال ..

وإضطرت آسفة لتقديمه بنفسها، فهي حين كانت تحضره شردت في عالم آخر تمامًا ولم تنتبه أنهم رحلوا جميعًا !

وحين علمت أنه لا مجال من التهرب من الأمر أردفت بنبرة ممتعضة بـ :

-لازم أطلعهم بنفسي، أنا هطلعهم ولو لقيت حد هقوله ياخدهم بدالي .. وعمتًا جوزها مش هنا الوقت

أخذت طبقين من الطعام المُعَد، ثم خرجت بهما وهي تتلفت يمينًا ويسارًا علها تجد أحدًا آخر ليساعدها ..

وضعت الطبقين على المائدة ..

ولم تنتبه لمن كان جالسًا أمامها يتابع حركتها خطوة بخطوة، عادت هي أدراجها، لتحضر باقي الطعام، وما هي إلا ثوانٍ معدودة

حتى عادت من جديد محملة بطبقين آخرين

..

ووضعتهم على المائدة، وأيضًا لم تلاحظه !

إستعجب هو من تلك الفتاة التي لم تلحظ شيئًا إلا الطاولة التي أمامها، وبالرغم أنه لا يبعد كثيرًا عنها لم تره قط !+

وقف حينها بيجاد وإقترب منها بعد أن وضعت الأطباق ..

كانت جويرية عائدة إلى المطبخ لتحضر الباقي، إلا أنها وجدت من يمسك يدها من الخلف ..

فسحبت يدها بسرعة شديدة ثم إستدارت له، وحينما رأته شعرت بالدم يغلي في عروقها، كيف لذاك الغبي أن يتجرأ ويمسك يدها بتلك الطريقة !+

وكادت هي حقًا أن تذيقه إحدى ردودها، إلا أنه سبقها قائلًا بنبرة متسائلة :

-امممممم أومال إنتي مين ؟

أجابته بإقتضاب وهي تستدير لتذهب :

-الطباخة الجديدة

وقف بيجاد أمامها ليمنعها عن الرحيل، فإتسعت مآقيها مشتعلة بالسعير+

في تلك اللحظة رأتها كاثرن وهي قادمة من غرفتها، فجحظت عيناها رعبًا فقد حذرتها سابقًا منه ..

ولكن ليس بيدها ما تفعله لها الآن

فوقفت تراقبهما بأعين مذعورة+

بيجاد بنبرة هادئة :

-إنتي مستعجلة ليه، دا أنا حتى مستغرب
أول مرة كاثرن تجيب واحدة مُزة كدة !

نظرت له بتلك النظرات النارية، وبالرغم من
ذلك آثرت السكوت، وحاولت تجنبه لتعبر،
لكنه سد عليها الطريق مرة أخرى !

فلم يترك أمامها حل إلا لسانها السليط ..+

أردف هو بنبرة غليظة ليغيظها أكثر، بعد أن
وجدها تكور يدها من الغضب وبعد أن رأى
بنفسه تبدل لون عيناها من الرمادي إلى
الأخضر حتى صارت كما الأمواج العاتية ..+

-إستني بس، حد يزعل عشان بقوله إنه
جميل ! طب تعالي معايا فوق وأنا أآآآ ...

لم يكد ينهي حديثه حتى صفعته بأقصى ما
لديها من قوة على وجهه، قبل أن تتبعها
بركلة قوية من قدمها اليمنى ..+

وضع بيجاد يده على وجهه بعدما صفعته،
وإشتعلت عيناه توحشًا وهو لا يصدق ما
فعلته تلك التي هي لاشيء بالمقارنة به !+

تلك التي لا تكاد تلامس كتفاه تصدر منها
مثل تلك الصفعة القوية، أو تلك الركلة
العنيفة، من أين لها بكل تلك الشجاعة !+

وضعت كاثرن يدها على فمها مشدوهة بما
فعلته جويرية توًا، ولكنها لم تستطع منع
تلك الإبتسامة المتشفية من الظهور، وتمنت
حقًا لو أنها محلها الآن+

وحينها أردفت جويرية بنبرة حـادة وهي
تنظر له بشراسة :

-لأ مش أنا يا حيـوان يا قذر، طب حتى إحترم
إن مراتك هنا !

بصقت هي على وجهه بعدها وبنبرة عالية محتقرة أردفت بـ :

-اتفو عليك وعلى أمثالك، العرر

أما هو فقد كان يرمقها بنظرات أشبه بالوحش إذا ما تحداه غريمه، ولكن هيهات أن تؤثر بها إحدى نظراته الثاقبة ..

صاح بها عاليًا وهو يلهث :

-إنتي عارفة أنا مين ؟

ردت بتهكم وهي ترفع حاجباها في تحدٍ سافر :

-ولو رئيس الجمهورية، أنا ميهمنيش

ثم إستدارت لتتركه وترحل، لكنه مد يده بسرعة وأمسك بها من يدها، فضاق الأمر بها ذرعًا وحاولت سحب يدها بأقصى ما

تستطيع، لكنه كان قد أطبق عليهما بشدة

+...

وحينها فقط أغمضت كاثرن عيناها، فقد علمت أن كارثة على وشك الحدوث، فهي ليست المرة الأولى+

أردفت جويرية قائلة بنبرة نارية :

-سيب إيدي يا حـيوان ..+

ثم وبعدها وبنبرة تخلو إلا من الغضب قال هو :

-إنتي مفكرة إني ممكن أسيبك كدة تفلتي بالسهولة دي، بعد كل إللي عملتيه ! هـه يبقى بتحلمي+

نظرت له بغل بيّن قبل أن تطبق هي على يده بأظافرها الحادة، وظلت تغرزها في يده

حتى أُدميت، فإضطر لإفلاتها آسفًا من شدة ما حظي به من ألم !+

إبتعدت عنه على فورها وظلت ترمقه بنظرات غاضبة

فبادلها هو نفس النظرات وهو يفرك يده ليخفف من حدة الألم، وبنبرة عالية أردف بـ :

-برضوه مش هسيبك يا بنت الـ...

كاد أن يتابع لكنها قاطعته بنبرة شرسة وهي ترفع إصبعها في وجهه محذرة إياه بـ :

-إياك تنطق حرف واحد عنهم، أنا أهلي دول أنضف منك مليون ألف مرة، إنت ولا حاجة بالمقارنة بيهم، أصلًا إنت مينفعش تتقارن بيهم عارف ليه !؟ ، لأنك ..+

صمتت قليلًا وهي تتابع نظراته المشتعلة، مبادلة إياها بنظرات إستهجان قطبية، ثم أكملت قائلة بتهكم :

-إنت عارف إنت بتفكرني بإيه ؟ .. إنت بتفكرني بالصفر إللي لما أي حاجة بتضرب فيه بتبقى زيه، بتبقى صفر، بتبقى ولا حاجة .. وإنت كمان ولا حاجة زيه بالظبط، عارف يعني إيه ولا حاجة !

كاد أن يلحق بها من شدة الغضب، ولكنه وجد كاثرن واقفة في وجهه، فدفعها بقوة ليزيحها من طريقه وهو يقول بنبرة محتقنة :

-إبعدي عني السعادي

تمالكت زمام نفسها قبل أن تقع، وأمسكته بقوة من يده وهي تقول بترجي :

-سيبها في حالها يا بيجاد، خلاص سيبها تمشي

نظر هو لها غاضبًا وأردف بشراسة بـ :

-إنتي مش شايفة هي عملت إيه، سيبيني يا كاثرن

أفلت يدها وكاد أن يذهب، ولكنها قالت بنبرة عاليه وهي تركض نحوه :

-يلا يا بيجاد عشان خطري بقى، ملكش دعوة بيها، دة هي بتعمل كدة بس عشان خايفة منك+

نظر لها بضيق وقرر أن يذهب معها لأنها وببساطة كانت قد إبتعدت تمامًا ..+

ولكن ما أثار حفيظته .. أكثر من كل هذا، أنها كانت تمشي بروية، لم تركض خائفة منه

قط، بل فقط مشيت بخيلاء لم يره على
أنثى من قبل !+

وكأنها تتحداه أن يلحق بها لتجبره على
تحمل المزيد من كلامها المريع !+

نظر مرة أخرى ليده، ثم نظر إلى آخر طلل لها
وهي ترحل، ولم يستطع أن ينكر أنه لم يرَ
مثلها من قبل، هي مميزة بطريقة ما ..

بطريقة غير موجودة بأحدٍ إلاها ...+

.....+

إستفاقت هي من ذكراها على صوت هاتفها
النقال فأخرجته من حقيبتها لترد على
المتصل، فهي تعلم أنه لن يتوقف إلا حين
تجيبه لذلك وضعته على الوضع الصامت
قبل أن تلج منذ قليل...

لكنها كما توقعت وجدته قد أعاد الإتصال مرة أخرى..

فضغطت على زر الإيجاب وهي ترد بهدوء بـ :

-السلام عليكم

أتاها الصوت عبر الهاتف منزعجًا غاضبًا بـ :

-إحنا مش إتفقنا امبارح هنعمل كل حاجة سوا، أنا من الصبح بدور عليكي وبرن مش بتردي

أخذت نفسًا عميقًا وزفرته على عجالة، ونظرت حولها بفتور وهي تجيبه قائلة :

-اهدى شوية إنت كنت نايم وبعدين أنا خلصت اللي جيت عشانه خلاص

قال هو عبر الهاتف بنبرة منفعلة :

-طيب إنتي فين عشان أجيلك

نظرت حولها مدققة في الاماكن لتستطيع وصفها، فتلك هي مشكلتها مذ صغرها تعرف المكان بدون عنوان محدد وتستمر في محاولة وصفه عسى أن يفهمه الآخر !

لكنها قالت بعدها ببساطة :

-فيه محل بتاع هدوم جنبي اسمه ****
وفيه محطة بنزبن اسمها**** اعرف انت المكان بقى كدة كفاية عليا

ضحك الأخير فلم يك منظرًا منها أكثر من هذا، فهو يعلمها جيدًا..

ثم قال بنبرة مرحة حينها :

-طيب ياختي اصبري خمسة وابقى عندك

-ليه إنت فين !

-احم

أتاها صوته من خلفها فإستدارت مندهشة وهي عاقدة حاجباها قبل أن تردف بـ :

-لحقت !

-ده على أساس إني كنت هفهم توضيحك الدقيق أوي احمدي ربنا اني كنت جنبك وشوفتك بالصدفة !

قالها حين عقد ساعداه أمام صدره بنبرة ساخرة..

فأجابته بنبرة طبيعية بـ :

-ما أنت عارفني، أنا أصلًا جاية مشي عشان معقدش السواق معايا

-المهم عملتي إيه ؟

مشت عدة خطوات للأمام وهي تقول بحذر :

-تعالى نركب الأول وإحنا في الطريق هقولك

أومأ الأخير وذهب نحو سيارته وقد كانت هي قد سبقته ففتحت الباب الأمامي الخاص بالسائق وجلست فيه ثم أغلقت الباب خلفها

إحتج براء وفتح الباب بجانبها قائلًا :

-متحلميش أنا اللي هسوق

نظرت له ببرود وقالت :

-يبقى هتفضل واقف عندك كتير !

-أووووف انزلي بقى

-بطل رخامة أنا عاوزة أسوق

-وأنا مش عاوز أموت يا جوري أنا لسا ٢٢ سنة بس !

لم تتحرك، ولن تفعل

إذًا لم يكن أمامه حل إلا أن يرضخ للواقع،
سيموت اليوم... أقصد ستقود هي اليوم+

حين جلس بجانبها وأغلق الباب نظر لها
بترقب وقال :

-جوري آآ

قاطعته قائلة :

-هات المفتاح

أخرجه من جيبه وأعطاه لها على مضد،
بالطبع ليس خائفًا على نفسه فهو معتاد
على التهور في القيادة، لكنه خائف عليها
فهي منذ فترة لم تقد وقيادتها سريعة
متهورة غبية.. برغم.. براعتها !+

-مش عاوز تهور ولا آآآ....

لم يكد ينهي حديثه حتى وجد السيارة قد إنطلقت، وأخذت تتدرج في السرعة رويدًا رويدًا عشرة، عشرون .. أربعون، .. ثمانون، وصلت للمئة فنظر لها بحذر وهو يقول :

-جوري كفاية متسرعيش عن كدة..

وكأنها فرصة قد أتيحت لها، فتحت النوافذ الأربع من خلال الأزرار المتحكمة في الأمر، وظلت السرعة في إزدياد مئة وعشرون .. وأربعون وستون، وكانت تلك هي أقصى سرعة

هناك متعة حقًا في الأمر، هناك شعور بالقليل من الراحة يملأ روحها...

لذلك أغمضت عينيها لثوانٍ، تسمح للهواء أن يتخلل جميع أجزائها...+

-يامجنونة افتحي عينك هتموتينا

-المفروض مكنتش أجيبك معايا !

قالتها وهي تفتح عينيها وتنظر له فرجاها أن تنظر أمامها ففعلت.+

لم يطل الأمر حتى إعتاد هو على السرعة، حتى وإن كانت القصوى فهي رائعة ألا يكفي ذاك الهواء الذي تطرب له الروح !+

ثم سألها بنبرة هادئة :

-ها عملتي إيه ماقولتيش !

ناولته حقيبتها وهي تقول بثقة :

-إفتح الشنطة وطلع المسجلة اللي فيها

فتح حقبتها بالفعل وأخرج تلك المسجلة السوداء ثم ضغط على زر البدء حتى إستُطرد أمامه كل ما قالوه ثلاثتهم منذ وقت قصير...

فنظر لها بإعجاب وأردف بنبرة جادة بـ :

-يخربيت عقلك إعترف على نفسه

إبتسمت ولم تتسع إبتسامتها وهي تقول :

-لا سحر ولا شعوذة، ها ياحضرت المحامي قولتلي امبارح لو قدرنا نجيب إعترافه يبقى كدة تمام !

إبتسم الأخير لها بإعجاب قبل أن يردف بنبرة عازمة بـ :

-كدة بسهولة جدًا نقدر ندخله السجن وخصوصًا إن ليا معارف كتير هناك هيمشولي أي حاجة معصلجة، وأنا اللي هرافع في القضية يعني مضمون نجاحها

زفرت جويرية وهي تنظر للطريق قبل أت تتشدق بـ :

-بس أنا عاوزة صهيب يحصلوا !

ضحك براء فقد فهم ما ترمي إليه، لكنه نظر لها وقال بجدية بعدها :

-أنا عارفة إنك إتدايقتي من طريقته، وخاصة إنك هددتيه وعارف مش بتحبي ترجعي في كلامك بس هو أقصاه يتحقق معاه بتاع ساعتين ويمشي دا بحكم انه صاحب الشركة بس !

قالت بضيق حينها :

-عارفة، طيب خلاص بس خلي صاحبك يرزل عليه او يخليني أنا أستجوبه

نظر لها جاحظ العين فاغر الفم وقال :

-حرام عليكي دا انتي هتخليه يعترف باللي معملوش عشان ترحميه !

ضحكت هي من طريقته، ثم أردفت بهدوء :

-أنا بهزر يا براء أنا خدت حقي تالت ومتلت ومجرد بس تشريفه للقسم دا كفاية....+

-امممممم هنروح على فين الوقت !؟

-عند سوفانا

قالتها بهدوء عجيب وهي تنظر إلى الطريق، وكأنه لم يبدو عليها أي تأثر...

أما هو فقد أعاد السؤال بدهشة قائلًا :

-قولتي فين !

إبتسمت وقبل أن تظهر تلك الفجوة الصغيرة الوحيدة في خدها الأيمن كانت قد توقفت عن الإتساع..

ثم نظرت له قبل أن تردف بثبات :

-مالك موحشتكش !

إبتسم لها الأخير مبادلًا إياها وأرجع رأسه للخلف قليلًا ليسترخي أثاء قوله متمنيًا :

-جدًا ياريت لو...

ثم صمت قبل أن يتابع، وإنتفض من على المقعد فجأة و أعاد النظر إلى تلك السائقة المتزنة، المتهورة وقال بإضطراب :

-جويرية أنا شايف إن الموضوع مش مستاهل تروحي، كفاية عليكي اللي إنتي فيه، منتيش ناقصة !

لم تختفِ إبتسامتها، ولم تتسع، ولم تتغير تعابير وجهها قيد انملة، لكنها قالت دون أن تلتفت له :

-متخافش أنا بس هزورها عشان وحشتني جدًا و... حتى ما..آآآ

تغيرت تعابير وجهه وهو يتابعها، فقد لمس ذلك الألم الذي يختلج صدرها، كيف له ألا يلمسه وهو مثلها لايزال يتعذب بذكراهم..

قال لها بنبرة منزعجة :

-يا جويرية إنتي مش ....

قاطعته وهي توقف السيارة بمهارة بالنسبة للسرعة التي كانت تسير بها فإبطاءها ليس بالهين، لكنها فعلتها وهي تقاطعه قائلة بنبرة حاسمة :

-يلا وصلنا

نظر حوله فلم يكن منتبهًا للطريق، ولكن فجأة وجد نفسه في المحل الذي يسافر إليه كل من إغترب عن الدنيا..+

ترجلت جويرية من السيارة، وظلت تنظر
أمامها لفترة بعينين جامدتين، خلاف قلبها
الذي كساه الوجع..

نعم هي الآن أمام المقبرة، هي الآن أمام آخر
مكان يبقى لنا بعد رحيل الأغلى

آخر مكان يبقى فيه أثرنا بعد الفناء.....

مشت خطوات ثابتة نحوها، ولحق بها براء
على الفور بعد أن يئس من عدولها عن
قرارها، وأمسك يدها وقد تجهم وجهه تمامًا

وسار معها إلى أن ولجا...+

لم ينبس أحدهما بكلمة، فلذاك المكان
حرمة من ذا الذي يجرؤ على إنتهاكها !؟

ولماكان شعور جويرية بالألفة في ذاك
المكان بدأت تشعر ببعض الراحة...

لن تنكر أنها دومًا كانت تشعر بالإنتماء إلى هنا ..

أجل فهو بيتها الثاني والأرحم من قسوة وعذاب تلك الأيام.... والآن يزداد شعورها بالإنتماء له أكثر فأكثر..+

ظلا يسيران بين القبور وهي تطالع أسماءهم .. هنا قبر كذا وذاك قبر كذا، وتلك هي الراحلة عن الحياة بعد أن فعلت كذا وكذا، وأما ذاك فقد كان كذا وكذا وكذا

وأخيرًا تلك ..

وقفوا أمام ذلك القبر الذي كُتب عليه "هنا ترقد ... سوفانا عبد القدوس محمد عرابي"

أغمضت جويرية عينيها علها لا تبكي، وتماسكت بأعجوبة وهي تدعوا لها وتقرأ عليها سورة الفاتحة..+

ثم خطوة بعد إلى القبر الذي يليه وكم لنا في القبور أحبة ...!

هاك شعرت وهي تخطوا لتقف أمام ذاك القبر..

"هنا قبر ميادة عبد الحميد عزت "

تساءلت مع نفسها لوهلة "ما هو الأقسى أن تقرأ أسماء من تعشق بين أطلال القبور.. أم أن تحضر سكرات موتهم !"+

قرأت لوالدتها الحبيبة سورة الفاتحة ودعت لها..

ولربما ظلت تناجي ربها لفترة أن يأخذها إلى حيث أخذ أحباباها...+

حينما أنهى براء دعاءه ظل ينظر لها..

تمنى حينها حقًا أن تبكي، يتمنى أن تخرج ما في قلبها بالبكاء...

ولكن، يبقى التمني تمنيًا !+

وضعت إحدى يديها على قبر والدتها والآخر على قبر سوفانا بعد أن جلست على ركبتيها لتصل لمستوى القبرين وتبسمت..

نعم تبسمت حتى أن الواقف بجانبها كاد يصاب بالجنون !

ثم قالت بهدوء كما النسيم وهي مغمضة العين :

-برغم بعدكوا بس لسا قريبن..

وقفت على قدميها ثانية ونظر إلى براء وهي تقول بصوت غائم :

-ماما بتجيلي كتير في الحلم، وجتلي امبارح وقالتلي إني وحشتها، و.. و...آآ

أغمضت عينيها فجأة لتمنع العبرات من النزول، ثم نظرت لأطلال أحبتها ثانية وقالت :

-أنا جيت عشان أزورهم عشان وحشوني ... أوي.+

زفرت لتخرج حرارة حبستها طويلًا..

دمعت ولم تحرر دمعتها،... تهادت كما الطير إذا كُسر جناحه..+

وقبل أن تنطق بكلمة أخرى فقدت وعيها وكادت تسقط لولا أن براء أسندها إليه بسرعة وكأنه كان متأهبًا لهذا !

ثم مد يده أسفل ركبتيها وحملها وهو ينظر لها بقلق، قبل أن يقول بنبرة متألمة :

-كنت خايف أنا من كدة !

ثم سار بها وهو متجهم الوجه، حزين الملامح...+

حين وضعها بالسيارة ظل ينظر إليها بحزن ثم وضع يده على وجهها وأدخل بعض خصلات الشعر التي تناثرت بعد إغمائها،

لن يوقظها أبدًا فهي لن توافق على الذهاب معه إلى الطبيب، وما أعندها من فتاة !

إعتدل في كرسيه مرة أخرى بعد أن أرجع رأسها للخلف وأدار المحرك منطلقًا بها قاصدًا الطبيب.....!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

+

الفصل الرابع عشر :

كان بيجاد ممسكًا باب مكتب صهيب وعلى وشك الخروج، أما صهيب فقد كان جالسًا بإتزان على مكتبه..

وبنبرة غاضبة أردف بيجاد :

-أنا قولتلك كنت شارب ومكنتش في وعيي

نظر له صهيب نظرات قاتمة تخلوا من العبث، ثم قال :

-إنت عارف أنا اتحملتك قد إيه !

ضيق الأخير عينيه مستفهمًا بعد أن أغلق الباب وذهب نحوه قائلًا :

-قصدك إيه !

عقد صهيب حاجباه وتبعها عقده لساعديه أمام صدره وهو ينظر له بثبات ...

ثم وقف فجأة وسار نحوه متابعًا إياه بنظرات هادئة إلى أن توقف عن الحراك أمامه، وقال بهدوء خطير :

-فاكر زمان ولا أفكرك !

سعل بيجاد بحرج وأشاح وجهه عنه قبل أن يردف بـ :

-الموضوع مش مستاهل تفكرني يا صهيب

ضرب الأخير بيده بقوة على المكتب وقال بغضب :

-أنا اللي أحدد مستاهل ولا لأ ! ، دي شركتي أنا واللي يحصل فيها يخصني، إنت فاهم !

زفر الأخير بضيق وبنبرة متضجرة هتف بـ :

-أنا كنت شارب ومش فايق، وهي نرفزتني وإنت عارف إن آآ

أمسكه صهيب من تلابيبه وقاطعه بإقتام قائلًا :

-متحاولش تبرر موقفك، أنا البت دي ولا تهمني في حاجة، أنا كل اللي يهمني أدفعك تمن اللي إنت عملته لما عصيت أوامري...

جحظت عينا الأخير برعب وهو ينطق بـ :

-قـ.. قصدك إيه !

دفعه صهيب بعيدًا عنه، وهو يرمقه بإحتقار وقال :

-إنت مفكر عشان إنت شارب يبقى خلاص، لأ إصحى وفوق يا بيجاد.. صح أنا إتهاونت معاك كتير بس ده ميعنيش إني أسيبك كده من غير ما اعاقبك !

نظر الأخير له برعب، هو يعلم أنه قد علم حديثًا بخيانته له، لكن أقصى ما يعرفه هو محاولته تزوير بعض الأوراق لإغراق الشركة في الديون والتلاعب ببعض الميزانيات.. وهو لم يرد إخباره بالأمر وإعتبره هو ذلك الأمر من مصلحته..

لكن إن فاتحه بالأمر الآن ستكون تلك كارثة مضافة إلى حماقة البارحة..

لذلك حين لم يرد هو أن يصل الموضوع إلى أكثر من ذلك قال بهدوء مفاجئ :

-صهيب إنت عارف إن إحنا صحاب من زمان ومش هيفرق بينا نزوة جت في وقت غلط، دي مجرد سكرتيرة !

إقترب منه صهيب وقد بدى على وجهه برود شديد، وحين وقف قبالته أردف قائلًا :

-اممم ما بلاش نكدب على بعض وخلينا حقانيين، من صغرك كنت بتجري ورايا زي ضلي عشان عارف مصلحتك فين ...

هدأ قليلًا قبل أن يستألف كلامه بنبرة أشد حدة :

-وأنا عارف إنك عمرك ما صاحبتني إلا عشان مجرد مصلحة، فاكر لما كنا ماشيين في طريق صحراوي من ٥ سنين ووقفني عصابة نشالين إنت عملت إيه وقتها !

صمت هو ليراقبه فقد كان مشيحًا وجهه عنه تمامًا، وإعتلت نظرات الضيق وجهه..

فتابع صهيب وهو يبتعد عنه بعدة خطوات ويقول بنبرة مستخفة :

-أنا نزلت من العربية عشان أشوفهم، وإنت أول ما أنا نزلت أخدت العربية وطلعت تجري بعيد..

-بس دي كانت خدعة أصلًا !

قالها بيجاد بنبرة غاضبة وهو ينظر له..

فأجابه صهيب بهدوء :

-كنت يومها عاوز أوضحلك إنك جبان مش أكتر، ومع إن الحركة كانت وحشة جدًا مرضتش أبعدك عن طريقي، وسيبتك تشتغل في الشركة عندي وتكمل بس عارف ليه !

-ليه ؟

قالها الأخير متسائلًا بفضول، فأجابه صهيب بـ :

-لأنك كنت نافعني وقتها ... بس الوقت، معدتش عاوز أشوف وشك هنا تاني ..+

فغر الأخير فمه مشدوهًا وهو يردف بـ :

-هاه

أردف صهيب بتهكم :

-ما إنت كنت بتضطر تعمل كل اللي تقد عليه عشان تنجحلي الصفقات، وخصوصًا إن آخر صفقة كانت مهمة جدًا و إنت اللي خليتها تنجح وكنت ناوي نصفي حسابنا بعدها..

ثم أردف بعد صمت ثوانٍ :

-بس إنت إستعجلت أوي على رزقك، فا ... خلي بالك من نفسك اليومين الجايين دون

كان بيجاد غير قادر على التصديق فقد ظن أنه فقط من يلعب من خلف ظهره والآن إتضح كل شيء....

وحين وصل إلى تلك النقطة أردف بتوتر بـ :

-يعني إنت آآآ

قاطعه صهيب بنبرة حادة :

-وقتك خلص

نظر له بيجاد مشدوهًا وقد علقت بعض الأسئلة في حلقه، لكنه فضل الذهاب قبل أن يقتله، وحين فتح الباب وجد صهيب يقول :

-وآآه إبقى إشكرلي عقاب بالنيابة عني، بصراحة تعب معايا جدًا

فغر فمه مصدومًا وهو يقول برعب :

-آآ إييه عـ... عقاب .....!!+

+.....

-متقلقش دا مجرد هبوط عادي نتيجة لأنها مأكلتش حاجة من امبارح...

قالها الطبيب بنبرة هادئة وهو يتطلع على التقرير أمامه

نظر لها براء بقلق وأجاب بنبرة متوترة بـ :

-يـ يعني هي كويسة !

إبتسم له الطبيب بود وبنبرة متزنة قال :

-متقلقش عليها يا بني، هي الوقت كويسة بس حاول متعرضهاش لأي ضغوط عصبية..

صمت قليلًا وهو يطالعها، ثم إنتصب من على مقعده وتقدم عدة خطوات حتى وقف أمامها ثم نظر لها باسمًا وهو يقول :

-اممم وانت بقى رجعت من امت !

زفر الأخير بضيق وتقدم بخطواته حتى جاوره المكان وأردف بضيق :

-بابا الله يخليك اوعى تقول لماما اني جيت، اليومين دول بالذات مينفعش أروح، أنا جيت أصلًا مخصوص عشانها

أومأ الأب برأسه ونظر لابنه بحيرة قبل أن يردف بـ :

-أنا معنديش مشكلة، بس هي مالها ؟

وضع براء يده على رأسه مخللًا بإصبعه شعيرات رأسه، ثم قال بعد أن جلس على أحد المقاعد القريبة :

-عمي في المستشفى، ودا لوحده كوم و...

-اييييه !

قالها الطبيب مصعوقًا بعد أن بدى على وجهه القلق..

أجابه براء بهدوء :

-عارف انك متعزفش عنه حاجة..

تنفس الأخير بصعوبة قبل أن يقوب بتوتر :

-أنا لسا مكلمه من حوالي اسبوع !

-ما هو تعب بعدها ودخل في غيبوبة، وأنا دايمًا لما كنت برن عليك في السفر عشان تطمن عليهم بلاقي موبايلك مقفول، دا غير ان ماما مش بتزورهم إلا كل فين وفين !

ضيق الطبيب عينيه قائلًا بإستفهام :

-غيبوبة إيه ! ، وجويرية مقالتليش ليه ؟

-غيبوبة سكر، وبعدين إنت عارف جويرية يا بابا مستحيل تطلب من حد مساعدة... دا هي راضية أساعدها بالعافية

تنهد الطبيب وهو ينظر لإبنه بحزن قبل أن يردف بـ :

-بس أنا خالها، هو انا حد غريب !

إبتسم براء له مثل جويرية كما رآها تبتسم في كل وقت وقال بروية :

-يا عم أنا نفسي بتحاول تبعدني عن الموضوع، وإنت عارف إحنا كنا قريبين من بعض إزاي !

-عارف يابني والله، طيب بص خلي بالك منها وأنا مش هقول حاجة لأمك، وبص أنا الوقت هروح أزور عبد القدوس

أومأ براء بالإيجاب بعد أن نهض من على كرسيه وسارع بحملها+

إستدار الطبيب نحو الورقة الموضوعة على مكتبه وأمسك القلم ودون فيه بعض الأشياء ثم ذهب بها نحو براء ...

مد يده له بالورقة وهو يقول بجدية :

-تجيبلها كل الأدوية اللي كاتبهالك هنا، وخاصة الفيتامين إللي تحت ده، تاخده مرتين في اليوم ..

صمت قليلًا ليأخذ نفسه قبل أن يتابع :

-وأنا إدتلها حقنة مهدءة هتساعدها، وهي بحد أقصى ساعتين وتفوق، بس...

عدل براء من حمله لها ليتأكد من عدم سقوطها، وحثه على المتابعة وهو يردف بقلق ملحوظ :

-بس... بس إيه !

نظر له والده بهدوء وقال بحلم :

-بص يا براء هي كويسة ومفيش حاجة، بس
أنا آخر مرة زورتها كانت حالتها مختلفة
وحسيت انها لازم تزور دكتورة نفسية !

ضحك براء وهو ينظر لها بحنو قبل أن يردف
:

-ودي اللي هتوافق، دا أنا من كام سنة
بتحايل عليها ومبترضاش ! ، دي لو كانت
تعرف اني جايبها عند الدكتور مش هترضى

-البت دي عنيدة أوي والله

قالها بخفوت وهو عاقد الحاجب متضايقًا+

أومأ براء رأسه بالإيجاب وهو يسير بها
مبتعدًا عنه قائلًا :

-طب أنا ماشي بقى يلا سلام عليكم...!!!+

+.....

باقة حمراء من الزهور، وإكليل يخيم على بتلاته الحزن...

نزع وردة أخرى من الباقة الممسك هو بها ووضعها على ذاك القبر العتيق..

أظلمت ملامح وجهه بالألم ودنى من مآقيه الدمع، كما ظهر سراب لشبه إبتسامة تعلوا محياه..

إرتجفت يده الممتدة نحو القبر وأخذ يمرر يده عليه جيئة وذهابًا..

ثم يعود لباقة الورد الحمراء فيأخذ احدى أجمل زهورها ويضعها على القبر.

تنهد بحزن وهو يحاول التحدث، فخرج صوته المتأسي بـ :

-عارف إنك ظلمتيني كتير أوي.. وأذيتيني لدرجة محدش يتصورها .. بس للأسف مقدرتش يوم أكرهك..

صمت قليلًا بعد أن رفع رأسه لينظر للسماء فوقه، ويتابع بنبرة جلى بها الحزن :

-يمكن عشان اللي بيحب مبيقدرش يكره.. أو..

أعاد النظر للقبر أمامه مرة أخرى وأكمل بهدوء :

-أو يمكن عشان إنتي سبتيلي حاجة من ريحتك !+

تابع وضع تلك الأزهار الحمراء حول القبر وفوقه، وقد حاول الهروب من أطياف ذكراه..

لكنها كانت كما بالأمس حدثت.. حفرت،
طبعت، نقشت، ففي قلبه نسخت وأبت
الزوال...+

+.....

كان نائمًا بجانب الصغير صهيب وأيقظه
رنين هاتفه فإلتقطه ناظرًا إلى شاشته بعجب
قبل أن يجيب بسرعة على الهاتف ..

وقبل أن يتحدث فاجأه صوتها الصارخ
المستجدي عبر الهاتف...

جحظت عيناه رعبًا من هول الذعر في نبراتها،
وبقلق أردف بـ :

-فـ .. فيه إيه.. نـ... نوران !

سمع هو عبر الهاتف بعض الصرخات
وصوت رجولي صادح من الجانب الآخر :

-افتحي الباب ده ما انتي لازم تموتي النهاردة ... قولتلك افتحي !+

قالت وهي تصرخ برعب عبر الهاتف بـ :

-رحيل إلحقني معتز هيقتلني.. هيموتني يا رحيل..

إنتفض قلبه قبل جسده وقال بنبرة خائفة :

-أنا... أنا جاي حالًا..+

نظر رحيل للجانب الآخر الذي ينام به صهيب ليطمئن لنومه .. وما إن وجده ساكنًا نائمًا ... تحول برأسه نحو إحدى الأدراج وفتحها ثم أخرج منها سلسلة من المفاتيح وركض خارج الغرفة...+

حين ترجل من سيارته أمام ذلك المنزل الكبير..

أسرع بالدلوف إليه حتى وقف أمام باب المنزل فسمع صوتها وهي تصرخ بالداخل فقام بدفع الباب بكل قوته..

وفي الحقيقة لم يتحج الباب للدفع فقد كان مفتوحًا أصلًا..+

دلف رحيل وأخذ يتتبع الصوت برعب جلي

...

سمع صوت أحدهم يستمر بالطرق بكل قوته على الباب وصوتًا انوثيًا يصدر منه صرخات مدوية+

وبعد لحظات كان خلف معتز الذي بدوره لم يتوقف أبدًا عن محاولة كسر الباب والدلوف إليها

وبالفعل إستطاع هو أن يكسر الباب في نفس اللحظة التي وصل رحيل فيها، ودلف إليها ...+

كانت هي قد وقعت في أرضية الحجرة وهي ترتجف برعب حين كُسر الباب ..

شهقت بخوف بعد أن اعتدلت بصعوبة وظلت تبحث بعينها عن أي حاد تحتد به نبرتها وتستطيع الدفاع عن نفسها به فلم تجد شيئًا ...

وظلت تتراجع للخلف وهي تردد برعب :

-ابعد عني ... آآ.. أنا عملتلك إيه لكل ده !

كشر الأخير عن أنيابه وهو يقترب منها إلا أن ثبتها عند أحد الجدران في الغرفة وهو حامل سكين صغيرًا حادًا وأجاب عليها بهدوء خطر :

-كفاية بس إنك مرات جلال باشا عشان تاخدي نفس حكمه، أنا وعدته قبل كدة اني هقتله وهقتل كل اللي يخصه والوقت هخلص منك ومش هيتفضل إلا إبنك .. اللي آآ...

كاد أن يتابع إلا أنه وجد من يسحبه من قميصه من الخلف ويوقعه أرضًا بقوة..

نظر معتز إلى الداخل الجديد في الساحة بغضب وقبل أن يتحدث قال رحيل :

-انت ايه بالظبط ! انا مجبتش حق أخويا إللي انت قتلته ولسا الموضوع مخلصش عاوز تقتل مراته كمان !

إعتدل الأخير واقفًا ونظر له بضيق وهو يحذره قائلًا :

-بلاش انت يا رحيل ابعد عني السعادي وسيبني أخلص عليها

كانت نوران تتابعهم بتوجس وقد إرتجفت عضلات جسدها بالكامل وانهمرت دموع الذعر من مآقيها

حينها أردف رحيل غاضبًا :

-مستحيل أسيبك تقرب منها يا معتز

ضحك الأخير بهيستيريا وهو يشير إلى نوران قائلًا :

-مش دي برضوه اللي باعتك يا رحيل، وسابتك في أول الطريق عشان لقت أخوك أغنى منك !

زفر رحيل بضيق وهو يتذكر أسوأ أيام عمره التي قضاها ببن جدران من الأوهام مطلية بالكذب والخداع ذوات اللون الأسود القاتم...

حاول إبعاد ذكرياته ليواجه الواقع المتواجد هو به الآن، فلم يكن منه إلا أن رمق الأخيرة بنظرات لوم داكنة ..

لكنه أفاق من شرود عينيه حين وجد معتز يقترب منها أكثر حاملًا السكين بيده، فإندفع نحوه بسرعة وحاول إلتقاطها من يده لكن معتز دفعه بكل قوته فأوقعه أرضًا ..

ونظر له غاضبًا وهو يصيح به :

-أنا مش فاهم بتدافع عنها ليه !

ثم تابع وهو يشير إليها ناظرًا لها بإحتقار :

-شايف دي هي اللي قالتلي تعالى إقتل جوزي، هي اللي طلبت بنفسها وقدمت نفسها ليا على طبق من فضة ..

بدى على ملامح كلاهما الدهشة وقبل أن ينطق رحيل قالت هي :

-ده كدب إنت اللي قولتلي .. آآ

صفعها معتز بقوة مانعًا إياها عن الحديث، فوقعت أرضًا بجانب رحيل، وغطى شعرها الذهبي وجهها بالكامل بعد أن سقطت، ولكن برغم هذا لم تتجرأ على رفع عينيها قبالة رحيل..+

نظر له رحيل غاضبًا حين رآه يعتدي عليها ولم يلبث أن إنتصب واقفًا وتوجه نحوه بخطوات سريعة وهو يصرخ بـ :

-أنا قولتلك ماتمدش إيدك عليها ..

وبعد أقل من ثلاث ثوان كان رحيل قد أمسكه من تلابيبه وإلى الأرض ألقاه ..

ثم جثى على ركبته بجانب معتز ليقول بنبرة حادة :

-نوران خط أحمر يا معتز

مسح معتز ذلك الدم من أنفه بإنفعال وهب واقفًا

نظر إليه بحقد جلي ولم يتردد وهو يقترب منه مصوبًا تلك السكين نحوه .. وأردف هو حينها بغل بـ :

-أنا مكنتش ناوي أأذيك بس إنت اللي إضطرتني..

وحين وقف قبالته مباشرة وكاد أن يفتك به أمسك هو معصمه بقوة ليمنعه من إصابته إلا من جرح طفيف في رسغه....+

لكنه إستطاع إيقافه، وظل يضغط على يده بقوة ليفلت السكين أثناء قوله بغضب :

-قتلت جلال جاي تقتلني أنا كمان !

جاهد معتز وهو يحرك يده ليستطيع إصابته، وبنبرة حاقدة أجابه :

-وأقتل أي حد كمان أنا أصلًا بكرهكم كلكم..+

في ذاك الحين نظرت نوران برعب حولها وظلت تبحث بعينها عن أي شيء تدافع به عنهما، لكنها لم تجد إلا مزهرية أعلى المكتب وبجانبها بعض الكتب فنهضت عن الأرض مندفعة قاصدة إياها ...+

إستطاع رحيل أن يأخذ السكين من أخيه بحركة سريعة حين رآه شاردًا مع نوران بعينيه..

ومن ثم ألقاها بعيدًا عنهما ودفع معتز بعيدًا عنه ثم أردف بكره :

-وأنا كمان عمري ما حبيتك، صح إنت من أم تانية بس أنا عمري ما فرقت بينك وبين

جلال في المعاملة، ومع ذلك عمرك ما قدرت حبي ليك

ضحك الأخير ساخرًا وهو يتهكم بنطقه بـ :

-لأ فرقت حتى جلال اللي إنت حبيته خد منك كل حاجة حتى خد اللي إنت بتحبها مع إنه كان عارف إنك بتحبها، وخد الورث كله لوحده، أما أنا عمركم ما حبتوني، كان فيه تفرقة بينا دايمًا

صمت قليلًا قبل أن يندفع نحوه من جديد وهو يقول :

-إحنا كبرنا على كره بعض مينفعش يتغير إحساسنا تجاه بعض بين لحظة والتانية !

ثم سدد له لكمة قوية في وجهه أرجعته للخلف قليلًا، أما رحيل فهدر به بعد أن إستعاد توازنه وإستعاد إحتداد نظراته :

-أمك هي اللي زرعت فيك الكره ده، هي اللي كانت بتغير من أمي دايمًا وكانت بتقسيك علينا..

-متتكلمش نص كلمة عن أمي إنت فاهم ! أمك هي اللي كانت بتغير من أمي والمحروس أبونا كان بيفرق بينهم وكان يفضل بيضربها هي قالتلي كدة كتير

قالها معتز أثناء إقترابه منه ونيران الغضب تندلع منه ثم إنحرف لثانية عن مساره وأخذ السكين المرمي بعيدًا ثم عاد إليه بها ...

ورفعها قبالته و...+

حين رأته نوران يقترب من رحيل وعلى وشك قتله فلم تتردد هي بالتوجه نحوه، وتهبط بالمزهرية فوق رأسه ..

تأوه الأخير من وقع الألم ووضع يده على رأسه، بينما نظر له رحيل غير آبه بما حدث له..

نعم هو أخوه لكن الإخوة بالأفعال لا فقط بالنسب والدم، لا بل الإخوة في المواقف،.. الإخوة هم المساندون لبعضهم البعض أما إخوته فلن يحزن إن ألم بهم سقم فإحدى إخوته طرده من بيته بطريقة ذكية حين استولى على الميراث كاملًا وعلاوة على ذلك تزوج من كان يهوى وقع أقدامها، تزوج حبيبته ! وهي قد سلمت له نفسها بكل بساطة والآخر يريد قتله وما كان ليفصل بين السكين وقلبه إلا المزهرية التي كُسرت فوق رأسه ..

الجميع مذنب.. الجميع يستحق اللوم .. إلا هو، هو فعل كل ما بوسعه لكي يرد تلك

العائلة المشتتة لكن كما قال معتز لن يمحى الكره بين لحظة وضحاها..+

ظل رحيل شاردًا لم يعلم مع من يقف، حبيبة خائنة، أم أخ يريد قتله !

أم مع نفسه ويرحل !

لكنه تفاجأ بعد لحظات بها وهي تصرخ، والآن لم يعد هناك مجال للتفكير..+

حبيبة خائنة ..+

أسرع نحوها وقد كان معتز قد أوقعها أرضًا وظل يسدد لها الصفعات تلو الأخرى .. وهو يقول :

-إنتي وإبنك وأي حاجة تخص جلال هتموت زي ما أخد مني كل حاجة، انا الأول كنت مفكر لما أتجوزك واربي ابنه هشفي غليلي بس لأ أنا بفتكره كل ما بشوفك !

كانت هي تصرخ بهياج طالبة الإغاثة بينما
أطبق هو على رقبتها لكي يقتلها

لكن رحيل كان الأسرع فلم يمهله حتى يجهز
على باقي أنفاسها وأبعد يده بصعوبة عنها
وهو يردف بغضب بـ :

-معتز خلاص هتموتها !

حاول الأخير إفلاتيده من بين يدي أخيه و...

معتز بنبرة عالية :

-سيبني، أنا أصلا عاوز أقتلها ...

نظر له رحيل بغضب وهو يقول :

-حرام عليك إنت مبتزهقش قتل ! ، طب أنا
مرضتش أبلغ البوليس إنك قتلت جلال،
وقولت يمكن يهدى لما ياخد بتاره !

دفعه معتز بقوة من كتفيه، وهو يقول بنبرة محتقنة :

-لأ لسا لما أقتلها الأول، أقتلها وبعدين هههدى، أنا كل لما بشوفها بفتكره وبكون عاوز أخنقها في إيدي ...

لم يتحمل رحيل أكثر من ذلك عليها، ودفعه بقوة فألقاه أرضًا ثم جثى فوقه هادرًا به :

-في كل ده أنا اللي إتظلمت، ومفكرتش آخد بتاري ليه !

صمت قليلًا وهو يأخذ أنفاسه قبل أن يتابع بغضب أشد :

-عارف ليه ! ، عشان أنا عمري ما كنت حقود زيكم.. عمري ما فكرت إني أأذي حد عشان هو خد مني اللي بتمناه، خد مني كل حاجة

أنا نفسي فيها، إنت وجلال طول عمركم بتاخدوا اللي عاوزينه ...

قاومه معتز بقوة مفاجأة وإستطاع إبعاده عنه، ثم وقف هو ونظر إليه بحقد شديد...

وبنبرة كره جلية قال :

-جلال يستحق اللي حصله، خد مننا الورث كله، وهو اللي إتجوز نوار اللي أنا بحبها، ولما ماتت إتجوز أختها نوران إللي إنت حبيتها، أما إنت كنت دايمًا اللي بابا بيحبه وبيديلو اللي هو عاوزه، كنت بتاخد كل حاجة ليك لوحدك

نظر له جلا مشدوهًا بعد أن وقف.. لتلك الدرجة يحقد عليه، ما خطأه إن كان والده يفضله، ويشعر أنه أطيب إخوته..

فهو لم يكره أحد من قبل ولم يساهم في إيذاء أحدهم ...

وحتى بعد كل ذلك فلم يقصر والدهم في معاملتهم فقد ساوى بينهم، ولكن الحقد يعمي القلوب، ليس فقط حقد الإخوة بل الزوجات !

فقد تزوج والدهم زوجتان، لكن كانتا تزرعان شرًا في قلوب أبنائهما، ولولا أنه إستطاع أن يفرق بين الأمور لإلتبس عليه الأمر وأصبح مثلهم

يحاول بكل جهده إيذاءهم...+

-رحيل خلي بالك !

صاحت بها نوران بصوت عالٍ، فنظر رحيل بجانبه ليجد معتز قد عاد بالسكين مرة أخرى وكاد يغرزها في بطنه لولا أنه أمسك يده في الوقت المناسب...

-معتز بطل جنان إحنا إخوات !

ضحك الأخير ساخرًا ثم عاد بوجه خالٍ من الإرتياح ليقول :

-لأ إحنا أعداء يا رحيل، الدنيا متسعناش كلنا !

حاول رحيل أن يبعد السكين من بينهم لكن نصلها كان يقترب منه أكتر، فحاول أن يغير مسار السكين لكي لا تقتله وبالفعل إستطاع أن يجعها في الجانب المقابل...

حذره معتز بقلق :

-معتز إبعد عشان السكينة متجيش فيك

حاول الآخر أن يعيد السكين أمام أخيه لكن لم يستطع، فأردف بخفوت :

-أنا قولتلك يا أنا وأقتلك وأقتلها، يا إنت وتقتلني !+

كان معتز يحاول تغير مجرى السكين لكن رحيل قد أمسك يده بقوة، وحين حاول مرة أخرى وجد أن نصل السكين قد إخترق ثيابه

حاول رحيل جاهدًا ألا يقوم بتلك الخطوة ويقتله، حاول أن يخلص السكين من بينهما لكنه فشل، ولما كان يحاول سحب السكين بعيدًا نعه والآخر يحاوجذبها نحوه إخترقه نصل السكين وقُتل ...+

رآه رحيل يقع قتيلًا، ولأول مرة في حياته يشعر بأنه قاتل سفاح

وبرغم كل ما حدث، وبرغم أنه لم يكن يقصد إلا أن يدافع عن نفسه، لكنه قتل، وقتل من !

أخيه

ظل ينظر لجثته مصدومًا مستنكرًا حزينًا، ورغمًا عنه أفلتت دمعة تلتها أخرى وأخرى وأخرى+

وفجأة وجد من يضع يده على كتفه، فلم ينظر فقد كان يعلم هوية الشخص لكنه قال بنبرة نادمة :

-أنا قتلته يا نوران

إلتفت حوله ووقفت أمامه وأردفت بدوء :

-بس هو يستحق !

-يستحق آه بس مش أنا اللي أقتله !

حاولت هي أن تهدئ من روعه قليلًا، فوضعت يدها على وجهه، ومسحت له عبراته وهي تقول بحنو :

-إنت مغلطش إنت بس كنت بتحاول تدافع عن نفسك و... وعني !

نظر لها حزينًا مهمومًا، فمسدت على شعره وقالت بنبرة هادئة :

-جلال ظلمني وفضل يضرب فيا كان كل شوية يقارني بأختي نوران، وإجى بعدها معتز أقنعني إن جلال هو اللي قتل نوران، فكرهته ولما قالي نقتله، أنا وافقت عشان كان بيضربني وبيهيني كتير، وإتجوزت معتز بعدها وبرضوه ظلمني وعذبني

كتير أنا مش زعلانة على نفسي يا رحيل، أنا زعلانة عليك إنت، أنا عارفة إني غلطت لما سيبتك عشان طمعت في فلوس أكتر، وأستحق كل اللي جرالي

أنا دايمًا كل لما الدنيا كانت تقسى عليا كنت
أفتكرك، كنت بتمنى أرجع أصلح اللي
كسرته ونعيش سوا، بس للأسف اللي أنا
كسرته ده مفيش حاجة تقدر ترجعه...+

إبتعدت عنه قليلًا ثم جلست على ركبتها أما
جثة زوجها، وأخرجت السكين من بطنه ثم
ذهبت وأحضرت منديلا ومسحت يد السكين
ثم ذهبت إلى الحمام الملحق بغرفتها،
وغسلت به المنديل قبل أن تضعه في
المرحاض وتغرقه بعدها بالماء...

ثم عادت مجددًا وهي تمسك السكين
بيديها العاريتين وقد تأكدت أنها قد طبعت
آثار يدها عليها، وأعادتها في بطن معتز مرة
أخرى

كل هذا تحت أنظار رحيل الذي لم يفهم
للوهلة الأولى ما تخطذ هي له..

لكنها وقفت حينها ونظرت له وهي تسأله :

-لسا بتحبني يا رحيل !

لم يشعر هو بضرورة التفكير، فنعم هو يحبها، ونعم لم تزول عن عقله يومًا ولم يغادر محياها ذاكرته ..

فأردف بهدوء:

-اه

إبتسمت له ثم وضعت يدها على يده وهي تقول :

-وأنا كمان بحبك، وبحب إبني أوي، وعشان بحبكم هضطر مكنش موجودة في حياتكم

عقد حاجباه بعدم فهم، فأردفت هي بـ :

-أنا هعترف على نفسي إن قتلت معتز،
وكده آخد جزائي، وإنت وصهيب تقدروا
تعيشوا باقي حياتكم عادي+

+.....

كم لتلك الذكريات آلام تطبع في القلب بلا
زوال ...

لم يعلم هو ما الأقسى أن يراها تتزوج غيره،
أم يسمع خبر موتها شنقًا !

لا بالطبع خبر موتها، فقد كان مؤلمًا جدًا،
وخاصة أنه هو من قتل، لكن حين أصرت أن
تتلقى هي العقاب وأخبرته أنها ستستريح
بتلك الطريقة، وافق ولكنه لم يعلم أن
النتيجة حبل المشنقة ...+

المهم الآن أنه قد تعب حقًا وتلك الذكريات
أهلكته، لذا لما لا يغادر !

وبالفعل وقف هو ونظر إلى قبرها مرة أخرى
قبل أن يودعها قائلًا :

-إبقي زوريني في الحلم متنسينيش !

ثم تركها، وترك معها جزءً من روحه أمام
القبر

هناك..

وذهب..

تاركًا ..

حبيبتة الفقيدة الخائنة .....!!!+

.....!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

١٥

+

الفصل الخامس عشر :

بالتدريج بدأت تستعيد وعيها، وببطئ
فتحت عينيها لترقب كل ما حولها بنظرات
متحيرة قبل أن ...

-أخيرًا فوقتي !

قالها براء باسمًا ناظرًا إليها...

حاولت جويرية الإعتدال فساعدها هو على
ذلك، وبنبرة هادئة قالت :

-إيه اللي حصل ؟

إبتعد قليلًا عنها بعد أن ساعدها على
الإعتدال، وأجاب بنبرة لائمة :

-نفس اللي بيحصلك دايمًا لما بتروحي هناك !

إبتسمت هي له، ونظرت إلى تلك الواقفة خلفه ناكسة رأسها لا تتفوه بحزن و...

جويرية بنبرة طبيعية :

-فيروز !

إنتبهت لها الأخرى فرفعت رأسها لتواجهها.. عينان قد لامستا نقاء السماء بدموعهما، عينان تحملا الكثير من الألم الذي لن يعلمه إلا من مر بتجربتها ...

لكنها تحاملت على نفسها، فهي تعلم أنها السبب فيما حدث لجويرية اليوم ...

لربما تعرضت للتعنيف أو أي شيء آخر أودى بحالها إلى أن تعود محمولة على يد براء !

وكونها هي السبب يشعرها بتأنيب الضمير

+...

-يابنتي !

قالتها جويرية لترجع عقلها الشارد إلى حيث
تقف هي فإنتبهت فيروز وخطت عدة
خطوات لتصل إلى سريرها ...

وما إن وقفت أمامها بنبرة حزينة قالت :

-آآ ... إنتي كويسة !

إبتسمت لها جويرية بودٍ ويحبت يدها
لتجلسها إلى جانبها، ثم قالت :

-زي الفل

نظرت لها بلهفة فجأة وأردفت وهي تحرك
يدها اليمنى بإرتباك بـ :

-هو ... إنتي آآ

شعرت جويرية أنها قد فهمتها، فربتت على يدها بحنو وهي تقول :

-متخافيش، محصليش حاجة أنا بس ....

-كانت في الجبانة ..

قالها براء وهو عاقد ساعديه أمام صدره،

فتنفست فيروز الصعداء، هي تعلم ما يحدث لها حين تذهب إلى هناك، دائمًا ما تصاب بالإغماء، ولم يفهم أحد منهم السبب من قبل ..

اكن الأهم، أن أحدًا لم يتعرض لها.

-أنا جبت دليل ضده وبراء قالي الدليل ده يقدر يجيبه السجن على طول ..

-أيوة دا دليل قوي جدًا، كون إنه يعترف على نفيه ده بحد ذاته ...+

أشاحت فيروز رأسها للجانب الآخر وحاولت أن لا تستمع إلى المزيد، فكل شيء كل حرف، كل حركة وكلمة تذكرها بالأمر ...

كابوس عاشته، لكن لا يمكن التخلص منه حين ترمي نفسها من سفح الجبل فتستيقذ، أو في النهر فتغرق وتصحوا ..

لا ذلك الكابوس حقيقة وهذا أسوأ ما في الأمر ...+

إنتبهت هي فجأة حين تذكرت ما قالوه فقالت بدهشة :

-هو صهيب باشا وافق يديكي الـ..

خف التلهف في صوتها، ثم صمتت حين لم تجد قدرة للمتابعة..+

كان براء ينظر إليها بإشفاق شديد، فأن يُكرر مشهد مؤلم مثل هذا ليس بالأمر الهين،

وحين بدأ يتذكر ما حدث في الماضي قرر أنه يجب عليه الخروج في الحال من تلك الغرفة، فتلك الذكريات قاسية جدًا وهو لا يريد ما يذكره بها ....

وبالفعل وبدون أن ينطق بحرف إنسحب بهدوء من المكان وغادر ...+

رأته جويرية يغادر، ففهمت أنه ما عاد بإمكانه الجلوس أكثر من ذلك ..

ثم جولت أنظارها لفيروز وأردفت بنبرة هادئة :

-المدير بتاعك مرضاش يديني حاجة بس أنا جبت دليل تاني

ثم وضعت يدها على وجهها ورمقتها بنظرات حانية وهي تقول :

-حطي في بالك اني مستحيل أسيب حقك يضيع لو كان التمن حياتي ..

نظرت لها فيروز غاضبة وقد إغرورقت عيناها بالدوموع قبل أن تتحدث بـ :

-لأ يا جويرية لأ مش عاوزاكي يحصلك حاجة بسببي، إنتي كده هتزودي عذابي

مسحت لها جويرية دموعها بأناملها، وإصطنعت إبتسامة ثابتة أثناء قولها :

-إنتي عارفة إني قوية جدًا، ومش أنا اللي حد يقدر يـ.. آآ

قاطعتها الأخرى بإنفعال بين وهي تحرك يدها غاضبة :

-أنا عارفة إنك قوية، بس إنتي مش أقوى منهم، دول ناس واصلين وإنتي وبراء بس اللي ...

قاطعتها جويرية بعد أن أبعدت الغطاء عنها ومدت قدمها لتنزل من أعلى الفراش بـ :

-بصي يا فيروز احنا مش هنعتمد على قانون البلد دي، لأن البلد دي فيها الكبير يتعظم والصغير يتداس ...

مشت هي خطوتين لتستجمع أفكارها المشتتة قبل أن تستطرد حديثها :

-طلاما البلد مش بتجبلنا حقنا، إحنا هنجيبه بنفسنا ..

ثم إستدارت لتنظر إليها ووضعت يديها في خصرها وأردفت بإبتسامة غريبة :

-وكله بالقانون

عقدت الأخرى حاجباها فهي لم تفهم ما ترمي إليه، فقالت جويرية موضحة :

-براء بيشتغل إيه !

-محامي، بس برضوه... آآ

قالتها الأخرى بعدم إقتناع

-شششششش مش قولتي محامي، خلاص وهو قالي إنه يعرف ناس يساعدوه في الموضوع ده، وكمان أنا جبت دليل ضده خلاص

وقفت الأخرى وإقتربت منها حتى وقفت قبالتها ثم قالت بهدوء :

-و.. وأنا كل الناس هتجيب سيرتي بالعاطل و..آآ

إقتربت منها جويرية وضمتها إليها بقوة، فبكت فيروز بين ذراعيها، وأغلقت الأخرى عينيها بألم قبل أن تطمئنها بأحن النبرات بـ :

-أنا معاكي وقولتلك طول ما أنا معاكي
محدش هيمسك، عاوزاكي بس تتحملي
شوية ومتضعفيش، وحطي أملك في ربنا
وهو هيطلعك من كل اللي إنتي فيه ده..
ماشي !

أومأت فيروز رأسها بين أحضانها وهي
تحاول التخفيف من حدة بكائها ...+

+.....

كان براء يتحدث في الهاتف وهو ينظر إلى ما
وراء النافذة، ...

وضع يده على حافتها، وأردف بنبرة هادئة :

-أيوة أنا عارف إن طلاما هو إعترف على
نفسه يبقى هو مُدان، بس دول ناس
واصلين فهمت ! والمشكلة إنهم ببساطة

ممكن يطلعوا بكفالة أو يحاولو تزوير الدليل !

صمت قليلًا ليستمع إلى المتحدث، وظهرت على وجهه بعض آثار الإرتياح قبل أن يتابع :

-يعني المحقق إللي إنت تعرفه ده هيعرف يتصرف !

أنصت إليه محركًا رأسه بإيماءات خفيفة، ثم قال :

-أبان إنت متأكد !

أومأ رأسه مرة ثم نظر خلفه ليرى إن كان هناك من يتتمع إليه أم لا، ثم عاد بناظره مرة أخرى الى النافذة ..

وإبتسم إبتسامة خفيفة وهو يردف :

-شكرًا يا أبان...!!!V

+.....

كانت هناك إبتسامة تشفي تداعب وجهها،
الآن لا مجال للتراجع ..

فهو يستحق كل ما سيحدث له !+

فتحت خزانتها وأخرجت منها صندوقًا خشبيًا
بني اللون واتجهت به نحو فراشها وجلست
على السرير ووضعت الصندوق على
قدميها، وفتحته ..

كان بداخله مسدس حديث الطراز..

مدت هي يدها لتمسك به وبرغم الشجاعة
التي تظهرها هي خائفة ..

وبرغم كل ما تظهره من قوة هي أضعف
حتى من التفكير في الأمر..

لكن يجب عليها أن تفعل ذلك، فهو السبب في كل ما حدث لها حتى.. حتى أنه السبب في فقدها لأبويها، فإلم يأخذ منها هاتفها، ولم يظلمها إلى ذلك الحد لما إضطر والديها للمجيء إلى هنا وفقد حياتهما ..

أو ربما هو حتى من قتلهما من يدري !

كل شيء محتمل منه فهي فقدت كل الثقة به وبالجميع ...+

وضعت السلاح مرة أخرى في مكانه، ثم أغلقت الصندوق ووضعته بجانبها، وبنبرة حاسمة قالت :

-will kill you today (سوف أقتله اليوم)

صمتت قليلًا وهي تعيد خصلات شعرها إلى محلها خلف أذنها ..

وتابعت :

-then i will abscond away (ثم أهرب بعيدًا)٤

+.....

بعيدًا بعيدًا جدًا عن تلك البلدة، وفي تلك المزرعة، وتحديدًا داخل بيت المزرعة كان صوت القرآن الكريم قد علا في أرجاء المنزل

+...

وعند تلك الآيات "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطِمَئِنَّةُ . إِرْجِعِي إِلَىَ رَبِكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً . فَإِدْخُلِي في عِبَادِي وَإِدْخُلِي جَنَّتِي"+

كانت أعين الحاضرين قد ذرفت الدموع، وذوات العباءات السوداء قد بدأن بالنواح

دخلت سيدة ليست مخيرة عنهم في ثيابها، وهي تضرب كفًا بآخر وتقول بتحسر :

-البت عمالين نتصل بيها عشان نعرفها، ولا من شاف ولا من دري !

قامت أخرى عجوز من على مقعدها، وبنبرة حزينة أردفت :

-طب حاولو تتصلوا على بيتها تاني !

-البت شكلها ما صدقت أمها جت هنا ترمي بلاها علينا ولا تسألش !

قالتها المرأة الأولى بتأفف ملحوظ، فنهرتها العجوز بضيق :

-إسكتي بقى يا صفا وإعملي اللي قولتلك عليه أنا خايفة على البت والله !

ثم صمتت قليلًا قبل أن تردف بهدوء :

-وكمان أمها ماتت وإنتي عارفة فيروز مش هتتحمل فابلاش تقوليلها الخبر على طول

لما تسمعي صوتها، لو ردت عليكي إندهيلي

وأنا هكلمها.....!!!+

.....!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

١٦

+

لفصل السادس عشر :

مساءًا لم يكن بيجاد قد ترك الشركة بعد،

لقد قرر أن يبقى لنهاية اليوم ... هو لم يعلم

لما أبقى عليه صهيب حتى الآن فهو لا يفكر

مرتين قبل أن يبعد مش يشاء عن طريقه ..

لكنه لن يهتم فهو لن يبقى بعد اليوم هنا

وسوف يغادر...

وخاصة أنه قد علم كل ما يخطط له،
والأدهى أن عُقاب كان يعمل معه كل ذلك
الوقت ...+

كل شيء يدور حول نقطة الأصل ..+

هو لم يضع في الحسبان يومًا أنه سيعلم
بالأمر..

أو بمعنى أصح، لم يرتب أي خطط للدفاع
عن نفسه ..+

لن ينكر هو أن صداقتهما بنيت على
مصالحه الخاصة، ولطالما كان يعلم أن
مصلحته بجانبه، فقد كان فقيرًا وقد توفي
والداه مذ صغره حيث لم يكن قد أتم
السابعة عشر بعد، ولم يكن يملك إلا
وظيفتة تكسبه قوت يومه، لكن بعد أن قابل
صهيب ذاك الصغير الثري المنزوي قرر أن

حاله يجب أن لا يقل عنه، سيأكل مثله ويشرب مثله ويتنعم بحرير الثياب الباهظة مثله ...

كانت صداقتهما صعبة في البداية، خاصة أن صهيب كان عنيفًا برغم هدوئه الغريب، ولم يكن يحب أن يعطي الثقة لأحد، كان وحيدًا لكن لم يرد أنسة...

لكنه لم يستسلم وظل يحاول أن يبذل كل طاقته في ذلك، في صداقتهما !

وبعد أكثر من عام بدأت صداقتهما، ولم يستطع هو تحت أي ظرف أن يجعله لينًا، كان صهيب وعاش صهيب، ولم يغير أي شيء صهيب ...

لكن كصديق كانت له الأولوية، فحين بدأ
بالعمل كان له دور كبير بجانبه وكانت
سلتطه لا تقل عنه كثيرًا إذا ما غاب هو ..

وكل ذلك كان جيدًا إلى أن أدرك هو أنه لا
شيء بالمقارنة به، وأنه يستطيع محوه عن
الحياة وعن كل تلك الثروة التي يتنعب بها،
وحينها سيعود ذاك الفقير من جديد..

وكانت خطته محكمة فقد قرر أنه حين تبدأ
الشركة بالإفلاس بسبب تلاعبه بالعقود
والمستندات والكثير من الميزانيات،
ومحاولته جعل جميع العملاء يرفضون
العمل لديه، وبالأخص أنه قد نوى تدمير
ذاك العقد الذي تعب لإقناع عملائه
بالموافقة بعد أن إضطر آسفًا لإنجاحه من
أجل كسب بعض الوقت ...

وبعدها أراد أن يؤسس شركته الخاصة، لكن كل ذلك تحول إلى رماد في الوقت الحالي، فقد كُشفت أوراقه وأصبح النرد لدى خصمه +..

نظر بيجاد لكل ما حوله بفتور شديد، وظل يبحث بعينه مرة أخرى في كل مكان وفي الاركان عن آلة التصوير التي صورت حماقته ليلة أمس، ياله من غبي كيف نسي أن يطفئ الضوء حتى لو كان قد فعل فقط !

لو أطفأ الضوء حينها لما إستطاعت الآلة تصوير أي شيء !

لا يهم فهو يعلم أن صهيب لن يغامر بسمعة شركته، وخاصة أن رحيل هو من أسسها وهو يعلم أن رحيل هوس صهيب ...

-أكيد مش هلاقيها، وحتى لو لاقيتها كل حاجة هتبقى متسجلة على الاب بتاع صهيب

قالها هو بنبرة مغتاظة وهو يقف ممسكًا بحقيبته السوداء، ثم سار ناحية باب المكتب

+....

+.....

في نفس التوقيت، وأمام مقر الشركة ترجلت جويرية وبراء من سيارتهما وخلفهم ما يقرب من أربعة سيارات شرطة ...+

+.....

كان صهيب يعمل على حاسوبه الخاص، وحين سمع صوت سيارات الشرطة بدى على وجهه ملامح العجب ...

حقًا أنفذت تهديدها !

نظر في ساعته.. العاشرة والربع ..

-بجد فكرتها مش هترجع !+

أغلق حاسوبه، وإنتصب واقفًا، ثم سار عدة خطوات ليراهم من خلال النافذة في مكتبه ...

وحين رآها ورآى رجال الشرطة بجانبها، وأحد آخر لا يعلم من هو تأكد أنها بالفعل نفذت تهديدها ..

لكن

من ذاك الممسك بيدها !+

إبتعد عن النافذة وقرر أن يذهب لإستقبالهم بنفسه ...+

+.....

كان بيجاد في منتصف الطريق حين سمع صوت صافرة سيارة الشرطة، لكنه ظن أنه يتوهم ...

فكيف ستأتي الشرطة بدن دليل ملموس !+

لكن الصوت لم يتوقف وحين إقترب من الباب وجد بعض رجال الشرطة يلجون إلى الداخل ..

جحظت عيناه وتسمر في مكانه لوهلة، قبل أن يرى نفس الفتاة تدلف إليه من جديد ..

-فيه إيه !

قالها بيجاد بنبرة منفعلة وهو يرهم يقتربون منه..

فأجابته جويرية بنبرة هادئة :

-غريب مش حذرتك الصبح !

نظر لها أحد الضباط، وسألها بروية :

-هو ده نفسه ؟

أومأت رأسها وهي تجيب :

-أيوة هو

أمرهم الضابط بنبرة عالية :

-إقبضوا عليه فورًا+

ذعر الأخير فأنى لهم أن يأخذوه هكذا، وخاصة أنهم قد بدأو في تكبيله بالأصفاد !

وحاول الدفاع عن نفسه بـ :

-إيه ده إنتم عارفين أنا مين، وفيه أصلًا مذكرة إعتقال !

إقترب منه ذاك الضابط، وأخرج ورقة من جيبه وهو يقول :

-لأ أكيد إحنا مش بنتبلى عليك دي المذكرة

-طب أقدر أعرف إيه جريمتي !

-التعدي على سكرتيرة الشركة ومعانا أدلة تثبت الكلام ده، يلا إتفضل معانا

ثم صمت الضابط قليلًا قبل أن ينظر لباقي الضباط غير الممسكين ببيجاد ويردف بـ :

-وإنتم شوفو صاحب الشركة دي فين وإمسكوه+

-أنا هنا

قالها صهيب بهدوء شديد وهو يتقدم عدة خطوات أمامهم، وحتى وقف أمام جويرية ..

ثم نظر لها نظرات غامضة وإبتسم ببرود وهو ينظر لها ويقول :

-لأ بصراحة عجبتيني !

نظر له براء بغضب شديد، كالذي أشعل فتيل القنبلة وإنتظرها لتنفجر..

وبنبرة نارية وهو يشدد على كل حرف من أحرفه أردف بـ :

-إلزم حدودك، إنت سامع !

رفع صهيب حاجباه مستنكرًا، وأردف بإستخفاف بـ :

-وإنت إيه دخلك !

زفرت جويرية من برود المنطقة، ثم عقدت ساعداها أمام صدرها، ونظرت لبراء وهي تردف بـ :

-بص يا براء، هذا الكائن ملناش دعوة بيه

جحظ صهيب عيناه مصدومًا من ردها، بينما لم يستطع براء تمالك نفسه فضحك

ضحكة خافتة وهو يشيح وجهه لعدم إستطاعته إخفاء ضحكته+

وبالرغم من أن الجو كان مضطرب إلا أنها إستطاعت إضحاكه، والعجيب أنها لم تقصد أن تفعل فهي كانت تتحدث بجدية !

كاد صهيب أن يتحدث ليفرج عن غضبه ذاك الذي أشعلته هي، لكنه وجد الشرطي من خلفه يقول بجدية :

-دلوقت يا باشا إنت لازم تيجي معانا على القسم علشان ناخد أقوالك

إستدار صهيب ليواجهه بنظراته الصارمة، وبنبرة منفعلة قال :

-نعم !

-معلش لازم تيجي معانا حالًا

إستدار صهيب بنظره ليراها ..

يال تلك الإبتسامة الباردة المستفزة التي تعتلي ثغرها، هل سلطها أحدهم علي !

-إحم يا باشا !

نظر صهيب لشرطي بعد ان إشتفاق من شروده، وحدجه بنظرات قاتمة وهو يردف بـ :

-ماشي

ثم شدد على حروف كلمته المُقالة بنبرة حادة :

-جاي+

وفي ذاك الوقت كان الشرطي قد أخرج بيجاد المكبل بالأصفاد، ووضعه في سيارة الشرطة، ولم يستطع بيجاد ان يقاوم، فالمقاومة ليست جيدة بالنسبة لوضعه الآن ...+

وفي داخل الشركة ...

نظر براء إلى جويرية مستعجبًا، فقليل ما يثير إنتباهها وهو يرى في عينيها هاتين التحدي لذاك المدعو صهيب ...

لا يعلم لما وما المميز في تحديه، لكن ما يثق به هو أنه لن تخسر أبدًا .+

-أنا هاجي وراكم بالعربية بتاعتي روحو انتم

قالها صهيب بنبرة هادئة وهو ينظر إلى الشرطي..

هز الشرطي رأسه نافيًا وهو يقول بجدية :

-ماينفعش نسيبك تـ ...آآ

قاطعته جويرية بثبات :

-خلاص يا معتصم سيبه وهو أكيد مش هيهرب !

وكأن دلوًا من المياه الباردة سقطت فوق رأسه، أيقتلها !

لما لا يقتلها وينهي الأمر !+

رد عليها معتصم برسمية :

-بس آآ

وضع براء يده على كتف معتصم، وأردف بثقة :

-خلاص يا معتصم سيبه يجي بالعربية متخافش ..+

-أنا مستنيكم برا

قالها صهيب وهو يزفر بحنق، متجها نحو الخارج+

ومالبثوا أن خرجوا جميعًا وإتجه كلٌ منهم إلى سيارته...+

+.....

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قالتها هي بخفوت وهي تُسلم لتنهي الصلاة

وحين إنتهت إستندت على الجدار المجاور
وظلت تسبح لفترة ...

لربما ينتهي الكابوس ولكن تبقى آثاره !

رُب لألم يُذيب القلب أن تختفي أسبابه !

حيثما وجد العُسر تأكد أن يُسر ربك قادم،
فمنذ متى ينسَ الله أحبابه !

تلك الكلمات التي ظلت على مقربة من
قلبها، تتذكر صاحبها حُسن التذكر ...

لقد كان والدها دومًا ما يردد تلك الكلمات
أمامها، ومع تذكرها لها ظهرت إبتسامة
خفيفة أعلى وجهها ..

إن الحياة غريبة جدًا، فهي تعطينا ما نريد
حين لا نحتاج إليه، وحين تشعر بإحتياجنا
إليه تسلبه منا !+

نظرت للفراغ، حيث يوجد نفس فراغ قلبها ...
وبكت لكن تلك المرة بكت تدعوا ...

-يارب، إنت عالم بيا وبحالي يارب، عالم إني
عمري ما كنت وحشة مع حد أو ظلمت حد،
عالم إني عمري ما إتمنيت الأذى لحد،
وراضية يارب باللي إنت كاتبهولي، سامحني
يارب أنا كنت دايمًا بعيدة عنك ومعرفتش
قد إيه البعد ده إلا لما ... لما أنا ..

لم تستطع أن تتابع، وتركت دموعها تكمل
عنها ..+

+.....

ظل يزفر كل ثانية منذ ولج إلى هنا، ولم تكن عيناه تبتعدان عنها للحظة حتى أن الواقف بجانبها كاد يقتله فقد ضايقته نظراته حد الجنون ...+

أما هي فلم تأبه لنضراته، بل كانت تنظر بكره نحو بيجاد ...+

وبعد لحظات إقترب معتصم من براء وهمس له بشيء ما في أذنه، فنظر إلى جويرية وأردف بهدوء :

-خمسة وراجعلك ماشي !

أومأت رأسها ولم تتكلم، فذهب براء مع معتصم تاركًا إياها في ردهة قسم الشرطة مع بعض الضباط وأيضًا بعض الجرمين !+

حين وقف براء ومعتصم بعيدًا نظر له الأخير وقال :

-بص يا براء عشان تكون عارف القضية دي صعبة مش سهلة خالص يعني هتاخد وقت، وأنا وأبان هنعمل كل اللي نقدر عليه عشان ...آآ

قاطعه براء بتبرة ممتنة :

-عارف إنكم مش هتقصروا والله أنا مش عارف بجد أشكركم إزاي عسان دي مش أول مرة تقفوا معايا !

نظر له معتصم بضيق ولكزه في كتفه وهو يقول :

-بس يا بابا بس إحنا التلاتة صحاب من خمس سنين، وإنت وقفت معانا أكتر بكتير ما إحنا وقفنا معاك، ونفسنا من زمان نردلك جمايلك دي، جاي الوقت تشكرنا !

-الصحاب مفيش بينهم شكر يا جهلة !

قالها أحد ما فإستدار براء ليراه بينما ضحك معتصم وهو يقول :

-ومن أعمالكم سلط عليكم !

حين رآه براء إبتسم بود وقال :

-أبان !

بادله الأخير الإبتسامة، ومد يده ليصافحه، وحين مدالآخر يده سحبه أبان وإحتضنه بعنف ...

-ضهري يا مفتري !

أردف بها براء بضيق مصطنع حين ضمه أبان، فربت أبان بعنف أكبر على ظهره وهو يقول ضاحكًا :

-ضريبة سنة مشوفناش بعض بقى !+

وقف نعتصم يرقبهم ضاحكًا، ودنى منهم قائلًا بخفوت :

-يحرقكم خلصونا بقى

لم يبتعد عنه أبان ونظر لمعتصم وهو يقول :

-إبعد ياض من هنا ..

إبتعد عنه براء مبتسمًا وأردف بهدوء :

-والله إنتم وحشتوني جدًا

وضع معتصم يده على كتفه، وقال بصوته الرخيم :

-وإنت كمان والله يا براء، كل دي غيبة !

زفر براء ليفرج عما في صدره، ونطكظر لهما ثم أردف ببشم بـ :

-ما أنا قولتلكم الشركة اللي كنت بشتغل عندها كانت شركة كبيرة جدًا وخلتني أمضي على ...

قاطعه أبان بضيق :

-ما أنا مش فاهم إزاي توقع من غير ما تبص على اللي في الورقة دا إنت محامي ياشيخ !

-يلا بقى يا عم اللي فات مات خلينا في المهم

قالها براء بضجر وهو يحرك يده في الهواء ..

هتف حينها أبان :

-بس متقلقش إن شاء الله هنكسب القضية دي، وبعدين عمرنا ما اشتركنا في حاجة إحنا التلاتة إلا لما كسبناها

هز براء رأسه نافيًا قبل أن يقول :

-أربعة وإنت الصادق، إزاي تنسى جوري !

نظر لهم معتصم بجدية وأردف :

-صح إزاي تنساها، دا جويرية دي بينا كلنا
!+

.....+

وعلى الجانب الآخر

كان الشرطي قد إصطحب بيجاد إلى داخل
مكتب التحقيقات ليتم التحقيق معه ..

لكن المحقق لم يكن قد حضر بعد، وطلب
بيجاد أن يتحدث مع محاميه الخاص
ووافقوا على ذلك ...+

وقفت جويرية، في إحدى الأركان هادئة جدًا
ومستندة على الحائط خلفها، وللعجب لم

تكن منتبهة لمن ينظر لها فقد شردت تفكر
في والدها الذي لم تزره اليوم، لكن بعد
الإنتهاء يجب عليها زيارته و ....+

إستند صهيب على الجدار المواجه لها، تارة
ينظر لها، وأخرى ينظر للطريق أمامه بضجر ..

إلى أن قرر أن ..+

ولا يجب عليها أبدًا أن تهمله وتهمل زيارته
حتى ولو ...

-أنا جاي هنا ليه !

قاطع شرودها صوته المزعج، فنظرت له
بضيق ولم تجبه ..

جن هو أن كيف لها ألا تجيب عليه، وحاول
السيطرة على غضبه

العجيب أنه لا يتذكر أنه سيطر على غضبه من قبل، بل كان دائمًا ما يفرغ شحنة غضبه بمن حوله ولا يأبه ..

لكنها تتحداه في ذلك، هل من المعقول أن والدتها أطعمتها ثلجًا في صغرها !

أو ربما وُلدت في القطب الشمالي !

منذ متى كنت أفكر كثيرًا هكذا !+

رأت جويرية براء قادم برفقة أبان ومعتصم، فذهبت نحوهم ووقفت أمام براء وقالت بهدوء :

-هتبدأو !

أومأ براء رأسه بالإيجاب، بينما أجابها أبان بـ :

-ايوة هنحقق معاه الوقت، والدليل معايا

-تمام

أفسحت لهم المجال، وتركتهم يمروا، حتى ولج أبان، فهو الذي سيحقق معه+

+.....

ولج أبان إلى المكتب، هو يسعر بكره رهيب نحو الجالس هناك، لأجل صديقه العزيز ..

ولأن تلك الجريمة لا ينفذها إلا مسخ، ليس ببشر هذا !+

إقترب منه، ثم إستدار ليجلس على المقعد المقابل، وبكل هدوء قال :

-ها بقى إحكيلي كل اللي حصل !

أشاح بيجاد وجهه عنه، وبحنق قال :

-لما يجي المحامي بتاعي ..

نظر أبان له ومنه إلى الجالس على مقربة
منه يسجل كل جديد في تلك القضية، ثم
تنهد بخفوت وأردف بـ :

-أنا معنديش مشكلة المحامي جاي امت !

رد عليه بإقتضاب :

-هو في الطريق

الشيء الذي يجعله لا يشعر بالذعر حقًا عدم
وجود دليل ضده، إلا ذاك الفيديو، ومن
المستحيل أن يعطيهم صهيب إياه..

يعني هذا أنه استدعي في ذاك التحقيق
فقط لأنها رفعت دعوة ضده، وببساطة
يستطيع محاميه إخراجه من كل ذلك، ولا
أحد يستطيع أن يثبت أي تهمة عليه !

بسيطة ..+

طرق الباب، فقال أبان بنبرة طبيعية :

-إدخل

دلف أحد الضباط ذوي البذات البيض، وأردف :

-فيه راجل برة بيقول إنه المحامي يا باشا أدخله !

-دخله

أومأ الضابط رأسه وخرج على عجالة، وما لبث أن دلف المحامي وعلى وجه إبتسامة رسمية ..

بسط أبان يده وأشار إلى المقعد الذي بجانب بيجاد وتحدث :

-إتفضل ..

جلس المحامي بجانبه، ونظر لبيجاد ومنه إلى أبان ..

ففهم أبان أنه لم يحضر أي شيء من أجل تلك القضية لذلك إستطرد هو حديثه بـ :

-دلوقت الباشمهندس بيجاد متهم في قضية إعتاء على فتاة و ...

قاطعه المحامي بسرعة :

-وفيه دليل يثبت !

إغتاظ أبان من مقاطعته له، لكنه حاول السيطرة على غضبه وقال بحدة :

-أيوة فيه دليل يثبت، وفيه شهود كمان ..

شعر المحامي بالحرج، ونظر لبيجاد فهو لا يعلم ما الدليل ضده، وكذلك بيجاد كان مشدوهًا فهو لا يعلم ما ذاك الدليل !

-دلوقت يا بيجاد عندك أقوال قبل ما أجيب الشهود !

وقف بيجاد ولم يستطع تمالك غضبه، ثم ضرب على المكتب وهو يقول :

-كل ده كدب أنا معملتش حاجة !

نظر له أبان بحدة، وأردف بجمود :

-بس إنت إعترفت على نفسك قبل كده !

قوس بيجاد حاجباه، وبدى عليه الحيرة أثاء قوله :

-أنا !

ظهرت إبتسامة جانبية على شفة أبان، ثم وبنبرة متزنة أردف بـ :

-إتفضل اقعد وإنت هتسمع بنفسك

فتح هو إحدى الأدراج، وأخرج منها كارت ذاكرة صغير، ثم أوصلها بحاسوبه النقال الذي أمامه، وشغله ...+

صهيب :

-ها تحب ادهولها

بيجاد :

-أنا كنت شارب ومش في وعيي+

صوت التصفيق

جويرية :

-وعلى كدة كنت شارب قبل ما تحاول تمد إيدك عليا في الشقة !، لأ لأ ثواني بلاش أظلمك، إشرب إنت ودمر حياة بنت لمجرد إنك مش في وعيك أو مختل عقليًا !

بيجاد :

-أنا لو كنت مكانك هسكت خالص !

جويرية :

-عيبة في حقي لو قارنت نفسك بيا، ايش جابك ليا !+

أغلق أبان التسجيل وهو يرى الصدمة التي إعتلت وجوههم، وبنبرة ثابتة قال :

-ها هاتعترف ولا !

رمش عدة مرات ليستوعب الصدمة، قبل أن يردف بتعلثم بـ :

-دا .. دا كدب ! أ..آآ أنا مقولتش كدة !

نظر له ابان بنزق، وقال :

-ده على أساس إن إحنا منعرفش نفرق بين المزور والحقيقي !

-بس آآآ+

أما المحامي فقد رفع يده من تلك القضية،
فهو لا يرى أي مخرج ولم يدرسها حتى بل
جاء على عجالة حين أستدعى ..+

نظر له أبان، وهو يحرك يده بإستعجاب وقال
بروية :

-تحب أكمل !

هز بيجاد رأسه نافيًا، ثم نظر للمحامي
بجانبه بذعر لربما إستطاع أن يدافع عنه،
لكن ما باليد حيلة فهو حتى يشعر أنه لا
يفهم عما يتحدثون !

وهل إعتدى عليها حقًا ام أنها خدعة للإيقاع
به !+

+.....

وفي مكتب آخر ..+

-يعني إنت مكنتش موجود ساعة الحادثة !

قالها معتصم بنبرة عالية

زفر صهيب من ذاك الإستجواب الذي إستمر لأكثر من ساعة، والعجيب أنه يعيد ما يسأله كل خمس دقائق مع تغيير صيغة السؤال ..

أجابه صهيب بنبرة حادة :

-قولتلك لأ، وبعدين إنت خلاص سألتني على اللي إنت عاوزه أمشي بقى !

نظر له معتصم غاضبًا، فتابع صهيب غير آبه :

-إنت متعرفش أنا مين ! ولحد الوقت أنا ساكت ..+

وسأل نفسه لما لم يفعل أي شيء حتى الآن ولما قد يترك أبلهًا كهذا يخنقه بأسئلته،

لكنه شعر أنه إذا إستنجد بأحدهم أن يكون قد خسر التخدي، فنعم هو لم يعتبر نفسه قد خسره بعد، وإن لم يرد لبيجاد أن يخرج من السجن لكن سيخرجه، فقط من أجلها ..

وليرى من منهم سيخسر التحدي في النهاية +..

لكن بعد أن سمع ذلك الفيديو، علم أن خصمه ليس بالهين، وليس بالغبي ولذا سيكون ذاك التحدي مسليًا ...+

-قول يلا هتعمل إيه !

زفر حين أخرجه ذلك الممل من أفكاره، ونظر بنفاذ صبر ليرد قائلًا :

-همشي إمت !

نظر له معتصم بضيق، وأردف بثبات :

-أما تقولي الفيديو فين !

رد عليه الأخير بإقتضاب :

-وأنا قولتلك إن الفيديو دا مش حقيقي، وإن بيجاد قال كدة بس عشان يستفزها مش أكتر، ومفيش أي فيديوهات ولا أي حاجة وإن البنت دي بس بتدعي علينا، ها تحب أعيد الكلام تاني !

يأس معتصم منه، فيبدوا أنه لن يغير إفادته أبدًا، ولا يجب أن يتأخر الإستجواب عن هذا !

لذلك ...

-يعني دا آخر كلام عندك !

-أيوة

نظر معتصم للجالس بجانبه يدون كل شيء وسأله له بهدوء :

-كتبت كل اللي قاله يا ابني !

أومأ الرجل أي نعم ..

ولم يعد لمعتصم إلا أن :

-طيب تقدر تمشي الوقت ..+

+.....

أما عند بيجاد ..+

أنكر بيجاد وجود ذاك الدليل أصلًا فقرر أبان إدخال جويرية لتعترف بمَ سمعته..

وحينها كان إعترافها كالآتي :

-كل اللي في التسجيل ده حقيقة، وفيه فيديو يثبت كل الجريمة دي .. وأنا مش هتهاون أبدًا في حقها ..+

ومنه فقد كان ذلك دليلًا آخرًا ضده، وعليه
فقد فرض عليه الحبس على ذمة
التحقيق..+

+.....

منتصف الليل ..+

خرجا كلاهما من قسم الشرطة، شعرت
جويرية بالحيرة، أتذهب وتزور والدها أم
يكفيها غياب عن فيروز !

وليبسط براء الأمر عليها قال :

-انتي تروحي البيت الوقت أما عمي فا بابا
قاعد معاه من الصبح وهيبات معاه النهاردة،
هو لسا مكلمني

نظرت له بتردد وقالت :

-بس أنا آآ ...

قاطعها براء بهدوء :

-فيروز محتجالك الوقت يا جوري مينفعش تتأخري عليها أكتر، وأنا هوصلك وأروح البيت عشان ماما وحشتني

إبتسمت له وهي تومئ رأسها، وبود قالت :

-خلاص روح وسلملي عليها

-متخافيش بكره الصبح هتلاقيني في وشك أنا حتى اللي هاجي أصحيكي

لم تزل تلك الإبتسانة مرسومة على وجهها وأردفت بنبرة جادة :

-شكرًا يا براء بجد عشان و....

نظر لها براء بضيق، قبل أن يقاطعها بـ :

-من إمت بنشكر بعض !

ثم وضع يده خلف رأسها، وقرب رأسها إليه
قبل أن يطبع قبلة حانية على رأسها ويقول :

-بلاش إستعباط لو إحنا شكرنا بعض خلينا
إيه للغريب ...١

+.....

وبعيدًا وقف أحدهم يأكله الفضول ليعلم
من ذاك الذي تتركه ليقبل رأسها في
منتصف الشارع ..

-غريبة.....!!!+

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

١٧

+

الفصل السابع عشر :

توجهت تلك السيدة سوداء الثياب نحو السيدة العجوز الجالسة على الأريكة والحزن هو ما شكل ملامحها ...

وبضيق النبرات أردفت :

-يا حماتي مش عارفة أوصلها خالص، عمالة أتصل بيها وبتليفون البيت مش بترد خالص !

نظرت السيدة لها بحنق، ووقفت في مكانها، ولم تجيب

وحتى إذا ما ظنت الأخرى أنها لن تجيب، قالت هي بهدوء :

-خلاص إبعتيلها سُهيِّل يعرفها باللي حصل ويجيبها معاه ..

أومأت صفا رأسها بتمهل، وأجابت :

-ماشي، هقوله كده ونشوف البت دي لحسن بدأت أقلق عليها ..٢

+.....

بين الأشجار والزهور، وبين نسمات النسيم، وأسفل شجيرة تفاح خضراء، جلس هو، وعليها إستند ..+

ظهر على ملامح وجهه الضيق، ونظر إلى الهاتف أمامه بغضب شديد وقال :

-عاوز أفهل ليه مبتردش بس !

إستند بيده على الشجيرة خلفه ووقف، ثم وضع الهاف في جيبه ومشى عدة خطوات في الحقل ..

نظر إلى الأفق البعيد أمامه، وأردف بضيق :

-أنا لازم أروحلها وأعرف هي فين !+

ثم توجه نحو بيت المزرعة بخطى ثابتة ..

وحين إقترب من المنزل رمق صفا القادمة من بعيد بنظرات هادئة+

إقتربت منه صفا حتى وقفت أمامه، ونظرت له قبل أن تردف بـ :

-سهيل إحنا من يوم ما الحاجة ماتت بنحاول نوصل لفيروز عشان نقول ..

قاطعها هو بنبرة عازمة :

-أنا كمان بحاول أكلمها مش بترد، وهي في العادة مش بتتجاهل حد، وأنا فكرت أروح أجيبها وآجي، وكمان هيبقى أحسن لو قولتلها الخبر وأنا قدامها عشان أمهدلها ..

إبتسمت له صفا بود، ووافقته بـ :

-أيوة دا اللي كنت عاوزاك تعمله، ناوي تروح إمت ؟

وضع يديه في جيبه، وبدون تردد قال بهدوء :

-النهاردة ..+

.....+

كانت جالسة بهدوء، على الأريكة القريبة من الشرفة، وإلى صدرها ضمت قدميها، وشردت تفكر ..

في الفترة السابقة لم يتسنى لها أن تفكر في اي شيء، لكنها تذكرت والدتها فجأة، وأن هاتفها قد أضاعته بعد تلك .. تلك الحادثة .

ربما سقط في أي ركن من أركان الشركة، او تهشم تحت أقدام أحدهم !

لكن ليس هذا هو شاغلها الأكبر الآن، فهي
تريد أن تعلم كيف حال والدتها هناك، فهي
لم ترها منذ وقت طويل ...+

في ذاك الوقت خرجت جويرية من حجرتها،
ونظرت إلى فيروز قبل أن تهديها إحدى
أجمل إبتساماتها، وتقترب منها ..

وحين صارت على مقربة منها قالت باسمة :

-صباح الخير !

بادلتها فيروز إبتسامة باهتة، وأجابتها :

-صباح النور !

جلست جويرية بجانبها، ومسدت على
شعرها وهي تقول بود :

-عاملة ايه النهاردة

أومأت فيروز رأسها مرتين بالإيجاب، قبل أن تردف :

-الحمد لله كويسة

صمتت قليلًا قبل أن تتابع :

-جوري، عاوزة أكلم ماما، والتلفون وقع مني لما .. أنا .. في الشركة وقع هناك و ..

فهمت جويرية ما ترمي هي إليه، فأخرجت هاتفها من جيب سترتها، وأعطتها إياه قائلة :

-خدي كلميها

إبتسمت لها، ثم مدت يدها لتأخذ الهاتف منها، وبروية أخذت تطبع الرقم على الهاتف، وما إن إكتمل حتى قامت بضغت زر الإتصال، ووضعته على أذنها ..

ظلت تستمع إليه لفترة ثم أنزلته من على أذنها وهي تقول بحزن :

-مقفول !

-طب حاولي مرة كمان يمكن الشبكة !

ضغطت على الزر مرة أخرى فلم يتغير الرد "الهاتف الذي طلبته غير متاح حاليًا" ..

زفرت بضيق ثم تركت الهاتف بجانبها، ولم تقل شيئًا ..

شَق على جويرية أن تراها هكذا، فقالت لها :

-طب ما تتصلي بحد من هناك يمكن

قاطعتها فيروز بضيق :

-المشكلة مش حافظة إلا رقمها هي بس ومش حافظة أي أرقام لحد هناك

-طب حابة تروحيلها !

نظرت لها فيروز وإبتسمت، لا لأجل أنها أرادت ذلك، بل لأنها لن تجد مثل صديقتها أبدًا !

كل شيء يحدث بسببها هي، وإن لم يك بإرادتها، لكنها مشاكلها وحدها، ولكن لا

تلك تريد أن تتحمل كل شيء وحدها، وتبعدها عن الساحة بجميع نواحيها !+

-لأ يا جوري، هي شوية أكيد وهتفتح تلفونها، وهتصل بيها ...

كادت جويرية أن تتحدث إلا أنها سمعت طرق الباب، فنظرت نحو فيروز وقالت :

-أكيد ده براء !

أومأت رأسها وأخذت الإسدال القريب منها على الأريكة، وارتدته..

ثم قالت :

-خلاص روحي إفتحي

أومأت جويرية رأسها، وذهبت نحو الباب وفتحته ..

وبالفعل كان براء، لكن وجهه قد إمتزج به الغضب، والحنق..

-أدخل !

قالها هو متسائلًا بهدوء قدر الإمكان ..

فأجابته هي بعجب من حالته بـ :

-إدخل

دلف هو، بينما ظلت جويرية تنظر له منتظرة تبريره على حالة الغضب تلك

وقبل أن تتفوه هي بكلمة، وجدته يخرج ورقة من جيبه مطوية ويعطها لها قائلًا :

-دي حتة من جرنال إقرأي كدة

فتحتها جويرية لتقرأها بينما إقتربت منهما فيروز وتساءلت :

-فيه إيه !

إمتلأت عينا جويرية بالغضب بعدما قرأت نص الجريدة، والذي هو كالآتي "ومساءًا وفي ستار الليل إعتدى السيد بيجاد رشوان صديق رجل الأعمال الشهير صهيب قصي على سكرتيرة المكتب الخاصة، وبعد التحقيق أنكر هو وصديقه كل ما حدث، ولكن إختلفت أقولهما و على الجانب الآخر كان ..."+

نظرت جويرية إلى براء وزفرت في التو، فنظرت لهما فيروز بضيق وقالت :

-ماتفهموني فيه إيه !

لم تُرد جويرية أن تريها المقالة، لكن في ذات الوقت لا مفر من الأمر..

ستراه في أية حال !

وفجأة وجدتها جويرية تنتزع الورقة منها وأخذت تقرأ ما فيها بتروٍ ..

حينها دمعت عيناها، ولم تستطع التحكم في ما ينهمر من من مآقيها ..

نظر لها براء بحزن، وغضب مختلطين، ذاك المقال قبل أن ينصفها، سيدمر سمعتها، والآن ستذكر على لسان الجميع ...

أو لربما أخذوها في الأمثال، فتقول أم لإبنتها، إحذري يا بنيتي لكي لا يصيبك ما أصاب فيروز !

لما لا يفكرون في مشاعر البشر قبل أن يفكروا في السبق الصحوفي خاصتهم !+

ولم يكن لدى جويرية رأي آخر لتضيفه، عدا أنها شعرت بالألم حقًا مما أصاب صديقتها ..

فاليوم إعتُديَ عليها ..

وغدًا الفتاة المُعابة !

ما أروع مجتمعنا الشرقي !+

حقًا ما أروعه !+

إقتربت منها جويرية وأخذت منها الورقة ومزقتها إربًا ..

ثم نظرت لها بجمود، وبدأت تمسح لها ما سقط من عبرات، قبل أن تقول :

-بتعيطي ليه الوقت !

نكست الأخرى رأسها، وبنبرة حزينة قالت :

-ماما هيجرالها حاجة لو عرفت الخبر ده !

ضمت جويرية وجهها بكلتا يديها، ورفعت رأسها قائلة :

-مامتك في البلد هناك مش هتعرف أي حاجة، إنتي عارفة في الأرياف آخر همهم المكتوب في الجرايد

-ولو عرفت !

-صدقيني مش هتعرف حاجة إن شاء الله+

وضع براء يديه في جيبه، وفكر أن يخرجهما من تلك الحالة بأي طريقة فقال بنبرة شبه طبيعية :

-اللي حصل ده على فكرة بيقوي موقفنا أكتر، وكمان كون إن الجريدة تدعمنا دي حاجة كويسة جدًا ..

نظر كلاهما إليه ببعض الأمل، فتابع هو :

-بطلوا نكد شوية، ويلا عشان بزور عمي عبد القدوس ..+

+.....

كان صهيب نائمًا، فقد قرر أنه لن يذهب للعمل اليوم، ولكن فجأة دلف رحيل إليه ..

وأخذ يناديه بصوت منفعل :

-صهيب، قوم !

إستفاق صهيب على إثر صوته العالي ونظر له ليقول بعدها ببرود :

-رحيل إقفل الباب عاوز أنام !

إغتاظ رحيل ونزع عنه الغطاء بالكامل، فزفر صهيب وجلس على السرير ، ثم أردف بغضب :

-فيه إيه !

دنى منه رحيل وجلس بجانبه وهو يقول غاضبًا :

-إنت إمبارح كنت في القسم !

فهم صهيب ما يحدث، فإستند برأسه على السرير، وقال :

-أيوة

إستشاط رحيل أكثر وهو يسأله :

-ومقولتليش ليه

أجابه ببرود :

-عادي

إغتاظ منه رحيل ومن إجاباته المستفزة، فأردف بـ :

-صهيب، بطل الطريقة دي وقولي إزاي تسيبهم يمسكوك و .. وإنت ليه مقولتايش أجيلك

زفر صهيب ونظر له ..

هو يعلم أنه لن يتوقف إلا حين يجيبه، وخاصة أن ملامحه توحي بالقلق مع أنه أمامه !+

أجابه حينها بهدوء :

-الموضوع مكنش مستاهل يا رحيل، وبعدين محدش مسكني أنا روحت بنفسي وإديتهم إفادتي !

هدأ رحيل قليلًا، ثم أعاد النظر إليه وسألة :

-طب ... طب حد عملك حاجة هناك !

هز صهيب رأسه نافيًا وأجابه بهدوء :

-لأ متخافش

-طب هو بيجاد بجد إعتدى عليها !

-أيوة+

ضيق رحيل عينيه في حيرة وهو يقول :

-أومال ليه كدبت !

أجابه صهيب دون تردد :

-عشان أطلعه من السجن ..

عقد حاجباه غير مقتنع، ففهمه صهيب وقال بهدوء :

-و ... وعندي أسبابي الخاصة برضوه !+

+.....

واقفة هي أمام الشرفة، تستنشق هواءها العليل ..

تشد نسمات الهواء خصيلات شعرها فيرجع للخلف، ثم يتذكر أنه مقيد من جذوره فيزداد الهواء إشتدادًا عله يسحبه مع تياره ..+

رغم كل الحزن في قلبها، طفت سعادة صغيرة ملامحها ..

في النهاية لم تقتل هي أحدًا لتنعم بحياة أفضل !

وأخذ هو ما يستحقه من عقاب ...+

زفرت لتخرج تلك النيران المتأججة بداخلها، فنعم مجرد سجنه قليل ليكفيه عقاب، فحين علمت ما ألحقه بغيرها ازداد شعورها بالكره نحوه ..

وأقسمت أن تكون عونًا لتلك الفتاة .. إن إحتاجتها ..

-مدام كاثرن !

إستدارت كاثرن لترى من يناديها، وحين طالعتها تلك الشابة بهدوء :

-What !

أجابتها الفتاة بنبرة طبيعية :

-ماما قالتلي أطلع أشوف حضرتك لو عاوزة حاجة !

هزت كاثرن رأسها أي لا، وإقتربت منها وهي تقول :

-لأ مش محتاجة حاجة ناو، بس إنتي مين !

إبتسمت لها الفتاة وقالت :

-أنا ماسة بنت سلمى اللي بتشتغل عندك هنا

أومأت كاثرن رأسها عدة مرات، ثم سألتها بإتزان :

-عندك كام سنة !

-عندي ١٦

لم تعقب كاثرن، ثم إستدارت نحو خزانة ثيابها وفتحتها، وأخرجت منها علبة فضية، وذهلت بها نحوها ثم قالت :

-ممكن طلب

-إتفضلي !

مدت كاثرن يدها لها بالصندرق الفضي، فأمسكته الفتاة في عجب، وسألت بفضول :

-إيه ده !

إستدارت كاثرن ومشت عدة خطوات وهي تقول :

-دي كل المجوهرات اللي جوزي جابهالي، خديها أو إرميها، إعملي فيها أي حاجة عشان بتفكرني بيه !

نظرت الفتاة لها فاغرة فاها، وفتحت العلبة للتأكد، ثم قالت حين وجدت كم المجوهرات التي بها :

-إنتي ... إنتي واثقة يا هانم !

-أيوة واثقة خديهم يلا

قالتها هي بهدوء وهي تتجه نحو الشرفة مرة أخرى ..

ستتخلص منه ..

نعم ستفعل ..

منه ومن ذكراهُ ..+

+.....

وضعت هي كف يدها على يده، وبإبتسامة هادئة قالت :

-معلش يابابا والله كنت عاوزة آجي أزورك امبارح بس مفضيتش خالص

إبتسم الأب لها بود، وبنبرة حانية أردف :

-أنا عارف إنك كنتي مشغولة، وبعدين خالك كان قاعد معايا طول اليوم امبارح، ولسا ماشي من شوية بس ..

أومأت هي رأسها له، ولم تعقب ..

راح نظره على تلك الجالسة بعيدًا عنهم، فقال لها :

-فيروز، إنتي عاملة إيه !

إبتسمت له مجاملة إياه، ثم أومأت رأسها أي نعم مرتين وهي تقول :

-الحمد لله يا عمي، وإنت عامل إيه !+

+....

وبعيدًا عنهم شردت هي تفكر في الخطوة القادمة، فيجب عليها أن تلقن ذاك المُعتدي درسًا قاسيًا ...

هي تعلم أن فترة السجن المفروضة عليه لن تتعدى الـ١٥ عامًا ..

وهذا جيد ..

إن لم يتدخل أحدهم في الأمر ويفسد كل شيء !

وماذا عن تزوير ذلك المدعو صهيب للحقائق !+

-جوري، إنتي سرحانة في إيه !

همس لها بها براء، فنظرت هي له وقالت :

-أنا بفكر لو هما إشتغلوا على النقطة اللي صاحبه قالها يعني إنه كان متنرفز بس وقال الكلام ده عشان يعصبني

ومع النفوذ بتاعتهم والرشاوي يقدوا يطلعوه براءة !

عقد براء حاجبيه، وجلس بجانبها على الكرسي الآخر، وظل يفكر قليلًا قبل أن يقول :

-أنا برضوه فكرت في كدة، ولازم نجيب دليل تاني قوي ضده !

-زي !

-يعني مثلا إن ... إن إنتي تخلي فيروز تعمل تقرير طبي و...

قاطعته جويرية بصرامة :

-مستحيل، أنا إمبارح خليتها تروح تقدم البلاغ معانا بالعافية ولولا إن ده مكنش ضروري مكنتش هخليها تهوب هناك ..

زفر براء وهو يجذب شعره بقوة ...

عنيدة هي ولن توافق، ويجب أن يجدوا دليلًا قويًا ضدهم ...

بهدوء شديد قال لها حينها :

-بصي يا جوري، البلد دي اللي عاوز ياخد حقه فيها لازم يكون قوي، وإنتي مينفعش تفضلي تدافعي عنها كدة ! ، هي لازم يكونلها دور عشان تتحسن

هزت رأسها أي لا، ووقفت ناظرة لوالدها ثم قالت :

-بابا أنا همشي أنا عشان ورايا مشوار مهم وهرجع تاني بس بتاع ساعتين كدة وأرجع ...

أومأ الأب رأسه موافقًا، وهو يقول :

-ماشي بس متتأخريش عليا

-حاضر يا حبيبي وخلي فيروز معاك الوقت بقى ..

قالتها ثم إستدارت لتذهب بينما لحقها براء بعد أن قال :

-طب أستأذن أنا بقى ..+

نظرت لهما فيروز ولم تعترض، فوجودها هنا مثل وجودها بالمنزل ..

إلا أنها يجب عليها التحرك، فلا يجب أن تتركها تأخذ لها حقوقها وهي جالسة هكذا !

أين هي من كل هذا !

+.....

بعد أن خرجا من المشفى، ظلت هي تتقدم للأمام بدون أن تنتظره، فدنى منها ثم وقف أمامها ليسد عليها الطريق ..

فهو لن يناديها بصوت مرتفع في الشارع ..

يعلم هو كم تبغض هي ذلك+

لكن وقف أمامها فنظرت له بهدوء ولم تقل شيئاً ...

فأردف هو بنبرة حائرة :

-ناوية على إيه !

أجابته ببساطة وهي ترنوه :

-مش ناوية+

وضع يده خلف ظهرها ثم تقدم بها عدة خطوات وهو يرسم إبتسامة غير متكلفة على ثغره ويقول :

-طب تعالي نفكر سوا ...+

طرأ على عقلهما معًا ذكريات من الماضي البعيد، فلطالما كان تخطيطهم مشترك وكانوا يسمو بأخطر ثلاثي ..

ثلاثي ..

ثلاثي ..

سوفانا ..+

تنهدا بضيق معًا ونظرا لبعضهما في ذات الوقت، وما لبث أن تحدث هو بنبرة متألمة :

-بتفكري فيها !

إبتسمت هي ونظرت للسماء، حينها إختلط لون عينها بزرقة السماء

وحصل هو على إجابته حينها+

وحين إشتد الألم على كليهما بدأت أطياف من ذكريات بعيدة تلاحقهم بشراسة ..

تنهش قلبهما بجمالها القديم، والغير موجود الآن ..+

+.....

وقف الثلاث يتسامرون مساءًا في إحدى المنازل المتواضعة ...

وقف هو على مقربة منهما وظل يرنوهما بنظرات متحيرة وهو يقول :

-بطلوا رخامة انتو الإتنين، متقلدوش بعض أنا بفرق بينكم بالعافية !

ضحكت إحداهما ضحكة عالية فنظرت لها شبيهتها وإبتسمت إبتسامة أظهرت أسنانها البيضاء ...

فنظر هو للتي تضحك وأشار عليها مردفًا بغيظ :

-إنتي سوفانا ..

ثم أشار على الأخرى وتابع :

-وإنتي جويرية، وشيلي أم النضارة دي ..

وتقدم نحوها، وحين وقف أمامها مد يده وإنتزع النظارة التي ترتديها وهو يقول :

-يخربيت برودكم مش كفاية عليا إنكم توائم !

ضحكت جويرية، وتبعتها سوفانا وأردفتا معًا :

-بس معرفتش تفرق بينا

ثم وضعت جويرية يدها في خصرها، وإبتسمت بثقة وهي تقول :

-بس إيه رأيك فينا شبه بعض خالص بس ضحكتها دي اللي بتفضحنا دايمًا ..

إقتربت منها سوفانا وقالت بغضب مصطنع :

-إنتم اللي بتضحكوني أنا إيه ذنبي ! ، وبعدين جوري قالتلي بما إن جنابك من أسبوع مشوفتناش وكنت مسافر نشتغلك شوية

رفعت حاجباها وهي تتابع :

-والعسل معرفش يفرق بينا+

رفع هو حاجباه مثلها تمامًا، ثم مد يده وجذب شعرها برفق وهو يقول :

-كده ماشي

كادت جويرية أن تهرب، فأمسك بها من يدها وتابع :

-لأ يا جوري مش هتهربي المرادي

-سيب شعري يا غتت

قالتها سوفانا بإنزعاج مصطنع قبل أن تستدير جويرية وتضربه في قدمه وهي تقول :

-متستضعفناش دا احنا جامدين اوي

ترك شعر الأخيرة ووضع يده على قدمه وهو يقول :

-آآآه يلا يابادرة

أخرجت سوفانا لسانها له لتغيظه، ثم إبتعدت عنه وهي تهذب شعرها بيدها قائلة :

-أيوة جامدين اوي يا عسل ...

نظر لهما ضاحكًا، ثم ذهب ليجلس على السرير رافعًا يده بإستسلام وهو يقول :

-أستسلم، أستسلم، إنتي واختك تاخدوا جايزة في البرود+

زفرت جويرية بإرتياح وقالت بهدوء :

-هذا من فضل ربي

جحظ الأخير عينيه، بينما ذهبت سوفانا وجلست بجانبه وربتت على ظهره قائلة بمزاح :

-معلش يا براء معلش طب إنت خدت منها أجازة أسبوع أما أنا وشي في وشها أربعة وعشرين ساعة

ذهبت جويرية نحوهم بخطوات سريعة ورنت كلاهما بنظرات مغتاظة وهي تقول :

-يلا يا معفنة

نظر براء لها وأردف بـ :

-والله بتوحشوني حتى ببرودكم ده مش
بقدر أكمل اليوم من غيركم !

إبتسمتا له، وقالتا سويًا :

-ولا إحنا على فكرة

ثم نظر لبعضهما وضحكا ...

وتابعت بعدها سوفانا :

-شوفت بقى القلوب عند بعضها

مد هو يده وسحب جويرة لتجلس بجانبه
على يمينه، بينما كانت سوفانا تجلس
بجانبه على يساره ووضع يده ليحيط
بكليهما وقال :

-اممم على كده عملتوا إيه في الأسبوع ده !

-أحرقنا الشوق إليه يا عزيزي !

قالتها سوفانا بنبرة هادئة، فضحكوا جميعًا بعدها، وأردف براء مازحًا :

-بس يا عسل سبينا من جانب الشاعرة ده ونتكلم جد شوية

هزت كتفها وقالت :

-هقولك، نجحنا في إمتحانات تانية إعدادي

-عارف

-وماما جابتلنا ...

-كومبيوتر جديد

-أيوة وأنا كنت هقع ..

-من الدور الخامس بس جوري لحقتك

وقفت هي فجأة وهي عاقدة حاجباها في ضيق وقالت :

-اه وجوري ضربت واحد في الشارع

-عشان عاكسك

-وطلاما إنت عارف بتسأل ليه !

ضحك هو ومد يديه ليجلسها مرة أخرى وهو يقول :

-طب ما إنتي حكتيلي كل ده في التليفون لما كنت مسافر !

حكت هي رأسها بحيرة، وهي تقول :

-أيوة صح أصل أنا نسيت ..

نظرت لها جويرية باسمة وهي تضيف :

-قولتيلوا على المقلب اللي عاملناه في ..

-صبا، لما خليتوها تفكر إن المدرسة مسكونة !

نظرت لها جويرية وقالت ضاحكة :

-ياني كل حاجة قالتهالك ...+

.....+

وبالعودة إلى الوقت الحاضر ..+

نظرت جويرية لبراء وقالت بصوت هادئ :

-براء !

أجابها الأخير على فوره بـ :

-نعم !

نظرت له وهي تجيبه بنبرة مختنقة :

-قولي لازم نعمل إيه عشان الحيوان ده يفضل مسجون !

-لازم فيروز تكون معانا

-أنا موافقة بس مش هجرحها بأي طلب ولو حسيت إنها مش موافقة أنا هـ...

قاطعه هو بتلهف :

-ماشي ماشي موافق، إن شاء الله هي ترضى بس ..

أومأت رأسها مرة واحدة، وأردفت بهدوء لنفسها :

-المهم ميحصلهاش أي حاجة ...

المهم متواجهش نفس مصير أختي ...+

+.....

كان جالسًا في إحدى الأركان وحده يشعر بالرعب من كل شيء حوله ..

خارج هذا المكان، كان له سُلطة وهيبة ..

وها هنا لا شيء ..

ليس إلا مجرد مجرم !+

ما ذنبه هو إن فعل شيئًا خارج إرادته !

وأرغمه ما شرب على فعله !

ما ذنبه إن فعله مخدرًا أو غائبًا عن عقله !+

يجب أن يخرج من ذام المكان المريع ..

وفي الحال+

-بيجاد رشوان هنا !

صاح بها أحد الضباط فإنتبه هو ونظر نحوه قائلًا بصوت عالٍ مرتبك :

-آآ أنا

رمقه الضابط بإحدى نظراته المتفحصة وهو يردف :

-عندك زيارة

أومأ رأسه في الحال، وخمن أنه المحامي فلم يسأل من هو

ومشى خلفه بهدوء شديد..+

بعد لحظات دلف لغرفة المقابلة، وتقدم عدة خطوات ليرى من جاء

لكنه توقف مكانه فجأة حين رآها مولية إياه ظهرها، وأردف ببرود رغم دهشته :

-إيه اللي جابك !

إستدارت نحوه، ونظرت إليه، ثم سارت عدة خطوات حتى تقف أمامه وتقول بهدوء :

-متدايق إنك شوفتني ؟

هز رأسه نافيًا وهو يضع يده بجيب بنطاله الذي لم يغادر جسده من البارحة ويقول :

-لأ عادي بس كنت مفكر المحامي !

-للأسف لأ

قالتها هي ببرود شديد وهي تنظر نحوه ..

ومن ثم وقفت أمامه ناظرة إليه بحنق، بكره،
بحقد وراحت الكلمات تفارق شفتيها :

-عارف أنا جيت ليه ! ، مش عشان أشمت
فيك زي أي حد عادي لأ، لما كنت صغيرة
كنت متعودة آجي مصر هنا كتير وكنت
بحبها أوي وبحب أهلها عشان طيبين كلهم

عشان مكنتش عاشرتهم ..

عشان مش فهمتهم ..

وكنت نصرة دايمًا أتكلم لغتهم ومن غير ما
تكون لغتي مكسرة، عشان لما أكبر أتواصل
معاهم ويفهموني ويحسوني منهم ..

صمتت فجأة، وسارت بعيدًا عنه، بينما كان ينظر هو لها بفضول، وتابعت هي حينها :

-ولما كبرت وقفت قدام رغبات ماما وبابا وإتجوزتك، وإيه النتيجة !

ماتوا ..

وإنت .. دمرت كل الحلو فيا ! ، دمرت حياتي+

غادرت دمعة عينيها، فمسحت طريقها، وغادرت أخرى على الجانب الآخر فمحت طريقه أيضًا ...+

إستدارت فجأة لترنوه، وقالت :

-ليه يا بيجاد ؟

أشاح هو بوجهه عنها فإقتربت هي منه ونهرته قائلة :

-قولي ليه ؟+

ماذا يقول لها !

هل يخبرها أنه أسوأ إنسان رأته، أم يخبرها أنه نفسه لا يعلم لما فعل كل هذا ؟

هل يخبرها أنه أخطأ بحق نفسه قبل أن يخطئ بحقها أم يصمت !+

هزته هي بقوة يعد أن سيطرت عليها حالة من الغضب وظلت تقول :

-إديني سبب واحد يخليك تعمل فيا كده ..

أذيتك في إيه ! ، طب أنا غلطت معاك بس في إيه !

أنا إديتك حياتي كلها بس إنت مستحقتهاش

نظر لها بضيق ووضع يده على كتفيها محاولًا تهدأتها وهو يقول :

-شششش كاثرن خلاص إهدي

أبعدت يده عنها بإنفعال وأردفت :

-لأ مش ... مش ههدى، أنا عاوزة أتطلق

وضع يده على فمها ليهدأها قليلًا لكي لا يسمعها أحد، وبخفوت همس في أذنها :

-كاثرن، إهدي شوية إحنا مش في البيت

هزت رأسها نافية وهي تقاومه بقوة

ولكن هيهات أن تصل قوتها إلى نصف قوته

..

لكنها إستطاعت أن تقول :

-قولتلك طلقني

هز رأسه عدة مرات وقال :

-لأ يا كاثرن مش هطلقك، وبطلي بقى أنا شوية وهطلع من هنا .....!!!+

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

١٨

الفصل الثامن عشر :

ترجل هو من سيارته أمام إحدى البنايات البسيطة البنى ..

وسار للأمام قاصدًا إياها ...

كان وجهه يبدوا عليه بوادر القلق اللمتزج بالضيق والحزن ..

وعيناه كانتا هادئتين يظهر بداخلهما بعض الحيرة ...

سائر هو مريح حاجبيه، عاقد ساعديه،
وبهدوء شديد تتفحص المكان عينيه ..+

وحين دخل تلك البناية، صعد الدرج بسرعة،
مر بالطابق الأول وتركه ثم الثاني فالثالث،
وأخيرًا الرابع ...

توقف أمام إحدى المنازل ورن الجرس ..

ظل ينتظر أي إجابة لكن لم يسمع شيء،
فرن الجرس من جديد ..

أيضًا لا أحد يجيب، ...

أعاد طرق الباب، ثن رن الجرس وكرر الأمر
عدة مرات وكل مرة كسابقها ..

لا فائدة

بدأ يشعر بالقلق وقرر أن ...

إتجه نحو المنزل المجاور وبدأ يرن الجرس ..

وما لبث أن فتحت صاحبة المنزل، ثم نظرت
للطارق بحيرة وهي تقول :

-أيوة !

أشار هو نحو ذلك المنزل المجاور لها قبل أن يسألها :

-لو سمحتي متعرفيش صاحبة البيت ده فين ؟

هزت رأسها نافية ثم أردف بنبرة جادة :

-قصدك فيروز وأمها !

أومأ هو رأسه منظرًا إجابتها فتابعت هي بنفس النبرة :

-لا والله هي من كام يوم مجاتش هنا، أنا متعودة أسمع صوت بابها بيتفتح بس من يوم ما أمها مشيت وأخوها إجى أخدها، مرجعتش البيت

-طب متعرفيش ممكن تكون فين ؟

-لأ معرفش والله

أومأ رأسه لها شاكرًا وهو يقول :

-طيب شكرًا، وآسف على الإزعاج

إبتسمت هي له مجاملة إياه وقالت :

-الشكر لله، عن إذنك بقى

ثم قامت بإغلاق الباب بهدوء ..

نظر هو نحو منزلها نظرة أخيرة قبل أن يرجع من حيث أتى ..

ولا يفكر عقله إلا فيها، وأين قد تكون الآن ؟ ولما لم ترجع ولم تتصل حتى بوالدتها تلك ليست عادة عندها !+

حين وصل للأسفل مرة أخرى لم يكن لديه أي خيار ليذعب إليه ..

فهو لا يعلم إلى أين ذهبت وماذا حل بها !+

لحظة واحدة فقط، أين كانت تعمل ؟

يتذكر أنه أوصلها مرة بسيارته حين ...

حين ذهبنا في زيارة لهم وعرضت عليها أن
أوصلها فوافقت لتأخرها ..

بالطبع لربما إذا وصلت هناك سأجد أي خبر
يدلني عليها+

ركب سيارته فجأة وإنطلق بها قاصدًا
مقصده .....+

+.....

كان يقود سيارته بسرعة شديدة ..

لكن ذكراها تتحداه ينغص عليه متعة الهواء
الطلق، ليس مجرد تحدي ... بل نفذته حين
بدأت تهاجم بشراسة ...

ما يضايقه أنه تفعل ما يخشى أعالي
مجتمعه أن يفعله !

وهي فقط مرأة !

لا يصدق هو أن وراء كل تلك الهشاشة قوة !

يكاد يقسم أنه يرى عينيها حزينة تتألم، يراها
كما يرى نفسه كل يوم ..

ولكن قوتها وإنطلاقها ثم هدوئها وسكونها
وبرودة أعصابها تجعله يعيد التفكير+

لم يخطئ يومًا في حق النساء عندما قال
أنهم أفاعي !

فهاهي سممت أفكاره من جديد، محاولًا
تحليل شخصيتها المريبة ..

ثم يعود بأفكاره عند تلك االنقطة من جديد ..

هي حية لا تقربها فتلدغك ..+

أوقف السيارة أخيرًا أمام احدى المنازل الفارهة، ووأرجع رأسه للخلف محاولًا الإسترخاء قليلًا+

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى إتجه الأخير إليه وفتح السيارة من الجانب الآخر قائلًا وهو يجلس :

-معلش إتأخرت عليك كنت بجيب الموبايل

..

لم يرد هو عليه ووجده شارد في مكان آخر، فأردف بنبرة عالية قليلًا :

-صهيب !

نظر له صهيب فجأة وعقد حاجبيه قائلًا :

-عقاب إنت جيت امت ؟

-لسا ناو

-امممم طيب

وضع يده على المقود، وبدأ يقود السيارة
فنظر له عقاب متحيرًا قبل أن يتشدق بـ :

-أومال مالك كده !

أجابه بهدوء :

-مفيش

ضيق عقاب عينيه يرنوه بنظرات غير
مقتنعة وقال :

-امممم ناوي تعمل ايه !

نظر له صهيب بنظرات حاسمة وهو يقول :

-هطلعه من السجن

نظر له عقاب مصدومًا، وإلتوى فمه
بإستهجان وهو يردف مستنكرًا :

-إيه ! ، بتهزر صح ؟

أجابه هو ببساطة :

-لأ مش بهزر هخرجه

عقد حاجبيه وهو يقول بنفس النبرة المندهشة :

-ليه ما إنت عارف هو خانك وغدر بيك، بجد يا صهيب أنا عارفك من زمان وأول مرة تتهاون في حقك بالشكل ده

صمت قليلًا يراقب هدوءه المريب، وثبات عينيه على الطريق دون أن يرمش حتى ثم تابع بعدها بنبرة حانقة :

-وبعدين حرام حق البنت دي تروح هدر ! ، هي إيه ذنبها دي ساعدتك كتير أوي، وإنت اللي قولتلها تراقبه !

صمت هو ورمقه بغضب لصمته هذا ثم
أشاح وجهه عنه فقال صهيب بنبرة هادئة :

-خلصت !

نظر له عقاب وأردف بضيق :

-أيوة خلصت

إستطرد صهيب حديثه بنبرة أكثر هدوءًا
وغموضًا، وهو يزيد من سرعة السيارة
بشكل مريب :

-مين قالك إني هسيب حقي !

نظر له عقاب بحيرة وسأله :

-أومال

زفر صهيب ثم أرجع رأسه للخلف قليلًا ونظر
له نظرة علم عُقاب من خلالها أن نواياه
ليست سليمة ..

لكن صهيب تابع ببرود :

-تتصور إنه لو دخل السجن أنا كده هاخد حقي !

لم ينتظر إجابته وتابع ينفس النبرة :

-أكيد لأ، وهو هيحاول يطلع والعقاب هيتخفف وبحد أقصى ٥ سنين !

يعني ٥ سنين ياكل ويشرب وينام عادي الفرق بس إنه محبوس !

-يعني إنت عاوز تعاقبه بنفسك !

-أيوة، لأن أنا كنت عارف إنه بيخوني طول الوقت ده، وسيبته لكن هو زودها جدًا، وإنت بنفسك كنت بتعرف هو بيعمل إيه ..

نظر له عقاب بترقب وقال :

-يعني هتعاقبه إزاي ؟

نظر له بثقة وأردف بهدوء :

-دي عندي أنا بقى

-بس أنا مش فاهم طب ما إنت اقدر تثبت عليه التهمة بسهولة بالفيديو ليه تعمل كل ده !

لم ينظر له ولم يبد أي رد فعل وحتى إذا ما ظن عقاب أته سيتجاهله قال هو :

-القانون عمره ما بيجيب حق، وخصوصًا قانون البلد دي، وأنا هعرف أقيمه كويس أوي ...+

لن ينكر عقاب أنه يستحق كل ما سيحل به، وخاصة أنه كان معه في جميع خطوات خيانته مذ طلب منه صهيب التقرب منه ..

لكن المشكلة تكمن في عقاب صهيب ذاته ...+

صهيب لا يتهاون أبدًا ...+

-اممم هنروح على فين !

قالها عقاب متسائلًا فأجابه صهيب دون تردد
:

-البحر

إسترخى الأخير وأسند رأسه على المقعد
الخلفي قائلًا :

-هنبدأ شغل من الوقت !

رفع صهيب إحدى حاجبيه في عجب وقال :

-ما إنت عارف إننا رايحين شغل وبعدين
مكفكش كل ده راحة !

زفر هو بغضب وقال :

-ما أنا كنت ماسك الفرع التاني في أليكس
يعني أنا كنت مستريح أوي ! ، وكنت

براقبلك الزفت ده كمان ويوم هنا ويوم هناك فين الراحة بقى !

أوقف السيارة فجأة ونظر له بإستنكار وهو يقول :

-ده على أساس إنك مكنتش مِمَسك الشغل كله لطلحة !

حك رأسه في إرتباك وهو يقول :

-مش كله يعني نصه

-نصه برضوه !

-ربعه !

-اممم ربعه واثق !

زفر الأخير بضجر وقال :

-ماشي ماشي طلحة هو اللي كان شغال هناك وبعدين إنت عارف هو مصدر ثقة وكده

هز صهيب رأسه مرتين بإستنكار ثم وضع يده على المقبض وخرج من السيارة أمام البحر، وتحديدًا أمام إحدى المقاهي القريبة منه ..

وتبعه عقاب مترجلًا من السيارة وهو يسأله :

-على كده الـ representatives (المندوبين/الممثلين) اللي جايين النهاردة مهمين أوي !

عقد صهيب حاجبيه وهو ينظر له وأردف :

-بتلمح لإيه !

-اممم مليش مزاج للشغل ناو !

قالها هو بترقب وهو ينظر له، فتابعه صهيب بهدوء قبل أن يقول بنبرة طبيعية :

-الشغل النهاردة مش هياخد نص ساعة، وبعدها إعمل اللي إنت عاوزه ..

إبتسم له عقاب وسار عدة خطوات للأمام قائلًا :

-طيب يلا عشان نخلص بقى ...!!!+

+.....

حُرمت الأرض على الجميع اليوم !+

كانا في السيارة، ينظر أحدهما للطريق بينما ينظر الثاني للأول بضيق ويقول :

-براء قول بقى رايح فين !

نظر لها براء مبتسمًا وهو يقول :

-ما قولتلك هتعرفي شوية كده !

عقدت هي ساعديها بضجر وأردفت بـ :

-أنا عاوزة ..

صمتت ولم تتابع، بينما نظر هو لها
مستعجبًا وقال يحثها على المتابعة :

-ها عاوزة إيه !

هزت رأسها نافية وقالت بنبرة هادئة :

-مفيش، هو لسا قد إيه عشان نوصل ؟

-طب قوليلي الأول كنتي عاوزة إيه ؟

-مفيش يا براء أنا بس مخنوقة شوية وعاوزة
آكل شوكلاتة

ضحك هو فلم تعقب وأشاحت وجهها
للجانب الآخر، بينما توقف هو أمام إحدى
المتاجر القريبة وفتح باب السيارة ليترجل،

وقبل أن يخرج من السيارة قالت وهي مشيحة وجهها بضيق :

-بيضة

إبتسم لها ثم أردف بثقة :

-عارف

وخرج ذاهبًا لشرائها ..+

لربما الشوكولا هي الشيء الوحيد المشترك بين الفتيات جميعًا، لكن العجيب أنها لا تأكلها إلا عند شعورها بالإختناق، ولم تعلم هي سبب ذلك ..

وبرغم أنها لا تسبب أي تحسن ملحوظ في حالتها !

لكنها مؤمنة أن لها جانبًا سحريًا معنويًا يحسن من حالتها

بالطبع هي تجعلها أفضل لكنها لا تلاحظ !+

بعد أقل من ثلاث دقائق، عاد هو بالشوكولا، وجلس بجانبها وأعطاها لها قائلًا بمرح :

-جبتلك واحدة بيضة، وأنا جبت لنفسي السودة

أخذت حصتها ..

أسندت رأسها على المقعد خلفها ..

فتحتها وبدأت تتناولها بصمت ..

ناظرة للنافذة أعلاها ..+

أما هو فنظر لها وهو يسأل نفسه لماذا تحبذ الأسود من كل شيء عدا الشوكولا !+

ثوان قبل أن ينطلق مرة أخرى بالسيارة مسرعًا ...+

ودقائق قبل أن يقف أما شاطئ البحر بالسيارة وينظر لها قائلًا :

-جوري وصلنا

نظرت له ثم نظرت حولها وإبتسمت وقبل أن ينطق هو بحرف آخر وجدها قد ترجلت من السيارة بسرعة وذهبت نحو البحر

ترجل هو أيضًا وجاورها الوقوف، وظل يرنوها منتظرًا أن تتفاعل أكثر من العالم المحيط، فإبتسامة لا تكفي !+

-إيه رأيك حلو المكان

قاطع هو صمتهما بقوله، فأجابته هي باسمة :

-إنت عارف إني بحب البحر

صمتت هي قليلًا ونظرت حولها فوجدت بعض الناس على جانبيها فظهر على وجهها الضيق ..

سألها هو حينها بقلق :

-فيه إيه !

زفرت بضيق وقالت :

-كنت عاوزة أدخل البحر بس فيه ناس كتير

إتسعت عيناه وهو يسألها بدهشة :

-إنتي بتهزري ! ، الجو تلج يا بنتي

هزت كتفيها وهي تقول ببساطة :

-عادي بس سيبك مش هدخل الناس كتير ..

-دا من عند ربنا والله

-كنت تقولي أجيب فيروز معانا !

-إنتي طلعتي على طول وأنا طلعت وراكي
وجاتلي الفكرة وأنا في الطريق للبيت

أومأت رأسها وظلت تنظر للبحر أمامها
بوجوم، وهو لم يختلف عنها ونظراته لم تقل
وجمًا ..+

أحيانًا تحتاج إلى إنصاتٍ بدون عتاب، سؤالٍ
بدون جواب، عذرٍ بدون حاجة أو سبب أو
غياب، أحيانًا تحتاج إهتمام ... وأخرى إلى
الأمان، وبعضًا من المحبة والسكينة
والسلوان ...

والبحر هو الأفضل في هذا .. فهو يسمعها ولا
يريد تبريرًا، لا يريد مقاطعتها وإذا ما إشتكت
له، كان عزاؤها فيه تلاطم أمواجه، وتناغمها
مع صوت الهدير ..+

+.....

كان جالسًا أمام الشرفة، يرنوا كل من يمر أمامه بنظرات مالَّة ..

وحين علم أنه لا يوجد مهم في الناس دلف إلى الداخل وظل يتحرك في أرجاء البيت الفاره لا يعلم ما عليه فعله ..+

عجيب أن يملك أحدهم الكثير، ولا يملك إلا القليل ليفعله !

فها هو ذا لا يدري ما يفعل، مل من الا شيء الذي يفعله كل يوم وظل يتجول في النزل كما المجانين !+

لكنه توقف فجأة وقال لنفسه بحماس :

-طب أنا ليه قاعد طب ما أنزل شوية !

كاد أن يذهب ليحضر ثيابه، لكنه تفاجأ بنفسه يقول :

-طب أروح فين ؟+

زفر بضيق وهر يتابع :

-حتى دي كمان صعبة ! ، ياريتني روحت مع صهيب

ضيق عينيه حينها وقال :

-هو قال إن الـ meeting (الإجتماع) على البحر، جنب كافيه ****

هدأ قليلًا ونظر لنفسه في المرآة أمامه وقال :

-كويس إني سمعته وهو بيكلمهم وإلا مكانش هيقولي، أممم أنا هروحله بقى وخلاص حتى لو إتضايق أنا مخنوق أنا كمان !+

+.....

خرج صهيب يتبعه عقاب من الإجتماع، وحينها أردف عقاب راجيًا :

-إحنا خلصنا تعالى نتمشى على البحر شوية بقى !

نظر له صهيب بهدوء وقال :

-طيب روح إنت

-لأ تعالى معايا

زفر الأخير بملل، ونظر له بضيق قائلًا :

-عُقاب

سحبه الأخير من يده نحو الأمام وهو يتابع :

-يلا يا عم بلا عقاب، الفترة اللي فاتت حرمت عليا أقابلك وكمان عاوزنا نمشي كده والبحر جنبمنا من غير ما نسلم !

غضب صهيب من طريقته معه، ولكن قبل
أن يحتج أو يردف بأي شيء رمش عدة
مرات ليتأكد أنه لا يتوهم، وأن تلك
المتسلطة أمامه الآن ..+

عجب عقاب حين وجده يتقدم عدة خطوات
للأمام وقال لنفسه بغرور :

-دا أنا جامد بقى أقنعته أهو !+

ظل صهيب يتقدم بخطوات أسرع، العجيب
أنه لم يرها بالكامل لكنه واثق أنها هي،...

وحين إقترب منها كانت تقف وحدها لكن
فجأة وجد نفس الرجل الذي رافقها في
القسم قادم إليها حامل سترته ثم ألبسها
إيها وهو يقول :

-إلبسي دي إنتي مناعتك ضعيفة ..+

الذي أثار حفيظته ليس أيًا من هذا !

بل تجاوبها معه وإبتسامتها الغريبة له !

رفع حاجبيه وتلاها عقده ليديه وأردف بدهشة :

-فكرت أول ما شوفتها إنها ...

ثم خطر في باله سؤال محير

أيكون ذاك المعتوه زوجها !+

أيًا يكن لما لا يضايقها قليلًا ! ، ضايقته هي بما يكفي من قبل وحان دوره !١

وفي تلك اللحظة وصل عقاب إليه وقال :

-إيه يا عم مالك ؟

-شششش

قالها هو ثم تقدم بثبات نحوهم، وتبعت عقاب في دهشة !+

نظر لها براء وقال :

-فاكرة سوفانا، كانت بتحب تيجي هنا أوي

نظرت جويرية في الفراغ المحيط بها، وتحدثت بشرود :

-أكتر حاجة كانت بتميزها ضحكتها، لما كنت بسمعها كنت دايمًا بحس إن الدنيا بخير، كانت دنيا جوا دنيا مختصة بنشر السعادة للغير ...

صمتت لفترة حاولت فيها أن تستجمع قوتها لكيلا تبكي، وتابعت بألم جلي في نبرة صوتها، بينما وقف أحدهم يتنصت عليهم :

-بجد يا براء وحشتني أوي+

حسنًا هو أيضًا إشتاق لها، وإشتاق لكل ما يتعلق بها، حتى أنه إشتاق لترديد إسمها، لكن هناك ما إشتاق له أيضًا

وكثيرًا ..

إشتاق لجويرية، لشخصها لا لشبحها، لضحكتها فإن كانت أختها تجيد الضحك فهي المعلمة ..

وإن كانت ضحكة أختها جميلة فضحكتها تنشر سعادة .. تطفي لونًا غريبًا في أرجاء المكان ..+

وهو سيبذل قصار جهده لإرجاعها لها و...+

-فكرتك في البيت بتاعك بتفكري في الخطوة الجاية عشان هتبقى قوية عليكي !+

أخرجهما صوته من شرودهما، فنظر كلاهما إليه كنظهرم لضيف غير مرغوب فيه ونطقا سويًا بضجر :

-إنت تاني !

هز صهيب كتفه غير آبه لهما، وتابع :

-مردتيش يعني حضرتي للخطوج الجاية ؟+

نظر له براء بغضب، فلما يوجه لها الحديث إن وجد هو !

وكما عادتها لم تجيب !+

إلا أنه لن يستسلم، ستتحدث رغمًا عنها اليوم

وبجانبهم وقف عقاب يسمع ويرى ولا يفهم !

تابع صهيب بنبرة هادئة :

-على فكرة أنا ...

قاطعه براء حين وقف أمامه، ونظر مباشرة في وجهه قائلًا بغضب :

-لو عندك كلمة قولهالي أنا !

نظر صهيب له، وقال :

-بس أنا بكلمها هي !

دفعه براء بعنف من ثيابه وهو يقول :

-وأنا قولتلك متكلمهاش تاني، يلا إمشي من هنا ..

نظر له صهيب غاضبًا، بينما تأهب عقاب لضربه، وبالفعل إندفع نحوه وأمسك بياقته وهو يقول :

-إنت إزاي تمد إيدك عليه ؟!+

خشيت جويرية أن يتطور الأمر أكثر وخاصة أنها تعلم من هو براء جيدًا، فلا يغر أحدهم أنه هادئ ومسالم، ...!+

حينها فقط لم يوقف المعركة إلا صوتها الغاضب تقول :

-بس خلاص، هو إنتم عيال عشان اللي بتعملوه ده !

ثم تقدمت نحوهم وسحبت براء بهدوء من يده وهي تتابع :

-يلا يا براء عشان ...

قاطعها هو بنبرة عالية :

-لأ مش ماشي قبل ما أخلي الحيوان ده يلزم حدودو معاكي

إستشاط صهيب غضبًا حينها، ونسي حتى مل جاء لأجله وهو يندفع نحوه بقوة حتى أسقطه أرضًا

حينها تنحى عقاب فهو يعلم أن صديقه لا يحب المشاركة ..

أما جويرية شعرت بالدم يغلي في عروقها
حين رأته يوقعه ..+

وقف براء بسرعة مع أنه تلقى ضربة قوية،
وإندفع نحو صهيب وهو يقول :

-ماشي، أنا هوريك+

حينها ظلت جويرية تبحث بعينها عن شيء
ما، وبدى أنها وجدت مرادها مع الطفل
الجالس هناك بجانب والده !+

ركله براء بقوة في قدمه، إلا أن صهيب قد
تحامل على نفسه ولم يظهر أنه قد تألم بل
ردها له في الحال

وقع الأخير على ظهره مرة أخرى، فهو كما
الفولاذ لم يدرِ هو مع من يتعامل فتلك
المرة الأولى التي يبدو الأضعف أمام أحدهم ..

لكنه عاود الوقوف من جديد ولكمه مرة في بطنه وكاد أن يعيدها إلا أن صهيب أمسك يديد في الأخرى وكاد أن يبتطش به إلا ...

إلا أنه وجد دلوًا من المياه الباردة يسكب فوق رأسه وعلى ثيابه كلها، وتبع تلك المياه برود الكلمات التي قالتها هي :

-فاكر أول مرة شوفتك ! ، كبيت عليك ماية من غير قصدي، أما النهاردة قصدي جدًا على فكرة

ثم نظرت بإحتداد لبراء وقالت :

-أنا مش قولتلك الكائن ده ملكش دعوة بيه +!

وقف صهيب يرنوها، بصدمة، وهدوء، وها هو هدوء ما قبل العاصفة ...

لكنها قررت ألا تنتظر العاصفة ولتمشي عكس التيار إذًا !+

وبالفعل نظرت له مرة ثم نظرت لبراء الأخرى وقالت :

-يلا نمشي+

ولما أن كان براء يشعر بالغضب ينهشه قاومها، ولما أن شعرت هي بالغضب سحبته بقوة أكبر وهي تقول :

-براء يلا بجد تعبت

حين قلق عليها هو قرر الذهاب فيكفي ما هي فيه الآن ...+

وزفر الأخير ناظرًا لهما، لقد بدى على وجهها الغضب حقًا، وأن تُبدي غضبها إلى ذاك الحد أمر جيد ..

وبرغم الغضب الذي كان فيه هو، تناساه بغضبها !

فقد أحبه ..

ويجب أن يعترف لنفسه، لقد نفذ ما جاء لأجله ..+

وعلى الجانب الآخر وقف المصدومين المساكين يضربون كفًا بكف، ويقسمون أن الدنيا قد أشبعته معجزات اليوم ....!!!+

!!!!!!.....

+

واصل قراءة الجزء التالي

١٩

+

الفصل التاسع عشر :+

+

رجلٌ يقطر ماءًا، والمشدوهين حوله يرقبونه

+...

هدوء عجيب سيطر على المكان، وألجمت الصدمة الجميع !

وهو ظل ينظر في أثرها وإختلطت مشاعره بين الغضب، وشعور غريب بالظفر ..

ومع أن الثمن كان باهظًا ...

رؤيتها غاضبة لا يقارن مع أي شيء آخر ..

أو ربما هو لم يستوعب ما هو فيه بعد !+

ولنقل أن ما أخرجه عن شروده ...

ضحكة ذاك العجوز القادم من بعيد، ونظراته الهزلية برغم الدهشة التي تسيطر عليها ...

نظر له صهيب حين سمع صوت ضحكاته، وإحتدت عيناه فقد بدأ يستعيد نفسه من تلك اللحظات، ونظر لثيابه المبللة مرة، وللعجوز الذي وقف أمامه توا أخرى، وحينها أردف بنبرة غاضبة، حادة :

-إنت بتضحك على إيه ؟

صمت قليلًا قبل أن يتابع بنبرة أكثر حدة :

-وإيه اللي حابك هنا أصلًا !

هدأ المقابل له، ودنى منه أكثر وهو يقول بنبرة متعجبة :

-إنت بجد سبتها تمشي كده ؟!

عقد ساعديه أمام صدره وأشاح بوجهه بعيدًا عنه، فماذا يقول، أيقول أنه قد فقد القدرة على الرد، أو أنه من كسب تلك الجولة الآن ...

هي تعلم جيدًا أنها وبرغم ما فعلت خسرت أمامه الآن !

لم تخسر قوتها، لكن خسرت تماسكها الرهيب !

إذًا نقطة ضعفها هي أقرب الأشخاص لها، وحينما ترى أنها قد خسرت التحدي ستنهار تمامًا ..

أي أن عليه فقط أن يجرج ذاك الخائن من السجن ثم ...+

-صهيب !

أردف بها عقاب بنبرة عالية ليخرجه من عالمه الخاص ..

نظر له صهيب بضيق وأردف :

-عاوز إيه ؟

-الأسستم الجديدة إتصلت وبتقولي إنها عمالة ترن عليك وموبايلك مقفول و..

زفر صهيب وقاطعه بإقتضاب :

-إنجز

تضايق عقاب من نبرته تلك، مع أنه معتاد على تقلب نبراته، لكن هذا لا يجله سعيدًا، لكنه قال حينها بإنزعاج :

-بتقولي فيه إجتماع النهاردة بالليل الساعة آآآ ...

قاطعه للمرة الثانية وهو يسير بعيدًا عنهما :

-إلغي كل حاجة النهاردة يا عقاب

نظر عقاب له ثم نظر إلى الذي يقف بجانبه وأردف بضيق :

-شوفت بيتصرف إزاي معايا يا رحيل !

رفع رحيل يداه بإستسلام، وهو يرنو صهيب السائر بعيدًا وببساطة قال :

-والله ما باليد حيلة، أنا مليش حكم عليه !

صمت هو قليلًا قبل أن يحول ناظريه لعقاب ويسأله بإهتمام :

-أومال مين البت اللي كبت عليه ماية دي، وازاي سكتلها !

هز الأخير كتفه، ثم هز رأسه أي لا يدري، وتابع الرد بالحديث قائلًا بهدوء :

-أنا مش عارف، وأول مرة أشوف صهيب كده !

-وأنا كمان، بس شكله بيخطط لحاجة أنا عارفه كويس، ولو البت دي مكنتش مشت الوقت صهيب مكنش هيسيبها هي واللي معاها !+

+.....

كانت السيارة تسير بسرعة رهيبة،.. تلك السرعة التي تعطيك إنطباعًا أن صاحبها إما أنه مجنون !

أو لربما يكون مجنون !+

-يابت إتهدي بقى أنا غلطان إن خليتك تسوقي

قالها براء غاضبًا وهو ينظر لها ..

فلم تجبه، بل شعر هو أنها لم تسمعه حتى ..

حين طلبت أن تقود كانت هادئة وشعر هو أنها لم تمر مرور الكرام، المشكلة الآن أنها إن إتضمت بأي شيء سيُسمع غدًا عن حادث مروع في هذه المنطقة ..

رائع !+

-هو مفكر نفسه مين ! ، أنا هخليه يعرف هو بيتعامل مع مين كويس ..

هتفت بها جويرية بغضب مفاجئ، فحول هو ناظريه إليها وقال :

-يا حبيبتي إستهدي بالله، أنا قولتلك هعمل اللي هقدر عليه عشان القضية دي تنجح ونكسبها !

حاولت هي كظم غضبها قدر المستطاع، لكن نبرتها أتت عالية وهي تقول :

-هو أصلًا كان عاوز يعمل كده، عاوز يطلعني عن شعوري ..

هدأت قليلًا تحاول السيطرة على السيارة، فقد إنتبهت للشاحنة الكبيرة التي تقترب منها، وبالفعل تفادتها ببراعة ..+

اليوم هو من جنى على نفسه، فقد إختار الأنثى الخطأ للبعبث معها، وسوف يرى !

نظرت فجأة لبراء، وبنبرة تخلوا إلا من الحزم قالت :

-براء، القضية دي مينفعش نخسرها، عشان هو مش هيستسلم، وأنا مستعدة أعمل أي حاجة عشان نكسبها ...!!!+

+.....

خرج من باب الشركة مصدومًا ممسًا بالجريدة بكلتا يداه ..

لا يصدق هو ما يقرأه، ولا يصدق ما الذي حدث بالداخل ..

أنى له أن يصدق ما حدث لها ! ، فمنذ دخل إلى الشركة وسأل عنها إشتعلت أعين

الحاضرين ووجد كل شخص يلقي عليه كلمة

دونًا عن ذاك كله، أعتطه إحدى الموظفات تلك الجريدة في يده وهي تردف بإستحقار :

-خد شوفها عملت إيه !+

حقًا لو إنطبقت السماء على الأرض لما صدق أنها فعلت ذلك بمحض إرادتها !

لكن !

لكن !

ماذا حل بها بعد ما فعله ذلك الوغد !+

ركض هو نحو سيارته بسرعة لا يدري ماذا عليه أن يفعل ؟

أين قد يجدها الآن !

وقبل أن يتحرك بالسيارة، سمع صوت هاتفه يرن ..

من حدة شعورة بالإختلاط نسي أن ينظر للمتصل وأجاب على الفور ..

بدت نبرته مضطربة تخلوا إلا من الغضب والحزن و ..

-أيوة !

أتاه الصوت عبر الهاتف حزينًا قائلًا :

-سهيل !

حين سمع صوتها توقف بالسيارة وأردف بنبرة منفعلة :

-فيروز، آآ إنتي فين ؟

ظل هو يستمع لصوتها وهي تعطيه العنوان، قبل أن يرد بسرعة :

-خمسة وأكون عندك+

وبالفعل أدار السيارة نحو العنوان المطلوب

وذهب ..+

بعد ما يقرب من الست دقائق كان يقف أمام المشفى، ولكنه بمجرد أن وصل كانت هي قد وقفت بالأسفل لتنتظره، وحين رأته ركضت نحوه بسرعة بينما ترجل هو من سيارته قاصدًا إياها ..

وقفت أمامه بلا حراك وظل هو ينظر لها لثوان، يرقب الحزن البادي على قسمات وجهها، ودموعها التي لم تجف بعد ..

الألم .. نعم يرقب ألمها ...

لو تلك الأخبار صحيحة، فهو الملام الأوحد !

كيف له أن يتركها وحدها هكذا !+

إقتربت هي منه ثم ضمته، وبدأت تبكي،
حينها تأكد هو أن الأخبار صحيحة ...

وحين جاء ليربت على شعرها لم يجده بل
وجد حجابًا ورديًا يزين وجهها ..

يبدو أنه لم يلحظه !

لكن في نهاية المطاف قام بضمها بقوة،
وسألها بهدوء :

-إيه اللي حصل ؟

قالت باكية من بين شهقاتها :

-قتلني، موتني عايشة !

لا بل بحق الله هو من قُتل، فقد تألم كما لم
يتألم يومًا حين سمعها ..

وحين رآها محطمة هكذا !

-طب أنا كنت فين من كل ده ليه متصلتيش بيا وقولتيلي ؟

إبتعدت عنه إلا أنه لم يفلتها، ونظرت هي له نظرات الاثم المعاتب وأردفت وهي تمسح دموعها :

-إنت اللي قولتلي إنسي إننا اخوات، ومعتيش تكلميني تاني، إنت اللي عملت كده يا سهيِّل مش أنا

أغمض هو عينيه بألم، ثم نظر للأرض لا يجد ما يقوله !

نعم هو الملام وحده !

لقد كان طائشًا غبيًا عديم المسؤلية حينها ...

قالت هي محاولة السيطرة على دموعها :

-أنا كنت بتصل بماما، ومكنتش بترد عليا فقولت أتصل بيك عشان تديهالي أكلمها بس لقيتك جيت

أمسك يدها حينها وسحبها بهدوء معه وهو يردف :

-تعالي ندخل العربية ونتكلم

لم تجيب لكنها سارت معه بهدوء، وفتح هو الباب الأمامي لها، وما إن تأكد من جلوسها، إستدار نحو الباب الآخر ودلف وجلس

قالت هي فجأة حينها :

-أنا عارفة كلهم هيتكلموا عليا إزاي، وعارفة كمان إن كلهم مش هيصدقوني ..

ثم نظرت له حينها لتقول له بإنفعال :

-حتى إنت مش هتصدقني آآ ..

قاطعها هو بنبرة جادة، رغم حزنها :

-لأ يا فيروز مصدقك، مصدقك من غير حتى ما تبربري اللي حصل، إنتي أختي وأنا أعرفك أكتر من أي حد تاني

ضمت يداها حولها ونظرت للأسفل في خزي، وتركت لدموعها العنان

بينما ظل هو يرنوها بندم وهو يتذكر ما حدث قبل أربعة أشهر من الآن ..+

+.....

دلفت فيروز غرفة سهيل وظلت تبحث عنه بعينها وقد بدت عيناها كجمرة من نار ..

حين وجدته جالسًا على السرير إقتربت منه وجلست بجانبه على السرير، ممسكًا بهاتفه النقال، حاولت قدر المستطاع السيطرة على غضبها وهي تقول :

-سهيل، عاوزة أقولك حاجة !

نظر لها مرة ثم أعاد النظر للهاتف أمامه مرة أخرى وقال بهدوء :

-امممم

مدت يدها وأمسكت بالهاتف الذي في يده، وأغلقته من الزر الجانبي ثم تابعت حديثها بضيق بينما هو قد إنتبه لها قليلًا :

-إنت لسا بتكلم ترنيم !

عقد هو حاجبيه بدهشة وقال :

-أيوة ما إنتي عارفة إني بحبها !

إزداد عبوسها، وإزداد إنعقاد ما بين حاجبيها حينها، بينما هو قد تابع ببساطة :

-وبعدين إحنا هنتجوز لما أنا أخلص آآآ ...

-بس يا سهيل دي بنت كدابة وبتخونك !

قاطعته هي بتلك الكلمات الصادمة بغضب، فنظر لها بنفاذ صبر وأردف بـ :

-إنتي كدابة، ترنيم بتحبني على فكرة ! ، وأنا لما عرفتك عليها إنتي كنتي بتشجعيني إيه بقى اللي جد ؟

شعر هي بالحزن الشديد لما نعتها هو به توًا، لكنها قررت المتابعة بإمتعاض :

-أنا عمري ما هتبلى على حد، وإنت قولت بنفسك ! ، كنت بشجعك عشان كنت مفكراها كويسة، بس النهاردة شوفتها ماشية مع واحد تاني وأنا راجعة من الشغل و...

قاطعها هو حين وقف فجأة، وظل يرنوها بحنق شديد، وبقوله ببرود :

-إنتي بتغيري منها، خلينا واقعيين !

رفعت حاجبها الأيسر، فالأيمن وبنظرات إستهجان، ونبرات مصدومة قالت :

-نعم !

تابع هو حديثه غير آبه لها ببرود أشد :

-أيوة صدقيني إنتي بتغيري منها لأني بعاملها أحسن وبكلمها بطريقة أحسن منك !

إقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وهي تردف بإستنكار :

-إنت مجنون يا سهيل ! ، دا أنا كنت معاك في كل خطوة وشجعتك على كل حاجة مع إني مكنتش بشوفك كتير بس كنت معاك !

-أيوة ما دا اللي مش فاهمه، ليه جاية تكدبي الوقت ؟!

تابعت هي بنبرك أقل حدة محاولة إقناعه :

-إنت لسا صغير يا سهيل، وأنا أعرف أكتر منك وعندي خبرة بالناس عنك ! ، وإن كنت بقولك الكلام ده عشان متعرفوش متأخر وتندم !

-متقوليش صغير أنا عندي ١٩ سنة يعني كبير ومن حقي أحب براحتي ! ، وبطلي بقى شغل الحوارات ده لأني مش هصدقك ..

-إحنا إخوات يا سهيل وأنا مش بكدب عليك أنا بخاف على مصلحتك

إبتعد هو خطوتين عنها، وزفر بإنزعاج ..

لا يصدقها هي فقط تغار لأنها تراه يحادثها ليل نهار، فحبيبته من المستحيل أن تخونه أو تقدم على عمل شنيع كهذا !

لذلك قال هو بنبرة حاسمة :

-إحنا إخوات من الأب بس، عشان كده عمرك ما هتحسي بيا أو تفهميني !

إشتعلت عيناها حينها، فمنذ متى وهي تحاول إقناعه بضرورة تركها، فصرخت بوجهه بغضب :

-بطل تعيد الكلمة دي كل شوية، أنا قولتلك مليون مرة قبل كدة إن مفيش فرق، وفي كل الأحوال إحنا إخوات !

صرخ هو على صراخها بـ :

-لأ مش إخوات، أنا مش بحس إن إحنا إخوات أصلًا وطول عمرنا بعاد عن بعض، أنا أصلًا مش بعتبرك أختي !

إزداد غضبها وهي تقول له :

-أومال إزاي أنا كنت بساعدك على أي قرار إنت بتاخده !

هدأت قليلًا قبل أن تتابع بـ :

-ولما بابا كان بيجيبك البيت عندنا مين اللي كان بيهتم بيك وأصلًا ماما بتكرهك !

نظر هو لها بضجر وأردف بنبرة جادة :

-بصي يا فيروز إنسي إننا إخوات، وملكيش دعوة بيا من هنا ورايح !

نظرت هي له بصدمة حينها ومن ثم غادرت بدون إضافة حرف آخر ...+

+.....

وحتى أنها حين كانت تحادثه كان يخبرها أن لا تتصل به من جديد ويذكرها بما قال ..

وحتى بعد أن علم أن حبيبته تلك تخونه، لم يخادثها، وعي كانت يائسة منه حينها ..

لقد ظن أن الأمر بسيط، فهو معتاد على ذلك وقد كانت تمتد المدة لخمسة أشهر لا يرى بعضهم بعضا، لكنه لم يعلم أن كانت بحاجته حرفيًا ..

لم يفهم ما معنى كونه السند لها إلا حين فات الأوان ! ، لقد إنتهى كل شيء وهو قد خسر ..+

العجيب أنها كانت أمامه كل ذلك الوقت، لكنه لا يراها بل يرى شبحها يبكي ..

معتاد هو على رؤية ضحكتها، وبيده أبادها ..

-فيروز !

ناداها هو بهدوء، لكنها لم تجبه، فأشاح وجهه للجانب الآخر، ونظر بحزن لكل شيء حوله، ثم إنطل بالسيارة، حينها نظرت له وقالت بهدوء :

-رايح فين ؟

-البيت بتاعكم ..

هزت رأسها نافية وهي تقول :

-المفتاح ضاع مني وشنتطي وموبايلي وكل حاجة

عقد حاجبيه وهو يسألها بعجب :

-أومال كنتي ...

قاطعته هي بإقتضاب :

-عند بنت خالتي ..

نظر هو لها ليهدأها، وأجابها ببساطة :

-خلاص هتصرف أنا، المهم متبصيش تحت كتير وأنا ماشي عشان متدوخيش ..

أشاحت وجهها عنه ولم تجبه وظلت تنظر للطريق بفتور رهيب ..

لكنها تذكرت أمرًا فجأة فقالت :

-هات موبايلك

أخرجه هو من حيب سترته وهو يسألها :

-ليه ؟

تنهدت بإختناق وهي تأخذ منه الهاتف وتجيبه :

-عاوزة أكلم جويرية، أعرفها إني مروحة

أومأ هو رأسه وظل يسير مستقيم المسار ..

بينما ظلت هي تحاول التركيز للتذكر الرقم، وفي النهاية إستطاعت أخيرًا تذكره وكتبته ..

ثم إتصلت بها ووضعت الهاتف على أذنها منظرة إجابة ..+

+.....

سمعت هي هاتفها يرن، وتوًا فقط وصلت للمشفى فأخرجته من حقيبتها وأجابت مهملة النظر للرقم المتصل ...

-السلام عليكم

ظلت تستمع هي للرد من الجانب الآخر، ثم قالت بدهشة :

-بجد !

نظر لها براء وسألها بخفوت :

-مين

أجابته هي بهدوء :

-فيروز ..ثم صمتت قليلًا لتستمع للجانب المقابل، قبل أن تردف هي بود :

-تمام خلاص خليكي معاه النهاردة و .. وبكرة تعالي الصبح عشان نشوف الموضوع ده

أومأت رأسها بعدها، ومن ثم ودعتها بـ :

-في رعاية الله+

ثم أغلقت الهاتف، فسألها براء بسرعة :

-فيه إيه ؟

أجابته هي بفتور :

-سُهيِّل اجى وهي مروحة على بيتها ..

ترجلت من السيارة بعدها، وتبعها هو واضعًا يده في جيبه منتظرًا أن تتابع فقالت :

-لسا فاكر يجي الوقت، هو إنتم ليه مش بتيجو إلا في السهل ! بعد ما كل حاجة تنتهي !؟

وقف أمامها عاقدًا حاجباه، وهو يقول بضيق
:

-لو بتجمعي يبقى إنتي ..

قاطعته هي بضجر :

-مقصدكش بس أنا آآآ ...

قاطعها هو بهدوء :

-أنا آسف إني سيبتك الفترة دي كلها، والله مكان بإيدي !

-متبقاش بارد يا براء، مقصدكش والله ويلا ندخل

-أومال بتجمعي ليه ؟

زفرت هي ببشم وأردفت :

-عشان هو حرق دمي، و ...

-بسألك بتجمعي ليه ؟

قاطعها هو بإنفعال، فنظرت له بهدوء وقالت

:

-مكنش قصدي

نظر لها هو غير مقتنع، لكنه قرر مجاراتها

لذلك قال :

-ماشي يا حوري هعمل إني مصدق

-طب يلا ندخل ..+

+.....

وصلا أمام المنزل أخيرًا وقرر هو أن يكسر

الباب، أو يستعير أداة حادة من أحد الجيران

..

لكنها تذكرت أمرًا وننظرت نحو شيء ما في

الأعلى وقالت :

-شوف كده ماما حاطة المفتاح في العداد ولا لأ ؟

أومأ رأسه وإتجه نحو عداد الكهرباء، وحين فتحه وجد المفتاح بداخله كما تصورت هي ..

فأردف بنبرة هادئة :

-أيوة لقيته

ثم إتجه به نحو الباب وفتحه، ودلفا سويًا ..

حين دلفت إلى المنزل جلست على إحدى الأرآئك الكبيرة في هدوء، وكأنها كانت تنتظر الفرصة لتختلي بنفسها ..+

أغلق الباب خلفهما ونظر لها، وأخذ يقترب منها إلى أن وقف أمامها ..

ثم جلس على ركبتيه ليصل إلى ستواها وهي جالسه وقال باسمًا :

-على فكرة شكلك حلو أوي في الحجاب

إبتسمت له بفتور ولم تجبه، لكنه لن يستسلم سيحاول أن يهديها ولو القليل من السكينة فتابع :

-لبستيه لوحدك ولا حد قالك إلبسيه ؟

هزت رأسها نافية وقالت :

-جويرية قالتلي وأنا كنت بفكر فيه من قبلها

ضرب أنفها برفق بإصبعيه، وقال :

-بس أنا فرحان إن لبستيه

-وأنا كمان

حين وجد ردودها هادئة حزينة هكذا قال برفق :

-متحمليش نفسك أكتر من طاقتها يا فيروز

أجابته هي باكية :

-والله أنا ما عملت حاجة عشان هو يعمل فيا كده ! ، أنا بس ....

-شششششش أنا مصدقك والله

قالها هو مقاطعًا إيها بعد أن وقف وسحبها لتقف معه، ومن ثم إحتضن وجنتيها كفيه قائلًا بغضب :

-أنا أختي عمرها ما تغلط أبدًا، وأي حد أذاها هياخد جزاؤه

مسح دموعها بيديه، وتابع :

-وأنا كمان لو أذيتها هاخد جزائي وهتعاقب، عشان أنا .. أنا اللي غلطان، أنا اللي سبتها

تواجه كل ده لوحدها، ولو هي مش عاوزة تسامحني دا حقها، وأنا مقدرش أتدخل فيه

إحتضنته هي حينها بقوة، وبضعف، بألم، وبعض من الأمان ..

شعور متناقد لم تضيع وقتها بتحليله، وبكت ..

إحتضنها الأخير مبادلًا ..

وهو يقسم على نفسه أنه سيري كل من أساء لها ..

بل سيقتله !

وبعد مرور بعض الدقائق، قال هو :

-والله العظيم أنا هاخدلك حقك يا فيروز وده وعد مني

سألته حينها بحزن :

-هي العيلة هتقول عليا إيه ..و ماما !

تذكر هو حينها ما جاء لأجله، وإنتفض قلبه فكيف له أن يخبرها بالأمر وهي بتلك الحال

..

لن تقوى على سماع الخبر، لكنها عاجلًا أو آجلًا ستدري به

حينها إبتعد عنها لينظ في وجهها وهو يقول :

-أنا .. عاوزة أقولك حاجة !

نظرت له منتظرة أن يتابع، لكنه إسغرق الوقت ولم يتفوه، فقالت هي تستحثه على المتابعة :

-قول !

نظر مباشرة في عينها وتابع بحذر :

-الأول أوعديني تفضلي هادية، وربنا هو اللي بإيده الأقدار ..

إسعت عيناها وتأهبت لسماع خبر سيء للغاية، فقال هو :

-أمك الله يرحمها ماتت من .. من كذا يوم

ما إن سمعت هي الخبر حتى تراجعت للخلف وهي تقول :

-مـ .. ماتت !

إقترب هو منها وأمسك يدها قائلًا :

-إنتي عارفة إنها كانت تعبانة، وكانت بتتعذب من المرض ده في الدنيا !

بكت هي حينها وهي تضع يدها على فمها لتكتم شهقاتها، حينها شدها هو بقوة إليه ليهون عليها الخبر، وهو يقول لنفسه :

-آسف والله مكنش ينع أخبي عليكي

لقد شعر هو حينها بالرغبة في البكاء، لكن إن
لم يتماسك هو فمن سيفعل !+

+.....

جلس هو على مكتبه وقد ظهرت على
ملامحه الحيرة والضيق، ثم أردف بهدوء
للجالس أمامه :

-بس يا أبان لازم جويرية تعرضها للفحص
الطبي، ودا هيقدر يثبت كتير، أنا أيوة وكيل
النيابة بس برضرضوه لازم يكون في إيدي
دليل قوي لأنهم ببساطة يقدرو يثبتوا إن
التسجيل ده يا مزور، يا إتقال في وقت غضب
وهي دي النقطة إللي هيشتغلو عليها

زفر أبان بضيق وأرجع رأسه للخلف قائلًا :

-دا امبارح لما جابتها عشان تقدم بلاغ كانت ماسكة فيها زي ما تكون بنتها، ومش كده بس دا فضلت توصينا منجرحهاش ساعة يا معتصم ! ، وأنا أشك أنها هتوافق تعرضها على الطبيب الشرعي !

أومأ معتصم رأسه متفهمًا وهو يقول :

-بس متنساش اللي حصل لأختها خلاها تكون خايفة التانية تبقى مصيرها زيها

-معاك حق، بس لازم يكون فيه دليل تاني مع دا وإلا لو قدرو يثبتو إن الشريط دا مش حقيقي الكلام اللي فيه هنكون مضطرين نطلعه !

-بس يا أبان آآآ ...

كاد أن يتابع هو لكنه سمع صوت هاتفه معلنًا عن رسالة جديدة، فإلتقطه وحين وجد

إسم مرسلها براء قرأ نصها على فوره بصوت عالٍ :

-"معتصم أنا كلمت جويرية في موضوع الطب الشرعي، وهي قالتلي إنها هتكلم فيروز ولو وافقت هنعرضها عليه ..

بس قالتلي شرطها إنها تكون دكتورة مش دكتور وإلا هي مش هتوافق .. وأنا ناو مش فاضي أكلمكم بس لما أفضى هتصل وقول لأبان"

زفر أبان بإرتياح وقال في الحال :

-تمام كده، إبعت بقى حد للزفت المسجون ده يقوله يستعد عشان بكره الصبح هيكشف ...

نظر له معتصم وأومأ رأسه مؤيدًا إياه، ثم إلتقط سماعة الهاتف التي أمامه وهتف من خلال الهاتف :

-إبعت حد للمسجون بيجاد رشوان يقوله يستعد عشان بكره الصبح هيتعرض على الطب الشرعي و...

إنتقط منه أبان الهاتف على الفور وأردف بصرامة :

-لا خلاص متبعتش حد

هدأ قليلًا قبل أن يقول :

-أيوة خلاص إنسى اللي سمعته وكمل شغلك إنت

ثم أغلق الهاتف بسرعة، فنظر له معتصم بغضب وقال :

-إنت عملت كده ليه ؟!

رفع يده له وحركها بهدوء في الهواء وهو يردف بحذر :

-أنا مأخدتش بالي إلا الوقت، ممكن هو يمحي أي آثار تدل على الجريمة، وممكن ميكونش فيه إلا آثار سطحية يقدر يخفيها

أومأ معتصم رأسه متفهمًا وهو يقول :

-معاك حق إزاي فاتتني !+

+.....

طوى الزمن يومًا جديدًا وإستعد للجديد ..

وصباحًا ..+

الآن سمعت صوت الباب، وتأكدت أنها ترتدي حجابها قبل أن تذهب لفتح الباب،

وها قد توجهت نحوه، وبهدوء فتحته وأدخلتهما قائلة بإبتسامة :

-أهلا إخلوا ..

نظرت لهما وقالت :

-إزيك يا سهيل ؟!

أومأ سهيل رأسه بإبتسامة مجاملة وهو يقول :

-الحمد لله

خرج حينها براء من الغرفة، وأخذ ينظر إليه، ليس من الضروري أن يتذكره فهو لم يره إلا مرات معدودة !

لكنه إقترب منهم وقال بهدوء :

-أهلا نورتونا

إرتسم إبتسامة مجاملة على وجهه وهو يقول :

-دا نورك ..+

لا بعيدًا عنهما نظرت جويرية لتلك الواقفة بعيدًا، هي تعلم أن ما مرت به كان قاسيًا لكنها البارحة كانت في حال أفضل !

إقتربت منها ثم سحبتها من يدها نحو غرفتها وهي تقول :

-فيروز تعالي معايا شوية ..

ذهبت معها فيروز إلى غرفتها دون أن تنبس بكلمة، وحين دخلتا الغرفة أغلقت جويرية الباب، وأجلستها على سريرها، ثم جلست بجانبها ..

ظلت ترنوها للحظات بصمت قبل أن تسألها برفق :

-مالك يا فيروز فيه حاجة حصلت ؟

ظلت الأخرى صامتة تنظر أمامها بشرود، بحزن، فاقدة الأمل ..

وضعت جويرية جدها على وجنتها وتابعت +:

-فيروز حبيبتي فيه إيه مالك ؟

بكت هي حينها فلم تتحمل أكثر من هذا ..

فنعم

كانت قد أتت ومعها سهيل من بكرة الصبح اليوم كما طلبت منها جويرية، فلقد قررت أن تذهب إلى بلدتها، ولكي تذهب يجب عليها أن تنهي كل شيء هنا أولًا ..

فلتنهي تلك القضية بسجن ذاك المعتدي ثم تذهب حيث شاءت ...

كان خبر وفاة والدتها ما فت في عضدها أكثر،
وما جعل الأمر هينًا ولو بنسبة ضئيلة وجود
أخيها بجانبها، ومع أنها كانت تتأهب لخبر
وفاة والدتها لأن التقارير الطبية عن
الفحوصات التي كانت تؤديها تظهر أن
صحتها في تدهور مستمر ..

وحتى مع محاولة فيروز جعلها تنتظم في
الدواء، لكن الطبيب في آخر فحص أخبرها أن
صحتها صارت أسوأ بأضعاف مع بذلهم كل
جهدهم معها !

ولكن يظل الأمر مؤلمًا، سيئًا كمن نُزع منه
جزءًا من روحه بالقوة ..+

لذلك انخرطت في بكاءٍ عنيف، حينها شعرت
جويرية بالرعب فهي حقًا لم ترها تبكي
هكذا إلا في ليلة إغتيالها ...

وضعت يدها الأخرى على وجنتها، وقالت بقلق :

-إيه اللي حصل ؟

إستطاعت أن تردف من بين بكائها بصعوبة :

-ماما، ماتت !

صدمت جويرية، وإتسعت مآقيها من هول ما سمعت ..

نعم لم تكن خالتها تلك المرأة الرائعة التي تعوض حنان أم !

لكنها كانت خالتها، وهي والدت فيروز أيضًا !

لماذا تتوالى المصائب على تلك المسكينة !

ماذا فعلت لتستحق كل هذا !

ثم عادت لتستغفر ربها، فهي تعلم أنه لا يفعل شيئًا إلا وفيه الخير لعباده ...+

إحتضنتها حينها، وقالت بحزن :

-إنا لله وإنا إليه راجعون

إبتعدت عنها فيروز فجأة، وبدأت تمسح دموعها بقوة وتقول :

-أنا مش هسافر البلد قبل ما آخد حقي من الحقير ده، هتساعديني !

إحتضنت هي وجهها بكفيها وأردفت بصوت دافئ ونظرات حانية :

-طبعًا أنا معاكي، و..

قاطعتها فيروز بمشاعر متضاربة، وقالت بهدوء :

-أنا .. امبارح فكرت أروح أعمل فحص طبي وكده ودا هيقوي موقفنا ..

مع أن الكلمات كانت قاسية عليها، لكنها أرغمت نفسها أن تقولها، فيجب عليها أن تفعل ما تستطيع من أجل إسترداد حقها ..

حينها شعرت جويرية بالراحة لأنها لم تجعلها تتحدث بنفسها، فقد كان إخبارها أمر شاق جدًا عليها ...+

لكن في نهاية المطاف، ستذهبان اليوم سويًا لكي تستطيعا إثبات شيء آخر ضد ..+

ذاك الذي يشبه الرجال خَلقًا، لا خُلقًا ..!!

هؤلاء هم من يتدرجون تحت إسم ... أشباه الرجال ...!!!+

.....+

كانت جالسة في غرفتها تشرب قهوتها، حينما سمعت صوت الجرس يرن ..

من الذي قد جاء إذًا فهي في العادة لا يأتيها أي زوار ...

أرجعت شعرها للخلف، فقد تناثر على وجهها حين جلست، وتركت قهوتها على الطاولة القريبة منها، ثم نزلت من على السرير لتعلم من جاء !+

نزلت من على الدرج بهدوء إلى أن وقفت أمام الزوار .. فقد فتح الخدم الباب

نظرت لهم بتوجس وسألت :

-خير يا حضرت الظابط فيه حاجة !

أجابها الشرطي بهدوء :

-مدام كاثرن عندنا أوامر بتفتيش المكان عشان عاوزين هدوم جوزك إللي كان لابسها وقت إرتكاب الجريمة

زفرت هي بإختناق، فحتى وهو بعيد تلحقها مصائبه، لكنها قالت ببساطة :

-طيب ثواني أنا هجيبها دا لو مكنتش إتغسلت !

أومأ الرحل رأسه منتظرًا إياها بينما هي سارت في إتجاه غرفة الغسيل وهي تنادي :

-سلمى !

أجابتها سلمى وهي قادمة من المطبخ :

-نعم يا هانم جاية

-تعالي على أوضة الغسيل ناو+

ومن ثم توجهت نحو الغرفة، ولحقتها سلمى على عجلة السرعة، وقفت كاثرن أمامها ونظرت لها قائلة بهدوء :

-كاثرن مشوفنيش هدوم بيجاد اللي كان لابسها من تلت أيام وراح بيها الشغل !؟؟

أجابتها سلمى بنبرة عالية نسبيًا :

-قصدك الهدوء اللي كانت مقطعة دي ! كان جواها شقوق كتير والبيه مش بيحب الهدوم المشقوقة، فامغسلتهاش وكنت هرميها !

-طب هي فين الوقت ؟

ظلت الأخرى تبحث في ذاكرتها، قبل أن تنظر لها وتقول بهدوء :

-أيوة افتكرت، ثواني هجيبها وآجي

أومأت كاثرن رأسها وتعجبت أن الثياب كانت ممزقة، فيبدو أنها قد قاومته بإستماتة، وعلى حد علمها أنه من المستحسل أن تحدث جريمة إغتصاب كاملة بدون رضى

من الطرفين ولو بجزء لا يلاحظ حين تنعدم المقاومة من الطرف الآخر تحت التهديد أو التعب أو الإغماء، هذه لا تعتبر موافقة، لكنها تساعد الجاني كثيرًا، وإلا من المستحيل أن يستطيع الجاني إتمام جريمته الشنعاء !+

-يا هانم !

قاطعت سلمى شرودها فإستدارت لها لتجيبها :

-نعم !

مدت سلمى يدها لها بكيس بلاستيكي بداخله ثياب زوجها، وأردفت بإرتباك :

-بصي يا هانم الهدوم دي .. آآآ

صمتت الأخرى فقالت كاثرن :

-مالها ؟

-بصي الصراحة شكلها إتعمل بيها جريمة فعلًا لأن عليها دم و.. ومشقوقة خالص !

-ما ده اللي أنا عاوزاه يا سلمى ..

قالتها بهدوء ثم تركتها وذهبت نحو زوارها المرحب بهم !+

+.....

وصل تقرير وكيل النيابة إلى الطبية المسؤلة عن الطب الشرعي .. وتأكدت الطبيبة من دراسة الملف جيدًا قبل أن ..

-تمام يا فيروز وبعدين عملك إيه !

سألتها الطبيبة بحذر، فيجب أن يوافق حديثها عن الواقعة الحديث الموجود أمامها في التقرير الطبي وإلا وجد علة في الأمر أو كان هناك خطأ ما ويجب عليها حينها أن تكتب تقريرًا كاملًا بكل ما قالته ..

زفرت فيروز ونظرت لمن حولها، جويرية،
وممرضة أخرى، فلا يجوز أن يدخل غيرهما،
نظرت حينها جويرية لها وأومأت رأسها
لتشجعها على المتابعة فقالت بحزن :

-ولما حاولت أصرخ قام كتم بقي جامد،
وضربني على وشي بالقلم و...+

+.....

وخارج الغرفة وقف براء، وسهيل حزينان ..

لكن سهيل قد بدى على وجهه الألم حقًا،
وشعر براء بذلك، فاقترب منه ووضع يده
على كتفه قائلًا بهدوء :

-إهدى يا سهيل هتبقى كويسة وتتحسن إن
شاء الله

زفر سهيل بحن ونظر له قائلًا :

-أصل إنت مش فاهم يا براء أنا السبب أنا حاسس إني السبب في كل ده ! ، دي أختي والمفروض مكنتش أبعد عنها أبدًا ..

إبتسم له براء وهو يردف :

-بص يا سهيل كل اللي حصل ده قدر ربنا متفضلش تقول لو لو لأن ده قدر ومكتوبلها، ولو مكتوبلها خير لو إجتمع أهل الأزض على أن يضروها مش هيضروها، ولو مكتوبلها شر لو إجتمع أهل الأرض على أن ينفعوها مش هينفعوها، كله عند ربنا فامتقساش على نفسك وحاول تعوضها

نظر له سهيل وأومأ رأسه مبتسمًا بحزن

+!!!!.....

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل العشرون :

ظل يجوب غرفته غاضبًا، فمنذ الصباح يتصل بذلك المحامي الغبي ولا يجيبه، وحين يئس من إجابته رمى الهاتف على سريره وكاد أن يخرج من الغرفة إلا أنه سمع صوت هاتفه يرن !

زفر بغضب فمنذ الصباح يتصل وبمجرد تركه للهاتف يرن !

أمسك الهاتف وأجاب بنبرة عالية :

-أنا من الصبح برن عليك مبتتزفتش ترد ليه ؟

جاءه الرد من الجانب الآخر قائلًا بنبرة مرتبكة :

-آآآ معلش يا صهيب باشا كنت بتابع القضية ..

هدأ صهيب قليلًا قبل أن يقول :

-المهم إيه الجديد، وعارف يا زُبيِّر لو فوت حرف واحد ! ، كفاية إنك معرفتش تتصرف أول مرة ..

أجابه زُبيِّر بهدوء عبر الهاتف :

-يا باشا أنا مكنتش عارف أي حاجة عن القضية يبقى إزاي آآ..

قاطعه الأخير بإستهجان :

-إنجز، إيه الجديد ؟

تحدث الأخير بإمتعاض :

-أنا عرفت الوقت إنهم ودو بيجاد بيه والبت دي للطبيب الشرعي عشان يشوفو أي أدلة

..

صدم صهيب وأردف بغضب :

-إيـه ! ، إزاي دا حصل وإمت الكلام ده ؟

جاءه الصوت مشحونًا بالضيق من الجانب الآخر مردفًا بـ :

-وعلى حد علمي إنها قاومته كتير جدًا، أنا امبارح خدت بالي من خربشة سطحية عند رقبته، وفي كف إيده كمان .. يعني ببساطة يقدرو يثبتوا الجريمة دي علينا !

نظر صهيب في لنفسه في المرآة بزهو ..

منذ متى خسر تحدي خاضه !

منذ متى ترك أحدهم يتجاوز الحدود معه هكذا ؟

وبالأخص أنها فتاة !

لا .. لا وألف لا لن يحدث أن تفوز هي !

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يردف بنبرة يشوبها الغموض :

-يقدرو يثبتوها، إلا لو إتدخلت أنا !

تابعه المحامي بترقب في نبرته وهو يقول :

-إزاي !

وضع صهيب يده اليمنى في جيبه، و رد عليه بهدوء :

-لو دخلنا مية ألف جنيه في الموضوع تفتكر التقرير هيفضل زي ما هو ؟!

إلتوى فم المحامي زبير بإبتسامة عابثة،
وأجابه عبر الهاتف بخبث :

-لأ طبعًا مفتكرش !

أخرج صهيب يده من جيبه وهذب بها
خصيلات شعره بغرور وهو يبتعد عن المرآة،
ثم أردف بنبرة جادة :

-إتعامل إنت مع الموقف ده وإديني
عنوانكم عشان أجيلكم حالًا ..١

+.....

أخيرًا إنتهى ذلك الفحص، ياله من أمر
خادش للحياء، فبعدما يحدث للفتاة من
إعتداء أو تعذيب تجبر لإثبات الأمر أن تتعرى
من حيائها لإكمال ذلك الفحص اللعين !

زفرت هي وهي تنظر إليها يضع أخوها يده
على كتفها يحاول أن يعيدها كمان كانت ..

لكن الإعوجاج قاسٍ هذه المرة، ولا يمكن إصلاحه بالطرق التقليدية !

أما الآن فهي تحتاج أن تنزوي ..

أجل تريد الإختفاء عنهم جميعًا، فما حدث في الأيام السابقة كان كافيًا لجعل شحنتها من الهدوء تفنى ..

هي الآن تحتاج إلى السلام النفسي .. وما من علاج أفضل من الإختفاء عن أعين البشر لبعض الوقت، لذا ....

-براء !

قالتها هي بخفوت حين رأته يتوجه نحو السيارة، فنظر لها وقال :

-نعم !

أجابته برويَّة وهي تنظر له بهدوء :

-روحو إنتو وأنا عندي مشور هخلصه وآجي ..

قطب حاجبيه وهو يسألها مستفهمًا :

-مشوار إيه يا جوري ؟

-عادي يا براء مشوار كده ولما آجي هقولك عليه، ماشي !

صمت براء لبعض الوقت، الحديث معها لن يجدي لذلك أردف هو بـ :

-طيب بس متتأخريش

أومأت رأسها، وتابعته إلى أن غادر ثم سارت خلاف الطريق الذي سار هو به ..+

بالقرب منها، وتوًا كان هو على وشك ركن سيارته والدلوف، لكنه رآها تسير وحدها، فقرر تتبعها، وبالفعل أدار السيارة مرة أخرى ثم سار خلفها ...

لكن ما أثار حنقه حقًا هو ..+

كانت جويرية تسير بهدوء وحدها، وفجأة رأت براء متجهًا نحوها، ثم خرج من سيارته أمامها وقال :

-بطلي تول بقى، خدي ياختي موبايلك أهو نستيه معايا !

ثم مد يده لها به، فإبتسمت له وقال ببساطة :

-ما إنت موجود عشان تفكرني لما أنسى

رفع حاجبه الأيسر ومال عليها قائلًا :

-ما تقولي بقى راحة فين ؟

وضعت يدها في خصرها، وأجابته بعبوس :

-ما تيحي معايا أحسن يا براء

إبتسم هو وأردف بمرح :

-إشطا يلا

نظرت للسماء تستلهم الصبر، ثم فتحت بابا السيارة ودفعته داخلها وهي تقول :

-يلا يا براء متشلنيش مش ناقصاك

ضحك الأخير وجلس على المقعد مردفًا :

-طيب طيب ماش أهو متزقيش !

أشارت لها بيدها مودعة إياه قائلة :

-يلا يا حبيبي طريق السلامة

ثم تركته وذهبت، وهو أيضًا إبسم وذهب ..+

نظر صهيب لذاك المهرج الذاهب، وذفر بغضب وهو يقول :

-الواد ده بيعفرتني !

لكنه سار خلفها بهدوء بعدها مترقبًا طريقها الذي لا يعلمه !+

ما يقرب من النصف ساعة حتى الآن، وهي تسير .. وتسير، لقد مل ..

المشكلة أنه لا يدري أين مقصدها !

فقط تمشي في تلك الحارة ثم ذاك الشارع، ومنه تسلك ذاك الطريق، لتصل إلى تلك المنطقة التي لم يراها من قبل ..!!

وفي نهاية النطاف ربما تعود لمنزلها بدون أن يستفيد من الأمر ..!!

لذلك أسرع بسيارته أكثر بقليل، ثم إعترض طريقها ووقف أمامها بسيارته الضخمة ..+

تبدل حالها من السكون إلى الإضطراب حال رؤياه ..

لكنها سيطرت على غضبها، وسارت عكس الطرق التي كانت تمر به، فوقف هو أمامها، وببرود قال :

-إنتي بتهربي مني ليه، خايفة ؟

يا الله، هل تخبره أنها تشعر أنه هو من يخافها...!!!

أم تصمت وهو الحل الأفضل لكلى الطرفين !

لكنها لم تستطع إخفاء إبسامة ساخرة ظهرت على وجهها فجأة !+

وقالت وهي توليه ظهرها مبتعدة عنه :

-إذا ناداك السفيه فلا تجبه فخيرًا من إجابته السكوت !

حينها فاض به الكيل ودنى منها ممسكًا بذراعها فإستدارت له ورفعت يدها لتصفعه، فتلك ردة فعلها المنعكسة كمثل الذي إذا ما أحرقته النار أبعد يده عنها في توه تفعل هي ..

لكنه أمسك يدها الأخرى وإبتسم وهو يقول :

-عاوزة الحقيقة، إنتي مختلفة لدرجة رهيبة ومش قادر أتجاهلك !

ظلت تظر له بشراسة، وتحاول إفلاد يدها، لكنه كان قويًا جدًا، ومن غير العدل أن يقارنا في القوة فهو رجل وهي امرأة ؟

-إنت نكرة !

قالتها هي بغضب ثم ركلته بقوة في قدمه اليسرى، ومع ذلك لم يتركها بل نظر إلى قدمه ثم إليها وتابع بغضب :

-لأ مش نكرة ! ، لو تلاحظي بقى إنتي اللي نكرة مش أنا

زفرت محاولة السيطرة على غضبها، لتردف بعدها بهدوء :

-طيب سيبني

تركها حينها مع أنه لم يعلم لما نفذ ما طلبته !

لكنه تركها، وظل ينظر لها بضيق، فتابعت هي بنفس الهدوء :

-بص يا .. صهيب باشا أنا مش شغالة عندك عشان تعاملني بالطريقة دي، وأنا مش بسمح لحد يتجاوز حدوده معايا، وكمان

المفترض إن إحنا تعاملنا جوا القضية
ومفيش أي حاجة شخصية فاياريت تبعد
عني وتسيبني في حالي عشان بجد إتخنقت
منك !+

إتسعت مآقيه في دهشة، فهي تحادثه وكأنما
تحادث أحدًا قد غازلها في الطريق !

وبنبر حاول فيها السيطرة على غضبه قال :

-القضية اللي هتخسروها !

أجابته هي بحدة :

-والله أنا قولتلك هكسبها يعني هكسبها،
وغصب عنك هتتكسب وإن شالله تتشقلب
على راسك هكسبها، لأني بدافع عن حق
مش باطل شبهك !

ضيق هو عيناه وظل يسمعها بضيق وهي
تتابع :

-والغريب، لأ بجد الغريب أنه كان بيخونك، ويخلق ما لا تعلمون !

نظر لها بغضب وأردف بـ :

-أنا مستحيل أتنازل عن حقي !

عقدت ساعديها أمام صدرها، وقالت ببرود :

-أنا واثقة إنك عاوز تنتقم منه بس على قدك بس، لكن صدقني ده مش هيحصل !

وبعد أن ألقت عليه تلك العبارات ذهبت وتركته مصدومًا، فكيف علمت هي فيما يفكر !

وقف في مكانه يشعر بأنه عجز من جديد عن الرد عليها، حتى وهي بين يديه لم يستطع السيطرة عليها !

ثم عاد لنفس النقطة من جديد، ما الذي جعله يتبعها...!

بل ماذا أراد منها أصلًا ...!!!+

+.....

سارت هي بعيدًا عنه، تنعي حظها الغبي، لقد ملت من وجود ذاك المتسلط في حياتها

..

ومع أنها تشعر بإنتصارها عليه في كل مرة، إلا أنها حين تفكر في كلماته تحترق غضبًا،

فكيف تتجاهل كلماته وهي بالكاد تتحملها أمامه، وتسيطر على غضبها بصعوبة لا مثيل لها !

حتى أنها سألت نفسها من أين لكي بكل ذاك البرود !+

زفرت بغضب محاولة تجاهل ذكريات تلك اللحظات الفظة، وأخرجت هاتفها من حقيبتها، وبهدوء ضغطت أحد الأزرار ثم زر آخر لتضع الهاتف على أذنها بعدها،

ومالبثت أن أردفت عبر الهاتف بنبرة قاتمة :

-براء معلش تعالى خدني+

+.....

في وقت سابق ..

وبالتحديد بعد خروج فيروز من المشفى الحكومي، كما أمر وكيل النيابة معتصم حرصًا عليها ...

وصل بيجاد إلى المشفى الحكومي ليخضع هو أيضًا للفحص الطبي، فالأمر لا يقتصر على المجني عليها وحدها، فالجاني أيضًا يجب أن يخضع لمعاينة الطب الشرعي

لإستخلاص الدلائل الكافية للوصول إلى الحقيقة الكاملة ..+

حينها قاده رجال الشرطة نحو غرفة أخرى غير التي أجرت بها فيروز الفحص، ولم يكُ فحصه أقل من فحصها في شيء ..

فبدأت أولًا بسماع القصة منه والتي تناقدت تمامًا مع الملف أمامها، وقد كان نصها كالآتي "كل اللي حصل ده كان برضى الطرفين، بس حكاية التسجيل دي كانت اتفهمت غلط، أنا كنت عاوز بس أغطي عليها وأطلع نفسي أنا الغلطان، بس طلاما هي عملت كده وإتهمتني بالإغتصاب لمجرد إنها خايفة تواجه أهلها فأنا قررت أقول الحقيقة" +!!!..

وقد كان رأي الطبيبة في كل ما حدث أنه كاذب، فكل الأدلة أمامها تثبت ذلك، فأولًا

كان هناك الكثير من الخدوش السطحية
على كتفها ومناطق متفرقة في جسدها، ثم
أن حالتها النفسية قد أثبتت لها صدق
المدعية،

وحتى أن زمن الإصابات والخدوش السطحية
من وجهة نظرها تتوافق مع وقت إرتكاب
الجريمة ! ، وهي غير مفتعلة !

وفي النهاية لم يتناقد قولها أبدًا سواءً معها أم
في التقرير أمامها ..+

+.....

كانت الطبيبة تعد التقرير الطبي لكل منهما
حين سمعت صوت هاتفها يرن ..

نظرت لشاشة الهاتف فوجدت الرقم
مجهول، فقررت أن لا تجيب، وبالفعل
إستمرت بالنظر للتقرير وتابعت العمل، إلا

أن الهاتف لم يتوقف عن إزعاجها، فإلتقطته بضجر وأجابت بهدوء وهي مستمرة في العمل :

-أيوة مين ؟

جاءها الرد بنبرة طبيعية عبر الهاتف :

-أنا زبير المحامي اللي مسؤل عن قضية ...

قاطعته هي بضيق، وقد فقدت تركيزها تمامًا بسببه :

-أيوة يعني عاوز ايه عشان مشغولة الوقت !

أجابها زبير بخبث :

-اصبري عليا بس أنا معايا اللي هيعجبك

عقدت حاجباها بإستعجاب وسألته :

-قصدك إيه ؟١

+.....

-نعم !!

هدر بها كل منهما في نفس التوقيت،

وقد بدى على كلاهما الغضب، والصدمة ..

نظرت هي لهما بهدوء،وأردفت بروية وهي تتابعهما :

-أبان باشا، معتصم باشا، مفيش داعي أبدًا للعصبية دي إنتم وكلتولي موضوع التقرير ودا اللي أنا عملته، وكل الأدلة بتقول إن اللي حصل ده برضى الطرفين !

رمقها معتصم بإحدى نظراته الغاضبة، بيننا تحدث أبان بنبرة أقل حدة :

-يا دكتورة سريانا اللي بتقوليه دا مستحيل !

تنهدت هي بهدوء شديد، وحاولت قدر المستطاع السيطرة على ملامح وجهها حتى تبدو أكثر إقناعًا، ثم تابعت ببساطة :

-أنا ما قولتش مية في المية إن اللي حصل ده برضاها، لكن بيجاد بنفسه إعترف بكده والأدلة فعلًا معاه، وكل حاجة بتثبت إن اللي حصل كان آآآ ...

كانت على وشك المتابعة، إلا أن صوت طرق الباب أوقفها، فحولت ناظريها تلقائيًا نحوه وهي تقول :

-إدخل ..

دلف بعض شرطيٌ ما وتوجه نحوهم، ثم نظر إلى معتصم، وهو يردف بنبرة رسمية :

-أنا جبت اللي حضرتك أمرتني بيه يا باشا !

عقدت الطبيبة حاجبيها، وشبكت أصابعها أمام وجهها مترقبة ما يقوله ذاك الشرطي ..

بينما نظر أبان إلى معتصم بعدم فهم ..

قام معتصم من على مقعده، وتوجه نحو الشرطي قائلًا بنبرة تحمل التلهف :

-طب فين !

وقبل أن يضيف حرفًا آخر إنتبه إلى ما يحمله هو في يده، وفي ذات الوقت مد الآخر يده له به ..

أمسك معتصم به حينها وهو يومئ رأسه محييًا إياه، وقال :

-شكرًا

إبتسم الشرطي له مجاملًا ثم عاد من حيث جاء، بينما ذهب معتصم نحو الطبيبة ووقف أمامها قائلًا بهدوء :

-طيب أنا جبتلك هدوم الجاني تفحصيها وتشوفي لو في أي تطورات في القضية

أومأت الطبيبة رأسها بنظرات طبيعية، ثم نظرت للثياب المغلفة التي وضعت توًا أمامها وقالت :

-تمام يا باشا

-يعني قدامك قد إيه عشان تطلع نتايج الفحص ؟

سألها أبان بترقب ..

فأجابته على فورها بنبرة جادة وهي تخلع نظارتها الطبية وتقف :

-الأول هفحصها وأشوفها وبعدين هحدد بس على الأرجح مش أكتر من يوم

رد عليها أبان بسؤال آخر هادئ :

-إيه الأدلة اللي ممكن تجيبيها من الهدوم دي !

نظرت له بفتور، وبدأت تجيبه بحذر :

-شعر من الضحية، بصمات، دم، أي حاجة ممكن تسهل الموضوع حتى لو كانت بسيطة، بس أنا محتاجة هدوم الضحية كمان

وقف معتصم واضعًا يده في جيبه ويستعد للذهاب، بينما نظر لها أبان وأجابها :

-المشكلة إنها إتخلصت من الهدوم دي عشان متفكرهاش بالحادثة

زفرت الطبيبة بهدوء، وتابعتهم بنظرات ثاقبة وهي تقول :

-تمام مفيش مشكلة، أنا هبدأ شغل من دلوقت ..

أومأ أبان رأسه أي نعم، ثم توجه نحو الباب الذي خرج منه معتصم بالفعل وهو يقول بهدوء :

-طيب نسيبك تشوفي شغلك بقى+

وبهدوء إنصرفا وأغلقا الباب عليها ..

وبمجرد تأكدها من خروجهما، هاتفت أحدهم ووضعت الهاتف على أذنها منتظرة الرد

وما لبثت أن سمعت صوت الطرف الآخر يردف بنبرة خشنة :

-أيوة !

أجابته هي بإرتباك، وحيرة :

-الوقت إنت مقولتليش إن هدومه داخلة في الموضوع ..

ثم أفرغت الكيس البلاستيكي من الثياب وأخذت أحد القفاذات من أمامها وإرتدتها، ثم فردت بها القميص الأزرق المائلة للسواد أمامها، بينما سألها هو عبر الهاتف بقلق :

-قصدك إيه مش فاهم ؟

حين عاينت الثياب وجدتها ملطخة بالكثير من الأشياء، كل هذا لا يثبت الجريمة، لكن ما يثبتها بالفعل كثرة الشقوق في منطقة الرقبة، وما أسفلها بدرجات متفاوتة، وحتى أن الزر الأعلى وما أسفله انتُزعا، وأهمل الثالث بينما إنتزع الرابع ...

حينها فقط أردفت هي بنبرة حذرة :

-هدوء بيجاد معايا وواضح جدًا عليها آثار مقاومة،بس من حظكم إن هدوم فيروز إتخلصت هي منها، بس أنا الوقت أعمل إيه ؟

زفر الأخير بغضب، وبعد أقل من ثانيتين إلتوى فمه بإبتسامة غامضة، ثم أردف بجدية :

-ملحوقة طلاما الهدوم معاكي أنا هقولك تعملي إيه، بس أول حاجة لازم تعمليها إنك تبينيلهم إن المستشفى دي مفيهاش الأدوات الازمة وإن إنتي في بيتك تقدري تجمعي أكبر أدلة، وبكده هتطلعي من هناك خالص وده اللي إحنا عاوزينه حاليًا ..+

+.....

كان واقفًا عاقدًا حاجباه بغضب، ثم سار نحوها بعجلة وهو يردف بنبرة عالية :

-جويرية، متهزريش إيه اللي عاوزة تشتغلي دي !

راقبته هي بنظرات هادئة وهي تجيبه بثبات :

-براء، إهدى شوية، عاوزة أشتغل وإنت عارف إني بحب الشغل !

هز هو رأسه نافيًا ونظر لها بضيق وهو يقول :

-لأ يا جويرية أنا عارف عاوزة تشتغلي عشان تغطي مصاريف المستشفى بتاعة بابا

ردت عليه ببرود :

-آه وده سبب تاني كمان، وبعدين روز صاحبتي قالتلي على شغل حلو و ...

ضرب جبهته بيده وهو يقاطعها بيأس :

-تاني روز ! ، هي شغلتها توزع أشغال على الناس !

كادت هي ان تتحدث إلا أنه تابع بنبرة جادة للغاية :

-بصي يا جويرية أنا قولت لأ يعني لأ، وإن كان حد من المفترض يدفع فأنا موجود، لكن إنك تشتغلي والكلام ده إنسي ..

راقب هو نظراتها الغاضبة، فتابع بهدوء غير آبه لها :

-والكلية بتاعتك، من يوم ما أنا جيت مشوفتكيش روحتيها خالص !

-براء، مبحبش الطريقة دي إنت عارف ....

قالتها بضيق وهي تنظر له، بعد أن عقدت ساعديها أمام صدرها، فأجابها هو بهدوء :

-ما أنتي مش بتسمعي الكلام أعملك إيه طيب

نظر هو لها بود، وحاول السيطرة على نبرته، لربما تقتنع، وتابع قائلًا :

-ممكن تسمعي كلامي المرة دي بقى !

أشاحت وجهها عنه ..

وزفرت بنفاذ صبر ..

لكنها، أومأت رأسها موافقة

فابتسم هو، وقال :

-والجامعة !

-معدش إلا أسبوعين على الإمتحانات يابراء مفيش أصلًا

-يبقى تذاكري وأنا هتابع القضية عنك

-اووف طيب

ثم تركته وذهبت نحو غرفتها، غاضبة، مالّة، تريد قتل أحدهم لو وجد !

وها هو باب غرفتها يصفع بقوة ...+

أما هو فراقبها وضحك ضحكة لم تسمع النملة وقعها، لكنه تذكر في صباه حين كان يريد إغاظتها فيذكرها بفرق السنتان الدراسيتان بينهما، رغم أن عمرهما متقارب إلا أنه يكبرها بخمسة أشهر، كما أنه لم يحضر الصف السادس الإبتدائي فكان هذان الأمران ما جعلاه يسبقها دومًا في دراستها،

وهناك ما كانت تبغضه تلك الفتاة ..

أن يطلب منها أحدهم أن تذاكر ! ، فبالرغم من ذكائها لم تحب المذاكرة يومًا بل أحبت

دومًا إقتطاف المعلومات من أي مصدر إلا من كتاب المدرسة !

ربما لأن أغلفة تلك الكتب دومًا ما تختم بـ "وزارة التربية والتعليم" وهي حرة إن لم تحب ذاك الراوي !١

-آل أشتغل آل، ليه يعني وأنا روحت فين !+

+.....

دلفت جويرية غرفتها، وأغلقت الباب بقوة خلفها، وجلست على سريرها، كانت غاضبة، لا بل غاضبة جدًا، لكن ليس بسبب براء،

لا تدري لما هي متقلبة المزاج بشكل كبير هذه الأيام !

لكن براء معه حق، فهي لم تذاكر البتا ولم يبقَ الكثير على الإمتحانات،

وبرغم كل ذلك فالمذاكرة في وقت كهذا تكاد تكون مستحيلة !

لكنها مع ذلك ذهبت وأحضرت كتبها جميعًا ..

وفردتهم على السرير امامها بإهمال وهي تقول بهدوء :

-أذاكر إيه ؟

وأخيرًا وجدت وسط تلك الكتب ما لفت إنتباهها، فأخذته وفتحته، ثم جلست على السرير، وأخذت تقرأ،

تثاءبت بعد ما يقرب من الخمس دقائق، لكنها حاولت أن تظل يقظة،

وبعد عشر دقائق ..

مددت رأسها نحو الوسادة وهي تقول :

-خمس دقايق وأقوم أكمل

ثم أغمضت عيناها، وسط كتبها، وما لبثت أن ذهبت في سبات عميق ..

فعلى الأرجح هي لا تنام أصلًا تلك الأيام !+

فتح براء الباب عليها وهو يحمل كوب من الشاي ويقول بمرح :

-عملتلك شاي عشان تـ ..

ضحك بخفوت حين وجدها نائمة، يال المسكينة لقد تعبت حقًا !

وضع كوب الشاي على الطاولة واقترب منها، ثم سحب الكتاب من يدها، ووضع الغطاء عليها مبتسمًا،

لا يهم المذاكرة، المهم أن تكف عن التفكير وتستريح قليلًا الآن ..

وقبل أن يذهب، وضع الكتاب على حاملة الأدراج بجانبها، وأخذ كوب الشاي، وذهب مغلقًا عليها الضوء والباب ..+

+.....

خرج هو من الحمام حاملًا المنشفة يجفف بها وجهه، وفي طريقه للذهاب نحو غرفته، لفتت هي ناظريه، فعاد خطوة للوراء، لقد رآها تصلي في إحدى أركان غرفتها، فإرتكز على الحائط المقابل لها، و ظل ينظر لها مبتسمًا بحزن لا يستطيع إخافاء ولو حتى جزء صغير منه، لكنه لن ينكر أنها تغيرت تمامًا، صارت أروع من ذي قبل !

حتى بعد كل شيء حدث لها، لا تزال نجمة متألقة

سمع صوتها وهي تُسَلِم لتنهي الصلاة
فاقترب منها، وحين رأته هي رفعت رأسها
ناحيته، ثم أنزلتها مرة أخرى ..

حينها فقط جلس هو بجانبها، وسألها بهدوء :

-دعيتي لمين ؟+

لم تجبه، بل فقط ظلت تنظر أمامها واجمة،
شاردة الزهن تفكر في مآسيها ..

يأس هو من إجابتها، وظهرت عليه ملامح
الحزن أكثر،...

وبألم حقًا أردف بـ :

-آسف

نظرت له وقالت بهدوء :

-على إيه ؟

هدأ هو قبل أن يردف بإختناق :

-آسف عشان سيبتك لوحدك تواجهي كل ده ! ، آسف عشان أنا أخوكي وكنت المفروض أكون سندك مش مصدر عذابك، آسف لأن أنا عمري ما عاملتك زي ما كنتي إنتي بتعامليني، وآسف عشان كنت بجرحك دايمًا بالكلام، والله يا فيروز أنا بحبك أوي، وأنا نفسي مكنتش أعرف إني بحبك كدة إلا لما أنتي إذتأيتي ! ، حسيت إن أنا اللي أتأذيت مش إنتي

إبتسمت له إبتسامة تخبرة فيها أنها سامحته، رغم الألم البادي فيها، وأخبرته تلك الإبتسامة أيضًا أنها تبادله المحبة، فمن بقي لها غيره الآن !+

وضعت يدها على وجهه وأردفت بحنو :

-أنا كمان بحبك

مسح هو على شعرها، ثم قبل رأسها وقد بدأ يبكي وهو يقول :

-أنا أصلًا عمري ما كنت بعرف آخد قرار إلا لما أسألك فيه، والشهور اللي فاتت دي كانت صعبة جدًا عليا، و ... وعلى فكرة أنا سيبت ترنيم، وعرفت إنك كان معاكي حق ...

مسحت هي دموعه بكلتا يداها، وأردفت بدفء :

-طب إنت ليه بتعيط الوقت !

-عشان حاسس إن كل دا حصل بسببي، مش ... مش قادر أسامح نفسي

بكت هي الأخرى وقالت :

-بطل تعيط إنت عارف إن أنا بعيط لما حد يعيط جنبي ..

مسح دموعه بسرعة وهو ينظر إليها، ثم عاد ليمسح لها دموعها هي الأخرى وهو يقول بضيق :

-آسف

صمت لينظر لها بعدها ويقول متوعدًا :

-أنا مش عاوزك تعيطي تاني، وأنا بوعدك إني هحيبلك حقك، ومستحيل أخلي كائن يتكلم عليكي ولو نص كلمة .....+

.....+

كانت نائمة، لكن صوت رنين الهاتف أيقظها من سباتها، فإستفاقت ونظرت إلى الهاتف وإلتقطته ناظرة لإسم المتصل ..

وحين وجدت الرقم مجهول قررت ألا تجيب، فلتكمل نومها من أفضل !

وقبل أن تضع رأسها على الوسادة مرة أخرى، رن الهاتف من جديد ..

زفرت هي بضيق، وإعتدلت وهي تلتقط الهاتف وتجيب بهدوء :

-سلام عليكم

أتاها صوته عبر الهاتف يقول بهدوء يضاهيها :

-وعليكم السلام

ضيقت حاجباها في ضيق وأردفت بنبرة غاضبة :

-أنت !؟

أجابها ببرود عبر الهاتف بـ :

-أيوة أنا

أغلقت الهاتف في وجهه، ألا يكفي أنها رأته اليوم !

أعاد هو الإتصال مرة ثم أخرى وفي الثالثة أجابته ولم ترد، بل فقط إستمعت له

فقال هو حينها بضيق، على فكرة أنا بتصل بيكي عشان فكرت في حاجة تقدر ترضي جميع الأطراف

لم ترد عليه، فتابع هو بهدوء :

-تحبي تسمعي !

أجابته بإحتقان دون تردد :

-لأ مش عاوزة أسمع منك حاجة ..

إبتسم هو في الجانب الآخر، رغم أنه لا يدري لما فعل !

في حين قال هو بإستهجان :

-امممم أنا شايف تسمعي العرض الأول
وبعدين ترفضيه أو تقبليه شوفي إنتي !

زفرت بنفاذ صبر وحاولت السيطرة على
إنفعالها وهي تجيب :

-لأ مش عاوز أسمع حاجة قولت

وكادت أن تغلق الخط بوجهه إلا أنها سمعته
يقول بحذر :

-حتى لو كنت هديكي الفيديو .....؟؟+

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

٢١

الفصل الحادي والعشرون :

جالس على فراشه، ثاني ركبتيه، مستند
برأسه على الوسادة، وضام إحدى يديه،
وبالأخرى ممسك بهاتفه،

عاقد حاجبيه، وقد تسللت إبتسامة عابثة
لتداعب وجهه، برغم حدة نظرات عينيه ...

وبنبرة زادت فيها الثقة بالنفس أردف بـ :

-حتى لو .. حتى لو كنت هديكي الفيديو ؟

سمع صوتها بعد نصف دقيقة صمت، وهي
تجيبه بنبرة هادئة جادة :

-والمقابل ؟

إختفت إبتسامته، وإعتدل في جلسته قليلًا
قبل أن يردف بغموض :

-ليه متخيلة إني ممكن أطلب مقابل ؟

أجابته بنفس النبرة الهادئة بعد أن وصلته تنهيدتها الحانقة عبز الهاتف :

-والمقابل ؟

-يعجبني ذكائك !

قالها هو ثم زفر بهدوء، وهو ينزل على الأرض، وسار عدة خطوات حتى وقف أمام مكتبه ..

فتح بيده أحد الأدراج وأخرج منها كارت ذاكرة صغير، وأمسكه بيده وظل ينظر له قبل أن يقول بترقب :

-تعتذري !

وصله ردها باردًا، جافًا، مقتضبًا، بـ :

-إنسى ..

ضيق عينيه، وسألها ببطء :

-يعني .. مش عاوزة الفيديو ؟

لم تجبه،

فقط سمع أنفاسها الغاضبة، على خلاف نبرتها الباردة ..

تابع هو بنبرة أكثر هدوءًا، وأقل حدة :

-أنا إديتك الخيار السهل على فكرة !

-بينا على الصعب ..

كان ذاك ردها، دون تردد أو خوف ..

حينها جلس هو على المقعد المجاور له، وأردف بنبرة خبيثة :

-عارفة طبعًا إن السكرتيرة بتاعتي معدتش هتيجي الشركة تاني، عمرك شوفتي شركة من غير سكرتيرة ؟!

صمت حينها، ليصله ردها الموجز :

-والمطلوب !

رفع حاجبه الأيسر، وأراح الأيمن، وقد تبدلت نظراته لتقل حدتها قليلًا وهو يقول :

-أعتقد إنك ذكية مش محتاجة شرح ..

بهدوء، وبساطة، وقليل من الغيظ الذي بدى في نبرتها، قالت :

-إحتفظ بعروضك نفسك، أما أنا هجيب حقها ومن غير الشريط اللي معاك ده ..

كاد هو أن يتحدث، إلا أنه سمع صوت إنهاء المكالمة ...

فظل ينظر للهاتف، لا يصدق نفسه،

فقد فكر أنها قد توافق على العمل لديه، وهو واثق تمام الثقة أنها لم تكُ لتعتذر !

لكنه فكر أنه لربما يستطيع أن ... لا هو لا
يدري لما أراد أن تعمل هي لديه، لكنه موقن
أنها ليست كغيرها !

فريدة هي كما لم يرى شيئًا فريدًا من قبل !

مختلفة هي ...

مختلفة هي كعصفورة بيضاء وسط آلاف
من الغِربان السوداء !

ليس أي عصفورة، بل عصفورة الكناري ..+

العجيب أن آخر ما كان يتذكره فيها، جمالها،
فقد كانت شخصيتها هي ما يشكلها
بالنسبة له، فهو لم يكن من هواة الجمال
يومًا حتى ولو ضاها القمر ضياءًا ..

وليس هو من ينجذب إلى رعاع !

وقف حينها، ومشى نحو سريره...

رمى الهاتف عليه بإهمال واتجه نحو الحمام

يحاول التخطيط في حل يجعلها به تحت

سلتطه ..!!

فقد إكتفى من مراوغتها له وحان دوره الآن

+..

+.....

نظرت للهاتف بعد أن أغلقته في وجهه،

هي الآن غاضبة، غـاضبة، غـاضبة !

أيستخف بها !

-كائن رزل، غتت، يخربيت كده غتت !

تشنجت قسمات وجهها وأغمضت عينيها

من فرط الغيظ وهي تزفر بشدة ..

لقد بذلت مجهودًا ضخمًا من أجل السيطرة

على نفسها !

الأمر ليس بالهين، فهو يستخنف بتلك القضية إلى حد لعين، يستخف بحياة إنسانة قد تدمرت وبسببه !

يستخف بها حين يطلب منها أن تعمل معه كبديل عن صديقتها المسكينة !

لتلك الدرجة إختفى قلبه من أحشائه !+

ظهر صوتها الغاضب، الساخر :

-آل أعتذر آل !+

.....+

-يابابا بقولك أختك ماتت، يعني أقل واجب تروح تعزي فيها

قالها هو بإنفعال عبر الهاتف، بينما هو ممسك بمقود السيارة باليد الأخرى ..

جاءه الرد عبر الهاتف بنبرة غاضبة :

-أنا مش عاوز أروح هو غصب عني يعني ! ، أنا مش معتبرها أختي يا براء، هي اللي فرقت بينا وعملت كل ده،

كانت أنانية وبتاعت مصلحتها ونصبت عليا أنا وميادة الله يرحمها وخدت بيت جدك ! ، وفوق كل ده كانت بتسرق فلوس مننا وتستلف ومترجعش !+

زفر براء بضيق وهو يتخذ اليمين طريقًا، ثم تابع بنبرة أقل حدة :

-هو كل همك على الفلوس، الفلوس بتروح وتيجي يا بابا، إذكروا محاسن موتاكم مش كده !

أجابه والده بنبرة حزينة :

-يابني طب أعمل إيه لو هي ملهاش محاسن، دا حتى بنتها فضلت تعبانة

وشقيانة عشانها وفي الآخر إيه اللي كسبته من وراها ! ، وكمان مش حكاية فلوس يابني، ما هي كانت بتعاملنا وحش، طب فاكر لما أنا كنت عيان جدًا وطلبت منها فلوس عشان أعمل العملية وهي كان معاها ومرضتش تديني ! ، وميادة ربنا يرحمها يارب هي اللي إستلفت و جابتلي الفلوس !+

قلت نظراته حدة، وإزداد صوته هدوءًا وهو يقول :

-معاك حق والله، بس .. بس حتى روح تقضية واجب، وفيروز أول ما تخلص هنا هتروح هناك، جويرية قالتلي إنها ناوية تفضل هناك بعد كده ...

رد عليه والده بإستهجان :

-مظنش إنها هتطول إنت عارف هما بيفكروا إزاي هناك !

تنهد براء بضيق وهو يصف السيارة، ثم قال وهو يترجل منها :

-طيب بابا أنا هكلمك كمان شوية لأني مش فاضي الوقت

إستمع هو إلى الجانب الآخر بصمت قبل أن يقول :

-مع السلامة+

وضع الهاتف في جيبه قبل أن يردف :

-الحمد لله على كل حال

ثم سار في إتجاه القسم بخطى سريعة ....+

بعد ثوان كان أمام باب مكتب ما، فطرق بهدوء عليه ..

حينها وجد من يفتح له فنظ إليه قبل أن يقول :

-أبان فيه إيه ؟

أشار له أبان بيده وهو يردف بجدية :

-إدخل بس الأول ..

دلف براء معه وقد توسط الثالث الأريكة التي في الغرفة،

جلسا هما الإثنان على جانبيه قبل أن يردف هو بثبات :

-موضوع الكشف مش نافع ! ، والدكتورة بتقول إن مفيش حاجة تثبت إن كل ده حصل غصب عنها، وخاصة بعد ما هو غير إفادته وقال إن كل ده بإرادتهم سوا !

جحظت عينا براء ووقف ناظرًا إليه، ثم وبإنفعال شديد قال :

-نعم ! ، إزاي يا معتصم ؟

وقف أبان وسار نحو براء، ثم أمسك كتفه وأردف مهدءًا :

-إحنا إتصرفنا يا براء وجبنا هدومه و...

تابع براء بنبرة أشد غضبًا :

-إزاي أصلا ميكنش فيه إلا دكتورة واحدة، على حد علمي بيكون فيه أكتر من دكتورة شرعية، إتنين ولا حاجة عشان يوصلوا لنتايج صح !

وقف معتصم ودنى منه وهو يرنوه بنظرات هادئة، ثم قال بضيق :

-إحنا معندناش إلا دكتورتين بس، واحدة فيهم آخدة أجازة عشان بتولد ودي التانية، والباقي كلهم دكاترة رجالة وأختك أصرت إنها تبقى ست !

زفر براء ببشم، وقال :

-طب وقدرتم توصلوا لحاجة من الهدوم ؟

هز معتصم رأسه بإتزان عدة مرات، بينما قال أبان على فوره :

-لأ لسا بس إن شاء الله يبان فيها حاجة ...

سألهم براء بنبرة أقل غضبًا :

-طيب المحكمة التأديبية إمت !

أجابه أبان بهدوء :

-بكرة إن شاء الله ..+

.....+

كانت واقفة أمامه، تنظر له بهدوء قبل أن تتابع حديثها بروية :

-أكيد هديك الدليل يا زبير بيه، بس آآآ .. كله بتمنه برضوه !

قطب الأخير حاجبيه مستفهمًا ثم نظر لها بضيق وهو يسألها :

-عشرة تكفي يا د. سريانا !

إبتسمت برضى ثم أعطته الحقيبة التي في يدها

وبنبرة هادئة قالت :

-دي كل الهدوم كده ..

أومأ الأخير وهو يستلم الحقيبة منها، ثم أخرج من جيبه ورقة ما ومد يده لها بها قائلًا :

-دا شيك بـ٧٠ ألف جنيه، وباقي المبلغ
هيوصلك لما التقرير يوصل للشرطة،
وعشان الممرضة اللي كانت معاكي
متشغليش بالك أنا سكتها بمبلغ حلو

أومأت رأسها، وهي تنظر له، ثم أردفت بثقة :

-ما تقلقش التقرير اللي انت كتبته
هيوصلهم النهاردة

إبتعد زبير عنها قليلًا، ثم أفرغ محتويات
الحقيبة على الأرض أمامه قبل أن يخرج
قداحته ويشعل النار بتلك الثياب البالية ..

نظرت هي إلى رماد تلك الثياب بهدوء، لن
تنكر أنها وللمرة الأولى تتنازل عن شرف
مهنتها، وتتقاضى أجرًا من أجل تزوير
الحقائق،

لكن كان تفكيرها الوحيد أنها في بلدٍ لا تقدر الصالح من العمل وما تأخذه من أجر لا يكاد يكفيها هي وأسرتها،

فماذا في الأمر لو تقاضت أجرًا من أجل أمر بسيط كهذا !؟

نظر زبير إلى النيران المتأججة في الثياب، وإعتلت إبتسامته الراضية وجهه ..

لكن بعد ثوان كان قد بان عليه أنه قد تذكر شيئًا ما، فسألها بإتزان وهو ينظر إلى رماد الدليل :

-وعلى كده إنتي واثقة إنهم مايقدروش يجيبو دكتورة تانية غيرك تعمل الفحص !

تنهدت هي بثقة، وتقدمت نحوه حتى وقفت أمامه ثم أردفت بنبرة خبيثة :

-مستحيل، أولًا مفيش غيري بنت هناك، وهم مرضوش إلا بدكتورة مش دكتور، دا غير إن البنت اللي كانت معاها مستحيل تسيبها تعمل الفخص ده تاني، وبفرض إنها عملته أولًا جروحها كانت سطحية جدًا وأنا برجح إنها إختفت، ثانية أصلًا البنت لسا عذراء ! ، وكمان أساسًا المحاكمة بكرة هيلحقوا امت !

-تمام أوي، طب وحكاية الهدوم هتقوليلهم إيه ؟

-لأ سيب دي عليا أنا بقى ..+

+.....

-يا صهيب بلاش كده خليهم هما يحاكموه وسيبك منه !

قالها ذاك العجوز بنبرة جادة وهو ينظر له بضيق، حينها زفر صهيب الجالس أمامه بنفاذ صبر وأردف بحنق :

-يا رحيل إنت شاغل بالك ليه ؟

أجابه هو بنبرة غاضبة، ونظرات مشتعلة :

-عشان هي صعبت عليا، و عشان حرام يحصلها كل ده لازم هي تاخد حقها بنفسها !

هدأ صهيب من حدة نبرته تمامًا وهو يقول :

-رحيل إطلع إنت من كل ده وسيبني أنا أشوف شغلي وآآآ

كاد هو أن يتابع إلا أنه سمع صوت جرس الباب، فوقف وسار نحو الباب بخطى هادئة، وترك رحيل يشتعل منه، فهو قد إستغل الفرصة للفكاك منه ...

فجلس على الأريكة وهو يزفر بشدة+

كادت إحدى الخادمات أن تفتح إلا أنه أشار لها قائلًا بجدية :

-أنا هفتح روحي إنتي

وبالفعل تركته هي وذهبت مسرعة، أما هو فذهب ناحية الباب، وحين فتح الباب قال بهدوء :

-إدخل يا عقاب

دلف الأخير واضعًا إحدى يديه في جيبه، وباليد الأخرى ممسك بملف أبيض صغير

+..

حين أدخله صهيب وإستقرا هما على الأريكة مد يده له بالملف وهو يقول ببساطة :

-الملف ده فيه كل حاجة عنها، وبالمبسط كدة هي مش متجوزة !

عقد حاجباه، ثم ضيق عيناه بحيرة وهو يسأله بهدوء :

-ومين براء ده، أخوها ؟

أجابه عقاب بنبرة طبيعية :

-لأ معندهاش إخوات إلا أخت واحدة وماتت

-طب أومال مين براء ده !

-إنت شاغل دماغك بيهم ليه ؟

طالعه صهيب بنظرات غاضبة، ثم نهض فجأة وهو يقول :

-أنا غلطان أصلًا عشان طلبت منك تساعدني !

وقف عقاب أمامه، ورناه بنظرا هادئة، ثم وضع يده على كتف صهيب وهو مردفًا بحدية :

-خلاص يا صهيب مش هسأل تاني، بس أنا مش عاوزك تفكر فيها كتير عشان آخرة التفكير الكتير في بنت مش بتنتهي إلا بحالة واحدة

لم تقل نظراته غضبًا ولا نبرته حدة حين قال :

-مش أنا اللي يتخاف عليا إنت عارفني كويس !

أومأ عقاب رأسه باسمًا وهو يتابع :

-ما أنا لو مش عارفك كويس مكنتش هستغرب إنك بتدور في ملف بنت !

أراد أن يخرجه من إطار الموضوع، فسأله بهدوء :

-عملت إيه مع القضاه !

إبتسم له الأخير بثقة، وأردف بترقب قائلًا :

-كله تمام، والمحامي إتخلص من آخر أثر للدليل والدكتورة هتشهد في صفنا ...+

.....+

كانت ما تزال قابعة في غرفتها، ممسكة بإحدى الكتب، تحاول المذاكرة قدر إستطاعتها ..

لكن المشكلة أنها كلما حاولت التركيز أكثر، تذكرته أكثر ...

وتذكرت عرضه ..

غدًا هو اليوم الأخير لتلك القضية، وأخيرًا لن تراه مجددًا، لكن ماذا لو إستطاع إخفاء جميع الأدلة التي تعبت لجمعها !

ماذا لو إستطاع تعطيلها !

أستوافق هي على عرضه المبتذل !

المشكلة أنها لا تضمن نفسها أبدًا فإذا حدث أي خطأ غدًا لا تعلم ما رد فعلها تجاهه،

أي أن غدًا هو اليوم الفاصل الذي سوف يحدد إذا ما كانت تستطيع الإختفاء من حياة ذاك الوغد أم لا ...+

زفرت بإرهاق من كثرة التفكير وتركت الكتاب من يدها، فهي لن تفهم حرفًا بتلك الطريقة على أي حال !

نزلت من على فراشها وخطت للخارج بعد أن فتحت الباب فقد ملت،

ظلت تبحث بعينها عنه فلم تجده، ففتحت غرفة والدها وأيضًا لم تجده ..

لكنها تذكرت والدها، بين أشيائه، وغرفته، وأدواته ..

دلفت إلى الغرفة وظلت ترنوها بحزن، فكم تحتاجه الآن، تحتاج أن يكون معها في ذلك الوقت بالذات،

لذلك لم تفكر مرتين قبل أن تقرر الذهاب إليه، وبالفعل ذهبت إلى غرفتها في توها، وبدأت تبدل ثيابها ...+

.....+

ومساءًا ..

كان ثلاثتهم جالسين في أنحاء الغرفة متفرقين،

كلٌ منهم يفكر لما لم تأتي تلك الطبيبة بعد، زفر أحدهم بنفاذ صبر، ثم وقف ناظرًا لهم جميعًا قبل أن يردف بحسم :

-لأ مش معقول كده المفروض كانت تيجي من بدري أو حتى ترد علينا !

قام آخر من على مقعده وقال بغضب :

-معاك حق يا معتصم إحنا بنتصل بيها من الصبح و..

قاطعهم ثالث بضيق :

-أنا مش فاهم يا أبان إنتم إزاي تسمحولها تاخد الديل وتمشي بيه

نظرا له سويًا ثم نظر معتصم لأبان بعتاب وهو يردف :

-أنا قولتله بلاش وهو مسمعش كلامي

رد عليه أبان محاولًا تبرير موقفه :

-بس إنا معرفش أنها هتتأخر كده، وهي قالت إن في بيتها فيه مختبر وعندها إمكانيات أحسن من هنا، وكمان دي أحسن دكتورة عندنا والكل بيثق فيها جدًا وملهاش في اللف والدوران !

إقترب منهم براء وهو يقول بهدوء :

-خلاص إهدوا هي هتيجي إن شاء الله و آآآ

قاطعه صوت طرق الباب، فأسرعت أعين ثلاثتهم ناظرة للباب، بينما أردف أبان بسرعة :

-إدخل

فتحت هي الباب ودلفت منه، فصدم الجميع فقد كانت كما يلي ..

حول رأسها ضماد، وحول معصمها كذلك، بينما بدت أعينها كمن جفت توًا من البكاء وتستعد للمزيد ..

أسرع براء بسؤالها بقلق :

-إيه اللي حصلك ؟

تقدمت هي بصعوبة نحوهم مترنحةً في مشيتها فنظر لها الجميع ما بين الدهشة والحيرة

حينها نطقت هي بحزن :

-أنا كنت مروحة البيت الصبح عشان أفحص الهدوم وكنت حطاها في شنطتي في كيسة، وبعدين وأنا ماشية اجى واحد حرامي بموتيسكل خطف مني شنطتي بالدليل بموبايلي وفلوسي وكله، وهو بيحاو يشدها

أنا وقعت على الأرض جامد بس على راسي،

و...

-أقدر أقول إن الدليل إختفى ؟

صاح بها معتصم، فسقطت دموعها
وطأطأت رأسها ولم تجبه

ذهب أبان أمامه وقال وهو ينظر لها بشفقة :

-إهدى شوية عليها يا معتصم إنت مش
شايف هي عاملة إزاي ؟

أما براء فقد وقف صامتًا مصدومًا لا يدري
ما عليه فعله !

نظر معتصب لأبان بغضب وقال :

-طب نعمل إيه الوقت طيب، ده كان دليل
قوي وباقي الأدلة ضعيفة، وبكرة المحاكمة !

حاول أبان تهدأته، فهو يعلم أنه يغضب بسرعة، وغضبه قد يجعله يفعل ما لا يحمد عقباه، فتابع قائلًا بروية :

-طب إهدى العصبية دي مش هتفيدنا الوقت لازم نفكر بهدوء هنعمل إيه

ثم نظر إلى الطبيبة وسألها بضيق :

-يعني أفهم من كده إننا ناخد التقرير القديم اللي بيبين إن مفيش أي جريمة !

أومأت رأسها بسرعة وهي تمسح دموعها، ثم وقفت قائلة ببساطة :

-أنا إتعاطفت معاها جدًا بس دا ميخلنيش أشهد زور أنا جبتلك التقرير صحيح تمامًا وعاوزة أقول لحضرتك إن فيه ٦٠% من جرايم الإغتصاب بتتم دون خدوش أو أي

آثار، او يمكن لأنها إتأخرت شوية جروها تبقى نضبت،

بس ده مينفعش يبقى دليل كافي عشان نثبت أنها جريمة ومش بموافقتها ..

إقترب منها معتصم بسرعة وكاد أن يضربها إلا أن أبان أوقفه وانضم له براء وصاح بها هو :

-خلاص إمشي إنتي من هنا يلا

أومأت الطبيبة سريانا برأسها وغادرت في الحال

وتركه حينها الإثنان حين صرخ براء به بإشتعال :

-إنت هتضربها ولا إيه يا معتصم دي مش أخلاقنا !

أشاح الأخير بوجهه وهو يردف بحنق :

-نرفزتني يا براء

ثم نظر له متابعًا :

-كان نفسي نجيب دليل قوي كنت عاوز أساعدك !

وضع براء يده على كتفه وأردف بإمتنان :

-إنتم ساعدتوني جدًا وبعدين كفاية إنكم واقفين جنبي !

تركه معتصم وجلس على المقعد المجاور ولم يتكلم، بينما جلس براء على مقعد آخر واضعًا يده الإثنتان خلف رأسه ومستند بكوعي يده على قدمه، يحاول التفكير في القادم ...

وبجانبهما وقف أبان يرقبهما بحزن ..

فجأة سأل براء :

-هو مش المفروض المحاكمة تكون بعد ما
نخلص كل الدلائل يعني المفروض
متكونش بكرة !

رد عليه معتصم بصوت هالي من الأمل :

-ما إحنا كنا المفروض بعد ما الدكتورة
تعمل التقرير تكون الأدلة إتجمعت وإنت لما
قولتلنا إنها هتيجي تعمل الفحص إحنا
إستعجلنا في طلب المحاكمة عشان كنا
عاوزين المحاكمة تتم بسرعة ..

زفر الأخير بضيق، ولم يعلم ما عليه فعله ...٢

+.....

في صباح اليوم التالي ...

في الشارع، وبالتحديد أمام قاعة المحكمة ...+

وصل جميع من لهم صلة بالقضية أمام القاعة،

كان وجه جويرية حزينًا يوحي بأنها قد علمت ما حدث أمس، بينما كان وجه فيروز أكثر منها شحوبًا .. وكان سهيل قد أمسك بيدها مؤخرًا ليطمئنها ..

ولم يكُ وجه براء سعيدًا هو الآخر،

وعلى الجانب المقابل وقف صهيب وبجانبه عقاب،

وقد إهتم صهيب كثيرًا برؤية تعابير وجهها الحزينة، وكأنها هي الأمل لنجاحه !+

كانت شاردة الزهن تفكر فيما ستفعله، ولم تنتبه أنهم جميعًا سبقوها إلى الداخل ..

لكن بحق الله هذا كثير، لقد بذلت ما لم تبذله يومًا من جهد وتفكير في تلك القضية، وفي النهاية يحرر المجرم !+

-مش عاوزة تغيري رأيك !

أخرجها صوته من دوامةرأفكارها فنظرت له بضيق وذهبت ..

هز هو كتفه غير آبه وهو يردف لنفسه بثقة :

-أول ما هتبدأي تفقدي الأمل هتلجأيلي صدقيني، ودا اللي أنا إتأكدت منه، إنك هتفقدي الأمل خالص !

وبهدوء وضع يديه في جيبه، وسار بخطوات ثابتة نحو الداخل ..+

في داخل المحكمة جلست هي على المقعد الأمامي الخاص بالشهود،

وبجانبها جلست فيروز وقد جلس سهيل بجانبها،

حين إلتقت عينا فيروز بعينا بيجاد المسجون أمامها تذكرت كل ما حدث، وكأنه شريط يعاد تشغيله برؤياه،

وبدأت دموعها تتساقط من عينها، أما أخوها فقد ظل يرمقه بنظرات المتوعد، ويحاول تهدأة أخته المسكينة بإمساكه يديها ..+

بينما جلس هو على الجانب الآخر مستمر بالنظر لها، حتى وإلم تهتم !+

وبجانبه جلس صديقه، كان يريد عقاب أن يرى تلك الفتاة صاحبة كل تلك الجلبة لذلك حين جلس إهتم بالنظر في أوجه الحاضرين ..

وحين رآى تلك الفتاة التي ينظر لها صهيب تأكد أن من تجلس بجانبها هي من يبحث هو عنها،

لا لشيء فقط كان فضوله هو ما يدفعه للنظر ...+

-محكمة !

صاح بها القاضي ليصمت الجميع، وبالفعل صمت الجميع وإبتدت الجلسة ..

كان براء واقفًا في مكانه المخصص للمحاماة، وحين طلب منه القاضي البدء وقف ممسكًا بالأوراق في يده وبدأ :

-سيادتكم، نحن اليوم نتحدث عن جريمة شنعاء، تحدث في مجتمعنا، وأصبح الأمر أقرب للندر إذا ما أخذت الفتاة حقها ..

سيادتكم، موكلتي تم الإعتداء عليها بصورة
وحشية، لا يرتكبها بشري على الإطلاق،
موكلتي تعرضت للظلم وأنا أرجو من
سيادتكم أن تتأنو قبل إتخاذ القرار !

نظر القاضي في الأوراق أمامه بهدوء، ثم أعاد
النظر إلى براء قائلًا :

-هل لديك دليل على اتهامك له !

أومأ رأسه، وهم بتشغيل المقطع الصوتي
بعد أن أردف :

-هذا هو

ثم ذهب عند القاضي وأسمعه إياه

وبعدها عاد مرة أخرى للمكان الواقف هر
فيه، وإستطرد حديثه بنبرة هادئة :

-سيدي القاضي، حضرات اللجنة المحنكين، هذا هو المجرم الذي أخذها عنوة، هذا هو المجرم الذي قضى على حياتها وهي لا تزال على قيدها !

لماذا علينا أن نحملها كامل المسؤلية متجاهلين ما فعله هو بها !

هل لأنها هي الفتاة يجب أن نتركها تـ ..

قاطعه القاضي ببشم وهو ينظر في ساعته :

-عندك شهود ؟

أردف براء بنبرة حادة حينها :

-نعم سيدي، أستدعي الشاهدة الأولى والتي هي صاحبة القضية، فيروز+

ضغط صهيب على يدها برفق وهو يقول لها :

-متخافيش قولي كل حاجة وأنا معاكي

أومأت رأسها ثم ذهبت+

حينها سألها هو بنبرة هادئة :

-هل لك أن تقصي علينا ما حدث

أومأت رأسها ومسحت دموعها المتناشرة على وجهها وهي تقول :

-أنا كنت خلاص هقوم أروح فجأة لقيته بيفتح الباب، الأول راح مكتب صهيب باشا، ولما ملقاهوش إجى عندي وسألني، قومت قولتله إنه مشى، فقام إتنرفز عليا وبعدها ...

لم تسيطر هي على دموعها حينها، فأخرج براء منديلًا من جيبه وأعطاه لها قائلًا بخفوت :

-خدي دا ولو حاجة هتجرحك ماتحكهاش ..

أخذت منه المنديل، ومسحت دموعها به
وإتطردت حديثها بنبرة حادة :

-هو أخدني على المكتب بتاعه، و ..

قاطعها القاضي بإستنكار :

-طب مصوتيش ليه ؟

نظرت له بضيق وقالت :

-أنا صوت، وكتير كمان وهو كتم بوقي بعدها،
وحتى لو كنت صوت وعملت إيه كلهم كانو
مشيو وقتها، وأنا عشان السكرتيرة
المفروض أفضل لوقت متأخر

شعر براء أنها إستنفذت قواها، وفي ذات
الوقت خطر له أن ينظر إلى جويرية، وكما
توقع فقد كانت عيناها كشعلتين من النار ...

حينها نظر لها بهدوء وقال :

-شكرًا لكي يمكنكي أن تنصرفي الآن

أومأت رأسها وذهبت، فهي لن تتحمل المزيد على أية حال ..

نظر براء للقاضي، ثم أردف بهدوء :

-هي تقول أنه كمم فاها وهذا طبيعي في تلك الحالة، ثم أن الجريمة قد تمت في قبل منصف الليل بنف ساعة ومن المؤكد أنها لم تجد من يساعدها !

الشاهد الثانية جويرية عبد القدوس+

حين وقفت هي على المنصة وبدأت تدلي بشهادتها كان هو ناظرًا إليها، هو يعلم أن موقفهم ضعيف وعلاوة على ذلك فقد رشى القاضي بمبلغ جيد، أي ليس لديهم أي فرصة !

لن ينكر أنه يريده أن يعاقب، ويحكم عليه
بالسجن حتى ولو لمدى الحياة لكن
صمودها أمامه يجعله يقف ضد رغبته ..

رآها تعود من جديد إلى مقعدها، ورآى
نظرات الكره في عينيها نحو بيجاد،

رآى بعدها براء يجلس بعد أن قال كلمته
الأخيرة ..

الآن حان دورهم هم ..+

وقف زبير وبدأ يتحدث بهدوء :

-سيدي أطلب من عدالتكم أن تحكم، فإن
كانت تلك القضية كما يدعون لما لم يبين
الطب الشرعي ذلك ؟

لما لم يوضح التقرير أي شيء بل أنه أكد أن
كل ما حدث كان برضى الطرفين !

وحين ذهبت الآنسة جويرية لتسأله أراد هو أن يخفي ما فعلته هي بطلب منها، ولأنه خاف على سمعتها تمادت هي وإتهمته بالإعتداء عليها !

إقترب زبير من القاضي ووضع أمامه ملفًا ما ومن ثم ذهب إلى مكانه وهو يردف :

-وهذا هو التقرير الطبي سواء الناتج عن فحص موكلي أو المدعية ...+

وفي الجانب الآخر جلست فيروز تراقب حقها وهو يضيع، أما سهيل فلم يبدُ عليه أنه ينتظر شيئًا من تلك المحاكمة، بل على العكس همس لأخته :

-لو كنت أعرف كل ده مكنتش عرضتك للمحكمة دي وهجيبلك أنا حقك بنفسي

نظرت له أخته بحزن ولم تعقب ..

بينما جلست جويرية بجانبها تراقب ما
يحدث بهدوء وحزن، مع محاولتها
المستميتة لإدعاء الصلابة والتماسك ..

لكن كل شيء تعبت من أجله ينهار، تلك
القضية ستأخذ مجراها ضدهم إلم تتصرف !

وفي ذات التوقيت وجدت هاتفها يصدر يهتز
في يدها، نظرت هي له فوجدت رسالة من
نصها "نفسي أشوف شكلك أوي لما
تخسري القضية" ..!

نظر هي له حينها بغضب، فإبتسم هو مبادلًا
إياها

زفرت بضيق وهي تكتب له "المطلوب" ..!

إتسعت إبتسامته حين رآها تستسلم أخيرًا،
فكتب لها "محتاجك كسكرتيرة"

لم تنظر له تلك المرة وإكتفت بكتابة "موافقة"

حين رآى هو رسالتها لم يتردد في إرسال الفيديو إليها، فهو واثق أنها ليست تلك التي تخلف بعهودها ومهما حدث ...

حين إستلمت هي الفيديو أسرعت تقول بنبرة عالية :

-لو سمحتم أنا عندي كلمة أقولها

نظر لها زبير بضجر ثم قال :

-آه إتفضلي !

وبالفعل تفضلت هي نحوهم، وسط ذهول الجميع عدا المبتسم هناك في نصف القاعة وكأنه حصل على غنيمة ما ..

حينما وقفت أمام القضاي أردفت بهدوء :

-لو سمحت أنا عاوزة حضرتك تشوف الفيديو ده

حينها إتسعت عينا بيجاد في ذعر فقد توقع أن يكون صهيب قد أعطاها الفيديو ! ، فهو يعلم أنه متناقد التصرفات !+

أما فيروز فكانت تنظر لها لا تفهم شيئًا، في حين أن سهيل قد ذهل من وقوفها الفاجئ هذا !+

نظر القاضي لذاك الفيديو نظرة تفحص، ولن ينكر أن ما فيه شنيع جدًا، وحتى مع إرتشائه لن يتمكن من التغاضي عن ذاك الدليل فحينها قد تريه للجميع وتتشوه سمعته !

لذلك أومأ القاضي رأسه وهو يغلق الفيديو ويقول :

-هذا الدليل يثبت أنه لم يكن برضاها و ...+

نظر عقاب له بدهشة فلم يعلم كيف وصلها الفيديو، لكن الغريب أن الجالس بجانبه كان مبتسمًا !

ولم يستشط غضبًا كما توقع ...+

-بس أنا كنت شارب مخدرات وقتها، ومكنتش واعي

قالها بيجاد بإرتباك فجاة حين وجد أن الدليل الجديد يستطيع سجنه ببساطة ...

إختلفت نظرات الجميع له بين نظرات الغضب، الدهشة، الحيرة، الضيق، والكره ...

والهدوء ..

حينها سأله براء بغضب :

-يعني إنت بتعترف بجريمتك !

زفر بيجاد بإرتباك، وزاغت نظراته وهو يقول :

-آه بس أنا كنت شارب

-يعني إنت إرتكبت الجريمة وكمان كدبت وزورت الحقائق ؟

لم يجبه بيجاد فقد أدرك أنه سيستغل كل كلمة ينطق هو بها ضده ..+

جدد الأمل عند فيروز من جديد حين وجدت الكفة تميل إلى جانبها ..+

وظل صهيب يراقب كل ما يحدث بهدوء، هو الآن قد نال ما أراد، وحتى لكنه تذكر أنه رشى القاضي وبالتأكيد سيؤثر هذا على قراره النهائي و..

وقبل أن يتابع تفكير قاطعه صوت القاضي قائلًا :

-ويحكم عليك بالسجن خمس سنوات+

صمت ... صمت ... صمت ...

فقط خمس سنوات على تدمير حياة إنسانة
كل ذنبها وجود وحوش على هيأة بشر !

فقط خمس سنوات على إجهاض براءتها !

فقط خمس سنوات على قتل بسمتها،
جعلها روح بلا حياة، لماذا ؟

ماذا فقلت هي لتستحق كل هذا ...

كادت جويرية أن تعترض، لكنها سمعت
صوت القاضي يقول :

-رفعت القضية

وذهب، بهدوء، وكأن ما فعله بسيط ...١

على الجانب الآخر إشتعلت عينا سهيل،
خمس سنوات !

حسنًا لنرى إذًا أي خمس سنوات سيعيشها هذا المعتوه ...

لقد توعد له وإنتهى الأمر

من الغباء أن نلجأ للقانون في حل مشاكلنا، فنحن نجيد إستخدام يدنا أيضًا !

نظر لأخته التي رضيت بالحكم، خمس سنوات أفضل من لا شيء عندها .....

وحينها وضع يده خلف ظهرها وقال لها بضيق :

-مش ده حقك يا فيروز وأنا لسا عند وعدي هجيبلك حقك صح

نظرت له بهدوء وقالت بنبرة راضية :

-خلاص يا سهيل الحمد لله انه اتحكم عليه

و..

-لأ يا حبيبتي لو هو دمرلك حياتك
ميستحقش إن إحنا ندمرله حياته !+

مشت جويرية خارج القاعة حزينة، كانت
تتمنى أن ينفذ فيه حكم عادل،

كانت تريد أن تسترد لها حقها بالكامل !

لكن أملها قد إنتهى الآن ...

-مش قولت أنا، كان أحسن لو عاقبته
بنفسي

إنتبهت له فنظرت له بهدوء، لا بغضب كما
إعتقد، ولم تعقب

حينها تابع هو ببرود :

-لسا على وعدنا !

أجابته بهدوء وهي تشيح وجهها عنه :

-أنا مبخلفش بوعودي !

إبتسم بإعجاب بحصافتها في الرد، وأردف متابعًا :

-عظيم، بكرة الساعة ٨ تبقي عندي في الشركة وآآآ+

-إبعد عنها

قاطعه صوت براء الغاضب، فنظر له صهيب بهدوء مستفز وسأله :

-ودا بصفتك إيه ؟

إقترب منه براء، فذهبت جويرية ووقفت أمامه قائلة بضيق :

-لو سمحتم ممكن متتشاكلوش النهاردة

نظر لها براء بضيق وكاد أن يتحدث إلا أنه سمع صهيب يتابع ببرود شديد :

-على حد علمي إنها بتسمح لأي حد يمسك إيدها، أو يبوس راسها و...

نظر له براء وكاد أن يذهب ليضربه فكيف له أن يتحدث عنها بتلك الطريقة !

حينها أوقفته جويرية وهي تتحلى هي الأخرى بهدوء شديد لم تعلم هي من أين جاء، وكادت أن تتحدث لكن صهيب لم يترك لها الفرصة وتابع :

-مش كده يا براء ؟

حينها رد عليه براء بعد أن أفلت من جويرية بنبرة منفعلة :

-أنا أخوها يا غبي .....!!!+

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

٢٢

+

الفصل الثاني والعشرين :

-أنا أخوها يا غبي ..

كانت تلك الكلمة كافية لجعله يصمت،

ويصمت، ويستمر في الصمت ..

-إزاي أختك، هي ملهاش اخوات ؟

قالها هو متسائلًا بدهشة، فنظرت له جويرية

بهدوء غريب وقالت :

-أظن ده يخصنا، وإنت مجرد دخيل !

رفع نظره ليواجهها فتفاجأ به يلكمه في بطنه، وضع يداه الإثنتان على بطنه ليخفف حدة الألم بينما صرخ به براء :

-إياك تجيب سيرتها على لسانك تاني يا ...

وقبل أن يتابع كانت قدما صهيب قد إتخذت طريقها حول قدم براء وإستطاع عرقلته ببساطة، وكاد براء أن يقع على الأرض إلا أنها أسرعت تمسك به وهي تردف بسرعة :

-براء، خلي بالك !

حينها وضع صهيب يده في جيبه بهدوء، وكأن شيئًا لم يكن !

خطوتين قريبًا منها، كلمتين قالهما بنفس الهدوء لها :

-بكرة أشوفك !

-تمام

كان ذاك ردها الذي أردفت به بصلابة، ببرود، ودون تردد ..+

نظرت له نظرات غامضة، لا غضب، لا كره، تلك المرة نظراتها ثابتة، هادئة، وكأنها قد فقدت بعضًا من حيويتها هذا الصباح، والأمر يزعجه ولا يدري لما !+

لكنه تركهما وذهب بخطى بطيئة،

أما براء فظل ينظر لها لا يفهم شيئًا ..

وحين تأكد من ذهابه سألها بجدية :

-يشوفك بكرة فين ؟

أجابته هي بنبرة جامدة :

-الشركة عنده

عقد حاجباه وسألها بترقب وحيرة :

-ليه ؟

تنهدت هي بعمق، وسارت خطوتين بعيدة عنه وهي تقول :

-هشتغل هناك

إتسعت عيناه وخطى إليها مردفًا بصدمة :

-نعم !!

ببساطة أردفت هي :

-أكيد كان لازم يكون فيه تمن للفيديو !

هز رأسه مستنكرًا وحرك يده بإنفعًال وهو يرد عليها بغضب :

-لأ مستحيل بجد، إنتي بتهزري صح ؟

هزت كتفاها مبتسمة بثبات عجيب، ولم تعَّقب ..

وكانت تلك إجابة كافية ليدرك أنها جادة تمامًا،+

كارثة وأي كارثة تلك !+

وضع يديه على كتفها وسألها بغضب :

-ليه يا جويرية عملتي كده ليه ؟

بهدوء النظرات والنبرات أردفت :

-مكنتش هستحمل ياخد براءة !

قوس حاجباه في حنق، وقال بحزم :

-مش هتروحي هناك يا جويرية ..

هزت رأسها نافية، ثم وضعت يدها على يده الممدودة على كتفها وإستطردت بقولها البسيط :

-لو كان بإيدي مكنتش هروح بس أنا وعدته !

-بس أنا خايف عليكي، لا جويرية إنتي متضمنيش ممكن يعمل إيه و...

قاطعته هي بجمود، وثبات :

-مش هيعمل حاجة، هو بس شايفني لعبة جديدة، تحدي جديد، حاجة مختلفة...

مش أكتر، وشوية وهيزهق !

أردف هو حينها بقلق :

-إنتي متعرفيش الأشكال دي ممكن تعمل إيه !

إبتسمت له ببساطة، وقالت :

-إنت مش كنت دايمًا بتقولي أنا بثق في حكمك على الناس !

-آه، بس آآآ ...

-خلاص يبقى متخافش لأن هو زي ما قولتلك مش هيعمل حاجة ...

تنفس بعمق، نظر لها مطولًا، بحزن، بضيق، وغضب، ثم سأل بهدوء :

-طب ودراستك، وإمتحاناتك ؟

أجابته دون تردد :

-بسيطة، أنا كنت مذاكرة شوية من المنهج وهذاكر لما أرجع من الشغل، ثم أنه مش هيتحملني كتير !

إبتسمت له بثبات وهي تسير ثلاث خطوات للخلف واضعة يدها خلف ظهرها، ثم تابعت بثقة :

-صدقني

رفع حاجباه متسائلًا بحيرة :

-إزاي ؟

هزت كتفاها بعدم إكتراث، وإستدارت لتسير عكس التيار قائلة :

-مش هيتحملني يا براء، مش أي حد يقدر يتحملني !

و .. وبالذات لو أنا مش عاوزاه يتحملني ....!!١

+.....

كان في تلك الغرفة الهادئة الألوان، ممسك بهاتفه النقال، مستندًا على الحائط خلفه ...

ظهرت على ملامحه الضيق والغضب، لكن نبرته كانت هادئة أثناء قوله عبر الهاتف :

-أيوة قدرت أعرف هيرحلوه امت، هما هيرحلوه الساعة أربعة العصر عشان مفيش سجون هنا، وطبعًا إنت فاهم هما قاصدين

إيه، قصدهم مفيش سجون تليق بجنابه هنا !

صمت قليلًا ليستمع إلى الجانب الآخر قبل أن يتابع بجفاء :

-هما هيرحلوه على سجن **** *** وإبتداء من الساعة ٤ هياخدوه من ...

صمت هو حينما سمع الجانب الآخر، وأومأ رأسه بهدوء بعد فترة وهو يردف :

-السطا، وهنتقابل بعد ساعة في البيت القديم نتفق هنعمل إيه بالظبط

ظهر شبح إبتسامة على محياه وهو يقول بصوته الأجش :

-مش إنت قولتها بنفسك قبل كده أنا اللي هوديكم في داهية !

وضع إحدى يديه في جيبه، وإعتدل في وقفته لتختفي إبتسامته ويعود ليتحدث بجدية :

-مش هعيد عليك تاني لو حد خايف أو مش ....

صمت فجأة ثم عاد ليقول بهدوء :

-خلاص زي ما اتفقنا،... يلا سلام+

وحينها أنزل الهاتف ووضعه في جيبه، وسار صوب الخارج قائلًا بثبات :

-آل خمس سنين آل، أنا بقى هوريهم يعني إيه خمس سنين، بلد **** كلها نصابين وحرامية ...١

+.....

هو يعلم أنه مهتم بها فقط لأنها مختلفة، غريبة، هادئة ..

قد يراها البعض فتاة عادية، أما هو فيراها كوكبًا من الأسرار ...

إهتمامه بمعرفة تفاصيلها لا تدل على إهتمامه بها نفسها !

هو فقط يريد أن يبرهن لنفسه أنها كغيرها من الحواءات !

يريد أن يبرهن لنفسه أنها ليست كما تبدوا، الفتاة القوية، الضعيفة، شبيهته لكن بنكهة الأنثى !

هم على النقيض برغم تشابههما !+

لما يهتم بتبرير كل ذلك لنفسه !

سؤال طرحه هو، فسارع المخ يحاول الرد ...

لكنه أوقفه قبل أن يجد الإجابة ...+

نظر لنفسه في مرآة السيارة، ثم عاد ينظر للطريق ...

لا يهم أي شيء، المهم أن حياته صارت ذا نكهة مذ دخلتها،

أليس كذلك !+

قاطع تفكيره المستديم هاتفه النقال، فأخرجه من جيبه وأجاب بهدوء :

-أيوة يا عقاب !

أتاه صوته عبر الهاتف :

-فيه إجتماع بكرة الساعة ٢ مع المندوبين السويسريين، و...

قاطعه هو ببشم :

-عقاب أنا عاوز منك خدمة، الوقت عاوزك تطرد السكرتيرة الجديدة، وعاوزك كمان

تلغي كل الإجتماعات بتاعة بكرة أو تقدمها للنهاردة، وأهم حاجة عاوز ضغط بكرة على شغل السكرتيرة بحيث إنها متمشيش قبل الساعة واحدة ..

أجابه الأخير عبر الهاتف بعجب :

-منين بتقولي مشي السكرتيرة، ومنين بتقولي زود الشغل عليها !

زفر هو بنفاذ صبر، ثم أردف بإيجاز :

-أنا هجيب غيرها، المهم إعمل اللي قولتلك عليه

جاءه رده المتفهم بـ :

-خلاص يا صهيب إعتبره تم، بس القاضي اللي إنت إديته الفلوس وحكم عليه برضوه مش عاوز تتصرف معاه ؟

أجابه صهيب باسمًا :

-لأ كله تمام، هبقى أحكيلك بعدين، المهم
إعمل اللي قولتلك عليه وإقفل الوقت ..

-طيب خلاص، يلا سلام

-سلام+

وضع الهاتف على المقعد بجانبه، ولم
تختفي إبتسامته أثناء قوله :

-أما نشوف هتتصرفي مع اللي جاي إزاي !+

+.....

حين إختبأت الشمس بنورها الساطع خلف
ضياء القمر الوهاج، مودعة كوكب الأرض
بعد أن وعدته بالعودة بعد ساعات ...+

كانت جالسة على سريرها، أخيرًا سترحل
وتترك كل تلك البلد بما فيها في الصباح ...

ضمت قدماها إلى صدرها، وجابت بعينها المكان حولها ..

كم باتت تخشى الجلوس وحدها فكأنما هناك من يتربص بها الدوائر ...+

تنهدت، ثم تنهدت، وعادت لتتنهد من جديد، ثم نظرت للهاتف بجانبها وأمسكته، وبهدوء وضعته على أذنها بعد أن ضغطت على عدة أزرار ..

وبعد القليل من الإنتظار، أجابها هو بهدوء :

-أيوة يا فيروز ؟ فيه حاجة !

هدأت هي من إضطراب نبرتها ثم قالت :

-سُهيّل إنت فين لحد الوقت، بجد أنا خايفة أوي !

رد عليها بدفئ ليطمئنها :

-روحي إفتحي الباب

إستعادت هي بعضًا من الشجاعة، وسارت إلى الباب بسرعة، ثم فتحته ..

وفقط بمجرد أن رأته إرتمت في حضنه وبدأت تبكي ...

لم تعلم لما كانت تشعر بكل ذاك الرعب، مع أنها تُركت وحدها مرارًا في منزل خالتها !

الأمر ربما يرجع إلى المكان، أو لأنها رأته اليوم ..

وكفاها أن جاء هو الآن ليُسكن روعتها ...+

وضع يده على شعرها وحركها عليه برفق، لم يتفاجأ فقد صارت هكذا من بعد ما حدث لها، لكنه أراد أن يزرع الشجاعة في قلبها، وإلا لما ذهب هو بنفسه ليأخذ لها حقها الذي هدر !

وعند تلك النقطة رفع وجهها ليقابل وجهه وقال :

-يااه للدرجادي كنتي خايفة ؟

أومأت رأسها، فأبعدها عنه قليلًا وهو يتابع مازحًا :

-طب إيه رأيك ندخل ونحضر عشا عشان بالله جعت أوي

إبتسمت له ثم دخلت، وسارت إلى المطبخ بالفعل، فناداها هو بخفوت :

-فيروز !

نظرت له منتظرة أن يتابع، فإقترب هو منها ثم أمسك بيدها وسحبها معه قائلًا برفق :

-عاوزك تشوفي حاجة !

ثم أجلسها على الأريكة وجلس بجانبها،
وعبث قليلًا في هاتفه ثم عرضه عليها مردفًا
بـ :

-خدي

أمسكت الهاتف وأخذت تشاهد ما فيه، ...

ذاك الذي قتل الجميل بها به موجود به،
وأخوها وبعض الشبان ..

تلك العصى أخذت موقعها فوق رأسه،
وتلك اليد من ذاك الشخص علمت محلها
في عينه ..

ودور الشال الذي إلتف حو رقبته، والشبان
وبهم أخوها علقوه،

وبالشال في الأعلى ..+

مسكين بيجاد لقد مات منتحرًا !

وبالشال !+

وكانت هي تنظر للفيديو بصمت، لكانت حزنت لو أنها لم تتذكر ما حدث لها بسببه بمجرد رؤياه ...

لكانت أشفقت عليه لو فعل هو حين إستحلها بدمٍ بارد !

ولأول مرة في حياتها تشعر بسعادة لموت أحدهم، ..

وحين وجدها سهيل صامتة، وقد إنتهى المشهد أمامها، أردف هو بهدوء :

-حسيت ده الحكم اللي يستحقه، فنفذته بنفسي ...

نظرت له وقالت لائمة :

-بس ممكن حد يـ...

قاطعها هو بجدية :

-لأ متخافيش كل حاجة تمام، والراجل اللي كان بيحرس السجن هناك كان معرفة وكده، وهو ساعدنا

تركت الهاتف بجانبها، ولم تعقب ..

فوضع هو يده على كتفها وسألها بود :

-فكرتك هتفرحي !

أجابته بهدوء دون أن تنظر له :

-أيوة فرحانة فيه، بس ... بس أنت قتلت !

أرجع هو رأسه للخلف، وقال لها باسمًا :

-أنا مش معتبر ده قتل يا روزي، دي تصفية حساب، أنتي غالية أوي عندي ودمه هو ولا حاجة بالنسبالك

نظرت له، ولم تملك غير الإبتسام، ولم يطمح هو لأكثر من هذا ..

ثم وقفت، وقالت له ببساطة وكأن شيئًا لم يكن :

-وأنا كمان جعانة على فكرة ..+

ولتنسَ ولو للحظات ما مرت به في العدة أيام السابقة، هل نسيت وفاة والدتها ؟

لا لم تنسَ لكن ما مرت به كفيل أن يجعلها تحاول التشبث بأي سعادة تواجهها، و الإبتعاد عن الحزن ولو قليلًا .. وما يساعدها على ذلك ندرة الذكريات الجميلة بينهما، وقد تكون منعدمة من الأصل !

لكان الأمر مختلفًا لو كان والدها، فهي قد رقدت شهرًا كاملًا في المشفى بعد تلقي خبر.. وفاته .!+

-طب يلا أنا جايب فول وطعمية إنما إيه إشطا !

نظرت له بضيق وقالت :

-بكرههم

ضحك هو حينها ونظر لها قائلًا :

-ما أنا عارف، كنت بهزر، تعالي أنا جايب بيتز وكاتشب وحاجة فل

-وكولا !

إبتسم وقال سعيدًا، فهو لا يصدق أنها تتحدث معه بتلك الطريقة الآن :

-وكولا ..+

+.....

وحين، وفت الشمس بوعدها وأضوت الأرجاء

+..

كانت هي أمام الشركة، الآن الساعة الثامنة
إلا دقيقتان، في الغالب الدخول سيأخذ
دقيقة ونصف إلا لو ..

-إنتي تاني ؟!+

نعم إلا لو تدخل الحراس المزعجون ..

نظرت بهدوء لهه، وقالت ببساطة :

-آه، و عندي شغل جوا ..

عقد الرجل حاجباه في ضيق وقال :

-بس أنتي مش ...

قاطعته هي بنبرة جادة :

-أنا السكرتيرة الجديدة، أعدي بقى !

أفسح لها الرجل المجال، فلم تسبب كوارث
المرة السابقة على أي حال ...+

في تمام الثامنة كانت أمام المكتب، وفي ذاك
التوقيت خرج هو من مكتبه ليرى إذا ما
كانت قد جاءت أم لا ...+

وحين رآها صدق ولأول مرة في حياته أن
هناك نساءًا تحترم الوقت وتقدسه مثله !

ظهرت إبتسامته السمجة وهو ينظر في
ساعته، ثم يقول لها بهدوء :

-امممم عظيم على الوقت بالظبط !

لم تجبه هي، ولن تفعل، فقط إكتفت
بالجلوس وهاهي تراه ينتظر أن تطلب
مساعدته في فهم ما حولها، ولكن ما لا يعرفه
ذلك المستفز أنها تفهم ذاك العمل جيدًا
فقد كانت فيروز غالبًا ما تأتي بباقي عملها
عندها حين تسافر والدتها، وكثيرًا من الأحيان

كانت تساعدها بعد أن تعلمت ما عليها فعله ...+

راقبها هو واضعًا يديه في جيبه، و لكن حاجباه قد إنعقدا في دهشة حين وجدها تجلس وتمسك بالملف الذي أمامها ..

لتعمل ... حسنًا هو كان ينتظر أن تطلب مساعدته !

-على فكره إحنا مش بنلعب هنا، المفروض تكوني عارفة الشغل بيمشي ازاي، مش هيبقى عند وخلاص !+

تابعت هي النظر للملف أمامها، والحاسوب الذي بجانبها ..

ثم أجابته بهدوء :

-تقدر تمشي الوقت، أنا عارفة شغلي كويس !

حاول التحامل على نفسه، فيجب عليه أن يتماسك، لن يخسر هو من الجولة الأولى هكذا !

وأجابها بروية وهو ثابت في مكانه :

-تمام، أنا عاوزك تجهزيلي ورقة بأسماء كل الشركات اللي بدأت تعاقد جديد معانا، وعاوزك تتصلي بمندوبين الشركة السويسرية تأكدي عليهم إن الآجتماع بكرة الساعة ٢

سار خطوتين ونظرت له بشراسة، كم تكره أن يأمرها أحدهم بشيء !

حتى ولو رأيسها في العمل !+

إستدار برأسه لينظر لها مرة أخرى وتابع ببرود :

-ومتنسيش كوباية القهوة ها ؟

ثم عاد مجددًا إلى مكتبه، مبتسمًا ...+

شبكت أصابعها أمام وجهها، ونظرت لآخر أثر له وهي تقول لنفسها بغيظ :

-أنا شايفة إن أجيبله الضغط قبل ما يجيبلي السكر !

وضعت يدها على وجهها وتابعت بثبات :

-إستنى بس عليا ...!؟

+.....

دلف هو مكتبه باسمًا، ذهب نحو مقعده وجلس، ثم أرجع رأسه للخلف قائلًا بخبث :

-لما نشوف بتعرف تشتغل ازاي دي ..!+

لم يمضِ عشر دقائق حين وجد الباب يطرق، فأردف قائلًا :

-إدخل ..+

دلف أحد العمال ممسكًا كوب القهوة وبعض الملفات، ثم وضع كوب القهوة أمامه وهو يقول :

-إتفضل يا صهيب باشا، دي القهوة، والملف اللي جواه أسماء الشركات، والآنسة بتقول لحضرتك إنها بعتت إيميل للمندوب عشان هي مش بتعرف تتكلم لغتهم !+

نظر له صهيب بضيق وحنق، ثم قال له :

-وهي مجتش بنفسها ليه ؟

-هي لاقتني جايلك فطلبت مني أدهملك، وأنا كنت جايلك عشان ...

قاطعه صهيب بنفاذ صبر :

-خلاص امشي أنت الوقت ..

تحدث الرجل بجدية قائلًا :

-بس آآآ ..

نظر له صهيب بغضب وهو يردف بنبرة عالية قليلًا :

-قولتلك امشي !

نظر له الرجل بإرتباك ثم أسرع بالذهاب، بينما هو جلس من جديد غاضبًا مما فعلته هي، هل أحضرها لتكون نصب عينيه لكي تتجنبه أيضًا !

وحين وصل لتلك النقطة إنتصب وأسرع قاصدًا الخارج ..+

لحظات كما توقعت وكان فوق رأسها ..

لم تأبه له، وتابعت عملها على الحاسوب أمامها، أما هو فسأله بغلظة :

-المفترض كونك موظفة عندي، إنك تدخلي بنفسك وتديني اللي طابته و...

قاطعته هي ببشم وهي مستمرة بالنظر للحاسوب :

-مش كله وصلك على التمام ! ، دا اللي ليك، ودا اللي عليا ..!!

إستشاط هو غضبًا وضرب المكتب بكف يده وهو يقول :

-بطلي الطريقة دي !

نظرت له حينها بلا تعبير يذكر عدى الثبات الرهيب، وأردفت :

-والله دي طريقتي، ودا أسلوبي، ولو مش عاجبك تقدر تمشيني ببساطة !

قاطعها هو بنبرة مجهدة من كثرة النقاش :

-طيب هقولهالك لآخر مرة، لما أطلب منك حاجة متبعتيش حد ..

لم تعره إهتمامًا تلك المرة، وظلت تتابع حاسوبها بهدوء، أما هو فقد حمل وجهه اللون الأحمر القاني ...

جذب خصلات شعره للخلف، مغمض العينين يحاول السيطرة على نفسه، فقد يسمع في الأخبار بعد قليل قتل مدير لسكرتيرته !

-عاوز كوباية قهوة تانية عشان الأولى بردت

لم تنظر له، ولم ينتظر هو منها ردًا، بل دلف بسرعة إلى مكتبه، أما هي فابتسمت تردف لنفسها بهدوء :

-أما نشوف هتتحملني لحد أمت ؟١

+.....

توًا خرجت من الحماك، فسمعت صوت طرق الباب، وذهبت بهدوء لتفتحه ..

حينما رجدتها أمامها سألتها بنبرة طبيعية :

-فيه حاجة يا سلمى ؟

أومأت سلمى رأسها، ومدت يدها لها بظرف أبيض صغير وهي تقول :

-فيه حد إجى اداني الظرف ده امبارح بس حضرتك كنتي نايمة فامحبتش أزعجك ...

أومأت رأسها ومدت يدها لتأخذه منها قائلة بخفوت :

-ثانكس سلمى، لو مش هتعبك عاوزة كوباية القهوة بتاعتي

إبتسمت لها الأخرى مجاملة أثناء قولها :

-حاضر يا مدام كاثرن، دا أنتي تؤمري ..

ثم تركتها في حين أنها جلست على الفراش وفتحت الظرف بفضول

أخرجت منه ورقة مكتوب بها خطاب باللغة الإنجليزية ...

بدأت تقرأه بخفوت، وقد كانت ترجمة نصه كالآتي ...

" مرحبًا عزيزتي ...

لقد كتبت لك هذا الخطاب حينما بدأت أتدارك ما كنت أفعله معكِ قبل أن أزج هنا

..

الآن حُكِمَ علي بالسجن لخمس أعوام، مع أنني توقعت خروجي ببساطة، ومن يعلم هل سأخرج على قيد الحياة أم لا ..

لكن سوف أعترف لكِ إعترافًا، أنا حقًا أستحق العقاب، فقد دمرت حياتها، وحياتكِ قبلها !

أريد إخبارك أنني ندمت حقًا على كل ما فعلته، وأريد أن أعتذر وإن كان الإعتذار لا يكفي !

لن أنكر أنني حرمتكِ من جميع حقوقكِ كزوجة !

لن أنكر أنني تزوجتكِ لأنكِ بديعة الخَلق، ولم أرَ بجمالكِ يومًا...

لن أنكر أنكِ أعطيتني أكثر مما أستحق، فقد أغدقت عليَ الحب، ولم أبادلكِ أنا إلا بالقسوة !

أكتب لكِ بعد أن أدركت كل هذا، فلم أعلم أن الإختلاء بالنفس قد يوقظ الضمير بي ..

حررتكِ مني عزيزتي، وطلقتكي في ذات اليوم
الذي جئتيننني تبكي فيه ..

هل تعلمين أنني لم أكن أعلم أنني أحبكِ
بهذا القدر إلا في اللحظة التي حررت فيها
إسمك من إسمي !

هل تعلمين أنني كنت أعمى حين نظرت
لغيرك، فقد كان وجهك يضويني إذا ما أردت
الضياء !

آسف

لو سامحتني فتلك أقصى أمانيا

وداعًا حبيبتي ...+

من زوجك السابق بيجاد رشوان ..+

العجيب أنها لم تبكِ، لم تذرف دمعة واحدة
ولم تلمع عيناها حتى، فعلام تبكي إذا ما
كان هو قد أفقدها الشعور بالشفقة !

لكن الأمر ليس كذلك، فهو فقط يريد
إكتساب تعاطفها، والجيد في الأمر إعترافه
الصريح بتطليقها !

أغمضت عينيها، وأرجعت رأسها للخلف
قائلة :

-إزاي أسامحك من مجرد جواب بعته لما
حسيت بالندم !

يعني تهيني وتذلني وتجيني من بلدي
مخصوص عشانك وتدمر حياتي !

تحبسني في البيت وتمنعني أطلع منه وأنا
أصلًا معنديش حد هنا أعرفه وتكون متأكد

اني مش ههرب عشان تنفذ اللي أنت عاوزه،
وتجاري سطوتك عليا !

وبعدها ببساطة تقولي آسف !

أنا عمري ما هسامحك حتى لو آآآ ...

قاطع حديثها صوت رنين الهاتف، فأمسكته
موافقة على الإتصال ثم وضعته على أذنها
قائلة بنبرة مختنقة :

-ألو

صمتت هي قبل أن تستمع للجانب الآخر،
وبسرعة تبدلت ملامحها للجدية التامة،
وإتسعت عينيها بصدمة، مع زيادة معدل
النبض في قلبها وهي تردف :

-إيـه إنتحـر !+

+.....

ترجلا من السيارة وسط اللون الأخضر ..

أخيرًا عادت هي لموطنها التي تحبه،

ظلت تجوب بعينها المكان حولها، وقبل أن تتفوه بكلمة قال هو باسمًا بخفوت :

-من حوالي سنة مجتيش هنا صح !

أومأت هي رأسها، ونظرت له قائلة بحزن :

-ويوم ما آجي ماما تبقى ماتت

وضع يده على كتفها مردفًا بحنان :

-ربنا يرحمها يارب، أنا لما ماما ماتت فضلتي تقوليلي إنها كانت تعبانة جدًا والموت ريحها من الحياة وما فيها .. وده دوري ومتنسيش أنها كانت بتعاني !

أدمعت عيناها وهي تسير مبتعدة، تضم ساعداها إلى صدرها بحزن ...

سار هو بجانبها ثم أحاطها بزراعه متابعًا برفق :

-هي الدنيا دي كده، ودا أجلها مينفعش يتأخر عن كده صح !

أومأت رأسها بألم، فوقف وأوقفها معه قائلًا :

-يبقى نرضى بقضاء ربنا وكفاياكي عياط، إنتي عيطتي كتير أوي ياروزي اليومين اللي فاتم !+

-إيه ده إنتو جيتو !

قالتها تلك الفتاة الصغيرة بضيق وهي تنظر إلى فيروز نظرات غريبة ...

لكن فيروز قد إنحنت إلى مستواها بعد أن مسحت دموعها وقالت لها بود :

-إزيك يا ديما ؟

نظرت لها الفتاة مطولًا قبل أن تركض من أمامها بسرعة ..

نظرت فيروز لسهيل بدهشة وقالت :

-هي مالها ؟

هز سهيل كتفه قائلًا :

-والله ما أعرف ! ، يلا نروحلهم

أومأت رأسها وسارت معه، ولحظات وكانت أمام بيت المزرعة، والذي خرجوا هم بالفعل منه لرؤيتهم ..

ما إ رأوها حتى أجمع جميعهم على نظرات الإحتقار، التي لم تفهم مغزاها

لكنها ذهبت نحو إحداهن قائلة :

-إزيك يا عمتي صفا عاملة إيه ؟

أجابتها الأخرى بإقتضاب :

-نحمده ونشكر فضله

أومأت فيروز رأسها لها قائلة :

-دايمًا، أومال فين تيتة ؟

أشارت لها بعينها على مكانها، فذهبت فيروز بسرعة إليها وإختضنتها مردفة بـ :

-وحشتيني أوي يا تيتة عاملة إيه

لكن العجيب أن الأخرى لم تفعل شيئًا فقط تركتها تضمها ولم تجب حتى

فإبتعدت عنها هي مضيقة عيناها بقلق قائلة :

-أومال فيه إيه ؟

نظرت حولها فجميع الحتضرين يرمقوها بنظراتهم الحانقة، ذاك عمها، والآخر إنه،

وتلك زوجة عمها، وذوع عمتها الجالس هناك !

ما تلك النظرات ؟+

-الظاهر إن إبني مات بدري قبل ما يربيكي يا فيروز !

قالتها جدتها بحدة وهي تنظر لها ..

حينها نظرت لها فيروز بصدمة، ثم تبعت تلك النظر بـ :

-ليه أنا عملت إيه ؟

جاءت عمتها من خلفها تقول بغضب :

-إزاي تلطخي إسم إخويا بالشكل ده يا فيروز ؟

إقترب منها صهيب وقد بدأ يشعر بالغضب من تلك الطريقة في الإستقبال، وأردف بنبرة جادة :

-فيه إيه إنتو بتكلموها كده ليه ؟

نظرت لهم الجدة بإحتقار وقالت :

-أصل هي ما صدقت أمها وأبوها ماتوا عشان تمشي على حل شعرها، وتسلم شرفها للرايح والجاي، وأخوها سايبها ومعندوش مشكلة .....!!+

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

٢٣

+

الفصل الثالث والعشرون :+

+

متجمهرين حولها، متجهمين الأوجه، وبفاظة الكلمات يردعونها،

من هم ؟

هم من قد جاءت إليهم لتنسى ما آل إليه حالها !

هم من ظنت أنهم سيدعمونها ويساندونها وحتى إذا كانت حزينة يهدوها أحن الكلمات لتنسيها ألمها !

هم أهلها، أحبتها، وأقرباؤها !+

نظرت لجدتها والدموع قد إنجرف من مآقيها، ثم نظرت لعمتها غاضبة الوجه، ونكست رأسها، فبماذا تجيب !+

وبجانبها وقف سهيل مصدومًا من حديثهم !

-ما تردي يا فيروز، أنتي عارفة إن العار هيلزق في اسمنا دايمًا بسببك !

لم ترفع رأسها وهي تستمع إلى حديث عمتها الذي ينزل عليها كما السياط !

وكانت دموعها وحدها هي ما تتحدث عنها

+..

تابعت جدتها الحديث قائلة بإستنكار :

-ليه تسلمي نفسك ليه ؟

نظرت لها فيروز، وتحدثت بصوت متقطع من شدة البكاء :

-والله العظيم أنا ماعملت حاجة، والله أنا ما غلطت هو اللي ...

-الراجل عمره ما بيقرب على ست إلا لما تغريه هي، وإلا عمره ما بيقرب !

قاطعها هو بصوت جهوري، فإستدارت لتواجهه بعينيها الحمراوين، وقالت بألم :

-بس أنا.. أنا معملتش حاجة والله، دا أنا لبست الحجاب عشان ميقربش مني يا عمي !

نظر هو لها غاضبًا وتابع :

-قصدك عشان تلفتي نظره أكتر !

أومأت صفا رأسها بالإيجاب مردفة بإستهجان :

-أيوة معاك حق يا خويا، ما احنا سايبينها ماشية على حل شعرها وتعمل اللي هي عايزاه !

ذهبت جدتها إليها ونظرت لها بإستحقار، ثم وبنبرة قاتمة قالت وهي ترفع يدها لتصفعها :

-ده إبني اللي شوهتي سمعته يا ...

أغمضت هي عيناها، مستسلمة لها، لكنها فتحتها من جديد حين لم تشعر بشيء ..

نظرت ليدي جدتها وإذا بسهيل ممسك بها بقوة ..

نظرت له الجدة بغضب، وأفلتت يدها بعنف وهي تقول :

-آه ما إنت معاها، لو أنت مش عارف تربي أختك إحنا نربيها و..

قاطعها هو بنبرة نارية :

-محدش يلمس أختي، أنتم سامعين ! ، أنتم عارفين هي إتحملت قد إيه ؟

نظرت له الجدة بغضب، بينما تلوت أفواه الحاضرين بين الإمتعاض، الإندهاش، الغضب ..

تابع هو بنبرة أكثر حدة وهو يمسك يد أخته بقوة، ويشير عليهم جميعًا :

-أنتم أصلا تعرفوا يعني إيه واحدة حاولت تتدافع عن شرفها بكل قوتها ومقدرتش !

لأ متعرفوش الا أنكم تلوموها، وتتهموها بأقذر الألفاظ

أنا أختي أشرف من أي حد، أشرف من الشرف ذات نفسه، عارفين أنا ليه واثق، لأني كنت بشوفها بنفسي !

أنا كنت بشوفها وهي بتبعد عن أي راجل، بنت شريفة وعمرها ما فكرت شمال، بس أنتم اللي بتشوفوا على مزاجكم !+

كانت صامتة، فقط تستمع وتبكي، ثم تبكي وتبكي،ونسيت أي شيء آخر غير البكاء ...

ولم يكن يدور في عقلها إلا سؤال واحد، ما خطؤها ؟!+

-يا سهيل أنت مش فاهم حاجة، عمرك شوفت راجل بيلمس ست وهي مش سمحاله ؟

قاطع تغكيرها صوت خالتها الغاضب، فنظرت لها تستجدي صمتها، فقد تألمت بما فيه الكفاية حقًا !

أجابها سهيل بنبرة أشد غضبًا :

-وأنتي ليه متقوليش أحسن عمرك شوفت راجل بيغلط ؟!!

ليه متقوليش إن تفكيركم متخلف، يعني هي مهما دافعت عن نفسها هتكون غلطانة !!!؟

نظرت له جدته بضيق شديد، ثم زفرت عدة مرات أثناء حديثة، وبعد إنتهائه أردفت على فورها :

-إحنا عندنا عادات وتقاليد البت تفضل في بيت ابوها وتراعي أهلها، وبعدها تتجوز عشان تخدم على جوزها وعيالها، وغير كده تبقى هي اللي بتخلي الكل يبصلها ويتحرش بيها، وأديك شوفت النتيجة، هي لطخت إسمنا بالتراب، وجابتلنا العار !

نظر لها مشمئزًا من طريقتها في التفكير، وبعد أن صمتت أجابها بهدوء مفاجئ :

-بصي يا تيتة، فيه فرق لما تكون هي بتشتغل عشان تصرف على بيتها وأهلها وفرق لما تكون عاوزة تتعاكس، بس أنتم مش هفهمو الكلام ده، لأنكم ببساطة مقتنعين إن البنت هي اللي غلطانة مهما حصل !+

ثم نظر لأخته وتابع :

-وإحنا مش هنضيع وقتنا بتبرير مهياش محتاجة حتى نوضحه

ثم إحتضن وجهها بيده وبدأ يمسح لها دموعها قائلًا :

-اللي غلط مش انتي، الغلط على اللي بيقدسوا الراجل مهما عمل، الغلط على اللي عمرهم ماكانو بيسألو عليكي، ولما ترجعي محتاجة الدعم يجرحوكي

نظرت له بحزن، فتابع هو مبتسمًا لها :

-يلا نروَّح تاني، الأول بس نزور قبر أمك، وبعدها نروَّح عشان ملناش مكان هنا

أومأت رأسها وهي تحاول التوقف عن النحيب، حينها أمسك يدها مرة أخرى وذهبوا بعيدًا عنهم، بعد أن رمقوهم بنظرات غاضبة، حزينة، موجوعة ..."+

+.....

كان جالسًا على مكتبه، يحاول التركيز في عمله ..

يحاول إستجماع تركيزه الذي اختفى منه منذ فترة، وفجأة وجد أحدهم يدخل مكتبه بدون حتى أن يطرق الباب، نظر له بغضب وقبل أن يتحدث هو سمع الآخر يردف بجدية :

-صهيب، عرفت اللي حصل !

زفر هو بحنق ونظر إليه قائلًا بضيق :

-إيه ؟

سحب الأخير الكرسي الذي أمامه، وجلس عليه وهو يتابع بنبرة أقل صخبًا :

-عرفت إن بيجاد إنتحر ؟

لم يبدِ الأخير أي تفاعل يدل على إندهاشه، ثم اعاد النظر إلى حاسوبه، وقال ضجرًا :

-يااه يا عقاب أنت قديم أوي ! ، ثم إنك برضوه تسدق إن بيجاد ينتحر !

وضع عقاب يده على المكتب و مال عليه متسائلًا بفضول :

-قصدك إيه ؟

نظر له صهيب وهو يقول بهدوء :

-أخوها هو اللي قتله

جحظت عينا عقاب في ذهول، ثم وقف من أثر الصدمة وهو يردف :

-أخو مين فيروز ؟

-أها

-الواد المعصعص ده ؟

-أها

-وأنت كنت عارف ؟

-أها

ضيق عينيه ونزل بجسده إلى مستواه قليلًا وهو مستند على المكتب، ثم سأله :

-عرفت إزاي ؟

هز هو كتفيه ببرود وقال :

-عادي، ظابط من اللي أعرفهم هناك شافهم، وإتصل بيا سألني يبلغ ولا لأ

-وإنت قولتله إيه ؟

-لأ

حك الأخير رأسه بدهشة ثم نظر إليه متسائلًا بحيرة :

-أفهم من كده إنك داريت عليه ؟!

إنتصب صهيب وسار عدة خطوات بعد أن وضع يده في جيبه وأردف بهدوء :

-دا حقه برضوه ! ، وبعدين أنا أخدت كل اللي كنت عاوزه

قطب عقاب حاجباه وإقترب منه قائلًا :

-إزاي

إبتسم له صهيب بثقة، ونظر ناحية الباب قائلًا :

-أخدت بالك من السكرتيرة الجديدة ؟

هز رأسه نافيًا، وكاد أن يتحدث إلا أن سمع صوت طرق الباب فقال بدون تردد :

-إدخل ..

دلفت هي ممسكة بإحدى الملفات، وبهدوء شديد وضعت الملف على مكتبه وسارت عائدة من حيث جاءت وهي تقول :

-الملف دا ناقص بس إمضتك، وعملاء الشركة السويسرية وافقوا على الميعاد الجديد للإجتماع ..

أجابها هو ببرود :

-عقاب جايلي ضيف، هاتيله حاجة فريش يتروق بيها، وأنا عاوز كوباية نعناع ..

لم تجبه هي وإنما خرجت وأغلقت الباب خلفها، وأيضًا بهدوء ..+

نظر لها صهيب مبتسمًا، فتارة يشتعل، وتارة يبتسم ربما سبب البسمة طريقتها، وربما يريد إغضابها بإبتسامته !

هو حقًا لا يري، لكن حين يفقد أعصابه يشتعل، فقد كان يومًا عصيبًا ولا يدري إلى متى سيتحملها !+

-أنت بتهزر أكيد، دي هي السكرتيرة الجديدة ؟

لم ينظر له صهيب وإكتفى بالنظر إلى الباب الذي غادرت منه توًا، لكنه قال :

-لأ دا جد

نظر له عقاب متفحصًا إياه، وتابع :

-شكلك وقعت !!

رفع حاجبه الأيسر وحول نظره إليه حين أردف في هدوء :

-وقعت ! ، سميها اللي تحبه، بس أنا مش همشيها من هنا إلا لما أجيب آخرها ..

ضحك الأخير فجأة ونظر له قائلًا :

-أنا شايف إنها هي اللي هتجيب آخرك، حرس بقى يا صاحبي ..

ولاه ظهره وعاد لمقعده مرة أخرى وهو يقول ببساطة :

-أما نشوف !+

لم يمض الكثير من الوقت حتى دلف جويرية بالعصير والقهوة، ووضعتهم على المكتب وبدون أي حركة زائدة خرجت ...

لم يكد يصدق صهيب أنها نفذت ما طلب منها بتلك السرعة، وبالأخص أنها أحضرته بنفسها ..

أمسك عقاب كوب العصير وبدأ يرتشف منه

..

وكذلك في نفس التوقيت إرتشف صهيب من كوب النعناع رشفة، وما لبث أن وقع منه الكوب، و تبدلت ملامحه كليًا وذهب إلى الحمام الملحق بالمكتب ..

بينما نظر له عقاب بقلق وذهب خلفه قائلًا :

-فيه إيه ؟١

حين خرج من الحمام ذهب إليها غاضبًا على فوره، وبمجرد أن وقف أمامها حتى سألها بنبرة نارية :

-إيه القرف ده ؟

رفعت حاجباها ونظرت له قائلة بدهشة :

-قرف إيه ؟

تابع هو بنبرة أكثر حدة :

-النعناع ده طعمه زفت كده ليه ؟

إبتسمت ببرود وهي تنظر له، ثم قالت :

-آه معلش ممكن أكون إتلغبطت بين النعناع وبين الملوخية الناشفة !

نظر لها بضيق شديد، وسألها :

-ومين جاب ملوخية هنا ؟

لم تزل إبتسامتها تملأ وجهها أثناء قولها :

-ممكن بالصدفة أكون بعت حد يشتريهالي !+

كان عقاب ينظر إليهما، وبصعوبة إستطاع إمساك نفسه عن الضحك، فحقًا يتمتعا بروح دعابة لا مثيل لها ..

والعجيب أنهما لا يدركان الأمر !+

إنحنى صهيب قليلًا نحو مكتبها وأردف بخفوت :

-أنتي زودتيها أوي على فكرة !

وقفت هي في لحظتها ونظرت له بهدوء وهي تقول :

-معاك حق، المفروض تطردني !

إبتعد عنها ثانيةً، وعقد ساعديه أمام صدره قائلًا :

-مش بالسهولة دي هتتخلصي مني، يا .. يا آنسة جويرية !

حركت كتفاها غير عابئة به، وجلست مجددًا لتعيد النظر إلى الحاسوب وتعمل من جديد

..

وقبل أن يذهب هو محملًا بخليط الغضب، والإنفعال المكبوتين، وصله صوتها البارد قائلًا :

-عارف، ممكن أتلغبط مرة وأحط ملح بدل السكر، أنت عارف تركيزي على قدي !١

+.....

ظلام ..

يحيط به الظلام من جميع الجهات، يلتفت ليبحث عن الضوء فلا يراه، ويعود ليكمل مسيرته في ذلك المنزل المظلم ...

أغمض عينيه وهو يسير، فحين قد أدرك أن الظلام حوله ليس منه خلاص، قرر إغماض عينيه أثناء سيره ..

ولكن فجأة أحس بشعاع غريب من الضوء، ففتح عينيه ليجد ذاك المنزل الذي يعرفه كما لم يعرف منزلًا آخر في حياته قط

إبتعد عنه، وظل يركض ويركض بعيدًا عنه، لكن فجأة عرقله شيء ما ووقع !

حينها نظر حوله، فوجد نفسه داخل المنزل الذي كان يهرب منه، بدأت أنفاسه تتسارع، فأي شيء إلا ذاك المنزل، كم يكره على قدر

ما كان يحبه، كم يتمنى التخلص من ذكراه
بعد أن كانت من أجمل الذكريات !

وقف من جديد وظل يسير فيه، وكل الغرف
كانت تؤدي إلى نفس الغرفة، كل الغرف
تؤدي إلى الغرفة التي كان يحاول الإبتعاد
عنها، وكلما إقترب تجلت أمامه ذكريات من
الماضي البعيد..

صوت ضحكات، همهمات ..

و أصمت أذنه الكلمات، وحينها بدأ يضع يده
على أذنيه مستلمًا لكل شيء حوله، وفي
ذات اللحظة وجد سكين صغير على الأرض،
ولأنه واثق أنه يحلم، لم يتردد في إستعماله،
وفورًا غرزه في بطنه ...+

إستيقظ أخيرًا من ذاك الكابوس، وبدأ
يتنفس بصعوبة وهو يقول :

-خلاص بقى .. هخلص من كل ده إمت ؟

أغمض عينيه يستجمع شتات نفسه، ولكنه لم يدرك نفسه حين بدأ يتذكر ذاك الأمر مرة أخرى ...+

+.....

أدخل نسخته الخاصة فذ ذلك الباب حديث الطراز ..

وبعد أن فتح الباب فتح ضوء الصالة بهدوء، وظل يتأمل المكان من حوله ..

حينها قال بصوت تجلى فيه الحزن :

-كده تلت شهور، قضيتهم من غير ما أسمع صوتك أو أشوفك

تنهد بأسى، ودلف الغرفة المجاورة ..

تلك الغرفة التي إعتادوا أن يتسامروا فيها مساءًا، لقد كان الأمر مفروغًا منه بزواجهما، لكن الحظ لم يحالفه كما حالف إخوَته !

جلس على السرير، ومسح عليه بيده، ثم أخذ نفسًا عميقًا من عبير المكان حوله ...

وحين كاد أن يذهب، وجد ورقة مطوية تحت الغطاء، وظهر منها طرفها، فمد يده يمسك بها قائلًا لنفسه بحيرة :

-إيه الورقة دي ؟

أمسك بها وفردها أمامه، وحين وجد الكلمات المدونة بها، وأدرك صاحبة الخط، جلس بسرعة ليقرأها، بصوت مضطرب :

-إزيك يا رحيل، كنت عارفة إنك هاتيجي البيت هنا بعد ما أنا يتحكم عليا، أو مهما طال الوقت، واثقة أنك هتيجي، عشان كدة

إتأكدت إني أوصل الورقة دي هنا قبل ما أبلغ عن نفسي ...

أخذ نفسًا منفعلًا فقد أحس أنها تحادثه حقًا وتابع بنبرة أكثر إضطرابًا وحنينًا :

-أنا عاوزة أقولك على حاجة يا رحيل، وبتمنى منك متكرهنيش أكتر ما أنت بتكرهني الوقت ..

رحيل أنا يوم ما إتجوزت جلال أنا كنت حامل منك، وأيوة صهيب ده يبقى إبنك، وأنا كنت عارفة بس قررت نتجوز أنا وجلال بسرعة، وأتدارك الموضوع وكأنه ابنه هو، وفعلًا كل حاجة مشت، بس الوقت لازم تعرف إن صهيب ده إبنك قبل ما يكون إبني ..

لو مش مصدقني روح إعمل تحليل DNA وإتأكد بنفسك، أنا هكون مديونالك لطول

عمري يا رحيل، وعارفة إنك حتى لو مكنتش عارف إنه إبنك كنت هتفضل تحبه وتحن عليه، وعارفة كمان إنك هتكون أحن أب في العالم ...

نوران ..+

لم يبدو عليه أي إندهاش ففط قبل شهرين شعر بشبه كبير بينه وبين صهيب، وكذلك أراد أن يعلم سبب العاطفة التي يُحسها تجاهه، فذهب بنفسه وأجرى التحليل، وحين تبينت النتائج علم أنه ابنه، ولم يك أحدًا أشد منه سعادة حينها ..+

+.....

إستفاق من ذكراه ناظرًا إلى ما حوله بحنق، ملل، هو قرر ألا يخبر صهيب بالأمر أبدًا، فقد

جاءه لا يتحمل المزيد من المفاجآت عن نسبه كان أو غيره ..

ألا يكفِ ما أخذه عن والدته من أفكار أنها قاتلة وسفاحة !

أيأخذ أيضًا تلك الأفكار عليه ولربما ظنهما شريكان ويفقد الثقة في كليهما !

لذا وبكل بساطة، قرر ألا يخبره بالأمر !+

تنهد بهدوء ونظر حوله قائلًا بإختناق :

-حاسس إني عايش أسير الذكريات، في كل كلمة أقولها ألاقي ورها حاجات، حاجات قديمة من ذكريات مدفونة حد نبش قبرها عشان يطلعها منه ويأذيني بيها ...!!+

وكأن رفات الذكريات يُكسى باللحم من جديد ...!!!+

+.....

منذ أن علمت الخبر وهناك فتور غريب في مشاعرها، لا بكاء ولا حزن، ولا حتى سعادة ...

المشكلة أنها لا تدري ما عليها فعله !

هل تفرح أم تبكي أم ...

لقد مات من كان سبب آهاتها ..

مات ورحل، لكنه ندم، لقد قتل نفسه من شدة ندمه

نظر إلى نفسها في المرآة، وبدأ تسأل نفسها بهدوء :

What happen- ؟

(ماذا حدث ؟)

Why all this the coldness- ؟

(لما كل هذا البرود ؟)

صمتت فجأة ثم قالت بضجر :

-أنا قولت هتكلم شبههم طول ما أنا هنا !+

هدأت قليلًا وأرجعت رأسها للخلف، وشعرها معه وأردفت بنبرة حاسمة :

-لو مكنتش عارفة أزعل، أكيد هعرف أفرح !

وبالفعل ذهبت وأخرجت ثيابها من الخزانة، وكادت أن ترتدي شيئًا منها حين سألت نفسها :

-بس أنا معرفش حد هنا، ومش بحب أخرج لوحدي !

جلست على السرير تنظر للخزانة تارة، ثم للسرير أخرى لتقول بعدها :

-يعني كل لما تقرري تخرجي ترجعي في رأيك لمجرد إنك ما تعرفيش حد !

زفرت بنفاذ صبر من نفسها، ثم وقفت فجأة قائلة بحماس مفاجئ :

-أنا هخرج وحتى لو لوحدي ...+

بعد ما يقرب من نصف ساعة كانت قد تجهزت، نظرت لنفسها نظرة أخيرة في المرآة و تحدثت :

nice-

ثم خرجت من منزلها وأخذت سيارتها وإنطلقت، ...

إنطلقت نحو الا مكان ...+

+.....

وضعت أمامه القهوة للمرة الرابعة في هذا اليوم ..

جيد ربما قد يموت إذا إستمر على هذا النحو وتنتهي منه لآخر حياتها ...

-دوقيها الأول !

قالها هو بضيق ليخرجها من شرودها، فنظرت له بهدوء، وأخذت الكوب من أمامه، وتذوقته، ثم تذوقته من جديد وهي تحتضن الكوب بكفيها ..

ويبدو أنها ستشربه كاملًا ..

إرشفت منه مرة أخرى وهي تنظر بداخل الكوب، وكان هو يتابعها بغيظ، من أين جاءوا بها، من الملجأ ؟

بعد أن وصلت لمنتصف الكوب وضعته أمامه في هدوء هي تقول :

-إتفضل

ثم إبتسمت له تلك الإبتسامة السمجة قبل أن تتركه وترحل

حينها وضع يده على جبهته لربما شعر أن حرارته قد زادت من شدة الإشتعال وقبل أن يفعل أي شيء، فاجأته هي بدلوفها متسائلة بنفس الإبتسامة :

-تحب أجيبلك ماية ؟

نظر لها بغضب ونبر صوته قائلًا :

-إطلعي برة !

هزت كتفاها غير آبهة وهي ذاهبة مردفة بإستفزاز :

-أنت حر ..

وإبتسمت قائلة لنفسها بوعيد :

-هو أنت لسا شوفت حاجة ؟!+

أما هو فقد كاد يجن، لقد أحضرها لكي يغضبها لا لتفعل هي !

الآن يجب عليه أن يضع حدًا للأمر ...

ما أكثر ما تكره تلك الفتاة ؟

لا يعلم، فهو لم يرها إلا بضع مرات كيف له أن يعلم !

لكن ما أكثر ما يكرهه هو ؟!

ظهرت إبتسامة عابثة على محياه فجأة، ثم أخذ الهاتف الذي بجانبه وطلبها ..

وبعد لحظات طرقت الباب ودلفت بثبات،

بدى على ملامحه الجدية التامة وهو يقول :

-فيه إجتماع النهاردة الساعة ١٢ بالليل، ولازم تحضريه عشان تفهمي الـ ...

قاطعته هي بهدوء، دون حتى أن تنظر له :

-أنا وعدت براء مش هتأخر عن الساعة ٩ ، وزي ما وعدتك ووفيت، وعدته وهوفي !

رفع حاجباه بإستنكار وهو يقول :

-لأ طبعًا ده شغل وأنتي المفروض تبقى أولوياتك كلها للشغل !

هزت رأسها نافية وتابعت بثبات :

-مش هتأخر عن ٩

إبتسم هو ثم وقف أمامها قائلًا :

-خلاص نبدره، عاوزاه الساعة كام ٧ ، ٨ شوفي معنديش أدنى إعتراض

رفعت رأسها لتواجهه، وأجابته بهدوء :

-أنت مش ملاحظ أنك بتلعب بالناس ! ، الوقت ليه إحترامه، واللي أعرفه إن رجال

الأعمال اللي ربنا من عليهم بيحترموا مواعيدهم، أكيد أي موظفة هنا هتبقى أكفأ مني لأني مش مؤهلة لده لأني مش بعرف أتكلم لغات تانية !+

ثم تركته وذهبت بدون زيادة في الأحرف، سار هو نحو الشرفة ونظر من خلالها ...

ليس غاضبًا، لكنه أراد أن يعلم هل تكره الإعتراف بما لا تعرفه أم لا، على العموم هو لم يخسر شيئًا، وأصلًا ليس هناك إجتماع، لكنها لن تذهب قبل أن تنهي عملها ..+

زفر بهدوء، فهو لا يعلم ما حل به مذ دخلت حياته، لما أصبحت كل المواضيع تنتهي بها، حتى ما لا يبدأ بها ينتهي بالتفكير بها !

أليس ذلك مبالغًا فيه !

والأدهى أنه قد أحضرها نصب عينيه، لتفقده البقية الباقية من عقله !+

شعر بالجوع فجأة، ونادرًا ما يجتاحه هذا الشعور، لذا بدون تردد قرر الذهاب لأي مطعم حتى يأكل ...

وبالفعل إتجه نحو الباب ليخرج، لكنه حين خرج لم يجدها ..

عقد حاجباه متسائلًا بحيرة :

-معقول تكون مشت ؟

تلك الفكرة أغضبته بالفعل !

وقبل أن يذهب سمع صوتًا خافتًا من مكتب بيجاد السابق، حينها ذهب وفتح الباب بهدوء ...

ورآها .. تصلي ...

الأمر غريب بالنسبة له، فمنذ أمد لم يرَ أحدهم يصلي !

أغلق الباب عليها من جديد وسار عائدًا إلى مكتبه، لما لا يبقى هنا طالما أنها بالداخل !

لما أراد أن يفعل مثلها حين رآها ساجدة !

لا يعلم، هو فقط واثق أنها تفعل كل ما تستطيع لتشعره بالضيق والغضب، حتى وإن كان الأمر خارج إرادتها !+

+.....

كان عائدًا إلى منزله و حين رآها أوقف سيارته، و خرج بسرعة منها متجهًا إليها ...

وحين وقف أمامها قال باسمًا :

-كاثرن، إيه ده بجد أنت هنا !

نظرت له الأخرى بحيرة وعقدت حاجباها متسائلة :

-أنت مين ؟

-إيه ده أنتي مش فاكراني ؟ أنا عقاب، كنا صحاب في الجامعة، لما أنا روحت أدرس في أمريكا !

ضيقت عيناها في حيرة تحاول تذكره ثم قالت فجأة :

-آه إفتكرتك، أنت اللي كنت بتقولي دايمًا روحك روح مصرية أصيلة عشان بتكلم زيكم ؟

ثم إتسعت إبتسامتها وهي تتابع :

-صح ؟

أومأ رأسه عدة مرات، وقال حينها :

-أيوة عشان كنتي الوحيدة اللي بتتكلم مصري هناك، المهم إيه جابك هنا

أشاحت الأخرى بيدها، وقالت بنبرة مالة :

-ياه دا موضوع طويل جدًا، المهم أنت عامل إيه ؟

وضع يده في جيبه وقال بمرح :

-امممم زي ما أنا، تعالي ندخل العربية عشان نعرف نتكلم حلو

أومأت رأسها قائلة :

-اوكاي+

حين استقروا بالسيارة نظر لها وسألها بفضول :

-إتجوزتي ولا لسا ؟

إسترخت هي ناظرة لسقف السيارة، وأجابته بفتور :

-آه، وإتطلقت، أو إترملت، أيًا يكن !

سألها بحيرة :

-مش فاهم ..

نظرت له باسمة وقالت :

-لو بدأت أحكي مش هسكت وهتزهق صدقني !

أرجع رأسه للخلف هو الآخر وقال لها بنبرة هادئة :

-اممم يلا إحكي إحنا ورانا حاجة ؟

-طب اركن العربية في كان ينفع نتكلم فيه الأول ..

-طاايب ..

وبالفعل نحرك بسيارته بعيدًا قليلًا حتى قالت له هي :

-خلاص كفاية عشان عربيتي مركونة قريب من هنا ..

أومأ برأسه إيجابًا، وأوقف السيارة ثم نظر لها قائلًا :

-إحكي ..

أخذت أولًا نفسًا طويلًا جدًا، ثم بدأت بقولها :

-أنا إتجوزت، من حوالي سنة وشوية، كنت مفكرة أنه بيحبني، ووقفت ضد رغبات ماما وبابا وإتجوزته، أصل حبيته أوي ..!+

+.....

كان جالسًا معهم، يتحدث بهدوء شديد ويقول :

-أيوة أنا كنت ممكن أرافع في القضية دي لو مكنش فيها قاتل حقيقي، لكن طلاما هو قتل بجد أدافع عنه إزاي، أنت عاوزني أدافع عن باطل ؟

زفر الأخير بضيق وأجابه :

-يا أستاذ براء محصلش حاجة وشوف بس أنت عاوز كام و...

قاطعه بقنوط :

-الرسول عليه الصلاة والسلام قال (من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه) ....

وأنا مش في غنى عن رضى ربنا يا أستاذ، وأنا مش واحد من المرتشين !

نظر له الرجل الآخر بضجر، فقد كان كل شيء يمشي على ما يرام إلى أن شعر أن

هناك خطأً في الأمر، وقد علم في النهاية أن ابنه هو القاتل الحقيقي !

ومن وقتها وهو يحاول إقناعه بالمرافعة في تلك القضية، فلم يعد هناك وقت للبحث عن محامٍ جديد !

وقف براء حينها، وقال بنبرة طبيعية :

-يوم ما اشتغلت محامي عاهدت ربنا قبل أي حد إني عمري ما هظلم حد، ولا هدافع زور "وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَىَ الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاِتَقُواْ اللّهَّ" ..!

أمسك براء أوراقه، وذهب قائلًا :

-السلام عليكم .....!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

٢٤

+

الفصل الرابع والعشرون :+

+

سرقت نفسًا عميقًا من الجو،

جالسة على السرير، ولصدرها ضمت قدماها بقوة، وأحاتطهم بكلتا يداها،

وعادت تنظر إلى الغرفة الفارغة حولها بهدوء

...

تفكر أن حياتها لم تكن جيدة منذ البداية،

فبعد وفاة والدتها تحول كل لون إلى الأسود

..

لكنها ظلت تناضل لكي لا تخسر إبتسامتها وروحها ...

ولكن بعد ذلك لم يكن هناك حتى بارقة أمل، فها هي منبوذة من قبل جميع أفراد عائلتها، والأسوء أنها لا تجد ما تقوله !

هل هي منبوذة في السماء كما نبذت في الأرض ؟

ربما أهل السماء سيرحبون بها حالما تأتيهم +!..

حين وصلت لتلك النقطة، أزاحت يدها عن قدميها وحركتهما بعيدًا عن السرير، وحينها وقفت، ثم سارت متجهمة الوجه صوب المطبخ+

لماذا عليها أن تفكر كثيرًا ؟

فطالما هي في تلك الحياة ستعاني، وتقاسي الأمرين ...

هي لن تفعل شيئًا سيءً لتلك الدرجة، هي
فقد ستنهي عذابها بيدها،

من هم في الأعلى رحماء، لن يلوموها أبدًا
على ما لم تفعله !+

أمسكت السكين، وقربته من يدها، وما إن
إستقر السكين على معصمها ..+

مهلًا يا فتاة !

ما الذي ستجنيه من الإنتحار هل تظني أن
من غرس الأشواك داخلكي سيأتي عاى
قبرك فيعتذر !

هاك حدثت نفسها وإستمرت ...

إن الله يعلم ما تمرين أنتِ به الآن، يعلم كم
تعذب وكم آسيت في حياتك، لكن هل
تظنين حقًا أن الله قد يرحم كافرة !

أتعلمين أنكِ تقدمين على شيءٍ يبغضه من أنت مشتاقة للذهاب إليه !

لك عمر، فلما تهدريه على أمر يبغضه ربكِ ؟!+

بدأت دموعها تتحرر من مآقيها، ولم تزل السكين على يدها وتذكرت ..+

"-أنتي عارفة إن العار هيلزق في اسمنا دايمًا بسببك !

-قصدك عشان تلفتي نظره أكتر !"+

أخذت قرارها وقربتها أكثر من يداها لكنها تذكرت ..+

"-حسيت ده الحكم اللي يستحقه، فنفذته بنفسي

-إرفعي راسك إنتي معملتيش حاجة غلط،
إللي بيغلط هو اللي بيتعاقب فهماني !!

-أنا أختي عمرها ما تغلط أبدًا !"+

أبعدت السكين عنها قليلًا، لكنه لا يزال على معصمها،

لكنها إتخذت قرارًا بألا تـ....+

-فيروز !

قالها سهيل بذعر قبل أن يندفع نحوها
ويبعد السكين عنها بإلقائها على الأرض ...

نظر لها بغضب، وذعر، وحزن، وخوف، وألم، وبعض المشاعر المضطربة التي لم يفهمها أحدهما، ولكنه سرعان ما أردف غاضبًا :

-أنتي مجنونة ! ، عاوزة تقتلى نفسك ؟

نظرت له بصدمة، وكأنها تستفيق من كابوس ما، وهزت رأسها نافية، وحين قررت أن تفتح فمها لتجيبه، سبقها هو بـ :

-أنا قولتلك إن دول ناس أغبية مش بيفهموا إلا تقاليدهم الغبية ! ، أنا قولتلك متهميش لكلامهم، هما ... هما عمرهم ما هيعرفو أنتي بتحسي بإيه، ولا هيقدروا مشاعرك، بس أنا أهو !

أنا موجود جنبك، وبفهمك، وحاسس بيكي+

إزداد جريان الدموع من عينيها، ومعه ظلت تهز رأسها بالنفي مرارًا حتى أردفت بإختناق من شدة البكاء :

-مكنتش هنتحر صدقني !

وضع يده على وجهها ومسح لها دموعها قائلًا بإضطراب :

-أنا مش هسيب حد يوجهلك حرف أو كلمة ! ، بس عشان خطري م ...

قاطعه هي ونزعت يده عنها برفق قائلًا بنبرة حانية :

-صدقني مكنتش هنتحر، متخافش أنا ..

ثم قاطعها بكاؤها الحاد الذي لم تستطع إيقافه، فقط حاولت مسخ دموعها المتجددة بغزارة، ونظرت له بحزن لما سببته له من ذعر الآن ..

حينها سحبها هو من يدها نحو إحدى الأرائك، وجلس ممسكًا يدها أمام عينيها، وقال بهدوء :

-أنا مش عاوزك تخافي من حد طول ما أنا معاكي و..

-والله ما كنت هنتحر يا سهيل صدقني

قالتها هي بإصرار، ثم وقفت وسحبته ليقف أمامها متابعة :

-أنا مش هعمل كده والله متخافش، وأنا عارفة إن محدش هيقدر ييجي جنبي طول ما أنت موجود ...+

حينها قاطعها بأن ضمها بقوة، لم تعلم يومًا أنه كان يحبها بذاك القدر، كما كان هو لا يعلم

كان هو أكثر منها غفلة عن حبه لها، ربما لا تتجلى المشاعر الحقيقية إلا حين يسقط أحدهم !

لكن لماذا ؟+

-بجد كنت هموت لما شوفتك ماسكة السكينة عشان تنتحري، أنا معتش متحرك من جنبك تاني !

-آسفة

-إخرسي خالص !

قالها هو بضيق حقًا فمن فرط الشعور بالتضارب في قلبه وعقله، لم يعد يستطيع السيطرة على نفسه، وحتى الآن لا يزال قلبه ينبض بعنف ...

أجابته بهدوء :

-حاضر+

في السابق هو لم يكن يخشى عليها لتلك الدرجة، أو ربما كان يخشى ولم يعلم !

أيًا يكن، من الجيد أنه أبعدها عن هؤلاء القوم ..

والمهم الآن أنها معه ولم تصب بأذى، وسيعمل هو دومًا عل ذلك ..+

+.....

أمسكت فنجان القهوة مرة أخرى ووضعت على فمها وبدأت تحتسيه، بينما هو ناظرٌ إليها على الكرسي المقابل لها ينتظر أن تتابع ..

بدى على وجهه الصدمة والدهشة، كما انعقد حاجباه مقوسًا إياهما، وإنفتح فمه قليلًا كما أن عيناه لم تكونا بإتساعها الطبيعي ...

أما هي فقد إتخذت السكون حالاً، كما بدى عليها الجمود الشديد ..

-طب ليه ؟

قالها هو متسائلًا بدهشة، فوضعت هي الفنجان على الطاولة، وتابعت تجيبه بجمود :

-هو كان عاوزني شهوة مش أكتر، ولما مل بدأ يعمل فيا اللي هو عاوزه !

وضع يده أمام وجهها يستوقفها، ونظر لها بدهشة وهو يقول :

-ماشي، أنا معاكي، هو زهق، يبقى يسيبك تمشي مش يحبسك !

أرجعت رأسها للخلف، ونظرت له بثبات لمدة دقيقة، ولإستمر صمت رهيب بينهما، لكنها حلته حين أردفت ببساطة :

-أنا مدخلتش جوا مخه عشان أفهمه، الموضوع وما فيه، إني كنت مجرد فترة، بس متنساش أنا مكنتش منتهية الصلاحية !

صمتت لعدة ثوان أخذت فيها نفسًا هادءًا لتتابع بعدها :

-أنا قولتلك إن السبب اللي خلاني أتجوز مصري إني فكرت مش بيخونوا ! ، وأكيد لما هو خاني حسيت بـ .. بـ disinclination (نفور) منه .. وهو مش كان عاوز كده، كان عاوزني وقت ما يحتاجني بس !

حينها رد عليها هو بهدوء :

-فهمت، بس المهم ها فين الوقت، في السجن لسا !

-إنتحر

عاد حاجباه لينعقدا من جديد، وكرر متسائلًا :

-إنتحر !

أومأت رأسها وقالت :

-آه إنتحر

-طب إنتي زعلانة عليه ؟

-لأ

-فرحانة ؟!

-لأ

-أومال ؟

هزت كتفاها وهزت رأسها، وقالت بنبرة جادة
:

-أنا فقدت الإحساس بأي مشاعر من فترة،
ومعتش بفرح أو بزعل بقى عندي فتور
غريب !

نظر لها مطولًا للحظات، وأردف بعدها
بإسفهام :

-إيه خططك ؟

-امممم مفيش، والمشكلة إني بمل في البيت
جدًا ومش عارفة حد هنا و..

-إيه رأيك تشتغلي !

قاطعها هو بتلك الجملة، لكم كانت رائعة فقد جعلتها تبتسم فجأة وتسأله :

-بجد هتشغلني !

إبتسم الآخر لها مبادلًا، ثم قال :

-يعني موافقة !

-أكيد ..

كانت تلك إجابتها دون أن تفكر حتى، فهي حقًا كانت بحاجة إلى فرصة كهذة قد تنسيها آلآمها،

تبعتها بجملة أخرى :

-بجد هكون ممنونالك أوي لو جبتلي شغل

و..

-عيب أوي لما تكوني سبب نجاحي في رابعة كلية، وإنتي اللي ذاكرتيلي وخلتيني أصم المنهج بعد ما المدرسين طفشوا مني، ومحتاجة شغل ومجبلكيش !

-شكـ..

-دا واجبني يا كاثرن متشكرينيش !

ثم وقف حينها، ونظر لها قائلًا بهدوء :

-قومي يلا نمشي عشان زهقت من المطعم ده إحنا فيه من الصبح !

وقفت حينها، وسارت معه حتى خرجا، وكانت سيارة كل منهما مصفوفة أمام ذاك المطعم، حينها إستدارت له واقفة أمامه وسألته بنبرة رقيقة :

-أبدأ إمت !

أجابها بجدية :

-وقت ما تحبي ..

أخرجت هاتفها من حقيبتها، وأعتطه له قائلة بنبرة طبيعية :

-خد سجل رقمك عندي

أمسك الهاتف منها وطبع الرقم على فوره، ثم وضع الهاتف على أذنه بعدها ليجد هاتفه يرن، وحينها أعطاها الهاتف قائلًا بإبتسامة عريضة :

-خدي سجلته، ها بقى تحبي تبدأي من امت ؟

نظرت له وكأنها تذكرت شيئًا وقالت :

-هو إيه الشغل صحيح !

ضحك لأنها لم تتذكر أن تأله عن طبيعة العمل إلا الآن، لكنه قال مازحًا :

-امممم خدامة !

رفعت حاجبها في سخرية، ولم تعقب، حينها قال مصححًا :

-أكيد بهزر

-دمك تقيل

-بس يابت، بصي تشتغلي معايا في شركة +!!...

+.....

نظرت للساعة أمامها، واتتها الثامنة، وقد أنهت جميع الأعمال الموكلة لها،

حينها أمسكت هتفها وهي تقول بهدوء :

-أتصل ببراء وأقوله ييجي ياخدني

كادت أن تضع الهاتف على أذنها بعد أن طلبت رقمه، ولكنها وجدت من يقطع الإتصال، فتظر لإسم المتصل بهدوء ثم أجابت :

-السلام عليكم

أتاها الصوت من الجانب الآخر يحمل اللهفة بـ :

-وعليكم السلام، بقى كل ده يا جوري تختفي ومنعرفش عنك حاجة !

ظهرت إبتسامة طفيفة على محياها، ثم أردفت بعدها :

-معلش يا روز أشغال بقى، المهم أنتي عاملة إيه ؟

أجابتها الأخرى عبر الهاتف بضجر :

-آهووا كده شوية وكده شوية، بس أنا متصلة بيكي عشان آآ+

-أنتي سايبة شغلك وواقفة ترغي في التليفون !

قالها صهيب بنبرة حادة وهو يرمقها بنظرات غريبة، وبهدوء أجابته هي :

-ثواني يا روز، خلصت شغلي يا أستاذ !

هدأت روز في الجانب الآخر، بينما حدجته جويرية بنظرات ثابتة بدون أن تهتز نظراتها لثانية، وظل هو يرقبها بنفس النظرات الغامضة ..

-خلصتي الشغل على الملف الأخير اللي بعتهولك ؟

-أها

ذهل هو فكيف إستطاعت أن تفعل في ذاك الوقت القصير، لكنه لم يبدِ أي ردة فعل تجاه الأمر وصمت

وسار إلى مكتبه، لكنها كانت واثقة من رجوعه مرة أخرى، ولم يخب ظنها حين رأته عائدًا ببعض الملفات الأخرى وويضعهم أمامها على المكتب قائلًا ببرود :

-آه معلش نسيت أديكي الملفات دي من شوية، محتاجة برضوه آآ ..

بعينين مشعلتين، وبنبرة خالفتهما من شدة سكونها تحدثت :

-المفترض إن اللي ينسى يتحمل نتيجة نسيانه+

ثم تركته وأخذت حقيبتها وهي تسير بعيدًا،
في حين كاد يشتعل هو من الغضب،
والأدهى أنها ..

-لأ يا بنتي ده واحد بيستظرف بس، إنتي
عارفة الأشكال دي كترت إزاي

قالتها هي عبر الهاتف لصديقتها، فما كان
منه إلا أن وقف أمامها وقال بنبرة حاول
جاهدًا أن يسيطر على إنفعاله بها :

-إنتي شكلك بتستظرفي ! ، ده شغل وأنا المـ
...

-آه كملي

صعق هو حين وجدها تتابع حديثها مع
صديقتها وكأن شيئًا لم يكن، لكنه وببساطة
مد يده وسحب الهاتف منها، ثم أغلق
الإتصال ليردف بعدها بجدية :

-الوقت نقدر نتكلم حلو

عقدت يداها ونظرت لعينيه لعدة ثوانٍ وقد فعل هو بالمثل حتى قالت هي :

-آنت نسيت أنا مالي ؟

-بس ده شغلك !

-بس أنا خلصت كل اللي إتطلب مني !

-بس ده بقيت شغلك وأنا المدير ومن حقي أفرض عليكي الشغل !

حلت ساعديها، وأومأت رأسها مرتان قائلة بهدوء :

-مفيش مشكلة، عاوزني أكمل أوكي

إبتعدت عنه وجلست على مكتبها وبدأت تتابع العمل، أما هو فقد ظن أن في الأمر

خدعة ما فحقًا من الغريب أن تتابع العمل بعد أن ...

-الملف ده جواه مشكلة تعالى شوفها بنفسك !

قالتها هي بنبرة متزنة مقاطعة شروده فيها ..

ذهب إليها ونظر إلى الملف أمامها وأمسكه، ظل يبحث عن خلل فيه وحين لم يجد ما يدعوا إلى الدهشة سألها بعجب :

-الملف ماله !

وكانت هي حينها تعمل على ملفٍ آخر، نظرت له وقالت :

-أنا مكنتش قصدي على ده كان قصدي على الأحمر ده

هدأ ولم يعقب، مع أن جنون نظرات عينيه أعلت ثورة الغضب بداخله، لكنه لم تعره إهتمامًا وهي تعمل، هي واثقة أنه لن يسألها عن الخطأ وسيفضل أن يبحث عنه بنفسه، وهو واثق أنها لن تتنازل وتخبره عن الخطأ ....

الأمر أشبه بمعركة بدون أي حاد ...+

بعد ما يقرب من الخمس دقائق وجد الخطأ بنفسه، وما أثار إنتباهه أنها أنهت في تلك الفترة ملفًا كاملًا، ومنذ الصباح يحاول إيجاد خطأ في عملها ولا يجد !

ولم يخطر بباله حينها إلا سؤال واحد ... من علمها ؟

لكن طبعدها تذكر أن مساعدته السابقة كانت قريبتها لذا فقد فهم من علمها بالفعل ...+

-الملف كان جواه غلطة صح ؟

قالتها هي بنبرة طبيعية، فأجابها بروية :

-أيوة

أومأت رأسها ونظرت للأوراق أمامه قائلةً :

-أكيد محتاجة تتصحح

إبسم بإستمتاع حي رآها تطرده بحصافة، ولكن أجابها بهدوء :

-مش مهم ده بكرة بقى !

حينها تركت القلم ووقفت ناظرة إليه مردفة ببساطة :

-معاك حق بكرة بقى، وأنا كمان بكرة بقى

صمت حينها ووضع هاتفها على مكتبها أمامها، ثم قال :

-إمشي وبكرة نكمل

نظرت له بطرف عينيها وهي لا تدرِ ما التغير الذي طرأ عليه فجأة وغير رأيه، ولكن لإنعدام فضولها حاليًا أخذت الهاتف وحقيبتها وذهبت ...+

الأمر برمته ممتع بالنسبة له، مع أنه يجب أن يتحمل كل ما يتعلق بها من برودٍ، وجمودٍ، وإستفزازٍ عقيم، بل يجب أيضًا أن يتحمل مقالبها السمجة التي تصنعها ثم تتبرأ منها ..

ضحك حين تذكر كوب النعناع، من المستحيل أن يطلب منها آخر مرة أخرى !

سيعترف لنفسه بعد مرور كل ذاك الوقت أن هناك أنثى أخطر منهم جميعًا، لا تمثل حية أو عقربًا !

بل تمثل تهديدًا على حياته، وإن دققنا فهي تمثل خطرًا كبيرًا على قلبه !

كم يعجب من نفسه، فبرغم أنه لا يريد لقلبه أن يتعلق بها، لا يستطيع إبقاءها بعيدًا !

كم مرة رآها وتحدث إليها ! ، لم يمضِ شهر على تعارفهما لكنه دومًا ما يشعر أن يعرفها منذ زمن بعيد !+

سار هو الآخر خارج الشركة وعلى وجهه إبسامة لم تتعدى الحدود ...+

.....+

أمسكت هاتفها وطلبت آخر من تحدثت معه ووضعت الهاتف على أذنها للحظات قبل أن تقول باسمة :

-بحبك وإنتي حاطة إيدك على الزرار كده

وصلها الصوت ضاحكًا من الجانب الآخر :

-ما أنا كنت مستنياكي تتصلي، المهم هتيجي ؟

كادت هي أن تتحدث إلا أنها قاطعتها بـ :

-جوري أوعي تقولي الوقت متأخر، أنا جوزي مسافر وإنتي وحشاني أوي !

ردت جويرية بعدوء :

-براء هو اللي هيزعل عشان مش عاوزني أتأخر

-عادي كلميه وقوليله وبعدها إقي خايه ييجي يروحك

-ماشي يا روز هكلمه وأجيلك

قالتها جويرية بإستسلام ثم أنهت المكالمة بعد أن ودعتها ...+

إتصلت ببراء بعدها وقبل أن تتحدث فاجأها هو بقوله :

-خلصتي شغل الزفت ده ؟

أجابته بضجر :

-آه خلصت، المهم روز كلمتني وعاوزاني أروحلها، جوزها مسافر وأنا مشوفتهاش من زمان، تعالى وديني

ضحك قائلًا بمرح :

-آجي أوديكي، شغال عندك أنا و..

-براء

قالتها بنبرة تشبه التهديد على الرغم من الهزل البادي بها، فأجابها مازحًا :

-لأ خوفت ! ، أنا أصلًا من حظك إني لسا طالع من عند معتصم وقريب منك

-طب خلصني عشان زهقت

-امممم طيب إصبري ثواني وأبقى عندك ...٢

ما ضايقها أنها رأته واقفًا بسيارته من بعيد يراقبها، ألا يكفيها وجوده معها طوال اليوم،

لقد ظنت أنه سيستسلم من اليوم الأول ويطردها، وللأسف لم يحدث، بل إنه على ما يبدوا لن يتركها ترحل ببساطة أبدًا ..

إنه شخص غليظ وصعب الطباع ومع أنه سريع الغضب لا تدري كا حل به وصار يتمالك نفسه ببراعة أمامها ..+

-مستفز

قالتها بضيق وهي ترمقه بغضب، حينها سألها براء :

-ها بتقولي حاجة يا جوري ؟

زفرت تخرج نفسًا حادًا وهي تقول :

-لأ مفيش، إنت فين الوقت ؟

-أنا قربت منك يعني دقيقتين وأبقى عندك

أومأت رأسها وقالت :

-طيب سلام

-سلام+

أغلقت هاتفها وظلت تنتظره، هي لم تعد
تحتمل وجوده حولها أكثر، ومع محاولتها
الرهيبة لتجاهله تضطر للنظر إليه أكثر !

هل حياتها ينقصها المزيد من المزعجين
لكي يظهر هذا الكائن فيها ؟

+..

وقف يراقبها من بعيد، فحين قرر الرحيل وجدها أمامه فهل يذهب ويفوت متعة مراقبتها ؟

لا بالطبع ..

فقط يرقبها، يراقب حركاتها وسكونها وحتى إيماءاتها، ولم يعلم ما المتعة في هذا أبدًا

لكنه حقًا مستمتع بمراقبتها !+

لم يمضِ الكثير حتى جاءت سيارة سوداء وأخذتها من أمامه ..

وبالطبع لن ينسى تلك السيارة أبدًا ..

لكنه الآن سيضطر للمغادرة فلم يبقَ سببًا لبقائة، وها هو ينطلق بالسيارة قاصدًا مقصده .....!!!+

.....!!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

٢٥

+

الفصل الخامس والعشرون :+

+

-بالله عليك بتتكلم جد !

كانت تلك الجملة التي قالتها هي بنبرة بها بعض اللهفة رغم الهدوء المسيطر عليها ..

نظر هو لها بسمًا وأومأ رأسه أي نعم، ثم انعطف بالسيارة نحو اليمين أثناء قوله بسعادة :

-آه والله يا جوري، أنا روحتله أول واحد الصبح وسألت الدكتور عليه قالي إن حالته

إتحسنت تمامًا ونقدر ناخده من بكرة،
نخلص بس الإجراءات ...

ظهرت السعادة على محياها وإبتسمت
متسائلة بنبرة طبيعية :

-براء، يعني من بكرة بابا هيرجع البيت ؟

-أيوة+

شعر بالسعادة لرؤية وجهها يشع بالفرح،
فنادرًا ما يراها هكذا، لكن دومًا لديه الأمل أن
تعود كما كانت ... وفي يومٍ ما سترجع جويرية
التي يعرفها .+

-يعني إنت عارف من الصبح ومتقوليش ؟

كان ذاك سؤالها بغضب مفاجئ، فنظر لها
وأردف بنبرة تحمل المودة :

-ما أنا كنت عاوز أشوف تأخير الخبر عليكي !

رفعت حاجبها ثم عقدت ساعداها إلى صدرها

وصمتت عدا عن ..

-امممم

التي قالتها ..+

وبعد ثوانٍ تفاجأت به يقول :

-بيجاد إنتحر ..

هزت رأسها نافية وهي تردف بعدم تصديق :

-مستحيل !

أكد هو حديثه بـ :

-معتصم قالي والله ..

لم تصدق هي أبدًا، فشخص جبان مثله لن يقدم على الإنتحار أبدًا، الأمر أنها رأت عينيه المرتعبتين حين بدأ يخسر القضية، فكيف

لشخص يخاف من نتيجة أخطائه أن يقدم
على الإنتحار !!

مستحيل، لا أصدق !+

-وبالشال !

-ها !

-إنتحر بالشال

نظرت له متفحصة ملامح وجهه، فهل يمزح
هذا أو ...

-براء، بطل هزارأنا تقبلت اللي حصل وعارفة
إن القاضي مرتشي لأن الحكم اللي
المفروض ياخده ١٥ سنة و..

-والله ما بهزر ! ، مات إنتحر ..

لما تذكرت سهيل فجأة، فقد كانت تتابع نظرات الجميع عن كثب، وحقًا كانت نظرات سهيل توحي بالكره ...

نفت عن عقلها الأمر بسرعة ثم عادت تنظر لبراء وتقول ببساطة :

-مظنش

أجابها براء بنبرة هادئة :

-معتصم كمان حاسس إن الأمر فيه إنَّ، وعشان كده قالي إنه ناوي يحقق في ...

قاطعته هي بسرعة :

-لأ لأ يا براء، عشان خاطري خليهم يقفلوا على القضية دي !

نظر لها بدهشة من إندفاعها المفاجئ وقال :

-بقولك بس بيفكر، وبعدين الكل مصدق إنه إتقتل خلاص وإتدفن ومراته حتى مراحتش ! ، بس مالك ليه مش عاوزانا نحقق !

أجابته بحذر :

-عادي يا براء إجى في دماغي حاجة كده ومعرفش صح ولا غلط، المهم سيبك إنت، هنوصل إمت ؟

إبتسم لها وتحدث :

-ما إحنا وصلنا من زمان !

نظرت حولها فوجدت أنهم بالفعل قد وصلوا، فأمسكت بمقبض السيارة لتذهب بعد أن أردفت بـ :

-إبقى سلملي على أبوك وأمك وهاجي أزوركم قريب إن شاء الله

ثم خرجت وهي تسمعه يردف بمرح :

-فيه ميزة كونا إخوات في الرضاعة برضوه ..

حينها إبتسمت بوجوم وقالت وهي تغادره :

-معاك حق ماما كانت مصرة على الموضوع
ده أوي، كانت دايمًا بتقولي كده

ترجل الأخير من السيارة ووقف أمامها قائلًا
بروية :

-بس على الأقل بقى عندي أخت بدل ما
أكون وحيد ...

وضعت يدها على وجهه واتسعت إبتسامتها
قليلًا حينما أردفت بحنو :

-والله يا براء إنت نعمة، أجمل حاجة فيك
إنك مش بتزعل مني وبتكون فاهمني

أمسك يدها من على وجهه وقبل باطنها ثم أردف برفق :

-وإنتي كمان نعمة، يلا بقى عشان متتأخريش وساعتين بالظبق وآجي أخدك

تنهدت بهدوء وقالت :

-طيب، أنا أصلًا مش هطول عشان أصحى بدري نروح نجيب بابا من المستفى ...+

.....+

كان واقفًا يراقب المارة، مل من كونه المراقِب، فلما لا يكون المراقَب يومًا ..

تسير الناس بعضهم بثبات والآخر يترنح، والبعض يمشي الهويني، ومعظمهم يسرعون وكأن وراءهم عمل أهم من رؤية النيل !

كيف يمرون بجانبه ولا ينظرون حتى إليه !

الأمر أنهم شبعوا منه كما شبع هو، فلما يظل آخر سنوات حياته مسجونًا بداخل الجدران الأربع ...!+

-مزهقتش ؟

سأله هو بنبرة هادئة، فإستدار الأخير ناظرًا له، ثم قال باسمًا :

-صهيب، إنت رجعت امت ؟

تحرك صهيب بعض الخطوات إلى أن وقف بجانبه، وإستند على النافذة و ..

صهيب بنبرة ساكنة :

-لسا الوقت

أومأ رأسه ثم عاد للنظر إلى الطريق مرة أخرى، حينها أعاد صهيب السؤال :

-بقولك مزهقتش ؟

رد بضجر :

-زهقت ...

-طب فيه رحلة من بكرة لمدة أسبوع لمارينا
كل صحابك رايحين فيها مش عاوز تروح
معاهم ليه ؟

تنهد هو بهدوء قبل ان ينظر له مطولًا ويقول
:

-عادي أصل آآآ ..

قاطعه صهيب بجدية وهو يبتعد عنه ذاهبًا :

-رحيل متربطش نفسك بيا، روح وغير جو
لأنك محتاج لدة، أما أنا فامش برجع البيت
إلا بالليل أصلًا ..

ثم إستدار له ليقول بإصرار :

-أنا عاوزك تروح يا رحيل

ثم غادر ..

حسنًا هو بالفعل يريد الذهاب، ومن يمنعه
يصر عليه بالذهاب، فلما لا يذهب إذًا !+

لكن بعيدًا عن كل هذا، هل صهيب بنفسه
جاء وحدثه أم أنه يتوهم !+

.....+

بحفاوة إستقبلتها، فقد هشت وبشت حين
رأتها ..

وإزدادت إبتسامتها إتساعًا وهي تحييها ..+

-والله وحشتيني يا جوري المطعم من
غيرك وحش أوي !

إبتسمت لها جويرية بمودة وقالت بهدوء :

-ربنا يخليكي، إنتي عاملة إيه ؟

-أنا الحمد لله يا حبيبتي

صمتت قليلًا وهي تستمع إلى صوت جهاز التلفاز العالي فأردفت بنبرة عالية :

-حنين، أنين، وطوا التليفيزيون شوية !

إبتسمت لها جويرية وهي تردف برفق :

-إندهيهم عشان وحشوني ..

قامت روز من مقعدها وأمست يد جويرية وهي تقول :

-تعالي إحنا ندخلهم

أومأت جويرية رأسها أي نعم ودلفت معها إلى غرفة الأطفال، ..+

بمجرد أن دخلت الغرفة وإنتبهتا لها أسرعا إيها لكي يحيوها ..

حينها إنحنت نحو الأولى وأردفت بصوت دافئ وهي تقبل وجنتها :

-إزيك يا أنين فاكراني ؟

أومأ أنين رأسها وهي تردف بنبرة طفولية :

-أيوة إنتي خالتو جويرية

ضحكت حينها ثم ضمتها بقوة، وباليد الأخرى إحتضنت الثانية ...

حتى أنها كادت تبكي ..

منذ فترة طويلة قد تعرفتا هي وروز، وبعد معرفتها بأن لها أختًا قد توفاها الله أصرت أن تجعل أطفالها ينادوها بـ "خالتوا" وبالفعل فعلو، لذا كانت تحب الذهاب إليهم كثيرًا ...

فكلما سمعت الكلمة شعرت أن أختها ما تزال على قيد الحياة ..

ما تزال باقية !+

إنتبهت فجأة لإحدى الطفلتين تقول مازحة بنبرتها الطفولية :

-طب وأنا مش فاكراني ؟

أبعدتهما عنها لتنظر لهما، ونظرت بالأخص للطفلة التي تحدثت، وقالت لها باسمة :

-حد ينسى حنين برضوه !

هزت حنين رأسها عدة مرات أي لا، ووضعت يدها الصغيرة على وجه جويرية وهي تقول :

-لأ بس إنتي مش بتيجي وأنا فكرتك نسيتينا

لم تفتأ الإبتسامة تملأ وجهها وهي تجيب عليها بهدوء :

-كنت مشغولة بس أنا جيبت أهوا ...!+

مضى بعض الوقت ظلوا يتحادثون فيه،
وكذلك إنضمت إليهم روز بعض أن ضايفتها،
ثم عادت الطفلتان إلى تلفازهما حين أخبرتم
الأم بأن عليهم الذهاب لأنها أحاديث الكبار و
...+

-مقولتليش يا جوري مين اللي زعق في
التليفون دة !

تبدلت ملامحها إلى الضيق والحنق فجأة،
وكذلك قُطب حاجباها مع بعض التغير في
نظراتها إلى الحدة وهي تردف :

-دا المدير يا روز

أومأت روز رأسها وكادت أن تطرح عليها
سؤالًا آخر حين أردفت هي :

-ومعلش بلاش تسأليني عن الشغل الجديد
لأن الموضوع دة بيخنقني ..

شعرت روز بأن هناك ما تخفيه، لكنها صمتت لكيلا تزعجها على أية حال

حينها نظرت للطفلتين وأردفت بجدية :

-أنين، حنين، صليتم العشاء ؟

هز الإثنا رأسهما بالنفي، فتحدثت روز بنبرة حادة :

-لما أبوكوا ييججي هقوله إنكم مبتصلوش وبتتأخروا في الصلاة وهو بقى يشوفلكم حل !

قامتا سويًا وخرجتا من الغرفة ليصليان وهما يرددان بخوف :

-لأ يا ماما خلاص

نظرت لها جويرية معاتبة بعد إختفاء الطفلتين وأردفت لها بنبرة هادئة بعض الشيء :

-هما عندهم كام سنة ؟

أجابتها روز باسمة :

-ستة ياختي ومغلبني

أومأت رأسها وقالت بنفس الإتزان :

-حلو إنك تعوديهم على الصلا بس مش حلو خالص إنك تخوفيهم بأبوهم !

حكت الأخرى رأسها بتعجب وسألت :

-إزاي ؟

-في يوم من الأيام هيكبروا ومعدوش هيخافوا منه لأنهم هيبقوا أمهات زيك ساعتها، خوفيهم من اللي أكبر من أبوهم، أو بدل ما

تخوفيهم حبيبيهم فيه، حبيبيهم في ربنا يا روز، خليهم يحسوا إنهم بيعملوا كده عشان ربنا مش عشان ميتعاقبوش من أبوهم !+

.....+

جالس هو ينتظرها منذ الصباح، لقد تأخرت وجاء هو باكرًا على غير عادته ..

فهو لم ينم طوال الليل خِشية أن يتأخر ..، أو لربما بسبب تفكيره فيها !

الأمر صار مبالغًا فيه فلما يهتم برؤيتها أصلًا، هي لا تهمه، هو فقط يفعل كل هذا لكي يثبت لنفسه قبل أن يثبت لها أن جميع النساء سواسية، حتى وإلم تقتنع نفسه في البداية بهذا فسيريها الأمر !

لما صارت نفسه تؤيد فكرة كونها مختلفة عنهن إذًا !

ألن تأتي ؟!

سألته نفسه مجددًا ..

بحق الله لقد تأخرت نصف ساعة إلى الآن ! ،
هل من المعقول أنها استسلمت بتلك
السرعة و ...!+

قاطع شروده صوت طرق الباب، وليس أي
طرقة، فمن من المعقول أن يطرق الباب
بكل ذاك الإتزان إلاها !

وبدون حتى أن يفكر أردف بـ :

-إدخل

دلفت هي حينها وقبل أن تتحدث قاطع
تفكيرها بالكلام بصوته الخشن :

-إتأخرتي نص ساعة وأنا بحب الإلتزام بالوقت
!

لم تنظر اه بل فقط أجابته بهدوء :

-كان عندي ظروف، وممكن أمشي لو مش حـ..

قاطعها بغلظة :

-لأ مش هتمشي إتفضلي روحي كملي شغلك

زفرت بصوت مكتوم، وتابعت قائلة بنبرة ثابتة :

-ما أنا أكيد مش جاية أوريك نفسي وأمشي، الملفات عندك امبارح إنت اللي أخدتها وعنتها !+

نظرت له حينها تتوقع ثورانه في أي لحظة، لكن لا لم يفعل كل ما في الأمر أنه أحضر الملفات وأعطاها إياها بصمت ..

حسنًا يبدوا أنه بدأ يعتاد برودها، وإلم تزود الجرعة فلن تدري إلى أي أمد قد تظل هنا !

الأمر مبروغ منه فهي لا تتحمل البقاء مع شخص مثله، وإلم تعترف لنفسها فما تراه في عينه ليس أقل شبهًا بما تراه في عينها إذا ما نظرت في المرآة !

هي تدرك أنها نظرات العذاب والألم، لقد عشارتها طويلًا ومن المستحيل أن تخطأها، لكن هي لن تعترف بذلك أبدًا، نةولا حتى لنفسها !+

أمسكت الملف وذهبت بدون أن تعقب، أو تتحدث، فقت أخذته ورحلت في هدوء النسيم ...+

إبتسم ولا يدري لما، ربما ... ربما نقلت تلك الفتاة عدوة الإبتسام إليه !

فقلما كان يفعل ..+

-هي مش زيهم أبدًا

قالها لنفسه بثقة، لا يدري كيف أخرجها من فمه، لكنه أخرجها، وأيدته نفسه ..

بالفعل صهيب ليست كذلك+

وهل سأل نفسه ما السبب المفاجئ لتغيير رأيه !

لا لم يسأل، هو فقط إكتفى بها جوابًا ..+

.....+

وضعت الملفات أمامها بإختناق شعرته فجأة، مع أنها كانت سعيدة إلى حدٍ ما صباح هذا اليوم، فقد خرج والدها من المشفى وعاد إليها سالمًا غانمًا، لكن الأمر وما فيه ...

هي لا تدري حتى ما الأمر !

ما الداعي لهذا الإختناق، والألم،

ولمَّا أن تذكرت عيناهما والألم الكامن فيهما تذكرت جرحها هي !

فنعم شعرت للحظة أن .. أن عينا كما المرآة تعكس نظراتها هي ..

ألم تكف عن النظر إلى عينيها في المرآة من فترة !+

+.....

كانت تلك الفتاة نائمة على فراشها، تنظر لسقيفة الغرفة، بصمت رهيب، لا ترمش ولا تتحرك، فقط ثبتت أعينها عند نقطة ما في السقف، وعلى جانبي عينيها إنزوت قطرات من عبراتها الساخنة بعيدًا ...

فجأة وضعت إحداهما يدها عليها فنظرت لها برعب وهي تبتعد إلى أن رأت من تكون حينها سكنت من جديد ..

أعادت جويرية وضع يدها على يدها مرة أخرى وجلست بجانبها ثم أردفت بنبرة حانية :

-سوفانا !

لم تنظر لها، فقد عادت بنفس السكون مرة أخرى ..

عاودت جويرية المحاولة :

-حبيبتي عشان خاطري بقى حاولي تنسي، حاولي ترجعي زي ما كنتي مش قادرة أتحمل أشوفك بالضعف ده قدامي ..

أيضًا لا فائدة، ولم تستلم جويرية فتابعت برفق، وقد بدأت تبكي بالفعل :

-عشان خاطري إنتي بقالك شهر كامل على الوضع دة ! ، ردي عليا بقى بالله عليكي ..+

لم تبدِ أي ردة فعل تجاه الأمر، وإستمرت بالصمت والسكون لدرجة أن جويرية لم تتحمل وانهارت بجانبها ..+

في يوم من الأيام وجدت نفسها تقول أنها استنفذت كل طاقة البكاء لديها، وقريبًا ستصل دموعها إلى الإضمحلال !

لما قالت ذلك لم تعلم ! ، لكن ما علمته بعدها أن نبوءتها بإضمحلال دموعها قد تحققت !+

+.....

الآن علمت ما سبب إختناقها فجأة، فهي لم تخلق لتسعد !+

جلست على مكتبها بهدوء، ونظرت للملف أمامها، ثم نظرت إلى باب مكتبه المغلق بشيء من الفتور ...

لكن سرعان ما أمسكت قلمها وفتحت الحاسوب أمامها وبدأت بالعمل لربما ينسيها ما تمر به الآن+

لكن قبل أن تخط حرفًا بقلمها تذكرت أمرًا هامًا، كيف تناسته يا ترى !

أمسكت هاتفها وبتأنٍ طلبت رقم أحدهم وجلست تنصت إلى صوت الصافرة على الجابت الآخر، وما إن واتاها الصوت حتى أردفت بهدوء :

-السلام عليكم، إزبك يا فيروز ؟+

+.....

اليوم مختلفٌ تمامًا بالنسبة لها، فهو ليس كأيٍ من الأيام الخوالي ..

أمسكت حقيبتها الجلدية، ونظرت لوجهها نظرة أخيرة في المرآة،

وجه خالٍ من التعبير، وجه شاحب ولم ترد إخفاء شحوبه بمساحيق التجميل، فلمن تتزين، وهل تخدع نفسها بجمال زائف !+

إبتعدت عن شبيهتها المنعكسة وخطت بعيدًا عن الغرفة، ثم المنزل، إلى أن إستقرت في السيارة ..+

يدها على المقود، قدمها على الفرامل، وإنطلقت ..+

صحيح يؤثر فيها وفاة والداها كثيرًا، لكن هناك شيء بداخلها ..

شيء عجيب .. شيء يمنعها من التفكير في كل ما يحزنها ولا يردد إلا "من حقك أن تعيشي كما يحلو لكِ، إنسي وتابعي" وفي الحقيقة قد راق لها الأمر كثيرًا فقد تألمت حتى شبعت ولم يعد لديها المزيد من القدرة ...+

وجدت هاتفها يرن، فقطع صمتها الذي طال، وشرودها الذي أضحى حياة أخرى لها ..+

hello- !

أردفت بها بهدوء بعد أن أجابت على الإتصال ..

جاءها الرد بنبرة جادة :+

hello- !

صمت قليلًا قبل أن يتابع :

-كاثرن ناوية تيجي النهاردة ؟

أجابته بروية :

-أنا في العربية ناو

وصلها صوته المندهش قائلًا :

-really ؟!

ردت عليه مؤكدة بهدوء :

-really

حينها وصلها صوته الهادئ من الجهة المقابلة :

-طيب هتعرفي تروحي ؟

قالت ببساطة :

-easily (بسهولة)

-خلاص نتقابل هناك

-ماشي وأنا مش هدخل إلا لما أنت تيجي

ok, see you soon-

+ok, goodbye-

ثم أغلقت الهاتف ووضعته على المقعد المجاور ..+

+.....

توًا خرج من قاعة المحكمة وهو يحمل حقيبته وسار حتى وصل إلى سيارته،

ثم وحينما إستقلها وجد هاتفه يرن برقم غير مألوف ..

وضع الهاتف على أذنه بعد أن أجاب على الإتصال، ثم تحدث بنبرة متسائلة :

-السلام عليكم، أيوة مين ؟

جاءه الرد بنبرة هادئة :

-أيوة يا أستاذ براء، أنا ...

قاطعه براء بغلظة :

-بيتهيألي إنت اللي ابنه قتل مش كده !

أتاه الرد بنبرة حادة :

-مسمهوش قتل، ولو ابني اتحكم عليه بالإعدام إنت اللي هتكون مسؤول !

رفت براء حاجبه وأجابه ساخرًا :

-ليه هو أنا اللي قتلت !

قال الرجل بجدية :

-لأ عشان إنت مرضتش ترافع في القضية دي، وأنا مش لاقي أي محاميين !

زفر براء وأجابه بضيق :

-أيوة وأنا مالي أصلًا، قولتلك مابقفش مع باطل !

حذره الرجل عبر الهاتف بحدة :

-أنا شايف إنك تيجي تطله من اللي هو فيه، بدل ما ..

حين شعر براء بنبرة التهديد سأله بغضب :

-بدل ما إيه ها ؟

-بدل ما أقتلك زيه بسيطة يعني ! ، ها بقى تحب تموت ؟

-إنت عارف إيه ردي على أشكالك ؟!

لم يتابع بل فقط قام بإنهاء المكالمة ..

ورمى الهاتف بجانبه قائلًا بضجر :

-دة على أساس إني هخاف مثلًا، معاتيه !+

+.....

كان جالسًا على مكتبه حين سمع هاتفه يرن ..

أمسك به مجيبًا على الإتصال ليضعه بعدها على أذنه ويردف بهدوء :

-ألو !

صمت قليلًا ليستمع إلى الجهة الأخرى قبل أن يقول :

-أيوة بس إحنا مش محتاجين موظفين يا عقاب !

زفر وهو يستمع إليه ثم أردف بنبرة ضجرة :

-طيب هتشغلها إيه ؟

إشتعلت عيناه فجأة وهو يتكلم :

-عقاب أنا قولتلك إني جبت سكرتيرة خلاص
!

هدأت ملامحه قبل نبرة صوته حين أردف :

-في المصنع نفسه، وإنت إيه اللي يوديك
هناك ؟

وقف فجأة وسار يقترب من الباب في صمت،
وفتح الباب فقط قليلًا لينظر لها من خلفه
قبل أن ينتبه للمتحدث ويقول :

-okay, okay, no problem

ثم أغلق الخط قبل أن يستمع إليه حتى، و
وضع الهاتف في جيبه قبل أن يخرج من
الغرفة و يسير بإتجاهها ..+

حين وقف أمامها لم تكن منتبهة، ليس لأنها
تعمل بل لأنها شردت ولا يدري أحدٌ فيما !

وضع يداه في جيبه وظل يرنوها، إلم تنتبه هي فلن ينبهها هو !+

-فيه حاجة ؟

تفاجأ بصوتها برغم ما بدى عليها من شرود، لكنه قال ببساطة :

-أنا رايح الـ meeting now، تقدري تروحي لو عاوزة

عقدت حاجباها بإندهاش وهي تقول :

-لسا مخلصتش شغل !

ولاها ظهره وهو يسير، ويردف بنبرة هادئة :

-خديهم البيت خلصيه هناك لو عاوزة+

إستعجبت من طريقته الغريبة وظل تنظر له وهو يغادرها، لكن لم تهتم كثيرًا، وبالفعل

جمعت أشياءها وباقي العمل لتغادر به، فهي
في الأساس احتاجت لفرصة كتلك !+

في وقت قصير خرجت من مقر الشركة،
وركبت سيارة أُجرة من أمامها ..+

كانت تفكر في الطريق في الكثير من الأشياء ..

ما أحزنها حقًا وأغضبها، طريقة تعامل أهل
فيروز معها !

كيف يحملونها الأمر هكذا متناسين كل ما
فعله ذاك الحقير بها !

وقد تأكدت بالفعل أن أخوها هو من أقدم
على ذاك القصاص، فقد قال الله عز وجل
"العين بالعين والسن بالسن والجروح
قصاص" أليس الحياة بالحياة أيضًا !

ثم أن ..+

-أحود يمين ولا شمال !

سألها السائق بهدوء، فأجابته :

-لأ خلاص نزلني هنا+

حين غادرت السيارة ظلت تسير قليلًا إلى أن وصلت إلى منزلها ثم صعدت ..+

+....

وفي ذات المكان توقفت سيارته ليخرج هو من السيارة و ينظر إلى المبنى الذي دخلته توًا مبتسمًا وهو يقول :

-وكدة عنوانك بقى معايا، هو آه معايا على الورق بس أنا كنت حابب أسجله في دماغي بنفسي+

نظر إلى ساعته وعاد إلى سيارته قائلًا بنبرة طبيعية :

-صحيح بسببك إتأخرت بس بسيطة يا آنسة جويرية !

وإنطلق نحو مستقر الإجتماع .....!!!!!+

.....!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

٢٦

+

الفصل السادس والعشرون :+

+

أدخلت رأسها من السور الخاص بالدرج، عيناها قد إشتعلتا بوهج غريب، ولأول مرة تخرج عن حد السيطرة لتلك الدرجة ..

لقد شكرت ربها أنها هنا بالأعلى وهو بالأسفل، وإلا لكانت قد ... قد .. قد قتلته!

-كل دة عشان ييجي ورايا وأنا ..

زفرت حتى تخرج ما بها من غضب،
واستندت على السور بظهرها، الأمر أنها لم
تعد تحتمل هذا الكائن في حياتها أكثر من
هذا ...

ألم تعده بالعمل ؟!

لقد وفت بوعدها وعملت، أما هو فقد كذب
عليها، وهي لا تحب الكذب ..

لا تحبه أبدًا ..

فلينسَ إذًا أنها كانت تعمل لديه، الأمر
مفروغ منه ... لن تعود+

لم يكن من الصعب كشف كذبته، فقد
تذكرت ميعاد الإجتماع الحقيقي، لا الزائف،
لذا أسرعت تنظر للأسفل ..

كيف لم تتذكر الأمر قبلًا وانطلت عليها تلك الحيلة السمجة !+

حسنًا إهدأي يا فتاة، الأمر مفروغ منه لا عمل بعد اليوم لدى هذا الكائن ..+

وبعد أن إستقرت على ما أهدأها قليلًا تابعت صعودها الحذر بهدوء ....+

+.....

-لأ يا عم هو أصلًا معندوش أي فرصة يكسب بيها القضية !

قالها هو مندفعًا فجأة فنظر له الآخر بغضب وقال :

-يعني إيه يا براء، يهددك وإحنا نقف نتفرج عليه !

وقف براء ووضع يده على كتفه قائلًا بروية :

-معتصم هو أنا كل ما أحكيلك تتعصب أوي كدة، بجد الواحد معدش هيقولك على حاجة !

أزاح معتصم يده عنه، ورمقه بنظرات مغتاظة وهو يردف بـ :

-يا براء بطل غباء، دول شكلهم سوابق !

ضحك الأخير ولم يتمالك نفسه ليقول بعدها بهدوء :

-ياعم طب ما أنا اتهددت كتير قبل كدة، أصل إنت لازم تدافع عن الباطل في البلد دي عشان تفضل في أمان !+

-دي مسر يابني، أم الدنيا و .. هتفضل أم الدنيا

قالها الدخيل عليهما فجأة فضحك براء بينما ظل معتصم متجهم الوجه ...

نظر براء لآخر من خطى من الباب قائلًا :

-حاضر يا أبان، أم الدنيا !

ذهب نحوهما وهو لا يزال يتحدث :

-أومال ماله معتصم يا براء ها ؟

هز الأخير كتفه وقال ساخرًا :

-زعلان على مسر !

ثم تبعها بضحكته، وبالمثل فعل أبان

حينها نظر لهما معتصم بضيق وسار نحوهما ثم دفعهما برفق من ظهرهما قبل أن يتشدق بـ :

-إطلعوا برة إنتوا الإتنين، يلا ومشوفش وشكوا في مكتبي تاني

ظلا يضحكان وأوقفه براء قبل أن يصل للباب وتكلم بقليل من الجدية :

-طيب طيب خلاص إهدى يا معتصم

أمسك بيده وسحبه خلفه متابعًا :

-تعالى أقعد بس

حينها سار أبان خلفهما وبصعوبة منع نفسه من الضحك ...

ظل معتصم يرمقهما بجدية لم يعتاداها، وخمن كلاهما بعد وقت قصير أن هناك ما يعكر مزاجه بالفعل، لذا حين إستقروا ثلاثتهم على مقاعدهم سأل براء :

-معتصم فيه إيه مالك ؟

أشاح معتصم بوجهه وهو يردف بإقتضاب :

-مفيش

-إزاي مفيش إنت مش شايف نفسك !

قالها أبان بضيق ..

ثم قرب براء مقعده إلى مقعد صديقه وأعاد السؤال بإصرار :

-قول مالك بقى ؟

زفر معتصم بنفاذ صبر وهو يقول :

-مفيش بجد ضغط الشغل بس واليومين دول الشغل زاد أوي، وبس

نظرا له مشككين في حديثه، في حين وقف هو وسار موليهما ظهره بصمت

وفجأة إسدار ليواجههما بعينين جادتين وهو يقول :

-ما .. ما تيجوا نخرج !

نظر كلاهما لبعض بدهشة قبل أن يردف أبان باسمًا بمرح :

-دة بجد !

ضحك براء وهو يقف متجهًا إليه بسيره،
وأكمل واضعًا يده على جبهته يتحسسها :

-إنت سخن يا معتصم ؟!

رفع الأخير يده من على جبهته وهو يردف
بحنق :

-فيه إيه يا جماعة هو أنا قولت حاجة غلط ؟

رد أبان بهدوء :

-لأ أصل إحنا دايمًا اللي بنتحايل عليك
عشان نخرج !

أشاح وجهه عنهما ولم يجيب، أما براء
فأسرع نحو المكتب وإلتقط هاتفه
ومفاتيحه، وأخذ هاتف صديقه هو الآخر
وسار بمحاذاته قائلًا :

-يلا يا أبان قبل ما يغير رأيه

حينها إبتسم أبان ووضع يده خلف ظهره

وكذلك فعل براء وسحباه للخارج ...٢

قبل أن يغير رأيه !+

.....+

تأكدت أن والدها في فراشه نائم ...

صنعت فنجان قهوتها ..

وتوجهت بها ساخنة إلى غرفتها ..+

أغلقت الباب برغم عدم وجود سواها ووالدها

في المنزل !

وأحضرت كتابها ووضعته على الطاولة

بجانب القهوة وجلست على الكرسي ..

أمسكت القلم، وبدأت تدرس بعد أن قالت :

-بسم الله

ولكن قبل أن تمسك الكتاب تذكرت أمرًا،
فأسرعت تمسك هاتفها وتتصل بأحدهم،
وما إن وصلها صوته حتى قالت :

-وعليكم السلام، بقولك يا براء أنا في البيت
ناو يعني متعملش حسابك تيجي تاخدني
+..

لم تطل المكالمة ..

وبدأت بعدها تذاكر ..

مضى بعض الوقت عليها وهي منهمكة في
الدراسة، حاولت التركيز فتركيزها يعمل في
أي شيء بسرعة مثالية عدا الدراسة ولم
تفهم هي لما يومًا !+

لكن وبعد ما يقرب من الأربعة ساعات من
المذاكرة المتواصلة ألقت القلم بعيدًا،

والكتاب إلى حافة الطاولة ووقفت مردفة بحنق :

-هي السنادي هتخلص امت بقى، أوف !+

نظرت في الساعة قبل أن تتسع عينيها وتتحدث بضيق :

-نسيت خالص

ركضت خارج الغرفة متجهة للحمام، وبعد دقائق خرجت منه مبتلة وذهبت نحو غرفتها من جديد وهي تُنْزل أكمامها، وإلى الخزانة إتجهت، وبداخلها نظرت، لتخرج بعدها إحدى عباءاتها السوداء وترتديها، وتتبعها بحجابها، لتأخذ القبلة بعدها وتبدأ بالصلاة ...+

بعد أن أنهت صلاتها كادت تخلع عباءتها لكنها سمعت صوت طرق الباب ..+

ذهبت نحو الباب وفتحته بهدوء قبل أن يطالعها و ...

-المفروض تفرحي لما تشوفيني، مش تكشري !

قالها هو حين رآها تعقد حاجباها بإندهاش لرؤيته

لكنها فتحت له الباب ليدخل وهي تردف بصوت منخفض :

-براء، إدخل ومتعليش صوتك عشان بابا نايم

دلف معها إلى أن قادته لغرفتها، أدخلته وأغلقت الباب ثم نظرت إليه لتردف ببساطة :

-إنت مش ليك أهل تقرفهم جاي تقرفني ليه ؟

لو بيده لها قائلًا :

-طب إستكي وإسمعيني، فيه النهاردة فيلم رعب هيتعرض والكل بيقول جامد و...

-زي بتاغ المرة اللي فاتت، إرحمنا يا براء، كل أفلامك شبه أفلام الأطفال !

قاطعته بضجر، فقام هو وإتجه نحو التلفاز قائلًا بتحدي :

-دة جواه جن وتعاويذ وهتخافي

إبتسمت بثقة قائلة :

-يا شيخ !

ضحك براء حينها، وفتح التلفاز متحدثًا بنبرة ساخرة :

-كون إنك مبتخافيش خالص دي مش مشكلتي أنا !

هزت كتفاها مبتسمة وهي تصعد على السرير، وتجلس عليه لتردف بعدها بهدوء :

-طيب أنا أصلًا زهقانة ..

هي تعلم أنها لن تخاف، ولن يدخل الرعب أي جزء من قلبها، فمنذ صغرها برمجت نفسها على أن كل ما في التافاز خيال، وهل يصح للمرء أن يخشى الخيال !

وحتى ولو كان هناك بعض المشاهد الواقعية، الأمر ليس مجرد برمجة فهي حقًا تفتقد كثيرًا شعور الرعب والخوف، إلا أنها لم تجربهما يومًا ..

ربما لأنهما استبدلا بالألم !+

.....+

مدت يدها له بالمفتاح قائلة بهدوء وهي تقف قرب منزلها :

-مش عارفة كان لازمته إيه تتعب نفسك وتصر توصلني يا عقاب، الموضوع مكانش مستاهل

إبتسم لها بود وهو يردف بنبرة طبيعية :

-أنا شوفتك تعبتي ومش تقدري تسوقي بنفسك !

إبتسمت تبادله الإبتسامة مجاملة، ثم قالت بنبرتها الرقيقة :

-شكرًا عقاب، أنا بس عشان مش متعودة على الشغل، بس متخافش شوية وهبقى تمام إن شاء الله

اومأ رأسه بنفس الإبتسامة، وسألها وهو ينظر للبيت خلفها ويقول :

-امممم أومال إنتي عايشة في البيت دة لوحدك ؟

عقدت يديها أمام صدرها، ونظرت للبيت خلفها قائلة بشجن :

-آه ما إنت عارف، بس معايا سلمى وباقي الـ servants

وضع يده بين خصيلات شعره وأرجعها للخلف وقد بدى عليه الشرود، لكنه قال فجأة :

-طب ما .. تسبيها وأنا أجيبلك واحدة تانية في أي مكان تختاريه !

الأمر أشبه بمن يعرض عليها ترك وكر الأحزان والآلآم والإنتقال إلى وكر خالٍ من النقاط السوداء، والعجيب انها كانت تفكر في الأمر ذاته البارحة !

لذلك وبنبرة بها بعض اللهفة قالت :

-آه موافقة، أنا أصلًا إمبارح كنت بفكر في كدة !

-خلاص بكرة نخلص شغل بدري، ونشوفلك بيت في مكان تحبيه و..

قاطعته بسرعة :

-طب أنا عاوزاه في مكان بين الناس، أقصد شعبي

عقد حاجباه مستعجبًا مما قالته، ثم سألها :

-شعبي !

-أيوة

-ليه ؟ ، أقصد إشمعنا !

أجابته بهدوء يخفي لمحة من الحزن إلتقطها هو :

-عارفة إني غنية، بس أنا مش عاوزة أكون لوحدي، البيت دة كان محدش بيسمعني منه حتى لو صرخت، عاوزة .. عاوزة ..

-تحسي بالأمان

أكمل لها جملتها فجأة فنظرت له حينها وأومأت رأسها تؤيده

إبتسم لها مطمئنًا إياها، وقال :

-قادرة ناو ولا تعبانة ؟!

هزت رأسها نافية على فورها وقالت :

-لأ معتش تعبانة !

حسنًا، هي تريد أن تنهي كل رابط يجمعها بذاك البيت، ومن الآن، وهو بحكمه صديقًا يريد مساعدتها لتنسى

إتجه نحو سيارته بعد أن قال لها بروية :

-طب أنا عارف شقة كويسة ممكن تعجبك،
بينا عليها

ذهبت معه بدون أن تقول أي شيء،
وإكتفت بركوبها السيارة معه ردًا ...

وإنطلق بسيارته بعدها مقدرًا حالة الصمت
التي وصلت لها ..+

هو يتذكر أنها كانت من أشهر الفتيات في
الجامعة قديمًا،

يتذكر مرحها وسعادتها، لكنها إختلفت الآن ..

في السابق كان يعاملها جيدًا لكي يضمن أنها
ستساعده في الدراسة، والآن هو يعاملها جيدًا
ليس فقط ليرد لها الجميل، بل لأنه يريدها
أن تعود كما كانت، لا لشيء فقط يريدها
مرحة !+

بعد القليل من الوقت كانوا قد وصلوا إلى مقصدهم ..

إرتجلوا من السيارة، ودنى منها وهو يحك أنفه قائلًا :

-بصي هي دي العمارة، عارف إنها مش في مكان راقي أوي و ..

-لأ أنا حابة كدة، تعالى نطلع نشوفها

-طيب المفتاح مع البواب، نجيبه ونطلع+

بعد دقائق قليلة كانوا في داخل المنزل، جابت هي أركانه فقد أعجبها كثيرًا برغم أنه ليس ضخمًا مثل الآخر ..

وبعد أن نظرته كله أردفت بثقة :

-عجبني

إبتسم عقاب وسألها بجدية :

-يعني هاتخديه ؟

أومأت رأسها مرتين قائلة :

-أيوة عجبني، وهجيب سلمى بس معايا

-خلاص، أنا هخلص الإجراءات ومن بكرة البيت دة بتاعك

نظرت له، ثم نظرت للمنزل، فلقد أحبته كثيرًا ولم تعد تريد الذهاب إلى آخر ..

تابع عقاب نظراتها، ثم سألها بحيرة :

-كاثرن، مالك ؟

هزت رأسها نافية أن لا شيء، وكادت أن تخرج من المنزل إلا أن قال :

-مش عاوزة تمشي ؟

إستدارت لتنظر له، فتابع هو قائلًا بجدية :

-خلاص خليكي هنا النهارة، وبكرة لما تروحي الشغل هخليهم يرتبوه، بس وهتلاقي سرير جوة، وأنا هبعت أجيبلك عشاء

رفعت حاجبها بإندهاش وهي تسأله :

-هو إنت عرفت إزاي أنا إتفرجت لوحدي !

ضحك قائلًا :

-آه ما أنا شوفتها إمبارح عشانك، وكنت واثق إنها هتعجبك ..

كتفت يداها وهي تردف :

-خلاص يبقى اتفقنا، بس عاوزة عشاء جامد

ضحك الآخر وقال :

-على الأقل لسا مفجوعة زي الأول ..+

+.....

تثاءبت مرة أخرى وهي ترى ذو المخالب الطويلة يقطع رأس الرجل المسكين ودماؤه قد إنفجرت فشرت منها ذو المخالب حتى إرتوى ..

أرجعت رأسها للخلف قائلة :

-أجيبله ترشي يبلع !

نظر لها المندمج مع الفيلم وأردف بضيق :

-إنتي ميؤوس منك !

-بالله إنت رهيب، قولتلك الفيلم هيبقى زفت ومصدقتش

-يابنتي دة مصنف على إنه أكتر فيلم رعب مرعب السنادي

ردت ببساطة :

-طيب، بس الفيلم المرعب أوي دة هيخلص إمت ؟!

وضع يده على جبهته بخيبة أمل، ثم أغلق التلفاز بجهاز التحكم مردفًا بـ :

-إرتاحي يا جويرية إعتبرية خلص

نظرت له وقالت تغيظه :

-أكتر حتة ضحكتني بجد لما الراجل شال عين التاني وهي بنزل دم، وفضل يلعب بيها بينج بونج

أجابها بنبرة هادئة :

-إنتي فعلًا مش بنت، إنتي مش معقول أصلًا تبقي بنت !

تثاءبت مرة أخرى وألقت بجسدها على الفرلش، وسحبت الغطاء فوقها قائلة :

-أيوة أيوة أنا مش بنت، يلا بقى حل عني وروح

نزع الغطاء من فوقها وهو يردف بضجر :

-لأ مش هروح

-بابا هنا يا بابا ملكش مكان عندي يلا على بيتك،

ثم تابعت وهي تشد الغطاء منه :

-وهات دة

-ليه في سرير تاني ولا إنتي ناسية

قالها ضاحكًا، فنظرت له قليلًا قبل أن تقول :

-لاجيئين !

إتجه نحو السرير الآخر قائلًا بنبرة ساخرة :

-أنا برضوه لاجئ، ماشي هسيبك بس عشان عندك شغل بكرة

أجابته بنبرة خافتة :

-لأ معدتش هروح

وقف بعد أن حلس توًا على السرير وسألها بسعادة :

-بالله عليكي !

أجابته ناظرة إليه بهدوء :

-أيوة

-ليه !

لم يكن سؤاله في الحسبان، لكن على أية حال هي لن تجازف وتخبره لما، فهو متهور وإن علم ماحدث فاسيثور ..

-عادي، إتخنقت منه

قالتها بثبات، ثم أغمضت عينيها، فذهب هو إليها ونزع الغطاء عنها من جديد قائلًا ببرود :

-ومفكرة إني هسيبك تنامي، دة إنتي بتحلمي !

جلست على السرير بعد أن أيقنت أنها لن تنام بسلامٍ الليلة، وقالت بهدوء :

-أحسنلك ترجع الغطا، لحسن تبات ليلتك زي القطط في الشارع ..

هز رأسه غير مكترث بما تنطق، ليجيبها بعدها بنفس البرود بـ :

-عادي ساعتها هروح البيت !

ضمت ركبتيها ووضعت رأسها عليهما وأغمضت عينيها قائلة :

-طب ما تهويني طلاما إفتكرت إن عندك بيت !

سحب يدها فرفعت رأسها ناظرة له بضيق وقالت :

-مالك يابني ماتسيب خلق الله يناموا بقى !

لم يترك يدها وإنما سألها بدهشة :

-ومن إمت إنتي بتنامي بدري ؟

-ما أنا صاحية بدري، وطول اليوم بذاكر

-طول اليوم !

-يا براء أربع ساعات يعني طول اليوم على فكرة

ضحك وترك يدها قائلًا :

-كتر خيرك، بس برضوه أنا مش عاوز أنام

ردت بفضب :

-وأنا عاوزة

إستفزها بالقول :

-الأغلبية للأكبر

إبتسمت ترجع رأسها للخلف وأردفت :

-بكام شهر !، لاء مش لاعبة

-أنا مش حايلي نوم، وجاي النهاردة بالذات
أخنقك في عيشتك، عشان كدة إنتي
هتسكتي خالص وهتسمعيني وأنا بتكلم ..

كان ردها أن وضعت رأسها على الوسادة
وأغمضت عينيها، فياله من مزعج ..!+

+.....

واقفًا عند مفترق الطرق، لديه طريقان

كلاهما يشبه الآخر لدرجة رهيبة، فأي المسلكين يسلك !

كان الظلام قد عبأ المكان من حوله، وشعر لدرجة رهيبة أنه يكاد يختنق ..

ولم يتحرك من مكانه من عند المفترق ..

وحين يستدير إلى الجهة التي أتى منها، يرى كل ما يكرهه من مشاهد ..+

أغمض عينيه حين شاهد تمه يقتل أباه من جديد، ولمَّا أن سمع صوت صراخ أمه المستجدي سد أذنه ..

الكابوس نفسه، ومرة أخرى لا يدري كيف الخلاص منه !+

إستدار وقرر أن يسلك إحدى الطرق، لكنه حين رآهما تملكته الحيرة من جديد، فلربما كان ذاك الطريق أسوأ بكثير ..

وضع قدمه في إحداهما، وكاد أن يخطو فيه،
لكنه إستدار راجعًا حين سمع صوتًا يناديه ..

رجع لمكانه الذي كان فيه، وظل يدور حول
نفسه ليعلم من كان يردد إسمه، ولأن
الصوت كان مألوفًا لدرجة غريبة حاول
تحديد صاحبه، وفجأة رآى والدته مع عمه في
غرفة ما، وحدهما، حينها نسي الصوت
ونسي كل شيء، هو فقط يريد الإبتعاد ..

لكن حينما إستدار عادت إليه الحيرة ..

لم يعلم أين يسلك، في كل مرة يحلم فيها
ينتهي الكابوس هنا، بعد أن يتعذب برؤية
تلك المشاهد مرارًا وتكرارًا !+

فجأة وجد في الطريق الأيمن فتاة ما، تلك
الفتاة يعرفها جيدًا، لذلك أسرع نحوها وظل
يمشي وراءها وهو ينادي :

-جويرية، جويرية .. جويرية !

لم تجبه، لكنها يعلم أنها هي، ظلت تمشي إلى أن وصلت لنهاية الطريق وتوقفت، فظنها ستنظر له، لكنها لم تفعل، بل توقفت أمام مفترق الطريق هي الأخرى !

رآها تنظر خلفها، ليس له بل لما كان واءه

لقد كانت خلفه أيضًا، لكن ليست وحدها بل ممسكة بيد نفسها وتبكي عليها !

نفسها، أو أخرى تشبهها تمامًا ..

إختفت من خلفه، لتظهر بجانبه من جديد، لكنها تلك المرة لم تكن تبكي على نفسها، بل على سيدة أخرى، ..

نظر لها لكن من قف أمامه لا خلفه أو بجانبه وسألها بنبرة عالية :

-مين دول ؟

لم تجبه، أو ربما لم تسمعه أصلًا، بل كانت واقفة تنظ إلى من تبكي عليهم في الجهة الأخرى بألم

إقترب منها وحاول أن يمسك يدها، لكن لا جدوى فبمجرد أن حاول لمسها إختفت من أمامه ..

دار حول نفسه لربما يجدها، لكن لا فائدة لأنه وجد نفسه بعدها في منزله ..

والهدوء قد سيطر على الجو .. وأسكنه ..

وحينها سمع صوتًا غريبًا، صوتًا لموسيقى مزعجة حاول أن لا يصغي إليها، لكن صوتها إخترق أذنه ..+

وفجأة فتح عينيه وإنتفض من على السرير

..

تنفس الصعداء حين إنتهى ذلك الحلم المزعج، ومع ذلك لم يفهم أي شيء، لما شاركته الحلم !

ووجد نفسه يتساءل سؤالًا غريبًا :

-هو أنا قدرت أشوفها من جوة ؟!+

نظر للساعة فوجدها السابعة، قرر أن يذهب لإرتداء ثيابه الآن، فقد أصرت عليه رغبتة برؤيتها في أسرع وقت ..+

+.....

بمجرد أن إنتهت من إرتداء ثيابها وجدت جرس الباب يرن ..

تعجبت فأنى له أن يأتيها بتلك السرعة !

ذهبت وفتحت الباب، وبمجرد أن رأته قالت :

-عقاب هو إنت لحقت ؟

إبتسم لها ووضع يده علاي شعره قائلًا :

-إيه دة هو أنا مقولتلكيش، أنا ساكن فوقك

إتسعت عينها بإندهاش وهي تردف بـ :

-نعم !

-أيوة، ساكن فوقك على طول

وضعت يدها في خصرها متسائلة :

-طب ليه مقولتش ؟

رد بهدوء :

-مجاش فرصة أقول، المهم أنا مجبتش عربيتك إمبارح، عشان كدة هتضطري تخليني أوصلك

-ها !

أردفت بها بصدمة، فأجابها هو :

-مالك يا كاثرن ؟!

أجابته بفتور :

-مفيش، بس إستغربت، فكرتك جيبتها

-معلش والله كنت تعبت خالص و..

قاطعته بإحراج :

-لأ مقصدش، أنا بس اللي بتقل عليك !

أومأ رأسه مؤيدًا إياها وقال :

-آه جدًا مقولكيش،لدرجة إنك تخليني أخبط عليكي وآخدك بالعربية مرة واحدة، لأ كتير مقولكيش !

نظر لها بجدية بعدها وتابع :

-كاثرن بطلي الكلام دة، هو أنا بعنل إيه يعني !+

+.....

إستيقظت صباحًا على صوت هاتفها،
أمسكت الهاتف ونظرت للمتصل في حنق
ولم تجبه، وقررت أن تتابع النوم

ظل الهاتف يرن عدة مرات فإغتاظت وقامت
بإغلاقه تمامًا وهي تقول :

-إبقى إتصل حلو ..

نظرت إلى السرير في الجانب الآخر فوجدت
براء نائمًا وقد إنتُزع الغطاء من عليه، فنزلت
من على السرير، وغطته بغيظ لتردف بعدها
:

-إبقى قولي تاني هاجي أنام عندك، ساعتها
هطردك على طول صدقني

عادت إلى سريرها وهي تتثاءب، فبراء لم يجعلها تنام إلا بعد أن صلت الفجر، يا الله كم هو تقي !

كادت أن تضع رأسها على الوسادة عندما سمعت جرس الهاتف الأرضي

-أشوفك محروق يا صهيب

إضطرت أن تذهب إلى الهاتف، وتجيب لكب لا يصحوا من بالمنزل

-السلام عليكم

قالتها عبر الهاتف بهدوء عجيب، فأتها الرد من الجانب الآخر بضيق :

-مش معقول كل دة تأخير و..

قاطعته بنبرة حاسمة :

-أستاذ صهيب أنا مش جاية الشركة تاني، أنا إتعاملت معاك بمصداقية، لكن بمجرد إنك تكدب فدة يديني الحق أخل بالإتفاق

أجاب عليها متسائلًا بحيرة :

-مش فاهم، وأنا إمت كدبت !

ردت بدون تردد :

-أنا عندي إجتماع ناو تقدري تروحي، يا ترى مين فضل ماشي ورايا !

إتسعت عيناه فهو لم يعلم أبدًا أنها رأته، ومع ذلك قرر أن يجاريها فقال :

-الموضوع مش كدب و..

-إنك تداري كدبة، بتانية أكبر دي مش من الحكمة !

سأبها بخبث :

-يعني إنتي عمرك ما كدبتي ؟

أجابته بثقة :

-كدبت، بس معاك إنت مكنش فيه فرصة أكدب، وعشان كدة مش من خقك تكدب عليا أبدًا !

لم يتوقع ذاك الرد أبدًا، والرائع أنها لم تكذب أبدًا وأجابته بثقة لا تخشى رده بعدها !

-يعني إني تبع مقولة، "لأ ما اللي هعمله في الناس ميطلعش عليا" !

زفرت بنفاذ صبر، وقد شعر هو أنه بدأ يتسنفذها، فقال :

-طيب هتيجي الشغل امت

-مش هاجي

كانت تلك إجابتها دون أن تطرف لها عين ..

رد عليها بهدوء :

-بس إنتي كدة كدة لازم تيجي، ولا إنتي نسيتي العقد !

رفعت حاجبها الأيسر، وسألته بجمود :

-عقد إيه ؟

رد عليها بنبرة سمجة :

-اللي إنتي وقعتي عليه، بحيث إنك لو سيبتي الشغل قبل شهرين من دلوقت هتضطري تدفي ٣٠٠,٠٠٠ جنيه

إبتسمت بهدوء، وردت عليه ببرود :

-يا أستاذ مش أنا اللي حد يستغفلني، أنا قبل ما بكتب إسمي على حاجة بقرأها كويس !

وصلتها تنهيدته الحارة، وصوته المفعم بالتحدي وهو يقول :

-طب لو الورقة فاضية ؟

أجابته بنبرة مستفهمة :

-قصدك ؟

-إمبارح لقيت ورقة كاتبة عليها إسمك، شكلك كنتي سرحانة، المهم لقيت ليها حل أصرفها فيه !

أجابته بنبرة جليدية :

-تمام، قولي إمت هروح على السجن عشان بس أبقى عاملة حسابي ..

ثم أغلقت الهاتف، ونزعت منه أسلاكه ..+

وقفت بعدها متجهة نحو غرفتها وهي تقول :

-أهو حتى السجن تغيير جو

ثم ضحكت قائلة :

-أنا عمري ما كتبت إسمي على ورقة إلا لما كنت عارفة إيه اللي فيها !

ثم جلست على السرير لتنام بعدها بهدوء

+..

+.....

لم يستوعب ما حدث قبل ثوان معدودة،

مع أنه كان يعلم كم هي عنيدة، إلا أنه لم يصدقك أن يصل بها العند لتلك الدرجة ..

أمسك الورقة الفارغة عدا من إسمها في نهاية الورقة، لقد حصل عليه حينما كانت تحادث أحدهم في الهاتف البارحة، ويبدوا أنها

كانت شاردة معه تمامًا لدرجة أنها لم تلحظه

+!..

ترك الورقة، وأمسك هاتفه وطلب أحدهم،

ثم وضعه على أذنه ليردف بعدها بهدوء :

-أيوة يا عقاب، أنا عاوزك تكلملي المحامي،

وتقوله يعدي على مكتبي بعد ساعة

+!!!.....

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

٢٧

الفصل السابع والعشرون :+

+

حتمًا هو يستحق ما حدث له!

ظلت تنظر إليه وهو ملقى على الأرض، فلقد وقع وهو يستدير للجانب الآخر على الفراش، ولم يدرك أن إستدار بما يكفي فوقع أرضًا!

-بتبصيلي كدة ليه ؟

سألها هو في ضيق، فردت عليه ممبتسمة ببرود :

-شمتانة فيك بصراحة يا براء، عشان متخلنيش أنام طرل الليل

قام من على الأرض متجهًا لها وهو يردف بسخط :

-أصلًا سريرك دة صغير ومش مريح!

رفعت حاجبها الأيسر قائلة بإستهجان :

-دة على أساس إني أرغمتك تنام في أوضتي!

وضع يده خلف رأسه وهو يتحدث :

-آه صحيح، طب قومي يلا اعملي فطار أنا جعان

قامت من على السرير قائلة :

-لأ إعمل إنت فطار وأنا هروح أطمن على بابا

-لأ إعملي وأنا هطمل عليه

ردت بصوت حاسم :

-قولتلك لأ مفيهاش حاجة لو عملته النهاردة

أجاب بغيظ :

-ماشي يا جوري أما نشوف أخرتها معاكي+

-السلام عليكم

قالها والدها وهو يدلف من الباب، فاستداروا سويًا ناظرين له بشده ...

أردفت جويرية بقلق وهي تسرع إليه :

-بابا، إنت ليه قومت و..

قاطعها هو برفق :

-أنا الحمد لله يا جوري، وبعدين هتفضلي حبساني في الأوضة كتير !

أسندته وهي تسير به نحو أحد الأسِرَّة المتواجدة في الغرفة، حتى أجلسته عليه قائلة بهدوء :

-مش بحبسك بس عاوزاك تخف بس

إبسم لها وقبل ؟ن ينطق بحر وجد براء قد تدخل قائلًا :

-يا عمي هي مش بس بتحبسك لأ دة بتجبر الضيوف يعملوا فطار!

نظر له عبد القدوس ضاحكًا وسأله :

-وهو إنت ضيف برضوه يا براء ؟

لكنه لم يكن يدري أنه يدعمها بتلك الطريق، ثم قال فجأة :

-لأ لأ أقصد إن ...

قاطعته جويرية وهي تنظر لبراء بإنتصار وتقول :

-معاك حق يا بابا، يلا يا براء إعمل فطار!

نظروا لها سويًا، وغلفت نظراتهم الضيق، والمرح ..

فهي لا تترك أي فرصة تضيع منها ...

ومستسلمًا ذهب نحو المطبخ ليعد الفطور، وقبل أن يبتعد سمع صوتها الهادئ :

-وآه، متقلش الشاي، إنت عارف إني بحبه خفيف!

إستدار لينظر لها فوجدها تبتسم له، لما شعر أنها غاضبة من شيء ما وتريد إفراغ غضبها فيه!

الأمر لا يتعدى بضع ساعات أزعجها فيها ليلًا!+

بعد أن أنهو فطورهم، كان الجو ساكنًا، وبهدوء بدأت جويرية تنتزع الأطباق وتضعها في المطبخ لتغسلها بعدها بصمت ..

وبرغم أن أحدًا لم يفهم ما يزعجها من بكرة الصبح، إلا أنهم ظلوا يحادثونها علها تبوح بما تخفيه ...

لكن كعادة جويرية، لم تتفوه بكلمة+

أما هي فقد كانت تفكر في تلك المكالمة، وفقط بعد أن استيقظت بدأت تفكر في إحتمالية وجود توقيعها على ورقة بيضاء بالفعل!

فالبارحة كانت على درجة كبيرة من الشرود، ولربما ..

فجأة رفعت رأسها وهي تتذكر حينما حادثت فيروز!

وبعدما سمعت ما حدث لها انفعلت، وبدأت تتناسى العالم من حولها، حتمًا حصلت الورقة على توقيعها آن ذاك، فهي لا تركز كثيرًا حين تغضب ..

وعادتها منذ صغرها أن تكتب إسمها مرارًا على ورقة أمامها إن توافرت ..

-غبية

قالتها بغضب بعد أن وصلت لتلك النقطة ..

أخذت نفسًا عميقًا لتدرك بعدها أنها انتهت من عملها ولم يعد هناك أي أطباق لتغسلها

..

نفضت الماء عن يديها، وأنزلت أكمامها وسارت خارج المطبخ ..

لم تعلم ما الخطوة القادمة، لكنها شعرت بالغضب من نفسها، لأنها وصعتها في ذاك الموقف الحرج، وهي واثقة أن صهيب لن يضيع الفرصة أبدًا!+

-مالك أبت ؟

فاجأها براء بسؤاله، فنظرت له أجابته بهدوء :

-مفيش

كاد أن يتابع مشككًا في قولها، إلا أنه سمع صوت جرس الباب، فنظر لها حينها وقال :

-إستني هفتح

ذهب بسرعة نحو الباب، وحين فتحه وجد طفلًا لم يتعدى العاشرة، سأله براء مبتسمًا :

-عاوز مين ؟

هز الطفل رأسه نافيًا وأردف بثبات :

-مش عاوز حد، عمو اللي تحت قالي أدي الآنسة جويرية الظرف دة

مد براء يده ليأخذ الظرف مستعجبًا، وسأله ثانية :

-عمو مين ؟

هز الولد كتفه أي لا يعلم، وتحدث :

-عمو كان في الشارع، وإداني فلوس عشان أوصلها الجواب دة، وقالي لازم هي تقرأه ..

هز براء رأسه موافقًا وقال :

-خلاص هديهولها و..+

-فيه إيه يا براء ؟

سألته جويرية بهدوء ..

إستدار لينظر لها ويعطيها الظرف قائلًا :

-في حد بعتلك الجواب دة مع الـ ..

حين جاء لينظر للولد مرة أخرى كان قد إختفى، فعلم براء أنه ذهب وأغلق الباب متابعًا :

-الواد مشى، المهم افتحي الظرف دة اما نشوف فيه إيه ؟+

لماذا بمجرد أن قرأت لـ "آنسة جويرية" ..
خمنت صاحبه!

زفرت بضيق واضح، وفتحت الظرف برويّة
لتجد بداخله ورقتين، الأولى كان بها بعض
الكلمات ونصها ..

"كنت حاسس إنك محتاجة دليل ملموس،
فاصورتلك الورقة دي، ملي عنيكي منها
كويس"

إحتقنت عيناها، وتجهم وجهها فقد تيقنت
من صاحبها ..

هناك بعض الناس نعرفهم صدفة لكي
يعكروا صفو حياتنا غير الصافية!

هاك حدثها عقلها ..+

نظرت للورقة الأخرى وإبتسمت ..

من التجهم للإبتسام، وإنفرجت شفتاها عن إبتسامة عريضة آبية إلا البقاء ..+

نعم لقد نفذ تهديده بالفعل، وهذه نسخة من التهديد ..

-يا جويرية !

نظرت له وأعطته الورقة لكي يشبع فضوله وهي تردف بهدوء :

-خد يا براء شوف

نظر للورقتان ولم يكد يصدق، فهي قد إبتسمت وهي ترى ورقة تشبه تلك التي عكرت حياته لعام كامل!

نظر لها بغضب وقال :

-إنتي إزاي توقعي على ورقة زي دي ؟

زفرت بهدوء، ونظرت له بثبات لتردف يعدها
:

-موقعتش على الورقة كدة ..

سألها بنفس الغضب :

-أومال ؟

-كانت فاضية

هز رأسه وهو يقول بنبرة هدأت قليلًا :

-طب هتتصرفي إزاي ؟

أجابته ببساطة :

-اللي أكدلي إنها مش مزورة، توقيعي، عشان
محدش يقدر يزوره، وعادي بقى يشوف هو
هيعمل إيه ويعمله!

قطب حاجباه في ضيق قائلًا :

-دة مش هيفكر مرتين قبل ما يدخلك السجن يا جويرية!

سارت من أمامه بهدوء وهي تقول :

-لو إنت مكانه، هتستفيد بحاجة لو دخلتني السجن، وخاصة إنك عارف إني مش هرجع في كلامي ؟!

لم تنتظر إجابته وهي تذهب لغرفتها وتتابع :

-أكيد لأ

لكنها إستدارت فجأة محدجة إياه بنظرات ثابتة، وإقتربت منه قائلة :

-عارف يا براء يعني إيه إنسان عايش مش عارف هو عاوز إيه، وفجأة لقى لعبة جديدة وعجبته أوي وحس أنه بجد عايزها، صدقني ساعتها هيعمل كل اللي يقدر عليه عشان ياخدها وتبقى ليه ...

صمتت قليلًا قبل أن تتابع :

-بس المشكلة لو اللعبة دي في علبتها،
وعلبتها مش من بلاستيك!

علبتها من الصُلب ...!!+

زفرت لتتابع بنبرة خافتة :

-أكيد لو نفسك في اللعبة دي هتبعد عن كل
حاجة تإذيها من جوة عشان تضمن إنك
هتطلعها سليمة!+

سألها بهدوء :

-قصدك إيه ؟

أجابته ببساطة :

-دة مجرد تهديد يا براء عشان أرجع الشغل
مش أكتر ..

-وهترجعي ؟

ردت بثقة :

-عيب ومن إمت أختك بترجع في كلامها ؟!+

ظل صامتًا يراقبها وهي تدلف إلى الحجرة، ساكنة، هادئة، وكأن شيئًا لم يكن ..

إن كانت طيبة لا تخشى غدر الناس لحذرها، لكنها مُعلمة ممتاذة في تفادي أذى الناس، ما بها إذًا !

منذ متى تأمن غدر أحدهم بتلك الطريقة ؟!

بات يخشى عدم إكتراثها بما حولها حقًا، لربما كان ذلك مرضًا أو ما شابه يصاحب الإنسان بعد البرود الطويل ..!

هز رأسه ينفض عنها كل تلك الأفكار الغريبة، لابد وأنها .. وأنها حللته كما تحلل شخصيات البشر ..

يتذكر يومًا أنها قالت له .. "أنا بلاقي نفسي
فاهمة اللي قدامي بعد يومين تعارف،
سعات كتير بكون عارفة الخطوة الجاية اللي
هيقوم بيها، ومعظم الوقت بكون عارفه
كلامه اللي هيقوله من قبلها" ..

لما العجب الآن، فهي لم تحكم يومًا على
بشري إلا وصح حكمها !+

+.....

رحل هو بعد أن تأكد أن الرسالة قد وصلت
لها، وأسرع بسيارته حين خلا الطريق أمامه ..

كم يتمنى لو رآى تعابير وجهها بعد أن
إستلمت الظرف!

هل يا ترى غضبت أم إبسمت ببرود كعادتها
..

حسنًا، الأمر لم يعد يشكل فارقًا لأنه لم يرها
!+

فقط سيطر عليه في بداية هذا اليوم وإلى الآن
رغبة عمياء برؤيتها ..

وهو لا يملك القدرة على ردعها، لكن ربما
يمتلك القدرة على رؤيتها اليوم !

لقد كان متأملًا صباحًا رؤيتها، لكن للأسف
بسبب خطأ بسيط لم يستطع ذلك ..

هل كان عليه حقًا أن يقف طويلًا تحت
منزلها !

بل ما الداعي أن يسير خلفها وعنوانها مدونٌ
لديه في ورقة!

لم ينتبه لنفسه إلا حين سمع صوت سيارة
ما كادت أن تصتضم به، لولا إنحرافه عن
المسار في الوقت المناسب ..

بعدها أسرع في الطريق المخالف وهو يقول :

-ما أنا مغلطش لما قولت إنها أخطر منهم!

بس مش مهم النهاردة هشوفها ولو عملت إيه ...+

لقد أخذه تحدي، وحتى أنه ذاته لا يفهم لما يهتم برؤيتها كثيرًا ..

لن ينكر أنها .. أنها بالفعل تلفت الأنظار ببراعة وخاصة أنظاره، ولن يخفي على نفسه أنه لم يستطع تجاهلها مذ رآها أول مرة ..

لكنها تظل أنثى ... فلما النظر لها صار إدمانًا إذًا ...!!!

أمسك هاتفه ونظر له نظرات هادئة، ثم أردف فجأة :

-أما نشوف ردها ..

أوقف السيارة في ركن هادئ ليستطيع محداثتها ..+

بعد أن طلب الرقم ظل بفارغ الصبر ينتظر الإجابة ..

هو لم يتصل على هاتفها الخاص، فهو لا يزال مغلقًا، و..

-السلام عليكم !

أتاه الصوت عبر الهاتف بهدوء، فأجاب بنبرة خافتة :

-وعليكم السلام ..

وصله صوت نفس عميق أخذته قبل أن تتحدث بنبرة حانقة :

-نعم !

إبتسم وهو ينظر للسماء فوقه من خلال نافذة السيارة، ثم يقول بنبرة طبيعية :

-ها قولتي إيه ؟

أجابته درن تردد :

-مغيرتش رأيي

رد ببرود :

-يعني هاتدخلي السجن عادي ؟!

أجابته بروية :

-آه بسيطة

رفع حاجبه الأيمن، فقد أدرك أنها واثقة من أن ذاك مجرد تهديد ..

من المستحيل أن يقدم على ذلك فهو لا يتحمل لأغراضه التلف !

أغراضه !!

لما يقول هذا ؟+

-أنا سمعت إن والدك لسة طالع إمبارح من المستشفى، مش ممكن الخبر دة يتعبو برضوه ؟

سكنت لثوان، واتاه من خلالها صوت أنفاسها الهادئة قبل أن تردف بنبرة غامضة :

-كله يرجعلك وأنا مش هغير رأيي ...

حسنًا،لقد أفقدته صوابه فكيف يقنعها إذًا !

ما زال لا يصدق أن لديه دليلًا ضدها وها هو يتفاوض معها على الرجوع إلى العمل !

فتح باب السيارة وترجل منها ليتنفس بحرية أكثر، ثم سألها بشرود :

-ليه ؟

لم يسمع لها ردًا، لأنها وببساطة شعرت أنه بدأ يغير دفة الحديث فصمتت ...

لكنه لم يصمت طويلًا ليسمع ردها حتى يردف :

-أنا عاوز أسألك سؤال، إنتي مبتتأثريش يعني هتفضلي كدة كتير ..!!

صمت قليلًا ليأخذ نفسًا حادًا ويتاطع ينبرة أعلى بقليل :

-أنا عمري ما نصحت حد بس إنتي هتتعبي أوي لو فضلتي كدة ..

كاد يقسم حينها أنه شعر بإبتسامتها تخترق الهاتف، تلك إبتسامة تواجه الألم بصدر رحب +..

وبالفعل لم يخب حدثه فقد كانت مبتسمة متجهمة الوجه، ناظرة أمامها بشجن في الفراغ ..

تابع هو بنبرة أقل صخبًا :

-هتتعذبي، وكل يوم تطاردك لحظات بشعة من ماضي خلاقي تقاسي !

ها .. هاتحسي إنك لوحدك حتى لو وسط ناس كتير، وتبدأي تشككي في كل الناس حتى لو بيحبوكي، هتبدأي تفكري ليه ممكن يكونوا بيحبوكي ؟

ممكن دة إشفاق !+

حين أدرك أنه انساق كثيرًا هدأ، لن تجيبه ولو بحرف، بل يكاد يحسد نفسه أنها لاتزال على الخط ...+

وصله ردها الجاف في النهاية :

-أظن ردي وصلك يا أستاذ، سلام عليكم ..

قالتها وبم تنتظر رده، بل أغلقت الهاتف على الفور ..

نظر لهاتفه وزفر بشدة، ثم ركل حصى أمامه بعيدًا وهو يقول لنفسه بضيق :

-مالي، ليه إتكلمت كدة ؟ ، هو أنا ليه عاوز أشوفها ؟!

ما مش معقول كل مرة أحطه تحت مسمى الفضول، أنا من إمت أصلًا كنت بكدب على نفسي !

آه مش قادر أتجاهلها، ومش هكدب من يوم ما شوفتها حياتي إتغيرت وبقت أحسن من الأول ..

بقى ليها لون مختلف !

وعشان كدة أنا لازم أشوفها النهاردة ..+

+.....

أنهت المحادثة معه وقد لمعت عيناها بالدموع، وكأنه ... وكأنه كان يقصد أن يلمس وترًا حساسًا في قلبها، يشعرها برغبة ملحة في البكاء !

مدت يدها إلى عينها وفركتها لتتأكد من عدم نزول أي دموع ..

وبالرغم من أن كل كلمة قالها كانت صحيحة تمامًا، إلا أنها سألت نفسها :

-ليه مابينصحش نفسه قبل ما ينصحني ؟!

وقفت حينها وتوجهت لغرفة والدها لتراه، لربما تنسى الحزن الذي سكن قلبها ..+

+.....

لقد قررت الخروج من عزلتها لترى الشارع حولها ..

منذ تلك الحادثة وهي تسكن البيت لا تغادره، لكن بعد أن شعرت بالإختناق من المنزل ومن كل شيء حولها فيه ... قررت الخروج، فهي غير معتادة على البقاء في المنزل أطول من هذا !

زفرت بهدوء وسارت بعيدًا ...

لقد خرجت بدون إخبار أخيها، لكنه لن يعود الآن من عمله وهذا جيد

كانت كلما سارت أكثر، يتجلى أمامها البحر أكثر ..

كم هو رائع !

سارت بعض الخطوات الأخرى التي تفصلها عنه، ثم وقفت أمامه حين وصلت له ..

جلست على الرمال الباردة، وضمت قدميها ناظرة له ..

إلتفتت حولها فوجدت البحر خالٍ إلا من بعض الأشخاص القلائل ..

وبرغم هذا شعرت بقليل من الأمان لوجودهم ..

أعادت النظر للبحر من جديد، وشردت فيه طويلًا ..

كان البحر ساكنًا تمامًا وكأنه ينتظر منها أن تتحدث، وبالفعل إختنق صوتها بين عبراتها حين بدأت تقول :

-أنا مخنوقة أوي، مخنوقة لدرجة إني نفسي أموت، ولو طايلة لكنت رميت نفسي جواك و ارتحت ..

كل يوم بيعدي عليا بيبقى أصعب من اللي قبليه ..

مش بتحمل نظرات الناس ليا والعيلة ليا كلهم بيفكروا إني مجرمة !

علا صوت بكائها وهي تردد :

-طيب ليه أتحاسب طول حياتي على حاجة معملتهاش ؟

ليه أتلام على اللي معملتوش والكل يقرف يبص في وشي ..

دة حتى صحابي محدش إتصل بيا، ولما قابلتهم إمبارح بالصدفة كتنوا بيبصولي وحش، كأن أنا عملت جريمة ..

أخذت نفسًا عميقًا وتابعت :

-ولما سألت ليه بتبصولي كدة قالولي إني بهدلت سمعتهم بسمعتي المتلطخة !

طب أنا مالي ... إيه ذنبي !

ليه محدش بيفهمني، ولا بيراعي مشاعري +!؟

مسحت عبراتها الساقطة، لتنهمر غيرها ببساطة، وظلت تنظر للبحر أمامها بثبات وهي تقول :

-هو أنا كل اللي عرفتهم في حياتي كانوا معرفة غلط ؟!

محدش يقف معايا في النهاية إلا ...

صمتت فجأة فقد شعرت بإختناق من حدة البكاء، لذا وضعت رأسها بين قدميها لفترة، أرادت من خلالها تهدأة نفسها ..

الأمر ليس كما يبدوا، الحديث ليس بالأمر الهين ..

لكنها في النهاية إستطاعت أن تهدأ قليلًا، ومسحت عبراتها المتساقطة مقررة الذهاب .. يكفي لقد تعبت حقًا ...+

ولكن قبل أن تستدير ..

-فيروز !

ناداها بها أحدهم من خلفها فإستدارت ترنوه ..

وحين رأته سألته بهدوء :

-إنت مين ؟

إبتسم لها بود قبل أن يردف بنبرة طبيعية :

-إنتي مش فاكراني ؟!

نظرت له مليًا ثم قالت بفتور :

-بيتهيألي شوفتك قبل كدة

أومأ رأسه مرتين مردفًا :

-أيوة أنا معتصم وكيل النيابة اللي ..

صمت حينا ولم يتابع، فقد تغيرت ملامحه كليًا وبادلها النظرات الحزينة، بينما هي نظرت للأرض فجأة فلم تعد قادرة على النطق من حدة الإحراج والإنكسار ..

فاجأته بقولها المضطرب فجأة وهي تمر من أمامه :

-طيب، عن إذنك ..

ثم سارت بضع خطوات بعيدًا عنه، لكنه سار خلفها وأردف :

-لحظة بس

وقفت ولم تستدر، لكنه وجد فرصة للحديث حينها فتكلم بهدوء :

-أنا عارف إن كل اللي بيحصل دة قاسي عليكي، وعارف إنك ممكن تواجهي صعوبة في البداية إنك تلاقي حد يقف معاكي، بس لو بصيتي حواليكي هتلاقي كتير واقف معاكي ... وأنا أولهم ..

أنا معاكي ولو واجهتك أي صعوبة متترددیش للحظة تطلبيني ..

سألت بخفوت :

-مين عرفك مكاني ؟

نظر لها مدهوشًا من سؤالها الغريب، لكنه أجاب :

-كنت ماشي على البحر أنا كمان، وشوفتك ..

سألته ثانية بثبات :

-وسمعتني ؟

إرتبك فلم يدري ماذا يجيب، أيقول الصدق فيشعرها بالإحراج أكثر، أم يكذب ويريح نفسه من عناء الحقيقة ..

-آه سمعتك ..

أردف بها بهدوء ولم يكذب ..

أومأت رأسها ولم تقل شيئًا، بالطبع يكفيها الشعور المفعم بالإحراج !

لكنه تابع بروية :

-بس أنا مكنش قصدي والله، أنا جيت بس لما شوفتك عشان إستغربت من وجودك هنا ..!

أنا آسف

إستدارت لتواجهه باسمة رغم ما فيها وتقول
:

-عادي محصلش حاجة، أنا ماشية الوقت ..

إبتسم لها بمودة وهو يردف :

-ماشي، بس إفتكري اللي أنا قولتهولك ..

إنتي مش لوحدك يا فيروز

اومأت رأسها وذهبت ..

بعض الناس يتحسن مزاجهم بالحديث مع
من لا يجيب كالنفس والبحر والسماء ..

والبعض الآخر يتحسن إذا ما تحدثوا مع
غيرهم من البشر ..

الإختلاف مطلوب ..+

تابعها وهي ترحل بشجن، يجب أن يعترف
هي أقوى كثيرًا مما يبدوا عليها، فقد
تحملت ما لم تتحمله حبيبته السابقة

وكان من الواجب أن يشجعها ولو بكلمة ..

ألا يكفيه رؤية المشهد مرتين وكانت حبيبته
الضحية الأولى ؟!+

حين ذهبت ليحقق معها شعر أن الزمن
يعيد نفسه، لكن على فتاة مختلفة ..

لكن أيًا كانت تلك الفتاة فقد حاول جهده ألا
يتهاون في حقها، فقد تذكر حبيبته فيها ..

وحتى ولو أنه قد تحرى وعلم من قتل
المجرم الذي إعتدى عليها، فلن يشهر
بالتحقيق، فهو أدرى العالمين بقانون بلده
الذي لا يعاقب من ينتهك حرمات الغير ..!

نعم لقد قتل بنفسه من إنتهك حرمة

حبيبته، لكن بعد ماذا ؟!

بعد أن فقدها !

ربما أثرت فيه تلك القضية أكثر مما أثرت

في أحدٍ آخر ..!!+

+.....

كانت جالسة على مكتبها، تحاول أن تعمل ..

لكنها لم تفهم بعض الأشياء، ولن تعود

لتسأله من جديد فقد سألته مرتين حتى

الآن وهذا يكفي و..+

-كاثرن ؟

أردف هو بها فجأة، فارفعت رأسها لتنظر له

ليتابع هو بهدوء :

-فيه حاجة مش فاهماها ؟!

نظرت للورقة أمامها ثم نظرت له وقد شعرت بالحرج ..

أمسك هو الورقة ونظر فيها، ثم نظر لها قائلًا بمرح :

-عادي، أنا أول ما إشتغلت مع صهيب كرهته في عيشته، وكل دقيقة أروح أسأله، وبلاش أقولك صهيب عامل إزاي، أعوذ بالله بحس إنه هيقتلني، هيعلقني في النجفة اللي فوق، بس الحمدلله جت سليمة ..

ضحكت على كلامه بخفوت وهي تردف :

-للدرجادي !

ضحك الأخير قائلًا :

-أنا أصلًا أول ما صاحبته كنت بخاف منه، عمره ما ضحك والمرات اللي شوفته بيبتسم فيها تتعد على الإيد، بس أنا اليومين

دول ملاحظ فرق غريب فيه، بقى بيسرح كتير ومعتش بيزعق زي الأول !

نظرت له بإهتمام وسألته :

-ليه ؟

هز كتفه وهو يقول :

-مش عارف والله، بس دة كويس يعني يلا نسيبنا منوا المهم كنا عاوزين إيه ..!!

نظر للورقة الممسك هو بها وأردفت بدون تردد :

-مش فاهمة اللي مكتوب في الورقة دي، وإيه علاقته أصلًا بـ mechanists (العمال المختصون بالآلات)

إبتسم لنفسه لأنه إستطاع نزع الإحراج عنها
.. ثم نظر لها وأطاها الورقة مشيرًا على
بعض الجداول وبدأ بالشرح ..

وما إن إنتهى حتى نظر لها سألها :

-بس كدة لسا فيه حاجة مش فاهماها ؟!

هزت رأسها بالنفي، ثم تحدثت :

-لأ كدة تمام، thanks

-كويس ..+

+.....

ظلت تدور في المنزل، تبحث عنه في كل
مكان وتناديه لكن لا أثر له ..

-ياباباا، بابا !

زفرت بضيق وهي تردف :

-طب إمت خرج ؟!

قررت الإتصال به، وأمسكت هاتفها لتفعل،
لكنها سمعت صوت هاتفه في المنزل،
فعلمت أنه لم يأخذه معه ..

ربما خمنت أين هو، لكنها قلقة جدًا عليه،
ففقط البارحة قد خرج من المشفى !

قررت أن تتصل بأخيها عله يساعدها ..

وبالفعل ضغطت على الزر حتى تطلبه،
ولكن قبل أن يرن وجدت أحدهم يتصل بها،
..

من هو .. ظهر أمامها اسمه "الكائن المزعج"
بالفعل فهذا كان إسمه ...

أجابته لأنها تعلم أنه سيعيد الإتصال إن لم
تجبه، ولو أغلقت الهاتف سيتصل على

العمومي، والأروع أنها لا تملك الوقت لتغلقه !

كم هو مزعج !

-السلام عليكم ..

قالتها بهدوء مجيبة على المكالمة، فرد بنفس الهدوء :

-وعليكم السلام

صمتت فهو من يجب أن يبدأ .. وحينها قال هو :

-أبوكي عامل إيه ؟

عقدت حاجباها في توجس وهي تجيبه :

-قصدك إيه ؟

رد ببرود :

-أمممم، المفروض إنتي اللي تسأليني السؤال دة مش أنا، معلش إتلغبطت !

حينها أدركت أن له علاقة بإختفاء والده..

ولكن كيف ؟!

تابع هو ببساطة :

-كنت لسا هوريه الورقة اللي بعتهالك الصبح، وكنت عاوز أعرف الموضوع هيأثر عليه ولا لأ !

شعرت حقًا بالخوف الشديد، الأمر أنها لا تخشى على نفسها إن تعلق الأمر بها ..

لكن لا يصل بهم الأمر بأن يهددوها بوالدها !

-صهيب متوريلوش حاجة، وبلاش الأسلوب دة !

قالتها بإضطراب ظهر في صوتها، وإبتسم هو حقًا لنفسه فقد إستطاع إخافتها ..

سألها بنبرة سمجة :

-وإيه ميخلنيش أعمل كدة ؟

تجاهلت سؤاله وقالت :

-بابا فين ؟!

تجاهل سؤالها وأعاد سؤاله من جديد :

-إيه ميخلنيش أعمل كدة ؟!

زفرت بنفاذ صبر، وأردفت بنبرة غاضبة :

-بقولك بابا فين ؟!

أجابها بنبرة هادئة، باردة :

-معايا

-أيوة يعني، فين ؟

زفر ليغيظها أكثر ثم صمت لفترة لكي
يذيقها بعضًا من برودها، قبل أن يجيبها :

-أنا في المحل بتاعكم !

أسرعت نحو غرفتها وأحضرت ثيابها من
الخزانة وهي تتحدث...+

هدأت نبرتها قليلًا وهي تتساءل :

-المحل !

أجابها مبتسمًا بثقة :

-الورقة معايا ومحيراني الصراحة، أوريهاله ؟!

هي تعلم جيدًا تلك الطريقة، يحاول إبتزازها،
وهي لم تكره في حياتها أكثر من هذا الأمر ..

لذا وجدت نفسها تردف بتحدي :

-إعمل اللي إنت عاوزه ..

ثم أنهت المكالمة، وقد أنهت إرتداء ثيابها بالفعل ..

وأسرعت نحو باب المنزل وهي تقول لنفسها :

-لازم ألحقه قبل ما الغبي دة يوريله حاجة، بابا يادوبك لسة طالع من المستشفى إمبارح .....!!!+

.....!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

٢٨

+

الفصل الثامن والعشرون :+

+

نزع الهاتف من على أذنه وقد غلف السكون وجهه ..

غلفه بهدوء، وروية ..

ظل ينظر للهاتف مشدوهًا للحظات، لا يصدق ما قالته، في نفس وضعها هو المبتز وهي من ينفذ الأوامر، إلا أنها غيرت مسار الدفة كليًا، فأصبحت هي من لا يُبتز، ولا يؤمر !

لما العجب إن غيرت هي مسار الدفة، فقد غيرت ما هو أعظم منها ... لقد غيرت مسار حياته !

في الأيام السابقة أكسبته جزءً من هدوئها وسكونها .. ثم بعد ذلك عمدت إلى بعض الأفكار الرواسخ في ذكراه فأحرقتهم، جويرية ليست كل فتاة، وليست كل فتاة جويرية ..

ولكن ألن تأتي حقًا ..؟!+

-صهيب، تعالى يلا، ولا خايف تخسر !

كان ذلك صوت عبد القدوس الذي أخرجه من شروده، نظر له صهيب بأعين هادئة، وسار إليه حتى جلس على المقعد المقابل له ..

حينها تابع عبد القدوس حديثه بقلق :

-مالك يا صهيب ؟!

إبتسم صهيب مجاملًا له، مع أنه شعر بالعجب من نفسه، فمنذ متى يبتسم ليزرع السكينة في قلوب الغير !

-أنا كويس يا عمي

نظر على الطاولة أمامه، وبالأخص في لعبة الشطرنج ومد يده ليمسك حصانه ويحركه بدهاء ليأسر إحدى أهم قطع لعبة الآخر.

نظر له عبد القدوس بإعجاب فحركته تنم على الذكاء الفطري، وقال وهو يمسك وزيره ويحرك البيدق :

-شكلك مش قليل

أجابه صهيب بنبرة قد شردت بين بعض الذكريات :

-عارف، بس هي مش مقتنعة !

نظر له عبد القدوس بعدم فهم وسأله :

-مين دي اللي مش مقتنعة بإيه ؟!

أدرك صهيب أنه يفكر بصوت عالٍ، فما كان منه إلا أن هز رأسه نافيًا ثم يحاول إبعاده عما قال بـ :

-لأ أنا بس إتلغبطت، وبعدين أنا قولتلك في النهاية صهيب قصي، مش اي حد !

ضحك عبد القدوس وهو يرنوه بنظرات مدهوشة، فمن غير الممكن هذا التشابه بينه وبينها ..

تقريبًا في كل كلمة يخرجها من فمه يتذكر أنه سمع مثلها من ابنته، حتى طريقة لعبه لتلك اللعبة !

-إنت عارف، إنت شبه حد قريب مني أوي ...

أدرك صهيب من يشبه، ثم إنتبه له أكثر وهو يقول، بعد أن حرك البيدق :

-لدرجة إني شاكك مين اللي قاعد قدامي الوقت ؟

سأله صهيب بلا وعي :

-إزاي ؟!

أجابه بهدوء :

-هدوءك، طريقة كلامك، ثقتك في نفسك، بساطة أسلوبك في الحوار، قلة الكلام ..

السرحان، ذكاءك في اللعب+

يا الله، لقد أدرك صهيب أنه جالس مع والدها الآن، فكيف تكون المحللة العظيمة جويرية إلم يكُ والدها إحدى هؤلاء العظماء المحللون ...

سأله ببساطة :

-برأيك الشخص دة ممكن يحس بالشبه اللي بينا لو إتكلم معايَ ؟!

برغم أن السؤال غريب أجابه عبد القدوس برد أغرب :

-إنطباع الشخص دة جواه، ومبيظهروش للعامة، أو حتى للمقربين، معرفش ممكن يحس أو لأ، لكن حتى لو حس مش هيبين ..

هل يقسم أنه واثق من هذا لبقائه معها بعض الأيام القلائل، أم يحافظ على سرية هويته !+

فجأة شعر أن عليه النظر للأمام، وحين نظر وجدها أمامه، تنظر إليه وعلى وجهها بعض علامات الإهتمام بما حولها، تلك العلامات التي كاد يجن ليراها، الإهتمام بما حولها وكفاها شرودًا ...

ظلت عيناهما متلاقيتان لفترة، من ينظر إليهما يظن أنها نظرات طبيعية، ثم إذا نظر مرة أخرى ودقق أكثر، سيجد أنها نظرات حادة تقابل نظراته الهادئة ...

أي أنه لا يمكن لأحد أبدًا أن يحلل نظراتهم بشكل صحيح، فقد غلف نظراتها التحدي، والغموض، غلفها الغضب، وفي نقطة بعيدة سكنها الألم، ولم تختلف نظراته هو إلا عن قلة الإحتداد ...+

سارت بجموح تقترب منهما وكانت المفاجأة أن تراهما يلعبان بالشطرنج ويتسامران!

-بابا !

أردفت بها بنبرة هادئة قدر الإمكان، فنظر لها والدها بإبتسامة وهو يقول :

-إيه دة عرفتي مكاني إزاي ؟!

تنهدت بإرتياح فقد شعرت أنه لم يتغير، وذاك الصهيب لم يريه شيء، لكنها لا تزال غاضبة منه، لذلك أجابته بضيق :

-بابا إنت طلعت إزاي، إنت إمبارح بس طلعت من المستشفى !

عبس بوجهه وهو يردف :

-آه بس أنا خفيت الحمد لله وزهقت من قاعدة البيت دي ..

نظرت لصهيب الجالس أمامه، وعلى وجهه إبتسامة غريبة، يتابع بها كلامها وحركاتها وما تقوم به ...

نظر عبد القدوس لصهيب وهو يقول بهدوء :

-دي بنتي جويرية،

ثم نظر لها الوالد قائلًا :

-ودة صهيب يا جوري

نظرا لبعضهما فأحسنا النظر، وكأن كلًا منهما يرى الآخر لأول مرة ...

هل يجب أن أذكر إنبهاره بها ككل مرة وكأنها الأولى ؟!

-تشرفت بيكي يا آنسة جويرية

إبتسمت له بغموض وهي تومئ رأسها

لما شعر أنها تتوعد له !

وأعجبه الأمر فتمادى وهو ينظر لعبد القدوس مردفًا ببرود :

-إيه دة يا عمي مش تقولي إن عندك بنت !

نظر له عبد القدوس باسمًا ثم نظر لجويرية وتابع :

-هتتخرج السنادي إن شاء الله من كلية الآداب ..

هل ذكرت قبلًا أنه من الممتع إثارة حنق من أمامك بسلاحه هو !

هاك قال في نفسه ..

أومأ رأسه ناظرًا لها، قائلًا :

-ربنا يوفقك

إبتسامتها تزداد إتساعًا، لم يرى في حياته من تحتد عيناه مبتسمًا ! ، لكنه رآى هذا الآن ..

تابع هو بنفس البرود :

-عمي هي متدايقة مني ولا حاجة ؟!

نظر له عبد القدوس مرة، ثم نظر لصهيب الأخرى، وقد إستشف حنقها الزائد منه، لكنه أردف مجاملًا :

-لأ طبعًا، دي طبيعة بنتي مش بتتكلم مع الرجالة

أومأ رأسه ناظرًا إليها بإبتسامة مستفزة وفاجأها بقوله :

-بس ربنا يخليهالك، تربية محترمة، البنات في السن دة ماشيين على حل شعرهم و ..

قاطعه عبد القدوس ناظرًا لإبنته التي تكاد تنفجر فيهما، فقد لاحظ تبدل لون عينيها، وتجهم وجهها، وبالطبع هو يعلم كم تكره أن يتحدث أحدٌ عنها بتلك الطريقة، وكأنها طفلة تستمع :

-ربنا يهديهم يارب+

تعلم جويرية الآن ما يحاول ذاك المختل فعله، لكن السيطرة على نفسها باتت صعبة، ولكن للحق حين رأته يبتسم لها تلك

الإبتسامة السمجة مرارًا قررت إما أن تتحكم في نفسها، أو تذهب من هنا ..

ألا يكفي أنها جُرت للفخ الذي نصبه هذا الكاذب !

لكن فجأة، رفعت حاجباها لأعلى مستعجبة ناظرة إلى الشطرنج أمامها، فقرر أن يحرق صهيب صبرها أكثر وهو يتابع عن والدها :

-كنا عمالين بنلعب شطرنج، بتحبي اللعبة دي ؟!

عقدت يداها ببرود وهي تنظر له، ولم تجبه حين إستدارت قائلة بصوت خفيض :

-كملوا لعب، معطلكوش

نظر لها الإثنان بدهشة، ثم قام عبد القدوس يتجه إليها متسائلًا :

-يابت إستني، كنتي عاوزة إيه ؟!

ما إن سمعت نبراته تقترب حتى استدارت قائلة وهي تقترب منه :

-بابا خلي بالك، أنا ...

إقتربت منه وأسندته وهي تعيده للمقعد مرة أخرى، بمجرد أن أجلسته عليه أردفت بعتاب :

-المفروض متمشيش كتير، بس لأ، إزاي تسمع الكلام ؟!+

إتسعت عينا صهيب وهو يراها تقلده حين ينصح رحيل، لكن نصائحهم تأتي بشكل رائع، مع القليل من التوابل الحارة، ألن تتوقف تلك الباردة عن تقليده يومًا !

لحظة واحدة، حين دلفت رآى لون عينيها الأخضر ..

ولكنه الآن يميل إلى الرمادي !

هل هو يتوهم، تقريبًا كل مرة رآها فيها كان لون عينيها أخضرًا، أم أنه لم ينتبه من قبل !!..

تابعها بهدوء وهي تحادث والدها وهو يحادثها كذلك، الأمر ممتع، فهو لم يعد يدري ما فائدة العينين إلم يرها بها كل يوم ؟!

لحظة واحدة فقط، ألم أكن أشعر بالإشمئزاز إذا رأيت فتاةً !

لما إستحلَّت عيني النظر لها إذًا ؟!

هل صارح نفسه يومًا أنه لا يريد النظر إليها بل إلى ما بداخلها ؟!

لا يريد النظر إلى جسدها ممشوق القوام، ولا وجهها كالبدر إذ أضوى، لا يريد النظر إلى عينيها و السحر الكامن فيهما، ولا لجمالها

الذي صار يتذكرها بذكر الجمال، فعلامَ ينظر إذًا ؟!!

والله لم يهتم بها لشكل بل لروح ..

والله لم تشغل باله لشفاه بل لكلمات ...

والله لم ينظر لها لشهوة بل لإنبهار
لتشابههما غير المبرر بالكلمات ...

-خلاص يا آنسة أنا هوصله للبيت بنفسي وهتأكد إنه بخير ..

نظرت له مطولًا، نظرات غريبة جدًا، لدرجة أن عينيها تحولت للرمادي تمامًا، وهدأت بطريقة عجيبة ثم قالت باسمة :

-خلي بالك منه كويس يا أستاذ ..+

إستدارت تسير خمس خطوات بعيدًا عنهما، ثم وقفت عند نقطة ما بعد الخطوة

الخامسة، وإستدارت برأسها نصف إستدارة ناظرة إليه بنفس الإبتسامة وذهبت !

حتى بدون أن تسأل عن اللعبة، أو كيف صار هو ووالدها أصداقاء ..

زفر بضيق فهو لم يستفد شيء، لماذا في كل الأحوال يشعر أنه الخاسر، حتى حين تنسحب هي ..!!

-عمي في حمام هنا ؟!

قالها صهيب فجأة وهو ينظر لعبد القدوس، فنظر له بعجب قائلًا :

-دة محل يابني أكيد مفيش !

أومأ صهيب رأسه قائلًا بهدوء :

-طيب، أنا رايح أشوف واحد قريب

مع أن عبد القدوس قد عجب من طلبه المفاجئ، لكنه أردف باسمًا بود :

-ماشي

وقف صهيب وغادر سريعًا ليلحق بها، ظل يبحث عنها بعينيه طويلًا بعد أن خرج، ولكنها صارت كما السراب ..

ذهب ناحية سيارته وحين قرر فتحها، وجد ورقة بيضاء كبيرة ملتصقة بزجاج السيارة، دوِّنت فيها بعض الكلمات بخط منمق، فأخذ يقرأه ...

"إن هاجمتني، فستصبح رهينتي، صدقني، إبتعد عني صهيب، لست من ذاك النوع الذي يسمح بالإقتراب كثيرًا"

قرأها أكثر من مرة، إستند بعدها على سيارته وظل ينظر للورقة بصمت ..

وبدون أن يشعر بنفسه، وجد إجابته عليها تخرج بهدوء :

-كيف أبتعد إن كنت لا أجد سعادتي إلا في حضورك !

كيف وأنتِ من جعل حياتي ذات نكهة، كيف إن كنت أستمتع بالنظر لكِ والإستماع إلى حديثك المستفز !

زفر بهدوء، شاخصًا أنظاره للأمام، مشيحًا بوجهه عن كل مكان، قبل أن يخرج ورقة من جيبه ويمزقها قائلًا بإبتسامة شاحبة :

-دة كان تهديد وإنتِ عارفة كدة كويس !

-كان بسيط لحد ما دخلت بابا في الموضوع

كان يحادث نفسه، إلا أنه سمع صوتها الهادئ الثابت يرد بها ..

ظل في موضعه وكأنه كان يعلم أنها ستجيبه، فقال بحزن :

-إنتي ليه أنانية كدة ؟

-عشان كل حاجة كانت أنانية معايَ ..

كان ذاك ردها البسيط، رفع رأسه لينظر لها، فلم يجدها لقد وجد فقط أن الرؤية بدأت تتشوش أمامه، وضع يده على عينه فوجدها مبتلة قليلًا، مسح عينه بسرعة، وبقوة، ثم فتح السيارة وجلس في مقعده بدون حراك ..

تذكر الخطاب، تذكر الكلمات "إن هاجمتني، فستصبح رهينتي"

إبتسم لنفسه فجأة وهو يتساءل .. هل أصبحت كذلك ياترى !+

تنفس بعمق ونظر لمتجر والدها القديم قائلًا :

-باباكي طيب أوي، إنتي بقى طالعة لمين ؟!

كان الموضوع بسيط دخلت عليه وقولتله نلعب سوا لاعبني وفضلنا نتكلم، وحسيت إنه رحيل التاني !+

+.....

سارت جويرية في الإتجاه المعاكس كيلا يلحق بها أو يدرك لها طريقًا، لقد ملت من تلك الطريقة التي بات ينظر لها بها، يشعرها بالغضب والضيق ..

مستفز جدًا ويحاول دومًا إخرجها عن طورها ..

يشعرها أنها فريدة من نوعها بتلك النظرات، ويستمتع برؤية حنقها ..

والآن ببساطة هو من سيوصل للمنزل والدها !

حسنًا، لم يكن أمامها إلا فكرة الرسالة، مع أنها تشكك في فهمه لها فهمًا معنويًا .. لكنها تعلم أنه ليس ..

ليس شريرًا في النهاية، فمهما إمتلك من صفات سيئة، لديه الصفات الجيدة أيضًا !

لأنها حين طلبت منه يومًا ترك يديها تركها، حين كان يعد يوفي، لم يضرها لدرجة مؤلمة حقًا، لم يلحق بها الأذى، وحتى أنها تدرك جيدًا كرهه لصديقه الخائن والمعاناة التي بذلها ليسانده ضدها، فقط من أجل الفوز بالتحدي، فيدافع عنه بإستماتة حتى أعلنت هي خسارتها ..

تكاد تقسم أنها واثقة من تمزيقه ما إبتزها به صباحًا الآن، فهي تعلم أنه سيفعل ما طُلب منه، ككل مرة تطلب منه شيئًا ويوافق عليه بهدوء ...+

وجدت قطرة ماء تسقط على يدها فجأة

فنظرت للسماء لترى المطر، ...

لكن للحظة لم تدري لمَ تلك القطرة ساخنة

!+

كانت تمطر ببطء ثم فجأة بدأت تمطر بغزارة

..

غزارة شديدة جدًا، وهي قد فرحت برغم ما

غلف قلبها من حزن منذ الصباح ..

وضعت يداها تنظر للماء الساقط عليهما

وتبتسم، ذاك الماء يغسل الأحزان والدموع ..

ذاك الماء طاهر يزيل سواد القلوب، وحقدها،

بل وحزنها، وألمها أيضًا !+

تسمرت في مكانها حين نظرت أمامها

ووجدته يقترب، وضعت يداها بجانبها

وسارت لكنها وجدته يقول فجأة :

-جويرية !

إستدارت تنظر إليه بصمت كعادتها، فوجدته يقترب منها بهدوء ..

وما إن وقف أمامها حتى إبتسم لها ومد يده لها بورقة ما، وبدون حرف زائد ذهب وتركها ..

أمسكت الورقة المطوية وفردتها في المطر، لم تهتم بالماء الذي ينزل عليها، وقرأت الورقة بهدوء ... "كما تشائين"

نظرت في أثره مبتسمة برضى ..

بالنسبة لها .. لقد فعل هو ما أرادته ..

+..

وبالنسبة له .. أنه من الأفضل أن يتوقف عن متابعتها ..

يجب عليه أن يعود كما كان .. صهيب القديم الذي لا يثيره ثائر !

زفر بهدوء شديد، وبصعوبة لم يعاشرها من قبل منع نفسه من النظر لها، وهو يعود إلى سيارته من جديد، وبالأخص ليذهب إلى متجر والدها ويعيده لأول وآخر مرة في حياته

+..

سأل نفسه لما نفذ طلبها، فبعض الناس قد تراه تهديدًا، لكنه شعر أنه طلب، مجرد طلب بنبرة هادئة، ويحمل النصح أيضًا .....!!!!+

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

٢٩

+

الفصل التاسع والعشرون :+

+

متجهم الوجه، ينظر حوله بشرود، جالس
على مقعد مكتبه، وأمامه الأوراق ...

الأمر فقط أنه قد ضاق ذرعًا ..

الأمر فقط أنه قد تحمل كثيرًا ..+

شرد في نقطة على الحائط أمامه وهو يتذكر
إحدى المشاهد التي تستمر بمطاردته ..+

....+

إنحنت تلك الفتاة للأسفل قليلًا واضعة يدها
على فمها من شدة الضحك، نظرت لها
أختها مبتسمة ووضعت يدها على كتفاها
لتحاول جعلها تعتدل من جديد، ثم همست

لها بشيء ما في أذنها فبدأت تقلل من
ضحكاتها تدريجيًا ...

حتى توقفت عند إبتسامة عذبة ودموع
سقطت من حدة ضحكاتها ..

ثم نظرت للناس من حولها، ولتلك العروس
بيضاء الثياب بنفس البسمة ..+

+..

من بعيد كان يقف هناك يرنوهما بنظرات
هادئة، ومن الجيد أن أختها نبهتها لضحكها،
وإلا لما علم ما كان ليفعله معها !

الأمر أن ضحكاتها تسرق القلوب، تأخذها في
عالم آخر، وتريح نفس كل ناظر إليها حينها ...
وهو أناني، لا يريد لغيره النظر لها إذا ما
ضحكت وتهلل وجهها،

لقد تساءل عدة مرات كيف لهما ألا بتشابها لتلك الدرجة، أنى لأخت أن تحمل مضادات الأخرى !

فإحداهما تحمل من الذكاء والفطنة ما لا يحمله من بسنها، عاقلة إلى حد كبير، وتستطيع قلب زمام الأمور لصالحها في خمس ثوانٍ، ترد الصاع صاعين بهدوء، تسيطر على إنفعالاتها ببراعة مثلى، يتذكر دومًا أنه لم يرها تخاف أبدًا، لو تحداها أحدهم خسر النزاع من الجولة الأولى مقرًا بالهزيمة، معتذرًا على ما بدر منه ...

والأخرى تملك مرحًا لا تحمله طفلة، ضحكة تملأ المكان حولها بالسعادة، تغمره بالفرح، بالتفاؤل، بالأمل، طيبة لحد السذاجة، وسريعة الإرتعاب

تحمل حنانًا في عينيها يداعب وجه كل ناظر إليها، يكاد يقسم أنها قد تذيب قسوة الصخر بالدفء والحنان في عينيها ...

لكنه حمد ربه على ذاك التناقد بينهما، وإلا لكان قد وقع أسير قلبيها سويًا ..+

كان من الممتع مراقبتها، كان يشعر حينها أنه يراقب ما يخصه دون غيره ...

ومع أن ما يحمله في قلبه بقي سرًا إلا أنه كان يشعر أنها تبادله المشاعر ..!+

فجأة وجدها تهمس في أذن أختها بشيء ما، أومأت على إثره الأخرى رأسها، فذهبت تبتعد ..

وبالطبع لم يفكر حين إتخذ المسار خلفها، سارت هي خارج قاعة الزفاف المتواجدون هم فيه، ثم ظلت تسير للأمام إلى أن وصلت

لإحدى المتاجر القريبة، راقبها هو بهدوء إلى أن خرجت تحمل كيسًا من المقرمشات وفتحته في الطريق وبدأت تأكله، منع نفسه من الضحك بصعوبة فأي مجنون يخرج من منتصف الزفاف ليشتري المقرمشات !+

فجأة توقفت عن السير واستدارت، وبالطبع هو لن يختبئ لكي لا يصيبها بالجزع، وحتى ولو لم يرغب هو بأن تراه ..

حين نظرت له قطبت حاجبها بدهشة قائلة :

-معتصم !

إقترب منها باسمًا وهو يقول :

-آه

زفرت هي بإرتياح، ثم أردفت بعتاب :

-على فكرة أنا خوفت والله، حاسة من بدري إن حد عمال يمشي ورايا

بنظرات هادئة، ونبرة طبيعية قال :

-آسف عشان خوفتك، بس إحنا بالليل الوقت ومكنتش عاوزك تمشي لوحدك

هزت رأسها وقالت ببساطة :

-عشان كدة قولت لجوري إني راحة الحمام بس

رفع حاجباه مستفهمًا وتحدث :

-أنا برضوه بقول هي إزاي سابتك !

ضحكت بخفوت قائلة :

-إنت عارف جوري رهيبة، وكنت عاوزة أشتري شيبسي

هز رأسه بخيبة أمل وهو يقول :

-يابت إنتي عندك ١٦ سنة دلوقت، يعني المفروض تعقلي وتبطلي لعب العيال دة !

هزت رأسها نافية، وسارت للخلف وهي تنظر له قائلة بإبتسامة :

-جوري دايمًا بتقولي أنا عسل كدة، وبلاش أتغير عشان دي طبيعتي، لو جويرية بنفسها قالتلي كدة تفتكر إني ممكن أتغير !

ضحكت متابعة :

وكمان أنا بحب نفسي كدة إنت إيش دخلك بقى !

رد بغضب :

-سوفانا، إرجعي القاعة يلا

أجابته بغضب مماثل :

-على فكرة إنت أكبر مني بأربع سنين بس، وملكش تحكم عليا !

أعاد جملته بصوت أهدأ، أخطر :

-قولتلك إرجعي القاعة الوقت ..+

نظرت له بضيق وسارت بسرعة نحو القاعة وهي تتمتم متذمرة، وإنفجر هو ضاحكًا عليها، هل تدرك كم بدت جميلة وهي تسير هكذا ؟!

بالطبع لا، هو فقط من يدرك ذلك ..

كم يتمنى أن تنهي تعليمها بأسرع وقت كي لا يحول شيء دون تجمعهما ...+

....+

إنتبه من شروده في ذكراه القديمة إلى صوت طرق الباب، حينها قال بهدوء غائم :

-إدخل !

فتح أحد الضباط الباب، ممسًا بملف ما، وأدى التحية العسكرية له قبل أن يسير نحوه قائلًا :

-دة يا باشا الملف المتعلق بالقضية اللي معاليك طلبتها

أومأ معتصم رأسه قائلًا اه بثبات :

-تمام، وعاوزك تجيبلي كوباية شاي تقيلة

أومأ رأسه بهدوء وهو ينصرف بعد تأديته التحية ...+

نظر معتصم للملف ببشم، تلاه شعور بالغم، والإرهاق.

إن نظرت إليه عن كثب فسترى الهالات السوداء المتجمعة أسفل عينيه، والحزن الكامن فيهما ..

زفر بهدوء ثم قال فجأة :

-أنا بصعوبة قدرت أتغلب على كل الذكريات دي في الماضي، إيه اللي رجعها تاني ؟!+

+.....

هي الآن داخل السيارة، مسرعة بها وعلى وجهها علامات القلق، منذ صباح اليوم قد خطر في بالها أمر من أبشع ما يكون، وأرادت أن تثبت لنفسها أنها ليست إلا أوهام ..

فبعد أن إستفاقت صباحًا شعرت بوجوب الذهاب للحمام في أسرع وقت، لتفرغ كل ما في معدتها، الأمر يتكرر منذ أسبوع، لكنها ظنته مجرد فيروس أو ما شابه، لكن الأمر

يتكرر بصورة غير طبيعية، مع فقدانها
للشهية بعد أن تكون جائعة جدًا !

ولمَّا أن خطر ببالها أنها لربما كانت ...،
أسرعت بسيارتها نحو أقرب مشفى ..

هي تتمنى أن تطمئنها فقط وتثبت لنفسها
أن تلك ليست إلا هلاوس، الأمر أشبه بأفلام
الرعب فما تفكر فيه سيناقض كل ما تحاول
فعله و ...+

فجأة وجدت سيارة ما تقترب منها، وكادت
أن تصتضم لكن السيارة الأخرى قد تفادتها
بصعوبة ...

فتوقفت بسيارتها، وفعل صاحب السيارة
الأخرى بالمثل، ثم إرتجل من سيارته ذاهبًا
نحوها وقد إشتعل الرجل غيظًا ..

نزلت هي أيضًا من السيارة، وما إن رآها الرجل حتى صدم من كونها فتاة، فهو لم يلحظ ذلك حين كاد يقود ثم أن ..

-أنا آسفة جدًا، بس مكنتش مركزة خالص

قالتها هي مقاطعة أفكاره بهدوء

حينها زفر الأخير بضيق وقال :

-محصلش حاجة، بس تاخدي بالك بعد كدة ..

لم تجبه هي وظل وجهها متجهمًا بطريقة غريبة، وحين شعر هو أنها شاردة تمامًا تابع :

-لو سمحتي !؟

نظرت له منتبهة، ثم أومأت رأسها مردفة :

-نعم ؟

أجابها هو بإقتضاب لطريتها :

-مفيش، إتفضلي

ظهر شبح إبتسامة على محياها وهي تقول بهدوء :

-آسفة تاني

ثم غادرت تاركة إياه على عجبه !

وسرعان ما أحذ سيارته هو الآخر وبالطريق المعاكس إنطلق ..+

+..

بعد مرور القليل من الوقت، كانت أمام ذلك المشفى، توقفت أمامه مترجلة من سيارتها وأسرعت تدخله ..

وبعدما يقرب من الخمس دقائق كانت أمام غرفة الطبيبة وطرقت الباب

فتحت الباب لتدلف بعد أن سمعتها من الداخل تعطيها الإذن بالدخول، وحاولت أخذ نفسٍ عميق قبل أن تتوجه نحوها لتجلس على المقعد الذي أشارت نحوه الطبيبة ..+

هل هي وحدها من يشعر بالإختناق، أم أن الأمر كله أنها متوترة أكثر مما يجب، بالطبع لن يحدث ما تظنه فهي آآ ..+

-شكلك متوترة ليه ؟!

أردفت بها الطبيبة باسمة برفق وهي تنظر نحوها، حينها أدركت هي شرودها وهزت رأسها قائلة بهدوء :

-لأ مفيش حاجة أنا بس عاوزة أتأكد من حاجة

سألتها الطبيبة بروية، طيب حضرتك إسمك إيه

أجابتها الأخرى على عجلة :

-كاثرن

أومأت الطبيبة وهي تتابع لتحاول إبعاد التوتر عنها :

-أصل أنا حسيت إنك مش مصرية

-أيوة فعلًا أنا من أمريكا بس متعلمة اللهجة المصرية كويس

-آه أنا برضوه إستغربت، عارفة لو داريتي شعرك ممكن تكوني شبهنا

ضيقت كاثرن عيناها بإندهاش لكن الطبيبة سرعان ما انتبهت لحديثها فقالت :

-ثواني مقصدش هي بس ...

قاطعتها كاثرن ببساطة :

-عادي و لا بهمك، بس يلا نقوم عشان نكشف

وقفت الطبيبة وسارت متجهة نحوها لتتحدث بهدها بنبرة طبيعية :

-طب يلا قومي

أومأت كاثرن رأسها، وحين وقفت وجدت هاتفها يرن، أخرجته ونظرت للإسم فوجدته عقاب، بالطبع هو من سواه !

لكنها لا تريد إخباره أي شيء عن مكانها الآن، لذا لن تجيب فهو سيسألها بالتأكيد، حين وصلت لتلك النقطة وضعت هاتفها على المكتب على الوضع الصامت، وذهبت مع الطبيبة ..

ثم وبعد مرور بعض الدقائق عادت كاثرن إلى مكانها وهي تنتظر كلمة الطبيبة الفاصلة ..

جاءت الطبيبة متهللة الوجه وأردفت بجدية :

-ألف مبروك يا مدام كاثرن، إنتي حامل من ٣ شهور

حينها أضاء هاتفها من جديد وظل يرن برقم أحدهم، لكن أحدًا لم ينتبه له ..+

نظرت لها الأخرى بصدمة ثم وقفت وأخذت تتراجع للخلف قائلة بإستنكار وهي تهز رأسها نافية :

-لأ إنتي بتكدبي

تغيرت معالم وجه الطبيبة إلى الدهشة فجأة وهي تسألها :

-وأنا أكدب ليه، إنتي مش فرحانة ؟!

إستندت كاثرن على الجدار خلفها ولم تشعر بنفسها وهي تنهار تدريجيًا، فقد أخذت تبكي وكأنها لم تبكِ من قبل ..

لما يحدث معها كل هذا، لقد قررت أن تنساه فلمَ لا يغادرها، ما ذنبها يا ترى ؟!

هل إرتكبت خطأً حين أحبت بصدق ؟!+

ظلت الطبيبة تنظر لها بقلق ودهشة، فهي حتى وإن إرتكبت خطأً لن يعاملها مجتمعها بقساوة !

لكنها إتخذت قرارها و قالت بعد القليل من الصمت :

-طب قوليلي إيه المشكلة وهعالجها

لم تجبها، وإكتفت فقط ببكائها ..

لحظة بعد لحظة ظل بكاؤها يزداد، وتدريجيًا
بدأت تفقد القدرة على وزن نفسها، إلى أن
فقدت الوعي الذي يربطها بالعالم حولها ..

وحين إستشعرت الطبيبة وجوب التدخل،
أسرعت نحوها وقربت منها الكرسي
وأجلستها عليه، ثم خرجت من الغرفة
تستدعي أحدًا ما ليساعدها ..+

بعد نصف ساعة، كانت فاقدة الوعي تمامًا
على فراش بداخل المشفى، وحين دلفت
الطبيبة مكتبها من جديد، وجدت هاتفها
على المكتب ووجدته يرن ..

أمسكت الهاتف وأجابت بدون تردد :

-لو سمحت إهدى شوية، المدام جالها حالة
إنهيار عصبي ونقلناها على أوضة عشان
تستريح ..

صمتت قليلًا قبل أن تجيبه بروية :

-العنوان ***** وإسم المستشفى *****
جنب بيوت **** هتلاقي المستشفى على
طول

أومأت رأسها قائلة :

-تمام

ثم أغلقت الهاتف وأعادت وضعه على
المكتب ..+

+.....

في منزله كان جالسًا على مكتبه يراجع
بعض الأوراق أمامه وهو يزفر بحنق، وتبين
بعدها أنه ممسك بهاتفه يتحدث من خلاله
قائلًا بغضب :

-الوقت إنت كأب بدل ما تندم على التربي القذرة اللي ربيت إبنك بيها، جاي تشاكل معايا وتقولي إبني خد إعدام !

صمت هو قليلًا ليستمع إاى الجانب الآخر قبل أن يردف بنبرة عالية :

-ما هو لو كان على حق كنت دافعت عنه يا بني آدم !

ضحك هو فجأة مرجعًا رأسه للخلف، ثم قال :

-دة تهديد يعني، تمام !

هدأت نبرته قليلًا حين تابع :

-أنا مش أول مرة حد يهددني على فكرة، وقولتلك، إبنك يستحق اللي جراله لأنه قتله وليه لمجرد آآآ ..

صمت فجأة مسمعًا للجانب الآخر قبل أن يقول فجأة :

-خلاص إبقى إعمل كل اللي تقدر عليه بقى

ثم أنهى المكالمة واضعًا يده على رأسه وتحدث :

-دة واحد غبي أوي، كل حاجة عندهم بالقوة، إيه الناس دي !

ضحك بخفوت فجأة وهو يردف بهدوء :

-معاقين فكريًا، وذهنيًا زي ما جوري بتقول دايمًا !+

فجأة وجد أحدهم يفتح الباب ويدخل، إبتسم لها هو قائلًا بهدوء :

-إيه يا ماما عاوزة حاجة ؟!

أومأت رأسها له وهي تجلس على السرير، لتردف بعدها بجدية :

-أيوة يا براء، عاوزاك في موضوع مهم، تعالى أقعد جنبي هنا

ذهب براء تجاهها قائلًا لنفسه :

-ربنا يستر، مبتقعدش القعدة زي إلا لو فيه مصيبة+

بينما جلس هو بجانبها ونفس الإبتسامة على تفارق محياه ..

بدأت والدته حديثها بنبرة خفيضة :

-بص يا براء، إنت الوقت بقى عندك ٢٢ سنة، وداخل أهو في الـ ٢٣ وأنا عاوزة أشوفك عريس وأطمن عليك قبل ما أموت ..

وضع يده على كتفها قائلًا بضيق :

-بعد الشر عليكي يا ماما ربنا يطولي في عمرك يا رب

إبتسمت اه مردفةً بسماحة النبرات :

-أنا عاوزة أفرح بيك يا براء

هدأ قليلًا، وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يتابع :

-مفيش حد داخل دماغي يا ماما، أنا عاوز واحدة زي جويرية

رفعت الأم حاجباها بصدمة لتقول :

-نعم، ودي نلاقيلها زي فين إن شاء الله ؟!

ضحك براء وهو يردف بهدوء :

-في سوق عكاظ !

-بطل هزار يا براء، مش كل حاجة تهزر كدة !

-حاضر يا ماما اللي تشوفيه

قامت والدته وهي ترنوه بضيق وتتجه نحو الخارج متمتمة بـ :

-آل جويرية آل، دة أمه داعية عليه اللي هتكون من نصيبة، دة مهيعرفش يمشي كلمته عليها دة لو مخافش منها أصلًا !

ظل هو يضحك وهو ينظر لها تذهب، وأردف لنفسه :

-آه والله يا ماما معاكي حق، ربنا يستر عليه !

فجأة إختفت إبتسامته من على وجهه وهو يردف بحزن :

-عارفة أنا محتاج حد زي مين بجد يا ماما، زي سوفانا، هي دي بجد اللي محتاجها وتناسبني ...

أرجع رأسه للخلف يتذكر صباه، لقد كانت
أجمل أيام العمر، هل يناشدها بالعودة كي
يكف من يناشدها بالرحيل عن الرحيل !!

من المحزن أن تفقد شخصًا عزيزًا على
قلبك، فماذا عن قطعة منه إذًا !

يتذكر في صغره أن عمته ووالدته في الرضاعة
كانت مثل والدته الحقيقية في المكانة، بل
لربما زادت عنها قليلًا لذلك كانت والدته
تغار منها، وبالطبع لم تحب إبنتاها يومًا ..

الأمر الذي كان يؤلمه دومًا حين يتذكر خبر
وفات أخته، ثم خبر وفاة والدتها، كانت
الأخبار تتراص عليهما وما نال من تلك
الأخبار شر النيل هي أخته ..

يحاول دومًا تناسي ذلك الألم، لكنه يعود
ليتذكره من جديد مع أول إشراقة للصباح ..+

تنهد بحرارة عله يخرج الهم الذي سكنه، ثم إنتصب واقفًا ليعود من جديد ويتابع عمله

+...

+.....

-طب إزاي دة حصل ؟!!

كان ذاك السؤال الذي طرحه عقاب على الطبيبة بقلق ..

فأجابته هي بهدوء :

-مجرد ما قولتلها إنها حامل إنهارت وفضلت تعيط جامد، وبعدها أغمى عليها ..

إتسعت عيناه في صدمة وهو يردف :

-إيه حامل ؟!

زفرت الطبيبة لتتابع بجدية :

-أيوة من ٣ شهور وهي ما تعرفش، وصحة البيبي متدهورة جدًا بسبب اللي المهدآت اللي كانت بتشربها، وكانت بتاخد أنواع كتيرة جدًا وعلى حسب الفحص دي مش أول مرة يجيلها إنهيار عصبي !

نظر عقاب للطبيبة وهو يتلقى الصدمات واحدة تلو الأخرى، و سألها بقلق :

-يعني هي حالتها خطرة ؟!

هزت رأسها مطمئنة إياه بهدوء ثم قالت :

-لأ مش خطيرة إلا لو ضغطنا عليها أكتر، دكتور مصعب كشف عليها بنفسه وقالي إن الضغط على مراكز الأعصاب بيسبب لسها ضرر وبالتالي للجنين

سألها هو بلا وعي فجأة :

-يعني الجنين دة سهل إنها تنزله ؟!

نظرت له في دهشة وأجابته بفضول :

-أيوة،بس هو إبن حرام ولا ...

نظر لها عقاب بغضب وأجاب بحدة :

-لأ طبعًا، ودي مشاكل شخصية، أنا رايح عندها

نظرت له بضيق وقالت :

-بس متحاولش تفوقها

وقف عقاب متجهًا نحو الباب، وما ابث أن فتحه وجرج متجهًا إليها ..+

بعد وقت قصير، كان يقف أمام سريرها، يرنوها بحزن وإشفاق، قبل عدة سنوات فقط كانت مرحة لدرجة كبيرة، كان الجميع يحب مرحها، فما الذي حدث لها ؟!!

هل أطفأ وهجها ذاك الوغد، أمر حقًا مؤسف

حين ترى شخصًا تغير من البهجة والإشراق

إلى كل ذاك الحزن والهم فجأة ..

والأكثر أسفًا حقًا أن لا تستطيع مساعدته

بأي شيء ماذا عساك أن تقول ؟!+

وجدها تفتح عينيها أخيرًا، فإقترب منها

وجلس على المقعد بجانبها قائلًا بإبتسامة :

-عاملة إيه الوقت ؟!

أشاحت وجهها عنه، وبدأت تعتدل فس

جلستها فساعدها هو إلى أن إعتدلت جليسة

...

وظلت صامتة، فحثها هو على الحديث حين

قال بهدوء :

-كاثرن !

لم تنظر له، فتابع هو بنفس الهدوء :

-تقدري تتخلصي منه لو تاعبك أوي كدة

أجابته بألم وقد بدأت الدموع تشق طريقها عبر عينيها :

-مقدرش

سألها بإهتمام :

-ليه ؟!

نظرت له وقد بدأت تمسح دموعها بعنف، وأجابته بإنفعال :

-Because he is my son !!! (لأنه ولدي)

صمت قليلًا وهو ينظر لها، قبل أن يعيد المحاولة مردفًا :

-بس منه !

هزت رأسها نافية وقد هدأت نبرتها قليلًا وهي تقول :

-طب ايه ذنبه هو، ليه أخده بذنب أبوه !

سكتت قليلًا لتتابع بعدها :

-أنا مقدرش أقتله يا عقاب، مقدرش !!

ظلت نظراته متعلقة بها وقد فقد القدرة على الإجابة ...+

.....+

سمع صوت طرق الباب فجأة، فنظر نحوه وهو يردف بهدوء :

-إدخل

فتح أحد الضباط الباب، وأدى التحية العسكرية ..

سأله هو مستفهمًا :

-في حاجة ؟!

أومأ الا

الآخر برأسه قائلًا :

-أيوة يا باشا، فيه بنت طالبة تشوف
حضرتك

ضيق عينيه متسائلًا :

-بنت مين ؟!

-معرفش يا باشا هي بتقولي أقول لحضرتك
إنها عاوزة تقابلك ومقالتش إسمها ..

زفر بضجر، ونظر له قائلًا :

-مش فاضي الوقت خليها آآ ..

كاد أن يتابع إلا أنه وجدها تدخل وتقول
بهدوء :

-ممكن أكلم حضرتك شوية ؟!

نظر لها بدهشة وتغيرت تعابير وجهه إلى العجب وقبل أن يتحدث كان الضابط على وشك إخرجها قائلًا :

-إنتي إزاي دخلتي، إطليعي بـ ...

-إطلع إنت برا الوقت يا شاويش

نظر له الضابط بدهشة، ولكنه أدى التحية وانصرف

إبتسم لها ببساطة وهو يردف مرحبًا :

-إتفضلي يا فيروز، مكانش لازم تيجي هنا كان ممكن تطلبيني في أي مكان تاني..

إقتربت قليلًا إلى أن جلست على المقعد، وردت عليه بنبرة طبيعية :

-لأ هنا حلو، أنا بس عاوزة أسأل حضرتك سؤال وأمشي

عقد حاجباه متسائلًا :

-وهو دة كلام برضوه، أطلبلك إيه ؟!

هزت رأسها نافية وقالت :

-مش عاوزة أشرب حاجة، أنا جاية بس أسألك بخصوص إنتحار بيجاد ..

هدأ قليلًا وتابعها وهو يتحدث :

-ماله ؟!

نظرت له مطولًا قبل أن تردف متسائلة بقلق :

-هي القضية إتقفلت ولا لسا بيـ ..

أدرك هو ما جاءت لأجله، فهو وحده من يعلم ماحدث جيدًا، وبالطبع هي خائفة على أخيها ..

-آه، هو إنتحر وخلاص القضية إتقفلت

-ومش هتتفتح تاني ؟

-إطمني

وقفت هي بهدوء وأردفت :

-ماشي، شكرًا

وقف هو الآخر مبتسمًا بمودة، وأدى التحية العسكرية لها قائلًا بمزاح :

-في الخدمة ..

بادلته إبتسامة شاحبة وهي تتجه نحو الباب لتخرج، وقبل أن تذهب وجدته يردف بهدوء :

-إطمني، محدش هيمسك حاجة على أخوكي، أنا محيت كل الأدلة .....!!!+

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

٣٠

+

الفصل الثلاثون :

"خاتمة الجزء الأول إن شاء الله"+

+

خرجت من لدنه، وسارت تبتعد عن ذاك المكان الذي حمل أكثر ذكرياتها سوءً على الإطلاق ..

كانت تسير متهادية الخطى حائرة المقصد، لم تبتعد قليلًا، فقط بضع خطوات بعيدًا عن

ذاك المكان ومع ذلك شعرت براحة غريبة،
لقد طمأنها أن لا تقلق على أخيها، طمأنها
بأن كل شيء سيكون على ما يرام ..

أحيانًا لا يحتاج الإنسان أكثر من تلك
الكلمات البسيطة لتخرج من القلب متجهة
إلى القلب فتريحه برغم ما يعانيه من آلام
نفسية، وأيًا تكن تلك الآلآم ..!!

ثم أن ..

مهلًا من تلك التي تقترب منها ؟! ، هل هي
تتوهم أم ماذا ؟!!

لا يهم ستمشي عي في الإتجاه المعاكس و ..

-آنسة فيروز، لحظة بس من فضلك

أردفت بها تلك المرأة مقبلة عليها بلهفة

تجمد مكانها توليها ظهرها، لا تريد النظر لها فكم يذكرها وجهها بـ ...

-لو سمحتي عاوزة أكلمك في موضوع

أغمضت فيروز عينيها، أتحاول أن تكبت دموعها، أم أنها تتألم !

وضعت الأخرى يدها على كتفها، وبدون وعي أزاحت فيروز يدها بقوة من عليها، ثم نظرت لها تلك النظرات الشرسة قبل أن تقول بغضب :

-عاوزة إيه مني الوقت يا حضرة الدكتورة !!

نظرت الطبيبة إلى الحصى التي في الأرض، أو أنها بالفعل تنظر للأرض بخزي ..

تابعت فيروز بإنفعال :

-أنا مش مصدقة إن إنتي اللي جاية تكلميني ! ، واحدة غيرك كانت ترمي نفسها في البحر قبل ما تفكر تبص في عين اللي ظلمته !!

إنتي مصنوعة من إيه، من حجر، أنا بنت زيي زيك لو كان حصل فيكي كدة كنتي ها ...

قاطعتها الطبيبة وهي تبكي :

-بس خلاص، مين قالك إني محصليش حاجة، أنا بنتي الوقت في المستشفى بين الحيا والموت، عشان صرفت عليها من الفلوس اللي أخدتها عشان أزور التقرير، وكنت جاية أجيب عنواتك عشان ..

تابعت وقد بدأ صوتها يختنق من شدة البكاء، والأخرى ترنوها بنظرات هادئة :

-عشان أطلب منك تسامحيني، أنا بنتي كانت كويسة لحد بس ما صرفت عليها من الفلوس الحرام دي، والوقت هي بتموت، لو مش مصدقاني تعالي أوريكي بنفسي

تذكرت فيروز حينما قالت "اللهم إكفنيهم بما شئت، وكيف شئت" ودمعت عيناها، لقد كانت تدعوا عليها من شدة الظلم الذي شعرت به، لكن من رد لها حقها ؟! اللّٰه، وها هو قد نصرها، وكأن تلك رسالة منه ليخبرها أنه معها، ليوفي بعهده حين قال حل وعلا "أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" ..

ظلت تستمع إليها ولا تدري لما بدأت تبكي بهذه الطريقة، لكنها بدأت تتذكر بعض الآيات، ولم تعلم لما، لكنها تتذكرها بشكل

جيد "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" ..

لو نصركِ الله، فممن تحتاجين النصر إذًا !!

يا الله، كم أنت قريب، وأنا من كنت قد إبتعدت أميالًا، وأنا من كنت ضآلة بدون عفوك وغفرانك، وحين أدعوك، فقط أدعوك تلبي دعائي وكأني سهرت الليالي لأنال رضاك قبل أن يمسني السوء !

هاك حدثت نفسها وهي تبكي، ووقف الإثنان قبالة بعضهما يبكيان ..

الظالم المجازى، والمظلوم المنصور من الله

+..

-مسمحاكي، وهدعيلها دايمًا يا دكتورة سريانا

قالت هي تلك الجملة، ثم إنصرفت، فلحقتها الأخرى وهي تقف أمامها وتستحلفها عدة مرات ألا ضغينة في قلبها، ألا شائبة تجاهها في وجدانها، هل تسامحها حقًا، هل تغفر لها خطأً إرتكبته في حقها ؟!

اللّٰه المسامح يا فتاة، هون على نفسك لقد سامحتك ..

كانت تلك إجاباتها المصاغة، قبل أن تسير مبتعدة، سعيدة لأنها شعرت بذاك القرب بينها وبين خالق الأكوان، ومسحت دموعها في ثبات وهي تتقدم بالخطوات ...+

+.....

روتيني ..

كل يوم روتيني، مرت الأيام بهدوء، ربما إنزوى البعض ليطالع الكتب لإقتراب

إمتحانته، وآخرون زاد حالهم شجنًا وإنطواءً، وربما رجع أحدهم من السفر مشتاقًا إلى ولده ..

وأيضًا قد يكون البعض منهم قضى عدة ليالٍ في المشفى بين جدرانها البيضاء، ربما كذلك بدأت إحداهن تخرج من آلآمها وتعيد بناء نفسها، وآخر قد صار سندًا لأخته يشاركها يومه دون كلل أو ملل، والبعض قد ظل يتلقى الشكر والتقدير على تميزه في عمله، وإظهاره الحق دون تزييف أو خداع، والبعض عاش أسير الذكريات، وأتذكر أن وضع أحدهم الصحي كان يتدهور بشكل واضح ولكن بصمت ...+

.....+

مر شهر،،+

خرجت من الجامعة وقد بدى بعض الفرح
على وجهها، لقد إنتهت من أسوأ كابوس قد
يمر بأحدهم يومًا "التعليم" !

كانت دومًا تردد أن لو تفهم ما فائدة كل ذاك
الشرح السخي في الكتب، وما الفائدة التي
تعود عليهم في حياتهم بعد ذلك لكانت
أحبتها، أما بالنسبة لما يُكتب، فلا أمل
بإستحضاره يومًا من العقل مرة أخرى ..

تقريبًا تنسى هي كل ما حفظته بمجرد
الخروج من الجامعة، لا بل من اللجنة والله !

-الحمد لله، خلصت الدراسة قبل ما أموت،
بجد يوم تاريخي ..

إبتسمت لنفسها بهدوء، وهي تسير نحو
الطريق المؤدية للشارع الرأيسي، حيث إتفق
معها براء على إصطحابها+

طوال الطريق وهي تتساءل ..

في خلال ذاك الشهر اللعين الذي كان
يستنزف طاقتها في التركيز يومًا بعد آخر، كان
هناك شعور غريب يساورها، الأمر برمته لا
يتعدى شعور، وهي لا يمر عليها أي شعور
ولو كان بسيطًا مر الكرام، فكيف لها أن ...

أن ..

لما تشعر فجأة بهذا النعاس !

ومن تلك الفتاة التي تجرها إلى سيارة ما،
وأخرى تساعدها ؟!

حاولت هي أن تقاومهم بكل ما أوتيت من
قوة، لكن في حالتها تلك، لا مجال للمقاومة
أكثر من هذا، وكادت تترك جسدها يتراخى
إلا أنها إستطاعت أن تسمع صوت إحدى
الفتاتين تقول بنبرة ماكرة للأخرى :

-الحتة دي جامدة، ممكن الريس يدينا فيها كام ؟!

أجابتها الأخرى وهي تنظر لها مليًا، بعد أن نجحت في إدخالها السيارة :

دة بيع أعضاء يابت، حاجة محترمة بدل شغل السرقة اللي مش جايب همه، دة الراجل هيعمل أي حاجة عشان حد يتبرعله بقلب لبنته !!

هنا لم تستطع جويرية التغلب على النعاس أكثر من ذلك، وسقط جفنيها على عينيها بقوة ..+

فتحت أحدهم المقعد الأمامي الخاص بالسائق، وجلست به، بينما إتخذت الأخرى المقعد المجاور وهي تردف قائلة لشريكتها بهدوء :

-يلا بسرعة، من حظنا إن مكانش حد واقف

..

أومأت الأخرى رأسها بالإيجا، ثم إنطلقت بالسيارة بسرعة بالفعل ...!!!+

+.....

-لأ ما إنتي مش هتقعدي في المستشفى أكتر من كدة وهتيجي معايا البيت حالًا ..

أردف بها هو بغضب، وحدجها بنظرات حاسمة وهو يتابع حين رآها تفتح فاها للحديث :

-ومفيش أعذار، يلا قومي معايا يا كاثرن

نظرت له كاثرن بهدوء، وقالت :

-بس أنا حابة القاعدة هنا و ...

-الدكتورة بتقول إنك مينفعش تفضلي كدة كتير، وبعدين دة هيسببلك إكتئآب !

أشاحت وجهها للجانب الآخر في حزن ولم تعقب، حينها جلس هو على السرير بجانبها وتابع بنبرة أقل حدة بكثير :

-معلش بس بجد مينفعش أسيبك قاعدة هنا أكتر من كدة !!

هدأ أكثر وهو ينظر لها قبل أن يقول :

-إبدأي من جديد، فيه بداية لكل نهاية صدقيني، إنتي لسا صغيرة ومينفعش تحكمي على نفسك بالوجع دة !

ومتنسيش إنتي اللي إختارتي تسيبي البيبي، يبقى لازم تبقي قد المسؤلية وتخافي عليه

نظرت له ببطء ثم جرت قدماها يتبعها باقي جسدها لتنزل من على الفراش، قبل أن تقول :

-ماشي

إبتسم لها وسار نحوها وهو يصطحبها للخارج ..+

بعد نصف ساعة كانوا أمام منزلها، ذهبت نحوها فهز رأسه نافيًا وهو يتحدث :

-لأ يا كاثرن، هتيحي عندي فوق

أومأت رأسها ثم أردفت بهدوء :

-هجيب حاجة من جوا بس

-متخافيش كل حاجتك هنقلها فوق، المهم إطلعي الوقت معايا

تنهدت بإستسلام حين علمت أنه لا مفر من
الأمر، وبعد القيل كانوا أمام منزله...

حينها رن عقاب الجرس ففتحت تلك
الجميلة الباب وهي تبتسم ..

إبتسم لها عقاب هو الآخر وقال :

-جبتها أهو

ضحكت الفتاة وقامت بسحب كاثرن من
يدها إلى الداخل بترحاب، ثم ضمتها
فإبتسمت كاثرن لتلك المعاملة الطيبة،
حينها تحدثت الفتاة باسمة :

-كل دة عشان تيجي، أنا حبة وعقاب حبة،
حرام عليكي جننتينا !

أجابتها كاثرن بنبرة متزنة :

-معلش يا حور، كنت محتاجة أقعد لوحدي شوية

إبتسمت لها حور بود وسألتها :

-وقعدتي لوحدك ؟!

نظرت كاثرن لعقاب وقالت بسخرية وهي ترفع حاجباها :

-وهو جوزك سابني في حالي ؟!

نظرت له حور هي الأخرى وقالت ببرود :

-معاكي حق يا بنتي، دة ما بيسبش حد في حاله !

هنا تدخل عقاب وإقترب منهما وهو يقول بضيق مصطنع :

-لأ لأ أنا كدة أزعل، هو أنا جايبكم تتفقوا عليا ؟!

أجابته كاثرن ببرود أشد وطأة :

-ضربتك على إيدك وقلتلك هاتني ؟!

ضيق عينيه بغل وهو يقول :

-أنا غلطان قولت بدل ما تفضلي لوحدك بين أربع حيطان أجيبك مع الغلاباوية دي شوية !

نظرت له حور وحركت يدها بطريقة تنم على أنها تستوعده، ثم نظرت لكاثرن ووضعت يدها خلف ظهرها وهي تقودها نحو إحدى الغرف ..+

بعد ساعتين، خرجت حور من الغرفة القابعة بها كاثرن، وذهبت إلى غرفتها، وما إن رآها زوجها تقترب حتى إقترب منها متسائلًا بهدوء :

-ها عملتي إيه

إبتسمت له حور بمودة وقالت :

-عيب دة أنت متجوز دكتورة !

رفع رأسه للسقف يستلهم الصبر قبل أن يعيد النظر إلى حور، ثم قال بإستهجان :

-آه، دكتورة مجانين

عبس وجهها بشدة، ثم ضربته على كتفه بغيظ، وأعدت الكرة وهو يضحك ويحارل الإمساك بيديها، لنها دفعته بقوة على السرير وهي تقول :

-ماشي يا عقاب، بقى أنا دكتورة مجانين !!

ظل هو يضحك، ثم جلس وسحبها لتجلس بجانبه، ليردف بعدها وهو واضع يده خلف رأسها ويقربها إليه :

-خلاص، خلاص، أنا آسف كنت بهزر بس والله، إنتي دكتورة آد الدنيا

-عارفة أصلًا

قالتها بثقة وهي تبتسم، حينها نظر إليها وتابع :

-و زوجة زي العسل كمان

أشاحت وجهها عنه لتخفي إبتسامتها، فهمس في أذنها برفق :

-شكرًا يا حبيبتي

نظرت له فجأة وسألته بهدوء :

-بتشكرني على إيه ؟!!

رد بود :

-على كل حاجة، إنك مزعلتيش عشان كنت بهتم بيها، عشان هي صـ ...

قاطعته بضيق قائلة :

-دة واجبنا تجاهها، مش دي صاحبتك، وبعدين يعني إنت هتلاقيلي زيي فين ؟!

ضحك هو بشدة من طريقتها المرحة، وأجابها بإستخفاف :

-آه صحيح فين، إنتي فريدة من نوعك يا بنتي !!

لظرت له بغيظ وتابعت :

-امممم، حتى لو هي أجمل مني و...

قاطعها هو بعد أن وضع يده على وجنتها وأردف بجدية :

-مين قالك إنها أحلى منك ؟!

إنتي عامية بالله، روحي شوفي نفسك في المراية وبعدها إحكمي !

هزت رأسها نافية وهي مصرة على رأيها بـ :

-لأ والله أحلى مني إنت بس اللي ..

قاطعها ثانية بهدوء :

-خلاص تعالي شوفي نفسك في عيني، واحكمي !

نظرت له لبعض الوقت، عشر ثوانٍ أو أكثر، لتتحدث بعدها بإبتسامة ممتنة :

-ما عشان أنا واثقة فيك عمري ما هشك !

قبل رأسها بتقدير، وحب، ثم وقف قائلًا بثبات :

-المهم، أنا همشي دلوقت عشان أروح الشغل، صهيب اليومين دول بقى غريب أوي وهادي خالص، أنا خايف عليه والله ومش فاهم ماله !

سألته حور بإهتمام :

-طب بسبب إيه كل دة ؟!!

زفر عقاب بشدة ثم تابع :

-مش عارف، من بعد اللي حصل مع بيجاد، وخصوصًا بعد ما إتعرف على البت دي، بس الشهر دة كان غريب جدًا، بيقضي معظم وقته مختفي، ومش عارف بيروح فين، وحتى الشغل فيه كتير من الصفقات إتلغت بسبب تغيبه عن الشركة، بس أنا قررت أنوب عنه لحد ما افهم ماله !

وقفت حور بجانبه مبتسمة له وقالت :

-ممكن دة يكون كويس ليه، سيبه شوية

نظر لها مطولًا قبل أم يتابع :

-حاضر، المهم خلي بالك من نفسك، ومن كاثرن عشان نطلعها من الحالة دي

أومأت رأسها بهدوء، دائمًا ما كانت تتمنى حور رجلًا يشاركها شعور المسؤلية تجاه الناس كما تشعر هي تجاه مرضاها، ولقد حصلت على زوج لا يرتاح إلا حين يجد من حوله، لا يشعر بالسكينة الا بسكون الجميع من حوله ...

لقد كان يخبرها بأقل التفاصيل ويحكي لها كل شيء عن حياته، عمله، كل ما يواجهه في الخارج، حتى حينما قرر مساعدة صهيب في كشف بيجاد لم تمنعه، بل وقفت معه، وحتى أنها تتذكر عودته لها مرة وهو مغيب العقل بسبب مش شربه هناك، وماذا فعلت، فقط نصحته ألا يعيدها، وبالفعل لم يشربها مرة أخرى، لقد شربها فقط حينها

ليجعل الثقة بينهما أكثر عمقًا، وهل للحظة شكت في أنه قد يكون نظر لغيرها ... لا، ثقتها فيه تخطت الحدود ..

هاك زوجها، وهاك عينيها تراه ....+

+.....

لقد غلفه الشعور بالذعر حقًا، فأين هي ؟!

لقد إتفقا على اللقاء عند الجامعة، وها هو ذا يقف أمامها منذ أكثر من ساعتين، ولم يتجاهل منزلها فقد ذهب وتأكد أنها ليست متواجدة فيه، وقدر الإمكان لم يُشعر والدها بشيء ..

ظل جيئة وذهابًا يقطع الطريق، لا يترك مارًا إلا وقد سأله عليها، حسنًا قد يكون الأمر بسيط، إلا أنها لا ترد كلمتها خائبة أبدًا، فهي غير معتادة على أن تقول شيئًا ولا تفعله !

وأيًا يكن، فأخته ليست من النوع الذي يغلق الهاتف في منصف النهار!

عاد يزفر من جديد بقلق، نعم وأي قلق هذا، فهو غير مطمئن ؟!

أمسك هاتفه، وظل يبحث عن أحد الأسماء، إلى أن وجده، فضغط على زر الإتصال ووضعه على أذنه ..

قليلًا بعد، وبعد ما يقرب من الخمس ثوان سمع الرد :

-ألو !

أجابه هو بهدوء عبر الهاتف :

-أيوة يا معتصم، عاوزة أطلب منك طلب ..

أنصط إليه الآخر عبر الهاتف بإهتمام، وسأله :

-خير يا براء، فيه إيه ؟!

أجابه براء بتوتر :

-أنا كنت متفق مع جويرية أخدها من الجامعة زي كل مرة، مش لاقيها خالص، و .. وهي مش بالعادة تسيبني وتمشي، روحت البيت ملقتهاش، وبتصل موبايلها مقفول ..

أجابه معتصم بصوت رخيم :

-طيب إهدى إنت بس وتعالي المكتب، وبعدين محصلش حاجة إنت عارف إن ...

قاطعه براء بغضب :

-يا معتصم جويرية مستحيل تمشي وتقفل تلفونها ومتروحش حتى، ومتكلمنيش تطمني عليها !!

هي عارفة أنا بخاف عليها إزاي ؟!

وقف معتصم بسرعة وخرج من مكتبه متجهًا نحو إحدى المكاتب الأخرى وهو يقول له :

-إنت فين الوقت ؟!

-عند جامعة ****

-طيب أنا جايلك حالًا ..

إتجه معتصم نحو مكتب ما وفتحه، ثم نظر للجالس أمامه، وأردف بجدية :

-أبان، تعالى ورايا

ثم تركه وذهب، قبل أن يلحقه الآخر بدهشة

+.....

+.....

كان ذاك العجوز يسير بخطى بطيئة حتى يصل للمطبخ ..

كان عقله شاردًا، فلما قد تتأخر حتى تلك اللحظة، هو يعرفها جيدًا، من المستحيل أن تتركه وحده كل تلك الفترة !

فتح صنبور الماء، وملأ الكوب وأخذ يشرب حتى ارتوى، ثم عاد مجددًا من نفس الطريق وهو يردف بنبرة قلقة :

-هي فين جويرية لحد الوقت، مش عادتها تتأخر كل دة ؟!+

إقترب هو من هاتفه على الفراش، ثم إلتقطه وأخذ يحدث نفسه بهدوء :

-أنا هكلم براء أحسن، وأعرف هي فين ...

طغط على زر الإتصال، لكن فجأة داهمه ألم رهيب فأغمض عينيه وسعل عدة مرات،

ولم يجب أحد على الإتصال ..

أعاد الكرة، لكن الألم بدأ يزداد، لقد شعر أن هناك ما يخترق جسده من شدة الألم، وقبل أن يفعل أي شيء، سقط على الأرض والهاتف بجانبه ...+

+.....

فتحت عينيها، وأعادت فتحها من جديد، ثم مرة أخرى، لكن لا فائدة ...

هل أصيبت بالعمى مثلًا !!

تذكرت مقاطع من آخر ما سمعته قبل أن تستسلم لسلطان النوم، ثم حاولت الوقوف لتكتشف أنها مكبلة اليدين والقدمين، عقدت حاجباها بدهشة وهي تسأل نفسها، منذ متى وصارت الإناث تختطف بني جنسها لتبيع أجزاءهن !

ثم عادت لتسأل نفسها مرة أخرى، هل أصابها العمى ؟!

أم أخذوا هم عينيها !!

زفرت وهي تحاول الفكاك من الحبال، لقد آلمتها يداها حقًا ..

لكن حين لم تجد جدوى من الأمر، إسترخت على الجدار في الخلف، وبهدوء قالت لنفسها :

-أمممم على الأقل هنفع حد قبل ما أموت

ولم تدري لما ضحكت فجأة، لقد كان الجميع يهاب الظلام، في حين كانت تعشقه ...

لقد كان الجميع يهاب الموت، في حين كانت تتمناه،

فلما قد تخاف، ستواجه ملك الموت حين
يأخذ روحها بأمر الله بإبتسامة هادئة، وهي
تتمنى أن يغفر لها الله ما قد سلف ...+

علمت أنها لا تزال مبصرة بعد أن رأت ضوء
خافت جدًا قد لا يُرى، يأتي من الباب أمامها ...

هل من الطبيعي أن لا تصرخ أو تفكر بالفرار،
بل فقط أرادت إراحة يداها المتألمتان !

لما قد تفكر بكل تلك الأنانية، ترحل هي
والباقي يحزنون ؟!

ولما لا تفكر بأنانية وأقرب الأقربين فكروا بها
من قبل، لقد كانوا أكثر وأشد منها أنانيةً، إذًا
لما عليها أن تفكر في الآخرين حين يواجهها
الموت، أليس من الأفضل أن تستسلم له !!

لا أحد يعلم كم أخفي بداخلي من آلام، لا أحد
يفهم ما معنى أن تفقد ..

تفقد شخصًا كان بمثابة ...

ولكن هل هي مستعدة للقاء الله ربها حقًا !

هل قدمت ما يعطيها الرخصة للذهاب للجنة !

هل ..

كادت أن تتابع سرد الأسئلة على نفسها، إلا أنها سمعت صوتًا خافتًا يصدر من الباب، فحولت أرنظارها الهادئة نحوه ..+

لم تسل نفسها أي سؤال، وتوقفت عن التفكير لترى من القادم، ومع إشتداد الإضاءة القادمة من الباب أغمضت عينيها، لثوان وهي تعد أن تفتحها من جديد، فليس من الحكمة ألا تملي عينيك من عيني عدوك قبل أن يفتك بك .....!!!+

+!!!!!.....

يتبع إن شاء الرحمن ..

+

واصل قراءة الجزء التالي

الجزء الثاني ....الفصل الحادي والثلاثون :

+

+

+

ضوء أزرق قد تسلل من خلال الباب إلى الداخل، سيطر الهدوء لحظيًا على المكان بشكل مريب، وبدأت تستمع إلى وقع نعلي حذائه يقترب ...

ما تزال مغمضة عينيها، ومشيحة بوجهها نحو جانبها الأيمن، بالرغم من أن الإضاءة لم

تكن بذاك الوهج الساطع جدًا، إلا أنها على ما يبدوا لم تزر الضوء منذ فترة طويلة ..

-كان فيه كلمة ما بينا، كان المفروض تلتزم بيها !

أردفت هي بها بهدوء، مع أن عينيها ما تزال مغمضتان ...

توقف صاحب الخطوات عن السير، وأجابها بنفس الهدوء :

-إنتي كسرتي الكلمة، وإضطريت أنا كمان أكسرها زيك !

أخيرًا قد بدأت تبصر من جديد، حينها رمقته بنظرات ساكنة كأن شيئًا لم يكن، وبروية سألته :

-كسرتها ؟!

تقدم عدة خطوات، وقد تجهم وجهه وهو يقول :

-أفكاري، ذكرياتي، أحلامي، كل لحظة، كل دقيقة !

زفرت تلك المرة ببعض الضيق وسألته بحنكة :

-وأنا كدة كسرت كلمتي !

أجابها ببساطة :

-أكيد .

إبتسمت ساخرة مما قال، وأرجعت رأسها للخلف قليلاً، ولم تجبه

ظل يقترب إلى أن وقف أمامها وظل يرنوها بهدوء ..

ذاك الهدوء الذي يخفي خلفه بركانًا من الأسئلة يريد الإنفجار، ألم تخف، لا حقًا ألم تشعر بالخوف ؟!

الآن من المفترض أنها سمعت ما قيل قبل أن تفقد وعيها، ألم تشعر بأي نوع من .. لحظة واحدة فقط ..

-إنتي عرفتيني إزاي ؟!

كان ذاك سؤاله الذي قاله ببرود، رغم أنه سيجن ليعرف الإجابة ..

أجابته دون أن تنظر له :

-مشيتك.

ضيق عينيه وسألها :

-مالها ؟

نظرت له، وكانت تلك الإبتسامة لاتزال
تداعب وجنتيها، ثم قالت :

-أنا حفظت صوت مشيت ضلي ..

إبتسم هو الآخر وإنحنى حتى يجلس
بمستواها، ثم يتابع بهدوء :

-يعني كنتي عارفة ؟!

أجابته بتحدٍ :

-وإنت كنت عارف إني عارفة

رد عليها ببساطة :

-أيوة كنت عارف إنك عارفة، بس مكنتش
أعرف إنك عارفة إني عارف إنك عارفة ؟!

سألته وإبتسامتها تزداد إتساعًا :

-من إمت بتبيع أعضاء، جديدة عليا دي ؟

إذًا لقد سمعتهما، ما الأمر الآن !

ما كل ذاك الجمود ألم تجزع ؟!!

أسئلة دارت في عقله لم يبدها على وجهها، لكنه إنتصب حينها ونظر لها مليًا قبل أن يرد ببرود :

-من زمان.

رفعت حاجباها لأعلى، وهي تردف ساخرة :

-على كدة هتكسب من ورايا كتير ؟

أجابها وهو يضحك :

-بجد بتسألي !

توقف قليلاً عن الضحك ثم تابع بثقة :

-إنتي بحد ذاتك مكسب !+

حقًا يداها بدأتا تؤلماها كثيرًا، قدماها أيضًا، تلك الحبال لفت بإحكام شديد، و ..

-هخلصك منهم، بس الأول لازم تعرفي أنا مستضيفك هنا ليه !!

إنتبهت له، وشعرت بالضيق من نفسها لأنه شعر أنها تتألم، كيف سمحت أن تغطي مشاعر الألم وجهها ليراها هو عليها ؟!!

نظرت له نظرات متزنة، وإنتظرت أن يتابع ..+

سار أمامها قليلاً وتابعته هي بصمت، ثم إستدار لها عند نقطة ما وبدأ بالحديث :

-أمممم أنا .... عاوزك تكوني قدامي أطول وقت ممكن

صمت لينظر لها فوجدها ما تزال كا هي، فتابع :

-معرفش ليه، بس دة بيديني إحساس غريب، أنا مش من عادتي أكذب على نفسي

سكت ثانية، وأخذ يقترب قليلاً منها ليردف بعدها بخفوت :

-وسعات كتير بحسك نفسي !

ظلت تنظر إليه ولم تتبدل ملامحها، لكنها أجابته بنبرة غامضة، بعد فترة صمت :

-صهيب !

نظر في عينيها وأجاب متسائلاً :

-نتجوز طيب !

أشاحت وجهها عنه فإما أنه قد فقد عقله، أو أنه قد فقد عقله !

ما الذي دهاه، لقد حذرته مرارًا أن يبتعد عنها وما زال يقترب !

تابع حديثه بجمود غير آبه بها :

-أنا مش هاممني إنك مبتطقينيش، برغم إنك واثقة إني شبهك في كل حاجة، برغم إختلافنا الشاسع !

ومش هاممني تفكيرك فيا إني مجنون دلوقت، أنا أهم حاجة عندي أحقق لنفسي اللي هي عاوزاه، بأي طريقك كانت ..

ومش هاممني إنك ترفضي أو تقبلي، لأنك في النهاية هتوافقي+

إقترب منها وأخرج أحد السكاكين من جيبه، ثم إنحنى لمستواها وبدأ يقطع الحبل الذي يقيد يديها، ومنه إلى قدميها،

أما هي فقد كانت تنظر للجانب الآخر في صمت، لم تبدِ أي ردة فعل ...!+

حين إنتهى من قدميها، وجدها تقف بصعوبة، وحين وقفت ترنحت للخلف قليلاً،

لم يقدم هو على مساعدتها، ولن يفعل ..!

لم تنتظر هي مساعدته، ولن تسمح بذلك +!..

ثوان فقط حتى إعتدلت ولم تعره إهتمامًا وهي تسير نحو الباب ببهدوء، حينها أردف هو ببساطة :

-إفتكري، قولتلك برضاكي أو غصب عنك هتوافقي !

إستدارت له بعد أن إستفزتها الكلمة من جديد وأجابته بحدة خفيفة :

-أفتكر إن عمر ما حد أرغمني على حاجة !

إقترب منها بهدوء، وبعد أن وضع يده في جيبه قال :

-أنا هكسر القاعدة دي

ردت بجمود :

-كان بينا إتفاق نبعد !

لم يعبأ بالرد وتابع محذرًا :

-أُدامك لحد بكرة الساعة تمانية، تتصلي بيا وتقوليلي إنك موافقة، وأنا هكون محضر كل حاحة، وإلا ..

كتفت يداها، وظلت ترنوه لبرهة قبل أن تسأله بتحدٍ :

-وإلا ..؟!

أجابها ببرود :

-أكيد متحبيش حد من أهلك يدخل في الموضوع !

إبتسمت له ببرود أكبر وهي تجيب :

-إنت مش هتعمل كدة صدقني !

رد بإبتسامة سمجة :

-عندك حسن ظن كبير بالناس !

أجابته بثقة :

-لأ، أنا عندي ثقة كبيرة بس بتحليلي للناس، و إنت مش هتعمل كدة عشان إنت مش متعود تخسر حاجة عاوزها !

نظر لها بذهول، ولم يعقب، فقدرتها على قراءة أفكاره رهيبة، كيف تعلم هذا ؟!

-أنا بالنسبالك تحدي جديد عاوز تغير بيه روتين حياتك الممل، عاوز تطلع بيه من المود !

بس المشكلة إني مش كدة، الحكاية فيا أنا ..

هدأت قليلاً وكأنها تناست من تحادث، ونظرت للفراغ وهي تتابع :

-أنا فيا حاجة غلط، عشان كدة قولتلك إبعد عني

رد عليها بنبرة غريبة :

-ما إنتي لو مكنش فيكي حاجة غلط مكنتش هستناكي تطلبي أبعد !

تنهدت بهدوء، ثم نظرت له للمرة الأخيرة قبل أن تستدير وترحل وهي تردف له :

-نسيت أشكرك عشان اللي إستضافوني عندك كانو بنات، برغم الطريقة الغير ظريفة اللي جيت بيها هنا !

ظل يرنوها وهي تبتعد بنظرات حائرة، ثم قال لنفسه :

-لو كنت بعتت رجالة كنتي قاومتيهم للنفس الأخير .. بس أنا واثق، هتبقي ليا قريب يا جويرية

فجأة قال لها بنبرة شبه عالية لتسمعها :

-بلاش ثقتك في نفسك الزايدة دي، أفعالي هتخليكي تعيدي حساباتك تاني ..

حين سمعته توقفت حتى أنهى حديثه، ثم إنصرفت بعدها دون أن تضيف كلمة+

أغمض عينيه قليلاً وهو يتذكر ما طلبه من الفتاتان اللتان أحضرتها إلى هنا، حين طلب

منهما ذكر أشياء تصرف إنتباهها عنه، فقد
أراد ألا تعلم إلى أين يأخذانها ..

وأي شيء مقابل المال يحدث ببساطة،
فهما قد وافقتا برغم أنهما ظنا أنه يعمل
أيضًا في تجارة الأعضاء البشرية !+

كان الإتصال بها وإخبارها بالأمر بسيطًا، لكن
خطفها ولو لم يخفها سيكون له إنطباع أكثر
حدة، في النهاية لقد حذرها وإلم تفعل
سيتخذ هو الخطوة القادمة ..

حانت منه إلتفاتة إلى المكان حيث كانت
تجلس هي، وسرعان ما ترك المكان وذهب
+..

+.....

تسير في إتجاه الجنوب بزاوية مئة وثمانين درجة إستقامة، سكنت تعابير وجهها حديثًا، وبدأت عيناها تتخذ الرمادي لونًا ..

خطواتها محسوبة المدى، لا تسبق قدم الأخرى،

شرودها أودى بها إلى عالم آخر .، حين خرجت وجدت الليل قد حل، فماذا حل بهم الآن ؟ سواءً كان والدها أم أخيها، ثم إنصرف تفكيرخا إلى أمور أخرى ..

كثيرًا ما كانت تتساءل كيف تثق بأنه لن يضرها، لم يكن جوابها أبدًا أنه لا يريد إلحاق الضرر بمقتنياته، أو على الأقل كما يعتقد هو !

لكن جوابها كان عينيه، بلى فلا تكذب العينين أبدًا، مرآة هي تعكس ما بالداخل،

والمحافظة على جمودها لفترة طويلة لا
يعني أبدًا إخفاء كل المشاعر عنها !

حين هددها بأنه سيؤذي أحد أفراد عائلتها،
كانت عينيه تقول لن أفعل، الأمر لا يحتاج
الكثير لتفهم أن هذا محظ تهديد أخرق !

ولن يفيده أبدًا ..

لكن هناك أمر أرادت معرفة جوابه بالفعل،
لما لم تكرهه بعد ؟!

لم تشعر للحظة أنه يستحق الكره، ولم
تشعر بأي شعور نحوه سوى الحنق لما
يثيره من إضطراب في سيطرتها على نفسها،
وخلاف ذلك تشعر بأنها تريد أن تكون أمامه
كما الجليد، فقط لترد عليه الحنق الذي
يسببه لها !+

رفعت رأسها للأعلى قليلاً، ثم بحثت عن هاتفها في حقيبتها التي وللعجب ما تزال معلقة بين كتفاها ..

أخرجت الهاتف لكنها وجدته مغلقًا، حاولت فتحه بلا فائدة، لكنها خطر لها شيء فجأة، حينها فتحت غطاء الهاتف من الخلف لتجده منزوع البطارية كما ظنت، بحثت في الحقيبة مرة أخرى فوجدتها مهملة وحدها ...

إذًا فهو قد إحتمل إمكانية العثور عليها من خلاله ..+

بعد أن ركبت أجزاء الهاتف ووضعته على أذنها لتتحدث، لم يمض أكثر من ثلاث ثوان حتى جاءها الرد بـ :

-جويرية، إنتي فين، وكنتي فين من الصبح عمال أدور عليكي و ..

قاطعته هي بهدوء :

-إهدى يا براء، أنا كويسة الحمد لله، وجاية البيت أهو، المهم بابا عامل إيه ؟!

أجابها هو بغضب :

-بقولك كنتي فين، أنا قلبت الدنيا عليكي !

تنهدت بهدوء وأردفت :

-هحكيلك كل حاجة، بس لما أرجع البيت و..

-إنتي فين الوقت وأجيلك !

نظرت حولها بضياع، هي لا تدري بالفعل أين هي، بالرغم من أنها تستطيع العودة للمنزل !

طالت فترة الصمت فقال هو بنبرة أقل غضبًا :

-طيب أوصفيلي المكان، وأنا هاجي أجيبك

ظلت تسير بلا توقف وهي تجيبه ببساطة :

-أنا مش هطول عشان أوصل، بس المهم طمني على بابا

ظهر صوته متقطعًا قليلاً وهو يردف بقلق :

-آآ عمي، طيب تعالي الأول وهقرلك

بدأت نبرتها تتغير، ثم وقت جامدة في مكانها وهي تسأله :

-بابا ماله ؟!!

تنهد هو على الجانب الآخر ورد عليها بحزن :

-أنا كنت متفق معاكي نروح سوا ولما ملقتكيش روحتلك البيت، وحاولت مبينش لعمي حاجة، وبعدها فضلت أدور ملقتكيش برضوه، ورحتلك البيت تاني، لما روحت لقيت عمي مغمى عليه على الأرض، نقلته على

السرير وجبتله دكتور، قالي إن وضعه مش مستقر، وإن يبقى أحسن لو نقلناه على المستشفى، هو الوقت نايم ..

صمت ... صمت ... صمت ...

بعد أن فجر تلك القنبلة، شعر بالقلق، بالخوف، وشعر بالغباء لأنه مان من المفترض أن ينتظر عودتها أقل ما في الأمر أن يتأكد على سلامتها و..

-طيب ثواني وأبقى عندكم

قاطعت هي الصمت المهيب بجملتها الهادئة، ثم سمع صوت إنهاء المكالمة بعدها

...

نظر خلفه لوالدها النائم، ثم نظر للباب، شعر بالحيرة هل يستقبلها بالأسفل أم هنا ليراعي والدها إن إحتاج شيء ..!

حسنًا هو نائم على أية حال، ولكنه من
الممكن أن يصحوا في أي وقت !

تنهد بإنهاك من كثرة ما إجتاحه اليوم من ألم
وإضطراب في المشاعر ..

ثم إتخذ أول أريكة أمامه مقعدًا يرتاح عليه،
وأرجع رأسه للخلف، ليوقف عقله للحظة
عن التفكير، فيكفيه ما مر به اليوم !

ناهيه عن التفكير فيها الذيزخطر له فجأة،
فما ردة فعلها الغريبة هذه، بالفعل دائمًا ما
تجعله يحتار ...

بدى وكأنه تذكر أمرًا فجأة، فأمسك بالهاتف،
ووضعه على أذنه بعد أن طلب أحدهم، ثم
قال بعد فترة صمت :

-أيوة يا أبان، آه الحمد لله هي بخير، بلغ
معتصم بقى

سكت قليلاً ليستمع إليه قبل أن يتابع بهدوء :

-مش عارف والله كانت فين، أول ما أعرف هقولكم

إبتسم بمودة ليردف بعدها :

-ما لو مرزلتش عليكم هرزل على مين يعني ؟!

+....

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى سمع صوت طرق الباب، إنتفض هو بسرعة من على الأريكة وذهب ليفتح الباب، وحين رآها تبدلت ملامحه إلى الراحة، وسرعان ما تغيرت إلى الضيق وسأل :

-كنتي فين كل دة ؟؟

نظرت له بقلق قبل أن تنطق :

-بابا فين ؟!

أفسح لها المجال لتعبر، فدلفت بسرعة نحو غرفة والدها وظلت ترنوه بحزن ..

جاء براء من خلفها ووضع يده على كتفها برفق، ثم قال بخفوت :

-متخافيش هيكون كويس إن شاء الله

إقتربت منه قليلاً ثم وضعت يدها على وجهه بحذر، وظلت هكذا ما يقرب من الخمس دقائق، حتى أن الواقف أمامها لم يفهم ما تفعله !

وسرعان ما تركت الغرفة بعدها وانصرفت بهدوء ..

خرج هو الآخر من الغرفة، وأغلقها عليه لكي لا ينزعج منه ...+

+...

-قولي بقى كنتي كل دة ؟!

أردف بها براء بنبرة حادة قليلاً، فنظرت له بهدوء وظلت على صمتها تفكر ..

لو أخبرته الآن ما حدث سيحدث !

سيتهور كعادته، وسيجعل من حماقة شخص تصرف في وقت إختل فيه عقله، جريمة !

الأمر أنها تعلم، هي من إستفزته لفعل ذلك بها، والآن لن يشتبك أحد بالآخر بسببها ..

-كنت راجعة من الجامعة، وأغمى عليا، وبعدها الموبايل فصل

رمش عدة مرات ليصدق ما تقوله، قبل أن يردف بشك :

-أغمى عليكي !

ردت بهدوء :

-ممكن هبوط، عشان كنت بذاكر كتير، أكيد المذاكرة هي السبب

-ولنفرض إنك أغمى عليكي، كل دة، وكنتي فين ؟!

زفرت بنفاذ صبر لشعورها أنه يشك في مصداقيتها، ألا يكفي أنها تضطر إلى الكذب، ويريد أيضًا أن تقنعه بالأمر !

لا هذا كثير... !!

قبل أن تتفوه بكلمة أخرى سمعت صوت والدها يناديها بوهن، وبسرعة إستجابت

للنداء وذهبت إليه، وقفت أمامه حينها وإنحنت حتى صارت بمستواه قبل أن تقول :

-بابا إنت كويس ؟!

إبتسم لها الأب بمودة، وحاول الإعتدال، فمنعته هي قائلة بحذر :

-متتحركش يا بابا عشان خطري

بالفعل لم يتحرك، فهو لم يقدر على ذلك، لكنه قال :

-أنا كويس متخافيش، أنا بس نسيت آخد الدوا من يومين

إتسعت عيناها وسألته :

-إزاي، أنا كنت بديك الدوا في معاده كل يوم !!

إبتعد بعينيه قليلاً عنها وأردف :

-ما هو كان مر و ...

قاطعته هي بضيق، وظلت نبرتها بنفس الهدوء :

-كنت ممكن تقولي أحطلك فيه عسل بس مش ماتاخدوش !

وضع يده على وجنتها وقال برفق :

-يا بت أنا كويس أهو، خلاص بقى إهدي وهبقى أشربه وأمري إلى الله !

نظرت له حينها بصمت، كيف تقنعه أن من بقي في حياتها لا تستطيع تحمل فقده !

كيف تستطيع جعله يفهم أنها لن تحيا بلا هم !

كيف ...!!!

+.....

جزء قد تم حذفه من الرواية ...

قبل شهرٍ من الآن ..+

كان جالسًا وحده في تلك الزنزانة المغلقة،
لقد بدأ يعتاد الوحدة، ويشعر أنها صديقته
برغم ما يكنه في قلبه من ضغينة لها !

تجعله الوحدة يفكر بأشياء، لو لم يفعلها لما
وصل إلى موقعه هذا .. ثم تعود لتذمه
وتوقظ الضمير الذي نام لقرن بداخله،
فتجعله يثور عليه ثورانًا ..

للحائط أسند رأسه، وتنفس بعمق، وتساءل،
لما لم يجتلِ بنفسه من قبل ؟!

لما شغلت الأموال والمكسب ذاك الحيز
الضخم من تفكيره حتى بات لا يفكر إلا بهما
!

نظر للورقة والقلم الممسك هو بهما، وبدأ يدون بعض الكلمات ..

"... مرحبًا عزيزتي ...

لقد كتبت لكِ هذا الخطاب حينما بدأت أتدارك ما كنت أفعله معكِ قبل أن أُزج هنا .."

تنفس بعمق أكثر، ليخرج الحرارة من داخله وتابع الكتابة ..

"الآن حُكِمَ علي بالسجن لخمسة أعوام، مع أنني توقعت خروجي ببساطة، ومن يعلم هل سأخرج على قيد الحياة أم لا .."

شعر بالإختناق وهو يتذكر مقتطفات مما فعل في السابق، مع كل من آذاه، مع كل من جعله يتذوق مرارة الألم، فتابع الكتابة وقد

سقطت دمعة ساخنة من عينيه على الورقة

..

"لكن سوف أعترف لكِ إعترافًا،

أنا حقًا أستحق العقاب، فقد دمرت حياتها، وحياتكِ قبلها !

أريد إخبارك أنني ندمت حقًا على كل ما فعلته، وأريد أن أعتذر وإن كان الإعتذار لا يكفي !

تذكر حينما إعتدى عليها بالضرب والسب، تذكرها جيدًا، نعم هو لم يحبها يومًا لكنه الآن لا يدري ما تلك العاطفة المسيطرة عليه !

يريد فقط أن يراها ولو لمرة ....

"لن أنكر أنني حرمتكِ من جميع حقوقكِ كزوجة !

لن أنكر أنني تزوجتكِ لأنكِ بديعة الخَلقِ،
ولم أرَ بجمالكِ يومًا..

لن أنكر أنكِ أعطيتني أكثر مما أستحق، فقد
أغدقت عليَ الحب، ولم أبادلكِ أنا إلا
بالقسوة !

أكتب لكِ بعد أن أدركت كل هذا، فلم أعلم
أن الإختلاء بالنفس قد يوقظ الضمير بي .."

توقف قليلاً وأخذ يمسح عبراته التي تسح،
فما كان من يده إلا أن وارتها بأصابعها بهدوء،
ليتابع الكتابة، بقوى جديدة، وعزيمة أقوى ..

"حررتكِ مني عزيزتي، وطلقتكي في ذات
اليوم الذي جئتيننني تبكي فيه ..

هل تعلمين أنني لم أكن أعلم أنني أحبكِ
بهذا القدر إلا في اللحظة التي حررت فيها
إسمك من إسمي !

هل تعلمين أنني كنت أعمى حين نظرت لغيرك، فقد كان وجهك يضويني إذا ما أردت الضياء !

آسف

لو سامحتني فتلك أقصى أمانيا

وداعًا حبيبتي ...+

من زوجك السابق بيجاد رشوان .."+

نظر للرسالة مرة أخيرة قبل أن يطويها، وكل ما شغل باله هل ستسامحه !

ولأول مرة في حياته، لا يحتاج أكثر من هذا، فقط مسامحتها له ..+

.....+

جزء مما وراء الرواية..

١٩٨٣/٣/١٠

مساءً، بعدما إستتر الجميع تحت ستار
النوم، كان بعضهم لم يغمض له جفن ..
ولربما احتار هذا الشخص كيف يقضي وقته
فقرر أن يغير الروتين ...

وفي الصحراء ..+

إتسعت تلك الحفرة كثيرًا، وصب العرق على
جبين ذاك الممسك بالمحراث صبًا، يقتلع
التربة من الأرض، وينظر حوله لأول وهلة لا
يري شيء، وللوهلة الأخرى ينظر للجسد
المغطى بكساء أبيض، قد يكون وحده ما
ينير الظلام وسط هذا الليل ..+

إكتمل الحفر، فذهب نحو الجسد المغطى
وحمله بين راحتيه، ثم سار به خطوات قليلة
إلى أن وصل إلى الحفرة ..

وضع الجسد بها، وبدأ بردم الحفرة عليه من جديد .. كان التراب ينزل عليه فيغطي بياض الكفن، وكلما ردم أكثر، إختفت معالم الجسد أكثر، إلى أن إنتهى كليًا منه، وإختفت تعابير وجه الرادم عدا عن إبتسامة هادئة إرتسمت على شفتاه، ثم سار مبتعدًا عنها، حاملاً معه محراثه، ليختفى في ظلام الليل، ولم يبقَ إلا ظله الذي طارده، وسرعان ما اختفى معه .....!!!!+

.....!!!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثاني والثلاثون:

+

+

"فاضل ١١ ساعة، بلاش تخليني أضطر أنفذ تهديدي ..."

نظرت للهاتف بذهول، وسرعان ما تحول ذهولها إلى الغضب، زفرت بحنق تنظر إلى ما كتبه ذاك المختل، وقد فقدت القدرة عن التعبير ...

كم يبدوا جادًا تلك المرة!

ماذا لو كان سـ.. لا لا، لا يجب أن أفكر بتلك الطريقة، هو فقط يحاول تهديدي ولن يفلح كعادته..

وضعت الهاتف أسفل الوسادة ثم وضعت رأسها عليها، وأغمضت عينيها، لكن لا يزال هناك شعور ما سيء بداخلها، هي تشعر بعدم اطمئنان للغد، وسرعان ما قامت مجددًا معتدلة في فراشها، وأخرجت الهاتف

طالبة رقم أحدهم وهي تمتم مع نفسها بخفوت:

-أنا بس هطمن على براء الأول بس وبعدها أنام..+

استمعت إلى صوت الجرس في الجانب الآخر وهي تهز ساقها باتزان، ولم يطل الأمر حتى سمعت:

- سلام عليكم، أيوة يا جوري فيه حاجة!

تنفست بارتياح حالما سمعت صوته، ثم أجابته بهدوء:

-لأ، كنت بس عاوزة أعرف، انت روحت ولا لأ!

أجابها بنبرة منهكة:

-آه روحت من نص ساعة، يادوبك إتغديت عشان مكالتش من الصبح، ورايح أنام عشان مش قادر

ابتسمت بمودة وهي ترد عليه:

-طيب روح انت نام عشان شكلك تعبت من الصبح، وبكرة لو عرفت تعالى عندنا

أجابها بهدوء:

-لأ، بكرة مش هينفع خالص، عندي شغل مهم جدًا هيفضل وقت طويل

تغيرت تعابير وجهها وبدأ القلق يجتاحها من جديد، وظلت صامتة فتابع هو حين لم يجد منها تعقيبًا:

-طب بصي، بالليل على ١٠ كدة لو عرفت أجيلك هجيلك..

حافظت هي على نبرتها الهادئة وردت:

-إن شاء الله، المهم خلي بالك من نفسك

+...

بعد أن أنهت الحديث معه، أعادت وضع رأسها على الوسادة مرة أخرى، صحيح لم تكن مرتاحة البال بالكلية، إلا أنها خففت حدة التوتر الزائد لديها قليلاً، لتعود وتقنع نفسها من جديد أنه كانت تعلم أنه بخير، ولن يصيبه بأمر الله شيء، ثم لا أحد سيمس شعرة منه، لا أحد إن شاء الله ...+

مضت ساعة كاملة، الأمر مزعج جدًا، لا يغمض لها جفن، فتساءلت فجأة بينها وبين نفسها، لما لا تلجأ لمن لا تنفك كرباتها إلا بمساعدته؟!

لم لا تلجأ إلى الله!

لم تنتظر أكثر من ذلك، وذهبت نحو الحمام لتوضأ وفي نيتها الاستعانة بالله ..

الاستعانة بالمعين ...+

.....+

صباحًا..+

وقف هو وسار نحوها بثبات لبضع خطوات، وما لبث أن وقف أمامها وقد اتسعت عيناه اندهاشاً وسأل:

-إنتي بتتكلمي بجد؟!

أومأت رأسها أي نعم، وأضافت بنبرة بها بعض الترجي:

-أيوة، آآآ.. أنا زهقت من البيت، أنا مش متعودة أفضل كل الفترة دي من غير شغل..

حك رأسه مستفهمًا، وقال على مضد:

-إيه الشغل ده طيب؟

ابتسمت حينها فقد بدأت ساحة الحوار تنفرج، ثم أجابته بتلقائية :

-هشتغل مع يمنا صاحبتي في الحضانة بتاعتها

رد وكأنه يتذكر شيئًا ما:

-يمنا دي اللي كانت بتجيلك البيت اليومين اللي فاتوا؟!

-أيوة هي، هي عرضت عليا، وأنا قولتلها هسألك الأول

ابتسم لها بحنو، لقد بدأت تتناسى أنها تكبره بأكثر من أربعة أعوام، أو أنها بالفعل تتعمد هذا، تتعمد أن تشعره أنه رجُلها حتى ولو كانت هي الأكبر ...

وضع يده على وجنتها وهو يتحدث بهدوء:

-أنا عاوز راحتك بس، ولو الموضوع ده هيخليكي تبقي أحسن، أنا معنديش مشكلة

ازدادت ابتسامتها اتساعًا، قبل أن تضمه بسعادة وهي تردف:

-شكرًا يا سُهيل

مسح على شعرها، وهو يتحدث ضاحكًا:

-للدرجادي فرحانة؟

ابتعدت عنه قليلاً وهي وتقول:

-آه أصل كنت مفكراك مش هتوافق

نظر لها مطولاً وهو يبتسم بلمحة من حنان ورفق..

للحق، لم يعلم أن الأمر سيجعلها سعيدة إلى تلك الدرجة، لو كان يعلم لما ناقشها من البداية ووافق سريعًا..

لقد تطورت علاقتهما في تلك الفترة أكثر من أي وقت مضى، فقد اشتغل دومًا على إبهاجها وإرجاع أخته القديمة فيها، وفي المقابل، أعطته هي مفاتيح حياتها لكي يفتح هو لها إذا ما أرادت شيئًا، لقد أشعرته بالمسؤولية، وترتب على هذا، سرعته الكبيرة في إيجاد عمل مناسب، وكانت تلك هي المرة الأولى في حياته التي يعمل بها ...

لقد كان مدللاً في عائلته، حتى أنه حين طلب سيارة وألح في طلبها لم يمض شهر إلا وكانت معه، لكن في الوضع الجديد، يحمل مسؤولية نفسه، وأخته، وبيته، وللعجب لقد أحب تلك الحياة أكثر بألف مرة من الأخرى!

في وجهة نظره، لا حياة أفضل من حياة أسرة مترابطة، وحبها لبعضها حتى وإن كانت صغيرة ...!+

-هتبدأي من إمتي!

-هي قالتلي براحتك، بس أنا بقول من بكرة

-خلاص يا روزي، من بكرة هوديكي أنا الصبح، شوفي كل حاجة وأنا هكون جاهز إن شاء الله على الوقت

أومأت رأسها مبتسمة وصمتت، فقال هو:

-أجيب غدا إيه وأنا جاي النهاردة

أجابته على الفور:

-لأ متجيبش، أنا اللي هطبخ النهاردة

سألها بفضول :

-هتطبخي إيه ؟

هزت رأسها نافية، ثم تحدثت :

-مفجأة، ويلا بقي هوينا على شغلك عشان تيجي تلاقي الأكل جاهز

قالت تلك الجملة وهي تجره نحو الباب، فضحك هو وقال لها:

-للدرجادي مش طايقاني!

-أيوة نهائي، يلا بقى

ثم أمسك يده لتنظرت في ساعته، وشهقت مازحة وهي تردف:

-انت إتأخرت نص ساعة كاملة!

إتسعت عيناه هو الآخر وسرعان ما ارتدى حذاءه وهو يقول:

-أنا اتأخرت خالص!

راقبته هي حتى إنتهى وهي تحاول منع نفسها من الضحك، ولكن بمجرد أن رأته يذهب ويغلق الباب حتى ضحكت وهي تتجه للمطبخ، ولكن فجأة وجدت الباب يطرق من جديد، فأسرعت نحوه ونظرت من خلف الباب، لكنها فتحت بسرعة وهي تنظر له وتسأله بهدوء:

-إيه نسيت حاجة؟!

إستند على حافة الباب ونظر لها بحاجب مرتفع، ونظرة السخرية تعلو محياه، قبل أن يردف بهدوء وهو ينظر في الساعة:

-نص ساعة تأخير يا مفترية، وأنا أصلاً لسا على ميعاد نزولي نص ساعة!

ضحكت هي فدخل البيت قائلاً بضيق وهو يمسك شعرها ويشده برفق:

-بطلي مقالب بقى في خلق الله يا شيخة!

تذمرت هي بلهجة طفولية وهي تتحدث:

-لو مرزلتش عليك أرزل على مين يعني!

نظر لها مليًا قبل أن يتركها ويضحك مجددًا، وشاركته هي الضحك..+

+.....

فتحت عينيها، ولكنها لم تبصر شيئًا..

يحيط بها الظلام من جميع الجهات، وبالرغم من أنها فتحت عينيها، لكن لا فائدة، ظلام مرعب تقشعر له الأبدان، بدأت ساقيها ترتجفان وهي تحاول النهوض، لتتفاجأ أنها كانت نائمة على الأرض كل تلك المدة، تهادت في مشيتها، فظلت تمشي ببطيء شديد خشية من أي شيء..

تقدمت قليلاً وبدأت تلحظ ضوءً خافتًا في نهاية ذاك الظلام..

كلما تقدمت أكثر نحو الضوء، ازداد وهجًا، فأسرعت أكثر لترى ما هذا الضوء وسط كل الظلام هذا..

بمجرد أن توقفت أمامه وجدت بابًا خشبيًا زيتي اللون، لم يكن الباب مغلقًا، ولم يكن مفتوحًا على مصراعيه، أي أنها حين قررت الدخول فتحت الباب بيسر ...

وسط كل ذاك الهدوء، كان هناك صوت يحاول فرض سيطرته، صوت خاف لأحدهم يبكي، حين سمعت هي ذاك الصوت تملكها الفضول فأخذت تسرع أكثر، كانت غرفة غريبة لم ترها من قبل، غرفة خالية من أي شيءٍ عدا حفرة كبيرة في منتصفها، ورجل

جالس في زاوية بعيدة يبكي، وحتى ملامحه لم تتبين ...

اقتربت منه وهي تسال بصوت خافت:

-مين، انت مين؟!

لم يبدوا على ذاك الرجل أنه سمعها، فاقتربت منه أكثر إلى أن وقفت أمامه، حينها فقط اتسعت عيناها وتراجعت للخلف ثلاث خطوات فاقدة القدرة على الحديث..

نظر لها ذلك الرجل بهدوء لفترة قصيرة، قبل أن يقف ويقترب منها، وقد لاحظ أنه حين اقترب خطوتان ابتعدت عنه أربع، فتوقف كي لا تستمر بالتراجع، وظل ينظر لها بهدوء دون أي يتفوه بكلمة، وبالرغم من هذا، لم تتوقف دموعه عن النزول، بل ازداد جريانها

على وجنتيه، وازدادت نظراته ألمًا، وحزنًا بعد كل ثانية تمر ...

كانت هي قد بدأت تشعر بالطمأنينة فلن يقربها، وظلت تنظر لعينيه بشيء من الدهشة، حتى أنها لم تستطع سؤاله عما يبكيه..+

فجأة بدأ الظلام يخيم على المكان من جديد، وابتعد هو عنها متجهًا نحو الحفرة التي رأتها منذ قليل، وقبل أن يدخلها، التفت لها وقد كان وجهه قد ازداد عبوسًا وقتامة، ثم دخل الحفرة واختفى فيها بعدها ...+

استيقظت وهي تصرخ من الرعب، وبدأت تبكي بعدها بانفعال وهي تتنفس بصعوبة..

لم تمضِ عشرة ثوانٍ حتى فُتح الباب عليها بسرعة، ودخلت حور وهي تناديها بقلق:

-كاثرن، فيه إيه مالك؟!

وجدتها تبكي بشدة فأسرعت نحوها، ثم جلست بجانبها وصبت لها كوب من الماء، ثم ناولتها إياه قائلة:

-هششششش خلاص، خدي اشربي

لم تعلم كاثرن لما تبكي من الأساس، إلا أنها شعرت بوجوب ذلك، لقد رأته مرة أخرى، لقد أصبح الأمر مزعجًا، وباتت تراه يوميًا بلا إقطاع، يجلس في الزاوية يبكي، أو في أي مكان ويظل يبكي..

هدأت قليلاً وهي تمسك بكوب الماء، وتشرب منها القليل، حينها سألتها حور بقلق:

-انتي كويسة؟!

أومأت كاثرن رأسها قائلة:

-آه، متخافيش

ظلت حور تنظر لها بحيرة، فهذا ما حدث معها البارحة تمامًا، أعادت حور فتح فمها للحديث، لكن كاثرن سبقتها قائلة وهي تنظر في الفراغ:

-بيجاد، شوفته تاني، كان بيعيط، كان..

صمتت قليلاً وهي تتذكر عينيه، لما خطر لها فجأة أنها سيستمر في لقائها إلى أن تعفوا عنه!

-إنتي مش مسامحاه لحد الوقت؟!

سألتها حور بهدوء، فأجابتها الأخرى:

-لأ، مش مسامحاه

صمتت حور ولم تعقب، فنظرت لها كاثرن وقالت بانفعال:

-مش مسامحاه، دمرلي حياتي، هو السبب في موت أهلي، بكرهه!

سألتها بهدوء مرة أخرى:

-لسا بتخافي منه؟!

أجابتها دون أن تفكر:

-آه، بخاف

ردت عليها حور باستفسار:

-بس هو ميت

أردفت كاثرن حينها بغضب:

-بس كل حاجة عملها فيا لسا موجودة، لسا بفتكره، محسسني إنه عايش مش ميت!

نظرت لها حور مطولاً، في الفترة الأخيرة كانت تزورها هي وزوجها، لقد لاحظت أنها تعاني من اضطراب نفسي سببه لها هذا الضغط

النفسي الحاد، والخوف الشديد من كل ما يتعلق بزوجها الراحل.. فبدأ الأمر يزداد معها تلقائيًا إلى ان وصل لحالة من الوسواس، هو ليس حيًا لكنه تشعر به في كل مكان، بالرغم من أنها تعلم أنه قد مات!

معظم ما تراه من كوابيس يأتي نتيجة للخوف الزائد قبل النوم، أو التفكير المتواصل فيما حدث معها فيصبح الأمر وكأنها تفرض على نفسها الشعور بالخوف منه، وترى الكابوس عنه، أو قد يخرج الأمر عن الطب النفسي وتصنيفاته إذا كان زوجها حقًا نادمًا ويريد إيصال اعتذاره لها، أو يريدها أن تعفوا عنه، لكن تَكرر الكابوس كل يوم، هو ما جعلها تشك في الأمر ...+

فتحت حور الدرج المجاور لها، وأخرجت منه علبة الدواء، أخرجت شريطًا من العلبة

وأعطته لها، مع كوب آخر من الماء، قائلة برفق:

-خدي اشربي الدوا يلا

أخذته منها باستسلام وهي تنظر للبعيد، لنقطة تخطت حتى الحائط، لربما تنطر هي إلى ما وراءه!+

.....+

-البقاء لله..

كانت تلك الكلمة التي أردف بها الطبيب بنبرة هادئة قبل أن ينصرف، من أمامها، ظلت عينيها متعلقة به، حتى اختفى من أمامها، ثم بضع خطوات إلى داخل الغرفة التي توفي صاحبها، وقفت على عتبة الباب، ترنوه، نائم هو، جسده من أعلى لأسفل مغطى بملاءة بيضاء، حتى وجهه ...

أغمضت عينيها لثلاث ثوانٍ، قبل أن تفتحها، وتأخذ نفسًا عميقًا، ومن ثمة تسير نحوه بخطى ثابتة، توقفت مذ سمعت الطبيب ينبؤها بوفاته عن التفكير، وها هي الآن تقف أمام جثته هادئة، ثابتة، لا تفكر..

وقفت أمامه تمامًا، ونزعت عن وجهه الغطاء، ليطالعها وجه والدها المحبب، ابتسمت بيأس وهي تراه أمامها، لن تبكي، ولن تصرخ، لن تعذبه، كانت تحبه بطريقتها الخاصة طوال عمرها، كانت تعشقه ولا تستطيع مفارقته، كان هو من يجعلها تصمد، ومع ذلك ذهب!

مسحت على شعره لآخر مرة، ثم قبلت رأسه، رفعت رأسها لتنظر لوجهه، فوجدته مبتسم

دار بعقلها الكثير من التساؤلات حينها..

هل هناك أجمل من هنا بكثير يا والدي؟!
هل أنت سعيد الآن، هل التقيت بأمي، هل تبث لها أشواقك الآن، هل تشعر بالراحة الآن بعد أن توقفت آلام جسدك، ألن تشتاق لي كما أفعل أنا من الآن يا أبي؟! أم أن السعادة هناك تغنيك عني، أم أن لقاء والدتي وأختي يغنيك عني، لما لم تأخذني معك؟ هل أنا أستحق كل ذاك العقاب؟!

حسنًا يا أبتاه، لتثق سأظل أدعوا لك ما حييت، ما كان بي نفس يتردد، أنت، وأمي، وأختي..

وأنا رضيت بما قسمه الله لي، فلن يخزيني الله أبدًا، كلي ثقة وإيمان ويقين به..

إلى لقاء ليس ببعيد إن شاء الله..+

أنزلت عليه الغطاء مرة أخرى، وسمعت صوت هاتفها يرن، لم تنظر له حتى، بل ظلت تنظر إلي والدها بهدوء لفترة..

تكرر الأمر، والهاتف يرن، أمسكته ونظرت للاسم بفتور، كانت تنوي قطع الاتصال، لكن حالما رأت ذلك الاسم، أجابت بلا تفكير..

-أنا كنت بتصلب بس عشان أقولك إن لسا فاضل...

-موافقة..

كان ذاك ردها الهادئ، فسألها هو بحيرة:

-موافقة على إيه؟!

ردت بثبات:

-الجواز، بس متلمسش براء

سألها بنبرة أشبه بالصدمة:

-يعني نتجوز!

أجابه بصلابة:

-موافقة

شعر بالقلق، هل هناك شيء ما جعلها تغير مخططها، فهي..

-طيب، قدامك ساعة وتبقي قدام البيت بتاعك وأنا هاجي أخدك

قالت بنبرة حادة برغم أنه لمح الألم الذي فيها، وهي تنظر لجثة والدها:

-لأ، مينفعش النهاردة

رد هو بحزم:

-لأ لازم النهاردة، أنا مجهز كل حاجة!

أخذت نفسًا عميقًا وزفرته بروية، قبل أن تردف:

-أربع ساعات وهجيلك أنا عند المأذون ..١

لم يصدق هو أنها توافق بكل تلك البساطة، لابد أن في الأمر خدعة ما، حتى أنه حين أصر على اليوم وافقت، جويرية ليست كذلك!

سألها بهدوء:

-وإيه اللي خلاكي توافقي!

لم تجبه، فتوقف هو عن طرح الأسئلة، بالكاد يصدق أنها وافقت على شرطه، ثم قال لها بنفس الهدوء:

-خلاص أربع ساعات وتكوني عند منطقة ***** جنب **** وأنا هكون هناك..+

+.....

هناك مقولة تقول، " الفرح ساعة، تمر كما تمر الريح.. والحزن دهر لا يمر مرور الكرام"..

ربما لذلك الوقت لا يمر، ثقيلة تلك الساعات كما لا شيء ثقيل، لقد غسلوه، وصلوا عليه، وساقوه للقبر..

لقد رحل عنها الآن.. كانت آخر مرة ترى وجهه فيها، وهم يغسلوه..

آخر مرة أبصرته، آخر مرة اشتمت ريحه الطيبة، ذهب الآن ولن يعود، كما ذهب الباقون قبله..

تقف هي الآن أمام قبره، وظلت تنظر للقبر بألم، بانكسار، للحظات شعرت أنها فقدت القدرة على التفكير بأي شيء، لقد فقدت سندها، والدها الحبيب..

تتطاير عباءتها السوداء في الهواء حاملة معها نسمات الحزن والألم، وكأنها تشاركها آلامها.

لمعت عينيها بالدموع، فأبت إلا أن تقيدها، لا يجب أن تنكسر الآن، لا يجب أن تخور قواها أكثر من ذلك، لقد وافقت على عرض الزواج فقط لكي لا تعرض أخيها لأي نوع من الضرر..

صادقة هي مع نفسها وتعلم أنها ضعيفة جدًا الآن، لا قدرة لديها على أي شيء

ثم عادت تسأل نفسها، ما الضرر إن أخذني والدي معه وهو يرحل! ثم استغفرت ربها

وضعت يديها على القبر، ونفضت عنه بعض التراب بهدوء، ثم قالت:

-عارفة إنك كنت بتتعذب في الدنيا بسبب مرضك، وأنا مش زعلانة إنك ارتحت، أنا بس مش قادرة آآ ..

صمتت حين لم تجد القدرة على المتابعة،

ونظرت بوجوم إلى السماء ...١

+.....

وقف هو مستندًا على سيارته، مشيحًا

بوجهه للجانب الآخر وكأنه ينتظر شيئًا ما..

-يا صهيب رد عليا، انت جايبني هنا ليه ؟!

نظر له صهيب وكأنه أفاق للحظة من

شروده، قبل أن يجيبه بهدوء وهو يأخذ نفسًا

عميقًا:

-ماشي يا رحيل هقولك، أنا هتجوز..

عم الصمت المكان للحظات قبل أن يسأله

رحيل وكأنه لم يفهم ما قيل:

-انت قولت إيه؟

ابتسم له صهيب ابتسامة عجيبة، ثم أعاد:

-هتجوز

اقترب منه رحيل ووضع يده على جبهته متسائلاً بقلق:

-صهيب انت كويس؟

أمسك صهيب يد رحيل التي على جبهته وأنزلها بهدوء وهو يقول بنبرة ثقة:

-لأ أنا في أحسن حالاتي

ظل رحيل يرنوه بصمت لثواني قبل أن يسأله مجددًا :

-هتتجوز؟!

-آه

سأله بعجب:

-مين؟!

أجابه بفتور:

-جويرية

عقد حاجباه وهو يسأله:

-مين دي!

أجابه وقد بدأ صبره ينفذ:

-اللي هتجوزها، وأنا جيبتك عشان تكون ولي ليها، وعقاب وواحد صاحبه جايين وهيكونوا شهود..

حك رحيل رأسه وهو لايزال مصدومًا، ففاجأه صهيب بقوله:

-أكيد بتسأل نفسك ليه، صهيب عمره ما فكر في بنت

نظر له فجأة فوجد في عينيه حيرة، فتابع ببساطة:

-حابب أطمنك، صهيب لسا زي ما هو، صهيب عمره ما فكر في بنت، بس مقدرش يتجاهل واحدة شابهته في أقل تفاصيله!

للحق، لم يفهم رحيل كلمة واحدة، وهذا ما اراده صهيب، لم يرده أن يفهم، أراده فقط أن يستمع!

شرد من جديد في تفاصيل الطريق متناسيًا كل ما حوله، لم يبقَ إلا عشر دقائق حتى تأتي ومع ذلك، يمر الوقت ببطء رهيب..+

أما رحيل قد وقف مصدومًا على الجانب الآخر، لا يستطيع حتى أن يصدقه، فكيف يفعل إذا كان يراه يشمئز منهم أسوأ اشمئزاز، ثم أنه ...

لحظة، "جويرية"، لقد سمعت هذا الاسم من قبل ولكن أين؟

لا يهم، سيراها على أية حال، لكن لما سيكون هو الوالي ؟!، لما ليس والدها أو أحد أقاربها أو غيره، ثم ما دافعه للزواج بـ..

-متفكرش كتير، الموضوع منتهي..

قاطع شروده صوت عقاب الذي حضر توًا وبجانبه وجه لم يرياه من قبل..

نظر له رحيل وسأله بضيق:

-أنا مش فاهم حاجة أصلاً، انت فاهم ؟

هز الآخر رأسه نافيًا قبل أن يجيبه :

-أبدًا والله، زي زيك، ومعرفش حاجة، بس بقولك كبر دماغك، صهيب لما يركز على حاجة بياخدها..

نظر صهيب للقادمين لعقاب وصديقه للحظات، قبل أن يعيد النظر إلى الطريق مرة أخرى..+

وقف الثالث بينهما دون أن ينطق كلمة، كان فقط يراقب الطريق بفتور هو الآخر، ويديه في جيبه..+

رن هاتف صهيب فجأة فأمسكه وأجاب على الفور بعد أن قرأ الاسم:

-انتي فين؟

جاءه صوتها الهادئ الذي حمل نبرة ألم غير مبرر له:

-دخلت عند المأذون جوا

صدم هو فمنذ وقت طويل وهو يراقب الطريق بحذر، سألها بدهشة:

-من إمتي؟

أجابته بصوت يحمل الحزم والإنهاك:

-أنا قولتلك أنا جوا، اتفضل ...

ثم قامت بإنهاء المكالمة، نظر للهاتف بغضب، ثم سار نحو مقصده بعد أن أشار لمن خلفه أن يتبعوه .....!!!+

.....!!!!!+

عاوزة أعرف رأيكم في الأحداث لحد كدة، ومعلش هتتحملوا شوية غموض وواحدة واحدة اللغز هيتفك.+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثالث والثلاثون :

+

+

+

-بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في كل خير ..+

ها قد أصبحت ملكه الآن، كأي شيء أراده وحصل عليه بتصميم ومثابرة، إلا أنها ليست مجرد شيء ..+

لقد خلى عقلها من أي فكرة، هناك تبلد رهيب في مشاعرها، وألم كبير يضغط عليها، كانت تردد خلفهم وهي غير واعية، تفكيرها منصب على شيء واحد، كيف يبلي والدها الآن في قبره !

هل هو خائف من ظلام القبر، أم نور الملائكة تؤنسه !

هل هو يُسأل الآن، هل أجاب على جميع الأسئلة بثبات ؟

هل هو يـ ..

-ألف مبروك يا بنتي

قاطع شرودها صوت رحيل الذي قالها هو يتفرس ملامحها، وكأنه يحاول تذكر أين رآها من قبل ..

أومأت رأسها كإجابة مختصرة له، بالكاد تستطيع التركيز على ما يحدث حولها، هناك دوار شديد يسيطر عليها منذ ساعات، وهي تحاربه بشتى الطرق ..+

وقف رحيل ينظر لها مستعجبًا، كل شيء تم بسرعة، وتلك الفتاة ..

تلك الفتاة مألوفة إلى حد كبير، ثم لما يبدوا أنها حزينة، أليست سعيدة بزواجهما!

العجيب أنه لم يشعر بالضيق لزواج صهيب، بل شعر براحة لم يدرِ لها سببًا منطقيًا، كان

من المفترض أن يخبره بأنه سيفعل، لكن ما الفرق فقد فعل على أية حال، وتزوج بالفعل ..

لحظة واحدة فقط .. إتسعت عيناه فجأة وهو يتذكر وجه تلك الفتاة التي سكبت دلو الماء على ولده من قبل، نعم إنها هي نفسها إلم تكن ذاكرته تخونه ..!+

وعلى ذلك فقد وقف عقاب مبتسمًا بثقة لنفسه وكأنه قد خمن شيئًا وصحَ !+

بعد دقائق، كان الجميع في الخارج، وكلٌ استقل سيارته الخاصة، وذهب، عدا هما. وقف صهيب ينظر إليها، لا تبدوا طبيعية، نعم هي لا تتحدث كثيرًا في الغالب، لكن ليس بتلك الطريقة ..

تنحنح بصوت عالٍ قليلاً وقال بثقة :

-قولتلك هنتجوز ..

لم تجبه، بل يبدوا أنها لم تسمعه حتى، اقترب قليلاً حتى وقف أمامها وسألها بضيق :

-إنتي بتتجاهليني ليه الوقت ؟

كانت شاخصة أبصارها إلى مد البصر، وحالة ساعديها، وجهها حزين كزهرة خاصم ضوء الشمس بتلاتها فلم يكن لها إلا الذبول، وعينيها تلمعان بشدة، حتى أن عضلات وجهها دلت على وجود ألم دفين بها، لربما هذا ما خفف من غضبه حين لم تجبه مرة أخرى ..+

أما هي فقد كانت تعيش في عالم آخر الآن، فتلك اللحظات التي.. التي رأته فيها آخر مرة،

لقد ذهب الآن وغادرها، و .. وهو في القبر الآن، بعيدًا عنها، وحده، كمذهب الباقون..

اشتد الدوار بها أكثر، وحاولت مقاومته ككل مرة، لكنها لم تقدر تلك المرة أبدًا، فتأثير كل لحظة عاشتها يتكرر أمامها مجددًا، ومجددًا ومجددًا...+

وجدها فجأة تترنح، فسألها بدهشة :

-مالك ؟

لكن قبل أن ينهي سؤاله حتى، وجدها قد فقدت توازنها، وكادت أن تقع، إلا أنه أسندها بسرعة، وظل يردد إسمها بصدمة، فأول مرة يراها بهذا الضعف والوهن.

حين وجد ألا فائدة من مناداتها، لن تستفيق على أية حال، قام بحملها، وهو ينظر في وجهها الحزين، ثم سار إلى سيارته وأدخلها،

ليجلسها على المقعد المجاور لمقعده برفق، وما إن تأكد من إعتدالها، حتى إستدار وجلس هو في مقعده. نظر لها لدقيقة كاملة، لا يعلم ماذا عليه أن يفعل، ما الذي أوصلها إلى تلك الحالة، هل هو السبب ؟!

نفى عن عقله هذا السبب الواهي، فهي أقوى من أن يضعفها قرار كهذا، لابد وأن الأمر خطير ..

قرب يده من وجهها ليمسحه، لكنه لم يكد يلمسها حتى أبعد يديه عنها، لام نفسه فإن أراد لمسها فلتكن يقظة أولاً، ناداها مرة أخيرة بصوت خافت :

-جويرية !

لم تجبه ثانيةً ..

حينها انطلق بالسيارة بسرعة كبيرة،حتى يصل إلى مقصده بسرعة..

بعد كل دقيقة يعيد النظر لها من جديد .. ويتساءل مجددًا، ماذا بها ؟!

بعد ربع ساعة، كان أمام منزله، وبسرعة ترجل من السيارة وذهب نحوها. فتح الباب، ليحملها بعدها برفق ثم ذهب بها نحو بيته

حين ولج إلى منزله، استقبلته أحد الخادمات فسألته بقلق وهي تراه يحملها :

-أساعدك يا بيـ...

قاطعها هو بهدوء :

-إطلبي الدكتور بسرعة

أومأت رأسها، وأسرعت تسير أمامه لتنفذ طلبه، بينما حملها هو وصعد بها السُلم

بتريث، كان كل تركيزه منصب على أمرين، على وجهها الذابل، وعلى الدرج، كان فقط يريد أن يعلم لما وجهها حزين هكذا، ماذا بها !

ما إن وصل غرفته حتى وضعها على الفراش بسرعة، ودثرها جيدًا بالغطاء، ثم أحضر مقعدًا، وجلس عليه ناظرًا لها، منتظرًا الطبيب..

تحدث بنبرة خافتة فجأة وقال :

-عارف إنك زعلانة من الطريقة دي، بس أنا ليا أسبابي، يمكن بالنسبالك إنتي ملكيش دعوة، بس ...

صمت قليلاً قبل أن يأخذ نفسه ويتابع بضيق :

-كل حاجة حصلتلي كانت بسببك، حاولت أبعد عنك الشهر دة، أول أسبوع مبفكرش إلا فيكي، ومبحلمش إلا بيكي، ومش عاوز أشوف غيرك !

نظر لها مليًا، ثم تابع باسمًا بسخرية :

-وبصراحة مقدرتش أتحمل بعدها، بدأت أراقبك، ومن أول يوم راقبتك فيه كنت واثق إنك عارفة إني براقبك، عارف إنك حسيتي بيا، وعارف إنك بتحسي إن فيه شيء مشترك بينا، عشان كدة ...

تابع ببساطة :

-عشان كدة إتجوزك، أنا كنت هدخل براء السجن بتلفيق تهم لو موافقتيش، ومكانش الموضوع هياخد يوم، وكنتي هتوافقي، بس

شكلك حسيتي إني بهدد بجد عشان كدة وافقتي، أو ...

سكت للحظة، قبل أن يقول بحذر :

-أو خوفتي من حاجة معينة وجبرتك تعملي كدة !

فجأة سمع صوت أحدهم يطرق الباب، فإستدار نحوه، وحين رآى الخادمة أردف بخفوت :

-الدكتور إجى ؟

-أيوة يا بيه، أجيبه !

أجابها بحدة :

-إنتي مستنية إيه، طلعيه

أومأت رأسها وذهبت سريعًا، فأعاد صهيب النظر إليها مرة أخرى، ولاحظ أن بعض

خصلات شعرها قد تسللت إلى خارج الحجاب،وتلقائيًا أخفض يده قليلاً نحو وجهها، ثم واراها خلف الحجاب.

بعد لحظات كان الطبيب قد جاء، فأدخله صهيب وهو يردف باتزان :

-إتفضل

ولج الطبيب للداخل، وسار حتى وصل إلى السرير الذي تنام عليه جويرية، ثم سأله بحيرة :

-أومال مين دي ؟!

أجابه بإقتضاب :

-مراتي

نظر له الطبيب حينها وكأنه قد صدم، فهو يعرفه منذ زمنٍ حين كان يعالج عمه، ولم يظن يومًا أن شابًا مثله قد يتزوج، ثم أنه ...

-دة مش وقت تستغرب فيه خالص على فكرة !

قاطع صهيب تفكيره بتلك الكلمات الحادة، فنظر له الطبيب بجدية ثم أومأ رأسه واتجه إليها ليفحصها ..+

بعد دقائق، كان الطبيب قد إنتهى من فحصها، ثم نظر لصهيب وأردف بنبرة هادئة :

-المدام أغمى عليها عشان الضغط وطى فجأة، و وشها بيقول إنها مرهقة جدًا.

أومأ صهيب رأسه وهو ينظر لها، فتابع الطبيب بجدية أكبر :

-لازم لما تصحى تاخد الدواء إللي هكتبهولها دة، وتداوم عليه لكام يوم لحد ما تحس إنها كويسة على الأقل، وقولها مترهقش نفسها بأي حاجة، سواء جسدية أو معنوية، على الأقل النهاردة، وأنا هكتبلك على الأكل اللي تاكله النهاردة..

سأله صهيب بثبات :

-طب هي هتفوق إمت ؟!

-المرجح، ربع ساعة، نص ساعة بالكتير.

أومأ رأسه بالإيجاب، ثم صمت. حينها كتب له الطبيب بعض الملاحظات، ومعها أسماء لبعض الأدوية، ثم أعطاه إياها، ليمسك بعدها بحقيبته وينصرف، فنادى صهيب على الخادمة وأمرها أن تقوده للخارج، بينما

أغلق الباب عليهما، وعاد مرة أخرى ليجلس على المقعد بجانبها ..

هناك أمرٌ محير بها، هناك ما يجعله يفكر فيها دومًا بلا توقف، لماذا ؟

تساءل عدة مرات من قبل لكن بلا جدوى ولا إجابة واحدة عدا أنها تشبهه لدرجة مريبة، ليس في الشكل بل في المعنى..

ولكن حتى هذا لا يفسر رغبته في رؤيتها ليل نهار، وتفكيره المتواصل بها، و ..

تذكر أنه نسي إخبار الخادمة ما تطهوه اليوم كما طلب منه الطبيب، لذلك انتصب واقفًا، وسار حتى خرج من الغرفة .

ذهب أولاً إلى الخادمة وأعطاها خياره في طعام اليوم، ثم خرج من المنزل، ونادى على

العامل في الحديقة وأعطاه الورقة المدون بها الأدوية ليحضرها ..

سار بعدها نحو الغرفة بخطى سريعة، وحين دلف إلى الغرفة إنتابه الشعور بالدهشة ..

فقد وجدها مستيقظة، جالسة بهدوء على الفراش، وهي ضامة قدماها إليها، وشاخصة أبصارها للأمام،

للحق، لقد تفاجأ، فقد ظن أنها سوف تغضب، أو تتهور لإحضاره لها هنا، لكن لم تفعل!

جالسة، مسالمة جدًا فحسب!

إقترب منها بهدوء، وسألها بنبرة طبيعية :

-حاسة بإيه الوقت ؟

لم تنظر له، ولم تجبه، ولم تتغير عضلة واحدة في وجهها لتدل أنها سمعت، ولم يتحمل هو تجاهلها له أكثر من ذلك، فوضع يده على كتفها، فنظرت له لثوانٍ، ثم عادت كما كانت، حينها سألها هو بهدوء :

-بقولك عاملة إيه الوقت ؟

ردت عليه بنفس الهدوء :

-الحمد لله

جلس أمامها على الفراش، حتى يكتسح مجال رؤيتها، وسألها بروية :

-غيرتي رأيك ليه ؟

صمتت ولم تجبه، ربما الألم في عينيها هز قلبه، فعاد يسألها بصوت أعلى قليلاً :

-ليه وافقتي ؟

نظرت له بألم، وأردفت بثبات عجيب :

-عشان مقدرش أخسرهم كلهم في وقت واحد

إتسعت عيناه بصدمة وسألها :

-قصدك إيه، باباكي فين ؟

حينها أراحت عضلات قدمها ثم تدثرت تحت الغطاء ولم تجبه ..

سألها بقلق وهو ينظر أمامه مفكرًا :

-مات ؟

وضعت يديها على أذنها، وأغلقت عينيها بعنف

فعاد ليسألها بغضب :

-طب ما قولتليش ليه، مكنتش ه ..

إنتبه لها حينها وهي تغلق عينيها بقوة، وتضع يدها على أذنها، فعلم أنها لم تعد تتحمل، حينها فقط صمت.

وما أذهله، شعوره العجيب بالذنب لأنه قد وضع الملح على الجرح، وضغط عليها أكثر مما تحتمل. لقد علم لما تفعل كل هذا منذ الصباح، هناك حد لكل شيء، ويبدوا أن حدها قد نفذ.

-أنا آسف مش قصدي آآآ...

قاطعته هي بإختناق وهي ما تزال مغمضة العينين :

-أنا عاوزة أنام

تعجب هو لما تطلبه، لكنه وقف حينها ورد عليها بخفوت :

-طيب، هطلع أنا ونامي إنتي شوية.

لم تقل شيئًا آخر، وخرج هو من الغرفة، مغلقًا الضوء والباب عليها

حينها جلست هي كما كانت تجلس منذ قليل، وضمت يديها إلى قدمها ..

شعرت فجأة بإختناققها، وأنها لا تستطيع التنفس، فنزعت الحجاب عنها وألقته على الأرض بإهمال، ثم دفنت رأسها بين قدميها

تذكرت آخر لحظات والدها قبل أن تنقله للمشفى، حيث أمسك بيداها وطلب منها أن تعتني بنفسها، ثم ظل يردد الشهادة.

هذا يكفي .. هذا ما قالته لنفسها بألم.

تذكرت حين نزعت الغطاء من على وجهه ورأته قد فارق الحياة.

يا إلهي، يكفـي، يكفــي !!

تذكرت والدتها في سكرات موتها حين أمسكت يدها وطلبت أن تعتني بنفسها ووالدها، ثم رددت الشهادة وغادرتها.

والله لم أعد أتحمل، وضعت يدها على رأسها وظلت تحركها نافية واقعها المؤلم عدة مرات، لكن الذكريات لم تكن رحيمة بها ..

تذكرت حين ولجت غرفة أختها بعد صدمة عصبية جاءتها، ووجدتها قد فارقت الحياة ..

بدأت تتنفس بصعوبة رفعت رأسها تحاول التخلص من الذكريات، حلت عقدة شعرها لينسدل على ظهرها، فقد سبب لها الصداع أكثر..+

صراخ، هناك صراخ بداخل أذنها، صراخ أختها التوأم، نوبة هيستيرية أخرى من الصراخ والبكاء ..

تخللت جويرية شعرها بأصابعها، ثم سدت أذنها بيدها، لكن لا فائدة، الصوت يخترق رأسها.

إنتفضت من على السرير، ووقفت تدور حول نفسها ..+

والدتها هنا تخبرها أن تسرع بالإتصال بالطبيب، والدها يحاول تهدأت أختها، تقع الأخت صريعة، لتموت بعدها بثوانٍ.

وقفت فجأة في منتصف الغرفة، شعرت أن نفسها قد انقطع، ولم تعد تسمع لقلبها نبضًا، وقدماها .. قدماها ما عادتا تقدران على حملها، الدوار مرة أخرى، لكن بألم زائد،

لم تعد تستطيع فتح عينيها، وها هي
تسقط على الأرض بهدوء، لتتمدد يديها
بجانبها، ولم يعد يصدر منها أي صوت ..

ألم تجلى على تعابير وجهها فقط، وغيره لا
شيء يدل أن تلك الفتاة كان بها الروح قبلاً
١!!!.....

!!!!.....

آسفة على التأخير، النت فصل ولسا
شاحناه+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الرابع والثلاثون:

+

+

+

إنعطف بالسيارة نحو الشمال، وأسرع بالسيارة وقد بدى على ملامحه الغضب..

نظر لمرآة السيارة مرة أخرى، فوجد الشاحنة الكبيرة ماتزال تلاحقه، يبدوا أن أحدهم يريد التخلص منه.

أمسك هاتفه بسرعة بينما يقود باليد الأخرى وطلب أحدهم، ثم وضع الهاتف على أذنه وتابع مسرعًا أكثر..

ما إن سمع صوت أحدهم في الجهة الأخرى حتى تحدث بإنفعال:

-معتصم، فيه عربية نقل ماشية ورايا وشكلها مستقصداني

هدأ قليلاً ليستمع للجهة الأخرى قبل أن يرد بضيق:

-أنا على الطريق السريع، مشيت فيه عشان أعرف أسوق حلو

سكت للحظات، وأعاد النظر للمرآة، ثم تابع بعدها بغضب:

-أيوة ماشية ورايا

أومأ رأسه للحظة ثم سأله:

-من الجنب التاني صح؟... ماشي

ثم أغلق الهاتف بسرعة، ووضعه بجانبه على الكرسي، ثم بدأ يحاول الإنحراف عن المسار الذي يسلكه.

حسب أولاً المسافة التي تمكنه من السير بجانب السيارة بسرعة لا تمكنها من الإحتكاك به، حينها سيستطيع تنفيذ الخطة

فجأة بدأ يبطء السيارة حتى قارب المسافة بينه وبين السيارة الأخرى، فأسرع صاحب السيارة الأخرى أكثر، في حين ظل هو يبطء السيارة، ولأن السائق في السيارة الأخرى لم يتوقع هذا فأسرع لدرجة أنه لم ينتبه لنفسه إلا حين سبقه، أما الآخر فقد إنحرف بالسيارة للجانب الآخر وسار بسرعة مضاعفة، وهو ينتبه جيدًا للطريق من أمامه، ومن خلفه .+

+.....

طرق الباب مرة أخرى، ولكن لا فائدة لم تجبه فقال بهدوء قبل أن يفتح الباب:

-أنا هدخل ها؟

لم يسمع لها صوتًا مجددًا، ففتح الباب، وكاد أن يلج للداخل لولا أن ما رآه إستوقفه، فقد

وجدها مغشيًا عليها في منتصف الغرفة،
وشعرها الأسود يحجب وجهها .

إتسعت عينه من هول ما رآى، وأسرع نحوها
مرددًا إسمها بهيستيرية.

-جويرية، قومي، جويريـة!

لكن لا حياة لمن ينادي، حينها حملها بسرعة،
فإنساب شعرها على يديه، وضعها على
السرير وأحضر كوب ماءٍ بجانبه، ونثر بعض
القطرات على وجهها

كان جفنيها يرجفان كأنها ستفتحها كلما نثر
عليها الماء، ثم تعود للسكون مرة أخرى،
حينها أدرك أنها بخير فاسترخى.

هل إنتابه الشعور بالقلق حيالها، هل سمع
صوت دقات قلبه تعلوا؟ لا ربما هو يتوهم،

لكن لا يجب أن ينكر شعوره بالقلق عليها كما يشعر بالقلق على رحيل إن أصابته علة!

وضع يده على وجنتها التي تستلقي عليها، ثم إنحنى حتى جلس بمستوها أمام السرير، وظل يرنوها بهدوء لفترة قبل أن يقول بخفوت:

-أنا مش متعود أشوفك ضعيفة كدة، أنا إتعودت عليكي قوية ومبتسبيش حد يقرب منك عشان يقولك معلش، مبتسمحيش للوجع يكسرك، وبتحاربي عشان دموعك متنزلش.

صمت قليلاً ورفع يده الأخرى ومسح على شعرها برفق ليتابع بعدها بنبرة أكثر خفوتًا، وخزنًا:

-إوعي تكوني مفكرة إني مش حاسس بيكي تبقي غلطانة، أنا من يوم ما شوفتك وأنا عارف إنك بتتعذبي، لغة العيون ميفهمهاش حد أدنا، حد عاش الوجع وإتكسر، حد معدش بيثق في أي حد، حد حاسس بالوحدة مهما زاد الناس حواليه.

أخذ نفسًا عميقًا ثم تابع ناظرًا لها نظرات غامضة:

-تعرفي!

ظهرت شبه إبتسامة وهو يضيف:

-أنا بعد ما شوفتك حسيت إني طبيعي، عشان لقيت حد شبهي، لو مش مصدقاني بصي في المرايا، متبصيش على شكلك بصي على عنيكي، هتلاقي نفس النظرة

سعلت هي حينها، وبدأت تفتح عينيها، بمجرد أن رأته أمامها إنتفضت جالسة، ومن أثر الحركة المفاجئة أصيبت بالدوار، فوضعت يدها على رأسها، أما هو فوقف وراقبها بهدوء

بعد أن خف الدوار قليلاً، نظرت له بضيق، وتحدثت بحدة:

-إنت لو قصدك تجعزني مش هتعمل كدة!

رفع حاجبه ساخرًا وقال وهو يشيح وجهه عنها:

-إبقي قوليلي إنك هتصحي الأول!

بدأت هي تحاول تذكر ما حدث، قبل أن تفقد وعيها، فوجدته يردف بنبرة ساكنة:

-أغمى عليكي وأنا حطيتك على السرير بس!

وضعت هي يدها بين رأسها من أثر الصداع الرهيب، والدوار.

فجأة نظر أسفله فوجد حجابها ملقى على الأرض، فإنحنى بجذعه وإلتقطه، ثم مد يده لها به قائلاً وهو يشيح وجهه عنها:

-إمسكي

نظرت له، ثم نظرت ليده، ومدت يدها وأخذته ثم وضعت بجانبها غير آبهة به، فسألها بدهشة:

-مش هتلبسيه؟

زفرت بحنق وأجابته:

-لأ، هو إحنا مش إتجوزنا، لسا هنعمل فيلم!

أغمض عينيه مرة ثم فتحها من الدهشة، فهي تتصرف بغرابة حقًا!

حينها تابعت هي بهدوء:

-أنا.. أنا مصدعة، و عاوزة قهوة

جلس على الفراش أمامها، ونظر لها مطولاً
يستشف ما تفكر به، فسألته ببرود:

-فيه حاجة؟

وضع يده على جبهتها ليعرف درجة حرارتها،
فنظرت هي له بانزعاج، رافعة حاجبيها
وعينيها للأعلى، ليجيبها هو بقلق:

-جويرية إنتي إيه آخر حاجة فكراها؟

أجابته بإقتضاب:

-إتجوزنا

سألها مجددًا:

-طب قبل ما نتجوز؟

وضعت يدها على رأسها مجددًا ثم قالت بضيق:

-مش فاكرة، بحاول أفتكر لسة!

صمتت قليلاً تراقب نظراته الغريبة، وظلت هي تحاول التركيز فتابعت بهدوء:

-الأول كنت في البيت،صحيت ودخلت، وبابا كان واقع من على السرير، و..

بدأت نبرتها تهتز قليلاً وهي تتابع:

-وبعدين، فضلت أحاول أفوقه، صحى شوية وفضل يقولي أخلي بالي من نفسي، وطلبت عربية الإسعاف و..

صمتت فجأة وإتسعت عينيها بشكل لا إرادي، فأدرك هو أنها قد تذكرت كل شيء من جديد، العجيب أنها تذكرت زواجهما ألا

تعتبر ذاكرتها أن زواجهما مصيبة فتقرر حذفها!

نظر لها مرة أخرى فوجدها ما تزال متسعة العينين ناظرة للأمام بشرود

سألها هو بخفوت:

-سكتي ليه؟

حركت قدمها للجانب الآخر من الفراش تريد النزول، وظل هو يرقبها بصمت حتى رآها تكاد تفقد توازنها فأسرع إليها لكي يسندها، سألها برفق:

-عاوزة تروحي فين؟

أجابته بشرود:

-عاوزة أطلع من هنا وبس

حينها أعانها على الخروج مقررًا أخذها لحديقة المنزل، هل فكر لما يساعدها؟ هل فكر لما يشعر بالألم لأجلها؟ لا، لم يفعل، ولم ينوي حتى أن يفعل، هو يجد راحته في ذلك، فلما يرهق عقله بالتفكير إذًا؟+

كانت الحديقة كما تحب عينها، لكن عينها لم تكن مجودة للتحفي بروعة المكان . لقد وُجِدت عينها في مكان آخر، مكان مظلم كئيب، وُجِدت حيث يبكي الناس، الألم هو الألم أما الذكرى فتختلف، الغريب أن والدتها توفيت في نفس اليوم من العام السابق

تذكرت أنه في "العاشر من مارس من عام ٢٠٠٩" توفيت والدتها

واليوم والذي هو "العاشر من مارس من هذا العام ٢٠١٠" توفي والدها

أليس هذا عجيبًا!

وها هي والدتها ستلتقي به اليوم بعد مفارقته لها عامًا بأكمله.

تحركت نحو إحدى الشجيرات، فجلست تحتها بتهالك، وظل هو يرنوها من القريب بصمت، وألم لم يدرِ مصدره

منذ بدأ يراقبها في ذاك الشهر، تحولت رؤيتها إلى متعة كبيرة، تحول النظر لها ومراقبتها لهواية، هواية مجنونة، غريبة.

بدى عليها الإرهاق الشديد وهي جالسة، شاردة في البعيد، وظلت تسعل لأكثر من مرة، إقترب منها وبرغم شعورها به لم تعره إهتمامًا، إتخذ هو موضعًا بجانبها، وجلس، ثم قال بروية:

-عارفة البيت دة إشتريته زمان أول ما بدأت أشتغل في الشركة عشان كنت بحب أقعد لوحدي

لم يلاحظ أي تأثرٍ عليها، فزفر بضيق وسألها بصوت غريب:

-كدة بقيتي لوحدك إنتي بس من عيلتك صح؟

نظرت له وكأنها صدمت من السؤال، ولم تجبه بل أدارت وجهها عنه ونظرت للسماء بصمت مرة أخرى، فعاد هو يتابع ببرود:

-أختك ماتت من كام سنة، وبعدها أمك، والوقت أبوكي

وضعت يدخا على أذنها فلم تعد تحتمل، فتابع هو غير بهدوء:

-إهدي يا جويرية، إنتي كدة بتتعبي نفسك على الفاضي، اللي بيموت مبيرجعش

نظرت له بغضب ثم صرخت به بإنفعال:

-عارفة، أنا عارفة، عارفة وبحاول أتأقلم، عارفة وبحاول أعيش الألم لوحده، ومجرش باقي الذكريات بس هي اللي بتيجي لوحدها، عارفة بس أنا إيه ذنبي؟

لم يتفاجأ بها حين إنفجرت فيه بذاك الشكل، هو يريد أن يوصلها لدرجة البكاء لا فقط الصراخ، هذه هي الطريقة الوحيدة لترتاح قليلاً

لذلك رد عليها بهدوء شديد:

-ذنبك إنك عايشة معاهم، عايشة مع ذكريات، ومحرمة على نفسك تنسي.

هزت رأسها نافية بقوة وأجابته بغضب:

-لأ أنا مش عايشة في الذكريات، أنا محبوسة فيها، أنا مش قادرة أطلع أنا..

بدأ صوتها يهتز فجأة ثم صمتت، نظر لها فوجدها تمسك رأسها بين يديها، تنهد بقلق، لقد وصاه الطبيب على عدم إرغامها على التفكير ومع ذلك ظل رأسها يعمل و..

رفعت رأسها حينها، وقد بدى عليها الإنهاك حقًا، لذلك وقف هو ومد يده لها وهو يردف بهدوء:

-قومي معايا

لم تنظر له ولم تحرك رأسها، ولم تحاول أن تتحرك حتى، لتميل للخلف قليلاً بعدها وتغلق عينيها بعنف وهي تتنفس بصعوبة، لم يفكر حينها وهو يحملها بسرعة إلى الداخل، بينما هي كانت شبه فاقدة الوعي،

بعد أن وصل للغرفة ووضعها على الفراش،
وقرر أنه يجب أن يأخذها إلى المشفى،
فحالتها تحتاج لإشراف من طبيب مختص،
لذلك أسرع نحو هاتفه ليُجري مكالمة
ضرورية، وكل أنظاره منصبة عليها.+

.....

-والله يا بيه أنا مليش ذنب

قالها الرجل بصوت مهتز، وجميع أطرافه
ترتجف، فصاح به معتصم:

-يعني إيه ملكش ذنب، كنت عاوز تموت
صاحبي وتقول ملكش ذنب! !

إقترب منه براء وأردف بثبات:

-معتصم إهدى شوية، نشوف الأول مين
باعته!

أجاب الأخير بنظرات هلعة:

-دد.. دة الباشا رضوان، هو اللي إداني فلوس وقالي أجيب أرار البيه

رفع براء حاجبه ساخرًا وقال:

-آه قولتلي رضوان!

نظر له معتصم بغضب وهتف فيه:

-مش دة اللي هددك برضوه؟ أنا قولتلك بلاش تستتفه أي حاجة وإنت مبتسمعش الكلام، وإيه النتيجة، كنت هتموت!

ربت براء على كتف صديقه ليهدأه قليلاً، فهو يعلم أنه كالأخ بالنسبة له، وخسارته ستؤلمه كثيرًا..

نظر معتصم للرجل وسأله بجمود:

-إنت قبضت كل الفلوس؟

-لأ يا باشا النص بس، والنص التاني آآ..

أكمل براء عنه ببساطة:

-كنت هتاخده بعد ما تتخلص مني، مظبوط؟

وضع الرجلعينيه في الأسفل، وأردف بخفوت:

-مظبوط يا باشا

قال معتصم بحنق:

-طيب إنت هتتصل بيه دلوقت وتقوله إنك قتلته، وتتفقوا على ميعاد تتقابلوا فيه عشان إحنا نمسكه

أومأ الرجل رأسه موافقًا على أي شيء يطلبه المهم ضمان سلامته، فقد احمر، وازرق وجهه لدرجة توهم من يراه أنه قد

ضُرب ضربًا مبرحًا، لكن هل يحدث ذلك في قسم الشرطة حقًا؟

+.....

جلس ذلك العجوز يراقب المارة بفتور رهيب..

ها قد تزوج ولده بطريقة غريبة بدون زفاف أو فستان لعروسه!

لقد تزوجها وبدى عليه السعادة وكأنه حصل على ما ينقصه، لقد رآه وهو يبتسم على غير العادة التي أصبحت عادته فقط في الأيام الأخيرة حين تبصرها عيناه، ربما كانت هي السبب بالتغيرات الجذرية التي طرأت عليه فجأة، وهو ليس بالجاحد لينكر شعوره بتبدل حالة ابنه إلى الهدوء والشرود الدائم، لكن في ذاك الوقت لم يتسنى له معرفة التفاصيل،

من هي، نعم لقد تذكر أنها تلك الفتاة التي أغرقت ولده بدلو الماء يومًا ولم يبدُ عليها للحظة الخوف منه أو من بطشه.. لكن ما الذي حدث لتنقلب الموازين وتصبح عروسه فجأة؟!

زفر بنفاذ صبر ووقف.

يجب أن يعلم من هي، يجب أن يجمع المعلومات عنها لربما كانت تنتوي له الشر!

ظل يبحث بعينيه عن شيء ما، وما لبث أن تقدم عدة خطوات وأمسك الذي أبصره، ليضعه على أذنه بعد أن طلب رقمًا، ثم انتظر حتى ينصت للجانب الآخر.

-ألو، عقاب أنا عاوزة أسألك على كذا سؤال

صمت قليلاً ثم تابع بعدها بهدوء:

-تعرف البت اللي صهيب إتجوزها النهاردة دي؟

أومأ رأسه مرتين، ثم استطرد حديثه بـ:

-تمام، طب عدي عليا النهاردة محتاج أعرف معلومات عنها..+

+.....

كانت تمشي بصعوبة في حديقة واسعة الدرب، خضراء الأرض، إزدانت بأروع الزهور والورد..

شاردة كانت في وردة حمراء أمامها، قربت يديها منها وابتسامة شاحبة تسللت إلى وجهها. لطالما كانت الزهور هي أكثر ما يسعدها، وحتى أن والدها حينما كان يغيب عنها لمدة يومين أو أكثر كان يحضر لها زهرة حمراء وبجانبها الشوكولا التي تعشقها

ويضعهم بجانبها على السرير إلى أن تصحوا، وبسرعة كانت تركض للغرفة الأخرى بمجرد إستيقاظها لتجد والدها ينتظرها، وتراه يبتسم لها تلك الإبتسامة الحانية.

سقطت بعض العبرات من مآقيها وهي لا تنتبه، وكانت يديها ما تزال تلامس الوردة. في يوم من الأيام كانت كالملكة في القصر، وبعد أن إختارت الإبتعاد صارت تتألم كل يوم، وكأنها تعاقب على ما عاشته من دلال في صغرها! لقد فهمت جيدًا أن الحب ليس كل شيء، لقد تأكدت أن العلاقات الأسرية أفضل من دونها من العلاقات.

وضعت يدها على بطنها، تلامس ذاك الإنتفاخ غير الملحوظ، لقد كانت كذاك الإنتفاخ يومًا، والآن صارت أمًا، أمًا لديها العديد من الخطط من أجل ذاك الطفل

مهما كان، أكان ذكرًا أم أنثى، بالرغم من ذلك تتمنى هي أن تكون فتاةً، تتمنى ذلك لدرجة كبيرة، في الفترة السابقة بدأت تتعلق به بالرغم من أنها لم تكن تحبه في البداية، لكن كأم يجب أن تتأقلم على الوضع الجديد وتحارب لأجل مستقبل طفلها، ألا يكفي أنه سيعيش بدون أب! و..

-يامدام؟

إنتفضت هي على إثر الصوت العالي، ثم نظرت للمنادي مجيبة بحنق:

-نعم؟

خفض هو من نبرة صوته وحاول قدر إستطاعته ألا يضحك بسبب الفزع الذي بدى على وجهها ليردف:

-آسف مكنش قصدي، بس أنا من فترة بنده ومش بتردي

زفرت هي بنفاذ صبر وسألته:

-طيب عاوز إيه؟

نظر لها الرجل بإمعان يتفرس في ملامحها، فتضايقت هي من ذلك، وكادت ترحل، لكنه قال سريعًا:

-آسف تاني، بس أنا مش بحب أشوف حد بيقطع في الورد وأسكت، هما بيزرعوه عشان إحنا نستمتع بجماله مش نقطفه!

نظرت له بتعجب وقالت:

-بس أنا مقطفتش ورد!

نظر إلى يديها بدهشة وهو يقول:

-غريب، أنا أعرف إن اللي بيكدب بيخفي الدليل الأول!

نظرت هي إلى يديها حيث ينظر، فإتسعت عينيها من الصدمة، متى قُطفت وإنتقلت إلى يديها! رفعت يدها أما عينيها وظلت تحدق بها قليلاً قبل أن تلتفت لتنظر لمكان الزهرة، لكنها لم تجدها! فصمتت مصدومة

-ممكن كنتي سرحانة ومأخدتيش بالك

قالها الرجل باسمًا حينما رآى ملامح الصدمة تغزوها.

حركت رأسها محتارة وكأنها تحدث نفسها، وكادت أن تسير مبتعدة لولا سؤاله الغريب:

-هو أنا شوفتك قبل كدة؟

إستدارت تنظر له وقد بدأ الشعور بالصدمة يزول تدريجيًا، دققت به لكنها لم تتذكر أنها رأته، فسألته بإستخفاف:

-هي دي طريقة جديدة للمعاكسة عندكم في مصر؟

بدى على وجهه ملامح الدهشة، وسألها بهدوء:

-معاكسة؟!

أشاحت وجهها عنه وهي تتأفف، فتابع وهو يتقدم نحوها باتزان:

-لأ أكيد الحكاية بس إني حاسس إني شوفتك قبل كدة، وخاصة إنك اللي يشوفك يقول إنك مش مصرية لولا لهجتك، يبقى ليه هشبه عليكي إلا لو كنت شوفتك!

وضعت يديها بين خصلات شعرها لشعورها بالصداع فجأة، وأجابته:

-إنت بتغني وترد على نفسك؟ مش مصرية أكيد، مشوفتكيش قبل كدة، ولو شوفتك قبل كدة هقول، أقصد لو مشوفتكيش قبل كدة هقول إني شوفتك ليه!

ضحك هو على طريقتها في الحديث، فشعرت هي بالغضب وصرخت به:

-إيه اللي بيضحك الوقت، طريقتك هي اللي مستفزة!

حاول هو الكف عن الضحك لكي لا يزعجها لكنه عجز عن ذلك، لم يدرِ لما يضحك، لكنها بحق تضحكه بطريقتها الغريبة هذه!

سارت مبتعدة عنه بغيظ فلحق بها بسرعة إلى أن وقف أمامها، فتراجعت رهبة منه، لقد

خافت منه فجأة، وقد فضحت عينيها ذلك. نظر لها مشدوهًا لتلك النظرات الجذعة، حتى كاد أن يتحدث، ففاجأته هي بقولها بإرتباك:

-خلاص سيبني أمشي

سألها باسمًا بهدوء:

-طيب أنا دايقتك في حاجة؟

حسنًا، لقد قاطعته بتعلثم لشدة إضطرابها:

-آآآ لأ عادي ولا يهمك، أنا آآ أنا بس هروح

عقد حاجباه وصمت، وظل ساكنًا في محله لكي لا يخيفها أكثر، حينها ظلت هي تبتعد للوراء إلى ما يقرب من أربعة أمتار، ثم إستدارت وسارت بسرعة من أمامه. وضع يده على جبهته وقال لنفسه:

-هي مالها دي، دة أنا حتى معرفتش إسمها!

نظر للزهرة المبتورة، ثم ضحك وهو يتذكر ما حدث منذ قليل، ليسير بعدها عكس الإتجاه الذي سارت هي منه.

.....

جزء مما وراء الرواية..

١٩٩٥/٣/١٠

مساءًا في الصحراء..

تهب رحياح هوجاء من جهة الشمال، صوتها وحده يبعث القشعريرة في القلوب.

من البعيد، هناك يد تظهر لأحدهم.

الظلام الدامس يمنع رؤية الشخص بالكامل، لكن يمكن التأكد هنا أنه ليس شخصًا واحدًا، فذاك الشخص الأول يشير للثاني غربًا، ثم

يسيران معًا بهدوء شديد، يمكن أيضًا
الملاحظة أن الشخص الثاني يحمل جثة
شخص مقطوع الرأس، أي أنه مذبوح،
والشخص الآخر كان يحمل كيسًا بلاستيكيًا
أسود ومحراثان..

حامل الكيس أشار للآخر بالتوقف عند نقطة
ما، وأعطاه محراثًا ثم بدأ كلاهما بالحفر..

هدوء مريب يسيطر على المكان عدا صوت
الرياح الهوجاء. إستمر الحفر لمدة ساعة، لم
ينبس أحدهما بكلمة حينها، ثم وما إن انتهوا
أفرغ الشخص الأول محتوى الكيس بإهمال
داخل الحفرة، لقد كانت رأسًا مبتورة
وصاحب الرأس ما يزال مفتوح العينين، أما
ملامحه فلم تظهر أبدًا بسبب الدماء التي
تغطي ملامح الرأس، ثم وضع الشخص

الآخر الجثة داخل الحفرة بهدوء، وبدأ الإثنان بالردم.

إشتدت الرياح، فسقط الوشاح الذي كان يغطي شعر الشخص الأول، ليظهر شعرًا طويلاً،شعرًا ناعمًا لفتاة لا لرجل.....!!!٣

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الخامس والثلاثون:

+

+

جزء مما وراء الرواية...

العاشر من مارس ٢٠٠٥

صباحًا، لم تترك الشمس أرضًا إلا وسلطت ضوءها عليها، إلا هذا المكان، فهو كظهر

للمباني لكن لا تطل نافذة واحدة عليه، وغالبًا ما تسيطر عليه الظِلال، كان طريقًا هادئًا لا أحد يمر به. لكن لحظة، هناك فتاة ما تمر منه الآن، حجاب أبيض، وتنورة طويلة تصل لقدمها زرقاء، وقميص أبيض، هكذا ترتدي، وتحمل في إحدى يديها حقيبة، وبالأخرى بعض الكتب، على الأرجح هي عائدة من المدرسة. تسير بهدوء شديد، ويبدوا أنها معتادة على المرور يوميًا من هذا الطريق، فهي وبرغم الهدوء المسيطر على المكان لا يبدوا عليها الكثير من الرهبة!

سمعت تلك الفتاة صوتًا ما يأتي من الخلف، فنظرت وراءها جيدًا، ولكنها لم تجد أحدًا، حينها ظنت أنها تتوهم وتابعت سيرها للحظات بسرعة أكبر، وفجأة رأت يد أحدهم تمتد أمامها لتتوقف عند فمها بمنديل

أبيض، حاولت المقاومة لأكثر من عشر ثوانٍ،
ولكن سرعان ما فقدت وعيها مغلقة عينيها
على نظرات الخوف والفزع، فحملها ذاك
الذي خدرها ثم سار بها نحو إحدى
السيارات....!!!+

+.....

الحادي عشر من مارس ٢٠١٠ الساعة
التاسعة صباحًا..

جلس هو على الكرسي بجانب تلك الراقضة
في سريرها، وقد كان ممسكًا بهاتفه يدون
فيه رقمًا من هاتف آخر،

وبعد أن انتهى ضغط على زر الإتصال
ووضعه على أذنه. ثوانٍ يسمع صوت
الجرس من الجانب الآخر، حتى أنصت أخيرًا
للصوت الهادئ:

-السلام عليكم!

أجابه الآخر بهدوء:

-إنت براء صح؟؟

تغيرت نبرة الأخير حين سمع صوته، وسأل بتوجس:

-أيوة، إنت مين؟

رد ببساطة:

-مش مهم أنا مين، المهم إنك لازم تيجي الوقت مستشفى ((...))

زفر براء من الجانب الآخر وأعاد السؤال بنفاذ صبر:

-بقولك إنت مين؟

-تعالى المستشفى وهتلاقي كل الأجوبة،

نظر الأخير في ساعته، ثم تابع ببرود:

-نص ساعة بالكتير وتكون هنا، و.. وعلى فكرة الموضوع ليه علاقة بأختك

صاح الأخير من الجانب الآخر برعب:

-جويرية! تقصد إيه؟ جاوبني

لكنه لم يأبه له وأنهى المكالمة في التو، ثم نزع البطارية من الهاتف وتركهما بجانبه، ليحيط عينيه بها مرة أخرى...

لقد كان يفكر منذ الصباح في شيءٍ قد يساعدها على التحسن، فلم يجد أفضل من براء ليساعده، بحكم قربهما وأخوتهما. حين نقلها إلى المشفى البارحة وإلى اليوم لم تفتح عينيها، فقط ساكنة، هادئة، لكنها عابسة حزينة..

هو يدرك هذا جيدًا، والشعور الغبي الذي يسكنه حين يراها هكذا هو الألم، أي غباءٍ هذا، تحزن هي فيتألم هو ماذا لو بكت إذًا بماذا سيشعر؟!

أخبره الطبيب أنها دخلت في غيبوبة، ولا تحمل الرغبة بالرجوع إلى الحياة، أجهزتها تعمل بشكلٍ متكاسل، وكأنها تستجيب لرغبتها بالرحيل، حسنًا لكن مع هذا هو واثق أنها ستقاوم هذا الشعور، ربما لن يمضي أكثر من ثلاث أو أربعة ساعات حتى تفيق، هل سأل نفسه لما يشعر بذلك؟ لا لكن يعلم أنها أقوى من كل هذا، ستتحمل وتعود من جديد تمارس دورها كمبرد للجو أو ما شابه.

إبتسم حين وصل إلى تلك النقطة وهو يتذكر كوب النعناع الذي لم يذق مثله من قبل، هو

مستعد الآن أن تفيق وتتابع هذا الجنون.
المهم أن تعود.

أثناء حديثه الطويل مع نفسه، لم يكن
ينسى أبدًا أن ينظر لها، من الجيد أنه لم
ينسى وضع الحجاب على شعرها، فبعد ما
فعلت البارحة جاءه شعور بأنه فقط من
يُسمح له برؤية شعرها...+

-إنت مين، وبتعمل إيه هنا؟

كان هذا الصوت الغاضب صادرًا من خلفه،
حينها وقف هو وإستدار نحوه، فاتسعت عينا
الأخير وسأله بنبرة حادة:

-إنت؟

مشى نحوه بثبات وهو يردف بهدوء:

-إهدى يا براء عشان أختك وتعالى نتكلم برا

إندفع براء نحوه بغضب وهو يقول:

-أهدى إيه، إنت مجنون، إنت بتعمل إيه هنا، وعملت إيه في أختي؟!

وكاد أن يسدد له لكمة لكنه أمسك يديه بسرعة وأنزلها وهو ممسدك بها، ليقول بعدها بنفاذ صبر:

-قولتلك إهدى، متخلنيش أندم إني جبتك

كاد براء أن يتفوه، لكن سبقه هو بـ:

-تعالى نطلع برا ونتكلم

زفر براء بحنق، بينما ترك الأخير يده بهدوء، ليخرجا بعدها بسرعة.

نظر براء له ينتظر التفسير ثم قال:

-إتفضل يا صهيب وضح!

بدأ صهيب يقص عليه بهدوء:

-أنا وأختك إتجوزنا

إتسعت عينا براء، وصاح به:

-أنا بتكلم بجد على فكرة

رد ببساطة:

-وأنا كمان بتكلم بجد

أمسكه براء من ياقة قميصه وأردف بغضب:

-إنت بتكلمني عن أختي يا متخلف، وأختي عمرها ما..

تلونت عينا الأخير بغضب هو الآخر ونزع يد براء من عليه، ثم أخرج ورقة ليريه إياها وهو يقاطعه:

-دي قسيمة الجواز، وأولاً أنا مجبتكش عشان نتخانق، ثانيًا أختك مغلطتش في أي حاجة

نظر براء في الورقة بغضب بعد أن تأكد ورد عليه بإنفعال:

-أنا عارف، جويرية مستحيل تعمل كدة إلا إما يكون فيه سبب قوي

ثم نظر له بحدة وسأله:

-هددتها بإيه؟!

أجابه صهيب بضجر:

-إسكت وسيبني أكمل

زفر براء وأشاح وجهه، فتابع صهيب بهدوء:

-أنا اللي خطفتها من كام يوم، وكنت بهدد أختك بيك لو متجوزتنيش، وهي وافقت بعد ما أبوها مات وخافت تخسرك إنت كمان

كان يتفوه بالترهات وكأن شيئًا لم يكن، وبراء ينظر إليه مصدمومًا بعد كل كلمة، ثم صمت

صهيب فجأة ليتابع رد فعله، لكن براء لم يمهله، فقد هجم عليه في توه ولكمه في بطنه، وكاد يعيد اللكمة لولا أن صهيب أمسكه من يده بسرعة، فصاح به براء:

-أنا هقتلك، إزاي تخطفها يا...

قاطعه

صهيب بنفس الهدوء العجيب:

-إهدى يا براء قولت، الإنفعال دة مش هيفيدك ولا هيفيد أختك في حاجة الوقت.

لم يتوقف براء وأفلت يديه بسرعة وحاول ضربه من جديد، فعمد صهيب إلى قدمه وأوقعه أرضًا، ثم ثبته جيدًا في الأرض، ومع أن براء ظل يحاول مقاومته، إلا أنه ثبت يديه بقوة وبدأ يتحدث:

-قولتك مش جايبك عشان نتخانق، أنا عاوزك تساعدني

نظر له براء بكره وأردف ساخرًا:

-أساعدك إنت، إنت أكيد إتجننت..!

رد بهدوء:

-دة عشان أختك يا براء، مش عشاني

قال بإستهجان:

-آه أختي اللي إنت استغليت ضعفها في الوقت دة بالذات، وإتجوزتها!

وقف صهيب وتركه، ثم مد إليه يده ليوقفه، لكن براء أبى ووقف وحده، حينها أردف صهيب مبررًا بثبات:

-أنا مكنتش أعرف

رد عليه براء وعيناه مشتعلتان:

-مكنتش تعرف إيه؟

-إنه مات!

أشاح براء وجهه عنه، فهو قد علم قبل ساعة فقط من محادثة صهيب أنه قد توفي، تذكر حينما ذهب إلى منزلهما فلم يجد أحدًا وظل يتصل بهما ولكن لا فائدة، ثم قرر الذهاب للمشفى الذي يذهب إليه والدها كلما تعب، وعلم هناك أنه قد توفي البارحة.

وبالطبع هو لم ينتبه لهاتفه الذي كان مغلقًا منذ بالبارحة ونسي شحنه، ليتفاجأ بعدها بالكثير من الإتصالات الواردة من قِبَلها.+

-دة مينفيش إنك إستغليتها!

قالها براء فجأة، فنظر له صهيب وقال بضيق:

-لو كنت أعرف مكنتش هضايقها، بس كل حاجة جت كدة

سخر منه براء بقوله بنبرة حادة:

-صح زي ما إنت ماستغلتهاش وإبتزتها بفيروز قبل كدة!

إقترب منه صهيب وأجاب بحنق:

-بس أنا مكنتش بجرحها أو بأذيها ساعتها!

أجابه براء بنظرات قوية:

-مين قالك كدة، إنت تعرف أختها ماتت إزاي، إنت...

صمت براء فجأة ونظر له بإحتقار وقال:

-أنا بقولك كدة ليه أصلاً، اللي زيكم كل اللي بيهمهم يرجعوا اعتبارهم وخلاص!

سأله صهيب مهتمًا وقد أثار ذاك الموضوع فضوله بشكل غريب:

-أختها ماتت إزاي؟

لم يجبه، بل ظل يرمقه بغضب، وأردف قائلاً:

-لازم تطلقوا

تجهم وجه الأخير ونظر له، ثم قال بهدوء عكس ما يبدوا:

-مستحيل

أمسكه براء من ياقة قميصه، فأبعده صهيب عنه بقوة وظل ممسكًا بيديه وهو يتابع:

-أختك بقت تخصني الوقت، وإنسى الفكرة دي خالص

سأله براء بغضب وهو يحاول إفلات يده:

-إنت عاوز منها إيه؟ سيبها في حالها بقى.

أجابه صهيب وهو يضغط على الحروف:

-عاوزها هي إنت فاهم!

ثم أفلت يده ودفعه للخلف، وتابع:

-ياريت تبطل شغل الهمج دة، وتفكر معايا نطلع أختك من اللي هي فيه دة إزاي

سأله براء بغضب:

-إنت عملت فيها إيه؟

أغمض عينيها وكور يديه محاولاً تماسك أعصابه، ثم أجابه بنفاذ صبر:

-إنت شايف إن موت أبوها سهل ولا حاجة! بص يا براء بلاش الطريقة دي، لو عاوزين نوصل لتنيجة يبقى لازم نتعاون سوا

ظل يرنوه بنظرات ساخرة، فلم يهتم صهيب وظل صامتًا تمامًا.

-يعني المفروض إن أنا أصدق إنك عاوز مصلحة أختي!

أردف بها براء بترقب

-أيوة

-والمفرض إنك جايبني هنا عشان أساعد أختي، اللي بقدرة قادر بقت مراتك وإنت كمان عاوزها تخف!

-بالظبط

كاد يتابع براء بنفس النبرة المستفزة، إلا أن صهيب قاطعه بثبات:

-جويرية في غيبوبة الوقت، والدكتور قال إنها مش عاوزة تفوق، أجهزتها الحيوية مش بتتجاوب مع العلاج

صدم الأخير مما يسمع، فقد ظن أنها فقدت وعيها ككل مرة، لكن..

-إزاي دة حصل؟

سأله براء بذعر

فأجابه صهيب:

-إمبارح بعد ما طلعنا من عند المأذون أغمى عليها، نقلتها على البيت عندي، ولما صحت قالتي إنها عاوزة تنام، فتحت الباب عليها بعد شوية كان مغمى عليها في نص الأوضة، لما صحت كانت ناسية اللي حصل، وبعد دقايق بدأت تفتكرت وهي طلبت تطلع برا فطلعتها برا في الجنينة وكنا بنتكلم وبعدها تاني أغمى عليها، صحت بعدها بحوالي عشر دقايق كنت لسا بجهز العربية عشان أوديها المستشفى وفضلت تبص حواليها شوية ومتكلمتش ولا كلمة وبعدها وأغمى عليها تاني، ومن ساعتها ماصحتش.

صمت قليلاً وصمت الآخر معه، تبادلوا النظرات، نظرات مختلفة إلى حد كبير، بين

الغضب، والحنق، لكنها إتفقت في الحزن، والألم.

إخترق حاجز الصمت صوته المضطرب يقول:

-أنا عاوز أشوفها

أومأ الأخير رأسه وتركه يمر، ففتح براء الباب ودلف إليها، وتبعه صهيب مغلقًا الباب بعدها. كان الصمت يحيط بالمكان بطريقة مريعة، جلس براء بجانبها على الفراش وظل ينظر لها بحزن.

قبل عدة سنوات أصيب هو في حادث وهو يعبر الطريق، وبالرغم من أن الحادث لم يكن خطيرًا، إلا أنها ظلت بجانبه، ظلت تهتم به كأم تعتني بابنها، وإنتقلت للمشفى الماكث هو فيه وظلت هناك حتى خرج منه، وأصرت

بطريقة رهيبة على ألا تتركه، برغم أنه ألح عليها أن تفعل ولكنها كانت تصده بغضب وهي تقول له بحسم "مستحيل" وقد كان ردًا قاطعًا يمنعه من مناقشتها أكثر، وللحق كان سعيدًا بهذا، فحتى أنها كانت تداويه أفضل من الممرضة ذاتها.

ولن يبالغ إن قال أنها كانت تخاف عليه أكثر من والديه، لقد كان صغيرًا حينها ولم يتم بعد الرابعة عشر من عمره، إلا أنه لم ينسَ ما فعلته لحظة، فقد ينسى المرء الكثير عدا الإهتمام الصادق.

في السابق حينما كانت تراه حزينًا، كانت تستمر بإغاظته حتى ينفعل ويغضب، ثم تضحك وتخبره بأنه ضحيتها المسكينة، وما إن تنتهي من إزعاجها له حتى يجد نفسه يضحك هو الآخر، بدون أن يعلم السبب

الذي دفعه للضحك، وينسى السبب الذي أحزنه، أو يبدأ في قصه عليها فتعطيه رأيًا في الغالب لم يفكر هو فيه، أو تبدأ بتبسيط الأمور بطريقة عجيبة. لقد كانت ملجأه حين يصيبه الغم، ولكنها تغيرت كثيرًا بعد كل ما حدث، لقد غيرها الألم.+

كان صهيب ينظر إليهما كل ذاك الوقت، تارة ينظر لها، وأخرى لأخيها بهدوء.

ولكنه صدم حين رآى براء يبكي، لماذا، ما الذي يبكيه؟

إقترب منه ووضع يده على كتفه قائلاً بثبات:

-الموضوع مش مستاهل يا براء، جويرية مش ضعيفة وهتقوم.

رفع رأسه وقد إنتبه للدموع في عينيه فمسحها بسرعة ووقف ناظرًا له، ثم أجابه بتماسك:

-بس الدكتور قال إن..

قاطعه صهيب بحسم:

-الدكتور يقول اللي هو عاوزه، أنا قولتلك هتفوق

سأله بتعجب:

-وإزاي متأكد كدة؟

أجابه ببساطة:

-أنا عارف إنها أقوى من كل دة، وأنا عمري ما حكمت على إنسان إلا وكان حكمي صح

ثم تابع وهو يشدد على الحروف:

-جويرية هتقوم

نظر له براء مندهشًا، فهو يتحدث مثلها تمامًا، حتى مخارج الحروف، وطريقة النطق، وحتى تلك الكلمة عن الحكم على الناس!

سأله براء بهدوء:

-طيب، لو أختي صحت، ومتحملتكش في حياتها هتطلقها؟

تجهم وجهه من جديد وسأله بتريث رغم غضب عينيه:

-هو إنت مُصر تنرفزني ليه؟!

زفر الأخير وأجابه بحنق:

-ما هو مش معقول أختي تصحى تلاقيك في حياتها بين يوم وليلة

ثم نظر له وتابع بجدية أكثر:

-ثم إنها مأخدتش القرار دة إلا تحت ضغط!

كتف صهيب يداه وأردف بثقة:

-كدة كدة أصلاً أختك كانت هتتجوزني، فاكر لما قولتلك إني بهددها بيك!

نظر له وعيناه تشتعلان، وسأله بنبرة حادة:

-كنت هتخطفني مثلاً؟

هز رأسه نافيًا وأجابه ببرود:

-أمممم، يعني حاجة زي كدة، كنت هدخلك السجن، والأكيد إن أختك مكنتش هتتحمل تشوفك هناك أكتر من يوم.

وضع براء يده بين خصيلات شعره، وجذبها للخلف من الغضب، وسأله وهو يصر على أسنانه:

-عندك إيه ضدي؟

رد بإبتسامة سمجة:

-هو فيه حد بيغلب في البلد دي؟

فهم براء ما يرمي إليه، فهو محامٍ، ويعلم جيدًا مدى سهولة تزوير الأوراق! وخاصة لدى الأثرياء!

حين تأكد صهيب من أنه فهم مقصده، جلس على المقعد المجاور وتابع بهدوء:

-على فكرة مكنتش هسجنك بجد، كنت هستضيفك عندي بس وهخليها تصدق إنك إتسجنت، يعني زي ما إنت قولت في الأول هخطفك.

تابع براء النظر له بغضب وهو صامت، فعاد صهيب يتحدث:

-عامةً أنا مش بقولك الكلام دة عشان أستفزك، أنا بفهمك إني كنت هاخدها في كل الحالات.

عاد براء للجلوس بجانبها مرة أخرى، وهو يضع يداه الإثنتان خلف رأسه، وظل صامتًا لفترة شاردًا في الأرض، أما صهيب فقد شرد أثناء النظ إليها. رفع براء رأسه فجأة وقال بروية:

-ماشي يا صهيب، أهم حاجة جويرية ترجع زي ما كانت، وإنت ميكنش ليك أي تأثير سلبي عليها.

أرجع صهيب رأسه للخلف وقال:

-كدة إبتدينا نمشي صح

أخذ براء نفسًا عميقًا وتابع باضطراب:

-و.. و جويرية عمرها ما فكرت في الجواز في يوم، يعني بمعنى أصح بلاش تحاول تـ...

قاطعه صهيب مطمئنًا:

-دي آخر حاجة ممكن أفكر فيها يا براء.

تنهد هو ببعض الإرتياح، ومضت بعض الثوان القليلة قبل أن يسمع صوتًا خافتًا يصدر من جانبه، وقبل أن يتحرك هو، كان صهيب قد وصل ووقف أمامها وناولها كأسًا من الماء، ثم بدأ يسقيها!

إتسعت عيناه فمتى حدث كل هذا، ولما لم يسمعها هو حين طلبت الماء!+

إنتهى صهيب من سُقيها الماء وسألها بسرعة وهو يعيد الكوب إلى محله:

-أجيبلك كمان؟

هزت رأسها هزة خفيفة بالنفي، في حين نظرت هي لبراء ونطقت مستعجبة بصعوبة:

-براء!

إبتسم لها وإقترب أكثر منها وهو يقول بمودة:

-آه يا حبيبتي أنا هنا

حينها تركهما صهيب وخرج سريعًا لمنادات الطبيب.

حاولت جويرية الجلوس فساعدها براء على ذلك حتى إعتدلت جليسةً، وظلت صامتة تنظر بهدوء حولها

سألها براء بقلق:

-إنتي عاملة إيه الوقت؟

أجابته بفتور:

-الحمد لله

نظرت له فجأة وقالت مبتسمة:

-شوفت بابا وماما وسوفانا النهاردة في الحلم، إجوا وكانوا لابسين أبيض خالص، وحضنوني، وفضلنا قاعدين شوية، نتكلم، وكانوا فرحانين أوي، وبعد شوية مشيوا وسابوني، وصحيت.

كانت عيناها تلمعان بشدة، فإبتسم لها وقال:

-شوفتي حتى هما حابين القاعدة هناك، كلهم كويسين نخلي إحنا بالنا من نفسنا شوية بقى

أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت:

-براء، أنا عاوزة أصلي

نظر لها بهدوء قبل أن يردف:

-طيب هـ..

قاطعهما صوت الباب وهو يطرق، فتأكدت جويرية من حجابها، وللحق إستعجبت حين وجدته!

-إدخل

قالها براء بهدوء، فدلفت الطبيبة ومعها صهيب، إبتسمت الطبيبة لها وسألتها:

-عاملة إيه الوقت يا مدام؟

أجابتها بهدوء:

-الحمد لله

سألتها بصيغة أخرى:

-طيب حاسة بإيه الوقت؟

ردت عليها بنفس الهدوء:

-مش حاسة بحاجة، أنا تمام

عقدت الطبيبة حاجباها وإقتربت منها قائلة لها بمزاح:

-ماتخافيش مفيش حقن

إبتسمت جويرية مبادلة إياها وأجابت ببساطة:

-لأ إنتي فهمتيني غلط، أنا بجد كويسة

جاءت الطبيبة لكي تفحصها، إلا أنها نزلت من الجانب الآخر من الفراش قائلة:

-بجد مفيش داعي للقلق أنا كويسة

إقترب منها صهيب وقال بضيق:

-كويسة عشان أول ما ترجعي يغمى عليكي!

لم تعره إهتمامًا وهي تمشي للأمام قليلاً و فجأة كادت أن تقع لكنه أمسكها بسرعة

وسحبها للفراش من جديد وهو يتابع بغضب:

-بطلي عناد، وخليها تكشف عليكي

نظرت الطبيبة لمن حولها بدهشة، فأول مرة ترى فتاة تخرج من غيبوبة خطيرة كهذه وتقف وكأن شيئًا لم يكن.

أجلسها هو على الفراش، فنظرت له بغضب وقالت:

-صهيب، أنا قولت أنا كويسة!

جاء براء من الجانب الآخر ونظر لها قائلاً بهدوء:

-جويرية، صهيب معاه حق، إنتي لازم تهتمي بنفسك شوية عن كدة

نظرت له بحنق هو الآخر وفي حين أن كلاهما
ظلا ينظران لها بحدة وصحتها بالفعل لا
تقوى على المقاومة، إضطرت آسفة
للإستسلام، والعودة للفراش مرة أخرى.....!!!

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السادس والثلاثون:

+

+

الحادي عشر من مارس ٢٠١٠ الساعة
العاشرة مساءًا..

عينان مغلقتان، ووجنتان تحررت بهما
عبرتان، وقلب صادق حزين يُرثي فقيده

الراحل، وفم يفيض بألمه همسًا في حرية الساحل،

بين يدي الرحمن كانت، ساجدةً حامدةً طائعةً لله كانت، باكيةً راجيةً عابدةً لله كانت، بين يدي الرحمن كانت.

طال السجود، ولم تقم، فحنينها إلى مولاها لم يقل بعد، نعم هي في هذا العالم المختلف الذي ينتقل إليه الإنسان بمجرد الوصول إلى الذروة في الخشوع، بمجرد إتقان العبادة لدرجة إستحضار العقل والقلب معًا ليحضروا صلاتها، هذا العالم الذي ينسيها كل ما حولها ويشعرها بأن الله معها، يواسيها أينما كانت، وفي أي هوة وقعت يكن الله في عونها، لا يكلها إلى نفسها طرفة عين.+

لقد كانت الغرفة مظلمة تمامًا كما تحب حين تناجي ربها، فقط من النافذة يسلط القمر ضوءه عليها فيبدوا الأمر وكأنها تشع نورًا في الظلام الدامس.+

+.....

وفي الخارج، جلس أحدهم على الأريكة ممدد القدمين، هادئ إلى حدٍ كبير، وأمامه الآخر جيئةً وذهابًا يسير في دهاليز الغرفة، ولم يبدُ ساكنًا أبدًا بل هو قلق، غاضب، محتقن الوجه، و..

-إهدى شوية لهيطقلك عرق!

نظر له الآخر بغضب وإقترب منه ثم أمسكه من ياقة قميصه وصاح فيه بغضب:

-قسمًا بالله لو جرالها حاجة لهدفعك التمن غالي يا صهيب، عشان إنت اللي خليتنا نسيبها ونطلع!

رفع صهيب حاجباه ساخرًا، ثم مد يده وإنتزع يد الآخر عنه بهدوء ليظهر التهكم في نبرته وهو يردف ببرود:

-أولاً مبسمحش لحد يمسكني من القميص بالشكل دة، حتى.. حتى لو كان أخو مراتي يا براء!

إشتعلت عينا براء بالغضب حالما ذكر أمامه قرابتهما، ولكن لم يكترث وتابع ببساطة:

-ثانيًا هي عاوزة تقعد لوحدها، يبقى نسيبها مش نخنقها أكتر!

رد عليه براء بحنق وهو يبتعد عنه قليلاً:

-آه صح زي ما سيبتها قبل كدة وبعدها لقيتها مغمى عليها!!

أرجع صهيب رأسه للخلف، وصمت قليلاً قبل أن يحيبه بتأنٍ:

-إمبارح كانت لسة مصدومة، لكن الوقت هي بدأت تستوعب

سأله بضيق:

-طب ليه هي قفلت الباب بالترباس، طب إفرض عملت في نفسها حاجة؟

أجابه بهدوء:

-كان إيه اللي مانعها تعمل كدة من زمان، يعني تتصور إن أختك ممكن تموت كافرة؟!

صمت حين شعر أنه قد اقتنع. في كل الأحوال لقد تحملت أقسى من هذا بكثير،

وسوف تتحمل هذا الأمر. نظر براء لأحد الأرائك الوثيرة ثم ذهب ناحيتها وجلس عليها، فقد تعب وما عاد يقدر على الإحتمال أكثر، مع ذلك لم ينسَ للحظة أنه ليس في منزله، بل هو ليس في أي منزل يعرفه على الإطلاق، هو في منزل هذا البغيض، الجالس أمامه، زفر بحنق هو يعلم أنه في أي لحظة سيطلب منه الإنصراف وسيضطر لفعل ذلك، وهو لا يريد ترك أخته في تلك الحالة وحدها بعدما أصرت على عدم المكوث في المشفى أكثر، وبالطبع استغل صهيب الفرصة وذهب بها إلى المنزل بينما كان هو منشغلاً بإبلاغ أقاربه بموت والدها. حين يطلب منه ذاك الكائن كما قالت أخته قبلاً، الرحيل سيأخذها معه عنوة ثم لن يسـ..

-براء، أنا شايف إنك تقوم تنام

كاد أن يحتج وهو ينظر له بغضب، لكن صهيب تابع بهدوء:

-تعالى أوديك أوضة تنام فيها

نظر له بدهشة وسأله:

-أوضة؟؟!

وقف صهيب ثم سار أمامه وهو يجيبه بفتور:

-تعالى معايا

وقف براء وسار خلفه متعجبًا، إلى أن وقف أمام غرفة ما، وفتحها ثم نظر له قائلاً بهدوء:

-تصبح على خير

و عاد مجددًا من حيث جاء، فنظر له براء وهو لا يفهم شيئًا، ثم نظر للغرفة، وكاد أن يلج للداخل لكنه فكر لربما يحاول صهيب

إبعاده عن أخته لأجل شيءٍ ما، أو أنه يريد بها شرًا، لم يتحمل الفكرة وسرعان ما إتجه إلى حيث كان يجلس، لكنه لم يجده، نظر إلى غرفة أخته، لازالت مغلقة، حينها ظل يسير إلى الأمام قليلاً حتى وجد درجًا! درجًا مخفيًا في ركن بعيد من غرفة المعيشة، تعجب ولكن قرر أن يصعده. وبالفعل صعده بهدوء ولكنه إندهش حين وجده جالسًا على الأرض بالأعلى، لقد كان سطحًا كأسطح المباني العادية، إلا أنه كان أرقى بقليل، فهناك سجادة خضراء كالعشب والكثير من النباتات المزروعة، وأوعية الرياحين، والأجمل، ألا سقف في الأعلى، السماء ولا شيء غيرها، كباقي الأسطح. إقترب منه بهدوء، فسأله صهيب وهو مستمر في النظر للأعلى:

-منامتش ليه؟

تنحنح الأخير بخفوت، ثم أردف بجدية حاول إظهارها في صوته:

-مآآ عادي، مش جايلي نوم!

رد الأخير بسكون:

-قولتلك إني مش هضايقها متخافش

أشاح براء وجهه عنه وصمت لبعض الوقت، ثم سأله بعدها:

-إنت قاعد هنا ليه؟

نظر له صهيب للثلاث ثوانٍ ثم أعاد النظر للسماء ولم يجبه، فنظر له مطولاً وفكر أنه لو يحاول تقليدها لما وصل الأمر معه إلى ذاك الحد، حتى أنه قد اعتاد على تلك الطرقة مما جعله لا يغضب بسرعة حين لا تجيب عليه.

نظر له للمرة الأخيرة ثم سار مبتعدًا عنه وهو يقول:

-أنا رايح أنام

ثم تركه وذهب.

بينما نظر له الأخير وهو يسير مبتعدًا ولم يعقب، فقط أعاد تعليق عينيه بتلك النجمة الساطعة في السماء مرةً أخرى.....!!!+

.....!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السابع والثلاثون:

+

+

+

الثاني عشر من مارس ٢٠١٠+

وقفت هي متسعة العينين مندهشة وهي تنظر له، ولم يختلف حاله عنها كثيرًا، وسرعان ما سألوه سويًا:

-مين دة يا عقاب؟!

نظر لهما عقاب مندهشًا وأجابهما بتعجب:

-مالكم، كاثرن دة صاحبي إياس، إياس دي صاحبتي كاثرن!

نظرت كاثرن لعقاب وضيقت عينيها وهي تسأله:

-أيوة، طب بيعمل إيه هنا؟

إبتسم عقاب لها وأجابها بتلقائية:

-بيشتغل هنا، من شهر واحد بس حول من فرع أليكس لهنا وإنتي أول مرة تطلبي تنزلي الشغل من زمان فطبيعي أول مرة تشوفيه

إبتسم إياس وإقترب منهما، فإبتعدت هي خطوتين بدون أن تشعر، وبالرغم من أن الأمر أثار فضوله ليفهم ما بها، لكنه أردف بهدوء:

-لأ مش أول مرة نتقابل، إتقابلنا مرتين قبل كدة بس برة الشغل

ردت عليه هي بضيق:

-لأ مرة واحدة بس اللي إتقابلنا فيها

-لأ إتنين، المرة الأولى أنا افتكرتها، كنتي هتخبطيني بعربيتك يوميها، والتانية كانت في الجنينة!

تذكرت هي ذاك اليوم بسرعة، فهو يوم لا ينسى، وبالكاد رأت وجه من إصطدم بها فقد كانت منشغلة التفكير..

نظرت له بإنزعاج، فقال عقاب:

-غنيين عن التعريف لبعضكم يعني، إن كان كدة فيلا كل واحد على شغله

نظر له إياس بهدوء وسأله:

-هو إنت هتفضل جد كدة دايمًا! روح ياعم شوف شغلك وإحنا هنتكلم شوية

نظرت له كاثرن بإشمئزاز ثم نظرت لعقاب وقالت:

-أوك يا عقاب أنا عاوزة أعرف شغلي إيه النهاردة؟

حينها نظر له عقاب وضحك على ما فعلت هي، بينما شعر الأخير بالحرج وصمت.

ثم أخذها معه قائلاً:

-تعالي معايا المكتب وأنا هديكي الملفات، المهم بلاش تجهدي نفسك إنتي في فترة المفروض ترتاحي فيها!

أومأت رأسها وذهبت خلفه، بينما ظل إياس ينظر لنفسه فهل يعيبه شيء لتنظر له بتلك الطريقة، بالكاد تبتلع كلمة ينطقها، هل أخطأ في شيء وهو ساهٍ عنه!

هز كتفه وهو لا يفهم أي شيء، ثم سار نحو مكتبه، وقد كسى الضيق وجهه.+

+.....

إنحنت هي كثيرًا حتى تصل إلى مستوى تلك الصغيرة وقد إرتسمت إبتسامة عذبة على محياها، ثم قالت له بمودة:

-مين قال إني مش بحبك؟

أجابتها تلك الصغيرة ذات الشعر الكستنائي، والضفائر المصنوعة بدقة، بنبرتها الطفولية:

-عشان حضرتك يا مس إديتي لكلهم شوكولاتة وأنا لأ، وكلهم سقفوا ليهم بس

حانت ملامح وجهها كثيرًا، ثم وقفت وحملتها بعدها وهي تجيبها بإهتمام:

-لأ مش لكلهم، أنا اديت للي جاوب صح بس، وإنتي حتى مرفعتيش إيدك عشان تجاوبي!

وضعت الطفلة يدها على عينها كحركة طفولية حين تحزن، فلم تستطع هي

المقاومة، وأجلستها على المكتب بجانبها ثم أخذت حقيبتها وأخرجت منها ثلاث قطع من الشوكولا، وقبل أن تعطيهم لها سألتها بجدية تحاول إظهارها:

-تعرفي تكتبي من الألف لحد الراء

أومأت الصغيرة رأسها، فقامت بإخراج ورقة وقلم، ثم أعطتهم لها باسمة وهي تتابع:

-لو كتبتيهم يا تالا وكتبتي إسمك كامل هديكي التلاتة دول، وهخليهم يسقفولك بكرة كمان

تحمست تالا أكثر وبدأت تحاول أن تكتب بسرعة " أ.. ب.. ت.."

وكانت هي تراقبها باسمة، فمنذ أن جاءت إلى هنا، كانت تلك الفتاة هي محط أنظارها، وبالرغم من أنها لم تأتِ إلا من عدة أيام

فقط، لكنها تعلقت بالمكان كثيرًا، وأحبت جميع الأطفال، وبالأخص تلك الـ"تالا" التي تجلس أمامها الآن.

-مس فيروز، أنا خلصت

إنتبهت لها فيروز، فنظرت لها، ثم للورقة، أمسكتها أولاً وظلت تحاول فهم ما كتبته، خطها بشع لدرجة غريبة، ويشعرها دومًا بالرغبة في الضحك، لكنها منعت نفسها بصعوبة ونظرت لها بنفس الإبتسامة التي لم تهتز وقالت:

-ما إنتي ممتاذة أهه، أومال مش بترفعي إيدك ليه؟

أجبتها تالا بخفوت وهي تنظر للأرض:

-بتكسف!

إقتربت منها فيروز، وطبعت قبلة على وجنتها ثم تحدثت برفق:

-مش ينفع نتكسف في كل حاجة، كدة بنضيع فرص كتير

صمتت قليلاً وهي تتذكر نفسها، فقد أضاعت فرصًا لا تعد ولا تحصى بسبب ذاك الإحراج الزائد، ثم تابعت بإبتسامة مشرقة:

-أنا عاوزة تالا بكرة، تكون أحسن واحدة في الحضانة كلها وتجاوب على كل الأسئلة، إتفقنا؟

إبتسمت لها الصغيرة وأومأت رأسها إيجابًا وهي تردف:

-إتفقنا

أعادت تقبيلها في وجنتها الأخرى، ثم حملتها لتنزلها، فسألتها الطفلة بسعادة:

-يعنى حضرتك بتحبيني؟

إنحنت لمستواها ثم أجابتها بهمس:

-مس فيروز بتحب تالا آآآد الدنيا، وبتحبها أكتر منهم كلهم كمان، بس مش تقولي لحد في الحضانة خليه سر بينا

ضحك تالا وهي تومئ رأسها، وبدى عليها سعادة غريبة، لدرجة أن فيروز شعرت بالغرابة، كادت الفتاة أن تذهب، لكن فيروز نادتها من جديد قائلة بهدوء:

-تالا!

استدارت الفتاة لتراها، وذهبت ناحيتها مرة أخرى، فمدت فيروز لها يدها بالشوكولا وهي تقول بوِد:

-الشوكولاتة بتاعتك

أخذتها الفتاة، ثم أردفت:

-شكرًا يا مس

ثم ركضت بعيدًا فاعتدلت فيروز في وقفتها وردت عليها برغم عدم وجودها:

-الشكر لله يا حبيبتي

لقد كانت واثقة أنها ستتحسن حين تأتي هنا، مع الأطفال، فقد كانت تعشقهم دائمًا، ولكن تلك الفتاة... رائعة جدًا لكم أحبتها في تلك الفترة الوجيزة! يا الله، كيف يعقل أن تكون طفلة كهذه مصدرًا لإزالة الآلآم، كيف لها أن تخفف عنها الشعور الطاغي بالحزن وهي لا تدري!

إبتسمت من جديد وهي تتذكر براءتها، ثم أمسكت حقيبتها وغادرت المكان..+

+.....

فتح باب الغرفة، وخرج منها، ثم سار بهدوء في الرواق، واضعًا يداه في جيبي بنطاله، وظل يسير قدمًا، حتى وقف أمام غرفتها. طرق الباب، فلم تجبه، حينها أعاد طرق الباب عدة مرات لكن لا فائدة.

أردف بصوت هادئ:

-جويرية، إفتحي!

حين لم يصله رد لأكثر من دقيتان، تابع محذرًا:

-أنا هفتح الباب

حسنًا، لم تجبه مجددًا، ففتح الباب، والعجيب أنه فُتح ببساطة فهو يعلم أنها أغلقته بالمزلاج ليلة أمس، لكن اليوم!

نظر في أنحاء الغرفة فلم يجدها، توسط الغرفة باحثًا عنها بعينيه مناديًا إياها بنبراته

الهادئة رغم كل شيء، ولكن لا فائدة ترجى.
خرج من الغرفة ثم ظل يبحث عنها في كل الغرف، غرفة المعيشة وغرفة الضيوف، وأخرى فارغة، المطبخ، الحمام، وغرفة أخيرة فارغة، الحمام الآخر، لا يوجد لها أثر، ثم قرر أن يذهب إلى غرفة أخيها ليراها، ولكن في طريقه إلى هناك، سمع صوتًا غريبًا يأتي من النافذة المطلة على حديقة المنزل، رجع خطوتين للخلف، ونظر من خلالها فوجدها جالسة تحت شجرة هناك، ممسكة بكتاب ما وتقرأ منه، ياله من صوت، ولكن المهم أنها هناك، تنهد بإرتياح فللحظة ظنها غادرت. وبدون أن يفكر كثيرًا، سار بخطوات سريعة نحو الخارج..+

كلما اقترب أكثر علاَ ذاك الصوت أكثر، صوت ندي لم يسمع كمثله من قبل له طنة

محببة، ورنة، وتناغم، توقف خلفها مباشرةً فلم تشعر به، لقد كانت منشغلة بالقراءة لدرجة أنها لا تستمع إلا لصوتها العذب.
جلس هو في الإتجاه المخالف لها من الشجرة وأسند رأسه عليها وأنصت.

-" يٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَاَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُوْنَ خَيْرٌ اَمِ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖٓ اِلَّآ اَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوْهَآ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ مَّآ اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍۗ اِنِ الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِۗ اَمَرَ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاهُۗ ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ. أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ"

أغمض عينيه مستلذًا بسماع تلك الآيات، لن ينكر أنه لم يعلم ما الذي تقوله في

البداية، لكنه شعر أنه القرآن، ذاك القرآن الذي لا يسمعه إلا في الجنائز، بصوت بطيء يدخل الحزن في النفوس، ويذكرهم برائحة الموت دومًا، أو من مكبرات الصوت في المساجد، ولأنه لم يدخل مسجدًا في حياته قط فكانت تلك هي أول مرة ينصت فيها للقرآن، أما صوتها هي مختلف، لقد جعلته يصغي لدرجة تخالف الوصف، في تلك اللحظة فقط، أدرك أنه كان يجهل الكثير، لقد كان يجهل أن للقرآن طريقة غريبة تشفي الصدور وتريح النفوس وتُسكن الفؤاد.

وإستمر الأمر نحو ما يقرب من النصف ساعة، تقرأ هي ولا تشعر بذاك الذي يجلس خلفها، يستمع بتلاوتها، إلى أن تلت قوله تعالى:

-" حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"١

ثم صمتت، وضمت المصحف إلى قلبها معلقة أنظارها في السماء، وإنتبه الأخير لصمتها المفاجئ وود لو يطلب منها أن تتابع ولكن..

-إنت هنا من إمت؟

سألته بهدوءٍ حين لاحظت حركة خلفها، فأجابها بهدوء مشابه:

-من شوية

صمتت ولم تعقب، فعاد هو يحادثها:

-بس صوتك..

صمت حين عجز عن التعبير بسهولة، لكنه أعاد محاولة إيجاد كلمة تناسبها حتى قال:

-صوتك مختلف، كل حرف بيخرج بتكوني حاسة بيه، تعرفي صوتك عمره ما كان ممكن يكون بالجمال دة لو مكنش طالع من قلبك، وإنتي فاهمة كل معانية

صمتت هي قليلاً، وظلت تنظر بشجن للسماء لتجيبه بعدها بنبرة صادقة:

-أنا مبعرفش أقرأ القرآن إلا بصوت عالي، لازم أسمع نفسي عشان مسرحش، دة أقل حاجة ممكن نقدمها لربنا.

إستعجب هو، فهي على الرغم من كل ما تمر به، يزداد تعلقها يومًا بعد يومٍ بخالقها، فسألها بتأن وهو ينظر أمامه:

-بس.. بس إنتي مش مبسوطة!

-ولإن شكرتم لأزيدنكم ولإن كفرتم إن عذابي لشديد

-أيوة بس..

-كل نفس ذائقة الموت، مش معنى إن ربنا إبتلاني أقلل العبادة أو الطاعة، ربنا أكتر حد قريب منك، ربنا عمره ما بيسيبك لحظة لوحدك، عارف يا صهيب، أنا عمري ما دعيت دعوة إلا وربنا استجابهالي، عمري ما لجأتله إلا وكان معايا، إزاي أقلل عبادة لو إمتحني أو إبتلاني؟

سكت تمامًا وظل ينظر أمامه، لم يرَ الأمور هكذا من قبل، لم يصلِ يومًا ولم يصوم، لم يقرأ يومًا حرفًا من كتاب الله، بالكاد هو مسلم فقط بالإسم! لكن بالعمل لا دليل. دمعت عيناه وهو يفكر بالأمر حتى أنه لم يفهم لما، وسرعان ما مسحها، سألها من جديد:

-إيه إللي بيخليكي واثقة إن ربنا معاكي دايمًا؟

أجابته بدون تردد وقد دمعت عيناها هي الأخرى وسالت عبرة من عينيها:

-عشان أنا لما بنام زعلانة بصحى مرتاحة، عشان لما بتعذب بلاقيه فاتح أبواب الرحمة ليا، عشان لما بدعي بيستجيب ليا، عشان لما بكون لوحدي بيكون معايا، أنا مرة كنت هتخطف من حوالي سنتين، كنت لوحدي

خالص، وأنا راجعة البيت عربية سودة كبيرة وقفت قدامي ونزل منها راجلين كانوا ناويين يخطفوني، حاولت أهرب معرفتش، وطبعًا كان صعب عليا أبعدهم لوحدي، وحتى اما صرخت محدش لحقني، عارف أنا عملت إيه ساعتها؟

-إيه؟

-قولت اللهم إكفنيهم بما شئت وكيف شئت..

صمتت قليلاً، ثم عاد صوتها الهادئ يسأله:

-وتعرف إيه اللي حصل؟

سألها بإهتمام:

-إيه؟

أجابت باسمة:

-وقفت عربية تانية قدامي ونزل أربع رجالة منها وفضلوا يضربوا فيهم

إبتسم هو الآخر ولا يدرِ لما، وأراد أن يراها، ولم يمنع نفسه، حين إنتصب وإستدار حتى وقف أمامها، نظرت له بهدوء ثم عادت لتنظر في السماء بنفس الوجوم، فناداها بصوت أجش:

-جويرية!

نظرت له منتظرة أن يتابع، فمد يده لها متابعًا:

-الدكتورة قالت إمبارح لازم تاكلي حلو، وطبعًا إنتي مكلتيش حاجة من إمبارح، فاقومي معايا يلا عشان تفطري.

نظرت له مطولاً قبل أن تمد يدها لها، فسحبها هو لتقف، ثم سألته بنبرة ساكنة:

-الراجل الكبير إللي كان معانا واحنا بنتجوز..

صمتت قليلاً فسألها هو بتعجب:

-قصدك رحيل؟!

أومأت رأسها وسألته:

-يقربلك إيه؟

أجابها بهدوء برغم دهشته:

-عمي، بس.. بس هو زي أبويا بالظبط بالنسبالي

سألته مجددًا:

-وهو عايش لوحده ولا معاه حد؟

-لوحده، بس بتسألي ليه؟

أخذت نفسًا عميقًا ثم أجابته بروية:

-عشان، عشان مينفعش تسيبه لوحده!

برر هو بهدوء:

-لأ أنا مش ناوي أسيبه يعيش لوحده، أنا هجيبه يعيش معانا بس بعد شوية.

أرجعت رأسها للخلف وسألته بغموض:

-وإنت متوقع إني هعيش معاك هنا؟

ضيق عينيه وسألها بحيرة:

-قصدك إيه؟

هزت كتفاها غير مكترثة، وكادت أن تنصرف، حين أمسكها من يديها، وقفت، فسألها بنبرة أعلى بقليل:

-أنا مش فاهمك يا جويرية، وضحي!

أخذت نفسًا عميقًا وتحدثت وهي لا تنظر له:

-أكيد إنت كنت عارف إني مكنتش عارفة أنا بعمل إيه ساعة ما اتجوزنا!

توقفت قليلاً، ثم تابعت بضيق:

-كنت متلغبطة، وكان تفكيري مشوش و..

قاطعها هو بحدة وقد تجهم وجهه، وتصلبت عيناه:

-وطبعًا الوقت بدأتي تفهمي إنتي عملتي إيه وهتطلبي نصلح كل دة وننفصل!

أدارت وجهها ونظرت له بثبات، ثم أجابته:

-لأ يا صهيب، مش أنا إللي أرجع في قرار أخدته قبل كدة، حتى لو مكنتش عارفة أفكر كويس، كفاية إني وافقت بإرادتي!

إندهش من إجابتها وسألها مستفهمًا:

-أومال قصدك إيه؟

وضعت يدها على كتفه وقالت له برفق:

-بص يا صهيب، أنا وإنت مننفعش لبعض خالص، أنا وإنت مختلفين في كل حاجة، أنا مناسبكش بأي طريقة من الطرق، أنا معقدة وهتعبك بزيادة، ومش أنا إللي بقدر أتغير صدقني، وإنت هتكتشف كدة مع الوقت، ولحد الوقت دة أنا موجودة معاك عشان أثبتلك كل دة.

ثم أنزلت يدها من عليه وأرادت الذهاب، لكنه لم يتركها، وأردف هو بثقة:

-أنا بقى إللي هثبتلك إن إحنا مناسبين لبعض جدًا، وإن احنا شبه بعض بطريقة إنتي متتصوريهاش، وإني متمسك بيكي ومش هسيبك لو عملتي إيه.

ظلت هي تنظر إليه لفترة، كان تفكيرها منصبًا على أن تبعده عنها، لم تكذب في كلمة واحدة فهي واثقة أنه لن يتحملها، لقد

رأت في عينيه أنه يحتاج من تداوي له جروحه، أما هي فالملح ذاته، هي نار لا تنطفئ، ولن تخفف عنه ولن يستطيع هو أن يفعل فكلاً منهما وباء للآخر.

هكذا فكرت هي، وأما صهيب فبدى في عينيه ثقة رهيبة بكل حرفٍ نطقه، لدرجة أنه جعلها تشك في نفسها، ومصاقية حديثها.

أهدته إبتسامة هادئة قبل أن تبتعد، ويترك هو يديها، وظل يرنوها من بعيدٍ وهي تغادر.

كم تبذل من جهد لتحافظ على هذا الهدوء والسكون، كم تبذل من طاقة لكي لا تنهار كأي فتاة تتحمل ما تمر به هي الآن، وكأنه لا يرى ما يسكن عيناها من ألم ووجع وإنكسار، وكأنه سيصدقها إن أخبرته بطريقة غير مباشرة أنها بخير، ليست وحيدة، ولا تحتاج للمساعدة! جاهلة. نعم فهو يراجهت عنيدة

جاهلة، بطريقة أو بأخرى هو يرى الألم يكسوها، ومهما حاولت التظاهر بعكسه.+

أسرع محاولاً اللحاق بها، ولأنها كانت تسير بتأنٍ وصل لها، وناداها فوقفت محلها، وقبل أن يقول شيئًا بدى وكأن هناك ما تذكرته، فاستدارت وسألته بهدوء:

-براء مشى؟

قاطعها بِاِكْتِهَاء:

-لأ نايم جوا

نظرت له للحظة، قبل أن تردف بنفس السكون:

-مامشتوش يعني..

رد بثقة:

-وامشيه ليه، مش أخو مراتي برضوه!

أخذت نفسًا مطولاً، ثم نظرت له قائلة:

-كنت بتنده ليه؟

أجابها بهدوء:

-الفطار!

ردت بروية:

-مش جعانة الوقت+

-حتى لو مش جعانة لازم تاكلي، إنتي مسمعتيش الدكتورة قالت إيه إمبارح!

نظرا كلاهما لصاحب الصوت قبل أن يردف صهيب:

-براء معاه حق، يلا عشان تفطري

نظرت لهما متعجبة من حالهما، فمنذ عدة أيام فقط كاد أحدهم يقتل الآخر، وكانوا ينظرون إلى بعض ببغض شديد، والآن

يتحدون ضدها، لكنها الآن حقًا لا تستطيع تناول شيء، هناك شعور طاغٍ بالإختناق يسيطر عليها، يمنعها من الشعور بأي شيء آخَر، وآخِر ما تحتاجه الآن هو الطعام أو شخص يفرضه عليها!+

نظرت لهما قليلاً قبل أن تبدأ في الحديث بهدوء:

-ماشي، لما الأكل يتعمل اندهولي.

ثم تركتهم وذهبت، في كل الأحوال لن يكسر أحدهم الباب عليها إن أغلقته!

لكنها وجدت من يقف أمامها ويقول:

-ما هو اتحضر، يلا تعالي

نظرت له بحنق، فتابع باسمًا:

-وبعدين يعني الواحد بيتعلم من غلطه، ما دة نفس إللي عملتيه إمبارح!

توعدت له بنظرات عينيها وهي تجيبه بضيق:

-ماشي ياصهيب

نظر لهما براء بضيق، وزفر مغتاظًا فهو يتعامل معها كما لو كانا متزوجان منذ زمن، وما يعرفه عن أخته أنها لا تسمح لرجلٍ أن يلمسها حتى، حسنًا هو يعلم أنهما قد تزوجا، وربما هي تحاول السيطرة على نفسها لكي لا تظهر أمامهم تلك الغبية التي أخذت قرارًا متهورًا في لحظة ضعف، ثم ندمت عليه، هو يعلم ذلك جيدًا، لكن ومع ذلك ليس معتادًا أن يعاملها أحدهم مثله!١

للحق لم يكن هو إلا ممسكًا بيديها لكي يمنعها عن الرحيل، لكن براء تقدم نحوهم ووضع يده على كتفها ناظرًا لصهيب بتحدٍ، والأغرب أن صهيب لم يلتفت له، بل كان ينظر لها فقط وهذا ما زاد حنقه أكثر، ثم أردف لها بهدوء:

-يلا يا جويرية ندخل.

ترك صهيب يدها حين تأكد براء لن يتركها، ثم ولج إلى الداخل ليخبر المدبرة أن تجهز الفطور بسرعة إن لم تكن قد أعدته قبلاً.....!!!+

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثامن والثلاثون:

+

٩/٣/٢٠٠٥

البلاغ الأول.+

+

"إلى حضرة وكيل النيابة، مرحبًا سيدي، أردت إخبارك بأمرٍ مهم، وكلي أمل أن تسلط الضوء عليه، وتهم به كما تهتم بزوجتك وأبنائك، لأمر يتعلق بحياة أناسٍ أبرياء، فهلا كففت عن تسلطك، وتجبرك، وانتبهت لي!

هل سمعت يومًا بعصابة "آل سبر"..

اهدأ، أعلم أن ملامحك قد تشنجت الآن، وملأ الخوف عيناك، لكن تلك الرسالة ليس غرضها التهديد. قبل ثلاث سنوات خُطفت أختي واختفت كما تختفي الجثة في القبر، لجأت للشرطة فلم يعيرني أحدهم الاهتمام، لكنني لم أيأس فقد بحثت عنها في كل

مكان، إلى أن بدأت أتوصل لطرف الخيط، وكانت الصدمة حين اكتشفت ما حدث لها.

أسمعت يومًا بتجارة الأعضاء! بالطبع سمعت، ولكن كما تعلم، أجسادهن لا تمر قبل أن يجربوها ولو لليلة واحدة. هذا ما حدث مع أختي العزيزة، ولن أخبرك كل التفاصيل عن طريقة معرفتي، لكن سأطلعك على بعضها تفضلاً.

تم اختطافها مساء الأحد الموافق يوم ١٠/٣/٢٠٠٢، تم الاعتداء عليها بصورة وحشية، ثم بيعت أعضاؤها بأثمان باهظة!

بالتعمق أكثر في تلك القضية، تعلم أن من أكثر العصابات المشهورة بتلك الطريقة الوحشية في هذه الأيام وخاصة في تلك البلدة والبلدان المجاورة، هي "عصابة آل سبر"

خاصة أنها أكثر العصابات شهرة هذه الأيام، وأكثرهم غموضًا وتخفيًا.

بعد ما علمت والدتي ما حدث لابنتها أصابها مرض القلب، وزاد عليه النوبة القلبية حتى توفيت بعدها بثلاثة أشهر. حينها لم أستطع التحمل وقررت الانتقام، بدأت أحاول بكل الطرق الانضمام إلى تلك المنظمة، وبالفعل بعد اختبارات عديدة استطعت أن أصبح فردًا منها، وأهم ما كان يشغل بالي أن أصبح محط أنظارهم حتى أستطيع أخذ كل المعلومات التي أريدها منهم، قومت بعمليات السرقة معهم ببراعة فقد كنت أتميز بذكاءٍ عالٍ في الإلكترونيات، واستطعت اختراق العديد من أهم أنظمة الأمن، لكن كل العمليات التي شاركت فيها تأكدت أنها لأناس أثرياء، تكاد تنفجر جيوبهم مما معهم.

ولا أقول هذا تبريرًا، لقد كنت أشعر أنهم لا يستحقونها أصلاً. وصلت لهدفي وأصبحت محط الاهتمام بالفعل، وبدأ قادة المنظمة يأتمنونني على أسرارهم.

اسم العصابة: آل سَبر

قائد العصابة: ظلام الليل

المساعدة: سُم الحية

أسماء الجميع ملقبة، ومغلفة تحت أسماءٍ غامضة.

ليس لجرائمهم حد يقفون عليه، ومن يعارضهم يُقتل. فيهم...

قُتَّال مأجورون، سارقي الأعضاء البشرية، مقتحمي شبكات التواصل بأنواعها، لصوص منتصف الليل، وغالبًا ما تكون في المصارف، مختطفي الأطفال، وهناك من يقوم منهم

بأعمال أشنع بكثير مثل تعذيب أحدهم وإذلاله بأبشع الوسائل تحت طلب بعض الشواذ وإعطائهم أجرًا مقابل هذا.

هذا شيء لا يذكر مقابل ما يفعلونه، وغدًا، سيتم اختطاف ١٥ فتاةً أخرى من مناطق متفرقة من المدينة، بعضهم لإشباع رغبات القادة والآخرون، للاستفادة منهم. بدأت انتقامي بتخلصي من مساعد اليد اليمنى للقائد، حين تآمرت عليه وجعلتهم يشكون به حتى قتلوه، وبدأت أزرع الشك داخل نفوسهم، وأبث الأكاذيب داخل عقولهم بطريقة غير مباشرة، واهتممت تلك الفترة بمعرفة قاتل أختي وفعلت بعد عدة أشهر. حينها تآمرت عليه وجعلت مساعد القائد يجعلني أنا من أعاقبه، واستمتعت بهذا فقد أحرقته بعد أن ربطته بأسلاك حديدية قوية

على مقعد حديدي، كنت فقط أنتقم، كنت آخذ بثأري. والآن وبعد أن شفيت غليلي منه قررت مشاركة معلوماتي مع الشرطة"

"بالمناسبة، تركت لك عنوانً في نهاية الورقة لمقر الإختطاف إن أردت زيارته، فلا تتردد"+

ترك وكيل النيابة الرسالة ويداه ترتجفان، رسالة كتلك مرعبة جدًا وقد بدى ذلك على محياه.+

...+

١٠/٣/٢٠٠٥

البلاغ الثاني.

"هل تسمح لي يا سيادة وكيل النيابة أن أقول لك شيئًا؟

أنت مغفل"

"أعطيتك كل ما تحتاج من معلومات، لما لم تتحرك!"

"لقد شعرتَ بالخوف من تلك المجازفة أليس كذلك؟

أردت أن تتأكد أنني لست فردًا من تلك العصابة، صحيح؟

لكن هذا هو ثمن عدم مجيئك"+

اتسعت عينا وكيل النيابة وهو يتطلع إلى الصور المرعبة واحدة تلو الأخرى. لفتيات يذبحن عرايا، وآخرون يبكين وعلى وجوههم الدماء، وإحداهن تصرخ مستغيثة، وأكثر من خمس رجال يعتدون عليها، لقد بدى عليها أنها تصرخ برغم أنها مجرد صورة.

وكتب على الصورة من الأعلى، "تلك هي أقلهن عذابًا".

صور أخرى لثياب ملطخة بدماء، وممزقة،
وصور أخرى لـ..

لم يتحمل وكيل النيابة أكثر، وأعاد النظر في
الورقة ثم تابع القراءة.+

"انهض يا رجل، لا يزال هناك عدد منهن
على قيد الحياة، وأنا عاجز عن مساعدتهن،
لقد قتلتُ الكثير من قاداتهم في الأيام
السابقة، لكن الآن لا يجب أن أتهور، لأنني
حينها سأخرج من العصابة مقتولاً، خالي
الوِثاق، وأنا لم أقضِ عليهم جميعًا بعد.
سأكرر العنوان في نهاية الورقة إن أردت
زيارته، فأحضر مزيدًا من الضيوف، ولا تتردد"

"ولا تتوقع إخباري لك بكيفية حصولي على
تلك الصور"+

ترك وكيل النيابة الورقة سريعًا، وقد حملت ملامحه الجدية التامة وبعض الخوف، والقلق، والمزيد من الغضب، ثم قطع آخر جزء من الورقة ووضعه في جيبه، وأحرق باقي الورقة تمامًا، قبل أن يترك الغرفة ويرحل.+

+...

١١/٣/٢٠٠٥

البلاغ الثالث.

"لا تعتقد أنك هكذا أغلقت القضية، لاتزال العصابة تسرح في دهاليز قصر جرائمهم الشنعاء، وأنت قبضت على أضعفهم وأقلهم تفكيرًا إجرامي.

أنا لا أجيد الإطراء، ولن أثني عليك، فأنت كل ما فعلته هو إنقاذ فتاة واحدة في حالة خطرة جدًا، والباقي لم يتحملوا وماتوا. أتعلم لما،

لأنك تأخرت عليهم، لكن بالرغم من كل هذا، سوف أساعدك على البقية، وأحاول أن أعطيك معلوماتٍ وافية، ولتعلم أنت تؤدي واجبك فقط، فلا تشعر بالفخر فذنوبك تفوق حسناتك بكثير"+

نظر وكيل النيابة للورقة بصدمة، فمنذ متى يلقي أحدهم عليه الأوامر بتلك الطريقة!

اِتسعت عيناه فجأة، لربما يعلم ذاك المراسل الخفي ماضيه!

هز رأسه في التو نافيًا

كل ما يفكر فيه أوهام، أسراره قد أحرقت ومضى عليها أعوام. نظر للورقة بعمق مرة أخرى وكأنها أحبطت آماله، ثم أخرج القداحة من جيبه وأشعلها ناظرًا إلى آخر كلماته التي تضيء تحت وهج النار...!!!

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل التاسع والثلاثون:

+

+

تسير الأيام بهدوء، لا يحدث ما هو جديد، فهي غالبًا ما تتخذ غرفتها ملجأً تنزوي فيه حتى الشروق، ثم تخرج قليلاً للحديقة وتعود مرة أخرى للغرفة بعد ما يقرب من ساعة أو اثنتان.

يئس براء أن تعود كما كانت فقد أصبحت محبة للعزلة والإنطواء أكثر، وإضطر لتركها ليتابع عمله ثم يعود ليرها في المساء. أما هو فلم ييأس، فبالرغم من عزلتها وإبتعادها عنه أغلب الوقت كان يراها دائمًا، أو بمعنًا أصح

يستمر بإزعاجها كل الوقت، فبمجرد أن تذهب للحديقة صباحًا، كان يراقبها حتى تعود، ثم يطرق الباب ويزعجها بالفطور أو أي شيءٍ آخر، كأن يجعلها تفتح الباب ثم يقول أنه نسي لما جاء من الأصل، ولا يغادر إلا بعد نصف ساعة يقضيها بإزعاجها. الغريب على الرغم من أنه بدأ يفهمها بشكل أوضح لكنه لم يصل لإجابة يومًا عما يفكر فيه. فلما تسمح له بالبقاء معها، ولما لم تفاتحه حتى الآن بالإنفصال؟ لقد توقع منها أن تفاتحه فيه على الأقل، لكنها لم تفعل، كانت تتركه يتحدث معها وتجيبه على غير عادتها. هذا غير أنها تكون على علمٍ قبل أن تفتح الباب أنه لا يريد شيئًا محددًا!

واليوم قرر أن يكسر قاعدة أن تأكل وحدها، فهاهو يحضر الطعام إلى الحديقة، وهي لا تشعر به، أو تصطنع هذا.

كانت مغلقة العينين، مستندة على الشجرة التي اعتادت الجلوس تحتها. ووضع هو الصينية بهدوء قبل أن يخرجها منها ويضعها على الملاءة البيضاء التي وضعها.

اعتاد هو منها على ذلك، على تجاهل ما حولها، لكن اليوم هي لم تحزر.

-جويرية!

فتحت عينها حينها، ثم انتبهت لما وضُع أمامها، وضيقت عينيها متسائلة:

-إيه دة؟

أجاب بهدوء:

-عادي عاوز أفطر هنا، فيه مشكلة؟

أعادت إغماض عينها من جديد وهي ترد عليه ببرود:

-يبقى بلاش تندهلي تاني

-أكيد لو قولتلك تعالي كلي هتقوليلي شبعانة!

-أها

-طيب تعالي كلي

فتحت عينيها ناظرة له لثونٍ قبل أن تبتسم بدون قصد منها، ثم أجابته بهدوء:

-طب ما أنت عارف الإجابة!

إصطنع عدم الإكتراث وهو يتناول قطعة من التفاح:

-أمممم عادي يمكن تغيري رأيك!

لم تختفِ إبتسامتها وهي تجيبه:

-لأ، أنا عاوزة شاي بس

أحضر ابريق الشاي أمامها، ووضع السكر أمامها، فوضعت هي ملعقتين من السكر وهي شاردة الذهن، ثم صبت الشاي عليه، وقلبته. وكان هو ينظر لها بإهتمام، وبمجرد أن ارتشفت منه، أغمضت عينيها بعنف وتساءلت باشمئزاز:

-إيه دة؟

نظر هو للسكر وإبتسم، ثم اتسعت إبتسامته أكثر حينما قال متشفيًا:

-إيه دة يا جويرية حد يغلط ويحط ملح بدل السكر؟

نظرت له بغضب وتحدثت بهدوء قدر المستطاع:

-إنت اللي إدتهو..

حين رأت إبتسامته تذكرت كوب النعناع الشهي الذي أعدته له، فتحول الغضب فجأة إلى ذهول، ثم سألته:

-دة إنتقام مثلاً؟

بدى عليه الهدوء الشديد وهو يجيبها:

-مثلاً

أومأت رأسها بهدوء ولم تعقب، زفر بانزعاج من تلك الطريقة الجافة. فلأول مرة في حياته يعامله أحدٌ هكذا، ومع ذلك يصر على الحديث معها.

سألها مجددًا بضيق:

-بطلي تتعاملي معايا كدة إحنا داخلين على أكتر من عشرين يوم وإنتي بالحالة دي!

سألته ببساطة:

-حالة إيه؟

أجابها وهو ينظر في عينيها بعمق:

-تتجاهلي كل الناس، وكلامهم، تفضلي قاعدة لوحدك، ردود فعلك فيها فتور غير طبيعي!

فاجأته بردها الهادئ:

-جربت تبص لنفسك قبل ما تبصلي!+

يا إلهي، إن استمرت على ذاك النحو، تخفي ضعفها بإظهار ضعف من حولها ستهلك!

لكنه لم يجد ما يجيبها به، ولكن هو واثق أن حاله أفضل منها بآلاف المرات، على الأقل هي تساعده بوجودها على نسيان كل ماضيه، أما هو فلا يعلم كيف ستنسى،

ويجب أن تفرغ ذاك الحمل الثقيل بغيرها حتى ترتاح. لقد مل من نفسه فمنذ أن رآها انصب تفكيره عليها، أي جنون هذا!

-شوفت معرفتش ترد إزاي!

قطع شروده صوتها الساكن، فنظر لها مطولاً قبل أن يبتسم ويسألها:

-يعني إنتي بتعترفي إننا شبه بعض؟

أجابته ببساطة:

-لأ، أنا بقول إن احنا شبه بعض في النقطة دي بس.

ثم أمسكت برغيف الخبز وقطعته من المنتصف، ثم قطعته من منتصف المنتف، ثم من منتصف المنتصف المنتصف الأصلي، حتى أمسكت بقطعة صغيرة منه، ونظرت له قائلة بضجر:

-عارف، أنا جوعت، كل يلا

إبتسم وهز رأسه غير مقتنع بما تتشدق به،
وغير مقتنع حتى برغبتها في تناول الطعام
فجأة، هي تتهرب من الإجابات فقط.+

كانت تأكل بهدوء وبين اللقمة والأخرى
دقيقتان فاصلتان، تنظر فيهما إليه أحيانًا، ثم
تعود لتنظر إلى طعامها بشجن، لقد باتت
أسئلته تعجزها حتى وإن كانت تجيبه
ببساطة، لكنها... لكنها غير مقتنعة بما تقول!

تركت الخبز فجأة ونهضت من مجلسها، ثم
تركته وذهبت بعد أن أردفت:

-أنا شبعت الحمد لله

حُجبت عن عينيه، كقمر حَجبت ضياؤه غيمة
بيضاء في الظلام الدامس.+

+.....

-فيروز إنتي مروحة الوقت؟!

كانت تلك هي الكلمة التي نطقت بها تلك الشابة الواقفة أمامها، فأومأت رأسها مردفة بهدوء:

-أيوة يا دارين، يلا عاوزة حاجة؟

إبتسمت الأخرى بمودة وأجابتها:

-لأ يا حبيبتي عاوزة سلامتك

رفعت فيروز يدها لتودعها قائلة:

-يلا مع السلامة.

بالمثل فعلت الأخرى وودعتها بإتساع الإبتسامة، وبقولها:

-مع السلامة.+

غادرتها فيروز، وسارت في الرواق المؤدي للمخرج، وهذا الرواق ذاته به العديد من

الفصول، و قبل أن تذهب، وقعت أبصارها على تلك الفتاة حزينة الملامح، جالسة على مقعدها بهدوء وشاردة في البعيد، بينما معظم الأطفال يلعبون حولها، والباقي عاد أهلهم لأخذهم وغادروا.

ولجت فيروز إلى الفصل، واقتربت من معلمتهم التي تراقبهم حالما يأتي أهلهم، وسألتها بخفوت:

-أومال تالا مالها؟

هزت كتفاها، في عدم إكتراث، ثم أجابتها:

-والله ما أعرف، أنا من ساعة ما دخلت وهي كدة.

نظرت لها بضيق، ثم نظرت للفتاة من جديد، قبل أن تذهب إليها وتجلس بجانبها، لم تنتبه

لها تالا في البداية، لكنها قالت تستدعي إنتباهها:

-تالا!

نظرت لها تالا، ثم ابتسمت حالما رأتها، وكأنها وجدت من تبحث عنها، وفي هذا الوقت استغلت المعلمة وجودها وخرجت من الغرفة.+

سألتها فيروز بإهتمام وهي تبتسم لها بمودة

-مالك يا تالا؟

غلف العبوس وجهها مرة أخرى، ونظرت أسفلها بهدوء. ولمّا كان الصمت هو الحاجز بينهما، قررت هي أن تكسره، فوضعت يدها على كتفها عابسة الوجه هي الأخرى وتحدث بهدوء:

-تالا!

-بكرة فيه حفلة، وكل واحد هيجيب مامته معاه

أردفت بها تالا وهي ناسكة الرأس، منكسرة الصوت.

حينها سألتها مستفهمة:

-طب ما تقوللها تيجي، هي مش بتفضى تيجـ..

-ماما عند ربنا

بترت هي باقي جملتها بلك الكلمات، فصمتت للحظة وقد ظللت الصدمة تعابيرها، وجلى ذلك في عينيها، ثم سألتها بصوت مشدوه متقطع:

-ـع عند ربنا؟

نظرت لها تالة وقد بدأت في البكاء، وتابعت بإنكسار:

-آه، أنا عارفة إنها ماتت، بابا بيقولي عند ربنا عشان مزعلش بس أنا عارفة إني مش هشوفها خالص.

إقتربت منها فيروز وبدأت تمسح لها دموعها، ولم تدرِ أنها بدأت بالبكاء هي الأخرى، وأخذت تحادثها بحزن:

-هششش خلاص يا تالا أنا آسفة

إستمرت تالا بالبكاء، فوقفت فيروز وسحبتها معها، ثم أخرجتها من الفصل، حتى لا تشعر بالحرج من أقرانها. وبالفعل خرجت معها تالا مستسلمة ولا تزال الدموع تغطي عيناها السوداوتان.+

أوقفتها فيروز في نطاق بعيد عنهم جميعًا، وإنحنت لمستواها، ثم مسحت لها دموعها مرة أخرى وأردفت بهدوء:

-خلاص يا تالا عشان خطري، عارفة هي في مكان أحسن من هنا بكتير..

صمتت قليلاً لتتابع رد فعلها فوجدتها منتبهة إليها، فعادت تتابع:

-عند ربنا أحسن بكتير من هنا، وهي فرحانة هناك

بكت الفتاة مرة أخرى وردت عليه بصوتٍ متقطعٍ متشنج:

-كلهم بيقولوا كدة، بس أنا معديش ماما، إشمعنا كلهم، بكرة كلهم هيتيرقوا عليا عشان مش جبت ماما.

ثم هزت رأسها نافية وتابعت:

-أنا مش هروح الحفلة.

انهمرت عبرات فيروز هي الأخرى. كم تكره أن ترى طفلاً يبكي، وبالأخص تلك الفتاة التي تعلق قلبها بها مُذ رأتها أول مرة. لكنها أدركت سر تعلق الفتاة بها هي الأخرى، فهي تفتقر إلى الشعور بأن لديها أمًا حنونًا تحبها، وتعتني بها، وتقريبًا هذا ما كانت تفعله في تلك الفترة!

حين وصلت لتلك النقطة أردفت بإبتسامة باهتة:

-طب ما تيجي بكرة، وأنا أغيب وكأني مش مدرسة وهاجي كأني ماما، وهنغيظهم كلهم.

توقفت الفتاة عن البكاء للحظة وانتبهت لها، حتى إذا ما توقفت أجابتها بسعادة مفاجئة:

-بجد!

تهلل وجه فيروز حين أعجبتها الفكرة، فأجابتها باسمة:

-طبعًا بجد، يلا بقى بطلي تعيطي عشاني.

مسحت تالا دموعها، ثم قالت بضحك:

-وإنتي كمان بطلي تعيطي.

أجابتها بانتباه وهي تمسح بعض عبراتها:

-لأ أنا مش بعيط ولا حاجة أهو.

قربت الصغيرة يدها من وجهها ومسحت لها باقي دموعها بأناملها الصغيرة، فابتسمت لها فيروز وأمسكت يداها وقبلت باطنهما، ثم نظرت لها وتحدثت:

-خلاص قوليلي فين بيتك وأنا آجي أخذك بكرة، وممكن أنا أكلم بابا عشان أقوله.

ثم وقفت سريعًا، وأخرجت قلمًا، ودفترًا صغيرًا، خطت عليه بعض الأرقام، ومزقت منه تلك الورقة، قبل أن تعطيها لتالا مرةً أخرى قائلة:

-دة رقم سهيل أخويا، بصي قولي لبابا المس عاوزة تكلمك وإديله الرقم دة وقوليله يتصل عليه بعد الساعة ٨ ماشي؟

نظرت تالا للرقم باسمة لثوانٍ، ثم أومأت رأسها، وأجابتها:

-حاضر، وإنتي إللي هتاخديني؟

-أيوة أنا وسهيل هنيجي ناخدك.

وضعت إصبعها في فمها وسألتها:

-مين سهيل؟

أجابتها باسمة وهي تحملها:

-أخويا

سألتها من جديد:

-طب وهو هيجي معاكي ليه؟

ضحكت فيروز بخفوت وتحدثت:

-عشان أنا مش بعرف أسوق

-ليه؟

-عشان متعلمتش

-إمممم طب و..+

-فيروز، إيه دة إنتي لسة هنا وتالا معاكي وأنا عمالة ألف عليها من الصبح!

قاطع تالا ذاك الصوت، فنظرتا للخلف، وأجابتها فيروز بهدوء:

-آه معلش، كنت عاوزاها شوية، فيه حاجة يا دارين؟

هزت دارين رأسها نافية وقالت:

-لأ، بس والدها اتصل وقال إنه هيكون هنا خلال ربع ساعة، وإتجعزت لما مريت على فصلها وملقتهاش ولا لقيت حتى المس إللي كانت في الكلاس!

أومأت رأسها بتفهم، وأجابتها:

-خلاص أول ما والدها يوصل قوليلي، وعامةً أصلاً سهيل لسة مجاش.

وافقتها، بإيماءة خفيفة، ثم رحلت بعد أن ودعتها.

حينها نظرت لها فيروز وتحدثت بمرح:

-أنا معايا شيبسي في الشنطة، تعالي ناكل عشان جوعت.

ضحكت تالا من طريقتها الطريفة، ثم أومأت رأسها قائلة:

-وأنا كمان، أنا عاوزة شوكولاتة كمان

أنزلتها فيروز، ووضعت يدها في خصرها مضيقة عيناها وهي تقول:

-آه لأ دا إنتي زودتيها خالص، قاعدة أنا على بنك فلوس!

ضحكت الفتاة من جديد، فلم تقاومها فيروز وضحكت، هناك سعادة رهيبة تغمرها حين تراها تضحك، وكأنها ترى العالم بأجمعه يضحك، يكفي أن تلك الفتاة أخرجتها من كل الألم الذي كانت تعيشه، لقد أنستها

الهموم بمرحها الدائم، لذا أقل ما يمكنها فعله لأجلها هو إسعادها.

تفاجأت فيروز حين وجدتها تضمها فجأة، فتوقفت عن الضحك ونظرت لها وهي تلف ذراعيها حولها.

لم تمضِ ثوانٍ حتى تحدثت تالا:

-أنا بحبك أوي

حانت تعابير وجهها أكثر وأجابتها برفق:

-وأنا أكتر

صمتت الفتاة لثوانٍ، لتردف بعدها بخفوت وهي تنظر لوجهها أعلاها:

-هو أنا ينفع بكرة أناديكي ماما

سكتت لثانيتين، ثم تابعت سريعًا:

-بس بكرة.

ابتسمت لها الأخرى وقامت بحملها من جديد، لتنظر في وجهها وتعطيها الرد الحاني:

-طبعًا ينفع، ولو مش عاوزة تقوليلي مس خالص متقوليش، ناديني زي ما إنتي عاوزة.

نظرت لها تالا بسكون للحظة قبل أن تضمها بسعادة من جديد، فضحكت فيروز من فعلتها المباغتة تلك.+

+.....

تركيزها قد تشتت من جديد، وها هو قد حضر مجددًا إليها. زفرت بغضب أليس من العدل أن يتركها تستريح من وجهه ولو ليوم!

-طيب يا كاثرن قوليلي بس إنتي ليه مش عاوزانا نتكلم و..آآ

ضربت على مكتبها بقوة ثم وقفت وأجابته بغضب:

-مدام كاثرن، ثم إني مش عاوزة أكلمك، إيه المشكلة؟

أجابها بغضب:

-إنك حتى مش عاوزة تفهميني وجهة نظرك، ثم إن أنا مش عاوز أكتر من إننا نتعرف أكتر.

أغمضت عينيها بصبر وسألته:

-أكيد واضح إني حامل!

أجابها ببساطة:

-أكيد

-وأكيد أي حامل بتبقى متجوزة!

-بس إنتي مش متجوزة

نظرت له وسألته بانفعال:

-مين قال كدة؟

استدا وخطى ثلاث خطوات بعيدًا عنها، ثم تحدث ببرود:

-عينك الشمال، لما بتكدبي بترمش كتير

قطبت حاجبها في اندهاش وسألته:

-إزاي يعني!

إستدار ليواجهها ثم زفر بغضب وتابع:

-أنا ببساطة أقدر أجيب كل المعلومات إللي عاوزها عنك، بس أنا عاوزك إنتي تجاوبيني..

أخذت نفسًا عميقًا، لا بل عميقًا جدًا لكي تستطيع السيطرة على نبرتها وهي تردف:

-أنا مش هديك أي معلومات عني يا أستاذ إياس، وياريت لو تسيبني في حالي.

إقترب منها حتى وقف أمام مكتبها ورد بغضب:

-ليه؟ وبعدين ليه بتفضلي تبصيلي بقرف طول الوقت، أنا كل البنات بيحسدوا إللي هتجوزني مستقبلاً، أما إنتي بتفضلي تبصيلي بقرف طول الوقت، بحس إن فيا حاجة مش مظبوطة!!!

نظرت له بنزق، وأجابته بحنق جلي في نبرتها:

-عشان أنا بقرف من كل الرجالة، إرتحت، ومش إنت لوحدك!

-إشمعنى عقاب؟

أجابته بضجر:

-معرفش، بس يمكن عشان بعتبره زي أخويا! وهو متجوز وبيحب مراته، أو.. وبعدين دة ميخصكش!

صمت حينها، فجلست هي تتابع عملها قبل أن تتفاجأ به يردف بهدوء:

-بس أنا مش زي كل الرجالة على فكرة

وضعت يدها بين خصيلات شعرها بغضب، ثم وقفت مجددًا، وهدرت به:

-إنت عاوز مني إيه بالظبط؟

أجابها بغضبٍ مماثل:

-عاوزك تتكلمي معايا من غير ما تحسسيني إني حاجة شاذة!

-وهتستفاد إيه؟!!! ثم إنك عاوز تعرف عـ..+

قاطعها هو بحزن:

-عشان أنا بحبك، فهمتي... أنا حبيتك من أول ما.. آآ

كانت تلك هي الكلمة الفاصلة، وكأنها ستتحمل سماعها من جديد!

لذلك قاطعته سريعًا:

-بسسسسس خلاص، أنا مش من النوع دة معلش، أنا اكتفيت منكم، من كدبكم، خداعكم، أكاذيبكم، إكتفيت من كلامكم المعسول، المحلى قبل ما تدخلوا في علاقات صادقة! وأول ما تدخلوا يبدأ وشكم الحقيقي يظهر!

إبتعدت هي عن مكتبها حاملة حقيبتها وهي تتابع بغضب:

-إنتم كلكم عجينة واحدة وإللي يغلط مرة يبقى غبي لو غلط نفس الغلطة تاني.

إقترب منها قليلاً ليحادثها فابتعدت عنه سريعًا وهي تقول بارتباك وهي تشير له بيدها:

-خليك مكانك

سكن واقفًا حين شعر بخوفها منه، هي تكون بحال جيدة إلا حين يقترب تخشاه بالفعل!

حينها ركضت خارج الغرفة وتركته مصدومًا من ردة فعلها التي لم يتوقعها. لا هو حقًا لا يكذب، لقد أحبها بالفعل، لكنها قاسية بطرقة غير مبررة، لكن العجيب كلما أبعدته عنها أكثر إقترب هو وازداد تمسكه بها أكثر، وهو لا يدري لهذا سببًا!+

زفر محاولاً التنفيس عن غضبه وخرج من مكتبها. وحين خطى خطوتين بعيدًا عن مكتبها...

-قولتلك متحاولش، مش هتديك وش يا إياس!

تنهد هو حين أدرك أن الحنق تسلل إليه، ولم يعقب أو يستدر حتى ليراه. في حين تابع الآخر بهدوء:

-إبعد عنها عشان هي مش هتخليك تقرب منها أصلاً، بدل ما تتعلق بيها.

إستدار ليواجهه وأجابه بضيق:

-يا عقاب أنا أصلاً إتعلقت بيها خلاص.

جحظ عقاب عينيه بعجب وسأله مصدومًا:

-نعم!!

-آه والله صح الكام يوم دول فترة مش كبيرة، بس أنا بجد حبيتها وإتعلقا بيها كمان!

وضع يده على رأسه بخيبة أمل واضحة، فتابعه إياس بهدوء:

-أكيد إنت عاف هي مالها صح؟

إندفع عقاب يجيبه بغضب وهو ينزل يده من على جبهته:

-إنسى، أنا مش بقول أسرار صحابي لـ..

-يا عقاب أنا عاوز أفهم هي ليه مش متقبلاني، وليه كل ما آجي أقرب منها تخاف وتجري!

صمت الأخير وأشاح وجهه عنه للحظة، فتابع إياس بإصرار:

-إحنا صحاب برضوه يا عقاب.

إكفهر وجه الأخير من الضغط، ثم حل ساعديه وتقدم خطوتين للأمام قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا ويجبه بحنق:

-لو كاثرن عرفت مش هتسامحني.

-بس أنا مش هعرفها إني عرفت والله.

-أنا مش هقولك إلا إللي يساعدك يمكن إنت تقدر تساعدها تطلع من إللي هي فيه هي كمان.

-وأنا موافق

+.....

إسترخى هو على المقعد وزفر ليخرج نفسًا حارًا، فسأله الجالس أمامه بنبرة هادئة:

-كنت مختفي فين كل الفترة دي؟

أرجع الأخير شعره للخلف بيده وقد بدى على وجهه الإرهاق، لكنه أجاب بجدية:

-ما إنت عارف يا معتصم إن عمي عبد القدوس مات، وطبعًا كنت هنا مع جويرية.

قطب حاجباه متسائلاً بحيرة:

-إنت كنتم قاعدين في البلد صح، حسب ما قولتلي إن العزاء كان هناك؟

أجابه بهدوء:

-لأ روحت اليوم التالت بس، أما جويرية مراحتش خالص

إتسعت عبنا معتصم بصدمة وهو يسأله:

-إزاي يا براء، مهما كانت خلافتها مع قرايبها مينفعش ما تروحش العزاء!

أخذ براء نفسًا هادئ ثم أجاب:

-إنت مش فاهم، جويرية أصلاً هي إللي دفنته وصلت عليه، كمان هو مدفون هنا فهي تروح هناك ليه، هتتعب أكتر أصلاً

-طب والعيلة مش متضايقين؟

-دة حصل هناك مشاكل كبيرة عشان كدة أنا إضطريت أروح، وطبعًا عمالين يغلطوها وإزاي تعمل كدة من غير ما تقولنا ومش إزاي وحاجة تقرف، كأنهم أوي مهتمين!

يابني إنت تدخل العزا تحس فرح، العيال عمالين يتنططوا على الكراسي، وكل اتنين قاعدين في جنب يتكلموا ويضحكوا وبعدها يعملوا نفسهم زعلانين!

أخذ معتصم ينظر إليه بهدوء لفترة فقد فهم، فعائلاتهم لم تتوافق يومًا، كل شخص فيها يبحث عن مصلحته من خلف ظهر الآخر.

تابع براء بحنق:

-أنا روحت أسأل جويرية ليه مقالتش لحد، قالتلي أنا بابا كان بيدعي دايمًا كل إللي يشيعه ويصلي عليه يكون بيدعيله من قلبه بجد، فليه أقولهم وهما حتى مش هيزعلوا عليه، وهي لما راحت المسجد ناس كتير جدا صلت عليه، دة كفاية إنه مات الجمعة والناس كلها صلت عليه!

سأله معتصم فجأة بلا وعي:

-ولا فيروز حتى؟

أجابه براء بنبرة جادة:

-لأ طبعًا فيروز مش كدة، بالرغم إني ممكن أقولك ماما من ضمن العيلة دي لكن جويرية مقالتش لفيروز لأنها مفكرتش فيها ساعتها، وبعدين هي قالتلي أبلغها إن

جويرية مسافرة البلد ومقولهاش إنها هنا، ثم إني كنت يومها للأسف قافل موبايلي ومعرفتش إلا بعد فترة، طبعًا إنت عارف إننا كنا يومها بنقبض على إللي حاول يقتلني، و..

-لحظة بس، ليه تقولها إنها مسافرة؟

-عشان فيروز على خلاف مع عيلتها إللي هناك ومش هتروح لما تعرف.

-مقصدش أختك ليه مش عاوزاها تروح العزا.

أغمض عينيه وكأنه يستفيق مما قال، فقد أوقع نفسه في الحفرة ويجب الآن أن يجيب عليه و..

-براء، فيه إيه؟

أردف بها معتصم بقلق، فأجابه براء بضيق:

-عشان جويرية مش عاوزاها تشوف جوزها، عشان هيفكرها ياللي..

قاطعه معتصم بعدم فهم:

-جوز مين؟!!

نظر له براء لثوانٍ قبل أن يبدأ من جديد بهدوء:

-أنا هتكلم بس متقاطعنيش خالص!

-ماشي اتكلم

-قبل كام يوم من وفاة عمي جويرية مكناش لاقينها لو تفتكر!

-أيوة

أردف براء بترقب:

-ساعتها أختي كانت مخطوفة

اتسعت عيناه وأجاب بصدمة:

-نعم!!!!

-إحنا قولنا متقاطعنيش

أعاد معتصم رأسه للخلف وزفر بحنق

ليستمع إلى الباقي فتابع براء:

-المهم إن إللي خطفها دة هددها با بيا لو

متجوزتهوش، وأكيد هي رفضت وموافقتش

وهو سابها بعدها وهي لما جت مقالتليش

عشان مكانتش عاوزة تعمل مشاكل،

وبعدها يوم ما عمي مات هو اتصل بيها

وقالها تاني فهي وافقت عشان خافت

تخسرني أنا كمان، وفي نفس اليوم إتجوزا، باقي

بقى أقولك مين جوزها دة.

سأله بعتصم بصبر:

-مين قول؟

-تفتكر راجل إسمه صهيب!

إتسعت عيناه على إثر الصدمة وهو يتخيل الشخص المقصود، وسرعان ما حرك رأسه نافيًا تلك الأوهام، فشعر براء أنه قد تعرف عليه وقال به ببساطة:

-أيوة يا معتصم، هو الشخص إللي في دماغك

رفع معتصم رأسه وسأله بغضب:

-إللي كان بيدافع عن..

-أيوة هو

تلون وجهه بلون الدماء وإحتقنت نبرته وهو يردف:

-مستحيل، إزاي أختك توافق على المهزلة دي!!

أجابه براء بهدوء:

-أنا لو كنت مكانها كنت هوافق، مقدرش ألومها هي عملت كل دة عشاني.

-أيوة بس..

قاطعه براء بضيق:

-أول ما تعدي الفترة دي هخليها تطلق منه متقلقش. أنا بس مش فاهم هو عاوز منها إيه؟

أردف الآخر بغضب:

-يعني الأشكال دي بتكون عاوزة إيه غير حاجة **** زيها!

إعترض براء عليه بجديه:

-لأ، صدقني إنت لو تشوفه أصلاً بيعاملها إزاي هتتصدم، يا ابني دة بيهتم بيها أحسن مني!

كاد معتصم أن يتحدث لكن براء تابع بثقة:

-ومتقولش بيعمل كدة قدامي بس عشان هو أصلاً مش بيخاف من حد، ومفيش حاجة هتجبره على كدة أصلاً.

-يعني إنت معاه؟

-لأ أكيد، بس أنا مستنيها تعدي من الفترة القاسية دي عشان هي نفسيتها تعبانة جدًا، وبعدها هبدأ أبعده عن طريقها. أنا مش فاهم بجد إيه كل المصايب دي، أستغفر الله!

أخذ معتصم نفسًا طويلاً ليسيطر على إنفعالاته، وصمت وهو مغتاظ من كل ما

يحدث، فكيف يحدث كل هذا وهو بعيد كل البعد عن النطاق!

وضع براء يده على كتفه وقال بنبرة منهكة:

-والله يا معتصم بجد كل حاجة حصلت فجأة والأيام دي مكنتش مركز خالص، أحل مشاكل هنا وهنا وهنا، دة غير ماما وبابا إللي عاوزين يطلقوا وبجد دماغي هتنفجر.

نظر له معتصم باهتمام ونطق:

-يطلقوا!!+

+.....

كان رحيل يجمع أغراضه في الحقيبة الصغيرة، باقي الحقائب قد حضرتها المدبرة، فمنذ عدة أيام وصهيب يخبره أن ينتقل لديهم، وفي كل مرةٍ كان يخبره أن يستقرا أولاً ثم يعود ليعيش معهما.+

لكنه للحق قد إختنق الآن من الجلوس وحده، لذلك قرر الذهاب إليهما. العجيب أن ولده لم يخطِ الشركة من بعد زواجهما، وكان عقاب يضطر لفعل كل هذا وحده، فترك المصنع وانتقل هو وطاقمه للعمل في الشركة. لربما هذا أفضل له بالفعل لأنه يحتاج إلى إجازة من كل شيء. إلى راحة واسترخاء فقد تعب حقًا في حياته.+

زفر من كل تلك الأفكار، وتابع تجميع الأشياء وهو يقول لنفسه:

-يلا بقى أمشي أنا، عشان مليت من الحيطان دي.....!!!+

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الأربعون:

+

+

+

٢٠١٠/٤/١

جالسٌ هو على حاسوبه النقال؛ فمنذ فترةٍ طويلة لم تطأ أقدامه الشركة، وأراد أن يتأكد من وضعها، على الأقل يحاول متابعتها من بعيد. وها هو يمسك بالفأرة، يحركها يمينًا ويضغط على زرٍ ما، يطالع الحاسوب، دقيقة.. إثنتان.. ثلاث.. وها قد شرد من جديد، اختفت كلمات الحاسوب وحل محلها وجهها، مبتسمةً، عابسةً، قاتمةً، حزينةً. عينان رماديتان معظم الوقت، مملوءتان بدموع حبيسة، عينان كما الزمرد تلمعان، وإن حاول الوصف تعجزه الحروف والكلمات.

أخذ نفسًا عميقًا وزفره بروية شديدة، وابتسم لنفسه، إنه لشعور عجيب عندما يريد عقله رؤياها في كل مكان، وحينما تتخيلها عيناه في كل ملجأ. هكذا حدث نفسه واستمر التفكير لدقائق، لقد تغلبت على أي شخص داخل دوامة حياته ونبذت هي الجميع لتقف ولا سواها في المقدمة برضاه أو دونًا عنه، والأمر الأكثر غرابة أنها لم تفعل ذلك عن قصد! معها دومًا ينسى كل جرح عاناه وعاشه، معها كان لايتذكر إلاها، كيف الحياة قبلها ولما الحياة بدونها!+

قاطع شروده صوت طرقات الباب، فأذن للطارق بالدخول، ولكنه ما إن رأى الدالف اندهش ثم تساءل بهدوء:

-رحيل!

إبتسم له رحيل واقترب منه، فوقف الآخر وذهب ليعاونه على السير، فعلام يبدوا أن صحته ليست بخير. ولكن بمجرد أن اقترب منه، ضمه رحيل إليه فابتسم خفيةً وظل كما هو.

أردف رحيل حينها بسعادة:

-وحشتني يا صهيب والله.

أجابه الآخر بهدوء:

-ما أنا قولتلك من فترة تبجي ومكنتش بترضى، وبعدين كنت تقولي إنك جاي عشان أجيبك.

إبتعد عنه رحيل وأردف ببشاشة الوجه وهشاشته:

-ما أنا جيت خلاص أهو.+

عاونه صهيب ليجلس على الفراش، ثم سأله بعدها بحيرة:

-إنت جاي من إمت؟

أجابه وهو يلتفت حوله متفحصًا:

-لسة الوقت

صمت لثوانٍ قبل أن يسأله بروية:

-أومال فين مراتك؟

أجابه بهدوء:

-نايمة.

ضيق عينيه في حيرة، فشعر صهيب أنه لن يتوقف عن طرح الأسئلة، وما بينه وبينها لا يجب أن يعرفه أحد. وبالأخص هو فسيشغل باله بالأمر كثيرًا وسيضخمه والأمر لا يحتاج إلى تضخيم..

-بص هي مش بتحب تنام هنا، وأنا بحب اشتغل هنا.

استعجب الأخير من هذا الرد السريع، لكنه آثر الصمت. ومضى بعض الوقت دون أن تخرج الحروف من فم أحدهم، حتى قال صهيب:

-بتاخد الدواء كويس؟

-آه

-مش واضح!

هز كتفه مرتين وقال بضجر:

-كنت باخد، متخافش عليا أنا كويس

صمت قليلاً ثم عاد يسأله بتأنٍ:

-وإنت عامل إيه بعد الجواز؟

نظر له صهيب مطولاً، ثم زفر بضيق، لن يكف عن السؤال. رقف قائلا بصوتٍ أجش:

-أنا رايح اشوف صحت ولا لأ..

أومأ رحيل رأسه باسمًا فغادر هو على الفور.+

مضى في الرواق بخطًا هادئة حتى وصل إلى غرفتها. طرق الباب فسمحت له بالدخول، ففتح الباب ودلف إليها.

كانت جالسة على الأرض ترتدي عباءةً وحجابًا، ومستندة على الحائط خلفها، فأدرك هو أنها كانت تصلي. ظلت كما هي حين ولج إليها، فظل يقترب منها حتى وقف أمامها.

استمر صمته لبعض الوقت ولم تقاط هي تقاطعه هي، وبعد دقائق كسر حاجز صهيب الصمت بحديثه الهادئ:

-عاوز أطلب منك حاجة؟

رفعت رأسها لتواجهه، وضيقت عيناها ناظرة له بإستعجاب، فمنذ متى يطلب منها، ولكن على العكس أجابته بهدوء مماثل:

-إتفضل

راقبها وهي تنتصب واقفة، ثم اتخذ القرار ببدء الكلام فتحدث بترقب:

-رحيل هنا، وعاوزك تتصرفي أدامه بشكل..

صمت قليلاً يحاول إيجاد ما يقوله قبل أن يتابع بثبات:

-يعني، تتصرفي زي..

-زي ما نكون زوجين طبيعيين مش كدة؟

أومأ رأسه مرة واحدة بعد أن قاطعته بتلك الكلمات، وأجابها بحماس أخفاه ببراعة:

-هيبقى دة أحسن، بس لو مش عاوزة هقوله إنك..آآ

قاطعته قائلة ببساطة:

-لأ يا صهيب، بسيطة، أنا كمان مش عاوزة حد يحس بحاجة.

ابتسم هو لتعاونها معه، برغم اندهاشه لتلك السرعة في الموافقة، لكن سرعان ما اختفت ابتسامته وعاد وجهه لنفس الهدوء، ليردف بعدها بجدية:

-رحيل مش هيسكت

عدلت هي من وضع حجابها وهي تجيبه بحسم:

-خلاص أنا هديله الإجابات إللي هو عاوزها، بس لو لقتني مش عارفة ارد، ساعدني إنت.

سار أمامها خطوتن، وقد أعجبته تلك الكلمات حقًا، لسبب لا يدريه، برغم بساطة عباراتها لكن فكرة تعاونهما في شيءٍ ما جعلته سعيدًا. وعاد ليجيبها بسكون بعد ذلك، وهو يوليها ظهره:

-أكيد

أخذت نفسًا عميقًا وذهبت معه بهدوء، لا ضير في مساعدته، فهو لم يرفض لها طلبًا من قبل. سارا معًا في الرواق، ولم يسبق أحدهم الآخر بخطاه حتى وصلا إلى الغرفة، نظر لها صهيب ثم أردف بصوتٍ منخفض:

-إنتي كنتي نايمة ها؟

فهمته فأجابته بإيماءةٍ خفيفة، ثم ولجا سويًا للداخل.

كان هو قد استلقى على الفراش، وما إن رآهما حتى اعتدل قليلاً ثم ابتسم لهما قائلاً بتلقائية:

-هي كانت صاحية ولا إنت إللي صحيتها؟

أجابه صهيب بهدوء:

-آه روحت لقيتها صاحية

أومأ رأسه ثم تفحصها بنظراته مستعجبًا وسألها بحيرة:

-إنتي كنتي هتروحي في حتة يا بنتي؟

ابتسمت هي الأخرى مبادلة إياه، ثم أجابته بروية:

-لأ كنت بصلي بس

أومأ رأسه بنفس الإبتسامة وفسر حديثه بـ:

-أصل قولت ملحقتيش تلبسي وكدة.+

كان صهيب يقف على مقربة منها، يتابعها، يتابع كل حركة، كل إيماءة، وكل كلمة، هل تدرك أنها في غاية الوقار وهي تتحدث هكذا، كيف تنظر في المرآة يوميًا ولا تُفتن وتغتر بجمالها بل تخفيه أكثر!

طريقتها في كل شيء تفتنه، في الحديث، في سيرها وطريقة تناولها للطعام، ابتسامتها، يالها من ابتسامة، كيف ستكون إن ضحكت إذًا؟ تذكر هو أنها لم تضحك أمامه من قبل، حقًا لم يرها تضحك بصدق أمامه أبدًا، لكم يتمنى هو الآن أن يرى ويسمع ضحكاتها.+

-لأ يا بنتي، أنا أقصد الجواز حصل بسرعة جدًا، ومحدش من أهلك جه فاستغربت

انتبه هو أنهما منذ فترة يتحدثان، ووعى على تلك الكلمات التي قالها رحيل، فلام نفسه

على عدم مساعدتها في الإجابة وكاد يتحدث إلا أنها أجابته ببساطة:

-كلهم ماتوا الله يرحمهم.

سألها مجددًا بهدوء:

-أيوة بس أنا سمعت إن والدك ربنا يرحمه يارب مات في نفس اليوم إللي اتجوزتوا فيه.

فهم كلاهما أنه بحث كثيرًا عن أصلها حتى يتبين الخيط من بدايته، نظر صهيب لرحيل بغضب فهو لا يريد أن تتذكر ما حدث، يكفيها كل ما تمر به الآن، وتحدث بحدة خفيفة:

-هي كانت آآ..

قاطعته هي بهدوء بعد أن نظرت إليه:

-كنت متفقة معاه نتجوز، وأنا مبقدرش أخلف اتفاقي أبدًا

أعجب صهيب بردها، وعجب رحيل لردها. ولكن الجميع إلتزموا الصمت لدقائق، وكأن على رؤسهم الطير، وقد مل كلاهما حقًا من حلقة الأسئلة تلك و..

-طب هو عامل إيه معاكي بقى؟

أردف بها رحيل بمرح، فلم تجبه وصمتت حينها أجابه هو بضيق:

-مالك يا رحيل يعني هاكلها، كفاية أسئلة وتعالى ننزل نتعشى.+

تنفست هي الصعداء حين حررها من ذاك السؤال الغبي، فكيف تجيب عليه، قد يبدوا السؤال أسهل من الباقي لكن للحق لا تعرف له جوابًا.

تفاجأت هي بهما يغادران الغرفة فجأةً وأدركت أنها شردت كثيرًا، ثم جلست على الفراش أمامها وزفرت بحنق، ليست الأسئلة ما أزعجتها، بل الأجوبة، فقد شعرت بالخواء فجأة بعد ذكر موت أهلها من جديد، هناك ألم يصاحب تلك الكلمة لا أحد يفهمه أكثر منها، وهي..

إستفاقت من شرودها بعد أن وجدته يضع يده على كتفها، فلم تنظر له وظلت كما هي، حينها بدأ هو بالحديث بضيق:

-أنا عارف إن الأسئلة كانت تقيلة عليكي بس آآآ..

قاطعته بخفوت وهي ترسم ابتسامة ثَبات على وجهها و تجيبه بـ:

-عادي يا صهيب، أنا عايشة الموقف نفسه، مش حبة كلمات هتموتني يعني.

أغمضت عينيها بندم على ما قالت، فهي لم تقصد حتى أن تتفوه بهذا، لقد أوصلت له ما تشعر هي به وهذا عكس ما أرادته.

حينها سحبها بقوة من يدها وجعلها تقف، ثم نظر لها مليًا قبل أن يتحدث بعمق:

-بس إنتي قوية وهتطلعي من كل دة صدقيني

أجابته وكأنها لا تدرِ ما تقوله، وقد بدأت عينيها تلمعان بشدة:

-بس أنا اعتمدت على قوتي كتير، أنا هموت لو اعتمدت عليها أكتر من كدة!

لم يصدق هو ما تفوهت به، لم يصدق أنها اعترفت له بعدم مقدرتها على تحمل المزيد، وحانت تعابير وجهه كثيرًا..

حين انتبهت مجددًا لما قالته، أدركت أنها فقدت السيطرة على نفسها تمامًا، وكان خير ما قامت به أن أفلتت يدها وانسحبت باكتهاء من المكان، محاولة الحفاظ على ما بقي من رباطة جأشها.

لكنه سرعان ما أدركها، وأوقفها في الرواق، ثم وقف أمامها، فأردفت هي له بإختناق:

-صهيب سيبني أمشي الوقت

هز رأسه نافيًا على فوره، فحاولت هي ابعاده عنها قائلة:

-مش إنتم هتتعشوا، مينفعش تسيبه كل دة قاعد لوحده!

هز رأسه من جديد نافيًا، ثم إقترب منها قليلاً وتابع:

-دة معناه إنك مكنتيش معانا أصلاً! رحيل قال إنه هينام، وأنا أخدته على أوضته، ورجعتلك.

تنفست بضيق، وألم، وكل ما أرادته هو التواري عن الأنظار فقط.

حين طال صمتها ناداها هو بهدوء:

-جويرية!

نظرت له وقد بدأت الدموع تزداد داخل عينيها، وأردفت له بخفوت:

-معلش يا صهيب سيبني الوقت، أنا اتخنقت بجد

وكادت أن تعبر من جانبه إلا أنه سد الطريق عليها مجددًا، وأجابها برفق:

-طب ما أنا ممكن أساعدك!

أشاحت وجهها عنه ولم تعقب، فأصر عليها قائلاً:

-اتكلمي وهترتاحي

هزت رأسها نافية ونظرت له بحزن وهي ترحل مجيبة إياه:

-بس أنا مش عاوزة أتكلم يا صهيب

سار خلفها ولم يستسلم، ثم أمسك ذراعها وأدارها إليه ليسألها بنبرة جادة:

-بس أنا عاوزك تتكلمي، عاوزك تبقي مرتاحة، دة يهمني كتير.

نظرت جويرية للأرض أسفلها لكي لا يرى دموعها التي إنحدرت على وجنتيها و مدت يدها الأخرى لتمسح دموعها بسرعة قبل أن يراها.

تابع هو بهدوء:

-يا جويرية أنا مش عارف ليه بس أنا مبقدرش أشوفك بتعاني وأقف أتفرج من بعيد، أنا مبقدرش، فاهمة! إنتي نستيني وجعي بوجعك، والله نستيني نفسي بنفسك!

رفعت رأسها لتواجهه بعينيها المبللتان، وقد ظنت أنها مسحت كل دموعها ولم تنتبه لعبراتها الجديدة التي بدأت تنساب على وجنتيها، لقد أشعرتها كلماته بـ.. بـ.. بهذا الشعور الذي ينتاب الإنسان حين يشعر أن أحدهم يشاطره حزنه، أو يحاول التخفيف

عنه. ربما الراحة، أو السكينة.. لا هو شعور لا يفسر.

صدم هو حين رأى عبرتان قد شقتا طريقهما نحو وجنتيها، وظل ينظر لها لفترة وقد سيطرت عليه حالة من الصدمة، فمنذ متى كانت تبكي؟ إلى أي حد تتحمل العذاب؟ هل..

لم يشعر بنفسه وهو يضمها فجأة، لدرجة أنه تفاجأ مثلها تمامًا بما فعل، حاولت هي مقاومته في البداية، لكن بمجرد أن وصل إليها شعور السكينة قلت مقاومتها له. تركته وتركت نفسها وعينها تفيض بالدموع بصمت، لقد احتاجت لهذا بالفعل. أما هو فلم يدرك ما فعل إلا بعد أن فعل، ولكن هو لم يندم علام فعل.

بل أردف بعد صمت طال لخمس دقائق:

-عارفة أنا نفسي في إيه، تناديني قبل ما تحتاجيني، وقبل ما تخلصي نداء هكون عندك.

سألته هي بهدوء بعد أن هدأت قليلاً وشعرت أن لديها القدرة بالتحكم في نبرتها:

-إنت عاوز مني إيه يا صهيب؟

-عاوزك

تلك كانت إجابته بدون تفكير، ثم تابع:

-ومش عاوز حاجة تانية

لم ترد لفترة، واستمر هو بضمها إليه ولم يقل شيئًا.

ثم ردت فجأة:

-بس أنا صعبة المنال يا صهيب.

أجابها بساطة:

-وأنا ميهمنيش هنفضل لحد امت كدة إنتي حاجة كبيرة أوي عندي.

ابتسمت دون أن تدري، وكأنه يختار الكلمات التي ستطمئنها ويقولها، وكأنه يعرفها منذ زمن ويفهم ما تريد، ربما لأنهما بالفعل متشابهان، كل شيءٍ وارد. ربما بالفعل زواجهما والإنتقال إلى هذا البيت لم يكن بشعًا، فهي كانت ستتألم أكثر إن ظلت هناك، بين ذكراهم وحيدة. أما هنا فللحق لم يقصر معها يومًا، بل على العكس تمامًا.

مرت بعض الدقائق التي لم يحصها أحدهما، وما لم يدره هو أنها كانت نائمة بين يديه، لقد نامت فجأة، كيف! لا تدري لكنها نامت على أي حال. وحين قد شعر هو أنها قد تراجعت للخلف قليلاً، إبتعد عنها فكادت أن تقع إلا أنه حملها سريعًا، واندهش حين نظر في

وجهها فوجدها نائمة، لكنه ابتسم لها برفق في نهاية الأمر وسار حاملا إياها نحو الداخل. لقد ذَكر مرارًا أن حياته صارت أجمل بكثير بوجودها، لكن ماذا عنها؟ أما آن الأوان ليرد لها الجميل!

وضعها على الفراش، ثم نزع عنها حجابها لكي لا يخنقها أثناء نومها، ودثرها جيدًا بالغطاء بعدها. نظر لها مطولاً، يسيطر عليه الحزن لأجلها، والألم، لقد اختلطت مشاعره ولا يعلم ما وراء كل هذا، و ماذا يعني هذا؟

كاد أن يرحل لكنه وجد قلمًا و ورقة بيضاء على مكتبها، فذهب نحوهما وكانت الورقة فارغة فسيطرت عليه رغبة ملحة في كتابة شيءٍ ما، وبالفعل أمسك القلم وخط بعض العبارات بخطٍ كبير، وأخرى بخطٍ صغير

منمق، ثم تركها، وترك القلم عليها ورحل بعد أن نظر لها للمرة الأخيرة وابتسم.+

.....

٢ ابريل+

توقفت السيارة بهما أمام ذاك المبنى، ثم ترجلا سويًا منها ووقفا بجانب السيارة أمام المبنى، ونظر هو لها ثم سألها مستفسرًا:

-هو قالك إيه بالظبط؟

أجابته هي بنبرة هادئة:

-قالي الأول هييجي يشوفنا عشان يشوف هيجيبها معانا ولا لأ

رد هو بغيظ:

-منكونش هنخطفها ولا حاجة؟!!

أجابته هي بتأنٍ:

-يا سهيل احمد ربنا أصلاً إنه وافق، دة أنا تعبت امبارح وأنا عمالة أقنع فيه!

زفر هو، ثم نظر لها متسائلاً بحنق:

-مش دة لمصلحة بنته برضوه!

عبست هي وسألته بضيق:

-يعني إنت لو عندك بنت هتسمح لأي حد متعرفوش ياخدها!

أجابها بحسم:

-مستحيل يا فيروز، حتى لو إيه!

قلبت يديها وهي تنظر له مبتسمة وتردف ساخرة:

-ومستخسر خلق الله يخافوا على عيالهم!+

انتبهت فيروز لتلك الفتاة التي تخرج من المبنى ركضًا، وبمجرد أن رأت فيروز هرولت

إليها، فابتسمت الأخيرة وانحنت قليلاً وهي تفتح لها يدها، حتى جاءت إليها وضمتها بقوة. ضحكت فيروز وهي تقول:

-وحشتيني

أجابتها الأخرى وهي تضحك أيضًا وتتنفس بسرعة:

-وانتي كمان أكتر، كنت عارفة إنك هتيجي

حملتها وهي تجيبها بثقة:

-طبعًا مش وعدتك!

ثم أرتها لسهيل الذي كان ينظر إليهما مبتسمًا، وهي تقول باسمة:

-دي تالا

ابتسم لها سهيل، ثم أخرج شيئًا ما من جيبه ومده نحوها قائلاً:

-تشرفنا يلا خدي الشوكولاتة دي كليها بس متنسيش فيروز بتحبها هي كمان، يعني اعزمي عليها

نظرت لها تالا ثم ضحكت وهى تقول رافعةً يدها للأعلى:

-ما انا عارفة، أنا كنت باكل كل الشوكولاتة بتاعتها

نظرت لسهيل مردفة بمرح:

-مش أنا قولتلك انها لمضة!

ضحك الأخير وهو يتحدث مدافعًا عنها:

-لأ دي عسل خالص

ثم مد يديه لها قائلاً:

-سيبيها يا تالا وتعالي عندي أنا، دي وحشة بتقولك لمضة

هزت رأسها نافية وهي تخرج له لسانها وتجيبه:

-لأ إنت إللي وحش

ضحكت فيروز على حديثها فنظر هو لهما بضيق مصطنع، وقطب حاجباه قائلاً:

-طب يلا يا لمضة منك ليها، مش هنقضي اليوم هنا وهتأخر على الشغل بسببكم!

كاد ثلاثتهم أن يغادروا ولكن بمجرد أن استداروا نظرت تالا للجانب الآخر، وجعلت فيروز تنزلها أرضًا، ثم أمسكت يديها وسحبتها معها قليلا نحو الرجل الواقف خلفهم من فترة، وحين وقفت أمامه قالت باسمةً:

-بابا دي مس فيروز

نظر الإثنين إلى بعضهما، فصدمت هي عندما رأته وقالت مضيقة عينيها بإستعجاب:

-مـ.. معتصم!

ابتسم لها قائلاً بهدوء:

-أيوة، أنا أول ما شوفتها بتجري عليكي حسيت اني شوفتك قبل كدة وفعلاً شوفتك.

كانت هي مستعجبة حقًا، وتساءلت بدهشة:

-مكنتش أعرف ان عندك بنت! أقصد إن...آآ

-مين دة يا فيروز؟!

قاطعها سؤال سهيل الهادئ، فأجابته بهدوء مماثل:

-دة أستاذ معتصم صاحب براء أخو جويرية بنت عمتي، و دة إللي..آآآ

قاطعها معتصم لكي لا تدخل إلى تفاصيل أكثر عن الحادث وقال:

-مش عارفني لسة يا سهيل؟

أجابه مفكرًا وهو يضع يده على جبهته:

-لأ افتكرتك، مش إنت آآ..

أومأ رأسه بهدوء ليقاطع تفكيره، ثم حول انتباهه لها ولصغيرته، ووضع يده على شعرها مداعبًا إياها، حين قال مرتاح البال:

-بجد أنا كنت قلقان أوي عشان مبخليش حد ياخدها أو يوديها في حتة غيري، ولولا إمبارح إني لما كنت هرفض لقيتها بتعيط مكنتش هوافق، بس أول ما عرفت إن إنتم إللي هتودوها إرتحت.

برغم أن الدهشة كانت مسيطرة على الجميع، فلم تكن تعلم أبدًا أن لديه طفلة،

كما أن هذا يعني أن زوجته قد توفيت، قد يفسر هذا نظرة الحزن في عينيه دائمًا.

-يعني إنتم تعرفوا بعض

قالتها تالا بنبرة طفولية مستنتجة الأمر، فابتسما لها وقالا سويًا:

-آه يا حبيبتي.

ثم نظرا لبعضهما بنفس الإبتسامة لإستعجابهم.

أردف حينها سهيل بتذمر:

-طب بالنسبة لإني اتأخرت خالص!

ضحك معتصم ووضع يده على كتفه قائلاً بمزاح:

-قولهم بس أنا أعرف وكيل نيابة وهيحضروك في كل الأيام

ضحك هو الآخر وأجابه بابتسامة سمجة:

-طب ما نجيب وكيل النيابة قدامهم أحسن

-طيب لحظة بس أجيب المسدس وآجي، عشان نضمن إن محدش هيعترض

-ياريت، دة الناس إللي هناك تبتة أوي وبتاخد بالها من أي حاجة، مرة واحد بيقولي، اتأخرت عشر ثواني ودة ضد اللوايح والقوانين!

-لأ دة أنا أجيب المسدس بجد بقى+

نظرت الفتاتان لهما ببشمٍ ولم تعقبا، لكن بعد ثوانٍ أمسكت تالا رداء فيروز وقالت بضجر وهي تشده لتنتبه لها:

-مش هنمشي بقى؟

أمسكتها فيروز من يدها ونظرت لهما بانزعاج وهي تجيبها:

-تعالي، هنروح عند العربية وهما هيبجوا ورانا

فرحت الفتاة وذهبتا معًا لتركبا السيارة، ركبت فيروز بالمقعد الأمامي، وحملتها على قدماها، وبالفعل ما لبثوا إلا أن جاءوهما ليغادر كلاً إلى مكانه.

لكنه كان مطمئنًا جدًا خاصة حين رآها تعتني بها لتلك الدرجة، ولم يصدق أن ابنته قد تعلقت بأحدهم فهي تنفر غالبًا من أغلب الناس، وتخجل حتى من الإقتراب منهم، أما اليوم.. لقد كانت سعيدة جدًا، سعيدة لدرجة أنه لم يراها هكذا من قبل. أخذ نفسًا عميقًا وسار في الإتجاه المقابل، عائدًا إلى منزله لكي يستعد للذهاب للعمل بعدها.....!!!+

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الحادي والأربعون:

+

+

رفع رأسه عن الوسادة بعد أن يئس أن يأتيه النوم. نظر لساعة الحائط وزفر بضيق، ثم اعتدل جليسًا وأرجع رأسه للخلف.

منذ المساء وهو يحاول النوم لكن بدون فائدة والآن الساعة التاسعة صباحًا ولم يغمض له جفن، فجميع أفكاره تدور حول المضوع ذاته.. وتتركز الأفكار عليها كما لم تتركز على شيء من قبل.

ذكرى البارحة تتردد في عقله كل دقيقة، أحيانًا يخرج منها مبتسمًا وأخرى شاردًا فيها، ومرةً جديدة يحزن لأجلها. ما يوقنه الآن بعد كل ذلك الوقت أنه.. أنه.. حسنًا هو لا يدري ولا يستطيع تفسير الأمر حتى، فهو لم يمر بذاك الشعور يومًا ولم يخضه في حياته، فلم يجد كلمة تتناسب مع ما يشعر به تجاهها.+

لوح بيده في الهواء وهو يوبخ نفسه بضيق قائلاً:

-لأ ما انت مينفعش تفضل على الحال دة كتير، صح أنا بقيت حتى مش عارف أنا مين من ساعة ما شوفتها، بس..

صمت قليلاً وهو ينظر ليديه باسمًا، ثم يتابع بنبرة تحمل السكينة:

-بس أنا مرتاح كدة، أنا صح بفقد السيطرة على نفسي تمامًا لما بكون معاها، بس بحس إني كدة بتعامل بطبيعتي، بسجيتي.

أخذ نفسًا عميقًا كعمق البحر إذا ثارت أمواجه العاتية، ثم نزل من على السرير، وسار حتى نهاية الغرفة، تاركًا إياها بعد أن توثق أنه لن يرتاح أبدًا.+

سار في الرواق بخطى هادئة، حينها وجد رحيل يخرج من غرفته وقد أبصره، فاتجه نحوه 'ما ان وقف أمامه ظل لثوانٍ يرمقه بنظرات حانقة.

حينها لم ينتبه له رحيل وقال باسمًا:

-صباح الخير!

حسنًا بالرغم أنه سعيد لسماحها له بمشاركتها حزنها، لكنه حزين أيضًا، حزينٌ

وقد تألم حين رأى عينها تذرف الدموع، حزينٌ لجعلها تفعل ما تكره وتضعف أمامه، حزينٌ لأن نبرة صوتها كانت تحمل المعاناة، وكل هذا بسببه. وعلى الرغم من هذا جاهد للإحتفاظ بهدوئه وعدم إظهار ما يخفي.همن حنقٍ تجاهه.

وبهدوء النبرات أردف:

-نمت حلو؟!

أومأ رحيل رأسه وأجابه بحفاوة:

-طبعًا، وبعدين أنا بحب البيت دة وإنت عارف إني..آآ

-قولي يا رحيل عرفت إيه تاني عن مراتي؟!

قاطعه صهيب مبتسمًا بتلك الطريقة الغريبة، فأجابه الأخير بهدوءٍ مماثل:

-متقدرش تلومني أنا كنت قلقان وإنك تتجوز كدة فجأة من غير لا حس ولا خبر مقدرتش أفضل قاعد في مكاني من غير ما أعرف إيه أصلها.

ببساطة أدهشته جاراه صهيب بقوله:

-ووصلت لإيه؟

أجابه مستعجبًا من هدوئه العجيب هذا:

-عادي، بنت عادية من حي فقير وأبوها مات يوم جوازكم!

صمت هو، فأومأ صهيب رأسه متفهمًا، ثم قال له ببساطة:

-تخيل لما أنا أموت وحد ييجي يفضل يفكرك بيا، إيه شعورك وقتها!

اتسعت عينا رحيل وقد بدأ يفهمه، لكن الأمر كان أكثر من مجرد فهم، الأمر يتعدى ذلك، صهيب لا يدافع عن أحدهم أبدًا ولا يُبدي أي مشاعر في العادة تجاه أي أحد، وتلقائيًا سأله:

-إنت عارف إني مقصدش صح؟

أجابه بحدة:

-لأ أنا عارف كويس إنك جرحتها يا رحيل، بس مش معنى إنك خايف عليا تفضل تفكرها باللي بيجرحها ويوجعها!

رد عليه الأخير مبررًا بضيق:

-بس هي مابانش عليها إنها اتدايقت، أنا فكرتها اصلاً مش متأثرة!

نظر له صهيب غير مصدقٍ لما يقول، كيف له ألا يرى كم الألم في عيناها بعدما قاله، أم هو فقط من يملك القدرة على فعل ذلك!

هدأ قليلاً ثم أجابه بحنق:

-جويرية يا رحيل مش زي أي بنت تانية، جويرية لما بتتجرح بتتجرح من جوة، مش من برا، مش عاوزة حد يقولها متزعليش ويشوف ضعفها، ولو كنت فضلت تسألها أكتر من كدة أرجح إنها كانت هتفضل تجاوبك حتى لو هتموت.+

نظر له رحيل بصدمة وكأنه يراه لأول مرة في حياته، البارحة فقط رأى تلك النظرات الوالهة في عينيه لها، وظن أنه يتوهم، وها هو اليوم يرى ويسمع أن صهيب، صهيب الذي لم يكُ ينظر في وجه امرأة إلا بازدراء واشمئزاز، صهيب الذي لم يفكر يومًا بالزواج، والذي كان يرى الكره جلي في عينيه لأي امرأة تحاول الإقتراب منه، يراه اليوم يقف أمامه يدافع عن زوجته!

سأله رحيل بدهشة فجأة بعد فترة من الصمت:

-إنت بتحبها؟!

نظر له صهيب مطولاً ولم يجبه، في الحقيقة هو لا يدري ماذا يجيبه، فهو حتى لم يفكر في ذاك الإحتمال من قبل، ثم سأله بتريث:

-إيه الحب من وجهة نظرك؟

أخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر له مندهشًا، لكن على الرغم من هذا أجابه بهدوء مماثل:

-الحب ملوش تعريف واضح كل واحد بيشوف الحب بطريقته، إنت بنفسك تقدر تقيس الإحساس بتاعك على مقياس الحب وتعرف إذا كنت بتحب ولا لأ

تنهد وهو يخرج نفسًا حارًا ويستشعر الألم الذي يأتي مع كل كلمة، فكل كلمة ينطقها

تفتح ذكرى جديدة له، ذكرى لم يكن الزمن كفيلاً بجعله ينساها.. ذكراها.

تابع بصوت أخفض:

-بس دايمًا الحب بيبقى فيه حاجات مشتركة مهما كان، أول حاجة بيتملكك إحساس غريب، رغبة بإمتلاك الشخص دة، مش تخنقه إنت عاوز تحطه تحت عنيك عشان تشبع منه، ومش هتشبع! مش هتشبع لأنه في الحقيقة بيزود اشتياقك ليه كل ما بتشوفه أكتر.

نظر له صهيب باهتمام، فقد بدأ يدرك الأمر، واستمع له وهو يتابع:

-عارف كمان، لما بتحب حد بتتمنى تشوفه فرحان على طول، وكل ما بيتوجع إنت بتحس بنفس الوجع، الحب غريب يا

صهيب، غريب زي المتاهة ومش كل إللي بيدخله بيعرف يخرج تاني.

حين صمت لم يعقب صهيب، فقط خطى أمامه عدة خطوات وقبل أن يبتعد أكثر، توقف للحظة وأردف بهدوء:

-رحيل، مش هوصيك، متسألهاش على حاجة تاني، ماشي؟

أجابه الأخير وهو يرنوه عند ابتعاده:

-ماشي يا صهيب، إللي يريحك.

لن ينكر أنه قد تغير بشكل ملحوظ، فتحكمه في غضبه وأعصابه هذا الحد له مبرر ما، ولكن مع هذا لا يصدق أنه قد وقع أسيرًا لقلب تلك الفتاة، فحين تزوجا ظنه يحاول الإنتقام منها وتعليمها درسًا على إهانته أمامهم يومًا، لكن على العكس تمامًا لقد

أُسر، وصار يكن لها المشاعر، بل ويدافع عنها أيضًا! والآن هل يجب عليه أن يفرح أم أن يحزن من أجله؟!

أقدره شبيهٌ بأبيه؟ أم أن الدنيا قد تحنوا؟+

.....+

خرج إلى الحديقة فلم يجدها، فعجب في العادة تستيقظ قبل هذا وتخرج، لماذا لم تأتِ اليوم!

سأل نفسه فجأةً، هل هي بخير الآن، أم أن ما حدث أمس ما يزال يؤلمها؟

ثم عاد يسأل نفسه من جديد.. هل يحبها فعلاً!

أيعني شعوره بالألم إذا ما تألمت والتفكير المطول بها أنه يحبها؟ هل يعني رغبته برؤيتها وانشغاله بها حبًا، هل الحب أن..

أخذ نفسًا عميقًا ليتوقف عن التفكير، فماذا سيفيده الآن، وخلال ثوانٍ عاد إلى الداخل قاصدًا غرفتها ليراها.+

حين وقف أمام غرفتها طرق الباب بهدوء، لكنه لم يسمع ردًا، فقرر فتح الباب وبالفعل قام بفتحه ليلج للداخل بعدها.

انتابته الحيرة عندما وجدها ما تزال نائمة، فاقترب منها وجلس على الفراش بجانبها، وظل يرنوها بشرود.

فجأة وجدها بدأت تفتح عينيها، فظل ثابتًا ناظرًا إليها، وبمجرد أن رأته هي بدأت أحداث البارحة تعود إلى ذاكرتها مرة أخرى. هي دومًا ما تعاتب نفسها كثيرًا لكن تلك المرة يجب أن تقتل نفسها فما فعلته ليس بالهين، لقد.. لقد كانت ضعيفة جدًا، بطريقة لا

تحتمل، لقد تركته يواسيها، يا إلهي، ثم أنها قد بكت أمامه و..+

-أوحش حاجة ممكن يعملها الإنسان أول ما يقوم من النوم، يفكر في إللي فات!

قاطع هو شرودها بتلك الكلمات، فنظرت إليه، بينما انتصب هو واقفًا وتابع بهدوء:

-كل يوم بيبقى شايل من الهموم إللي على أده ومفيش مكان لليوم إللي احنا فيه لهموم اليوم إللي قبليه.

جلست هي معتدلةً بعد أن ابتسمت ناظرة إليه، وأرجعت شعرها الأسود للخلف بروية وما لبث أن تحدثت بإتزان النبرات:

-تقريبًا كدة إنت بتحاول تاخد دوري والله أعلم!

رفع حاجباه ساخرًا فتابعت ببساطة وهي تنزل من على الفراش:

-لكن مهما حاولت مش هتعرف، تحليل الشخصيات دي لعبتي، ومجرد إنك تعرف بفكر في إيه مرة مش معناه إنك هتعرف كل مرة!

سألها ببرود:

-واثقة؟

أجابته بثقة، وهي توليه ظهرها متجهة للحمام:

-أنا ممكن أكون فهماك كويس جدًا، لكن إنت مش هتعرف تعمل كدة كتير.

عقد هو يديه وحرر حاجبيه ليجيبها بثبات بعد ذلك:

-ثقتك الزايدة دي..

دلفت هي للحمام وبدأت تغسل يديها ووجهها وتتوضأ، وهو يتابع بنفس السكون:

-مش هتفيدك بحاجة

صمت قليلاً وانتظرها بعد الوقت إلى أن خرجت وهي تجفف وجهها، وتبحث بعينيها عن شيءٍ ما، بدى وكأنها تحاول تجنبه قدر المستطاع، ولم يكن الأمر صعبًا ليفهمه، حينها اقترب من فراشها والتقط حجابها الذي نزعه عنها ليلة أمس، ثم اقترب منها ومد يده لها به، لكن قبل أن تلتقطه أبعد يديه قائلاً بخفوت:

-على فكرة مش صعب أفهمك خالص

ابتسمت ساخرة وهي تنظر لوجهه، ثم تبعتها بقولها بدهاء:

-يعني إنت عاوز تقول عشان فهمت بدور على إيه يبقى هـ..

أمسك هو يدها ووضع لها حجابها بها، ثم قاطعها بنفس الخفوت:

-شكلك إنتي إللي من كتر ما بقيتي بتفهمي الناس معدتيش بتفهمي نفسك، أو بمعنى أصح نسيتي نفسك، وحتى لدرجة إنك بتلوميها على كل حاجة عشان متجاهلاها، أو مش قادرة تفهميها.

نظرت له مستعجبة، فإلى حدٍ كبير هو يقول الصدق، ولكن لم تتغير تعابير وجهها كثيرًا وظلت ابتسامتها كما هي.

تابع هو بثقة:

-وعلى فكرة أنا مش بحاول آخد دورك، أنا بحاول أرجعك لنفسك

تر يدها الممسكة بطرحتها، ثم سار عدة خطواتٍ بعيدًا عنه وهي ترنوه بهدوء، إلى أن اقترب من الباب، حينا التف إليها وأضاف بروية:

-نص ساعة أقصاكي وبعدها تنزلي عشان تفطري معانا.+

ثم فتح الباب وذهب، أما هي فكانت مندهشة من طريقته، ثم من أخبره أنها ستنزل، من أكد له أنها ستفعل، هذا يرجع إليها وحدها دونًا عن غيرها. زفرت بحنق ونسيت فيما كانت تفكر عندما استيقظت، ففردت حجابها ولفته حول شعرها بهدوء، فترة قليلة من التفكير.. ثم اتخذت القبلة وبدأت تصلي.+

+.....

خرج من غرفتها وقد ارتسمت ابتسامة سمجة على محياه، وبثقة حدث نفسه:

-أنا واثق الوقت انها مش هتفكر في حاجة تاني، ولو فكرت هبقى فيا، وهتنزل تاكل معانا كمان، مبقاش صهيب قصي لو هي منزلتش.+

كانت الخادمة بالفعل قد أعدت الفطور وكانت تنتظرهم لتتابع إحضار باقي الأطباق الساخنة لكي لا تبرد، في حين جاء صهيب وجلس على المائدة. لم يمضِ الكثير من الوقت حتى حضر رحيل وجاوره المقعد أيسره، ولم ينطق أحدهما بكلمة، فكلاً منهما شارد في عالمٍ مختلف، وعلى عقلهما طُرحت العديد من الأسئلة.

كان أكثر ما يشغل صهيب حينها، هل ستأتي أم لا؟!

وما شغله أكثر، هل هو قادر على إثبات تشابههما، وأنه يستطيع أن يفهمها في كل لحظة، ما يقلقه أغلب الوقت أنه لم يرَ لها رد فعل قوي، لم تطلب الإنفصال أو الطلاق، ربما هو لا يدري ماذا سيفعل عندما تطلب أمرًا كهذا!

فأن يريدها شيء وأن يجبرها على المكوث كل حياتها معه شيءٌ آخر. وهو لن يفرط في سعادتها يومًا، لكنه سيستمر في فعل كل ما يستطيع حتى...+

-السلام عليكم..!

هتفت بها لينتبها إلى تواجدها، وبالفعل فقد استدعت إنتباههما ونظروا ناحيتها بسرعة. نظر لها رحيل بفتور، ومن ثم حول انتباهه للأمام من جديد.

أما صهيب فنظر لها بعمق، ونسي أن يرد التحية حتى، فقد كان سعيدًا للغاية لحضورها، وتلقائيًا امتلأ وجهه بابتسامة هادئة، وعم الصمت الأرجاء للحظات. سحبت هي مقعدًا وجلست عليه ناظرة لهما، ثم قالت بهدوء:

-ربنا عز وجل قال "وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا" ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن السلام إسمٌ مِن أسماء الله تعالىَ وضعهُ في الأرض، فأفشواْ السلامَ بينكم".

نظر الإثنان لها في تعجب، فهذا هو الكهل الذي أمضى حياةً كاملة يستمع إلى فواحش القول من الموبقات والآفات مثل

الموسيقى والسباب، الآن يستمع إلى ذاك الكلام النقي، الذي لم يستمع إليه من قبل!

بينما تجاوز الأخير دهشته بسرعة وظل باسمًا، ثم رد عليها:

-وعليكم السلام.

ابتسمت مبادلة إياه الإبتسامة، حينها نظر لها رحيل وسألها باهتمام:

-مين علمك الكلام دة؟!

أخذت نفسًا عميقًا ثم أجابت:

-كنت وأنا صغيرة بحب أحفظ الأحاديث، والقرآن أنا وسوفانا وماما كانت بتشجعنا وبابا كمان.

بدى على وجه صهيب الحيرة وسألها:

-سوفانا!

أجابته بابسامة تحمل الكثير من الألم والحزن:

-أختي.. أختي التوأم.

تذكر هو أن لها أختًا قد توفيت، وتلك الإبتسامة تخبره جيدًا أنها هي نفسها.

نظر لها رحيل باهتمام، فقد أعجبه ما قالته حقًا، ربما لاحقًا يعذر ولده على الوقوع ضحية لها.+

أحضرت الخادمة باقي الأطباق الساخنة والشاي، وبدأ الجميع بتناول الطعام في صمت. أقصد قد بدأ الجميع بالتظاهر بتناولهم الطعام.

فقد كان رحيل شارد الذهن كأنه يفكر في معضلةٍ ما، وكانت جويرية تمسك الخبز

وتقطعه أجزاءً صغيرة وهي تنظر في الفراغ بوجوم، وكان هناك من هو شاردٌ فيها.+

بعد ما يقرب من الربع ساعة وقفت جويرية فجأةً وهي تردف بفتور:

-أنا الحمد لله شبعت، أستأذن أنا.

ثم قامت من على مقعدها وخرجت من الغرفة متوجهةً للحديقة، وما لبث أن ذهب صهيب خلفها بدون أن ينطق بكلمة.+

كانت واقفةً أمام وردة بيضاء تنظر لها بلا تعابير واضحة، حينها وقف بجانبها ونظر إلى ما تنظر إليه، ثم سألها بهدوء:

-مالك؟

أجابته بهدوء مماثل:

-تفتكر الوردة دي بتحس بإيه؟

أجابها ببساطة:

-أكيد فرحانة، كل يوم بتاخد إللي هي عاوزاه من الماية، ونور الشمس، وبتكبر، وريحتها حلوة كل الناس بتحبها.

أمسكت هي بتلك الوردة وأطبقت عليها بيدها، ثم عادت تسأله بترقب:

-طب دلوقت وأنا هاقطفها

إقترب منها قليلاً ثم همس في أذنها بثقة:

-لسة فرحانة

سألته بهدوء:

-ليه؟

أجاب ببساطة:

-عشان إنتي مش هتقطفيها.

تركتها حينها، ثم استدارت ترنوه متسائلة بصوتٍ منخفض:

-مين أكدلك؟!

بنفس البساطة والثقة أجابها باسمًا:

-دي أكتر وردة بتحبيها في الجنينة دي كلها، وكل يوم بتفضلي تقفي عندها تبصيلها شوية وتمشي، يو ما هتقطفي مش هتختاري دي!

صمت قليلاً يراقب أنظارها المتوجهة نحوه بهدوء، ثم تابع:

-ثم إن إللي بيحب حاجة مش بيدمرها، وإنتي بتحبي الورد مستحيل تقطفيه.

صمتت لفترة ترقبه فيها بتأني، قبل أن تقول بخفوت:

-عارف الوردة دي يا صهيب، خافت لما شافتني ماسكاها كدة، الوردة متعرفش إني استحالة هقطفها زيك كدة.

نظر صهيب للوردة باشمئزاز ثم حرك رأسه نافيًا وهو يردف بأسف:

-حتى الورد بقى مفتري!

لم تقاوم طريقته أكثر من ذلك فضحكت من كل قلبها لدرجة أنها قد سعلت من شدة الضحك، فقد كان يتصنع الجدية بنظراته ونبراته بطريقة مضحكة حقًا. وحتى أنها لم تدرِ بالفعل ما سبب ضحكها بهذا الشكل.

نظر مصدومًا وهو يراها تضحك، فهو لم يظن أنها ستفعل، نعم كان يمزح لكن..

حسنًا، سيطرت عليه رغبة بالضحك هو الآخر، فشاركها الضحك. لم يرها تضحك من

قبل، وقد كان سعيدًا لدرجة أنه ضحك كما لم يضحك يومًا.

ثم نظر كلاهما إلى بعضهما بعد أن صمتا، ثم لتلك الوردة الظالمة وهما لا يدريان ماذا يجب أن يقال الآن.

إلى أن بدأ هو بنبرة بدت سعيدة بعض الشيء:

-أول مرة أعرف إنك بتضحكي زي خلق الله!

رفعت هي رأسها لأعلى، وأجابته ببساطة:

-لأ بضحك، بس أنا من شهر ونص مضحكتش، أو ممكن أكتر.

إقترب منها حتى صار أمامها مباشرةً، ثم وضع إبهامًا من كل يدٍ على وجهها وهو يرسم إبتسامة عليه، فانزعجت هي مما

فعل وبدون تفكير ركلته في قدمه وابتعدت عنه خمس خطوات قائلة بنزق:

-أنا بني آدمة يابني!

اقترب هو منها خطوتين وهو يرد عليها بغضب:

-إنتي جايبنك منين، ردك جاهز كدة على طول يا إما تتكلمي وتحبسي دم إللي قدامك أو تضربيه؟!

ردت ببرود:

-آه

حاول هو السيطرة على غضبه واقترب منها إلى أن صار بمحاذاتها، وما أثار انفعاله حقًا أنها ما تزال ثابتة لم تتحرك قيد انملة، تخبره بكل جرأة أنها لا تخشاه أبدًا، وبدون تفكير هو الآخر قام بحملها متجهم الوجه، حينها

سيطرت هي على حنقها الناتج عن حملها المفاجئ بتلك الطريقة، ونظرت له بهدوء ثم قالت:

-متخافش يا صهيب رجلي موجعتنيش لما ضربتك!

نظر لها وأردف بنفاذ صبر:

-إيه إحساسك لو رميتك على الأرض الوقت؟!

هزت كتفها غير آبهة وهي تجيبه ببرود:

-على الأرجح مش هحس بحاجة، أنا هيغمى عليا على طول.

يئس هو منها فقام بإنزالها من جديد فعقدت هي ساعديها أمامه بتحدي، وبالرغم من كل ما تفعله إلا أنه كان سعيدًا جدًا، سعيدًا لأنه خفف عنها ولو قليلاً وأنساها

آلامها ولو مؤقتًا، سعيدًا لأنه رآها تضحك لأول مرة، ولأنه لم يشعر بتلك السعادة يومًا، حقَ عليه أن يشعر بها بطريقة مختلفة.
ولأول مرة يهنأ كليهما ببعض الراحة.+

لم يعلما أن هناك من يقف من بعيد، يراقبهما، باسمًا، بهدوء، وسكينة، وكأنه وجد سلواه في مرقبتهما وهما ستصرفان على سجيتهما.....!!!١

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثاني والأربعون:

+

+

+

تقترب تلك السيارة منها أكثر من الحد المباح، اتسعت عيناها برعب، ووضعت يدها على وجهها وهي تصرخ مستنجدة، وفي الوقت الذي فقدت فيه الأمل بالنجاة..

شعرت بأن أحدهم يسحبها بسرعة من مكانها، حينها أنزلت يدها من على وجهها بحذر وهي ترتجف، فسألها هو بقلق:

-كاثرن إنتي كويسة؟

أومأت رأسها وهي ما تزال مصدومة، لكنه أجابته بصوتٍ مهتز:

-آآ.. آه كويسة، بس انت آآ..

قاطعها هو بهدوء:

-تعالي العربية طيب نتكلم بدل ما احنا واقفين في نص الطريق كده!

حركت رأسها نافية، ثم أشارت له نحو الجنوب وهي تجيبه:

-لأ لأ، أنا راكنه عربيتي هناك أصلاً.

أصر هو عليها بـ:

-طيب وفيها إيه، أنا هروحك، وبعدين أرجع أجيبلك العربية على البيت.

أجابته بحسم:

-لأ شكرًا يا إياس أنا هروح بنفسي.

أخذ هو نفسًا مطولاً ثم ابتعد عنها لعدة خطوات، ثم قال باسمًا بمودة:

-روحي

أومأت هي رأسها وسارت مبتعدة عنه ذاهبة إلى سيارتها، فظل هو ينظر لها بهدوء، حتى ركبت السيارة. ظل ينتظر أن تتحرك لكنها لم

تفعل، وبعد ما يقرب من الدقيقتان نزلت هي من السيارة وظلت تنطر لها بحنق. عزم حينها على الاقتراب منها، وبالفعل تقدم نحوها حتى وقف خلفها مباشرة، ثم سألها بروية:

-إيه ممشتيش ليه؟

انتفضت هي من مكانها على صوته، وتقدمت للأمام بضع خطوات، وهي تضع يدها على قلبها، فحاول إياس منع نفسه من الضحك وسألها بمرح:

-هو أنا صوتي مرعب أوي كدة؟!

استدارت كاثرن ناظرة له بغضب، ثم هدرت به:

-أنا بخاف لما حد يجي من ورايا كدة!

اختفت ابتسامته وظهر العبوس على وجهه، ثم زفر بنفاذ صبر وسألها:

-معرفش، مكنتش أعرف، كنت جاي بس أشوف مالك ممشتيش ليه، بس أنا غلطان، آسف مش هشوفك تاني.

ثم استدار مغادرًا، فظلت هي تنظر له بحيرة، فهل تستقل سيارة، أم تخبره أن سيارتها قد تعطلت ؟، أدارت وجهها إلى السيارة بسرعة وهي تنفي عن عقلها تمامًا تلك الفكرة، ثم سارت نحو الطريق لكي تستقل سيارة أُجرة، ولكن لسوء حظها لقد بدأت تمطر، وقد كانت تشعر بالبرد كثيرًا، فضمت يدًا إلى صدرها وبالأخرى حاولت إيقاف سيارة. مر خمس دقائق ولم تأتِ سيارة واحدة حتى فارغة، إلا وكان صاحبها لا يسمح له مزاجه

بأن يقلها الآن. وكانت ثيابها قد تبللت قليلاً وازداد شعورها بالبرد.+

فجأة وجدته يصف سيارته أمامها مباشرةً وينزل منها وهو يخلع سترته، ثم وضعها عليها دون أن ينبس بكلمة، وبنفس الصمت سحبها من يدها بشدة، وفتح لها باب السيارة الأمامي وأردف بحدة:

-اركبي

شعرت هي بالخوف منه لتلك الطريقة التي يتعامل معها بها، مع أنها لن تنكر شعورها بالدهشة لرؤيته فهي قد ظنت أنه ذهب منذ وقتٍ طويل و.

-كاثرن، قولتلك اركلي

قالها بصوتٍ أقل حدة بقليل بعد أن جلس داخل السيارة، فاستسلمت هي لأمره

وركبت، ثم أغلقت الباب ويداها ما تزال ترتجف، لكنها أغلقت الباب برفق زائد عن الحد لدرجة أن الباب لم يغلق جيدًا، لذا اضطر هو لمد يده إلى الباب وإغلاقه جيدًا، ولكن حين فعل ذلك رجعت هي للخلف كثيرًا وكأنها خافت أن يؤذيها خاصةً بعد طريقته تلك، ودمعت عينها. فنظر إياس لها وأدرك أنها تهابه لذلك حاول التخفيف عنها خين قال بهدوء:

-فين بيتك؟

أجابته كاثرن بخفوت:

-في ((...))

-طيب، حطي إيدك في جيب الجاكيت اليمين، وخدي اللي فيه

قال كلمته، ثم انطلق سريعًا بالسيارة، حينها فعلت هي ما قاله لها بعدم فهم، لكنها وجدت علبة مناديل ورقية، فنظرت له وأردفت بحرج:

-شكرًا

ثم سحبت أحد المناديل وبدأت تمسح غبراتها بسرعة، حينها قال هو بهدوء تام:

-أحسن؟

أجابته بحزن:

-إياس، أنا آسفة عشان بفهمك غلط كل مرة، بس أنا اللي مريت بيه مش قليل، اللي مريت بيه كان كفيل لوحده إنه يكرهني في كل الرجالة.

أخذ نفسًا عميقًا، ثم نظر لها، وسألها برفق:

-بس مش كل الرجالة زي بعضهم يا كاثرن، زي ما فيه الوحش فيه الحلو.

هزت رأسها غير مقتنعة وهي تجيبه بغضب:

-لأ يا إياس، بيكونوا طيبين وبعدها يتغيروا، بيورونا المميزات عشان نتصدم باكتشاف العيوب بعدها.

أوقف السيارة فجأة، ثم نظر لها متسائلاً بتريث:

-الوقت إنتي شايفاني إيه؟

أجابته بعدم فهم:

-شايفاك إيه مش فاهمة؟

سألها ثانية بدون تفكير:

-إنتي شايفاني أنا الإنسان اللي ممكن أكون مكان القذر ده! أو حتى أشبهه ولو في صفة واحدة؟

أشاحت هي وجهها عنه، فتجهم وجهه وانطلق بالسيارة مرةً أخرى بدون أن يقول شيئًا، وظل الصمت يحيط بالمكان لمدة خمس دقائق، إلى أن قررت هي أن تكسره بخفوت النبرات قائلة:

-لأ مش شايفاك زيه، بس هو مكنش هو قبل الجواز، أنا تعبت يا إياس، I'm very tired Eyas.

كان هذا آخر ما قالته قبل أن تنخرط في البكاء، فقد بدأت تتذكر كل شيء يحدث معها هذه الأيام، من الكوابيس والخرف الدائم، ومن الـ..

كان هو قد أوقف السيارة بالفعل ثم ترجل منها، وذهب سريعًا نحوها، ثم فتح لها الباب، وأمسك بيدها، وسحبها برفق ليخرجها من السيارة، حينها خرجت هي معه وهي ما تزال تبكي، فرفع وجهها بيده، ونظر لها مليًا وهو يقول لها بنبرة حانية:

-هششش خلاص، خلاص اهدي، أنا لو كنت أعرف إنك هتنعيطي كدة مكنتش اتكلمت أصلاً.

ثم بدأ يمسح لها دموعها وهو ينظر في عينيها بعمق، ويقول:

-وأنا ميرضنيش أكون أنا مصدر تعبك ده، أنا ممكن أواجه أي حاجة عشان أنا حبيبتك بجد، بس مستحيل آجي عليكي أو أجرحك.

صمت قليلاً قبل أن يتابع بهدوء:

-أنا معرفش ازاي حبيتك، بس كل اللي أعرفه إني حبيتك من يوم ما شوفتك أول مرة، وكل يوم كان بيزيد أكتر. حتى لما كنتي بترفضيني، مكنتش بيأس وكنت بقول إنك ممكن يجي اليوم اللي تتقبليني فيه.

ودلوقتي بقولك إني لو كنت مصدر كل العذاب ده ها..

قاطعته هي بشرود وبنبرة مختنقة:

-بيجيلي في الحلم كل يوم..

صمتت قليلاً قبل أن تتابع بنبرة أشد اختناقًا:

-بسمع قبل ما أنام كل يوم صوت خطوات شبه صوت رجليه زمان، وسعات بيظهرلي في أي حتة أو اتخيل بيه. عاوزة أتخلص منه ومش عارفة ازاي!

ظل هو منتبهًا لها إلى أن انتهت، ثم نظر لها للحظة قبل أن ينظر خلفه للمكان المتواجدون هم فيه، حينها نظر لها مرة أخرى وسألها بهدوء:

-تيجي نكمل كلام جوا؟

نظرت إلى المقهى الذي أمامها، ثم أومأت رأسها موافقة. حينها أخذها معه إلى الداخل.+

بعد استقرارهم على مقاعدهم، ظل هو ينظر لها لفترة من الزمن قبل أن يسألها باسمًا:

-هتشربي إيه؟

-قهوة سادة

كاد أن يرفع يده لينادي النادل إلا أنها تابعت بهدوء:

-من غير سكر

نظر لها بسكون برغم أن طلبها استدعى انتباهه، وسألها:

-ليه من غير سكر؟

أجابته ببساطة:

-بحس إن ده بيديني طعم حياتي.

ابتسم لها ولم يعقب، وأشار للنادل حتى إذا ما جاء أخبره بطلبها وطلب مثلها تمامًا، ثم أخبره أن يخضر شيئًا آخر لكنها لم تستمع إليه لأن صوته كان خافتًا.

وحين رحل النادل سألته هي بضيق:

-ليه اخترت زيي؟

أجابها ببساطة وهو ينظر لها:

-عشان بحس إن ده طعم حياتي اليومين اللي فاتوا وإنتي بتكرهيني.

كتفت يداها، وأرجعت رأسها للخلف وهي ترمقه بسخرية، فظل كما هو صامت، قاطب حاجباه وينظر إليها بين الحين والآخر.

طال الصمت بينهما، ليقطعه النادل قائلاً:

-اتفضلوا طلبكم

ثم وضع القهوة وبجانبها كيس من مكعبات السكر. ورحل بعدها، فاستعجبت هي من وجود السكر لكنها لم تسأل وظلت كما هي، حتى تفاجأت به يردف بتأنٍ:

-ساكتة ليه؟

-عادي أتكلم في إيه!

سألها بهدوء وهو يرفع رأسها قبالة رأسها:

-أنا مصدر كل العذاب ده؟

أخذت نفسًا طويلاً، ثم مدت يدها لفنجان القهوة، وأمسكت به لتجيبه بعدها بروية:

-ولو قولت آه إيه رد فعلك؟

ظهر العبوس على وجهه وتراجع بجسده للخلف، لكنه أجابها بهدوء بعدها:

-هطلع من حياتك.

سألته من جديد بجمود:

-وللأبد؟

أجابها يدون تفكير:

-وللأبد

وضعت الكوب من جديد على الطاولة، وسكتت ولم تتابع، فأردف هو بنفس الهدوء، والتريث:

-تعرفي ليه خليته يجيب السكر!

نظرت له مستفسرة، فتابع بغموض وهو يمد يده ليفتح كيس السكر ويخرج مكعبًا منه:

-عشان حياتك شبه كوباية القهوة دي، بإيدك تمرريها..

تابع بروية وهو يضع مكعب السكر داخل كوبها:

-وبإيدك تحليها

ظلت كاثرن تبصره بتفكر، بينما أخذ هو مكعبًا آخر ووضعه داخل كوبها وهو يتابع بتؤدة:

-وبإيدك كمان تتحكمي في درجة حلاوتها، وإنتي اللي تمشيها معاكي.

وضع واحدة أخرى ونظر لها قائلاً:

-عارفة ازاي؟

تساءلت بعينيها عن الجواب، فأجابها بثبات:

-تطلعي من اللي إنتي عايشه فيه، إنسيه، حطي كل ده ورا ضهرك وابدأي من أول وجديد

-بس ده مش سهل يا إياس، أنا بحاول ومبعرفش

-بس ده مش صعب يا كاثرن، إنسيه وهتعرفي، بلاش تظلمي نفسك وتظلمي ابنك التعب في الفترة دي وحش جدًا ليكم إنتوا الإتنين.

ثم وضع يده على يدها الممتدة على الطاولة وتابع باسمًا:

-وأنا معاكي في أي قرار تختاريه، سواء
عاوزاني أفضل في حياتك أو لأ.+

+.....

انطفأ البراد الكهربي، وظل البخار الساخن
يخرج من فوهته، فأمسك هو به، وصب
الماء الساخن داخل الكوب، وبدأ يقلبه
بهدوء. خرج من المطبخ ممسكًا بالكوب ثم
اتجه نحو الأريكة التي تتوسط الغرفة وجلس
عليها. زفر لأكثر من مرة وهو ينظر للفراغ
بأعين شاردة وقد بدأت ذكريات الأمس
تطارده بكل ظلمها وقسوتها...+

+...

ضرب ذلك الرجل على المكتب بقوة قبل أن
يقف متجهم الوجه، قاطب حاجباه حتى
اقتربا من أنفه، وهو يصيح فيه بغضب:

-قصدك إيه يا معتصم؟

وقف معتصم وهو يحاول السيطرة على غضبه جراء تلك الحركة العنيفة، وأجابه بهدوء مستفز:

-اللي سعادتك سمعته، أنا مش هشارك في الظلم ده، ده واحد ملوش ذنب يا رشدي بيه!

أخذ رشدي نفسًا مطولاً قبل أن يجيبه بصوتٍ أقل حدة:

-إحنا من إمتى بنفكر في القرارات اللي بتجيلنا؟ وبعدين ده واحد إرهابي انت مش شايف منظره!

هز معتصم رأسه نافيًا وهو يخرج من حيز مكتبه، وحين وقف أمامه تحدث بضيق:

-مش معنى إنك مشتبه فيه نلبسه قضية كاملة، وبعدين ده عنده أُسرة عارف يعني إيه واحد يكون عنده أُسرة ويتـ...آآ

قاطعه الأخير بحدة وهو يطرق بقوة على المكتب أمامه:

-ده مش شغلنا إننا نفكر، إحنا بنفذ الأوامر وبس.

رد عليه بحسم:

-لأ يا سعادة البيه، إحنا مخلوقين بعقول عشان نفكر بيها، وأنا قدامي الدليل اللي يثبت إنه كان موجود في بيته وقت الحادث، وكمان الكل بيشهد بكدة، لكن شغل التزوير ده حرام، ومش معنى إنك مش لاقي المجرم تلبسها لأي واحد والسلام!

أجابه الأخير بهدوء خطر:

-إنت كدة بتعرض حياتك المهنية للخطر، عشان واحد حتى متعرفوش!

لم يبدُ عليه التأثر وهو يجيبه بفتور:

-لو أنا اتجازيت دلوقتي وانطردت من شغلي، يبقى أشرف بمليون مرة لما أقف قدام ربنا ويسألني عملت كدة ليه، مش كنت عاطيلك عقل تفكر بيه؟

رفع الأخير حاجباه وهو يجيبه بسخط:

-ده على أساس إيه إن شاء الله، ما إنت دايمًا بتنفذ الأوامر!

رمقه معتصم بحنق وهو يجيب بنبرة هادئة:

-لأ أنا مبستلمش إلا القضايا الحقيقية، وطول فترة شغلي هنا حاولت على قد ما أقدر مظلمش حد، ولو تطلب الموضوع إني

أضحي بشغلي عشانه هعملها، وهقدم الإثبات اللي معايا لمحاميه.

إكفهر وجه رشدي من الغضب والحنق في آن واحد، ثم نظر له قائلاً بحدة:

-يعني إنت مش همك!

أجابه ببساطة:

-أنا قولتلك يهمني مكونش مصدر ظلم لحد.

ظهرت ابتسامة سمجة على وجه الأخير وهو يسأله بهدوء مفاجئ:

-طب وبالنسبة للي إنت قتلته قبل كدة، ده كان مكنش منضم للظلم!

صمت معتصم قليلاً، وحدجه بنظرة حادة، ولم يعقب.

حينها استغل الأخير الفرصة وتابع بخبث:

-وإحنا طلعناك منها زي الشعرة من العجينة عشان والدك الله يرحمه بس.

أخذ معتصم نفسًا مطولاً ليسأله بعدها بدهاء:

-أعتبر ده تهديد!

-زي ما تحب

-وأنا معنديش مشكلة لو هتفتح قضية اللي قتلته ده تاني، براحتك يا رشدي باشا، بس أكيد ساعتها اللي غطى على الجريمة هيتحاسب معايا!+

أومأ الأخير رأسه بغضب، وأشار إليه وهو يرجع للخلف مهددًا إياه:

-أنا حذرتك، وإنت هتشوف أخرت عنادك ده إيه.

ثم تركه وخرج من المكتب، فنظر هو حيث ذهب بأعين غاضبة مشتعلة، ثم أسرع نحو مكتبه ليجلس عليه وهو يزفر بغضب.

+...

استفاق معتصم من ذكرياته تلي صوت هاتفه النقال، فالتقطه ناظرًا إلى اسم المتصل، قبل أن يجيب على الفور:

-السلام عليكم

جاءه الصوت منفعلاً من الجانب الآخر وهو يقول:

-وعليكم السلام، شوفت اللي حصل يا معتصم، أنا مش هسكت والله على اللي بيحصل ده!

أجابه الأخير بقلق:

-إيه يا أبان خير؟

لم يزل الانفعال في أبان وهو يجيبه بجدية:

-من كام يوم وهما قابضين على واحد وعمالين بيغذبوا فيه عشان يعترف بجريمة هو أصلاً معملهاش، والنهاردة أول مرة أشوفوا عارف طلع مين؟

سأله معتصم باهتمام وهو ينزل الكوب ويضعه على الطاولة أمامه:

-طلع واحد كان جاري في السكن القديم، وأنا أصلاً عارفه ده طيب جدًا والله، وعارف ربنا.

تنهد معتصم بضيق، وأرجع رأسه للخلف وقد برزت عروقه من شدة الضغط، ثم رد عليه في النهاية بهدوء غريب:

-ما هو عشان عارف ربنا بيعملوا فيه كدة، إنت لسة مفهمتش يا أبان الحكاية إنهم

فشلوا في إنهم يلاقوا المجرم الحقيقي اللي قتل، وطبعًا عشان اللي اتقتل ده شخصية مهمة شوية، وكان دايمًا بيهاجم رجال الدين بشكل دائم وهو منهم فلقوا الحل الأمثل يجيبوا الراجل ده ويلزقوله التهمة وخلاص.

سأله أبان بانفعال:

-وإنت ترضى باللي بيحصل ده، والله أنا مش هسامحك لو..

-أنا هستقيل.

قاطعه معتصم بها بهدوء، فصمت الأخير لبرهة قبل أن يسأله مصدومًا:

-إيه!

-إمبارح جالي رشدي وقالي على الموضوع ده، وقبلها حصل موقف مشابه وأنا اعتذرت عن القضية أو حتى المشاركة فيها، يا أبان

أنا مقدرش أفصل قاعد في مكان كله ظلم بالشكل ده، مينفعش كدة ده إقامة العدل أحسن من أي حاجة تانية، ومفيش عدل عندنا خالص!

أخذ الأخير بعض الوقت بالتفكير قبل أن يجيبه بثبات:

-طب أنا عاوز أطلعه

أجابه ببساطة:

-متقلقش، براء هيساعدنا في الحكاية دي، وأنا معايا أوراق تثبت انه بريء.

-طب كلمت براء ولا أكلمه أنا؟

-لأ كلمته امبارح وجالي البيت شوية وهو قالي مقلقش وهيعمل اللي يقدر عليه إن شاء الله، و.

كاد أن يتابع، إلا أنه سمع صوت جرس الباب يرن، فأردف له بروية:

-استنا أما أشوف مين.

ذهب معتصم ناحية الباب، ثم فتحه، وحالما رآهما ابتسم قائلاً وهو ينظر في ساعته:

-كل ده!

بادلتاه الابتسامة سويًا وقبل أن يقول أحدهما شيئًا، أردف هو عبر الهاتف:

-طب أنا هقفل الوقت يا أبان، شوية وأكلمك.. تمام.. ماشي مع السلامة.

أغلق الهاتف، ومن ثمة أفسح لهما المجال ليعبرا قائلاً بنفس الابتسامة:

-ادخلوا

حينها دلفت الصغيرة وظلت الأخرى في الخارج، ثم قالت بطريقتها الطفولية وهي تقفز:

-روحنا الملاهي وإنت لأ

ضحك معتصم من طريقتها، ثم قام بحملها قائلاً بحزن مصطنع:

-ماشي، ماشي، غيظي بابا حلو يا تالا

ثم نظر للأخرى بهدوء قائلاً وهو يشير لها:

-إدخلي يا فيروز

أجابته باسمة بخفوت:

-لأ مش هينفع، سهيل مستنيني تحت، أنا قولت بس زي ما أخدتها أرجعها

نظر لها هو بنفس الابتسامة، ولم يرد أن يضايقها مُلحًا، حينها استدارت فيروز، وكادت أن تذهب إلا أنه ناداها قائلاً بغموض:

-فيروز، لحظة!

ثم أنزل ابنته قائلاً لها:

-روحي يلا يا تالا غيري هدومك

أومأت الفتاة رأسها ثم ذهبت، بينما استدارت فيروز لتواجهه بوجه متسائل، فتابع هو بسكون:

-كنت عاوزة أعرف، تالا دايقتك في حاجة أو...

قاطعته هي بضيق:

-لأ طبعًا، وبعدين أنا بحبها جدًا والود ودي أجيبها تعيش معايا أصلاً.

ظهرت الراحة على تعابير وجهه، ثم نظر بحنوٍ إلى حيث ذهبت، فتابعت هي بهدوء:

-بس الحقيقة أنا لما لقتها زهقت في أول الحفلة، خرجتها منها وفسحتها شوية في الملاهي.

أدار وجهه قبالتها وهو يومئ رأسه مفسرًا قائلاً بتريث:

-عشان كدة قالت إنها راحت الملاهي لما جت، بس على العموم أنا بشكرك جدًا لإنها من يوم ما شافتك وهي كل يوم تفضل تحكيلي عنك، وبقت بتحب الحضانة، على غير العادة!

-ربنا يخليهالك يا رب، طب أنا نازلة الوقت.

-طيب، مع السلامة

كادت تستدير لتذهب، لكنها تذكرت شيئًا ما فجأة، فعادت تعبث بحقيبتها، إلى أن أخرجت شيئًا ما منه، ثم أعطته له قائلة بجدية:

-لما تالا تطلع إديها دا، عشان نسيته معايا.+

نظر لما أعطته له، وحين عاد لينظر لها كانت قد ذهبت، فأغلق الباب، وسيطر عليه الفضول ليعرف ما في داخل الكيس الملون الممسك به، ولم يتمهل قبل أن يفتحه، ليجد بعض الشوكولا والسكاكر، فابتسم بهدوء ثم نادى "

-تالا!

خرجت الصغيرة من الغرفة وهي ترتدي سترتها، وتحاول إدخال رأسها من رقبة السترة، فكان مظهرها هزليًا أكثر من كونها مسكينة.

فوضع معتصم كيس الحلوى على الطاولة، وتقدم ناحيتها وهو يضحك على مظهرها، ثم جثى على ركبته ليساعدها وهو يردف بمرح:

-استني يا فورؤعلوز.

ثم أنزلها لها مبتسمًا، فنظرت له تالا بغضب وقالت:

-أنا تالا بس

حملها هو إلى أعلى، وقال مهددًا، رافعًا حاجباه لأعلى:

-هعلقك في المروحة دي يا لمضة

صرخت تالا بخوف:

-لأ لأ نزلني

أنزلها قليلاً، ضاحكًا على طريقتها، ثم جلس على الأريكة وأجلسها على قدمه وسألها ببشاشة وجهه:

-اليوم كان حلو النهاردة صح؟!

اندفعت الفتاة لتجيبه بسعادة وهي ترفع يديها إلى أعلى:

-آه يا بابا كان حلو أوي، وروحت الملاهي، وماما فيروز ركبت معايا و.

قاطعها هو بدهشة وهو قاطب حاجباه:

-ماما؟!

أومأت تالا رأسها، وهي تجيبه بروية:

-آه، أنا قولتلها أقولها ماما وهي وافقت، عشان العيال كلهم كانوا جايبين مامتهم معاهم في الحفلة، وأنا لأ.

ضمها هو إليه بحنان، وهو يقول بحزن:

-يا حبيبتي

ابتعدت تالا عنه مبتسمة بسعادة وهي تتابع:

-بس أنا بحس إنها ماما، وبحبها أوي، وهي كمان بتحبني أوي.

صمتت قليلاً قبل أن ترفع عينيها الواسعتين له وتسأله بخفوت:

-أنا ينفع أقولها ماما صح؟

بادلها هو ابتسامة دافئة، وأجابها بهدوء:

-طالما هي موافقة، قوليلها.

اتسعت ابتسامة الفتاة كثيرًا، ثم احتضنته بسعادة غامرة، وبالمثل فعل.

كان الحزن يكسوا ملامحه، برغم السعادة التي تسللت إلى تعابير وجهه فجأة. كان مهمومًا، محملاً بالأثقال، برغم صفاء الذهن الذي

واتاه لحظتها.

ابنته هي كل حياته، فإن لم يعش لها ولأجلها ولأجل بسمة وجهها لمن سيعيش! تمر الأيام وحاجتها لوجود أمٍ في حياتها تتضاعفُ، كل يومٍ عن الذي قبلهُ. لو سُد الفراغ مؤقتًا فمن المحتم بعد وقتٍ تُقبهُ، فمن يا ترى سيسدهُ! أخواء قلبٍ من حنان الأم متوافرٌ علاجهُ، أَم أن نيله بالحلم أشبهُ!

أخذ نفسًا عميقًا وأبعدها عنه، وهو يردف بهدوء:

-تالا، قومي يلا نامي

أومأت تالا موافقة إياه، وقد بدى عليها النعاس، ثم سألته بترقب:

-بابا مش هتنام إنت كمان، مش عاوزة أنام لوحدي

ابتسم لها ثم قبل وجنتها، وأنزلها من على قدمه قائلاً برفق:

-تعالي، أنا كمان أصلاً عاوزة أنام شوية

ثم أمسك يدها، وذهبا سويًا إلى الداخل.....!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثالث والأربعون:

+

+

+

٣ ابريل

كان رحيل يعبث بأغراضه التي لم يخرجها من الحقيبة بعد حين وقعت ورقة مطوية من بين ثيابه الممسك هو بها. نظر رحيل للورقة باستعجاب، قبل أن يترك الثياب على السرير ويهبط بهدوءٍ ليلتقطها.

انتصب واقفًا من جديد، ثم فتح الورقة وبدأت عيناه تتسع حينما قال:

-دي جت هنا ازاي!

شرد للحظة وهو يتذكر أنه خبأها بين ثيابه في الخزانة، وهذه هي نفس الثياب التي خبأها بها. أخذ نفسًا مطولاً وزفره بسرعة وهو لا يزال ينظر لتلك الورقة، بدى عليه الإختناق

والحزن وهو يطالعها، وللحظة بدأ يتحسس حروفها وقد لمعت عيناه حزنًا.

ولم ينتبه لمن ولج توًا ويقف على مقربة منه.

-احم احم!

انتبه رحيل لوجود شخص ما في الغرفة فأسرع يستدير و ينظر إليه بصدمة، ثم أخفى الورقة سريعًا خلف ظهره قائلاً بارتباك:

-آآ صهيب! آآآ.. إنت جيت امت؟!

استعجب صهيب لما فعله الآخر، فهو معتاد على اخباره كل شيءٍ عن شيء، فماذا جد الآن!

سأله صهيب بحيرة، وهو عاقد حاجباه:

-بتخبي إيه؟

اهتزت نبرة رحيل وهو يجيبه متعلثمًا:

-دآآآآآ آه دة، ورق، ورق عادي، قصدي أنا مش بخبي، أنا آآآ

رفع صهيب يده إلى شعره وأرجعه للخلف قليلاً، ثم اقترب منه عدة خطوات وهو يتحدث بسخرية:

-مش معقول يا رحيل، أنا مش عيل صغير عشان تكدب وأصدق!

تراجع رحيل للخلف مما أثار حنق الأخير واستفزه حتى مد يديه خلف ظهر رحيل وسحب الورقة من يده عنوة، فنظر له رحيل برعبٍ وحاول جاهدًا أخذها منه، إلا أنه لم يستطيع فالتجأ للكلام لربما فلح..

-يا صهيب صدقني دي حاجة خاصة بـ..

قاطعه صهيب مبتسمًا ببرود:

-عادي يا رحيل أناهعرف بنفسي إيه اللي فيها، وبعدين لو مكنتش بعدتها عني مكنتش هاخدها منك!

ثم ابتعد عنه بضع خطوات وبدأ بفرد الورقة جيدًا ليقرأ، بينما ظل الأخير واقفًا مكانه منتظرًا أن تَحُل الكارثة عليه.+

فقط بضع ثواني، وكان وجه صهيب كالأحمر القاني، عيناه تشبعتا بالغضب تشبعًا، يكاد يقسم من يراه أنه فاني. تركت عيناه الورقة وتحولت إلى من يقف على مسافة بضع خطوات منه، ثم تقدم نحوه وهو يصيح باشتعال:

-الكلام دة حقيقي!

لم يجرؤ رحيل على النظر في وجهه، ولم يجبه.

فعاد الأخير يهدر بصوتٍ عالٍ:

-جاوبني، أنا ابنك؟!!

نظر له رحيل وبدأ يشرح مبررًا بحزن:

-الموضوع مش زي ما انت آآ..

قاطعه صهيب بنبرة حاسمة:

-عاوز إجابة بس، الكلام دة حقيقي ولا لأ؟!

أخذ رحيل نفسًا عميقًا، ثم أجابه بحذر:

-آه، بس أنا آآآ..

قاطعه من جديد بهدوء مفاجئ:

-خلاص، إنت مش جاوبت، هو دة إللي أنا كنت عاوزه.

ثم تركه وذهب، فذهب خلفه براء يسترضيه، إلا أنه يئس عندما خرج من الغرفة وذهب إلى غرفته، لذا قرر تركه قليلاً ليتعايش مع هذا الواقع المرير، وخرج من غرفته متجهًا للحديقة.+

+.....

جلس صهيب على الفراش في غرفته مصدومًا، لا يصدق ما حدث، وضع يداه على رأسه وأسند ذراعيه على قدمه وهو يتساءل مع نفسه، أإلى تلك الدرجة من السقوط كانت والدت! لقد تعايش دومًا مع واقع أنها خائنة، لكن زانية! ومع من!!

أي أن رحيل لم يكن يحبه، بل كان يعتني به كتنفيذًا للوصية، أو لأنه والده حتى ولو لم يعترف به. يعني هذا أن رحيل كان.. كان يقضي الوقت معها بينما هي متزوجة من

أخيه. وهذا يعني أيضًا أنه لربما ساعدها في قتله، و..

-آآآآآآآآه

وقف صهيب فجأة وهو يخرج صوتًا حادًا من حنجرته، ثم اتجه نحو مزهرية حمراء أمسك بها ثم أسقطها أرضًا بقوة، ثم أخذ أخرى وأسقطها أيضًا وهو ما يزال يصيح بغضب. فهو لا يصدق، لا يصدق أنه كان يعيش طوال حياته في كذبة سوداء سامة.

ثم اقترب من المرآة الكبيرة في غرفته، وكاد أن يحطمها إلا أنه وجدها تقف خلف انعكاسه في المرآة، فنظر خلفه مباشرةً فوجدها أمامه.

وبسرعة سألها بحدة:

-جاية هنا ليه؟!

تحدثت بهدوء:

-اتحكم بأعصابك.

وضع يداه على شعره، وظل وتخلله بأصابعه جاذبًا إياه بقوة للخلف يكاد يقتلعه من جذوره، ثم تركها وجلس على السرير المجاور.

مضت فترة من الصمت ينظر هو في الفراغ، وتنظر هي له منتظرة ما سيفعل، إلى أن بدأت هي حين لم تجد له ردة فعل.

فذهبت إليه ووقفت أمامه، حينها نطق هو بانفعال:

-كل دة كان كدب، حتى اللي كنت مفكرهم، مفكرهم صادقين، طلعوا أكبر كدبة في حياتي!

أخذت هي نفسًا مطولاً، ونظرت له وهي تجيبه بجمود:

-تعرف إيه أكبر غلطة ممكن الإنسان يقع فيها؟

رفع رأسه لينظر لها منتظرًا إجابتها، فتابعت بثبات:

-إنه ميوزنش الأمور صح.

أجابها هو بنبرة عالية محتقنة:

-أنا مباخدش قرارات غلط!

أجابته ببساطة:

-بس بتتسرع في حكمك على الناس!

صمت قليلاً وهو غير متقبل لنقدها، ليرد بعدها بضيق:

-إنتي اللي مش فاهمة

وضعت يدها على كتفه وهي تردف بجدية:

-قوم ياصهيب، تعالى وأنا هقولك ازاي كل دة يتحل.

لم يفهم هو مقصدها وظل ينظر لها، فأمسكت به من ذراعه وحثته على القيام معها، فوقف وهو لايفهم شيئًا، حينها ظلت تسير به إلى أن وقفت أمام الحمام ونظرت له، ثم تحدثت بروية:

-إدخل اتوضى

نظر لها بدهشة وظن في البداية أنها تمزح، إلا أن جدية وجهها وتعابيره جعلته يقتنع أنها جادة تمامًا، فسألها بخفوت:

-أتوضى!!

أومأت رأسها مرة واحدة، فأشاح وجهه عنها ولم يجبها. فماذا يقول لها، أنه لا يعلم كيف يتوضأ!

أم يقول أنه لم يصلِ في حياته يومًا، لقد كانت حياته خالية من الذكر، ومن أي شيءٍ يتعلق بالعبادة، ولم يعلمه أحدهم الأمر من قبل.

شعرت هي أنها فهمت ما به من نظراته فسألته بترقب:

-بتعرف تتوضى!

أجابها بضيق وكأنه لم يقصد:

-لأ معرفش، مش فاكر ازاي

-تمام، طب بصلي

نظر لها، فدلفت إلى الحمام وبدأت تتوضأ، أولاً غسلت يداها، ثم تمضمضت ثم..

ظل هو ينظر لها وهو لا يفهم لما تعلمه الآن أمرًا كهذا، بل لا يفهم أصلاً لما تحاول حتى مساعدته، عاد لينتبه لها من جديد فوجدها تغسل قدمها اليسرى. ثم نظرت إليه وخرجت من الحمام لتسأله بهدوء:

-دورك

كاد أن يلج لكنها سبقته بقولها:

-وانوي الصلاة قبل الوضوء

أدار وجهه لينظر لها لثوانٍ قبل أن يعود ليدخل من جديد.

وبالفعل بدأ يتوضأ، لكنه توقف فجأة فقالت هي بتريث:

-شعرك وودنك

تابع صهيب الوضوء بعد أن أملته ما عليه فعله، إلى أن انتهى، ثم خرج من الحمام وسألها بهدوء:

-اتوضيت، ولسة عاوز أكسر باقي الفازات!

رفعت حاجبها للأعلى، وأجابته بهدوءٍ مماثل:

-تصور لو إنت جعان أوي، وكلت حتة من صاندويتش صغير أوي، هتشبع؟

تحدث بنفاذ صبر:

-صاندويتش إيه، وجعان إيه؟

-جاوبني بس

زفر وهو يجيبها بحنق:

-لأ مش هشبع.

-إنت بقى الوقت كلت حتة بس منه، تعالى نكمله

كاد أن يتحدث، إلا أنها سبقته محذرة بـ:

-ومتقوليش أنا مش جعان أنا مش بهزر على فكرة!

نظر لها بدهشة فهذا ما كان سيقوله الآن، لكنه انتبه إليها وهي تقف أمامه قائلة برفق:

-صلي يلا

نظر لها وتحدث بغضب:

-بقولك مبعرفش أتوضى ازاي، يبقى هعرف أصلي؟!

استدارت لتواجهه بوجهها الهادئ، لدرجة أنه شك أنها سمعت ما قال، وتابعت وكأن شيئًا لم يكن:

-بسيطة، الناس كلها مبتكونش عارفة إلا لما تتعلم.

ثم تركته وخرجت من الغرفة. قطب حاجباه، ووقف مستشيطًا منها غاضبًا على تركها له فجأة هكذا، فليس لها الحق أن تظهر متى شاءت وتختفي متى شاءت. لكن الأمر لم يطل حتى عادت مجددًا ممسكة بكتابها الذي دومًا ما يراه معها، حينها تبدلت ملامحه من الغضب إلى الدهشة والفضول، جلست على الفراش أمامه ونادته بجدية:

-صهيب، تعالى

تنهد، ثم ذهب إليها متسائلاً بعدم فهم:

-مش فاهم!

وحين جلس بجانبها، نظرت له ثم بدأت تتحدث ببساطة:

-أنا هفهمك. ربنا قال "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَاعِ إِذَا دَعَانِ" وربنا قال "أَلَآ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَإِنُّ القُلُوبُ" فاحنا هنعمل كدة، هنصلي، بس وعشان نصلي لازم على الأقل تكون حافظ الفاتحة، وأي سورة تانية عشان تصلي.

أخذ نفسًا طويلاً، ثم أجابها بهدوء:

-أنا حافظ الفاتحة، بسمعها كل يوم في المساجد.

ابتسمت له برفق، وقالت وهي تشير على شيء داخل المصحف:

-خلاص احفظ السورة دي.

نظر لها بتعجب لكنه على الرغم من هذا آثر أن يفعل، فهو يشعر أن هذا سيريحه، أو ربما..

أخذ نفسًا عميقًا ثم أخذ منها كتاب الله الذي مدت يدها له به، وبدأ يحفظ. كان كلما قرأ آية شعر بأنه مذنب، لا يدري لما سيطر عليه هذا الشعور فجأة، لكنه بالفعل يشعر بالندم، وبالرغم من هذا تتسلل السكينة إلى قلبه، كما لو كانت الآيات شفاءًا لصدره ولروحه من كل سقم، حتى وصل إلى مرحلة أنه بدأ يتناسى كل ما حوله، ويعيش فقط مع كل كلمة ينطقها. وبعد وقت من حفظه بدأ يفهم لما يشعر بالندم.. هذا لبعده عن خالقه، هل التجأ إليه قبل الآن؟ لا

هل فعل ما يستحقه خالقه منه؟ لا، والآن وبكل بساطة حزين لأن حياته لا تسير كما يريد هو، ولكن هل أدى حقه لكي يطالب بما يريد؟ أيضًا لا، لا ولا.. كم هو غافل!

كل هذا وأكثر كان يدور في عقله، أسئلة أحزنته إجابتها، وأشعرته بالندم، والضيق من نفسه في آن واحد.١

وكانت جويرية تتابعه بعينيها. لقد أرادت مساعدته كما حاول هو في الأيام الخوالي، لم تكن ولن تكن يومًا ناكرة للجميل، ولن تنكر مساعدته لها حتى ولم تعجبها طرقه. وعلاوة على ذلك، تمنت أن تكون سببًا في تقربه إلى الله عز وجل. لقد كانت واثقة أنه يحتاج لذلك.. الجميع يحتاج إلى ذلك.. الجمع يحتاج إلى الرحمن.+

مر بعض الوقت عليهما، وهما لا يزالان على نفس الوتيرة، يسيطر الهدوء على المكان، كما أنهما لم يظهرا امتعاضًا في تلك الفترة.

حتى استدار هو برأسه نصف استدارة، وأردف بهدوء:

-حفظت

سألته بروية لتتأكد:

-سورة إيه؟

أجابها بثبات:

-المُلْك

أومأت رأسها، ثم نزلت من على السرير وسارت عدة خطوات إلى أن توسطت الغرفة، ثم نظرت له قائلة بجدية:

-أنا هعمل إني بصلي، وهعلي صوتي حتى في الحاجات إللي مش بنعلي فيها الصوت.

ولم تنتظر إجابته، بل بدأت مباشرةً.

رفعت يديها لأعلى لتكبر تكبيرة الإحرام قائلة:

-الله أكبر

صمتت لثوانٍ ثم تابعت بعدها:

-"بِسْمِ اللَّهِّ الرَحْمَنِ الرَحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِ الْعَالَمِينَ . الْرَّحْمَانِ الرَحِيمِ . مَالِكِ يَومِ الدِينِ.."

ظلت تقرأ حتى نهاية سورة الفاتحة، وهو منتبه لها تمامًا، وما إن انتهت، حتى صمتت لثوان لتتابع بسكينة حينها:

-"تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَىَ كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ . الَّذْي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىَ فِي خَلْقِ الْرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىَ مِنْ فُطُورٍ.."

وظلت تقرأ هي حتى وصلت إلى قوله تعالى:

-"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيهِ الْنُّشُورُ"

ثم رفعت يديها لتكبر، ثم ركعت وبدأت تقول سبحان ربي العظيمُ ثلاثًا، ثم اعتدلت وهي تتابع بـ:

-سمع الله لمن حمده

صمتت لثانيتين، ثم قالت بعدها:

-ربنا ولك الحمد

كادت أن تتابع، لكنها وجدته يسألها بهدوء:

-بس انتي بتطولي عن كدة، أنا.. كنت سعات بشوفك.

لم تنظر له، لكنها قالت بروية:

-ربنا ولك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مُبَاركًا فيه ملء السماواتِ والأرضَ وما بينهما وملء ما شئت من شيءٍ بعده.

ثم وجهت حديثها له بثبات:

-بقول دة بس أنا بقولك اللي تحفظه الوقت

لم يدرِ ما الذي دعاه للإبتسام، لكنه فعل، وتبعها بحديثة الجاد:

-عيديه تاني

-ربنا ولك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مُبَاركًا فيه ملء السماواتِ والأرضَ وما بينهما وملء ما شئت من شيءٍ بعده.+

-ربنا ولك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مُبَاركًا فيه ملء السماواتِ والأرضَ وما بينهما وملء ما شئت من شيءٍ بعده.

نظرت له بعد أن سمعته يقوله بلا أخطاء ثم أومأت رأسها ايجابًا وهي تبتسم له، لتتابع بعدها الباقي. فعادت لنفس وقفتها، ثم كبرت وسجدت، وقالت سبحان ربي الأعلى ثلاثًا، ثم قامت من السجود جالسة على قدميها وقالت ربِ اغفرلي ثلاثًا، ثم سجدت من جديد قائلة سبحانك ربي الأعلى ثلاثًا، ثم قامت ونظرت له على فورها، وبدأت تتحدث باهتمام:

-أي دعاء قولته ٣ مرات قابل للزيادة، والسجود دة المناجاة، تقدر تعتبر إن السجود دة هو المجأ إللي بيقربك دايمًا من ربنا، والرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" تقدر تدعي براحتك.

أخذ نفسًا طويلاً ثم سألها بإستفهام:

-وباقي الصلاة؟

-الركعة التانية زيها بس تبدأ من الآية إللي وقفت عندها، ولما هتقوم من السجود تاني مرة هتقول نص التشهد.

ثم وضعت يدها على ركبتها، ورفعت الإصبع الثاني في اليد اليمنى وتابعت بهدوء:

-وهتقول، "التحياةُ لله والصلواتُ والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمةُ اللّهِ وبركاتهُ، السلام علينا وعلى عبادِ اللّهِ الصالحين، أشهد ألا إلاه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"

ثم وقفت فجأة واتجهت نحو مكتبه، أخذت منه ورقة وقلم، وبدأت تخط عليها بعض الكلمات، حتى إذا ما انتهت، ذهبت إليه بالورقة وأعطتها له قائلة:

-دة الدعاء كامل، في أول مرة هتقول لحد إللي معلمالك عليه دة، وفي تاني مرة هتقوله كامل وتسلم، طبعًا أول ركعتين فيهم سورة غير الفاتحة، تاني ركعين بتكتفي بالفاتحة.

وقف صهيب وهو يمسك بالورقة، لكنه كان ينظر لها قبل أن يسألها بخفوت:

-بس أنا عمري ما صليت، الصلاة دي مش هتتقبل!

هزت رأسها نافية على الفور، ثم ردت عليه بخفوتٍ مماثل:

-لأ يا صهيب، أوعى تقول كدة "وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَ شَيْءٍ" مهما كان حجم المعصية ربنا بيتوب، عارف ليه؟ عشان هو بيحبنا، حتى لما بيبتلينا بيعمل كدة عشان يزود أجرنا، ويكتر من ثوابنا ويدخلنا الجنة.

ظلت أنظاره متعلقة بها لآخر كلمة، أجل لقد كانت كلماتها جميلة جدًا، كل مرة كان يسمعها تقرأ فيها يشعر أنه من المستحيل أن يتقرب إلى الله مثلها، ولكن ها هي ببساطة تخبره أنه ليس بالمستحيل، تقلص المسافات بينه وبين ربه بحديثها. هل حقًا نسي ما الذي أشعره بكل ذاك الغضب منذ قليل، أم أنه يتوهم!

وضعت جويرية يدها على كتفه مبتسمة بمودة، ثم أردفت باتزان:

-أسيبك تصلي بقى، أنا كتبتلك كل إللي قولته عشان لو نسيت حاجة، وإيه إللي هتقوله سري وإيه جهري

ثم تركته وذهبت، وظل هو يرمقها بعينيه إلى أن انصرفت، وهو يقسم في نفسه أنها خُلقت لتكون أمًا حنونًا. برغم كل الجمود الذي

تظهره لا يخفى عليه تلك النظرات الحانية
وحتى ابتسامتها تذيب جبلاً من الجليد..
رائعة هي ولا تضاهيها أي قرينة لها، أو أي
أنثى.١

نظر للورقة الممسك هو بها، ثم بدأ يقرأ ما
دون بها بعناية...+

.....+

١٠/٣/١٩٩٦+

في وسط الصحراء مساءً..

كان هناك شخصًا ما لا يظهر منه شيء إلا
وشاح أسود، وبضع خصلات صفراء تتطاير
من شعره، أو شعرها، لقد كان المكان معتمًا
بما فيه الكفاية لكي لا ترى هيأته. كان ممسًا
بمحراثه، ومستمرٌ في الحفر. حتى إذا ما
سمع صوت احتكاك المحراث بشيء صلب،

تركه سريعًا من يده، ثم بدأ يحفر بيديه.. بعد القليل من الوقت، بدأ يظهر هذا الشيء الذي نقب هو عنه. لقد كان.. كان هيكل عظمي لإنسان، جمجمته في بداية الحفرة، وجسده في نهايتها. حينها لم يبدُ على ذاك الشخص التأثر، بل وكأنه ينظر له متشفيًا. لم يمضِ الكثير من الوقت حتى انتصب ذاك الشخص وسار على بضع خطواتٍ أمام تلك المقبرة، حتى وقف أمام جسدٍ لأحدهم، يحمل طعنةً في بطنه ووجه قد تم اخفاؤه بقماشة، ثم بدأ يجره من قدمه إلى أن وقف أمام المقبرة. وببساطة ألقاه فيها وكأنه يلقي كيسًا عفنًا في صندوق القمامة.

استمرت نظراته للجسد والهيكل بغموض لفترة، قبل أن يبدأ بردم الحفرة عليهما من جديد. وبعد أن انتهى وقف سريعًا وبدأ

بنفض الغبار من على ثيابه، قبل أن ينظر ذاك الشخص إلى الرمال على بضع خطوات منه، ثم سار نحوها حتى وقف أمامها، وأخرج ورقة من جيب معطفه الأسود الطويل، ثم جثنى على ركبته ليحفر حفرة صغيرة ويدفن تلك الورقة فيها.. تلك الورقة البيضاء الذي خُط عليها بلون الدماء "نفذت وعدي، فلتركضي عزيزتي بسلام"..ثم ردمت الحفرة على الورقة وعيناها ينبعث منهما وهج من السعادة الغريبة.....!!!١

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الرابع والأربعون:

+

+

أمام ذاك البحر الهائج، وتلك الأمواج العاتية، وبين اختلاط أصوت الهدير مع تلاطم الأمواج، هناك تلك الواقفة بثبات. تنظر بجمود له وكأنه منجاة، منجاة من الوحدة والألم، منجاة من المواساة. تجذب الرياح شعرها بلطف بين الحين والآخر، فيتطاير للخلف أو يهتاج.

أخذت نفسًا عميقًا من نسيم البحر المنعش، وأغمضت عينيها لتحظى ببعض السكينة التي فارقتها منذ زمن. وبإبتسامة باهتة تحسست بطنها المنتفخة، ثم نظرت للبحر بوجوم وبدأت تتحدث بالأجنبية، وإليكم الترجمة:

-ولدي العزيز، أنت امتزاج بيني وبين رجلٍ أكرهه، ومع ذلك لم أستطع أن أكرهك

وأنبذك مثلما فعلت مع والدك، ربما لأن نصفك الآخر مني، أو لأنك داخلي أنا!

نظرت للأمام بشرود، وتابعت وأنظارها متعلقة بإحدى الموجات الضخمة:

-سألت نفسي مرارًا، لما لم أتخلص منك،لكني لم أجد الجواب، أنا أحبك، وأكرهك في آنٍ واحد، ولأجل حبي لك احتفظت بك، ولأجل كرهي لك، أظل ألوم نفسي على احتفاظي بك.

أريدك أن تعلم أني لست شريرة أو تلك المتسلطة عديمة الرحمة، أنا فقط صرت أفتقد المشاعر. لقد فقدتها وصار عندي القليل فقط لأحيَ به، أصبح لدي فتور تجاه كل شيء.

صمتت قليلاً قبل أن تنظر لموضع يديها فجأة وتقول بهدوء:

-أتصدك! أمك التي كانت تخشى قطف فرع من غصن عتيق، صارت الآن ترمي بالقلوب عرض الحائط ولا تشعر بأي تأنيب للضمير!

بلى، لا أزال أتذكره حتى الآن وهو يترجاني أن أغير رأيي، أن أعطف عليه بفرصة واحدة لكنني رفضت ووضعت الحساب على المائدة ورحلت، وأيضًا لا أشعر بالذنب!

اختفت ابتسامتها تمامًا، وظهر العبوس والقتامة على وجهها وهي تتابع حديثها بجمود:

-ليس ذنبي، لقد صنع مني ذاك المتجبر مسخًا، يسير على القلوب المسكينة فيحطمها تحطيمًا.

خفت حدة ملامح وجهها تدريجيًا وهي تقول:

-ربما أنت من ستشعرني بالتحسن، فكلما تخيلت قدومك شعرت بالسعادة التي لا أفهمها.. أتعلم؟ أتمنى ألا تكون ولدًا، أتمنى ألا تكون إلا أنثى رقيقة تحب الجميع، مثلي في الصغر. زهرة في فصل الربيع تأخذ بتلاتها اللون الوردي. فهلا تكون أنثى وتحقق لأمك ما ترجوه!+

-أو يكون رجلاً شديد الحنان كعيني والدته، وليس كأبيه!

أخرجها هذ الصوت من شرودها، فالتفتت سريعًا لتنظر لقائل تلك العبارة، وما إن رأته حتى سألته بحمرة الغضب:

-إنت مين، و..و واقف هنا من إمت؟!

نظر لها الرجل باسمًا، ليجيبها بعدها بهدوء:

-أنا لؤي، وأكيد انتي متعرفينيش، أما واقف هنا من إمت.. فصراحة واقف من ساعة ما بدأتي الكلام مع نفسك ومع ابنك!

زاد وجهها غضبًا وشراسة وسألته بانفعال:

-طب أنا بكلم نفسي، إنت إيه دخلك؟!

ببرودٍ أجابها:

-فكرت إن إحنا لما بنكلم نفسنا، بنسمع نفسنا بس مش إللي حوالينا.

أخذت نفسًا عميقًا لتحاول السيطرة على هدوئها، فمعنى أنه أجابها بنفس اللغة، أنه فهم كل حرفٍ نطقته. وعلى الرغم من ذلك بذلت مجهودًا لتجيبه بصوتٍ أقل حدة:

-وإنت عاوز إيه!

رفع حاجباه للأعلى وسألها متهكمًا:

-لأ، إنتي فهمتيني غلط، أنا جاي أشم هوا، مش أعوز من حد حاجة، وأنا حبيت المكان هنا جدًا، ووقفت فيه، ومش ذنبي إنك اتدايقتي إني سمعتك!

نظرت له بضيق، ومادت تستير لتذهب، إلا أنه أردف يستفزها وهو ينظر للبحر:

-أنا فكرتك هتفضلي لحد ما تمشيني!

فأدارت هي وجهها لتنظر له، في حين تابع هو باسمًا:

-القاعدة الأولى في الحياة دي، لازم تكون قوي عشان تعرف تعدي.

تابعت النظر له باهتمام لما يقول، وأكمل هو بنفس الإبتسامة الخفيفة:

-دة مكانك، وأنا أخدته، مفيش رد فعل؟!

فاجأته بردها البارد:

-آجي أضربك مثلاً!

هز رأسه نافيًا مرتين، ثم اقترب منها ثلاث خطوات، فبذلت هي كل ما لديها من جهد لكي تظل ثابتة، لكنها لم تقدر، فتراجعت ضعف الخطوات، حينها استمر هو بالتقدم، وهي بالسير للخلف، إلى أن دخلت قدمها داخل حفرة من الرمال، فوقعت، حينها تقدم هو حتى وقف أمامها، وسرعان ما جثى على ركبتيه ليصير في نفس مستواها، فنظرت هي له برعب، وكادت تزحف للخلف لكنه أمسك فكها بإصبعين وشعر بها وهي ترتجف، فبدأ يتحدث بنفس الهدوء:

-مش بس نظهر القوة دي، لأ لازم نبقى أقوية من جوا بجد.

تركها هو حينها، ثم تابع بتهكم:

-تحبي أصورلك نفسك الوقت، وأوريكي إنتي خايفة مني ازاي!

لمعت عيناها بالدموع، ونظرت للرمال أسفلها بأسف، فهي بالفعل برغم تلك الشجاعة التي تدعيها، إلا أنها جبانة لا تقوى على حماية نفسها.

رفعت بصرها لتنظر له، فلم تجده، وقفت سريعًا وظلت تبحث عنه بنظرها في كل مكان، لكنها لم تبصره. وحين يئست، سارت حتى وصلت إلى سيارتها، ثم اشتقلتها وذهبت.+

+.....

كان مستند الظهر على تلك الشجرة، تلك الشجرة التي حملت الكثير من المشاعر المتناقضة في الأيام السابقة. كان حزين الوجه ينظر بوجوم لكل ما حوله، وعيناه تلمعان ببريق الألم.

لقد كُشف كل شيءٍ، وأصبح هو في نظره الأب الفاسد الكريه.

لم يفعل ما فعله إلا لأجله، فهو يحبه.. لا بل يعشقه ولا يستطيع رؤيته يتألم من حقيقة الأمر.

كيف كان يريده أن يخبره أنه هو والده الحقيقي! كيف يستطيع اخباره أن من يكرهها هو كانت حبيبته وكادت أن تصبح زوجته لولا تخليها الظالم عنه!

وكيف كان ليخبره أنه ابن غير شرعي! كيف، كـيف..؟!

وضع يده بين خصلات شعره بانفعال، وكل ما يسيطر على تفكيره، كيف سيسامحه ولده؟

وقف فجأة وأسرع في خطاه نحو الخارج، قاصدًا سيارته، ثم ركبها، وقادها سريعًا نحو الأمام.

بعد مدة من الزمن، توقف أمام منزل عتيق، برغم تصميمه الفريد من الخارج، إلا أنه يحمل لمحة من الماضي. ترجل هو من السيارة بعد أن أخرج مفتاحًا فضيًا من درج السيارة، ثم سار نحو البوابة وقد بدأ سيلٌ من الذكريات المطوية تلاحقه، وصوتها ينفذ من خلال أذنه وهي تقول:

-أنا حياتي في مذكراتي، أنا لو مكتبتش يوميًا ممكن أموت.

ثم تكرر الجملة من جديد "أنا حياتي في مذكراتي" "أنا حياتي في مذكراتي" "أنا حياتي في مذكراتي"..

هذه الكلمات هي ما قالتها له في حلمه في الأيام السابقة، فقد كان يحلم بها باستمرار وهي تردد بهدوء تلك الكلمات.

أسرع أكثر حتى وصل إلى باب المنزل، فتحه بارتجال وكاد أن يلج للداخل، إلا أن رائحةً الذكريات تسللت إليه، حاول نفض جميع الأفكار عن عقله، ثم أغلق الباب خلفه، وفتح الضوء. وها هو المنزل الذي منع نفسه طويلاً من زيارته، هو فيه الآن، وينظر في كل ركن من أجزائه المشبعة بالذكريات.

أخذ نفسًا عميقًا، وسار قدمًا نحو الغرفة المواجة له، ثم بدأ يبحث بين الأرفف وتحت الوسائد، وحتى وفي كل أنحاء الغرفة، وحين لم يجد شيئًا، وبدأ يهده التعب، جلس متهالكًا وهو يحدث نفسه بحزن:

-مش معقولة، هتكون حطاها فين يعني، وبعدين دي كل يوم تجيلي في الحلم.

زفر بضيق، وقرر أن يبحث في الخارج، ثم وقف وكاد يسير إلا أنه تذكر شيئًا، فاستدار سريعًا إلى السرير، وبدأ بسحب المرتبة بكل ما يملك من قوة، حتى أوقعها أرضًا. ثم بدأ يزيل الألواح الخشبية واحدًا تلو الآخر، حتى إذا ما نزعها جميعًا، ظل ينظر جيدًا بداخله، فشعر بخيبة الأمل حين لم يجد شيئًا، لكنه مالبث أن تحول إلى بارقة أملٍ حينما وجد ذلك الدفتر الوردي مخفي ومستندًا على

ظهر السرير لكي لا يراه أحد. وبدون أدنى تفكير، أمسك بذاك الدفتر، ونفض بعض الغبار الذي تراكم فوقه، بيفتحه سريعًا بدون حتى أن يفكر.+

+.....

حل المساء، وها قد انتهى توًا من صلاته، نعم، فهو يصلي منذ أكثر من ثلاث ساعات، ثلاث ساعات استشعر فيها كم الذنوب التي ارتكبها في حياته، ثلاث ساعات حاول أن يتوب فيها، أحيانًا قد نتعلق بشخصٍ من أول مرة نراه فيها، ما بالك بربٍ عفو كريم استشعر لذة عبادته فقط في هذه الساعات الثلاث، وتعلق قلبه به كما لم يتعلق من قبل.

لقد تركت له مصحفًا، وورقة دونت له فيها كيفية الصلاة، وبسمة رقيقة تجلت على

محياها قبل الذهاب، لقد تركت له الحبل
ليصعد من الهوة الساقط هو فيها.+

استند على السرير خلفه وهو ينظر للأعلى
بشرود. ود لو ذهب وشكرها فقد تحسن
كثيرًا، تحسن لدرجة أنه بدأ يرى الأمر بطريقة
أقل حدة وألمًا. وما لبث أن انتصب واقفًا،
ممسكًا بالمصحف الشريف بين يديه، ثم
سار مبتعدًا عن فراشه، وأرض غرفته.

ظل يسير في الرواق حتى وصل إلى غرفتها،
وكاد أن يطرق الباب إلا أنه لاحظ ظلام
الغرفة. لحظات تردد فيها أيلج للغرفة أم لا!
ولكن سرعان ما اتخذ قراره وفتح الباب
بهدوء، وكما توقع وجدها نائمة، دلف عليها
ثم أغلق الباب خلفه بحرص، ودنى منها.

كانت نائمة في بداية الفراش، وقد تركت
شعرها الأسود ليحل محل غطاء الوسادة، يا

إلهي حتى وهي نائمة لا تشبه الملائكة أبدًا، بل لها هيبة وغموض يغلف ملامحها حتى أثناء نومها. ابتسم لها برفقٍ ثم جلس على الفراش بجانبها، ومسح برفق على شعرها، ثم تحدث بخفوت شديد:

-على فكرة، أنا بقيت أحسن من الصبح.

صمت لبعض الوقت وهو يتابع سكونها، وانتظام انفاسها، ثم تابع هامسًا بهدوء:

-تعرفي، مهما حاولتي تتظاهري بالقسوة مش هتعرفي، أو ممكن تعرفي بس مش عليا أنا.

مسد على شعرها بابتسامة حانية وهو يكمل:

-عارفة ليه إنتي مختلفة في نظري يا جويرية، عشان مبتخافيش، بتقولي الحق دايمًا ومش

بتخافي من النتايج، صريحة ومبتلفيش، قوية، والأهم من كل دة إني اتعلقت بيكي من يوم ما شوفتك، حتى لما كنت بحلم، كنت بحلم بيكي، ولحد الوقت مش مصدق إني اتعلقت بيكي كل دة في الوقت دة بس!

استلقى على الفراش قليلاً معدلاً من جلسته، ثم أمسك يدها الموضوعة على الوسادة بجانبها وشبك أصابعه بأصابعها وهو ما يزال يربت على شعرها باليد الأخرى. ثم حاول نفض كل الأفكار عن رأسه حول ماضيه وحاضره ومستقبله، وحول كل ما يضايقه، ليقول فجأة بغموض:

-صح أنا معرفش إنتي ولا مرة فاتحتيني بموضوع جوازنا، وواثق إنك بتخططي لحاجة، بس قسمًا بالله أفكارك لو ودتك بعيد عني.

صمت قليلاً وهو يغمض عيناه، ويتابع بهدوء بعدها:

-هودي أفكاري قريب منك.

ظل ينظر لها صامتًا لدقائق طوال، حتى لم يعد يشعر بنفسه وأغلق عيناه ليغفوا بجانبها.+

+.....

اللّهُ أَكبَرُ اللّهُ أكبَرُ. أشْهدُ ألاَّ إِلاهَ إِلا اللّهُ أشْهدُ ألاَّ إِلاهَ إِلا اللّهُ...+

فتحت عينيها على صوت أذان الفجر، وكادت أن تقوم من على الفراش إلا أنها لاحظت شيئًا غريبًا. رمشت بعينيها عدة مرات لتتأكد مما تراه، أهو حقًا نائمٌ بجانبها الآن!، رفعت حاجباها بدهشة وتساءلت مع نفسها بخفوت:

-دة إجى إمت دة؟!

حاولت أن تقوم من جديد، لكنها وجدت إحدى يديه فوق شعرها، والأخرى ممسكة بيدها، متخللة أصابعها بإحكام. ظلت تنظر له بدهشة، وتابعت مردفة بهدوء:

-يعني أنا لو ههرب يا صهيب أكيد مش ههرب دلوقت!

ثم تبعتها بضحكة خافتة على طريقتها التحليلية، وبحذر نزعت يده من على شعرها، والأخرى من بين يديها، ثم نزلت من على الفراش بهدوء شديد.

دلفت إلى الحمام، وتوضأت، ثم ارتدت عباءتها واتخذت القبلة وبدأت تصلي.

وما هي إلا لحظات، واستيقظ هو الآخر، فتح عينيه فوجد نفسه في غرفتها، ولم يجدها

بجانبه، فلام نفسه على نومه المفاجئ بجانبها، فهو لم يدرِ بنفسه وهو يغفوا ممسكًا بيدها.

اعتدل جليسًا ليتفاجأ بها أمامه تصلي، وفي نفس الوقت سمع صوت إقامة صلاة الفجر، فنزل هو الآخر واتجه للحمام، ثم توضأ، وسار حتى وقف في مكان بعيدٍ عنها، وبدأ يصلي، بعد أن تذكر عدد ركعات هذا الفرض،

أنهت هي صلاتها قبله، ثم بدأت تخلع حجابها، وعباءتها وهي تنظر له باسمة بهدوء، فهي لم تنوِ إيقاظه حتى لا يمل من العبادة سريعًا، لكن بعد أن استيقظ هو بنفسه أشعرها حقًا بالسعادة. ذهبت نحو الفراش ثم استلقت عليه، وهي ما تزال تنظر له، حتى أنهى صلاته هو الآخر، حينها نظر لها هو أيضًا وهو يحاول أن يستشف ما بها، لكن

تعابيرها لم تظهرشيئًا، الشيء الذي دعاه للحديث متسائلاً بهدوء:

-صح كدة؟

لم تدرِ بنفسها وهي تبتسم له تلقائيًا وتجيبه بنفس الهدوء:

-صح.

وقف حينها واقترب منها وهو يردف ببساطة:

-طب اتاخري

رفعت حاجباها سارخة وهي تسأله بتهكم:

-ودة من إيه!

بنفس بساطة عباراته، أخذ هو الجزء الأيسر من الفراش، ورد عليها ببرود:

-من بعض ما عندكم.

هزت رأسها للجانبين بيأس منه، ثم أدارت نفسها للجانب الآخر، فالأمر ليس بالمعقد، بسيطة إن أراد أن ينام هنا، فهي تعرفه جيدًا، صهيب لن يقترب منها إلا إن سمحت هي له، وطالما أنه لن يسبب لها الإزعاج فلا ضير إن أراد أن ينام هنا. وقبل أن تغمض عينيها قالت محذرة:

-لو حتى بس جة في تفكيرك بس انك تشخر، هتصحى تلاقي نفسك في الشارع.

أجابها بإستفزاز:

-أنا برضوه اللي بشخر!

قاومت رغبتها في قتله بصعوبة، وكأنه نعتها بسباب لاذع للتو، ثم ردت بهدوء غريب:

-لأ أنا.

ابتسم لنفسه فهي أهدأ من الهدوء وهي يقظة فما باله وهي نائمة، حتى أنه لا يسمع صوت أنفاسها!

لكنه صمت قليلاً، وهو ينظر لها وهي توليه ظهرها. وأغمض عينيه لينام بعدها.

خمس ثوان فقط، وفتح عينيه من جديد، ليسألها بهدوء وترقب:

-جويرية، هو إنتي وافقتي نتجوز ليه؟!

أخذت نفسًا طويلاً قبل أن تجيبه بشرود:

-ما أنا قولتلك قبل كدة، مكنتش عاوزة براء يـ..

قاطعها متضايقًا:

-مقصدش، أنا أقصد إنك شكيتي إني ممكن أعمله حاجة زي كدة، أنا يوم ما خطفتك مشكتيش حتى إني ممكن أعمل حاجة؟!

بدون تفكير أجابته:

-أنا مكنتش بفكر ساعتها يا صهيب، أنا كنت عاوزة براء يبقى كويس وبس، وإنت صوتك كان مبين انك بتخطط لحاجة مكنتش أنا قادرة أتحملها في الوقت الراهن.

سألها بسرعة:

-يعني مكنتيش هتوافقي لو مكنش حصل حاجة!

نظرت له بوجوم للحظة، ثم ردت بجمود:

-أكيد.

زاغت عيناه وحول نظره بعيدًا عنها، رغمًا عنه شعر بالإنزعاج، بالرغم من أنه كان واثقًا من إجابتها تلك. ومع ذلك تابع بهدوء جاد:

-طب ومستنية إيه!

صمتت قليلاً، وظلت عيناها شاردة في نقطة بعيدة، لتجيبه بثبات بعدها وهي تبتسم باستنكار:

-ماما قالتلي مرة، لو في يوم خدتي قرار لازم تبقي أده، ولو منتيش أده متاخديهوش، وأنا يا صهيب مقدرش أكسر كلمة ماما قالتهالي، ولا معملش بنصيحة كان أملها بيها تصلح حياتي.

نظر لها لثوانٍ وقد بدأ يندم على فتحه لهذا الموضوع، لماذا كل الطرق تقود للموتى! لما كل شيء في الحياة متعلقٌ بالماضي! أما

يستطيع المرء أن يحيَ يومًا دون تذكر ما حدث في الماضي!

-أمك كانت بتحبك!

وبدون أن يشعر بنفسه، سألها ذاك السؤال الذي أدرك غباءه بعد تفوهه به.

حينها أجابته هي بسكون:

-ماما، مكنتش مجرد أم يا صهيب، كانت كل حاجة، كانت الأم والصديقة، والحبيبة، كانت القدوة، والمعلمة، كانت الحياة.

اندهش هو من طريقتها في التعبير عن والدتها، وكأنها تعبر عن حبيبها مثلاً، لكنه أدرك في ذلك الوقت فقط أنه قد بدأ يضغط عليها، لقد ذكرها بالكثير..

حاول الإبتعاد عن هذا الموضوع، فأردف بترقب:

-أنا رايح الشغل النهاردة.

لم يظهر الإهتمام في نبرتها وهي تجيبه بفتور:

-صح

ضيق حاجباه وسألها بحيرة:

-صح إيه؟

نهضت من على الفراش بهدوء، ثم نزلت
فجأة من عليه، و نظرت له بثباتٍ لتردف:

-طيب، نام إنت وأنا هقف فوق شوية.

سارت عدة خطوات بعيدًا عنه، وسلط
صهيب أنظاره المشدوهة عليها قبل أن
يسألها بترقب:

-أنا ممكن أقوم لو...!

قاطعته باسمة وهي تستدير له:

-مقصدش، بس أنا فعلاً حاسة إني محتاجة أشم هواء.

وبدون أن تضيف حرفًا تركته عاقدًا حاجبيه بحيرة، وذهبت.

خرجت من الغرفة بخطًا هادئة، متجهة إلى السُلم الذي يقودها للأعلى، كانت متجهمة الوجه شاردة الملامح إلى حدٍ كبير. فبعدما ذكَّرها بزواجهما، تلقائيًا تذكرت والدها الحبيب، وليس هذا فقط بل بدأت تستعيد ذكرى وفاة والدتها أيضًا وكأنه أحيا ذكرى كانت تحاربها منذ الصباح.

بدأت تصعد الدرج وهي تتذكر تلك اللحظة التي لن تنساها ما حيِيَت..+

+.....

كانت جويرية واقفة أمام الفراش الذي تنام عليه والدتها، وكان والدها جالس بجانبها، وها هو براء واقف على عتبة الباب مستند بظهره يرنوهم بحزن.

توقف الجميع عن الحديث، صمت رهيب يطبق على كل بقعة من الغرفة، فهم جميعًا مدركون أن هذه سكرات الموت. جميعهم يبكون في داخلهم وينزفون الألم، ولكن أحدًا لم يتجرأ على إظهار دموعه تلك. نظرت ميادة لهم بعتاب وأردفت بصوتٍ خفيض منهك:

-مالكم كلكم، أنا عاوزاكم بتضحكوا في وشي!

ثم وجهت عينيها نحو ابنتها وهي تتابع:

-أنا عازة أتكلم مع جويرية شوية لوحدنا.

استسلم كلاهما لطلبها وخرجا من الغرفة بعد بضع نظراتٍ حزينة وواجمة، وسرعان ما جلست جويرية مبتسمة رغم ما فيها، وأمسكت يدها وهي تسألها بخفوت:

-نعم يا حبيبتي!

نظرت لها ميادة بعطفٍ، وهي تجيبها مبادلة إياها الإبتسامة:

-كنت عارفة إنك الوحيدة إللي هتضحكي في وشي حتى لو بموت.

صمتت قليلاً تأخذ أنفاسها التي بدأت تتقطع، وتتابع بصعوبة:

-إنتي إللي كنت بفتخر بيها دايمًا يا جويرية، بقوتك وبأدبك وأخلاقك، وبدينك، بكل خاجة فيكي، عشان كدة اوعديني، موتي

ميغيركيش، افضلي بنتي إللي أعرفها لحد ما نتقابل تاني.

لمعت عيناها، ومع ذلك حافظت على ابتسامتها النقية، واحتضنت يدها بكفيها، لتجيبها بعدها بدفء النبرات:

-ماما، حبيبتي، أنا مش عاوزاكي تشيلي هم لأي حاجة، بنتك هي بنتك مهما حصلها. بنتك خدت منك كل القوة دي، ومش هتفرط في حاجة جاية منك.

ضحكت ميادة بسعادة، ودمعت عينها هي الأخرى، تعلم هي تمام العلم أن موتها سيؤلمها لحدٍ رهيب، كما آلمها موت أختها، لكنها تعلم إلى أي درجة يصل العشق في قلبها لها. ومع ذلك، وبرغم كل ما تعانيه، تبث لها الإطمئنان بحنو عباراتها. تحاول

جعلها لا تشعر بالذنب لتركها إياها، أي ابنة تلك، أي حبٍ هذا!

مدت يدها لتتلمس وجهها، فساعدتها جويرية على ذلك، في حين أردفت ميادة بهدوء:

-أنا عاوزاكي تخلي بالك منهم، وتخلي بالك من عبد القدوس، إنتي عارفة إن كل دة صعب عليه. وبراء، أنا أخدتوا ورضعته مخصوص عشان يوم زي دة، افضلوا بتحبوا بعض كدة دايمًا زي ما أنا عودتكم.

أومأت جويرية رأسها بثبات، فتابعت الأم وكأنها تلفظ عباراتها الأخيرة:

-وقبل أي حد، عاوزاكي تخلي بالك من نفسك.

ثم لفظت أنفاسها الأخيرة وهي تردد:

-أشهدُ ألاَّ إِلاهَ إِلا اللّهُ... وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ و رسولهُ.

أشهدُ ألاَّ إِلاهَ إِلا اللّهُ... وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ و رسولهُ.

ثم سقطت يدها، ومعها سقطت عبرة ابنتها، ثم قبلت رأسها لتمسح بعدها على شعرها وهي تردد بألم:

-إنا لله وإنا إليه راجعون.

أمسكت يدها، ووضعتها على صدرها في الأعلى، ثم وضعت الأخرى عليها، وغطتها بالغطاء. ثم خرجت إليهم بكل قوتها وأردفت بهدوء عجيب:

-إنا لله وإنا إليه راجعون.+

بعد أن توفت والدتها لم تبكِ يومًا أمام مخلوق، وصارت أكثر جمودًا، لكنها ومع ذلك

كانت تبكي حين تختلي بنفسها، ظل بكاؤها فقط لثلاث أيام، وبعدها بدأت تجمع شتات نفسها الضالة وتمنعها من إظهار ضعفها حتى أمام نفسها. وبدأت تنفذ وصية والدتها وتعتني بوالدها كأنه الحياة وما فيها.. لكن حين كان يشتد بها الألم كانت تفقد وعيها مباشرةً، وكأنه تعويضٌ عن البكاء أو ما شابه.. وهاهي تقضي باقي عمرها على ذاك النحو..+

+....

أفاقت من شرودها، ونظرت للسماء فوقها، لم تشرق الشمس بعد، والسماء ما تزال كما هي، يتوسطها قمرٌ مضيء، وجانبه ازدان بأجمل النجوم. بدأت تشعر ببرودة الجو فضمت نفسها بيديها، وهي تحاول الإبتعاد عن أي ذكرى مؤلمة أخرى..

أحيانًا تخرج باكية القلب من ذكرياتها، وأخرى تشعر وكأن الذكرى تواسيها بعد الشوق والحنين. مدت يدها إلى شعرها، وأرجعته للخلف لتطايره على وجهها، وتوقفت عيناها عند اسطع نجمة رأتها، وتوقفت عن التفكير.

ولكنها شعرت بالدفئ فجأة، وكأن أحدهم قد دثرها للتو، وبالفعل لقد رأت هذا الوشاح الأحمر الذي وُضع عليها، وتبعها صوته الهادئ:

-الجو برد، تعالي ننزل تحت

بهدوء مماثل سألته، وهي لا تنظر له:

-منامتش ليه!

أجاب بروية:

-مجاليش نوم.

أومأت رأسها، ولم تعقب، وكان الصمت سيد الموقف لدقائق، إلى أن قال هو بخفوت:

-بتفكري في إيه.

-مش بفكر

ثم أخذت نفسًا عميقًا، وزفرته بروية وهي تردف بسكون النبرات:

-تعرف إن عمري ما فضلت الفترة دي كلها قاعدة في البيت.

سألها مستفهمًا:

-يعني عاوزة تخرجي؟

هزت كتفها، وهي تنظر له، ففهم ما تلمح إليه، وتابع ببساطة:

-كنتي تقدري تقوليلي في أي وقت حابة فيه!

تلقائيًا أجابت:

-بسيطة.

رفع حاجباه مستنكرًا وهو يردف ساخرًا:

-صح نسيت، كل حاجة عندك بسيطة.

ثم وقف خلفها ووضع يده على كتفاها وهو يتظاهر بأنه يعدل موضع الوشاح، ليتابع بجدية:

-بس فعلاً بسيطة، حضري نفسك النهاردة الساعة ٨ بالليل هنخرج، بس اعملي حسابك مش هنرجع النهاردة.

أجابته ببرود مستفز دون أن تنظر إليه:

-ماشي.

نظر للسماء يلتمس الصبر، لقد توقع حتى أن تسأله إلى أين، ثم عاد ينظر لها وهي توليه ظهرها، ويسألها بصبرٍ قدر الإمكان:

-طب يلا

حلت ساعديها، ثم استدارت تنظر له، وتجيبه بفتور:

-مش عاوزة أنزل، هقف هنا لحد ما الشمس تطلع.

سار هو أمامها بضجر وهو يردف غير آبه:

-خلاص انتي حرة، أنا هنام شوية قبل ما أروح.

زفرت جويرية بحنق، ثم اختارت مكانًا تتخذه مجلسًا، وجلست ناظرة أمامها بشرود، وصمت..+

أما هو فقبل أن يذهب استدار لينظر لها لآخر مرة، ثم ابتسم بهدوءٍ وذهب.....!!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الخامس والأربعون:

+

+

+

٢٠٠٥

دلف ذاك الشاب إلى ذلك المكتب وقد ارتسمت ابتسامة جذابة على محياه، واقترب من مكتب الأخير الجالس عليه. ثم قال بمرح:

-إيه يا بابا، قولتلي آجي ليه كدة، دة إحنا لسا شايفين بعض الصبح لحقت أوحشك!

نظر له والده بشرود، وقد كان وجهه شاحبًا لدرجة غريبة، فسأله الشاب بجدية وقد بدأ يقلق:

-بابا، مالك!

نظر له الأب فجأة ورد بحزم:

-مفيش، كويس، أنا بس كان فيه حاجة عاوزة أقولهالك.

اقترب الشاب من والده وقد بدأت علامات الرعب تكسوا وجهه، فهو غير معتاد على رؤية والده على ذاك الحال.

وضع يده على كتفه وسأله باضطراب:

-فيه إيه يابابا؟

أذ نفسًا عميقًا ثم سأله بهدوء:

-اتصلت ببراء النهاردة؟

اتسعت عيناه رعبًا وهو يردد بقلق:

-ليه حصله إيه.. فيه إيه؟

أجابه بحذر:

-متخافش مش براء، دي أخته يا معتصم.

ازدادت عيناه اتساعًا، وصمت من هول الصدمة، ليسأله بعدها بسرعة وهو يحرك رأسه بانفعال:

-أخته أنهو!! وإيه إللي حصلها!

أغمض عينيه بإرهاق، ووضع يده على جبهته ليتفادى الصداع الحاد، ثم أجابه بهدوء:

-اتعرضت لإغتصاب جماعي، وحالتها حرجة جدًا في المستضفى الوقت.

اهتز قلبه من موضعه، وصارت ضرباته كما لو أن هناك مطرقة بالداخل تطرق على جُدر قلبه، وبرعب النبرات سأله:

-أنهو واحدة!

رفع والده أنظاره إليه، وأجابه بعد أن أخذ نفسًا عميقًا:

-سوفانا.+

.....

٢٠١٠

استفاق معتصم من ذكراه على صوت ابنته تردف بمرح:

-بابا، بابا أنا لبست.

أومأ رأسه وابتسم لها ابتسامة شاحبة، فشعرت تالا بشيء مختلف به، لذلك سألته عابسة الوجه:

-بابا، هو إنت زعلان مني؟

نظر لها معتصم وقد رسم ابتسامة حانية على وجهه، ثم اقترب منها وحملها قائلاً بنبرة حاول اكسابها الهدوء:

-ليه بتقولي كدة؟

أجابته سريعًا:

-عشان مش رديت.

ضحك ضحكة خفيفة، ثم قبلها من وجنتها وهو يجيبها برفق:

-لأ مش زعلان، وبعدين بابا بيحب تالا ومش بيزعل منها خالص.

ارتسمت ابتسامة عذبة على وجه الصغيرة، وهمت بضمة بقوة ثم قبلته في خده، حينها ضمها الأخير بحب.

لقد كان دائمًا يشعر بأنه مذنب في حقها، فمنذ أن جاءت الدنيا لم ترَ أُمًا لها، لذلك حاول أن يكون الإثنين بالنسبة لها، لكن الأمر ليس بالهين، فمهما كان عطفه عليها وحبه لها، تبقى الأم أُمًا، تبقى مصدرًا للدفئ والحنان، أحضانها ينبوع من الأمان.

أخذ نفسًا عميقًا لينتبه أنها قد ابتعدت عنه وتنظر لها باسمة. لذلك أنزلها ثم أمسك يدها قائلاً بروية:

-أوعي تضايقي مس فيروز، أنا هبعتك معاها النهاردة زي ما طلبت مني امبارح، بس بعد كدة مش هينفع وهرجع أوديكي بنفسي.

عبست، فسألها رافعًا حاجباه بدهشة:

-إيه مش عاوزاني أوديكي!

هزت رأسها نافية، ثم أجابته ببراءة طفلة في الخامسة من عمرها:

-عاوزة أروح معاها.

-طب ما وأنا؟

وضعت اصبعها في فمها تفكر قليلاً، ثم تابعت بسرعة:

-هي تودیني، وإنت تجبيني

قلب يديه ناظرًا لها، متسائلاً باستنكار:

-دة على اساس إن هي شغالة عندك، طب أنا ومغلوب على أمري، هي بقى إيه ذنبها!

مطت شفتيها بانزعاج، وكتفت يداها ولم تجبه، فابتسم لطفولتها، ثم حملها كحركة

مفاجئة، وسار بها إلى أن وصل للباب، ثم ارتدى نعله، وخرج حاملاً إياها.+

+.....

نفس المكان، ونفس التوقيت، وها هي واقفة حتى بنفس الفستان الذي ارتدته في المرة السابقة. لكنها أبدًا لم تركز على البحر الذي أمامها اليوم، هي تركز علي شيءٍ آخر. لقد توقعت أن تراه مجددًا، لماذا؟ هي لا تدري، وقد تعتبر أنها ساذجة فمن هو الشخص الذي قد يأتي في نفس الوقت هنا كل يوم.

أرادت رؤيته من جديد، لقد انتابها هذا الفضول لتعلم كيف وصلت به الجرأة ليفعل ما فعله بها في المرة السابقة!

من المؤكد أنها سوف تعاتبه وبقسوة إذا رأته اليوم من جديد، ثم تخبره ألا يقترب من حياتها مرة أخرى. هل هذا منطقي؟!

سألت نفسها هذا السؤال، وتتابعت الأسئلة الإستنكارية، كيف لها أن تأتِ إلى هنا لتلقاه لأجل إخباره فقط أن يبتعد عنها! أهي بكامل قواها العقلية!! ثم أنها.. حسنًا، ما الذي ستفعله إن رأته! يا للهول لم تفكر بالأمر حتى!

أخذت نفسًا عميقًا مع نفسها وهي تلومها لمجيئها إلى هنا، وفي النهاية اية قررت ترك المكان والذهاب، وسارت عدة خطوات مبتعدة، فبالطبع إن رأته لن تـ..+

-أخدتي قرار، لازم تكوني أده.

أوقفها صوته الهادئ، ثم استدارت له، لتراه أمامها من جديد، سار هو بضع خطواتٍ حتى أصبح أمامها مباشرةً، ثم تابع بنفس الهدوء:

-كنتي هتهربي ليه؟

أجابته بغضب:

-مكنتش ههرب، أنا بس جيت شوية وماشية.

سار حتى وقف بجانبها، هي تنظر للبحر، وهو ينظر للرمال، ثم سألها بتريث:

-يعني مش عشان تشوفيني؟

برغم البرودة التي انتابتها من وقوفه إلى جانبها، إلا أنها أصرت إصرارًا رهيبًا على الوقوف ثابتة، حتى ولو كانت ترتجف من الداخل، ومع ذلك أشعرها حديثه بالسخونة

من الانفعال، هل يتعمد الضغط على مراكز الغضب لديها!

-لأ، مش عشانك طبعًا.

تلك كانت إجابتها المقتضبة، فابتسم بهدوء، ثم سار للأمام مردفًا ببساطة:

-يبقى هضطر أقولك مع السلامة.

وأخذ يبتعد عنها بخطى هادئة، متريثة. استدارت هي لتنظر له للحظات، قبل أن تسير بخطى سريعة وهي تردف بصوتٍ عالٍ:

-استنى، استنى شوية.

اتسعت ابتسامته ووقف في محله، ثم استدار لها فوجدها قد باتت أمامه. فسألها ببرود:

-نعم!

عبست بملامح وجهها وهدرت به:

-مش من حقك!

رفع حاجباه مستعجبًا وكاد أن يتحدث، إلا
أنها تابعت بغضب وهي تلوح بيدها:

-مش من حقك أبدًا إنك تيجي براحتك،
وتمشي براحتك! مش من حقك تحكم عليا
إني ضعيفة لمجرد إنك متعرفش حاجة عني!
مش من حقك تفكر نفسك فاهمني أكتر
من نفسي، إنت سامع، مش حقك.

بدى هادءًا وكأن شيئًا لم يكن، وسألها بإتزان:

-طب إيه إللي من حقي؟

صمتت هي حين بتر العبارات في فمها
بسؤاله البارد، لكنها أجابته بعد مدة بحدة:

-مش من حقك تدخل في حياتي.

أومأ رأسه مرة واحدة، وتحدث بعفوية:

-ما أنا كنت ماشي عشان متدخلش وإنتي ندهتيلي!

كادت أن تصرخ بوجهه مش شدة الحنق، والغضب، منذ زمنٍ بعيد لم تغضب إلى ذاك الحد، لكنه.. لكن..

-خليك واقف هنا.

تلك كانت جملتها قبل أن تنصرف وتتركه واقفًا يتابعها وخي تنصرف! ، أغمض عينيه وفتحها مستعجبًا منها، قاطبًا حاجباه.+

+...

سارت هي بعيدًا عنه، وهذا جيد، فهي من قررت ما ستفعله هذه المرة، وهي من

ذهبت قبله، وهل أرضت نفسها بتلك الطريقة!

وقفت فجأة حين وصلت أمام سيارتها، ثم استدارت لتستند عليها وتضحك بطريقة غريبة، وما لبثت ضحكتها أن تحولت لبكاءٍ حاد.+

تساءلت لماذا تمر بكل تلك الضغوط النفسية يومًا بعد يوم! أما آن الأوان لتعود كاثرن القديمة. كاثرن الفتاة المرحة الرائعة، أين هي من كل هذا!

فتحت باب السيارة، ثم ركبتها، وبدأت تمسح دموعها، وهي تفكر أنها يجب أن تتخذ خطوة جادة للأمام، فهذا لا يمكن، حياتها وحياة وليدها ستدمر إن ظلت تائهة إلى تلك الدرجة.+

فجأة نظرت أمامها وهي تفكر بأمرٍ ما قبل أن تقول لنفسها بهدوء:

-لو كان دة الخيار الوحيد عشان أرجع زي ما كنت، هنفذه.

ثم أدارت المحرك، وانطلقت سريعًا، بوجهها الشاحب...+

+.....

هذه أول مرة تبقى وحدها في هذا المنزل، فقد اعتادت أن يكون موجودًا إلى جوارها دومًا، حتى ولو كانت لا تريده. فتحت ضلفة خزانتها بهدوء، وأخرجت منه ورقة كانت تحت ثيابها. ثم نظرت لها مبتسمة ببوجوم.. حينها بدأت تتذكر حين رأت تلك الورقة أول مرة، رأتها اليوم الذي تلا يوم مجيء عمه إلى هذا المنزل.

ولن تنكر أنها قد أصابتها حالة من الدهشة حين قرأتها، فلم تصدق أنه من خط تلك العبارت المجنونة.

ثم أعادت قراءة الورقة بهدوء:

-"خُذي رَأسِي وَلا تَمنَعي اِبتسامَتكِ أَنْ تَطالَ عَيني"

"خُذي قَلبي وَظلي مَعي لَحظةَ قَضاءِ أَجَلِي"

"خُذي عَيني وَلا تُرينِي دَمعةً تَقتُلنِي قَبل أَنْ تَطأَ وَجنتيكِ"

حين قرأت تلك العبارات للوهلة الأولى شعرت بالانزعاج، فقد احتملت أنه.. لربما قد أشفق عليها، لكن مع الوقت تغير الأمر، ربما الدافع ليس اشفاقًا كما ظنت، هي تعلم أنه لم يرها بذاك الضعف يومًا إلا تلك المرة، ومع ذلك كانت كافية لتؤنب نفسها لفترة

طويلة، أو لربكا حتى خففت عنه البارحة قليلاً.

أخذت نفسًا طويلاً وتساءلت:

-براء، مجاش من كام يوم، ومتصلش بيا إلا امبارح الصبح، أول مرة يعمل كدة، و..

كادت أن تتابع، إلا أنها سمعت أحدهم يطرق الباب عليها، وبهدوء سمحت للطارق بالدخول، حيث أنها تعلم خلو المنزل إلا منها ومن الخادمة.

حينها فتح هو الباب، ودلف، فابتسمت بمجرد أن رأته قائلة:

-براء!

بادلها الإبسامة، ثم اتجه إليها مردفًا:

-وحشتيني بالله.

ثم ضمها إليه، فسألته هي بدهشة:

-مش المفروض عندك شغل الوقت!

ابتعد عنها، وهو يجيبها بروية:

-اتأجل، فقولت آجي أشوفك، وبعدين كنت ناوي أجيلك من كام يوم، بس والله غصب عني الشغل آآ..

قاطعته ببساطة:

-إيه يا براء، من إمت بنقدم أعذار!

اتسعت ابتسامته، ثم سحبها من يدها ليجلسا على الفراش، ليسألها بتريث بعدها:

-المهم عاملة إيه، والزفت دة بيدايقك ولا لأ؟

أجابته وهي ترجع رأسها للخلف قليلاً:

-الحمد لله

-طب بيدايقك؟

-لأ

أمسك يدها بإصرار وهو يتابع:

-أنا مستعد أطلقك منه في أي وقت، إنتي بس قوليلي وأنا هعمل كل إللي...

قاطعته جويرية بهدوء:

-يا براء إفهمني أنا..

قاطعها هو من جديد، بوجه عابس، وبنبرة حادة:

-لأ إنتي إللي افهميني، أنا مش عاوز أكون السبب، أنا عارف إنه هددك بيا عشان كدة إنتي خايفة. بس والله هـ..

-براء، عشان خطري إفهم، صهيب مش محتاج لكل دة عشان يرغمني أفضل معاه،

أنا هنا بإرادتي، ولو عاوزة أمشي هو مش هيمنعني.

-طب إيه إللي مانعك!!

-هو إللي لازم ياخد القرار مش أنا، أنا وافقت على الجواز يبقى أبقى أده.

صمت قليلاً وهو ينظر لها غير مقتنع بما قالت، ثم سألها فجأة وهو يفكر:

-لو إنتي مش حابة ترجعي البيت قوليلي وأنا هحل المشكلة دي، أنا عارف إنك بتكرهي الأماكن إللي فيها ذكريات كتير.

سألته بهدوء:

-إنت مش مصدقني!

أجابها بدون تردد:

-آه بصراحة، خالص. أصل إنتي مش..آآ

قاطعته هي بنفس الهدوء والتريث:

-عارفة إنك مستغرب، إزاي أوافق أفضل معاه، بس أنا قولتلك إني خدت القرار دة بنفسي، ومبتراجعش عن أي قرار أنا باخده.

علم هو ألا جدوى من النقاش معها، فصمت.. فمنذ متى تقتنع، هي تقنع وبارعة في ذلك، لكن أن تقتنع! مستحيل.

أخذ نفسًا مطولاً، ثم سألها بفتور:

-طيب ياختي، هو فين؟

-في الشغل.

رفع رأسه لينظر لها، فقد بدى مدهوشًا، وأردف:

-غريبة، أول مرة

بهدوء قالت:

-فعلاً ما دي أول مرة يروح.

-إيه إللي جد!

هزت كتفها غير آبهة وهي تجيبه بضجر:

-معرفش

أومأ رأسه، ثم سألها باسمًا بمودة:

-المهم إنتي أحسن اليومين دول؟

-الحمد لله يا براء، أنا كويسة متخافش عليا، المهم إنت كنت مختفي ليه كدة، إيه إللي حصل؟

تبدلت ملامحه للعبوس، وزفر من الإختناق، ثم أدار وجهه للجهة المقابلة لينظر للأمام، ويقول بعدها:

-مهزلة يا بنتي بتحصل بالله، راجل ملوش ذنب في أي حاجة عاوزين يشيلوه قضية قتل. دة غير إن معتصم إستقال أصلاً.

سألته باهتمام:

-ليه استقال؟

-كانوا عاوزينه يساعدهم في القضية دي ويلفق معاهم، وطبعًا أول ما رفض بدأو يهددوه

سألته وكأنها تخمن الأمر:

-يإيه؟

أدار وجهه قبالتها، وبدى جادًا تمامًا وهو يجيبها بسؤاله:

-بجد مش عارفة؟

وقفت سريعًا وقد اتسعت عيناها وكأنها بدأت تتذكر شيئًا ما، فوقف هو الآخر وسار ليقف أمامها، وتساءل بهدوء:

-يبقى أكيد عرفتي!

نظرت له بعينين جامدتين، وتحدثت بغموض:

-يعني أفهم من كدة انه استقال عشان التهديد دة؟

-لأ طبعًا، و..

كاد أن يتابع إلا أنه سمع صوت هاتفه يرن، حينها أخرج الهاتف من جيبه ونظر للإسم قبل أن يبتسم لها ويقول:

-شوفتي أهو يا ستي بيتصل، هخليه بنفسه يشرحلك

ثم ضغط على الزر، وفتح مكبر الصوت وهو يردف:

-السلام عليكم

أجابه الأخير عبر الهاتف:

-وعليكم السلام، براء أنا...

قاطعه براء بهدوء وهو يقول:

-لحظة بس، أنا عند جويرية الوقت، وفاتح الاسبيكر عاوزك تفهمها إنت ليه سيبت الشغل.

جاءه الرد يحمل نبرة من اليقين وهو يجيبه:

-هاتها

-السلام عليكم، أيوة يا معتصم براء قالي هما هددوك بإيه بس...

-لحظة بس لحظة، لو بتفكري إني سيبت الشغل عشان كدة، فأنا أحب أقولك إن دة غلط تمامًا، أنا كنت ناوي أسيبه من فترة، وواحد صاحبي فاتح فرع جديد هنا وطلب متي لما عرف إني هسيب الشغل أشتغل معاه.

كادت هي أن تتحدث، إلا أنه تابع بثقة:

-وعلى فكرة مفيش مقارنة بين الحاجتين دول، طول ما أنا بشتغل هناك هتكون مضطر آجي على ناس وأظلم ناس، والمفروض أصلاً إني اتعينت في المهمة دي بس عشان أحمي الناس مش آجي عليهم، صدقي أو لأ أنا كدة مرتاح راحة مرتحتهاش في حياتي. واقفلي على الموضوع دة. إنتي عارفة براء غالي عليا أد إيه، والحاجة الغالية على

براء غالية عليا أنا كمان، يعني عمري ما هندم من إللي عملته عشانها.

ابتسمت دون تكلفة، فهي تعلم نوع المشاعر التي كان يكنها لها، كانت نظراته وحدها تكفي للتعبير، ومع ذلك لم يبح يومًا. ومع ذلك كانت تحترمه كثيرًا.

-شكرًا يا معتصم، خلاص براء معاك الوقت، وربنا يوفقك.+

+.....

جلس في منتصف الفراش يتابع القراءة، وقد ظهر على وجهه كل أمارات الصدمة،

تلك المفكرة تحمل ما لا يحتمل عقله تصديقه. لقد كان مرتاحًا برغم كل شيء قبل أن يقرأ هذا الدفتر... ولكن الآن يعذبه

ضميره، لن ينكر أنه شعر بالسعادة قليلاً،
لكن في ذات الوقت لقد ظلمها!+

مسح عبراته الساقة وتابع قراءة الدفتر
باضطراب، للمرة الثانية على التوالي:

-"لم أستطع تحمل أن يكون قاتلها على قيد الحياة، ولا سيما أنني رأيتُ كل شيءٍ بعيني، رأيته يقتلها، ويساعده الآخر على اخفاء الجريمة. رأيتهما يتشاركانها كقطعة من الخبز يقسمانها بينهما، رأيتُ عيناها، عيناها كانتا تبكيان وتناجياني، وأنا كنت بعيدة.. بعيدة جدًا تاركة إياها وحدها في الهلاك. حينها فقط أقسمت، أقسمت لأذيقنهم من الكأس، أقسمت ليقتلن أحدهم الآخر.. آسفة يا عقلي لن أتريث. آسفة يا عيني لن أبكي الآن، هذا وقت العمل"+

+.....

أمسك ذاك الرجل بشعر تلك الفتاة، ثم جذبها منه بقوة حتى وقفت على قدميها وهي تصرخ وتبكي، فصاح بها عاليًا وهو قاتم العينين:

-أما أقولك على حاجة تنفذيها، إنتي سامعة!

أومأت رأسها على الفور وهي تحاول كتم شهقاتها، فحدجها بنظرات صارمة وهو يأمرها بقوة:

-أنا هطلع، خمس دقايق وتبقي جاهزة.

ثم دفعها بعنفٍ للخلف، وخرج.. حينها أسرعت هي نحو الخزانة، وأخرجت علبة بيضاء، أخرجت من تلك العلبة كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا به مسحوق أبيض اللون، فتحت الكيس وأسرعت نحو كوب ماء فوق

حاملك الأدراج، وسكبت المسحوق كاملاً بداخله، وظلت تراقب ذوبانه في الماء. كانت شهقاتها قد خفت تدريجيًا إلا أن دموعها ظلت تنهمر بلا قيود، ثم أردفت بيأس وهي تمسك بالكوب جيدًا:

-أنا مقدرش أسلم نفسي لحد، أنا مقدرش أعمل كدة، عارفة إن الإنتحار هو دة الحل الوحيد.

ثم وضعت الكوب على فمها وما لبث أن شربته كاملاً... كان ذلك السم لا يؤثر فوريًا، يحتاج الأمر إلى ساعة أو أكثر ليسري في جميع أنحاء جسدها، ثم يبدأ بالفتك بها.

وهذا هو ما كانت تفكر فيه، إذ أنها لم ترد أن يعلم أحدٌ أنها قد انتحرت، من المهم أن يكونا هما السبب الرئيسي في مقتلها. يكفيها عذابًا.

أوقعت الكوب فارغًا على الأرض عن عمدٍ فتهشمت أجزاءه، وسريعًا تخلصت من الكيس الفارغ في يدها في سلة القمامة، ثم اتجهت نحو خزانة ثيابها. أخرجت ثيابًا لترتديها، ثم دلفت إلى الحمام.

بعد خمس دقائق، كانت قد تجهزت تمامًا، حينها خرجت من الغرفة فوقفت أمامها رجلٌ ما وبدأ يتحدث بهدوء:

-البيه مستني حضرتك برا وقالي أجيبك.

نظرت له نظرة خاليةً من الروح، ثم سارت معه بصمت. شعورٌ بالدوار، يصاحبه بعض وخزات الألم في مناطق متفرقة من رأسها ويداها، ومع ذلك تستمتع هي بذاك الألم، فهو الألم الأخير لها.+

خرجت من القصر لتجده في سيارته منتظرًا إياها، نظرت له نفس العينين الكريهتين، ونفس الوجه البائس، كم تكرهه، كم تبغض حتى صوت أنفاسه، كم تتمنى الموت كل لحظة حتى لا تراه فيها.

ركبت السيارة، وظلت صامتة بينما انطلق هو بالسيارة سريعًا.

فجأة فتح فمه ليردف متهكمًا:

-أنا مش فاهم إنتي بتبقي متضايقة كدة ليه كل مرة ببنروح فيها هناك!

تابع بابتسامة سمجة ثقيلة:

-دة حتى معتز أحسن مني!

تجاهلته تمامًا فتابع ببرود:

-وبعدين أنا ومعتز بنتشارك كل حاجة من صغرنا.

نظرت له وكأنها لا تصدك كيف يتحدث، وسألته بجمود:

-بس أنا مراتك!

أرجع ظهره للخلف، وابتسامته العابثة تتسع وأجابها:

-ما إنتي من ضمن الحاجات إللي بتتشارك.

لم يقوَ عقلها على الإستيعاب أكثر، خاصةً وأن السم قد بدأ يسبح في خلاياها، فأرجعت رأسها للخلف، وتابع هو بجدية:

-وبعدين إنتي متعرفيش معتز، لازم أدفع التمن إللي يعجبه عشان ينفذ إللي أنا عاوزه، وإنتي بتعجبيه أوي.

ضحك بعدها ساخرًا وهو يردف:

-ولا كنتي مفكراني متجوزك ليه؟!

أغمضت عينيها وتحملت ما يقول، تحملت لأنها لن تتحمله من جديد، سترحل وتتركه، وتترك قذارته وقذارة أخيه.+

في النهاية قد وصلوا إلى ذاك البيت الضخم، ترجل من سيارته، ثم فتحت هي الباب لتخرج هي الأخرى، كانت قطرات العرق تنصب على جبينها، وبدى الإرهاق على كل جسدها ولكنها قاومت لتتظاهر أنها بخير.

ساروا متجهين للبوابة، ومنها إلى المنزل حتى دخلوه، إستقبلهم معتز حينها بحفاوة، واقترب منهما قائلاً بابتسامة غريبة:

-أهلا أهلا، إيه يا جلال كل دة إتأخرتوا.

-يلا أدينا جينا في النهاية.

جاءت إحدى الخادمات، واتجهت نحوها قائلة بهدوء:

-ممكن حضرتكتيجي معايا يا هانم!

لم تقاومها، وإنما سارت معها بإستسلامٍ غريب، فنظر له معتز قائلاً بدهشة:

-جلال، إنت عملت فيها إيه المرة دي، المرتين إللي فاتوا كنت بتجرها!

هز جلال كتفه غير آبه وهو يجيبه:

-إتلاقيها اتعودت، المهم الفرع هتجيبلي الإمضى إللي قولتلك عليها.

ابتسم الأخير بخبث وهو يرد:

-جبته أصلاً، هتلاقيه هناك على المكتب، روح خده.

لم ينظر له جلال بل سار مبتعدًا في الإتجاه الذي أخبره به، بينما ذهب الأخير نحو الغرفة التي ذهبت إليها هي منذ قليل.

دلف إلى الغرفة فوجدها جالسة على الفراش، وقدماها في الأسفل. أغلق الباب ثم اقترب منها وهو ينظر لها بإنتشاء، وأردف معاتبًا بتهكم:

-قولتلك قبل ما تتجوزيه إني بحبك، بس إنتي برضوه إختارتيه عليا، والوقتي هو إللي بيجيبك ليا عشان أنفذله طلباته.

ظلت بنفس السكون ولم تتحرك، بينما وقف هو أمامها وتابع:

-بس إنتي إللي بإيدك خليتيني أكرهك، ومتعرفيش أنا أد إيه بستمتع لما أشوفك قاعدة كدة مذلولة أُدامي.

أمسك بيدها، فلم تنظر له، فاستعجب هو حالتها تلك..+

+..

في إحدى أركان هذا المنزل، كان هناك خادمٌ ممسكٌ بهاتفه، يتحدث فيه بخفوت وهو يخفي فمه بيده، وكأنه يخبر أحدهم سرًا..

+..

خرج معتز من غرفته سريعًا وهو يصيح بصوتٍ عالٍ:

-جلال!

جاءه الأخير على صوت ندائه، ثم وقبل أن ينطق، تحدث الأخير بإضطراب:

-نوار ماتت!

اتسعت عيناه وسأله بصدمة:

-إيه!

أجابه الأخير بنفس الصوت المهتز:

-نوار كان عندها قبل كدة صدمة عصبية، نوار ماتت من الخوف يا جلال!

هز الأخير رأسه غير مصدق، وتابع قائلاً:

-لأ ممكن تبقى بتمثل!

صاح فيه الأخير بشراسة:

-قولتلك ماتت، ماتت إيه مبتفهمش، وأنا السبب.

أخذ جلال نفسًا عميقًا وزفره بسرعة وهو يجيب بهدوء:

-طيب طيب اهدى خلاص، أنا هتخلص من جثتها وإنت ملكش دعوة بأي حاجة

صدم الأخير من تلك البساطة التي يتحدث بها، بينما تابع جلال وهو يسير نحو الغرفة التي هي فيها:

-بس الأول أتأكد بنفسي.+

+...

بعد دقائق كان قد تأكدا من صحة خبر موتها، وسريعًا إتصل جلال بأحد معارفه ليتخلص من جثتها بيسر، وكانت آخر كلمات المحادثة:

-تمام، الساعة واحدة بالليل تكون مأمنلي الطريق الصحراوي.

أنهى المحادثة ثم أغلق معه، ونظر لأخيه الجالس أمامها مصدومًا، فاقترب منه متسائلاً باستخفاف:

-متقولش إنك زعلان، أنا أصلاً كنت مليت منها، دي زنانة و٢٤ ساعة بتعيط!

نظر له بأعينٍ زائغة وهو يردد:

-بس أنا إللي قتلتها... أنا السبب

رفع حاجباه ساخرًا وسأله:

-وإنت عندك قلب من إمت!

كاد الأخير أن بتحدث، إلا أن جلال قاطعه بصوت صارم:

-بدل ما تخنقني باللي عمال تقوله دة، فكر معايا في حجة نقولها للست أختها لتفضحنا. إسمع أنا هتخلص من جثتها النهاردة ودة مش عشانك، دة عشان سمعتي أنا كمان، وبعدها نفكر في موضوع أختها دة.

أومأ الأخير رأسه باستسلام وهو يقف، ثم ذهب ناحيتها وغطى وجهها بالملاءة.....!!!+

.....!!!!!

+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السادس والأربعون:

+

الكثير من الصخب والإزعاج حوله، ومع ذلك هو في هدوءٍ تام، أو هناك صخب من نوعٍ آخر داخل رأسه، وفي ذاكرته.

منذ فترة طويلة لم يبتعد عنها، كان يراها يوميًا ولم يتعد مفارقتها، والآن فقط أدرك

أنها أصبحت إدمانه الدائم.. فهو يحاول التركيز في أي شيء عداها، وذاكرته تخونه وتقوده إليها، ربما في الأيام السابقة أدرك لماذا، وفهم ما السبب وراء هذا، فقد وصل لنتيجة مقنعة.. هو يحبها، بلى يحبهاكثيرًا.

لم يكن ليصدق أنه قد ينسى يومًا تلك الحقيقة السامة التي عرفها منذ القليل بالتفكير فيها. لقد اكتشف أن حياته كانت مبنية على الكذب والخداع، ومازالت لا تفارق ذاكرته! يعلم أنه لم يعطِ للموضوع هذا القدر المُستحق من التفكير، ويعلم جيدًا أنه أسرف بالتفكير بها، ومع كل هذا لا تزال تتصدر ذاكرته أفكارًا، واهتمامًا.+

-وطبعًا الـ change دة هيفرق كتير معانا، ومعنى شراكة الشركتين لإن مفيش أي

ماركة تانية هتتفوق علينا وهنكون في الصدارة.

انتبه هو لصوت صديقه الذي علا فجأة وكأنه ينبهه، فنظر أمامه ليتذكر أنه في اجتماعٍ الآن!

رد رجلٌ من الطرف الآخر بدبلوماسية:

-بأيدك و sure الموضوع دة هيعمل رواج كبير في الـ marketplace.

نظر له عقاب وأومأ رأسه مردفًا:

-تمام، يبقى كدة اتفقنا.

ثم وقف، ووقف الجميع عداهُ، وبدأ يصافح الجميع بين نظراتهم المستعجبة لتصرف رئيس الشركة، وبين سعادتهم بإتمام التعاقد.

وحين خرج الجميع، أخذ عقاب مقعده، وقربه من رفيقه ليتحدث بقلق:

-فيه إيه يا صهيب مالك؟

نظر له صهيب وكأنه يحاول التركيز على ما أمامه، ثم سأله ببساطة:

-مالي!

استند الأخير على المعقد، وابتسامة عابثة تتسلل إليه وهو يقول:

-أمممم أنا بسألك، وبعدين إيه الاختفاء دة كله، كان لازم يبقى فيه meeting مهم عشان نشوفك!

رفع حاجبه ساخرًا ليسأله:

-إنت مش كنت بتفضل تقولي ارتاح، خد أجازة، شيل يا عم

أجابه الأخير متذمرًا:

-حرام عليك دة أنا شايل الشركة والمصنع، وبدير المهم في الفروع إللي برا، يعني إنت لما تاخد أجازة أشيل أنا كل دة!

بهدوءٍ أجاب:

-ما أنت عارف، أنا مش بآمن على الشركة والمصنع إلا معاك، أنا وإنت واحد في الشغل.

تحدث عقاب بحنق:

-صهيب، يعني إنت لسة هتطول!

وقف صهيب وسار عدة خطوات للأمام، قبل أن يلتفت إليه ويجيبه بجدية:

-يومين اتنين، وهرجع تاني.

وقف الأخير وسار إليه وقد بدى الإنزعاج على وجهه، فابتسم صهيب له ليسترضيه.

رغم كل شيء، فهو كالأخ بالنسبة له، لقد كان ومازال الصديق المخلص الذي لم يتركه مهما حدث، تحمله بكل همجيته وإطاحته بالكلام. تحمله بكل سلبياته ولم يسأم منه، يتذكر أنه حين أراد توظيفه معه تضايق! لم يهتم بالمال أو المكسب الذي سيجنيه، بل تضايق لأنه لا يحب العمل! و كاد أن يرفض لولا أنه خشي أن يحزنه، وبرغم هذا لم يقصر يومًا في العمل أو يتقاعس حين كان يحتاج إليه.

-بس المرادي مش هسيبك تشتغل، إحنا هنسيب الشركة اليومين دول، أنا وجويرية هنطلع يومين على الشاليه بتاعنا إللي في شرم، وإنت وحور تروحوا الشاليه إللي في أليكس. ونرجع أعصابنا هديت شوية.

وتلقائيًا وضع عُقاب يده على جبهة رفيقه متسائلاً بقلق:

-صهيب، إنت كويس؟

أنزل صهيب يده، ثم تحدث بهدوء:

-يعني أفهم من كدة إنك مش عاوز!

قبل أن ينهي حديثه اندفع الأخير ليجيب بضراوة:

-مين! لأ طبعًا خالص أبدًا، خلاص هروح، إنت مابتصدق!

صمت لفترة قبل أن يتابع بحيرة وهو ينظر له:

-بس بجد قولي إيه السبب!

أخذ صهيب نفسًا عميقًا، ثم بدأ كلامه:

-إنت عارف إني إتجوزت جويرية في نفس اليوم إللي مات فيه أبوها، ودة معناه أكيد إن هي محتاجة تغير جو شوية بس.

صمت عقاب لفترة قبل أن يسأله باهتمام:

-طب ليه إنت عملت كدة، ليه جوازكم كان في نفس..

قاطعه صهيب بغضب:

-عقاب، قفل على الموضوع دة.

تابع عقاب بنبرة حادة:

-بس أنا واثق إنك هددتها عشان توصلها، العقل بيقول كدة!

اشتعل الأخير منه، ولكن تابع عقاب بنفس الهدوء وقد وضع يداه على كتف صهيب:

-وإنت بتحبها يا صهيب، ورفضها ليك هيكسرك صدقني، حاول تبررلها موضوع تهديدها عشان متكرهكش.

-بس هي مطلبتش تبرير، هي مش مصدقة أصلاً إني كنت هأذيها، إنت مش فاهم حاجة.

كان هذا رده بعد أن سكنت نبرته كثيرًا.

ابتسم له، ثم ابتعد عنه وهو يجيبه:

-على فكرة، هي غيرتك كتير، مش بس الوقت، لأ من يوم ما شوفتها وإنت بتتغير، بقيت أحسن بكتير من ساعة ما شوفتها، يمكن هي إللي رجعتك شوية للحياة.

نظر له صهيب وشرد في حديثه، فحتى هو قد بدأ يلاحظ تغيره.. لقد بدأ التغير من الداخل، إلى أن تسرب للخارج، كيف تفعل هي هذا!

رفع رأسه ونظر له لثوانٍ قبل أن يقول:

-أنا همشي الوقت..+

.....

٢٠٠٥

ركض ذاك الشاب في الممر المؤدي نحو إحدى الغرف، ثم وبعد أن رأى بعض الناس يتجمهروا أمام إحدى الغرف، اتجه إليهم سريعًا ووجهه خالٍ إلا من الرعب، ثم وقف أمام أحدهم وسأل باضطراب:

-براء، إيه إللي حصل؟

نظر له براء بحزن، ثم نظر نحو الباب مرة أخرى، فتركه الأخير وذهب نحو تلك الواقفة هناك، ليسألها:

-جويرية، سوفانا كويسة صح؟

ظلت جويرية على حالتها، ناظرة بوجوم للفراغ، و بالرغم من هذا أجابته بصلابة:

-أختي، بين الحياة و الموت جوا.

-هو إيه إللي حصل!

لم تجبه، فاقترب منه براء، وأردف بألم:

-راحت الصبح المدرسة ومرجعتش، و والدك إللي جابها هنا، جابها هنا بعد ما القذرين..

صمت، فحتى الحديث في هذه الحالة أصبح حكرًا على أصحاب القلوب المتحجرة.

كان الذعر يغطي وجهه، يكسوه.. يلونه، لا لم يتخيل يومًا أن هناك قلبًا قادرًا على التعدي على ملاكٍ كهذا! بلى سوفانا ملاك، وقد وُجد الشيطان الذي.. الذي...!!

-مش واحد، ولا اتنين، ولا حتى تلاتة، دول خمسة، عارف يعني إيه خمسة!! بس والله ما هسيبهم، أقسم بالله هموتهم، وربنا ما هسيبهم.

هذا ما قالته جويرية بنبرة تحمل الغل، الكره، نبرة تخبرهم أن الجانب المخفي منها سيظهر.. ستزول الألوان الهادئة التي تغطيها لتحل محلها ألوان النار المتأججة.. ألوان الإنتقام..

قبل أن تبتعد، كان لهما نصيب بنظراتها القاتمة، القاسية.. لتسير بعيدًا بعدها.

حينها التفت هو وسأل براء وعيناه متسعتان:

-قصدها إيه، خمسة مين!

أجابه براء وقد اشتعلت عيناه بوهج الحقد:

-خمسة يا معتصم، خمسة قتلوها حية.

أغمض معتصم عيناه بألم، وقد بدأت قبضتاه تتكوران حتى كادت عظام يده أن تتهشم، وبقوة ضرب الحائط وكأنه المذنب..

حينما فتح عيناه، كانتا كجمرتين من نار بركان قد ثار توًا، وبنبرة كفحيح الأفعاعي أردف:

-أنا عارف أنا هعمل إيه كويس.+

+.....

٢٠١٠

كانت عيناها تحملان أوتادًا من الألم، وسيولاً من العذاب.. لقد عانت منذ الصغر، لقد تألمت أكثر مما تنفست، ولا تزال أسوأ الذكريات تلاحقها، لماذا لا تستطيع أن

تنسى؟ لماذا لا تستطيع؟ لماذا تطاردها الذكريات بمجرد أن ينبس أحدهم عنها نبسًا.

برغم كل شيء، وكل الذكريات التي تدور في عقلها إلى الآن لا تزال صامدة، ما تزال تنظر بجمود لكل ما حولها.

أخذت نفسًا طويلاً، الأمر المثير أنها لا تدري علامَ تحزن أو تتألم أكثر على الألم القريب أم على البعيد! اختلاف رهيب بين كل منهما، كل منهما له نكهته الخاصة، وطريقة معينة في تهشيمها من الداخل. تبتسم لنفسها بين الحين والآخر، لو كانت تبكي لانطفأ نور عينها كما انطفأ نور عين نبي الله يعقوب عليه السلام على فراق يوسف، لكنها لا تبكِ.

أعطت لنفسها استراحة من التفكير، وحلت شعرها. ما يزال الصداع يرافقها. سارت بعيدًا عن الفراش، إلى أن وصلت إلى النافذة، وقفت

فيها و أخذت تطالع الآفاق بنظرات والهة.. كم تعشق السماء! تزداد عينيها بريقًا كلما أبصرتها، يحيرها سؤال بعد أن تنظر للأرض ثم تعيد النظر للسماء، ما هو المميز في الأسفل حتى تفضله على الأعلى؟ شتان بين السماء والأرض، في الأعلى الأحبة، الله ورسوله، والأحبة من ذويها ، و في الأسفل جثثهم!

يدعابها الهواء بنسماته الباردة فتبتسم، وتحمد الله على كل شيء، فثقتها به لا تخيب.. لا تغيب.. لا تقل، بل تزيد، فإن كانت تحظى بحياة تعيسة، و إن ابتلاها ربها في كل تلك الأيام، فبالطبع لديها منزلة عظيمة في الآخرة، وتلك هي ثقتها بالله.

كان واقفًا بجانبها ينظر لها، وهي لم تلحظه حتى، أو ربما تشعر به وهو لا يدري، فمنذ

خمس دقائق و هي واقفة هكذا لم تلحظ وجوده بجانبها، وفي النهاية قرر الحديث..

-مش عاوزة تعرفي هنروح فين؟

أجابته بهدوءٍ جعله يتأكد أنها شعرت بوجوده من قبل أن ينطق:

-فين؟

رفع يده و وضعها على كتفها، مما جعلها تنظر ليديه بهدوء و هي رافعة حاجباها من حركته المفاجئة. في حين لم يهتم هو و تحدث:

-هنروح يومين الشاليه بتاعي في شرم، وبما إني جيت بدري فيلا إجهزي عشان نروح.

صمتت قليلاً، و وجهت أنظارها نحو الأمام، قبل أن تسأله بجدية:

-بس إنت مينفعش تسيب عمك هنا لوحده، دة غير إنه مرجعش البيت من إمبارح!

تبدلت ملامح وجهه للعبوس، وتحولت عيناه من الصفاء إلى التعكر، وبهدوءٍ حاول تمكينه في نفسه سحب يده من عليها وسار مبتعدًا عن النافذة حتى جلس على الفراش.

البارحة لم يحاول عمه أن يهدأ من روعه حين كان يصيح بالبيت كله، بل ترك البيت وذهب، وفي ذات الوقت لم يهتم هو لعدم رجوعه حتى الآن. أو أنه بالفعل يريد أن ينسى، والأدهى أنه يريد السفر وتركه وحده، لذلك وبكل بساطة أدركت أن الأمر متعلقٌ بهما، إذًا ما الكذبة التي كذبها عليه وجعله يعيش عليها كل تلك الفترة من حياته؟ ومنذ متى كنتُ فضولية لتلك الدرجة؟!

-أفهم من كدة إن هو السبب!

نظر لها بغضبٍ وهي تسير نحوه، وقال:

-جويرية، اقفلي على الموضوع دة.

توقفت في محلها، وأعادت التحدث بعينين هادئتين:

-بسيطة، بس أنا مش هروح معاك في أي مكان إلا لما تتصل بيه وتخليه ييجي معانا.

باختلاط النظرات بين الصدمة والحيرة والغضب نظر لها، وسألها:

-إنتي بتتكلمي جد؟!

ثم وقف، و سار عدة خطوات إلى أن وصل إليها، وتابع باستهجان:

-ولا هو شغل برود وخلاص!

عقدت ما بين حاجباها، وظهر الإستنكار على وجهها لترد عليه:

-لأ جد

زفر، و لها بانزعاجٍ نظر، ثم نطق بغضب:

-أنا مش فاهم بجد، إشحال ما إنتي مكنتيش بتقعدي معاه، وكان كلامه بيدايقك!

ثم كاد يتركها ويذهب فقد أغضبته حقًا، ولكنها نادته بهدوء:+

-صهيب!

توقف، و لم يستدر، فذهبت هي إليه و وقفت أمامه، و لم تتحدث، فقط اكتفت بتكتيفها ليدها و الصمت، وبالمثل فعل هو، صمت ونظر لها منتظرًا أن تتحدث، هو يعلم

أنها تريد الحديث، وليس الإحراج أو الكبر يمنعها، لكنها..

-أنا مقدرة كويس أوي إنك مش عاوز تدخلني في حياتك الخاصة، و معنديش مشكلة في دة بس أنا برضوه ليا الحق أقول مين ييجي معانا ومين لأ.

سألها مستفهمًا:

-أكيد إنتي مش خايفة مني!

ردت ببساطة:

-هو فيه حد معانا الوقت!

حينها تحدث بانفعال:

-أومال فيه إيه؟

ابتسمت بطريقة مريبة، ثم أجابته بروية:

-مفيش، أنا حضرت الشنطة بتاعتي، يلا روح صلي الضهر أعبال ما اكون جهزت.

إندهش هو من طريقتها وسألها تلقائيًا:

-نعم! ببساطة كدة!!

سارت أمامه وهي تجيب ببرود:

-عادي غيرت رأيي

ثم دلفت إلى الحمام بدون أن تنظر له، ليردف هو بخفوت مع نفسه:

-أنا اللي عملت كدة في نفسي، كان مين جبرني اتجوزها بس!

ثم غادر وهو يقلب كفيه..

ربما لم يفهمها بشكل واضحٍ بعد، أو أنها تتعمد ذلك، لكن في كل الأحوال جعلته

يبتسم ولا يدري لما يفعل، ثم اتجه نحو غرفته ليتوضأ ويصلي.+

+.....

بعد ساعة كانا في السيارة وبدأت رحلتهما، وبرغم الهدوء الشديد الذي سيطر عليهما كان كل شخص يفكر في.. يفكر في ماضٍ أو حزنٍ أو ألمٍ لم يستطع ركام السنين أن يخفيه..

هما الإثنان لا يعرف أيًا منهما عن الآخر شيء، ولكن هناك شعور بينهما أن الألم ذاته يجمعهما، الألم يجعل الإنسان غير قادر على الإستمتاع بالحياة، الألم يمحو جميع الألوان حتى لا يبقى إلا اللون الأسود، الألم.. وما أدراك ما الألم.

ما معنى أن يعيش شخص حياةً كاملة على كذبة كبيرة، كيف يستطيع التكيف مع الأمر! كيف يستطيع مسامحته، كيف!!

-طب هو ليه ما قاليش قبل كدة، ليه؟!!

نظرت له بثبات، هي لا تفهم كل شيء لكنها شعرت أن ما يتحدث عنه له صلة كبيرة بعمه، وبرغم أنها لا تفهم أجابته بهدوء:

-فيه حاجات بتبقى أحسن لو فضلت مخفية.

عاد هو ليتحدث مكفهر الوجه:

-بس مش معنى كدة يخبي عليا كل الفترة دي إن هو أبويا!

صمتت قليلاً لم يبدُ عليها آثار الصدمة المتوقعة، فقد اكتفت بالصمت وكأنها تجمع الخيوط ببعضها، وصمت هو أيضًا

حين أدرك ما قاله، ثم أخذ نفسًا عميقًا، وبدأت سرعة السيارة تزداد.

هل أخبرته يومًا عن عشقها للسيارات السريعة، وبدون تفكير فتحت النافذة التي بجنبها إلى أن اختفى الزجاج بالداخل، واستندت على باب السيارة لتنظر للطريق وابتسامة هادئة تتسلل إلى وجهها. وبعد لحظات انتبه من شروده لها وابتسم، ألا يحب هو السيارات السريعة! إذًا ستحبها هي أيضًا.

غير معقولٍ هذا التشابه الكبير، حتى في هذه!

تفاجأ بها تحدثه بجدية:

-عاوزة أسوق!

نظر لها، في الحقيقة ظنها تمزح، لكن تعابيرها الجادة جعلته يسألها بدهشة:

-تسوقي!

-آه

هز رأسه نافيًا وهو يجيبها:

-أنا عندي إيمان تام إن الستات مبيعرفوش يسوقوا

لم تكرر طلبها، ولكنها لاحظت أن سرعة السيارة بدأت تقل تدريجيًا، فابتسمت.

ثوانٍ وكانت السيارة قد توقفت، ثم نظر لها قائلاً بهدوء:

-معاكي رخصة!

-لأ مش مطلعة

أعطاها المفتاح وهو يتمتم مع نفسه بأنها لن تستطيع أن تقود تلك السيارة لأكثر من خمس دقائق، وربما ينتهي بهم المطاف وهم يرحبون بإحدى الأرصفة!

لكنه ومع ذلك لم يمانع، بل كان لديه الفضول ليرى كيف ستفعل.

تبادلا المقاعد، ووضعت هي المفاتيح داخل السيارة، فسمعته يقول:

-حطي رجلك على الفرامل.

ابتسمت له وهي تجيبه بإستفزاز:

-فعلاً، وفين الفرامل دي؟!

نظر لها قاطبًا حاجباه مردفاً باستنكار:

-بطلي تتريقي.

-و إنت بطل تقولي اللي أنا أعرف اعمله.

-اتفقنا، ورِيني

نظرت له لثوانٍ قبل أن تنطلق، وبدأت السرعة تزداد شيئًا فشيئًا، فأعجب صهيب بقيادتها، حتى أن الطريقة التي تتفادى بها السيارت تجعله يستمتع، فتحت هي باقي النوافذ حتى يزور الهواء باقي السيارة.

حينها سألته بثقة:

-عجبتك صح!

أجاب بفخر:

-مش مرات صهيب قصي، لازم تبقى بـ..

-باس إنت ما بتصدق

لم يسيطر على نفسه وبدأ يضحك، فتعمدت النظر إليه ثم إلى الطريق مرةً أخرى، ما يجهله ذاك المجنون أنه لو ضحك

في منتصف الطريق لتهافتت نصف الفتيات الموجودات في الطريق حوله، والنصف الآخر سيكن مع أزواجهن!

إتسعت عيناها فجأة، هل تغازله في عقلها! منذ متى بات يعجبها جماله!

لم يعد يعجبها تأثيره عليها..

زفرت بضيق، وقررت ألا تنظر له مجددًا، ولكن هل تخدع نفسها!

لقد ظنت أنه سيمل منها سريعًا حين قررت ألا تطلب منه الإنفصال، لم تكن تريد أن تتراجع عن قرار مصيري كهذا، لكنه لم يمل منها، وهي لم تمل منه. هي لم تمل منه أبدًا. بل كانت تتركه ليتقرب إليها أكثر، ولم تمنعه. جويرية ليست مِن مَن يكذبون على أنفسهم، هي صريحة تمامًا، ولما أن شعرت

أن تقربه منها لا يزعجها بقدرٍ كبير،
ويساعدها على نسيان حزنها ولو قليلاً قررت
ألا تنافق.

لماذا تفكر في هذا الأمر الآن؟

-جويرية!

نظرت له بعد أن اخرجها مما تفكر، فأشار
أمامها قائلاً بسرعة:

-خلي بالك

نظرت أمامها فوجدت سيارةً تمر أمامها،
وكادت بالفعل أن تصطدم بها إلا أنها اتخذت
من اليمين طريقًا لها بعد أن كان لا يفصل
بينهما أكثر من ثلاث سانتي مترات، ثم
استدرت مجددًا لتعود لنفس الطريق،
وأردفات قائلة بسكون:

-آسفة كنت سرحت، أنا هركن و كمل إنت.

وضع يده على يدها التي هي على المقود، وقال لها بجدية:

-لأ كملي إنتي، و بطلي سرحان، أنا قولت نطلع برا شوية عشان ننسى، فعشاني حاولي تبطلي تفكير شوية و انسي، و لو حتى اليومين دول.

أجابته بنبرة بها بعض الراحة:

-مش بفكر في حاجة حزينة متخافش

سألها بحيرة:

-بتفكري في إيه!

-سيبك إنت، أنا هركن وكمل إنت!

-ما قولتلك متسرحيش

-يا عم سرحان إيه، أنا تعبت

-لأ لأ أكيد خايفة تسرحي، صدقيني السرحان وحش

-آه لأ دة أنت ماصدقت بقى، والله لهركن مليش فيه....!!!+

+!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السابع والأربعون:

+

+

انعكس ضوء الغروب على البحر الساكن، فجعل له لونًا مختلفًا. برغم سكون البحر في هذا اليوم هناك صوت لأمواج صغيرة تتلاطم. والبديع جمال المنظر..

الرمال ما تزال دافئة، وظلها ينعكس بجانبها كمرافقٍ لها وهي تنظر للأعلى بهدوء.
تقدمت عدة خطوات لتبلل قدماها بمياه البحر، وأخذت تنظر لانعكاس الغروب على سطحه.

و من خلفها بعدة أمتارٍ وقف هو. كان ينظر لها وكأنه يراها لأول مرة، ككل مرةٍ يراها فيها يفكر أنها برغم هدوئها الدائم بها ما يشغله بها ما يجعله يراها في كل مرة كشمسٍ أضوت الأرجاء بنورها و وهجها الساطع.. يكاد يقسم في داخله أنه واثق أن ذاك السكون يُخفي خلفه الجنون، الإنطلاق للعالم ليتبعه نوعٌ مختلف من الإثارة.. تلك الإثارة التي تشعرك بالحرية، و المجازفة..

عيناها تُخبرانه دومًا أنها لا تنتمي لهذا الواقع البائس كما أخبرته عيناه دومًا حين كان ينظر في المرآة أنه لا ينتمي لهذا الواقع!

حين رآها تتقدم للبحر سار إليها بثبات، و ما إن وصل إلى حيث تقف هي سألها بهدوء:

-ها المكان عجبك؟

لم تحرك عيناها وهي تجيبه بخفوت:

-عجبني

رد بثقة:

-كنت عارف.

صمتت ولم تعقب، فتابع هو بنفس هدوئه وهو ينظر إلى حيث تنظر:

-لما كنت بتخنق كنت باجي هنا من غير ما اعرف حد.

-يعني إنت مخنوق!

كان سؤلاً وجيهًا منها، فأجاب بوجوم:

-الخنقة دي هتبقى وصف مبسط لحالتي حاليًا.

بنفس الهدوء أردفت:

-مفكرتش للحظة إن مفيش داعي للخنقة دي!

سألها باهتمام:

-ازاي؟

-مفكرتش إن إنت شايف الموضوع من وجهة نظرك، مجربتش تشوفها من وجهة نظره هو!

زفر، وقطب حاجباه، فقد علم أنها تفهم لما يشعر بالإختناق و الغضب بداخله، ربما أي

شخص سيحتاج إلى ساعاتٍ من الشرح لكي يفهم أن عمه هو والده، أما هي فلا، لقد صمتت حين علمت وكأن شيئًا لم يكن، وهذا ما جعله يسامح نفسه على ذلة اللسان تلك. والآن هي تتطرق إلى الأمر وكأنها درسته عن كثب وتفهم كل أركانه وزواياه. برغم ما يسيطر عليه من غضبٍ وحنقٍ حين يتذكر الأمر، لكن شعوره أنها مهتمة بالأمر ولو قليلاً يُسعده.

-لنفترض، إنتي لو كنتي مكاني، عايشة كل الوقت دة على إنه بس عمك، و.. وفجأة عرفتي إنه أبوكي هتعملي إيه؟

أخذت نفسًا، ثم نظرت له وبدأت تتحدث بروية:

-صهيب، مينفعش تحطني مكانك تحت أي ظرف، أنا في حالتك كان تصرفي هيبقى

مختلف. كنت هسيبه يشرحلي وجهة نظره، غلط لما نحكم بس من منظورنا الخاص.

سكن وجهه، وتبدلت ملامحه للشرود والوجوم، ثم أردف بنبرة بدت منكسرة من الداخل:

-يا جويرية أنا حياتي غير، كل أفراد عيلتي كانوا بيقتلوا في بعض!

استشفت هي من حديثه أمرًا مهمًا، فسألته بتريث:

-دة معناه إن والدتك ليها دخل بالموضوع!

تجهم وجهه ونظر لها مجيبًا إياها بانفعال وذكريات الماضي تلاحقه:

-مسمهاش أمي، أنا معنديش أم، الست دي مش أمي بأي شكل من الأشكال.

ردت عليه بنبرة عالية قليلاً:

-هي أمك حتى لو إنت اتبريت منها و..

-لأ مش أمي سامعة، الست اللي تقتل وتخون وتكدب متبقاش أمي، أنا عمري ما هعترف بيها أبدًا ولا عمري هسامحها، بكرها وبكره كل الستات، كلهم زيها، كلهم خاينين، كدابين، بيظهروا الوش البريء وبس و..

يا اللّٰه، عيناه قد احمرتا، وأنفاسه قد علا صوتها، كما أنها لم تره غاضبًا هكذا من قبل. هل هو مجنون! يخبرها أنه يكره النساء، إذًا ماذا يراها؟ رجلاً مثلاً!

انحنت حتى وصلت للمياه بالأسفل، ملأت يدها بالماء ثم وقفت ونثرتها بقوة على وجهه وهي تقاطعه بصرامة:

-مش من حقك تحكم على حد من وجهة نظرك إنت بس، وبعدين إنت أعلنت إنك بتكرهني، وإنت مش بتكرهني، إنت متقدرش تكرهني يا صهيب.

-أيوة عشان إنتي مش زيهم، إفهمي بقى أنا متمسك بيكي عشان إنتي شبهي، بتخليني أنسى كل حاجة بس أول ما أبدأ أفكر فيكي.

صمتت قليلاً قبل أن تهدأ من نبرتها وتتحدث بثبات:

-من وجهة نظري يا صهيب إن مفيش حد اتولد شرير، ومحدش الشر ملاه من مفيش، عارف الشيطان؟ حتى دة كان ليه سبب إنه يكفر ويبقى شرير، وبعد إرادت ربنا سبحانه وتعالي كان السبب غيرته من آدم عليه السلام وغروره اللي منعه يسجدله لما ربنا أمره وقال "ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلْقتَ طِينًا" وكان

دة بالنسبة ليه سبب وجيه عشان يكفر، بس طبعًا دة عشان ربنا كان عاوز يخلي فيه جنة ونار، بس الموضوع هنا هل إنت شايف أمك أسوأ من الشيطان عشان تعمل كدة من غير سبب حتى لو مكانش مقنع! بنصحك تدور حلو ورا الموضوع دة، ثقة في الله هتلاقي إجابات تشفيك.

ثم وبدون حرف آخر تركته على عجالة، كيف تستطيع جعله يهدأ بعد أن توصله إلى تلك الدرجة من الإنفعال؟!

وكيف يخبرها أنه يكره النساء وهي منهن هل حسبته يقصدها! لا لا لقد أخبرته أنها تعلم أنه لا يكرهها. ولكن كيف علمت!

أخذ نفسًا مطولاً وقرر أن يلحق بها ليسألها عن شيءٍ ما.

كانت هي حينها قد ولجت للداخل، فلحقها إلى أن وجدها تتجه نحو إحدى الغرف، حينها أسرع إليها وأوقفها في منتصف الطريق وهو يمسك بيدها لكيلا تتابع السير. تنهدت وانتظرته حتى يتحدث، واستدارت لتنظر إليه.

بترقب سألها:

-جويرية أكيد مخدتيش الكلام دة عليكي!

ابتسمت باكتهاء وهي تجيبه بفتور:

-لأ يا صهيب إنت عمرك ما بصتلي بكره، و أنا عمري ما أغلط في نظرات الكره أبدًا، أنا عارفاها كويس أوي.

كيف يخبرها أنه يود لو يفعل أي شيء في مقابل معرفة ماضيها، من الواضح أنه لم

يكن جميلاً كماضيه، أي كرهٍ هذا الذي تتحدث عنه؟ وأي ألمٍ قاسته!

-أنا أعرف إن كان عندك أخت، بس.. بس معرفش عنها حاجة، وازاي ماتت!

تبدلت نظراتها إلى الصدمة الممزوجة بالألم فجأة، وقالت:

-إنت قولت جينا هنا عشان ننسى!

ظهرت الجدية على ملامحه وهو يجيبها ببساطة:

-أقدر أزود يومين كمان لو حابة ننسى فيهم، بس أنا يهمني اعرف، يهمني عشان..

صمت قليلاً ولم يدرِ ماذا يقول، فهو بالفعل لا يعلم لما يهتم بمعرفة الأمر، لكنه إلى درجة كبيرة يشعر أن هذا الأمر له علاقة بحزنها الدائم.

نظر لها وتابع بهدوء:

-هتقولي!

نظرت له مطولاً في صمتٍ رهيب، وعلم أنها لن تجيبه، لذلك قرر أن يـ..

-إسمها سوفانا، كانت توأم ليا، ماتت.. ماتت بإنهيار عصبي وهي عندها ١٦ سنة.

كانت تتحدث وتصمت ثم تتابع وهي مطرقة الرأس، بعد أن استندت على الحائط خلفها.

سألها هو بهدوء:

-حصلها نفس إللي حصل لفيروز صح؟

نظرت له مصدومة فهي لم تكن تنوي إخباره، وسألته بثبات:

-براء قالك حاجة؟

هز رأسه نافيًا وأجابها:

-لأ مجرد إحساس.

تنهدت بأسى، ثم نظرت للأسفل مرة أخرى، و استمر الصمت نحو عشر ثوانٍ قبل أن ترفع رأسها له فجأة وتتابع متشبثة بحروف كلماتها:

-بس إحنا مسيبناهمش، هي صح ماتت، بس أنا.. أنا أخدتلها حقها.

كانت عيناها جامدتان بطريقة قاسية، وهي تنطق بشراسة:

-كل واحد في الخمسة دول خد جزاؤه.

اتسعت عينا وهو يسألها:

-خمسة!

أجابته بنوعٍ من الإستهجان:

-خمسة.

أغمض عينيه وفتحها عدة مرات، كيف يعقل هذا! خمسة رجال على فتاة! فتاة تشبه زوجته إلى حدٍ كبير. أصابته الفكرة بالغضب والاستنكار. ثم عاد ليسألها بانفعال:

-وإنتم سيبتوهم!

هزت رأسها نافية وهي تجيبه بعينين حادتين:

-ولو على جثتي، قتلناهم كلهم.

لم يصدق هو ما قالته، تلك المسالمة تقتل! هل يتوهم ما سمع، لكنها تابعت لتؤكد له الأمر:

-معتصم قدر يجمع منهم أربعة، ووداهم في مكان برا المحافظة، لأنه كان وعدني أنا وبراء يمسكهم، ولما جابهم قال لنا وروحنا هناك.

نظرت له وعينيها بدأتا تشتعلان وهي تتابع:

-أنا متحكمتش في نفسي لما شوفتهم،
وكنت جايبة سكينة معايا، و..

لم تكن جويرية تشعر أنها تقص له ما حدث، بل كانت تتذكر فقط الأمر وكأنه واقع أمامها، ولم تعلم أنها كانت تروي له ما تتذكره حينها..+

...

٢٠٠٥

كان الأربعة رجال مقيدون في مقاعدهم، وكلاً منهم يستجدي ويصيح متوسلاً بتركه.

اقتربت هي منهم حاملة سكينًا حادة بيدها، فركض نحوها الآخر يمسكها ويردف:

-جويرية استني، اهدي شوية.

نظرت له والشرار يتطاير من عينها وصاحت به:

-براء منصحكش تقرب مني الوقت، خالص.

ثم اقترب منهما الثالث ووقف أمامها فهدرت بغضب:

-معتصم ابعد الوقت

أخذ معتصم نفسًا هادئًا وأجابها بثبات:

-لأ إنتي فهمتيني غلط، أنا بتمنالهم أكتر من الموت

ثم مد يده لها بمسدسه وهو يتابع ناظرًا لهم بحقد:

-أنا مش عاوزك بس تتوسخي بدم الأنجاس دول.

ابتسمت له ابتسامة مرعبة، ورفعت السكين أمام بصرها وهي تجيبه بهدوء:

-بس أنا شايفة إن السكينة هتوجع أكتر

نظر لها براء بصمت، هو لا يمانع أن يقتلهم هو وصديقه، لكنه لم يكن يريدها أن تدنس يدها بدمهم، ولكن لا بأس إن كانت تريد ذلك فلها ما شاءت.

ابتعد معتصم من أمامها فتقدمت هي نحو أحد الرجال. كان معصوب العينين، فنزعت له غطاء عينيه، ولكنه بمجرد أن أبصرها اتسعت عيناه هاتفًا بصدمة:

-آآ إنتي!

أمسكت هي بشعره وجذبته بعنف، وبدأت تتحدث بخفوت كفحيح الأفعى:

-إيه خايف!

ثم وضعت السكين على رقبته وهي تتابع بنفس النبرة:

-بسألك، خايف؟

هز الرجل رأسه أي نعم بذعر، فضحكت، وبعدها سألته بهدوء:

-هسألك سؤال واحد بس تجاوبني بصراحة

أومأ رأسه سريعًا، فبدأت تتحدث:

-لما إنتم كنتم بتتهجموا عليا زي الحيوانات، و أنا فضلت أصرخ عشان تسيبوني، سبتوني؟!

أطرق الرجل رأسه، فصفعته بقوة وسألته بانفعال:

-جاوب.

أجابها برعب:

-لأ

ابتسمت بجمود فأرعبته، وقالت:

-يبقى أنا ليه أسيبك!

اتسعت عينا الرجل وبدأت أواصله ترتجف، وتحدث بخوف:

-أنا آسف، أنا مكنش قصدي آآآ..

لم يتابع لأنها كانت قد غرست السكين فى بطنه، وعاودت النظر إليه قائلة بألم:

-آسف دي مبترجعش اللي مات، آسف مش هترجع أختي.

ثم قررت القضاء عليه نهائيًا، فرفعت السكين إلى رقبته، وذبحته كما الخرفان.

في ذاك الحين كانت أصوات الرجال الثلاث تتضارب بين الذعر والبكاء، وبراء ومعتصم

ينظران له بتشفي، أما نظراتها فكانت تختلط نظراتها بين التشفي والألم، وبدون مقدمات صوب كلًا من معتصم وبراء مسدسهما نحو أحد الرجال، وسويًا أطلقا النار فقتلاهما.

و ظلت جويرية تنظر للقتيلان الجدد بخواء، حينها كاد معتصم أن يصوب المسدس نحو الأخير ليقتله، لكنها أوقفته قائلة بهدوء:

-كفاية عليك كدة، دة ليا أنا.

نظر لها بصلابة، لقد اشترك الجميع يومها في نفس النظرة. نظرة الحقد والكره، أعطاها المسدس، فأمسكته بثبات، وصوبته نحو قلبه مباشرةً، وبمجرد أن أطلقت النار، لقي مصرعه.

العجيب أنها لم تخف حتى من الإمساك بالمسدس أو القتل، لم تخف أبدًا بل

استدارت ونظرت لمعتصم بجمود، ثم قالت وهي تعيد له سلاحه:

-الخامس فين؟

أخذ نفسًا حادًا وأجابها:

-لسة همسكه متقلقيش، و دة عليا أنا.+

...

٢٠١٠

بعد أن انتهت جويرية من سرد الأحداث تفاجأت أنه ينصت إليها، ولم يمهلها وقتًا حتى سأل صهيب مصدومًا:

-يعني إنتي عاوزة تفهميني إنك كان عندك ١٦ سنة، وقتلتلي راجلين، ومسكتي مسدس!

أجابته بهدوء برغم غضبها من نفسها لانسياقها للحديث هكذا:

-أهلي خط أحمر.

أخذ نفسًا حاول فيه السيطرة على أعصابه، وسألها:

-طب والخامس

-معتصم لقاه بعدها بسنتين وقتله، بس اتكشف ساعتها لأنه قتله في مكان عام، وبما إنهم كانوا بينضفوا دفاترهم أول بأول فمكنش مذنب من وجهة نظر الحكومة، ومعتصم كان مستحيل يسيبه للقضاء الشامخ بتاعنا! بس اتكشف للأسف وكان ممكن الموضوع يكبر لولا إن والده وشوية من صحابه اتدخلوا وخرجوه من الموضوع.

اقترب منها صهيب ووضع يده على وجهها وقد حانت ملامحه كثيرًا لدرجة لم تفهمها هي، فهي حين انتهت من الأمر ظنت أنه سيكرهها، فهاهي تقتل كوالدته تمامًا، لكنه وضع يدها على وجهها وأردف باسمًا بحزن:

-لو كنت مكانت كنت هعمل نفس اللي عملتيه.

صمت لثوانٍ، ثم عاد يتابع بخفوت:

-إحنا اتحملنا كتير أوي، أكتر من طاقتنا.

تابعت هي بشرود:

-ولسة بنتحمل، لسة عشان عايشين.

هز رأسه نافيًا، فانتبهت له يقول بعدها بثقة:

-مش إنتي بتقولي دايمًا إن عندك أمل في ربنا!

-أكيد

-أنا كمان عندي أمل إنه مش هيسيبنا نعاني أكتر من كدة.

ابتسمت له، ثم قالت بعد صمت ثوانٍ:

-فكرت هتكرهني زيهم بعد ما..

-قولتلك لو كنت مكانك كان فات دي ردة فعلي، وكمان دة حقك.

لم تصدق أنه يعطيها العذر في كل ما تقول، أو ما تفعل، يعطيها الرد الذي تريد سماعه أغلب الوقت، لا يحاسبها بل دائمًا يؤيدها!

تقدمت خطوتين واستقرت داخل ذراعاه، ثم ضمت يداها إليها، وأستندت رأسها على صدره وهي تنظر تحتها، أما هو فقد اعتلى ثغره ابتسامة راضية، وقيدها بذراعيه بقوة، يريد أن يخبرها أن الأمر لا يحتاج كل هذا

العناء، بقاؤهما سويًا سيجعل الجروح تنضب سريعًا..

هل سمعت من قبل بأن الداء فيه الدواء! فالأفعى تبخ سمًا قاتلاً وعلاجه الوحيد يُستخرج منها! والقهوة تزيد الهالات السوداء بينما ما يتبقى من كوب القهوة يوضع تحت العين فيزيل الهالات! حسنًا هل تعلم أن أجنحة البعوضة أحدهما سام والآخر فيه الدواء، سبحان الله، هكذا الأمر بينهما، هو السم والدواء، وهي الدواء والسم.

مضى الوقت ولم يحسب له أحدهما حسابًا. وتوقف كلاهما عن التفكير.. توففا عن الشعور بالألم والحزن وتركا الهدوء والسكينة يتسللان إلى قلبهما..

-لما شوفتك أول مرة قولت إنك حية سامة، بس الفرق إنك مش بتخبي سمومك، مش

خبيثة.. وأخدت وقت عشان أعرف إنتي إيه بالظبط.

سألته بهدوء:

-ولاقتني إيه؟!

رد باسمًا بخفوت:

-جويرية، لقيتك جويرية كائن فريد من نوعه، وباقي السلالات منه انقرضت!

ضحكت ساخرة وهي تقول:

-قكرتك هتزهق مني بسرعة

ارتفع حاجباه للأعلى عفويًا، وسألها بدهشة:

-أزهق منك!

ابتسمت بوجوم وهي تتابع:

-آه، أنا مش بسلي فاهم

ثم ابتعدت عنه قليلاً وتابعت بجدية وهي تنظر له:

-مش بضحك كتير، مش بتكلم كتير، انطوائية، سلبية مع المواقف الجديدة، مش فضولية، وبـ..

-سؤال واحد بس!

قاطعها هو بتلك الكلمات وقد بدى عليه الإندهاش وهو يسألها:

-إنتي بجد معتبرة دول عيوب!

عقدت حاجبها وهي تردف بجدية:

-لأ طبعًا، أنا بحب نفسي كدة ومش هتغير. أنا بتكلم عليك إنت لأن مش أي حد يقدر يتحملني لفترة طويلة.

زفر صهيب يائسًا منها، فبتسمت في المقابل.

وضع يده على جبهته ومن ثم مسح على رأسه بسرعة، فكتفت يداها ورفعت حاجباها.

-إنتي نسيتي حاجة وإنتي بتوصفي نفسك.

-قصدك إني باردة يعني!

ابتسم وهو يجيب بهدوء:

-أيوة، هو دة اللي أقصده.

حركت يدها في الهواء، وبنبرة غير مكترثة أردفت:

-أكيد كنت هقول، بس إنت قاطعتني

صمتت قليلاً قبل أن تكمل بجدية:

-ثم إني مطلبتش نخرج عشان أتحبس في البيت برضوه!

عقد حاجباه بحيرة وسألها:

-طيب، نروح مطعم!

-لأ

-جنينة

-لأ

-البحر!

-طب ما البحر قدامنا، لأ برضوه!

-طب عاوزة تروحي فين!

ظلت تفكر قليلاً، ثم نظرت له فجأة وقالت:

-مش عارفة، بس مش عاوزة أفضل هنا بجد مليت.

كتف يداه بهدوء، وظل يفكر لدقيقة، ثم نظر لها، وتحدث:

-خلاص أنا عرفت.

ثم أخرج هاتفه من جيبه ونظر للأرقام، ثم أخرج رقمًا ما وطلبه.....!!!+

.....!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثامن والأربعون:

+

اعتادت منذ صغرها حين تأخذ قرارًا ألا ترجع فيه أبدًا، حتى و إن شعرت بالندم حيال ذلك القرار..

هي الآن أمام عيادة الطبيب النفسي، ويفصلها عنه بابٌ واحد. ذاك الباب يفصلها عن كل الألم الذي ستضطر آسفةً أن تحياه من جديد، لأنها وبكل بساطة ستستطرد كل ما حدث معها، و كل الألم الذي سببه لها زوجها يومًا.

رفعت يدها و قبضت على المقبض و قلبها يترجاها أن تبتعد، لكن عقلها يدفعها للمضي قُدمًا. فتحت الباب و دلفت للداخل، فكان الطبيب موليًا إياها ظهره بمقعده الأسود الجلدي، و بحذرٍ شديد تقدمت هي و جلست على المقعد المناظر لمقعده مُعتدلاً.+

بعد ذاك الرعب والفزع الذي يسيطر عليها حين يقترب منها رجلٌ أيًا كان، و بعد هذا الألم الذي تضطر كل يومٍ لخوضه، و الكوابيس التي تراودها، قررت زيارة طبيب نفسي بدون إخبار أحدٍ عن الأمر، و الأهم أنها أرادت طبيبًا لا تعرفه، و لا يعرفها.

كانت ناظرةً أمامها بشرود، و لم تنتبه للطبيب الذي أدار مقعده و ظل ينظر لها بدهشة.

أخذت نفسًا عميقًا و زفرته على عجالة، ثم نظرت له فوجدته قد اعتدل و ينظر لها، ولكن ليس هذا هو المهم.. المهم من هو! وقفت متسعة العينين، ناظرةً له بصدمة قبل أن تتحدث:

-إنت! آآآ إنت بتعمل إيه هنا؟!!

عانق الأخير أصابع يديه ببعضها، ثم نظر لها لثوانٍ قبل أن يردف بهدوء:

-المفروض أنا إللي اسألك!

هزت رأسها نافية و هي تجيب بارتباك:

-لأ أنا كنت جاية أقابل الدكتور!

حل يده وأشار للغرفة ككل وهو يجيبها:

-العيادة دي بتاعتي.

بدأت تستوعب الأمر و قد بدأت ذكرياتها تعيد لها بضع كلمات..

"أنا لؤي" "د. لؤي وجيه في إنتظارك يا فندم" "لؤي"

-لؤي!

قالتها وقد بدى عليها التشتت

فرفع ناظريه إليها وابتسم قائلاً ببساطة و هو يومئ رأسه:

-لؤي

نظرت له بجدية، مختلطة بالغضب و الحنق، و سارت في اتجاه الباب و هي تردف:

-أنا مكنتش أعرف إن إنت، أنا ماشية

-اتفضلي، بس أنا مغلتطش لما قولتلك إنك بتهربي دايمًا

وقفت في محلها و قد تشنج وجهها بشدة، ثم استدارت إليه لتحدجه بنظراتها القاتمة، فتابع هو بجدية:

-تقدري تتفضلي.

اقتربت هي منه، و ما إن وقفت أمامه حتى ضربت على المكتب بيداها الإثنتين بقوة، ثم تحدث بغضب و هي تتشبث بحروف كلماتها:

-أنا مش بهرب..

أرجع رأسه للخلف، و سألها بسكون:

-أممم، يعني إنك تخرجي أول ما تشوفيني دة مش هرب!

ثم وقف، فحاولت أن تظل ثابتة بمكانها و نجحت، ثم استدار إليها، فخارت مقاومتها

وتراجعت خطوتان للخلف، فظل هو يقترب و هي تبتعد ليسألها في ذات الوقت:

-أومال ليه بتخافي!

كادت أن تقع وهي تتراجع مجددًا، فأسرع هو بخطوتين وأمسك بيدها، وجعلها تعتدل في وقفتها. حينها خلصت هي يدها منه بسرعة و قد بدأت ترتجف بطريقة غريبة، مما جعله يبتعد عنها نفس الخطوتين اللتان كانتا الفاصل بينهما.

ظل ينظر لها لبعض الوقت قبل أن يردف بجدية:

-قدامك خيارين، إما إنك تفضلي هنا ونبدأ نتعاون عشان تقدري تعيشي حياة طبيعية، أو.. تمشي، والباب وراكي أهو، و أنا معاكي شوفي هتختاري إيه؟

ثم تركها وعاد لمكتبه من جديد، فظلت هي تنظر له تارةً، ثم للباب أخرى. قد تقف حياتها فقط على تلك اللحظة التي ستقرر فيها، و هي واثقة أنها لو غادرت لن تعود و لن تذهب لطبيب آخر. لكن في ذات الوقت الأمر ليس هينًا، المواجهة صعبة، و..

نظرت للباب و قد أخذت قرارها، ستغادر، سارت عدة خطوات. ستتحمل الألم، و الخوف، و الكوابيس كل ليلة، لكيلا تتحمل تلك المواجهة

ستغادر..

ستتحمل خوفها الدائم من أي رجل يقترب منها و ستعيش تعيسة هي و طفلها لكيلا تتحمل تلك المواج..

توقفت عند الباب حين وصلت إلى تلك النقطة، لا لن تتحمل يكفي ما قاسته و عانت منه، يكفي كل هذا لن تتحمل..

استدارت تنظر له، فوجدته مُكتف اليدين مسترخي الظهر ناظرًا لها بهدوء، أطرقت رأسها و بدأت تقترب منه من جديد، فأخفى شبح ابتسامة ظهرت على محياه.

-ماشي، آآ هفضل

-ليه؟

سألها ذاك السؤال الذي لم تضع له إجابة قبلها، لكنها استطاعت أن تجيب بألم:

-I can't Bearing (ما عاد بإمكاني التحمل)

أومأ رأسه و أجابها:

-good

ثم سألها من جديد:

-أمريكية صح؟

-آه

-نطقك للغتنا بيخليكي تتكيفي معانا بسرعة!

أخذت نفسًا طويلاً قبل أن تجيبه بروية:

-كنت بحب اللغة العربية عمومًا والمصرية خصوصًا من صغري، فاتعلمتهم من غير تكسير.

أومأ رأسه مبتسمًا تلك الابتسامة الخفيفة، ثم وقف و ذهب أمام المعقد الخاص بالمرضى، و أشار لها قائلاً بثبات:

-اتفضلي.

بدأت تقترب ببطءٍ منه و لا يزال التردد جاليًا على ملامحها، لكنها بمجرد أن وصلت له، و جلست، تحدث بنبرة متريثة:

-أنا عاوزك و انتي بتحكي تغمضي عينك، وتنسي إني موجود. إحكي لنفسك مش ليا

نظرت للسقف فوقها، و دمعت عيناها وهي تتذكر كل شيء. لم تكن الذكريات تحتاج إلا إذنًا بالخروج لكي تأخذ محيطًا هائلاً من أفكارها.. نفذت ما طلبه منها، وأغمضت عينيها لتقص على نفسها ما حدث.

+...

مضت ساعة كاملة، وهي تنتزع الذكريات من ذاكرتها انتزاعًا، لم تعد ممددة بل جلست وظلت تبكي. أما هو فقد كان هادءًا تمامًا، لقد اعتقد من قبل أن ما حدث لها

ليس بالهين لكن لم يظن أنه بهذه البشاعة، و غير ذلك يختلف الأمر معها كليًا فهي كانت مدللة في الصغر و حين تمر بهذا فجأة، لن يقوى عقلها على الإحتمال. و مع هذا ظل هادءًا تمامًا. لم يمنعها للحظة من البكاء و تركها تطلق العنان لعبراتها، فهو يعلم أنها ستفيدها و تخفف من ألمها.+

في النهاية كانت قد أخبرته بكل شيء.. كل شيء، فأخرج منديلاً من جيبه أعطاها إياه وهو يحدثها بهدوء:

-إنتي اللي بتسمحيله يجيلك كل شوية، إنتي لازم تقتنعي إنه مات ومستحيل يرجع يإذيكي.

مسحت دموعها وأجابته بخفوت:

-أنا مقتنعة إنه مات

رد بجدية:

-لو مقتنعة مش هتحلمي بيه و لا بأي حاجة كانت بتحصل بينكم..!

هدأ أكثر من نبرته وتابع:

-ذكرياته تقدري إنتي بس تحرقيها وتمحيها من حياتك.

سألته بسرعة:

-ازاي؟

-إنتي إللي هتعرفي ازاي مش أنا، الطريقة دي جواكي انتي.

نظرت له و لما حوله باختناق. و لم تتفوه، ثم نزلت، و سارت بضع خطواتٍ نحو المكتب، أخذت منديلاً جديدًا من علبة المناديل على

سطح المكتب، ثم أخذت حقيبتها، و سألته بثبات:

-آجي تاني إمت!

أجاب ببساطة:

-لما تنسيه.

-و ابقى أنا جاية ليه؟

-عشان تقوليلي إنك نسيتيه.

سيطرت على انفعالها، ونظرت له قائلة:

-بس أنا جاية عشان تساعدني!

سار عدة خطوات ووقف أمامها، ثم أجابها بسكون:

-لو روحتي لدكتور غيري هيساعدك، بس أنا لأ أنا عاوزك تساعدي نفسك بنفسك. و دي

حرية شخصية طبعًا، يعني لو عاوزة تروحي لغيري فيه كتير.

رفعت حاجباها و أجابته باستنكار:

-إنت بتعمل كدة مع كل المرضى عندك؟!

-اشمعنا؟

-عشان أكيد محدش هيجيلك!

قرب يديه من يدها، فأبعدتها على الفور وابتعدت عنه، فابتسم وسألها ببرود:

-و هو كل المرضى عندي بيخافوا أمسك اديهم؟!

أشاحت و جهها عنه بحرج، فمد يده ليدير وجهها إليه بحذر، و لم يسمح لها بالإبتعاد حين أمسك يدها بيده الأخرى، فارتجفت و

قالت و قد بدأت الدموع تتكون في عينيها من جديد:

-خلاص بجد

-ليه؟

نكست رأسها وأجابت بخفوت:

-بخاف

-كاثرن!

ناداها، فنظرت له، فتابع بهدوء:

-النسيان مش حل، لازم تواجهي مخاوفك

كادت تطرق رأسها من جديد، لكنه رفع رأسها قائلاً:

-لو مقدرتيش تواجهي مخاوفك مهتقدريش تعملي أي حاجة تانية، فكري دايمًا إنك

هتقدري تتغلبي على الذكريات دي، إنتي وابنك الأقوى ولا الذكريات!

-الذكريات

-لأ إنتي، إنتي أقوى بكتير، لازم يبقى عندك ثقة.

ثم تركها، وذهب ليجلس على مكتبه مرةً أخرى. فنظرت له لثوانٍ قبل أن تذهب.

ثقة في الله ستنسى كل شيء، وستعود كما كانت في أقرب وقت، هكذا ظنت نفسه، ثم تابعت إن كان كطبيب لن يراها مجددًا قبل أن تنسى، فلا بأس به صديقًا يراها متى شاء.+

+.....

في عُرض البحر، حيث ينعكس لون السماء حالكة السواد على سطحه، فيأتي القمر

ليبدد السواد بنوره الوهاج.. تحديدًا في داخل هذا القارب الذي يطفوا على السطح، تواجدا، يقف كلاً منهما بجانب الآخر ينظر إلى الآفاق البعيدة، ثم يعيد النظر أسفله لجمال الماء الذي يطفوا عليه. الهواء يرد روحًا قد فنت منذ ملايين السنين.

اخترق حاجز الصمت بينهما صوته الهادئ و هو يقول:

-كنت عارف إنك هتحبي الخروجة دي.

ابتسمت، ثم نظرت له لثوانٍ بدون أن تتحدث. الجميل أنها قد شعرت بالسكينة بمجرد ركوبها على متن ذاك القارب، أحبت كثيرًا الأمر، أحبت أن تتوسط مياه البحر، و تعلوا أكثر إلى السماء. لكن ما أثار تساؤلها، كيف له أن يعلم أن هذا سيريحها بالرغم من

أنها المرة الأولى التي تركبه فيها، و إن كانت نفسها لم تكُ تدري!

-فعلاً حبيت الرحلة دي أوي.

كان ذاك هو ردها البسيط، فعاد هو ينظر أمامه ويتحدث بغموض:

-أنا برتاح لما بكون في نص البحر، عشان كدة خمنت إنك ممكن تحبي الموضوع دة.

صمت قليلاً و كانت هي منتبهةً إليه رغم أنها لم تنظر له حتى، ثم عاد يتابع مبتسمًا لنفسه بتهكم:

-تقريبًا كل مرة أحس فيها إن طاقتي خلصت كنت باجي هنا أشحنها.

نظر لها وسألها باهتمام:

-و إنتي؟

أخذت نفسًا مطولاً قبل أن تجيبه بسكون:

-كنت بصلي.

أومأ رأسه لها، ثم عاد لينظر للسماء، و يتحدث بوجوم:

-بس أنا كنت بعيد عن ربنا طول حياتي، تصوري مثلاً بعد كل دة بعد ليه ممكن يسامحني؟

استدارت كليًا ونظرت له، ثم كتفت ذراعاها وانتظرته حتى ينتهي، و هو كان ما يزال يتابع بحزن:

-لو أنا مش بسامح في حقي، ليه ربنا يسامحني!

ببساطة أجابته:

-أنا هسيب ربنا يجاوبك، عشان هو إللي قال ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ولو ربنا قال كدة أنا مليش دعوة.

-أيوة، بس أنا عمري ما صليت، وعمري ما..

-﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

شعر بالسكينة تغزوه، ما معنى أن تقضي حياةً بعيدةً تمامًا عن رب العباد، بعيدةً عن كل ما يرضيه، حياة فاسدة لا تصلح لشيء، وبمجرد أن تنوي التوبة يُفتح أمامك حتى الألف باب!

لو كان الناس لا يسامحون ولا يغفرون لبعضهم البعض فرب الناس يغفر!

يا الله إلى أي حدٍ نبتعد عنك، وبمجرد أن نتوب تسامحنا. يا الله كم أنا عاصٍ وأنت الرحمن الرحيم. يا الله هلا غفرت لعبدٍ أحوج

بالغفران من أي شيءٍ آخر.. أحوج إليه أكثر من هواءه الذي يتنفسه.

أنا من جئت أرجوك، عاصيًا امتلأت صحفي بالذنوب، أنا من جئت أرجوك، ظالمًا ظلم نفسه من قبل والآن يتوب، أنا العبد الذي يتودد إليك برحمةٍ، لتغيثني من ظلمات نفسي يا ودود.

كيف ردد صهيب هذا الحديث في رأسه، ومن أين أتاه الإلهام ليدعوا هكذا، وبتلك الصورة البديعة؟! هو لا يدري إلا أنه استشعر الرغبة في مناجاة خالقه الرحمن.

دمعت عيناه وهو ينظر للسماء، فتأكدت أنه فهم معنويًا تلك الآيات. ومن أحن من رب جميع الكائنات ليرفع عن عباده بآياته الكريمة جميع الإبتلاءات!

من الصعب فهم العلاقة التي تجمعهما، فهي في الحقيقة عبارة عن مشاعر وأحاسيس فقط. لا يربطهما إلا الترابط الفكري، المعنوي، المتضادات بينهما تكاد تنعدم، والمتوافقات تكتسح. يوميًا يتجلى أمامها صهيب على طبيعته.. صهيب خاليًا من الكبرياء والعظمة التي كانت تغطيه من منصبه، صهيب الذي هو في الحقيقة ليس أقل منها ألمًا ووحدة. لتقف دومًا عند نفس النقطة، ما الذي جعله يصبح على ما هو عليه الآن؟! أي ألمٍ عاناه!

-تعرف يا صهيب، إنت تعرف عني معلومات براء نفسه ميعرفهاش.

أخذ نفسًا، وأجاب بهدوء:

-مش أكتر من إللي إنتي تعرفيه عني.

رفعت حاجباها، وتحدثت باسمة:

-فيه فرق، بين إني أفهمك، أو أعرف عنك!

ابتسم مبادلاً إياها، وأجابها متسائلاً بدهاء:

-أعتبر دة فضول؟

ببساطة أجابته وابتسامتها الواثقة تتسع:

-اعتبره.

-اسألي.

أخذت نفسًا طويلاً، وحذرته:

-ممنوع التهرب

-موافق

حلت يداها، وأطالت النظر له قبل أن تسأله بروية:

-إيه إللي خلاك كدة؟

تنهد، وأجاب باختناق:

-الماضي، الحاضر، كل حاجة بتقسي.

-والدتك قتلت مين؟

نظر لها وقد بدأ هدوءه يتبدد، إلا أنها أسكنته متابعة بثبات:

-وافتكر قولت مش هتتهرب.

طالت النظرات الغاضبة منه، فانتظرته حتى يهدأ، وانتظر هو نفسه حتى يهدأ ليستطيع الحديث، فلما لا يروي لها ما حدث، ألم تخبره هي من قبل!

-ماشي، طلاما انتي مصرة تعرفي، أنا هقولك كل حاجة..

انصتت له باهتمامٍ، وفضولٍ لم ينتبها في حياتها من قبل، وراقبته وهو يتحدث:

-أمي قتلت والدي، أو بمعنى أصح اللي هو المفروض كان والدي، وقتلت عمي كمان.

ثم ابتسم باستنكار، وتابع:

-عشان أكتشف بعد كدة، إن دة مش والدي، ووالدي الحقيقي هو رحيل إللي هي أصلاً متجوزتوش، بس جابتني منه وربتني على أساس إن جوزها جلال يبقى والدي!

ثم نظر لها وسألها بانفعال قليلاً:

-بس

وضعت اصبعها بين أسنانها وعضت عليه بقوة، ثم سألته بجدية:

-يعني إنت شوفتها وهي بتقتله!

استند بجانبها على القارب، ونظر بشرود في للأمام وأجابها:

-أنا شوفت كتير أوي يا جويرية، شوفتهم بيدبحوه، شوفت الإخوات بيقتلوا وبيضربوا في بعض عشان الفلوس، وعارفة شوفت إيه كمان؟ شوفت خداع، وخيانة، وظلم، شوفت كتير وأنا صغير.

فكرت قليلاً في حديثه قبل أن تجيبه:

-طب مفكرتش تفهم ليه كل دة كان بيحصل؟

كاد أن يجيبها بحدة إلا أنها تابعت:

-بدون تعصب لأحد الأفراد جربت تشوف الموضوع من منظور تاني!

بدت أكثر جدية وهي تنظر إليه، وبرغم هذا ابتسمت متسائلة بغموض:

-تخيل لو إنت كنت شوفتني بس من كام سنة وأنا بقتل في الرجالة دول كنت هتقول عليا إيه؟ سفاحة!

تخيل هو المشهد، ثم برر:

-بس كان ليكي دوافع!

أشارت له بيدها وهي تجيبه:

-بالظابط كدة، دة اللي لازم نوصله، الشر مبيجيش من فراغ حتى لو فيه بوادر!

نظر لها لثوان وقد بدى عليه الهدوء وهو يسألها:

-قصدك إيه؟

أجابته بهدوءٍ مماثل:

-لازم نعرف الأول ليه عملت كدة، ونبدأ بعدها نشوف مين اللي غلطان.

بدأت تتجلى عليه علامات الإقتناع، فابتسمت له قائلة:

-بس احنا قولنا دول يومين خارج نطاق خدمة التفكير.

بادلها ابتسامة باهتة وهو شارد، فنادته بخفوت:

-صهيب!

نظر لها فتابعت بجدية:

-التفكير مش هيفيدك الوقت، خلينا نفكر لما نرجع.

أخذ نفسًا طويلاً، وحاول التركيز على عدم التركيز في أي شيء غير الإستمتاع بوقته فقط، فهو حقًا يحتاج لهذا.

ثم استدارا سويًا لينظرا للبحر بجماله البديع مرةً أخرى....!!!+

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل التاسع والأربعون:

+

+

+

منذ أكثر من ربع ساعة وهو ساجد، نعم ربع ساعة كاملة لم يرد فيها للحظة أن يرفع رأسه حتى لا يذهب ذاك الشعور الجميل.
شعورٌ بالأنس، والسلام الداخلي طغى عليه.
شعورٌ بالراحة والطمأنينة اكتسح مجال قلبه، وأراح صدره من الداخل، ونقاه.

فمنذ أن عادا للمنزل وذهب كلٌ منهما إلى غرفته الخاصة، شعر هو برغبةٍ مُلحة في الصلاة، فلم يمنع نفسه مع أنه قد أدى فروض اليوم بأكملها.. صحيح أنها ذكرته بمعظمها إلا أنه يحاول عدم النسيان. لذلك كان أول ما فعله أن توضأ ثم بدأ يصلي، وككل مرة يتوجه فيها للصلاة يشعر فيها بالسكينة، نفس الشعور كَساه، وتخلل فؤاده. وخاصة أنه بات يعلم أن لديه فرصة أخرى، فقد يعفوا الله عنه إذا ما تاب.

هو يحتاج التوبة..

يحتاج مرضاة الله..

يحتاج هذا.. نعم يحتاج هذا كثيرًا.١

رفع رأسه معتدلاً من سجوده، فإذا به يبكي وكأنه لم يبكِ يومًا! عيناه كانتا غارقتان

بعبراته، ولم يحاول أبدًا إيقاف نزيف عينيه. يمكن للشخص أن يشعر بالحرج إن بكى أمام أيٍ من الناس، لكن لا يمكنه أن يشعر بالحرج إن بكى أمام رب الناس. نحن ضعفاء.. لا حيلة لنا، ولا قوة لنا إلا برب الناس.+

استمرت صلاته لوقتٍ طويل، كلما أنهى ركعتين أتى بغيرهما. تجاوز الليل منتصفه، وبدى عليه الشعور بالإرهاق وهو يسلم آخر مرة لينهي الصلاة.

اعتاد دومًا على إرهاق العمل، فكان يعود متعبًا وقد ينسى أحيانًا تبديل ثيابه لكي يستيقظ اليوم الثاني مرتديًا إياها. لكن إرهاق السهر لأجل العبادة! لأول مرة يجربه، وبحق رب السماء شعر أن له لذة وحلاوة غير الذي من غيره كان. اعتدل واقفًا، ومسح دموعه

وهو يتجه نحو الفراش، لم يعد لديه قدرة على التفكير في أي شيء، فقط النوم. فاستلقى على الفراش ومدد يديه، وقبل أن يغفل تمامًا تذكر..+

"نظر لها وسألها باهتمام:

-وإنتي؟

أخذت نفسًا مطولاً قبل أن تجيبه بسكون:

-كنت بصلي."

حينها ابتسم عفويًا وهو يغفوا.+

+.....

في اليوم التالي..+

اصطفت السيارتان سويًا أمام ذاك المبنى الضخم. ثم ترجلت هي من السيارة وقبل أن

تودع أخيها، ترجل هو من السيارة الأخرى ممسكًا بيد ابنته، و..

-احم احم..

استدارت سريعًا حين سمعت صوته الهادئ، فرفع هو يده ليحيي أخيها الجالس في السيارة ويردف بحفاوة:

-السلام عليكم، كويس إني شوفتكم الوقت.

نظروا له وأجابوه بهدوء:

-وعليكم السلام

تابع هو بجدية:

-فيروز، سهيل، كان فيه موضوع عاوز نتكلم فيه.

ثم مسح على شعر ابنته وهو يكمل باسمًا:

-بس لما تخلصوا شغل، ولما تالا تخلص حضانة.

نظرت له فيروز وهي لا تفهم ما يعنيه، فابتسم مطمئنًا لها ولأخيها، حينها قال سهيل بحيرة بعد أن خرج من سيارته:

-موضوع إيه يا معتصم!

أجاب بغموض:

-هتعرفوا النهاردة، بس ادوني ميعاد مناسب أجيلكم فيه.

اقترب منه سهيل، ثم رفع تالا وهو يجيبه بمرح:

-متقولش كدة، تنور في أي وقت، وعامةً حظك النهاردة هرجع البيت بدري.

ضحكت تالا وهو يحملها، وترك معتصم يدها وهو ينظر إليهما بحنو، واطمئنان. أخرج سهيل من جيبه مصاصة وهمس في أذن الصغيرة ببضع كلمات، فنظرت لفيروز وضحكت ثم أخذت منه المصاصة.

وبدى أن فيروز خمنت ما أخبره بها، فنظرت له بوعيد.

أردف معتصم بنبرة طبيعية:

-خلاص هاجي على الساعة ٦ كدة.

أومأت فيروز رأسها، وأجابته باسمة:

-تشرفنا

أومأ رأسه لهما هو الآخر، ثم ودعهما وانصرف تاركًا إياهم جميعًا.

حينها نظرت فيروز لتالا وسألتها بغضب مصطنع:

-الولا دة كان بيقولك إيه؟

ضحكت تالا مجددًا، ونظرت لسهيل الذي بدوره ظل يهز رأسه نافيًا، لكنها وبعد أن أخرجت المصاصة من فمها أجابت بمرح:

-كان بيقولى آآآ..

وضع سهيل يده فوق فمها لكي يمنعها من الحديث وهو يصطنع الخوف، لكنها نزعت يده ضاحكة وأخرجت لسانها وهي تردف بسرعة:

-كان بيقول المصاصة دي كانت بتاعتك، وإنك طفلة، واخلي بالي عشان مش تاخديها مني.

ضيقت عيناها وهي تنظر له، فأنزل سهيل الطفلة سريعًا، وركب السيارة وهو يضحك، ويتظاهر بالخوف منها

-ماشي يا سهيل لينا بيت نتحاسب فيه.

قالتها فيروز بعد أن ركب هو، فأجابها وهو يتحرك بالسيارة:

-معلش بقى، المسامح كريم

ثم أخرج يده من خلال النافذة وأشار مودعًا وهو ينصرف مردداً بضحك:

-يلا السلام عليكم.

نظرت فيروز لتالا، ثم وضعت يدها في خصرها وهي تسألها بحدة مصطنعة:

-بتتريقي عليا يا تالا، ماشي! أنا هوريكي

ضحكت الفتاة وحاولت الهرب، إلا أنها أمسكتها وحملتها سريعًا وهي تتابع:

-تعالي يا مغلباني ندخل لحسن نترفد بسبب التأخير دة

ثم دلفتا سويًا بعدها..+

.....+

وقفت سيارته في منتصف الطريق. كان حائرًا لا يدري ما يفعل، فمن جهة تلك الخُطوة التي سيقوم بها تصب في مصلحة ابنته، لكن ماذا عنها هي!

تلوح أمامه الآن ذكريات من الماضي البعيد، حينما تزوج لأول مرة.. ولأن حياته الزوجية لم تنجح انفصلا بعد شهرين فقط. لم يكُ يزعجها أو يتعدى عليها، لكن العلاقة بينهما كانت كإخوة، كأصدقاء، فهو لم يقربها إلا في

نفس اليوم الذي تزوجا به، ثم لم يفعل مجددًا.

ليس لخطأٍ فيها.. بل فيه هو. لقد ظلمها كثيرًا هو يعلم ذلك، ولم يعلم لماذا فعل؟ لماذا لم يتقرب منها وهي لم تخطئ في حقه يومًا!

كان كلما اقترب منها يتذكر حبه الأول، لم يستطع يومًا أن ينساه. لذلك وكأي امرأة لديها كبرياء أضاعته عدة أيامٍ مع شخصٍ لم يهتم، لم تتحمله أكثر و قررت الإنفصال عنه، ووافق هو سريعًا حتى لا يظلمها أكثر من ذلك، أو ربما لسبب آخر هو نفسه يجهله.

لكنها عادت إليه مرةً أخرى تحمل طفلة صغيرة في يدها وتخبره أنها ابنته، كان عمرها عام. لتخبره بعدها أنها لم تكن تنوي احضارها له، أو إعلامه بالأمر إلا أنها اكتشفت

أنها مريضة بمرضٍ خطير، ولم تخبره باسم المرض حتى. ثم تركتها عنده وهو لا يفهم شيء ووصته أن يهتم بها إلى أن تعود.. لكنها لم تعد، لم تعد أبدًا لقد ماتت.

لن ينكر أنه شك في بادئ الأمر فيها، فلجأ إلى تحليل الحمض النووي حتى يتأكد، واعترته الصدمة حين علم أنها ابنته بالفعل.

يومٌ واحد فقط، وجاءته بابنته تلك! عاش معها بضع أيام، لم يكن يعلم كيف يتصرف كأبٍ جديد، لكنه اعتاد بعد عدة أشهر وأحبها.. أحبها لدرجة أنها صارت حياته كلها.

الآن هي تحتاج أم، وتلك الأم تحتاج زوج، لا أخ، ولا صديق، تحتاج رجلاً حنونًا ينسيها ما مرت به، وينسى حبه الأول معها.+

أخذ نفسًا عميقًا حزينًا، لقد اتخذ قرارًا، ولا رجعة فيه.

أردف لنفسه بهدوء:

-أنا صح، القرار دة صح عشان تالا.

صمت قليلاً ثم عاد ليسأل نفسه:

-طب وفيروز، وأنا، وهي أصلاً هتوافق! و..

-خلاص يا معتصم، مفيش رجوع، إنت أخدت القرار واديتهم الميعاد.

شبك يديه خلف رأسه وظل يتنفس باختناق. خائف فقط أن يظلمها، خائف من أن يجعلها تعاني أكثر مما عانته، لكنه لم يفهم أمرًا، لماذا بمجرد أن يراها أمامه ينسى حبيبته سوفانا؟!!+

+.....

حينما حل الصباح، وفتحت عيناها..

حسنًا قُلت فتحت عيناها! ماذا بها ما هذا الشيء الأبيض الذي تراه.

أغمضت عينيها، ثم فتحتهما من جديد، ومازالت ترى شيئًا أبيضًا فقط.. هل أصيبت بالعمى!

لحظة أيصاب الشخص بالعمى حين لا يرى إلا اللون الأبيض! كفى غباءًا! وبيديها جاءت لتفرك عينيها، إلا أنها لم تجد عينيها! بل وجدت ورقة بيضاء فوق عينيها، إذًا هذا هو سر عمى الألوان الصباحي!

نزعت الورقة من فوق عينيها، وأرجعتها للخلف قليلاً كي تستطيع النظر إليها، فهي وبدون شك قد علمت مصدرها.

قرأت:

"طال نومكِ، ومللت الإنتظار"

نظرت تلقائيًا للساعة، ما تزال العاشرة صباحًا لم تتأخر كثيرًا!

لكنها تذكرت هي حين كتبت له أول مرة أن يبتعد عنها، باللغة العربية لذلك هو من يومها يحرص على فعل هذا، فكلما أعطاها رسالة كانت بالفصحى. وهذا كان يعجبها كثيرًا، فهي تعشق لغة القرآن.

وعفويًا ابتسمت، ثم طوت الورقة ووضعتها أسفل الوسادة، ونزلت بخفة من على السرير. وتوجهت إلى الحمام.+

+...

جزء مما وراء الرواية..

٢٠٠٥

"عزائي الحار، لك يا قاطن هذا الدار..

إن كنت تريد الإنتقام، فأنا سأكون على الجناة مصدرًا للدمار..

وإلا انتظرت النهار، وللسلم فررت فرار..

لا طال الظلم، لا طال الألمُ، أنا أمثل الحق وأسعى للقصاص بهذا القرار..

لا تسلني من أكون، وانتظر حتى المساء، سأنتظرك في هذا العنوان ((...))"

كانت تلك رسالة من مجهول، قرأها المتلقي بصوتٍ عالٍ. لتحتقن عيناه بعدها وكأنه قد وجد ما كان يبحث عنه. حاول معرفة مصدر الرقم، إلا أنه فشل في الأمر فقد أرسلت الرسالة بدون أن يظهر رقم المرسل.

وبدون تفكير، نظر في ساعته فوجدها التاسعة مساءًا، لذلك أخذ هاتفه، ثم خرج من المنزل على الفور.+

+...

وصل هو إلى العنوان المطلوب، وقد كان ذلك المكان خارج حدود المحافظة، في مكان أشبه بصحراء مجهولة العنوان..

ظل واقفًا لفترة، وبالرغم من أن الظلام موحش، وصوت الرياح في هذا المساء يكاد يكون كصوت زمجرة أسدٍ غاضب، إلا أن عيناه لم تهتزا وظلتا بنفس الجمود، والحدة، وهو واقف مستند على سيارته ينتظر المرسل بفارغ الصبر، و..

-جميل، واضح إنك مش حذر زي أبوك خالص!

إلتفت هو للخلف حالما سمع صوت الرجل، فلم يتبين معظم ملامحه من قلة الضوء، لكنه تساءل بهدوء:

-هتساعدني ازاي؟ وإنت تعرفني منين؟

اقترب منه الرجل، حتى وقف أمامه مباشرة، ثم بدأ يتحدث بجدية:

-قبل أي حاجة، لازم تسمع اللي هقولهولك كويس.

راقب الرجل ملامح وجهه التي تكاد تختفي وتابع:

-أنا هديك المعلومات دي بس عشان تنتقم، واتأكد إن انتقامك دة في صالحي، العصابة دي كلها من مصلحتي تدميرها.

ثم رفع رأسه وأكمل بثقة:

-وإنت اللي هتعرف تعمل كدة وتدمرهم.

-إنت تعرفني؟

-معتصم وفيق، ابن وكيل النيابة المشهور وفيق السامي، ٢٠ سنة، وندخل في المهم.. اللي ماتت دي تبقى أخت صاحبك براء، غير إنها كانت حبيبتك!

اتسعت عينا معتصم وسأله بانفعال:

-إنت ازاي عارف المعلومات دي؟ أنا مقولتش لحد! إنت مين؟!

تنفس بعمقٍ وأجاب:

-أنا واحد من خلق الله، مش مهم أنا مين، المهم ازاي هساعدك. أما المعلومات دي قدرت أجمعها بسهولة كواحد من أهم المخترقين، المحترفين، وأما عن حبك ليها فطبيعي لو مكنتش بتحبها مكنتش جيت

لحد هنا برجليك! أو حتى بالسرعة دي كنت هتقول لاخوها.

أجابه معتصم وهو يكز على أسنانه:

-مفيش ورق بيثبت إن سوفانا وبراء اخوات، لأنهم اخوات في الرضاعة بس.

-بس أنا منفيتش إني راقبتك الكام أسبوع دول. في الأول كنت هكلم أخوها، بس إنت إللي هتقدر تساعدني أكتر.

زفر معتصم، فتابع الرجل:

-قبل ما الحادثة تحصل بيوم، حذرت وكيل النيابة وفيق، قولتله إنهم بيخططوا لعملية جديدة.

ثم احتقنت عيناه وتابع باشتعال:

-بس هو عمل إيه؟ سابهم عشان خاف يخاطر.

صدم الأخير عقب عبارته الأخيرة، وسأله بنبرة عالية:

-إنت بتقول إيه، إنت اتواصلت مع ابويا؟

وضع يده على كتفه وهو يجيبه بحدة:

-أيوة، قبل الحادثة بيوم، بس دة مش هيفيدنا الوقت.

ضرب الأخير على السيارة بقبضته بقوة، ثم نظر له وعيناه تشتعلان، ونزع يده من على كتفه قبل أن يوقعه أرضًا وهو يصيح بغضب:

-إنت كداب، مستحيل!

لم يبدُ على الأخير أي انفعال، بل وبكل هدوء وقف مجددًا، ثم أخرج صورة من جيبه، ومد يده له بها وهو يرد عليه بثقة:

-لو مش مصدقني، هتلاقي صورة مطابقة لدي في مكتبه

نظر معتصم للصورة، فلم تتبين أبدًا، فتابع الأخير بصوت منخفض:

-دي صورة للخمسة وهما.. وهما بيعتدوا عليها، الصورة دي اتبعتت الابوك عشان كدة هو اتحرك.

صمت معتصم للحظات، قبل أن يسأله وقد تجهمت ملامحه:

-إيه المطلوب مني عشان تجيبيلي الخمسة دول؟

أجابه بهدوء:

-في يوم من الأيام أختي حصلها ومن نفس العصابة القذرة دي نفس اللي حصل ليها، أختي ماتت على اديهم، عشان كدة صممت إني لازم أساعدك تنتقم، أنا انتقمت لأختي من اللي عمل كدة فيها، بس إنتقامي مش هيتم إلا بإبادة العصابة دي.

نظر له معتصم وقد فهم السبب الذي يدفعه لمساعدته، لكنه أقسم من قبل أنه سينتقم ممن قتلوها حية، سينقم ولو على رقبته، حتى أختها جعلته يعدها أنه لن ينتقم منهم وحده وكأنها كانت واثقة أنه سيجدهم.

-معتصم! قولت إيه؟

نظر له ووجه يلوح بالشر، وأجاب:

-هساعدك ننسفهم.

ابتسم الأخير ومد يده ليصافحه، وبالمثل فعل الأخير، حينها قال الرجل:

-في الحالة دي، أنا إسمي أبان، وبشتغل جاسوس جوا العصابة دي من بعد ما حصل اللي حصل لاختي، وأمي ماتت بحسرتها. أنا اختارتك إنت بالذات عشان لما راقبتك لمدة حسيت إني أقدر أعتمد عليك. وطبعًا الكلام دة هيبقى بينا.

أومأ معتصم رأسه، وهو في حالة لا يحسد عليها.+

+.....

زفر بغضب وهو يغلق الهاتف ويرمه على الأريكة بجانبه، فنظرت له لثوانٍ قبل أن تسأله بهدوء:

-دة رحيل صح؟

نظر لها متجهم الوجه ولم يجبها، ثم ترك الملعقة من يده، وأسند رأسه للخلف. لم تحد هي بعينيها عنه، وتابعت حديثها بروية وهي تترك الملعقة هي الأخرى:

-تخيل احساسك كأب، بتتصل بإبنك مبيردش وإنت واثق إنه مبيردش بمزاجه..

كاد يقاطعها مغتاظًا، لكنها تابعت بثبات:

-تخيل إنك نفسك توضح سوء التفاهم لحد، بس هو مش مديك ولا فرصة!

أشاح بوجهه بعيدًا، فأكملت بجدية:

-حط نفسك مكانه

وقف هو وتحدث بغضب:

-جويرية أنا بسيبك تتكلمي معايا زي ما إنتي عاوزة، وبديكي الحرية التامة في أي

تصرف تتصرفيه معايا، بس مش معنى كدة إنك..

قاطعته وهي تقف وتتحدث بهدوء شديد:

-مش معنى كدة إني إيه؟ أتدخل في التفاصيل دي!

صمت هو لبعض الوقت، وهو ينتبه لما قال، فقد أدرك أنه جرحها بتلك الكلمات، لكنها تابعت ببابتسامة خفيفة:

-معنديش مشكلة، بشرط إنك مكنتش تدخل في تفاصيل حياتي قبل كدة، صهيب، تقريبًا إنت لحد الوقت مش قادر توصل لتفكيري، ولا هتوصل زيهم. ودة الطبيعي ومش هلومك لأني عارفة إني متناقدة، معقدة، ومش بتفهم. بس أنا كنت بحاول آآ..

صمتت ولم تعد تستطيع الحديث، هل ذكرت يومًا أنها تكره تلك الطريقة. حينما تحاول أن.. حسنًا لا يهم.

سارت هي بعيدًا عنه، فغضب من نفسه، هو لم يقصد. يكاد يقسم أنه يستمتع بتدخلها في حياته، يشعر أنها تشاطره النصف الآخر منه. لكنه فقط منذ الصباح وقد اختنق من اتصالاته المتكررة، وتذكر كل شيءٍ من جديد، فامتلأ بشحنة جديدة من الغضب.

اختفت هي داخل الرواق، فوضع يداه الإثنتان بين خصيلات شعره وهو يسندهما على قدمه..

وتحدث مع نفسه بصوتٍ خافتٍ غاضب:

-إيه إللي خلاني أقول كدة؟+

لكنه لم يراها وهي تستند على الحائط من بعيد وتراقبه. زفرت بهدوء وحدثت نفسها:

-عارفة إنك متقصدش، بس إنت لازم تعرف الحقيقة لوحدك.

ثم تذكرت ما حدث البارحة بعد أن عادت معه مساءًا..+

+...

اتجهت نحو فراشها لتنام، وإذا بهاتفها يرن برقمٍ مجهول، فأجابت بعد عدة مرات، وسمعت المتحدث من الجانب الآخر يقول:

-معايا جويرية؟

أجابت بهدوء:

-معاك

حينها ظهر صوته متوترًا قليلاً وهو يتابع:

-طب يا بنتي أنا رحيل.. بصي من غير مقدمات أنا محتاج مساعدتك.

سألته بتريث:

-إتفضل؟

-أنا في الحقيقة أبقى والد جوزك، يعني حماكي، وجوزك لسة عارف الكلام دة من كام يوم بس.. وأنا كنت عاوز أحكيلك على كل حاجة عشان صهيب مش بيرد مهما اتصلت، أنا بس عاوزك توضحيله إن كل دة كان غصب عني، و..+

+...

حكى لها رحيل الكثير من التفاصيل، لذلك وعدته أن مساعدته ستكون واجبها في هذه الأيام. في الحقيقة لم ترد جويرية فعل ذلك لأنه طلب منها، بل لأنها حقًا أرادت فعل

ذلك لأجل صهيب كما حاول هو كثيرًا في الأيام السابقة.

ظلت جويرية تنظر له من بعيد، لم تدرِ ما الذي دهاها، فقد سيطرت عليها الرغبة بأن تذهب إليه وتخفف عنه. لكنها قاومت ذلك بصعوبة..

وثوانٍ ووجدته يخرج، ليذهب بعيدًا ويقف أمام البحر. أغمضت عيناها لعدة ثوانٍ وسارت خطوتان في اتجاه غرفتها، لكنها توقفت فجأة ووجدت نفسها تسير إلى حيث سار هو.

لماذا؟ و ما هو الدافع؟ لا تدري، لا تدري أبدًا، لكنها لم تتحمل شعورها بأنها أو أنه.. حسنًا أو ربما هي لم تفسر شعورها حتى الآن..+

حين وقفت خلفه، شعر بها واستدار على الفور. ظل ينظر لها لدقيقتان، لا يصدق أنها قد عادت.

-جويرية!

نطق بها مندهشًا، فسألته ببرود:

-إيه مالك، حرام آجي هنا؟

أشاح وجهه عنها، وأجابها بهدوء وهو ينظر للبحر أمامه:

-خدي راحتك

كتفت يديها وهي تنظر للبحر لبرهة قبل أن تقول بانزعاج:

-أنا عاوزة أرجع

راقبته بعد أن تحدثت، لكنه لم يظهر عليه أي تأثر لدرجة أنها شكت في أنه لم يسمعها، لولا أنها وجدته يردف ببساطة:

-كويس، وأنا كمان عشان الشغل، خلاص حضري حاجتك وهنمشي بعد شوية.

رفعت حاجباها وتابعت النظر للبحر، ثم تقدمت عدة خطواتٍ منه وهي تتحدث بغموض:

-بس أنا أكيد مش همشي من هنا إلا لما..

لم تتابع، ولكنه نظر لها باهتمام وهي تسير أمامه، وانتظر أن تتابع، إلا أنه وجدها تتجه نحو البحر، ثم تتقدم، وتتقدم. ففهم ما ترمي إليه، ثم نظر لها بحدة وقال:

-جويرية! بطلي جنان الجو برد!

لم تعبأ جويرية بحدثه، وتابعت تقدمها حتى وصلت المياه إلى قبل ركبتها بقليل. حينها زفر صهيب بغيظ، واضطر لخلع سترته، ثم سار نحوها بلا تردد حتى يخرجها.

تابعت تقدمها، وبرغم أنها شعرت بالبرد إلا أنها لا تهتم، تحب هي هذا الشعور، عندما يتخلل الماء كل جزءٍ من جسدها. لكنها كانت واثقة أنه سيلحق بها.

-جويرية! قولتلك اطلعي!

سمعته يثور عليها لأول مرة، ومع ذلك لم تكترث. وظلت تتابع إلى أن تجاوزت المياه منتصفها، فتوقفت، وظلت تنظر للأمام بهدوء. بدى كأنها تنتظره، وبالفعل لم تمر دقيقة حتى وصل إليها، ووقف أمامها مغتاظًا وسأل بنبرة حادة:

-أقدر أفهم إيه الجنان دة، الجو برد لسة!

كتفت يداها، ورفعت حاجبًا وحلت الآخر، ثم أجابته بهدوء:

-الماية الباردة بتهدي

قطب حاجباه متسائلاً باستفهام:

-بتهدي!

ببساطة أجابت:

-آه هتهدي أعصابك شوية

كز على أسنانه بحنق فقد فهم مقصدها، وبهدوء مد يده نحو الأسفل وهي لا تنتبه له، ثم أخرجها مليئة بالطين، واقترب منها وباغتها بدهنه سريعًا على وجهها وهو يتحدث بتشفي:

-والطين مفيد للبشرة!

صدمت هي مما فعل، ثم حاولت السيطرة على نفسها، واستطاعت أن تدعي البرود وهي تتحدث:

-طب ما تجرب!

ثم مسحت القليل الطين الذي على وجهها وهي تتابع:

-دة إنت حتى بدأ يطلعلك حبوب وهالات.

وبنفس الطريقة، أخذت القيل من وجهها ومسحت به وجهه، فلم يبدُ عليه الإنفعال، بل على العكس، طوقها بذراعيه وهو يسألها بخفوت:

-واثقة هيعمل مفعول؟

هزت كتفها، ثم أجابته بخفوت مماثل:

-إنت أدرى!

قطب حاجباه بحيرة وقال بجدية مصطنعة:

-المهم يجيب نتيجة بس، لحسن مراتي شايفاني وحش!

هزت رأسها نافية وأجابته:

-وحش بس! أكيد هي مبتشوفش حلو!

فغر فاه بدهشة، وسرعان ما سألها بغيظ:

-نعم، مين أنا؟!!

هزت كتفاها مرة ثانية، ولم تجبه، وابتسامتها قد بدأت تتجلى على وجهها غير قادرة على السيطرة عليها.

رفع حاجباه وهو يسألها باستنكار:

-كدة! ماشي اتحملي بقى.

ثم قام بحملها فجأة، فضحكت وأجابته:

-بسيط..

لم تكد تتابع حتى القاها عن عمدٍ في الماء، فاختفى الوحل من على وجهها، ووقفت تنظر له، ولشعرها بانزعاج وهي تقول:

-حرام عليك، بليت شعري!

اقترب منها، وأمسك شعرها من الطرف، ثم مسح به وجهه وهو يجيبها ببرود:

-كدة هيبقى أحسن.

لم تتحكم جويرية في نفسها أكثر، أي شيء إلا شعرها، فنظرت له بغضب، ودفعته بقوة مفاجئة، فوقع لأنه لم يتوقع هذا، وابتل كليًا. ثم وضعت شعرها في الماء ليذهب عنه الرمل وهي تردف بحنق:

-كنت ناقصة رمل في شعري! مش هيطلع في سنته!

ظل ينظر لها وهو لا يزال واقعًا لم يقف، وبدأ يضحك عليها، فرفعت هي نظرها إليه وأردفت بوعيد:

-ماشي يا صهيب

ثم وضعت يداها الإثنتان في الماء، وأخرجتهما ممتلأتان بالطين، وبسرعة اقتربت منه وهو جالس، وغطت بهما وجهه وهي تتابع بغيظ:

-إلا شعري، عشان مقلبش على الوش التاني

أبعدها عنه بصعوبة، وهو لا يستطيع التوقف عن الضحك، ثم غسل وجهه بسرعة، واقترب منها بسرعة، ثم أمسك يدها وابتسم قائلاً:

-يعني لما أعوز أنرفزك أبل شعرك! أممم فكرة حلوة.

ضربته بقوة في ذراعه وتوعدت له بـ:

-فكرة حلوة! طب جرب

ثم حاولت ترك يده، إلا أنه تمسك بها بشدة، فنظرت له بحيرة. حينها اقترب هو منها أكثر، ثم رفع يده الأخرى إلى وجهها، وبدأ يتحدث برفق:

-آسف على إللي حصل من شوية، مكنش قصدي أقول الكلام دة، أنا بس كنت..

-كنت مشوش ومش عارف تعمل إيه.

ابتسم لها بعد أن تابعت هي جملته بدلاً عنه، وكالعادة أحسنت فهمه تلك المرة أيضًا. ثم أومأ رأسه وهو يتابع بشجن:

-أنا مكنتش متوقع إن رحيل يخبي عليا حاجة زي دي، وخصوصًا إني.. إني متعود ميخبيش عليا حاجة! إحساس وحش أوي

لما الواحد يتجرح من أكتر واحد كان أقرب حد منه كل سنين حياته.

نظرت له، وأردفت بجدية:

-الأول إسمع منه، وبعدها احكم.

أخذ نفسًا عميقًا، وأومأ رأسه مستسلمًا وهو يجيبها:

-خلاص إحنا هنرجع النهاردة، وهنبقى نتكلم بعد ما أروح، بس إنتي هتكوني معانا

-ليه؟ أنا مش..

-لأ معلش يا جويرية، إنتي عرفتي كل حاجة، ووجودك بيهون عليا كتير.

ابتسمت له، ووضعت يدها الأخرى بالمثل على وجهه لتجيبه بعدها بحنو:

-وأنا مش هسيبك لو بجد محتاجلي

ارتسمت ابتسامة عذبة على وجهه، ثم قال بسعادة:

-أعتبر دة وعد!

ردت ببساطة:

-اعتبره

-وأنا بالمثل. مستحيل أسيبك في لحظة احتاجتيني فيها، ثم إني خلاص اتكتبت عليكي، يعني مش هتخلصي مني أبدًا

تحدث مع نفسها حينها قائلة بثقة:

-لو كنت عاوزة أخلص منك، كنت خلصت من زمان، بس الظاهر فعلاً إني مش عاوزة أخلص منك يا صهيب.....!!!+

!!!!!!.....

.....

لسة جاية من الامتحان من ساعة، رفقًا بالقوارير يا جماعة اللي بيجولي على الخاص ومش برد لأن كنت سايبة النت مفتوح من امبارح لكن سايبة الموبايل.+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الخمسون:

+

+

+

كانت السيارة في أوج سرعتها، كانا عائدان إلى منزلهما.. أو اقتربا كثيرًا منه.

كان كلاهما بالرغم من الصفاء الذهني المؤقت الذي انتابهما شاردان في البعيد. كلاً منهما يفكر في المواجهة القادمة، فهي تعلم

تقريبًا كل شيءٍ سيعلمه هو عما قريب، ربما أصر رحيل البارحة على اخبارها بالأمر بصورة هادئة كي يضمن أنها لن تتخلَ عنه بعد معرفة حقيقة نسبه، و ما يكمن خلفها..

لكنها لم تفكر في هذا، بل جُل ما فكرت في كيف سيكون وقع الخبر عليه؟

وللحظة وضعت نفسها محله وسألت نفسها ما الذي كانت ستفعله إن كانت محله؟ أجابت نفسها عدة مراتٍ أنها ستتألم كثيرًا ولكن رد فعلها سيكون هادءًا. لكن لم تنسَ أنها تتحدث عنه هو، لا عن نفسها.. هي اعتادت اللون الأسود في حياتها، واعتادت على مواجهة الصعاب بجموح، وبالرغم من أنها لن تنكر أنه تعذب كثيرًا في حياته هو الآخر لكن في ذات الوقت يجب أن..

-وصلنا

قالها صهيب بصوتٍ مرتفع، فانتفضت على إثرها وقد تفاجأت أنه قد فتح لها باب السارة وواقف بجانبها تقريبًا، نظرت له بانزعاج قائلة:

-طيب براحة بتجعز!

رفع حاجباه وهو يسألها مستنكرًا:

-دة على أساس إني مش بنده من ساعة!

أخذت نفسًا طويلاً لتركز، ثم نزلت من السيارة وهي تجيب بهدوء:

-مكنتش آخدة بالي

وضع يده على كتفها، وسار معها للأمام، ثم بدأ الحديث بجدية:

-بصي، مش مهم أكلم رحيل النهاردة، خليها بكرة، بجد مفياش دماغ أسمع.

هزت رأسها نافية، وردت بغموضٍ وهي تتقدمه بالخطوات:

-إنت مش هتحتاج تكلمه أصلاً!

كاد أن يسألها عما تعنيه، إلا أنه قد وجد رحيل واقفًا أمامه، فتجهم، وأشاح بوجهه في اتجاهٍ آخر. حينها تقدم رحيل، وظلت جويرية تراقبه بهدوء. كان رحيل ممسكًا بنفس الدفتر الوردي، وكانت ملامحه تدل على أن الفترة السابقة لم تكن بالهينة عليه.

حين وقف رحيل أمامه تحدث بهدوءٍ وثبات:

-الحقيقة دي أخدت من عمري كتير.. أخدت وقت طويل عشان يبقى عندي القدرة أقف قدامك وأكلمك في الحقيقة دي.

صمت قليلاً وقد ترقرقت الدموع في مآقيه وتابع بجمود على الرغم من هذا:

-لو عاوز الحقيقة يا صهيب عمري يوم ما كنت هقولك على الحقيقة دي.. عشت بحبك وهموت بحبك مش عشان مجرد إنك ابني، لأ عشان إنت كنت كل حياتي اللي مكانش عندي استعداد أخسرها تحت أي ظرف.

حاول صهيب أن يحافظ على ثبات عينيه وهي تنظر للبعيد، ولكن رغمًا عنه نظر له، ورأى عيناه الحزينتين، ولم يعقب.

تابع رحيل بنبرة أكثر ثباتًا:

-أنا بعترف إن غلط أخبي عليك، بس أنا يا صهيب مش من النوع اللي بيتحمل خسارة حد بيحبه! يا صهيب إنت اللي صبرتني على فراق أمك.

احتقنت عينا صهيب، ومع ذلك ظل على موقفه صامتًا، مع أنه صدم من عبارته الأخيرة..!

أي أمٍ هذه..؟!

-طلاما عرفت الحقيقة يا ابني، يبقى لازم تعرفها كاملة.

صمت رحيل لثوانٍ يراقبه، ويراقب انفعالات وجهه، ليكمل بعدها بألم:

-أنا وأمك كنا بنحب بعض جدًا يا صهيب، كنا هنتجوز خلاص في نفس الشهر اللي هي اتجوزت فيه عمك جلال.

فرت الدموع من عينه، وبدأ صوته يتقطع، ثم أبعد ناظريه عنه قائلاً بشرود:

-إحنا كنا خلاص هنبقى سوا، لولا الظروف.

تنهد بأسى، وأخذ يمسح عبراته بعنف، ثم مد يده له بالدفتر الوردي، وأمسك يده الأخرى ليضعه بداخلها، ثم نظر له وبدأ يتحدث بجدية:

-أنا عارف إن صعب تسامحنا يا صهيب، بس الزمن كان صعب، الظروف كانت قاسية، وكل حاجة عملناها كانت بسس اللي مرينا بيه. بص يا صهيب المذكرة دي بتاعة أمك الله يرحمها، أنا كنت مفكرها خانتني لحد من كام يوم بس عرفت كل حاجة، عاوزك تقرأها وهتفهم كل حاجة.

كان صهيب ينظر له وكأنه مشوش، شارد، ضال، لا يعلم أين الحق، وأين الباطل! من يصدق، عقله أم قلبه؟

عقله يخبره أنه يكذب، وقلبه يلوم عقله فرحيل كان الوحيد الذي رعاه، واهتم به

وخاف عليه كما لم يخف أحدٌ من قبل.. كان قاسيًا عليه أن تتشوه صورته أمامه بتلك الطريقة.

ربت رحيل على يده بابتسامة خفيفة، ونظر له قائلاً:

-اطمن، معدتش هتشوفني تاني إلا لما تعوز بنفسك تشوفني، دة إذا عوزت أصلاً!

ثم وبدون كلمة أخرى تركه ورحل. تعلقت عينا صهيب به لثانيتن قبل أن يعيد النظر للدفتر الوردي، ثم يرفع نظره كأنه يبحث عن شيءٍ ما، لتستقر عيناه التائهتان عليها، فاقتربت منه حينها وكأنها شعرت أنه يناديها. وحين اطمأن هو لمجيئها عاود النظر للدفتر بشيءٍ من الشرود والتخبط.

حين رأته هي بتلك الحالة أردفت بهدوء:

-إنت كنت عارف إنك لازم تعرف الحقيقة في نهاية المطاف.

أخذ نفسًا ثم أجاب باختناق:

-بس ميغيرش أفكاري ومعتقداتي، تخيلي لو اكتشفت إني كنت عايش كل دة على أوهام!

أمسكت يده ونظرت له بقوة وهي تناديه بنبرة عالية قليلاً:

-صهيب!

أغمض عيناه وهو يضم يدها بيده.. كان خائفًا، خائفًا من معرفة شيءٍ آخر، خائفًا أن صدم مجددًا

-ما كلف الله يومًا إنسيًا إلا قدر طاقته.. ما وضع الله ثقلاً إلا وله حامل، حتى الألم وإن زاد فائقه.. فصبرًا فليس الأجرُ إلا لصابرٍ لله من فضله سائل.

كانت تلك هي الكلمات التي قالتها ارتجالاً، فنظر لها بحنان، وابتسم رغم كل شيء فقد خففت عنه كثيرًا، لقد كان يكفيه أن يشعر أنها تحاول التخفيف عنه، كفاهُ أن أمره يهمها وأراحه كثيرًا...

يا إلهي كم يكون الإنسان غريبًا حين يحب!

وبهدوءٍ سارا بعدها ليدخلا إلى المنزل.+

.....

مرت ساعة، لم يفعل هو فيها أي شيء، فقد ظل جالسًا على سريره، وتاركًا الدفتر بجانبه، يطالعه من حينٍ لآخر بفتور ثم يعاود النظر للأمام.

دلفت جويرية عليه ممسكة بفنجانان من القهوة الساخنة، ثم وضعت احداهما على

حاملة الأدراج، وتقدمت نحوه بالأخرى بخطى ثابتة وجيزة.

ابتسمت له، بادلها. مدت يدها بالقهوة، أخذها.. وعم الصمت من جديد.

ظلت واقفة أمامه ترنوه بنظراتٍ دافئة، كنظرة أمٍ تنظر لرضيعها. سألته بهدوء:

-مفتحتش تقرأ ليه؟

أمسك بالفنجان في يد، وبالأخرى مد يده والتقط الدفتر، ثم مد يده لها به قائلاً بجدية:

-اقرأيلي.

ضيقت عيناها بحيرة، وسألته:

-أقرألك؟ طب ما تـ..

-بس أنا عاوزك إنتي تقرأيلي!

أخذت الدفتر من يده حين قاطعها، ثم جلست إلى جانبه، وأردفت وهي تنظر له:

-يعني مش هتضايق لو أنا عرفت حاجة عن ماضـ..!

قاطعها بحدة:

-أنا قولتلك إن اللي حصل الصبح من غيو قصدي و..

-هششششش خلاص اهدى.

صمت، وأشاح بوجهه وهو يزفر بشدة. فنظر هي للدفتر وقررت أن تقرأ أخيرًا..

أخذت نفسًا عميقًا وبدأت بهدوء:

-أكتب لكِ يا أختي العزيزة، أكتب لكِ بعد أن رحلتِ عني..

مُذ بدأت حياتي وأنا أعاني الفقر أنا وأختي، كانت أكبر مشاكلنا ألا نجد قوت يومنا. ولكن بعد مرور أعوام أدركت أنني أخطأت كثيرًا حين ظننت أن هذه مشكلة كبيرة، بل هي في غاية الصغر مقارنةً بما مررت أنا وأختي به فيما بعد..

صمتت جويرية قليلاً، ثم نظرت له لتراه منتبهًا لها مصغيًا قبل أن تتابع:

-بدأ الأمر حين تزوجت أختي من شابٍ غني، حدث الأمر بسرعة شديدة، حتى أنني لم أفهم كيف تم الأمر. ثم بدأ كل شيءٍ يتبدل فمن الفقر إلى الغنى والرفاهية، ومن الا مأوى إلى القصور!

تعرفت في تلك الفترة على أخو اللعين زوجها، لكنه وللحق كان مختلفًا تمامًا ليس مثل أخويه، كان يحمل في قلبه الطيبة

والرحمة. وبدأت أتعلق به.. لا بل بدأت أحبه بالفعل، ولم يمضِ أكثر من شهرين حتى أصبحنا مترابطين، يحب أحدنا الآخر، ثم تواعدنا بالزواج..

كنت مصدومة في بداية الأمر، فكيف لنوران تلك الفقيرة التي نشأت نشأة دون المستوى تتزوج من ذاك الغني رحيل. ومع كل يومٍ كان يؤكد علي الأمر كنت أزداد سعادة وفرحًا..

لم أكن أدري أن من هم مثلي أنا وأختي لا يستحقون السعادة أبدًا..

صمتت جويرية، ونظرت له، فوجدته شاخصًا لأبصاره شاردًا. وكادت تظن أنه ليس معها إلا أنه أردف بخفوت:

-كملي

أخذت نفسًا عميقًا، وتابعت بروية:

-كلما كنت أرى أختي بعد الزواج أراها مهمومة حزينة. كنت أستعجب الأمر وأستمر بسؤالها عما يؤرقها لكنها لم تعطني الجواب الشافي، لم تخبرني يومًا عن سبب الألم الذي يكسوها.. لم تخبرني سومًا عن سبب الحزن الذي غلفها.. لم تعد أختي التي أعرفها، صارت شبحًا لامرأة تأبى البوح بما تكنه بداخلها. أحيانًا كنت أرى في عينيها أنها تريد اخباري، لكنها كانت تتراجع في اللحظة الأخيرة.

آآآه يا أختاه، لو فقط كنتِ أخبرتني بالأمر، لو فقط كنتِ.+

+.....

١٩٨٣/٣/١٠

الساعة الخامسة صباحًا

تابعت تلك المرأة الكتابة في هذا الدفتر الوردي، وعيناها تذرفان الدموع بغزارة..

"لو كنت أعلم ما تتحملينه لما تركتِ، ما كنت لأتركهم لينهشوا لحمكِ ككلاب الأحياء القذرة.

أتعلمين كيف اكتشفت؟ لقد عينت مراقبًا لكِ في بيتكِ ومراقبًا في بيت أخيه معتز لأن ذلك اللعين كان يأخذكِ هناك كثيرًا.. ثم علمت ما يفعله بكِ. فهو لم يكتفِ بإهانتك، وتعذيبكِ بل كان يستعملكِ كسلعة لضمان الحصول على ما يريد من أخيه. أنا لم أصدق أن هناك شخصًا كريهًا إلى ذاك الحد! هذا الديوث الذي جعلكِ وسيلة لا أكثر ولا أقل.

حين وصلني اتصالٌ من الذي يراقبكِ
أسرعت بالقدوم، لكن للأسف كنت قد
تأخرت كثيرًا لأنني لم أكن متواجدة في نفس
المدينة. وحين ذهبت أخبرني ما فعلوه بها
لأنه ظل يراقبهم إلى أن انهو دفنكِ حبيبتي.
كنت في منزله حين عاد، وكنت أنوي أن
أواجهه وأقتله بيدي، إلا أنني توقفت فجأة
وقررت أنه لا يجب لجلال أن يموت ببساطة
هكذا، لا يجب أن يتعذب أولاً.. يجب أن
يموت ألف مرة، لا مرةً واحدة، لذا تصرفت
وكأن شيئًا لم يكن، بالرغم من صعوبة الأمر.
لكن كله يهون من أجل أن أنتقم لكِ إنتقامًا
يليق بما فعله ذاك المدنس بكِ. ثقي فيَ
حتى ولو لم تعودي موجودة.. أنا هنا، أنا هنا
لأعيد لكِ حقكِ.. وليس لغرضٍ آخر.

أختي، حبيبتي، فلتهنأي أنتِ في قبركِ واتركي أختكِ تريهم ما معنى العذاب. أقسم لكِ أنني سأجعلهم يندمون جميعًا. أقسم أنني سأشن حربًا ضدهم حتى لا يعودوا يدركون من العدو ومن الصديق. وقد أدركت ما عليَ فعله جيدًا.

لن أكتب حرفًا جديدًا إلا حينما آخذ حقكِ كاملاً، وداعًا"

ثم وفي أسفل الورقة دونت تاريخ اليوم "١٠/٣/١٩٨٣"

تركت بعدها القلم من يدها، وبدأت تمسح دموعها بقوة وكأنها تقطع جلدها، ثم وقفت وأمسكت ذاك الدفتر، وسارت به إلى أن وصلت إلى السرير.

بدأت ترفع المرتبة بقوة، ثم وضعت الدفتر بالأسفل

+.....

١٩٩٦/٣/١٠

نفس الفتاة، مع اختلافٍ طفيفٍ في ملامحها، ممسكة بذلك القلم، وهذا الدفتر الوردي أمامها وبدأت تكتب بملامح جامدة، قاسية، حادة.

"لقد وفيت بوعدي يا أختي، وأمامي فقط ساعة قبل أن أزج في السجن، لكن لا تقلقي فأنا سعيدة هكذا."

ارتسمترعلى وجهها ابتسامة جليدية، متشفية، وتابعت الكتابة..

"ها قد تخلصت من الجبناء الذين دمروا حياتنا، أتعلمين كيف؟ بسببهم يا أختي

إضطررت للتخلي عن رحيل، وإيقاع جلال في شباكي، وصدمت حين علمت أنني حامل في ولدٍ من رحيل فأسرعت في كل شيء ولكن رغمًا عني شعرت بالسعادة، فهذا الولد ما كنت أحتاجه حتى أستطيع إعطاء جلال حبوبًا تمرضه وتجعله غير قادر على جعلي أنجب. فأنا لن أتحمل أن يكون لي ولدٌ من ذاك البغيض.

كنت أتجنب رؤية رحيل حتى لا أضعف، فلم أكن أستطيع إخباره بأي شيء، لم يكن لديه ذنب وأردته أن يحيا من بعدي بحرية. ولكن للأسف يا أختي لم يحدث هذا. لذلك أعتبر نفسي مذنبة في حقه إلى الآن..

أما عن جلال فقد زرعت بينه وبين أخيه معتز أشواكًا من العداء في تلك الفترة، فكنت ألعب على الحبلين. حتى نجحت في

جعل أحدهما يقتل الآخر.. أأخبرتك أنني كنت أعطي جلال كل تلك الفترة حبوبًا تمكن الصداع من رأسه، وجعلته يزور طبيبة رشوتها ببعض المال حتى تصف له علاجًا يزيد من حدة آلامه. كنت أعلم في كل مرة يتوجع ويتألم فيها أن هذا لا يقارن بما عانيته أنتِ يا نوار، حتى حينما كان يبكي كنت أشعر أن هذا قليل جدًا بالنسبة لما فعل، لكن كنت أصبر نفسي وأخبرها أن انتقامي سيكون حادًا فيما بعد.

حينما أنجبت صهيب يا نوار رأيكِ فيه، كان لون عيناه كلون عيناكِ، ومع أنني أعلم أننا توأم أنا وأنتِ لكن كنت أنسى دائمًا أنه يشبهني أنا لا أنتِ، ولن أنكر أنه قد شبِه رحيل كثيرًا، وكأنه مزيجٌ بيننا. أحببته كثيرًا، أحببته أكثر مما أحببت رحيل ذاته. وربما هو

السبب الوحيد الذي أخر انتقامي إحدى عشر سنة كاملة.

لم أنسَ معتز حبيبتي فحتى هو قد تزوجته، ولم أنفك عن إعطائه حبوبًا تفقده عقله، مع الطعام، والشراب، وكل شيء.. ما سرع انتقامي منه هو أن رحيل قد أخذ صهيب ليرعاه. في البداية خفت إن جلسا سويًا لفترة طويلة أن يعرف رحيل أنه ولده، فهو يشبهه كثيرًا، ولكن حينما حاولت إرجاعه كان ولدي الحبيب قد كرهني، فللأسف هو قد رآني أقتل من يظنه والده. لكني برغم صعوبة مفارقته وضعت انتقامي في المقدمة وعدت أنتقم لكِ منه.

حين بدأت الحبوب تصنع مفعولاً قويًا بدأت أضغط عليه بالحديث، وكرهه لأخيه، لكن للأسف لم أحسب حساب أن يحاول قتلي.

لأنني بالفعل ضغطت عليه كثيرًا، وبدأت أخبره عن سر قدومي، وتخللي حياتهما، فكرهني وحاول قتلي. وبدون تفكير للأسف إضطررت للإتصال برحيل لينقذني. وقتله هو بدون قصدٍ منه. كنت أتمنى أن أقتله أنا، لكن في النهاية عذبته، وحققت مرادي بانتقامي منه.

لازلت أعشق رحيل، وأعشق ولدي الذي كان ثمرة عشقي له. ولم أشعر بالعار يومًا أن ولدي منه. بل كنت أفخر بذلك فرحيل أهلٌ لأن يعشق.

أريد إخبارِكِ في النهاية أنني أصريت أن أذهب مع معتز وندفن جلال معًا. قبره بعيدٌ عن قبركِ بمسافة عشرة أمتار. ثم دفنت ذاك اللعين معتز بعد عامٍ في نفس قبر أخيه ليحترقا في جهنم سويًا. ولكن صورت نفسي

وأنا أطعنه وأنقل جثته للخارج، وأرسلتها إلى رجال الشرطة حتى يحكم علي بالإعدام.

قريبًا نلتقي حبيبتي..

ولن أقول وداعًا تلك المرة، بل إلى لقاءٍ قريب."

ثم عادت لتكتب تاريخ اليوم "١٠/٣/١٩٩٦"

ثم تركت القلم، وأسرعت نحو الفراش ممسكة بذاك الدفتر الوردي بعد أن أغلقته وانتزعت ما فوقه من مراتب، ثم وضعت الدفتر الوردي مسنودًا على خشبة السرير من الداخل.

وأعادت بعدها ترتيب كل شيءٍ كما كان، ثم أغلقت أضواء البيت كله، وخرجت منه..+

+.....

رسالة ملحقةٌ بالدفتر الوردي.

"أختي الحبيبة نوران، أراسلك باللغة التي تعشقينها، وتتمني أن يكون تصصكِ بها،

فدائمًا ما يقولون أن الخطاب الأخير يجب أن يرسل بحب، لذا قررت أن أرسله كما تحبين أنتِ أن يكون.

وأبدأ باعتذاري لكِ عما سأفعل، وعن تلك الخطوة الجادة التي ستنهي حياتي.

كنتِ تسألينني ما بي، لكن كنت أخشى عليكِ إن أجبت فقد هددني جلال بقتلكِ في حال علمتي بما يحدث لي.

سأخبركِ.. حين طلب مني جلال الزواج لم يكن يحبني، كان يحب جمالي. وأنا لم أكن أحبه، بل أحبكِ أنتِ وأحب أن تعيشي حياة الرفاهية، وكذلك أنا.. فقد كانت حياتنا بائسة

من البداية، لذا وافقت. لكن منذ الشهر الأول علمت أنه من أشباه الرجال، لا ينتمي لكلمة رجل بأي شكلٍ كان.. كان يعود سكرانًا في المساء يفرغ رغبته بي ثم يستيقظ في الساعة الخامسة يذهب إلى.. لم أكن أدري، ولم أهتم بسؤاله يومًا.. فقد كنت أسير على هذا الأسلوب تبادل المنافع.. أنا أفرغ رغبته، وهو يعطينا المال. لكن ما جعلني أثور حين أدركت خيانته لي أكثر من مرة، بل أحيانًا كان يخونني مع أحد الخادمات! أي قذارةٍ تلك. حينها صارحته بالأمر ووبخته، فضربني بكل بساطة ليخبرني أنني لستُ إلا وسيلة لإمتاعه فقط، وأني أتقاضى المال مقابل هذا. بكيت.. أبكاني ما قال، أبكاني شعوري بأنني لستُ إلا وسيلة أو أداة. حتى ولو كانت حقيقة كنت أريد أن نعيش أنا وأنتِ يا نوران، كنت أدخر المال، وكنت سأطلب الطلاق حين يصبح

معي مبلغًا جيدًا لنحيا بكرامة بعيدًا عن كل هذا الوباء..

لكن ما حدث كان خارجًا عن إرادتي، فهو في ذات اليوم أخبرني أنني سأدفع ثمنًا أغلى مقابل ذاك المال. أخبرني أنه لا يحب إعطاء المال للعمال الكسالى. لم أفهم مقصده إلا حين وجدت نفسي في غرفة أخيه معتز، أُغلق علي الباب، لأتفاجأ بخلو الغرفة إلا من سوانا -أنا ومعتز- وإن للصباح ظللت أصرخ ما يجيرني جائر.

أتتخيلين يا أختي، اغتصبني لمدة تزيد عن الثلاث ساعات. حتى غبت عن الوعي، لم أغب إلا حين رجوت نفسي أن أغيب، وبعد استيقاذي وجدت نفسي في منزلي، فقولت ربما كان هذا كابوسًا، ليظهر جلال بعدها

ويخبرني أنني أحسنت صنعًا، ويخبرني أنه خصل على جميع الأوراق التي كان يريدها..

سألته عما حدث، فضحك وأخبرني ألا داعي للإحراج نحن شركاء مهن! ثم اقترب مني مجددًا وهمس أنني أمتعته كثيرًا وستعود الفائدة على كلانا!

بعد سماعي لهذا فقدت الوعي من جديد، ولم أدرِ متى استيقظت. ظلت أبكي لدرجة أن جفون عيني باتت تتقطع.. وبعدها فكرت ألا حل لدي سوى الإنتحار.

ربما هذا ليس بالحل البديع لكنه قد قرر اصطحابي في اليوم الثاني أيضًا!

لذا كان علي أن أتحرك بسرعة، وبالفعل أرسلت في طلب السم، وسأشربه قبل أن

أذهب، هذا السم بطيء المفعول، وهذا ما أردته لكي لا يعلم أحدٌ سواكِ أنني انتحرت.

أحبكِ يا أختي، وأعلم أنك ستتألمين على فراقي. لكن صدقيني رحيل مختلفٌ عنهما، ظلي معه فهو يحبكِ كثيرًا وقد رأيت هذا بعيني.

وداعًا حبيبتي..

من أختكِ نوار."+

+.....

٢٠١٠

-من أختكِ نوار.

كانت تلك هي آخر كلمة من الورقة التي تمسك بها جويرية في يدها، ومعها كانت

عيناها قد تحجرتا وكأنها بدأت تتجول في ذكرياتها من جديد.

وامتلأت عينا صهيب بالصدمة، مع الشعور بالخواء، والحزن، والهم.. والغضب والحنق، نظراتٌ جليدية متحجرة، غاضبة، نارية.. لم تكن عيناه تحمل من من المشاعر إلا وحملت نقيده. وفجأة نظرا لبعضٍ سويًا، كلٌ بألمه ووجعه، فامتزجت النظرات لتصبح كما لو كانت واحدة..

نطق هو مجتهدًا في إخراج صوته:

-يعني إيه!

أجابته جويرية بنبرة هادئة، تحمل الكثير من المعاني:

-أنا وأمك شبه بعض يا صهيب، أمك عملت زي ما أنا عملت، الفرق إنها كانت.. كانت

بتعذبهم نفس العذاب. مبتقتلهمش على طول.

بدأ صهيب يتذكر بعض الذكريات القديمة، فهنا كانت والدته تضمه، وهنا تدلله، وهنا تبكي حين يُجرح أو يصاب بأذى بالرغم من أنه لم يكن يبكي! كيف نسي كل هذا! لما لم يعد يتذكر لها شيئًا طيبًا منذ اللحظة التي رآها تقتل هذا الـ.. الـ..

-ازاي!

صرخ بانفعال، فانتبهت إليه. انتصب وظل يسير جيئة وذهابًا واضعًا يده على جبهته، ويتابع صارخًا:

-ازاي كل دة يحصل ازاي؟! أنا كنت فين من كل دة! يعني أمي كانت مظلومة! كانت..!

أغمض عينيه بألمٍ وهو يتذكر حين عادت لتأخذه معها وهو قد رفض وبشدة.

هل هو سبب موتها! ربما لو كان..+

وجدها تضع يدها على كتفه والأخرى على شعره فجأةً ففتح عينيه، وأبصرها بحزن، ألم، اختناق.. نظرة شخص عاش كذبة كبيرة والآن اتضح كل شيء.

سمعها تقنعه بثباتٍ برغم ما يراه من حزنٍ في عينيها:

-اهدى يا صهيب، روق، عشت بكدبة أصعب من الحقيقة الأهون، متقلقش هتعدي إن شاء الله.

نظر في عيناها وتحدث بخفوت:

-كان معاكي حق في كل اللي قولتيه.

ابتسمت له تلك الابتسامة الشاحبة، وأجابته بخفوتٍ مماثل:

-أنا بيكون معايا حق دايمًا

رفع رأسها للأعلى، وهو يتنفس بعمق.. فقد شعر فجأة أن كل شيءٍ قد صار واضحًا برغم تشوشه في البداية. لكن ما أقسى الحقيقة!

حين وجدته هي على ذاك النحو شعرت بالألم، لأول مرةٍ بالفعل يغزوها الألم لا الشفقة عليه. لأول مرةٍ تشعر برغبة عارمة في اسكانه، اراحته، جعله يبتسم..

لم تفكر مرتين قبل أن تنزل يديها من على كتفه، وشعره، وتحيطه بهما لتضمه بقوة.. نسيت ما كانت تفكر فيه من تذكرها لأختها وغير.. وسيطرت عليها فقط فكرة أن تجعله يتحسن.

حين رأى هو ما قامت به، أدرك أمرًا مهمًا.. هو ليس وحيدًا.

وبدون أن ينبس بكلمة احتضنها هو الآخر.

ظلا على ذاك النحو، فترة من الزمن، لم يقطعها أحدهما بالحديث، أو التحرك، بل سكنا سويًا. فترة مرت على كلاهما مصطحبة بعض الضجيج في المشاعر، مختلط معها الكثير من التضارب، والتصارع بداخلهما.

لم تعهد هي نفسها غريبة كما تعهدها هذه الأيام، فجويرية لم تكن تهتم بأي شيءٍ في السابق، كان الفتور عنوانًا مناسبًا لحياتها، لم تكن تهتم لرجلٍ، أو ثروةٍ، أو جمال.. جويرية تهتم بالمشاعر المكنونة، تلك المشارع التي تختفي داخل القلوب حتى يأتي الوقت المناسب لفك الحصار عنها. والآن هي تهتم..

تهتم لما يؤلمه ويسبب له أي نوعٍ من الأحزان، اشتاقت لابتسامته كما لم تشتق يومًا بالرغم من أنه منحها لها عدة مراتٍ اليوم. آخر مرةٍ رأته يضحك سيطر عليها شعور بالسلام.. وكأنها هي من تضحك،

تأثير صهيب بات قويًا علي، بات لا يحتمل، إن استمريت على هذا النحو..!

أخذت نفسًا عنيقًا تحاول فيه السيطرة على نفسها، وأفكارها، وتركيزها.. حاولت أن تتوقف عن التفكير لبعض الوقت، وتترك التفكير لوقته.+

بالرغم من فاجعة الخبر الذي علمه، والألم الذي اعتراه، شعوره بوجودها إلى جانبه أفقده شطرًا من الألم.. أعطاه طاقة جديدة بعد أن خارت قواه. لم يتخيل حينما كان يتقرب منها أنها قد تساعده أو تخفف عنه عن قصدٍ

أي ألمٍ يُبلى به، لكنها الآن معه، تسانده، وتخبره ببساطة أنها إلى جانبه..

ابتسم فجأة رغم كل شيء، وسكن.....!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الحادي والخمسون:

+

+

+

-ندخل في الجد بقى..

هذا ما أردف به هو بجدية وهو يرمقهم جميعًا بهدوء

ابتسم له الأخير وقال بحرص:

-أكيد، اتفضل يا أستاذ معتصم

رد عليه معتصم مبادلاً إياه الإبتسامة:

-بلاش ألقاب يا سهيل إحنا زي الاخوات!

ثم نظر لها ولم تختفِ الإبتسامة وهو يتابع بروية:

-أنا الصراحة جاي أطلب إيد أختك، فيروز!

سعلت فيروز من إثر الصدمة، وضيقت الصغيرة الجالسة بجانبها عينيها، بينما لم يبدُ على أخيها الدهشة.

نظر لها معتصم لثوانٍ، ثم عاد لينظر لأخيها قائلاً:

-فيروز بنت محترمة جدًا مختلفة عن بنات اليومين دول، وكمان هي بـ...

-بس إنت عارف اللي حصلي!

قاطعته فيروز بها باختناق، ثم وقفت وقد تجمعت الدموع في مآقيها وتابعت بألم:

-أنا مـ..

قاطعها معتصم بنبرة حادة وهو يقف:

-أيوة بس أنا ميهمنيش اللي حصلك! ميهمنيش حاجة إنتي ملكيش دخل فيها!

وقف سهيل حينها، ودنا من شقيقته، ثم وضع يده على كتفها قائلاً بهدوء:

-فيروز، لا إنتي ولا شرفك اتبهدلوا.. أنا أختي فوق أي حد ومحدش يقدر يشوه سمعتها ولا يحسسها إنها أقل من حد في يوم!

نكست رأسها وبدأت عبراتها تنهمر، فنظر لها معتصم بحزنٍ ومع ذلك تحدث بهدوءٍ شديد:

-قبل أي حاجة أحب أقولك إني شايفك بنت كاملة تمامًا، ولو معتبراني عشان عندي بنت وجاي أتقدملك بقلل من شأنك يبقى أنا..

رفعت رأسها إليه ودموعها لم تتوقف عن الإنهمار، لكنها قاطعته باختناق:

-لأ يا معتصم، أنا مقصدش كدة أبدًا..

ثم جثت على ركبتها أما الصغيرة التي تنظر لها بحزنٍ مع أنها لا تفهم شيئًا، ووضعت يدها على وجنتها وهي تردف بحنو:

-تالا عمرها ما هتقلل من شأني يا معتصم، أنا بحبها زي ما يكون بنتي.

ثم وقفت، وبدأت تجفف دموعها، وأكملت وهي تدعي الصلابة:

-إنت مفيش حاجة تجبرك على بنت آآآ

-والله دي حاجة ترجع ليا، وأنا شايفك كاملة من غير نواقص ولا عيوب، بل على العكس، أنا اتجوزت قبل كدة وإنتي لأ.. من غير شرح كتير يا فيروز أنا شاريكي وقدام أخوكي أهو، ومش هطلب منك جواب الوقت، عاوزك تهدي كدة وتفكري براحتك في الموضوع

ثم نظر لابنته لثوانٍ وتابع:

-على فكرة إنتي متعرفيش قيمة نفسك.

إلتفت بعدها وأكمل بثبات:

-هسيب تالا عندك النهاردة وهاجي أخدها بكرة بعد الضهر عشان مش هكون في البيت الفترة دي، وبدل ما اسيبها عند الجيران.. إنتي أولى.

ولم ينبس بكلمة أخرى بعدها، بل تركهم وانصرف..

لم تكن فيروز قادرة على الفهم والإدراك، فهي لم تصدق أنه طلب يدها في خضم تلك الظروف والأزمات التي مرت بها.. بالأخص أنهرأكثر من يعلم ما حلَّ بها! سقطت دموعها من جديد وأخذت تنظر لنفسها في حزن، هي لا تعتبر أنها كاملة بل ترى أنها تنجست وتدنست، فمن ذا الذي يلتفت! أما هو، وابنته، لا هي لا تستحقهما، هي ومهما حدث فقد أُعيبت، هكذا ينظر لها الناس، بالطبع حتى ولو لم يظهر هو ذلك سينظر لها دومًا على هذا النحو. الفتاة المعيوبة!

وقفت تالا على الأريكة لتعادلها طولاً، ثم بدأت تمسح لها دموعها وهي تقول بحزن:

-مش إنتي قولتيلي مرة مش تعيطي، بتعيطي ليه؟!

نظرت لها برفق، ومسحت باقي دموعها وهي تجيب:

-أنا مش بعيط أهو

هزت تالا رأسها معترضة، وهتفت بغضب:

-بابا زعلك؟

-لا يا حبيبتي مزعلنيش..+

ظل سهيل ينظر إليهما باسمًا، سهيل لا يراها تبتسم ولا يتحسن مزاجها إلا مع تلك الصغيرة، فكيف وإن عاشت معها! لن ينكر أن معتصم له هيبة كرجلٍ يعمل في النيابة العامة، لكن في ذات الوقت هو لا يعلم عنه الكثير، إلا أنه وقف بجانب أخته كثيرًا.

يدرك هو ضرورة أن تبدأ أخته في تأسيس أسرة خاصة أنها أهلٌ لذلك، لكنه في كل

الأحوال لن يضغط عليها أبدًا، وقرارها قراره في النهاية.+

بعد ما يقرب من الساعة، كانت تالا قد نامت وأدخلتها فيروز غرفتها،

خرجت من غرفتها بعد أن دثرت تالا جيدًا وأغلقت الباب عليها.

فاقترب منها سُهيل ثم أمسك يدها وفتحها لها ليضع بداخلها شيئًا ما، ثم يغلقها عليه.
نظرت له فيروز ثم فتحت يدها لتنظر ما وضعه لها، فوجدت قلادة من الذهب كتب في نهايتها كلمة "اللّٰه"

نظرت له سريعًا وسألته:

-إيه دة؟ وجبتها منين؟!

رفع حاجباه مبتسمًا وهو يردف بتفاخر:

-إيه يا بنتي إنتي مستقلية بيا! أنا بشتغل حلو يابت!

مسحت هي آثار الدموع المتبقية وهي تتابع بدهشة:

-آه بس دي غالية جدًا و..

-وأنا أختي أغلى، أنا جبتلك دي عشان تبقى تذكار مني لو روحتي في أي مكان، وعشان تعرفي إن ربنا معاكي دايمًا.

ابتسمت له بامتنانٍ وهي تعيد النظر للقلادة، لتقبض عليها بكفها بقوةٍ بعدها.

تابع سهيل حديثه بهدوء:

-أنا جبتهالك من امبارح بس جيت لقيتك نايمة، والصبح نسيت أديهالك و...

تفاجأ بها وهي تعانقه بقوة وتبكي، فسألها بهدوء وهو يمسح على شعرها:

-طب بتعيطي ليه الوقت؟

أجابته باختناق:

-كلهم شايفيني ناقصة، إنت بس اللي بتحاول تحسسني إني...

قاطعها وهو يردف بحدة:

-فيروز، أنا قولتلك وهرجع أعيد، إللي حصل دة يتنسى دة عدى من حياتك خلاص، ومات، ولو معتصم هو السبب في اللي إنتي فيه دة وربنا ما هخليه يقرب منك تاني!

ابتعدت هي عنه سريعًا وهي تهز رأسها نافية وتقول:

-لأ مش معتصم، أنا اللي مش هـ...

-إنتي زي الفل، ثم إني شايف إنه كان معانا في كل خطوة، يعني لو هو شايف اللي إنتي شايفاه بعماكي دة عمره ما هيتقدملك، ولا إيه؟

فكرت هي فيما يقول لثوانٍ قبل أن تجيبه بخفوت:

-مش عارفة!

مسح دموعها سريعًا، وتابع بجدية:

-لأ صدقيني، هو مش بيفكر في كل دة، وبعدين بقى إنتي مش بتحبي تالا

-بحبها

-خلاص فكري في الموضوع دة كويس، وأنا معاكي في اللي هتختاريه.

نظرت له بامتنان، ثم أومأت رأسها عدة مرات، فتنفس الصعداء حين وافقت وابتسم لها محييًا.+

+.....

ولج إلى غرفته بعد يومٍ مضنٍ من الذكريات، يجب أن يذهب غدًا للعمل، خاصة وأن الشركة كانت بدون ادارة اليوم.

أخذ نفسًا طويلاً، وجلس على الفراش.. من كثرة تدفق الذكريات والأفكار لا يستطيع أن التركيز في شيءٍ بعينه. تمدد وظل ينظر للفراغ أعلاه. كان تفكيره منصبًا على كيفية حدوث كل هذا وهو لا يعلم أي شيءٍ عن الأمر! كيف دُفن الماضي بتلك الطريقة؟ كيف لم.، وأين كانت مذكراتها كل هذا الوقت؟ هل كان رحيل يعلم كل هذا ولم يخبره؟! هل هو السبب في ما حدث لوالدته؟

ماذا لو لم يرحل ويتركها هل كان سيؤخرها عن..!

-إتاخر!

نظر إليها بدهشة، فرفعت حاجباها، ونظرت له ببرود وهي تعيد:

-تاخر

تزحزح هو قليلاً وهو ما يزال ينظر لها مشدوهًا، حينها نزعت الغطاء عن الفراش ثم نامت بجانبه موليةً إياه ظهرها، وتدثرت.

عجب صهيب لما قامت به، مع أنه لم يدرك ابتسامته التي ارتُسمت على وجهه. ثم وبهدوء سألها:

-هتنامي هنا؟

أجابت ببساطة:

-آه

سأل مجددًا وابتسامة متسلية تعتلي ثغره:

-ليه؟

فأجابته ببرود:

-بصفتي مراتك مسموحلي أتنقل في البيت دة براحتي جدًا، حتى لو على السرير دة، و حتى ممكن أطلعك برا بس أنا طيبة!

ألجمته بِرَدها، أهناك سؤال لا تستطيع الإجابة عليه؟

ظل ينظر لها قليلاً قبل أن يقترب منها أكثر، ثم لف ذراعاه حولها من الخلف وأردف بابتسامة سمجة:

-أوضتك ساقعة مثلاً؟

ارتفع حاجبها وهي تجيبه بنفس البساطة:

-مثلاً!

-أنا قولتلك قبل كدة إنك مكسب!

-مممم لما خطفتني!

اتسعت ابتسامته قليلاً وهو يتذكر هذا اليوم الكارثي، ثم سألها بجدية:

-مكنتيش خايفة خالص في اليوم دة؟

-الإنسان مبيخافش إلا من الحاجة اللي هتأذيه، و جويرية في العموم مبتخافش غير من ربنا!

-طب ما أنا كنت خاطفك، يعني ممكن أءذيكي؟

-أنا مخافتش عشان كان عندي قناعة إنك مش هتأذيني.

أمسك بيديها الإثنين، فأغلقت يديها على يديه، وأغمضت عينيها لتنام.. هو يعلم جيدًا لما جاءت، كما أنه على يقينٍ أنها لم تعد تنزعج منه، وهذا ما يسبب له نوعًا من الراحة والسكينة.

دنى من أذنها أكثر، وهمس لها:

-شكرًا.

لم تجبه، ربما نامت، أو هي يقظة ولم تجبه، في كل الأحوال لم يرَ هو ابتسامتها الودودة التي ظهرت للحظات وسرعان ما اختفت.

أغمض عيناه هو الآخر، وكف عن التفكير في أي شيء، ولم تمضِ أكثر من خمس دقائق حتى غرقا معًا في نومٍ عميق.+

+.....

صباحًا..

استيقظت هي في الصباح، فوجدت يداه ما تزالان ملتفتان حولها.. حسنًا لن تلومه على أي حال، فهي حتى الآن لم تترك يداه!

هل افتقدت عقلها؟ لأن البارحة لم تستعمله مطلقًا.. لم تفكر قبل أن تبادر بالتقرب منه، ولم تفكر قبل أن تنام بجانبه، ولم تفكر حتى قبل أن تتركه يحيطها بيديه طوال الليل، لكنها قالت لعقلها فجأة.. أتعلم! لم أفتقدك! و لن أفكر الآن أيضًا، ولن أندم حتى!

ابتسمت لنفسها، فهي في صغرها كانت تظن أنها مجنونة لكثرة حديثها مع نفسها.

حاولت انتزاع يدها من بين يديه فلم تستطع، فأدركت أنه مسيقظ..

-من إمتى؟

-إسمها صباح الخير.

التفتت لتنظر له، فحل يديه عنها، حينها أردفت ببرود:

-اتأخرت أكيد على الشغل، يلا قوم

هز رأسه نافيًا وهو يمسك بخصلاتٍ من شعرها ويجيبها بهدوء:

-تؤ تؤ أنا المدير، أروح براحتي وآجي براحتي.

رفعت حاجباها ساخرة، ثم حدثته بنبرة توازيه هدوءًا:

-تؤ تؤ إنت المدير، يعني تروح أول واحد عشان تبقى قضوة للي بيشتغلوا هناك.

نزلت بعدها من على الفراش وهي تتابع:

-الأول صلي، وافطر، وبعدها روح

نظر لها مغتاظًا، لقد تجاوزت ألوانها ألوان الحرباء. لا يصدق أنها نفس الفتاة التي لم

تتركه البارحة وحده، وأذابت جليدها حتى تسانده..

هز رأسه بيأس.. عاد الجليد من جديد!

استدارت تنظر إليه وتسأله بحدة:

-إنت لسة عندك!

كاد أن يجيب إلا أنها اقتربت منه وتابعت بهدوء:

-اا آآآ

قاطعها هو بسحبها من يديها بقوة، فوقعت على الفراش بجانبه. نظرت له بذهول وقبل أن تنطق بحرف سبقها هو قائلاً بهدوء:

-هروح وكل حاجة بس عاوز أسألك الأول سؤال، وتجاوبيني عليه.

قطبت حاجباها وهي تعتدل في جلستها
وسألته بحيرة:

-خير؟

وضع يده على وجهها ورفعه إليه قليلاً وهو
يسألها بخفوت ناظرًا لوجهها مليًا:

-مش هتسبيني صح؟

نظرت له لأكثر من دقيقة كاملة ولم تتحدث،
فلام نفسه على أنه سألها هذا السؤال،
فالإجابة الآن ستكون..

-برأيك لو كنت ناوية اسيبك كنت هسيبك
تحط ايدك على وشي وتمسك إيدي كدة!
مممم أو كنت هنام هنا امبارح؟

نظر لها، هل هو سعيد؟ أو ربما مندهش
وامتزج اندهاشه بالصدمة، لم يتوقع هذا
الجواب. لم يتوقعه أبدًا.. إلى أي حدٍ باتت

تهمه! بل إلى أي درجة بات وجودها في حياته أمرًا ضروريًا لاستمرار حياته. لو كان جوابها غير هذا فلم يحسب حسابًا لما كان سيفعل حينها.. وفي النهاية بدأت ابتسامة رائعة تزين وجهه بدون أن ينبس بحرف.١

نظرت له وهي تشعر بالسكينة لأنه ليس كالبارحة، وأنها استطاعت جعله يبتسم، لكنها وعلى الرغم من هذا لم تظهر له الأمر وتابعت ببرود:

-إنت عملت ذنوب كتير أوي في حياتك، وشكلك أذيت ناس كتير.. فاستخقتني بجدارة!

ضحك، فرفعت حاجباها وهي تكمل محذرة:

-أنا كابوس مش حلم!

كتف يديه واستند على السرير وهو يجيب باستخفاف:

-إيه دة أنا مقولتلكيش قبل كدة إني بحب الكوابيس اللي من النوع دة!

-لأ للأسف أول مرة تقولي!

أردفت بها وهي تنزل من على الفراش وتذهب، فنظر لها وسألها بجدية:

-راحة فين؟

أجابت بروية:

-الفجر راح عليا هتوضى عشان..

صمتت قليلاً ثم التفتت إليه وتابعت متسائلة:

-تحب تيجي تصلي معايا؟

نزل هو أيضًا، وذهب ناحيتها قائلاً و هو يومئ رأسه:

-خلاص تعالي نتوضى عشان نصلي.+

+.....

وقفت أمام البحر، في نفس المكان الذي اعتادت أن تلقاه فيه، وفي نفس المكان الذي تقف فيه باستمرار حين تشعر بالوحدة.

اقتربت قليلاً من الماء وجثت على ركبتها، ثم وضعت يدها بداخل ماء البحر البارد، ثم أخرجت يدها تحمل القليل منه، ووقفت على قدميها من جديد.. في الحقيقة كانت تفكر بأن تدخل البحر إلا أن الجو بارد جدًا وربما يتأذى طفلها.

هي تعلم أنها ستظل وحيدة اليوم، ولن تراه فقد أخبرها أنها لا يجب أن تراه إلا حين

تتخلص من كل أوهامها، وهذه الذكريات..
ربما بالفعل كانت تكابر لكن حين تصدق
مع نفسها تعترف أنها في كل مرة تتحدث
إليه ترتاح أكثر.. بالرغم من أنه يضغط عليها
لكنها تلاحظ الفرق حين تهدأ. سعلت وقد
بدأ الجو يصبح باردًا، ثم ضمت نفسها
بيديها..+

-المفروض كنتي تتقلي

نظرت بجانبها فوجدته أمامها، لم تنتفض
ككل مرة فهي قد علمت صوته جيدًا.

أجابته بفتور:

-مكنتش أعرف، وبعدين مش المفروض
منتقابلش الوقت!

أخذ نفسًا هادءًا، ثم أجابها بتريث:

-كدكتور والحالة بتاعته أوك، أما كأصدقاء فعادي جدًا!

نظرت له بحنقٍ وسألته:

-ومين قالك إننا صحاب؟

اقترب منها، فكتفت يداها وأشاحت بوجهها عنه بغضب، فابتسم، يبدوا أنها باتت تعمل على نفسها كثيرًا هذه الأيام. حينها أجابها بصوتٍ منخفض:

-أومال احنا إيه؟

رمشت بعينيها عدة مرات حين لاحظت قربه الذي زاد عن حده، ومع ذلك استجمعت قوتها وظلت ثابتة في مكانها، بالرغم من تعلثمها وهي تجيب:

-إنت الدكتور بتاعي بس!

-وقبل ما ابقى الدكتور؟

-مـ.. مكنتش حاجة

ابتسم بهدوء وتراجع خطوة واحدة، ثم قال بثقة:

-لأ كنت!

قطبت حاجباها متسائلة بحيرة:

-كنت إيه؟

رفع يده اليمنى وعاد عدة خطواتٍ للخلف، ثم استدار وسار بعيدًا عنها بعد أن أجابها بهدوء:

-واحد من الناس.

سارت هي خلفه، ونادته:

-لؤي!

استدار لها فقالت بهدوء:

-أنا موافقة نكون صحاب

رفع احدى حاجباه وسألها ببرود:

-اشمعنا!

أجابته بفتورٍ وحزن:

-عشان.. عشان

صمتت حين لم تجد جوابًا مناسبًا، بل
وكادت أن تبكي أيضًا إلا أنه تحدث عنها
قائلاً:

-وحيدة!

أومأت رأسها، فنظر لها بحدية وأردف:

-غلط

رفعت رأسها ناظرة إليه وسألته مستفهمة:

-إيه دة!

-مش أول حد يمدلك اديه تمسكي فيها، افرضي كان هيوقعك!

نظرت له لثوانٍ وقد بدى عليها التيه، قبل أن تسأله بدهشة:

-حتى انت؟

أومأ رأسه وهو يجيبها:

-حتى أنا

اعتبرت هي أنه يريد إحراجها فقط حتى ولو كان الغرض النصح، وكادت أن تسير بعيدًا عنه إلا أنها سمعته يتابع بثبات:

-بس متخافيش أنا مش وحش، أنا أخري أطلعك عن شعورك بس!

استشاطت من الغضب، مع ذلك تابع ببرود:

-وأنا رأيي تديني تلفونك عشان لما تحبي تيجي تتصلي بدل ما آجي هنا كل يوم!

-وإنت تيجي أصلاً ليه؟

-أصل إنتي بتخرجي البرود الصباحي اللي عندي وأغلب الأحوال لما بشوفك محدش بيتشاكل معايا و..

كادت أن تصفعه إلا أنه أمسك يدها قبل أن تصل لوجهه، ثم نظر لها لثوانٍ قبل أن يتحدث بجدية:

-كويس بس كان لازم ردة فعلك تبقى أسرع، متسمحيش لحد يتطاول عليكي بأكتر من كلمتين.

اتسعت عيناها بدهشة بعد أن كانت عيناها كجمرتين من النيران، ثم قال لؤي:

-على فكرة إنتي كويسة جدًا، بطلي تفكري إنك لسة بتعاني من أي مشاكل.

سألته بهدوء:

-وإيه اللي أكدلك؟

ابتسم وهو ينظر لها، فشعرت أن هناك خطبًا ما بها، نظرت مليًا لتكتشف بعدها أنه قريبٌ منها لدرجة أنها باتت تسمع أنفاسه!

ترك يدها كي لا يخيفها أكثر، هو قد تأكد أنها بدأت تتحسن كثيرًا بالفعل، لكن لا يجب المغالاة في الأمر.

ثم أردف بهدوء:

-الساعة ٤ النهاردة فاضي، وبصفتنا أصدقاء جداد أنا عازمك على الغداء.

لم تعلم، هل توافق فيخبرها ألا تثق به، أم ترفض ثم تندم!

أدرك هو الحيرة التي وضعها بها، فتابع بجدية:

-هستناكي النهاردة في كافي ((...)) متتأخريش.

ثم تركها وانصرف، فظلت تنظر له وهو يرحل، ثم زفرت، فلم تتوقع أبدًا أن يكون بكل تلك الوقاحة، فلم يتركها حتى لتعطه قرارًا!

أخذت نفسًا عميقًا، ثم سارت في الاتجاه المعاكس.+

+.....

خرجوا ثلاثتهم من المحكمة مستبشرةً وجوههم، ابتسامة هادئة تعتلي ثغرهم.

كان أحدهم حاملاً حقيته السوداء، والآخر ممسك ببعض الأوراق، والأخير بهاتفه.

صاح أحدهم بنبرة سعيدة:

-الله ينور أرجالة، بس لأ براء كان رهيب النهاردة.. مش قادر أستوعب إنه مش شغال من زمان وبيعرف يتكلم كدة!

ضحك براء وهو يجيبه بغرور:

-أكيد يا بني، هو أي حد براء!

نظر لهما الأخير بتعالٍ وأجاب:

-دة على أساس مين جابلك الأدلة إنت وهو، ها يا معتصم!

وضع معتصم يده على كتفيهما وأجاب بهدوء:

-شكرًا يا أبان بجد على اللي عملته معايا، إن الراجل البريء دة يطلع براءة دة كان بالنسبالي حاجة بتعادل شرفي.

ثم التفت ناظرًا لبراء وتابع:

-وأنا بجد معرفش لولاكم كنت هعرف أثبت براءته ازاي.

ابتسم له براء وأجاب بجدية:

-الموضوع مش محتاج شكر، دة كفاية اللي عمال يهددك دة وكل دة بسبب..

-براء متقولش كدة

قاطعه معتصم بغضب، فتابع عنه أبان:

-صح يا براء الموضوع دة كان يخصنا كلنا، وبعدين معتصم بيشكرنا على حاجة بسيطة زي دي، ونسى إن هو طول السنين اللي

اشتغل فيها كان بينتقم من العصابة دي واحد واحد لحد ما خلص عليهم كلهم وردم اسمهم في التراب..

-فاكر لما بقينا صحاب! وأول يوم اتقابلنا فيه كان في الصحراء مش فاهم إيه الأماكن المخروبة دي!

أردف بها معتصم ضاحكًا، فأجابه أبان بمزاح:

-كنت عاوزك تبقى خايف، كنت عاوز أعمل جو عليك.

ضحك ثلاثتهم بسخرية، ثم استطرد أبان حديثه بجدية:

-على فكرة، أنا استقلت أنا كمان، وشوفلي مكان في الشركة إلدي بتشتغل فيها دي.

صدم كلاهما وهتفا سويًا وهما ينظران إليه:

-إستقلت!

نظر لهما بهدوء وأجاب ببساطة:

-إحنا صحاب يا معتصم، واللي ييجي عليك ييجي عليا، أنا بس استنيت كل دة عشان أجيبلك الأدلة دي.

كاد معتصم أن يتحدث، إلا أنهما سمعا رجلاً على يمينه ويساره ضباط يبتسم لهم ويردف بود:

-ربنا يحفظم إنتم التلاتة يارب، أنا من غيركم كان زماني معتقل دلوقتي ومكنتش هطلع دة لو مكنوش حكموا عليا بالإعدام!

اقترب منه معتصم، ووضع يده على كتفه قائلاً بابتسامة بشوشة:

-متقولش كدة، الحق مش فضل واحنا بس رجعنالك حقك

ظلت الابتسامة تملأ وجهه حتى انصرف، فشعروا ثلاثتهم بالسعادة لإخراجه من هذا البلاء بعد توفيق الله تعالى.

نظر لهما براء لعدة ثوانٍ ثم قال بجدية:

-على كدة الشركة دي بنشتغل فيها من الساعة كام

نظر له معتصم وسأله:

-إيه دة إنت عاوز تيجي انت كمان؟

-آه اشمعنا أنا؟

ضحك كلاهما، ثم تابعوا حديثهم وهم يسيرون في اتجاه الشمال....!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثاني والخمسون:

+

+

+

كان الغضب جليًا على ملامحها، وكانت تعصر قبضتها حتى كادت تُدميها، ومع ذلك حاولت قدر جهدها السيطرة على نبرتها وهي تردف:

-بس أنا قولتلك مليون ألف مرة إنك متهتميش لكلام حد!

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تتابع بنبرة أهدأ:

-لأ يا فيروز، معتصم عمره ما هيفكرك بحاجة، أنا عارفاه من زمان وكنا زي الاخوات.

جلست على الفراش، وأخذت تستمع إلى الطرف الآخر بإنصاتٍ قبل أن تتحدث بجدية:

-بطلي عياط، إنتي سمعاني!

وضعت يدها على جبهتنا، ثم تابعت بهدوء:

-فيروز! ساعة وابقى عندك+

ثم أغلقت الهاتف، وزفرت بانزعاج، كيف تقنعها أنها فتاة طبيعية كسائر الفتيات؟ كيف وإن كانت هي مقتنعة أنها لن تعود يومًا كما كانت، وأنها لا تستحق حياةً جميلة كالجميع! تبًا للمجتمع الذي يلقي باللوم على الضحية ويترك الجاني يرقد بسلام.. تبًا لمجتمعٍ شرقيٍ يتفوه أراذلته بالترهات تحت مسمى شرف الفتاة، وواجبها حفظه! يا الله وأين المشاعر التي يحترمونها ألا تعد تلك أيضًا من الواجبات التي تقع على عاتقهم!

وقفت، وأمسكت هاتفها، كتبت رسالة عليه ثم سارت نحو خزانتها لتخرج ثيابها وتبدأ بارتدائها.+

+.....

-ها يا فيروز لو مفيش كيميا بينك وبينه ومش قابلاه خلاص بلاش معتصم.

أردفت هي بها بهدوء وهي تنظر في وجه فيروز بتمعن، و تعيد كوب القهوة إلى مكانه.

بدى على وجه الأخيرة علامات الرفض وهي تردف بتقطع الصوت:

-لأ مش.. مش كدة! أنا.. أنا بس خايفة إن آآآ..

-خايفة ييجي في يوم ويعايرك مثلاً!

قاطعتها بها بهدوء، فنظرت لها فيروز بحزن وأجابت:

-أأ.. آه

ابتسمت لها ابتسامة مطَمئنة، ثم قربت منها يدا حتى وضعتها أسفل ذقنها، ورفعت وجهها قليلاً ثم بدأ تتحدث بروية:

-طب فكري مع نفسك، إيه يخلي واحد زي معتصم إللي فضل أكتر من ٦ سنين بعد ما مراته ماتت يفكر في الجواز!

سحبت فيروز وجهها قليلاً وقد بدأت عيناها تدمعان من جديد، ثم قالت باختناق:

-قبل ما انام امبارح افتكرت بنته.. بنته يا جويرية، فاهمة هو عاوز أم مش زوجة!

أرجعت جويرية ظهرها للخلف، وظلت تنظر لها بهدوءٍ وهي تفكر.. ربما هي محقة، لكن هي لا تفهم أبدًا أن معتصم لا يفعل هذا

فقط لأجل ابنته، بل لأجلها هي.. هي لا تفهم الأمر أبدًا!

-فيروز!

نظرت لها بعد أن نادتها، فتابعت بهدوء:

-مين اللي طلعك من كل الوجع اللي كنتي فيه، مين خلاكي تقفي على رجلك من تاني؟

نظرت لها بثبات، وسريعًا أجابت:

-ربنا في الأول و..

قاطعتها جويرية بجدية:

-طب لو ربنا اداكي الرفض أو القبول هتعملي إيه؟

أجابت بدون تفكير:

-أكيد هعمل اللي ربنا يقولهولي، بس ازاي؟

كتفت جويرية ذراعاها، وردت عليها:

-صلي استخارة، وهتعرفي تعملي إيه بنفسك، بس قبل أي حاجة لازم تثقي في نفسك.. لازم تعرفي إنك مغلطتيش أبدًا، سامعة؟!

أومأت، فوقفت قائلة بهدوء:

-طيب، أنا همشي أنا بقى..

وقفت الأخيرة ترمقها بغضب قبل أن تجيبها:

-بتهزري! إنتي مكملتيش ساعة ومن أكتر من شهر ما اتقابلناش، إنتي بجد وحشاني جدًا..

هدأت نبرتها قليلاً وهي تضيف بحزن:

-وحتى العزاء معرفتش اروحه، عشان..

اقتربت منها جويرية ثم ضمتها بقوة وهي تردف بصوتٍ خافت رغم ما ألم بها من ألمٍ عقب ذِكر هذا الموضوع:

-عارفة، ومش محتاجة مبرر.. الصحاب مش بيحتاجوا مبررات.

بكت الأخيرة وهي تبعدها عنها وتقول:

-لأ أنا عمري ما وقفت جنبك زي ما انتي بتقفي جنبي، عمري ما اديتك حقك أبدًا.. أنا كصديقة وبنت خالتك عملتلك إيه؟ ولا حاجة.. و..

قاطعتها الأخيرة بوضع يدها على فمها، فأنزلتها فيروز بقوة وهي تهز رأسها نافيةً وتتابع:

-عارفة؟ دايمًا بحس يالذنب وتأنيب الضمير في كل مرة بتقفي معايا فيها.. أنا بس كلمتك وجيتي، بس إنتي مـ..

قاطعتها جويرية بجدية:

-فيروز! حبيبتي! بطلي عياط أنا مكنتش لوحدي والله أنا..

قاطعها صوت رنين هاتفها، فنظرت في شاشته و ما لبث أن أجابت بهدوء:

-وعليكم السلام.

صمتت لبعض الوقت قبل أن تتابع:

-طيب نازلالك، يلا السلام عليكم.

ثم أغلقت، ونظرت للأخرى قائلة بروية:

-أنا عاوزة أنزل، براء مستنيني تحت

كتفت فيروز يديها وأشاحت وجهها بانزعاج وهي تجيبها رغم الدموع التي لم تجف بعد:

-طيب اتفضلي!

رفعت جويرية يدها ومسحت لها دموعها وهي تجيبها بابتسامة:

-طيب، وبعدين هبقى اجيلك تاني.

أومأت رأسها بتفهم، ثم احتضنتها وهي تقول لها بامتنان:

-شكرًا على كل حاجة، شكرًا على انك مبتسبينيش لما بحتاجلك، وشكرًا عشان بتخففي عني بجد لما بتتكلمي معايا.

-قولت قبل كدة مبحبش شكرًا منك بالذات.

قلتها بتحذيرٍ وهي تبتعد عنها، فابتسمت لها الأخرى وأجابت:

-حاضر.

ومالبث أن ودعتها جويرية ثم ذهبت..

...

بعد القليل من الوقت، كانت بداخل سيارة أخيها براء، فسألها الأخير بهدوء:

-إيه اللي جابك عندها؟

أجبته بتريث:

-معتصم مقالكش؟

أجاب بفتور وهو ينطلق بالسيارة:

-قال، المهم فكك من كل دة، ماصدقت وافقتي نخرج شوية.

أرجعت رأسها للخلف، ونظرت إلى الطريق بثبات، ثم أجابته ببساطة:

-مش عاوزة أروح، عاوزاك تروح طريق فاضي وتسرع بالعربية على أقصى حاجة بس، لحد ما البنزين يخلص

ضحك هو بقوة ثم قال:+

-مش هتتغيري أبدًا، يلا على العموم عامل احتياطي وجايب بنزين زيادة معايا..

وبالفعل اختار براء طريقًا من طرق السفر وبدأ يفعل كما أرادت هي، ولكن قبلها نزلت أمام مكتبة ما، وحين سألها قالت أنها ستشتري شيئًا، ثم عادت حاملة كيسًا أبيضًا بداخله شيء، فلم يسألها وتابعا سيرهما. ولكن العجيب أنها كانت بين الحين والآخر تنظر من مرآة السيارة وتبتسم بطريقة غريبة، ثم تطلب من براء أن يزيد السرعة.

ظل هكذا لفترة حتى سمع صوت جرس الرسالة في هاتفه، حينها التقطه ونظر له وبدأ يقرأ، فاتسعت عيناه تدريجيًا حتى قال فجأة بغضب:

-لأ مستحيل!

نظرت له جويرية، وقبل أن تسأله وجدت هاتفه يرن، فأجاب سريعًا ليستمع إلى الطرف الآخر يردف بقلق:

-براء إنت كويس؟

نظر براء لأخته ثم أجاب برعب:

-معتصم أنا مش لوحدي الوقت، يعني لو حصل أي حاجة مش هبقى لوحدي جويرية معايا، اتصرف!

أجابه معتصم بجدية:

-ما أنا بعمل كدة فعلاً، الرسالة اتبعتت لينا احنا التلاتة ومن ساعتها اتصلت بوكلاء النيابة صحابي، وأمنت أبان. وفاضل إنت، فيلا ادیني مكانك بالظبط بسرعة.

أسرع براء بإخباره بمكانهما، وأخذ ينظر خلفه، فلم يلاحظ أي سيارة مشتبهة بها، فتابع بضيق:

-مفيش حاجة شكلها غريب و..

دُفعت السيارة من الخلف فوقع الهاتف من يده، حينها أصاب براء شحنة من الغضب، وأسرع أكثر بالسيارة فقد أدرك أنهما قد وقعا بالفخ.

نظرت له جويرية بهدوء، وقالت:

-طيب اهدى، متخافش مش هيحصل حاجة إن شاء الله، عدينا من حاجات كتير زيها قبل كدة.

أجابها بنبرة عالية:

-بس المرادي..

كانت السيارة السوداء خلفهما أسرع من كلتمه، فاستطاعت دفعهما مجددًا.

حينها فكر براء سريعًا، ثم استدار أمام السيارة وخفض السرعة وهو يردف بجدية لها:

-هوقف العربية، وأول ما أوقفها هننزل بسرعة.. وهنعدي الرصيف ساعتها مش هيعرفوا يكملوا بالعربية.

أجابته جويرية على الفور:

-ماشي

فتح براء الدرج، وأخرج مسدسًا، ثم أوقف السيارة باحترافية، ترجلا منها سريعًا راكضين إلى حيث أخبرها.

ثم أمسك براء بيدها بقوة وظلا يركضان وهو يقول لها:

-شوية ومعتصم هييجي، مش هيحصلك حاجة إن شاء الله

ضحكت وهي تركض وقالت ببرود فاجأه:

-وحشني الجو دة!

لم يملك إلا الإبتسام وهو ينعتها بـ:

-مجنونة!

لكن صوت طلقات النار أوقفهما، ورجل يصيح بأعلى صوته:

-لو اتحركتوا خطوة تانية هتموتوا إنتم الاتنين.

استدارا، ونظرا لهم. ثلاث رجال ذو أجسادٍ ضخمة، وملابس سوداء، و..

اقترب أحدهم من براء وهو يقول بغضب:

-مفكر نفسك هتهرب بسهولة إنت والهانم! ماهي كمان ليها إيد في اللي حصل!

وقف براء أمام أخته، وأجابه وهو يحاول تمالك أعصابه:

-طب إنتم عاوزين مننا إيه الوقت؟

-حياتكم.

قالها الرجل بكل بساطة فتقدمت جويرية ووقفت بجانب أخيها، ثم ظلت تنظر له لثوانٍ قبل أن تردف بحنق:

-إنتم مين بالظبط؟!

كاد الرجل أن يضربها لطريقتها المستفزة، إلا أن براء قام بركله بقوة في بطنه بحركة مفاجأة، ثم عاد يكرر ركلته من جديد، ويكرر ويكرر حتى أوقعه أرضًا ووقع منه سلاحه، حينها جثى على ركبته ولكمه في وجهه بقوة وهو يهتف بغضب:

-محدش يرفع إيده على أختي إنت سامع؟!+

لم ينتبه براء لصهيب الذي ظهر فجأةً وبدأ يهاجم الرجلين الآخرين حتى استطاع أن يفقد أحدهما وعيه و يأخذ سلاحه أما الثالث فأسرع نحو جويرية، وطوق رقبتها من الخلف بيديه بسرعة قبل أن تتحرك، ثم صوب مسدسه نحو رأسها.

ظلت جويرية تنظر له باشمئزاز، وكل ما يدور في عقلها.. "يده القذرة على رقبتي.. يجب أن أُبعدها.. يجب أن أُبعدها.."

وقف حينها صهيب متسع العينين، قلبه ينبض بقوة.. بقوة تكاد تقتله صوت دقاته..

تنفسه صار سريعًا جدًا وبدأ يتقدم خطوتان نحوها إلى أن صاح الأخير:

-خطوة كمان والمسدس دة كله هيبقى في دماغها.

توقف صهيب في مكانه، ونظراته قد تحولت للرعب، الفزع، الذعر..

تخيل أنه يفقدها، يفقدها بعد كل ما مرا به سويًا.. يفقدها بعد أن وجد نفسه بسببها.. يفقد من باتت الحياة بالنسبة له.. من عشق تفاصيلها أجميلة كانت أم غير..

شُلَ، وتعلقت أنظاره بها وكأن الزمان قد توقف عند تلك اللحظة.

انتبه براء له، فوقف سريعًا ونظر لأخته بصدمة، ثم قال برعب:

-سـ.. سيبها، أنا أهو هي ملهاش ذنب أنا اللي عملت كل حاجة، أنا قتلتهم كلهم.

أما جويرية فلم تنتبه لهم، بل كانت تنظر للأعلى وللأسفل، ثم تنظر ليديه وكأنها تفكر في شيءٍ ما، وبالفعل لم تمضِ ثوانٍ حتى قامت بسحب نفسها للأسفل بسرعة، وقبل أن ينتبه الرجل لما فعلت عرقلته من قدمه فوقع على ظهره بقوة. حينها وضعت قدمها على يده حتى يترك المسدس، وبالفعل تركه حين تألم بشدة فأخذته هي و وضعته على رأسه بعد أن جثت على ركبتها بمستواه وهي تهتف بغضب:

-هعلمك ازاي تلمسني كويس!

نظر لها الرجل بصدمة، ومع ذلك تعلثم وهو يقول:

-إنتي بنت ومش هتعرفي تضربيني و..

بسانتي متر واحد فوق عينيه مباشرةً أطلقت الرصاصة حتى يراها وهي تنطلق، فارتعدت أواصل الرجل، وابتلع لسانه.

فتابعت بنبرةٍ كالفحيح:

-ممكن أكون بنت، بس مش كل البنات زي بعض، افتكر دة.

كان براء حينها يقف خلفها مباشرةً، وحين وقفت استلمه هو من تلابيبه وأخذ يسدد له اللكمات واحدةً تلو الأخرى.

أما صهيب فظل في مكانه، فاتجهت نحوه وهي تبتسم له بهدوء وكأن شيئًا لم يكن، ثم قالت:

-كنت شايفاك وانت ماشي ورانا بالعربية و..

صمتت هي حين وجدته يحتضنها بقوة، حتى كادت تختفي بين ذراعيه، ثم بدأ يتحدث بنبرة مجهدة:

-معتش هسيبك تخرجي من غيري تاني

دُهشت هي لرد فعله المبالغ فيه، ومع ذلك تركته يضمها بل وتشبثت به وهي لا تعلم لما تفعل هذا، هي أرادت هذا وفعلته، ثم أردفت بهدوء:

-وإيه كمان؟

ناداها هو بخفوت:

-جويرية!

أجبته بخفوتٍ مماثل:

-نعم؟

دمعت عيناه وهو يتابع بألم:

-متسبنيش بالله عليكي

تشبثت فيه أكثر، وقد لمعت عيناها وهي تجيب:

-ما أنا معاك أهو

أغمض عينيه وهو يقول:

-لما شوفته حاطط المسدس على دماغك..
فكرتك هتسيبيني وهتمشي، عارف إنك بتحبي الناس اللي هناك كتير بس أنا مقدرش من غيرك، أنا مقرش أعيش من غيرك، فاهمة!

اختنقت نبرته وهو يتابع:

-لو سيبتيني هموت.. أنا مقدرش من غيرك.

ابتعدت عنه قليلاً، ثم نظرت له، وقالت:

-صهيب!

نظر لها وانتظر أن تتابع، فتابعت بحنو:

-أنا معاك

مد ذراعه وجذبها نحوه من جديد، فتابعت هي بهدوء:

-وبعدين أنا وبراء متعودين عشان كدة هو مخافش عليا أوي!

نظر له صهيب، وهو لا يزال يضرب الرجل، ثم قال:

-دة فرمه، أومال لو كان خايف اوي!

-على العناية على طول، أما دة أخره يومين في المستشفى

ظل صهيب ينظر له بكرهٍ وهو يتلقى الضربات، ود لو يضربه بنفسه، لكنه لا يريد الإبتعاد عنها، يريد أن يتجاوز الصدمة التي مر بها.

حين وقع الرجل فاقدًا وعيه، تقدم براء نحوهم وهو غاضب تمامًا، و ما زاد الأمر حدة أنه وجد ذاك المزعج مع أخته، وهو قريبٌ منها للغاية، بطريقة أثارت حنقه..

-ابعد عنها

أردف بها براء بغضب

فرفع صهيب، وجويرية حاجباهما للأعلى بدهشة، فتابع براء بضيق وهو يمسك يد اخته:

-وكفاية كدة بقى، سيبها وطلقها

ثم سحبها نحوه، فسحبها صهيب بقوة ونظر له بانزعاج وقال:

-قولتلك بلاش تتكلم عن الطلاق قبل كدة

أصر براء وهو يسحبها من جديد:

-قولتلك سيبها، أختي مش عاوزاك أصلاً!

بدأ صهيب يغضب حقًا، فلف ذراعه حولها أكثر، ورد عليه:

-مش هسيبها

-لأ هتسيب وهتطلق

-مش هسيب ومش هطلق

-هتطلق

-مش هطلق

-هتطلق

-مش هطلق

-هطلق

-مش هطلق

-هـ..

-بااس على فكرة أنا هنا، وبعدين إيه لعب العيال دة.. صهيب، براء، بطلوا الهبل دة عشان إنتم الوقت قرايب، أنا هسيبكم شوية وارجع ألاقيكم اتصالحتم

أردفت بها جويرية بحنق وهي تسحب يدها من كليهما.

فنظرا لها بدهشة وقالا سويًا باستنكار:

-نتصالح؟!

ثم نظر كل منهما إلى الآخر بضيق، وعاد براء يقول:

-ودة اللي هو ازاي؟

ابتعدت عنهما وهي تمسك رأسها من الصداع وتجيب:

-قولت ارجع ألاقيكم متصالحين.+

وقفا أمام بعضهما لثوانٍ فظل صهيب ينظر له بهدوء بدون أن يتحدث، فقال الآخر:

-هتسيبها امت بقى؟

حاول صهيب تمالك أعصابه، فأجابه:

-دي مراتي يا براء، هو فيه حد بيسيب مراته؟

-دة لو كان برضى الكل!

-براء، مظنش الموضوع دة هيخلينا نتصالح!

زفر براء، ونظر له قائلاً بانزعاج:

-بس قولي عاوز منها إيه؟

أغمض الأخير عينيه ليستلهم الصبر، ثم قال:

-براء، بطل الطريقة دي.+

جاءت جويرية تحمل حقيبة ما في يدها، ثم سألتهما ببرود:

-اتصالحتم صح؟ طب يلا عاوزة اروح

ابتسم صهيب وكأنه كان ينتظر الفرصة فقط، بينما نظر لها براء وقال بضيق:

-يا سلام

أشارت هي نحو عدة سيارات يقتربون منهم وتابعت:

-معتصم، والحاشية بتوعه جايين، إنت عارف مبحبش أقف في الزحمة!

انتبه براء لصديقه الذي تقف سيارته بالقرب منه، فأومأ رأسه لها على مضض، ثم نظر لصهيب وقال بانزعاج:

-لينا كلام تاني بس مش الوقت

تجاهله صهيب، وسار ممسكًا بيدها، بينما ذهب براء نحو معتصم.

ركب صهيب وجويرية السيارة، فنظر لها للحظات قبل أن ينطلق.

لم يتفوه أحدهما بكلمة طوال الطريق حتى سألته هي بجدية:

-كنت ماشي ورانا ليه؟

أجاب بهدوء:

-كنت مخلص شغلي ومروح فلقيتكم في وشي فمشيت وراكم بس عادي

وضعت رأسها في الخلف، وبدى عليها الإرهاق فسألها بقلق:

-مالك؟

أجابته وهي تضع يدها على جبهتها:

-العربية لما خبطط فينا عملتلي صداع رهيب+

توقف بالسيارة أمام المنزل و أردف بجدية:

-عندي برشام صداع جوة تعالي ندخل

وبالفعل ما لبث الأمر أن دخلوا المنزل، ثم أخذها إلى غرفته، وفتح أحد الأدراج ثم أخرج الدواء، وأحضر لها الماء، ثم أعطاها إياه لتشرب.

أخذته منه ثم تناولته، وشربت الماء من بعده وهي تنظر له نظراتٍ غامضة.

وما إن انتهت حتى أعطته الدواء، واحتضنت الكوب بكفيها ثم انصرفت بدون أن تنبس بحرف. اتجه هو نحو الدرج وعاود وضع الدواء بداخله وهو يفكر أنها تعبت بعد كل هذا وتريد النوم. تمنى لو بقيت معه كالليلة السابقة، تمنى لو لم تذهب، لكن يكفيه أنها بخير.. لم تُصب بأذى.

بدأ بتبديل ثيابه وحين انتهى ذهب وأطفأ الضوء، ثم استلقى على الفراش. و ما كاد أن يغمض عينيه حتى وجد من تفتح الضوء عليه من جديد، نظر نحوها فوجدها تتقدم نحوه وقد ارتدت منامتها السوداء التي ترتديها كثيرًا، وممسكة بحقيبةٍ بيضاء في يدها.

فجلس هو متسائلاً بهدوء:

-فيه..

قاطعته هي بابتسامة وهي تردف:

-عاوزة أديك حاجة

ضيق عينيه بحيرة، فجلست إلى جانبه، وأخرجت شيئًا ما من الحقيبة، ثم مدت يدها له به وهي تتابع:

-دة

أمسكه منها وقد ارتسمت على ملامحه ابتسامة دهشة وهو يقول:

-مصحف!

-آه عشان متمدش إيدك على بتاعي تاني

ابتسم لها، ووضع يده خلفها، ثم أسندها على كتفه فتحدثت:

-متفكرش جايباهولك كدة وخلاص، لأ كل ما إنت هتقرأ فيه أنا هاخد حسنات يعني كله لمصلحتي برضوه!

سألها بغيظ:

-يعني أنا مش هاخد؟

أجابت ببرود:

-لأ هتاخد، وأنا هاخد أدك

-مُستغلة!

هزت كتغها غير آبهة، وردت عليه بهدوء:

-طول عمري

صمتت لثوانٍ قبل أن تردف بجدية:

-يلا إقرأ شوية فيه بقى.

فتح المصحف، فانفتح تلقائيًا على صورة "مريم" فلم يغير الصفحة بل بدأ يقرأ بصوتٍ هادئ:

-"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا"

صمت، فسألته باهتمام:

-سكت ليه؟

نظر لها وسألها بجدية:

-مش فاهم ازاي تخلف من غير ما تتجوز؟

أجابته بهدوء:

-هي هتخلف سيدنا عيسى عليه السلام، عيسى دة اللي النصراى بيقولوا عليه إن هو ابن اللّٰه مع إن ربنا سبحانه وتعالى قال " مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ "، وهو في الحقيقة اتخلق زي خلق آدم عليه السلام ربنا هو اللي قال كدة "إِنَّ مَثَلَ عِيْسَىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" ومع ذلك هما بيعبدوه على إنه اللّٰه، و مذاهب تانية بتقول ابن اللّٰه حاش لله، عشان كدة ربنا هنا بيحكي الحكاية اللي حصلت عشان الناس يفهموا إن الإسلام هو الدين الحق.

و في ذات الوقت بيبرأ السيدة مريم عليها السلام من أي تهمة اتنسبت ليها

-يعني المسيحيين مش هيدخلوا الجنة؟

-عد معايا "لَقدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ المَسِيحَ ابنُ مَريَم" "لَقدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٌ" "وَقَالُواْ اِتَخَذَ الرَحْمَنُ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَحْمَنِ أَن يَتَخِذَ وَلَدًا" والكافرين مبيدخلوش الجنة.

ظل ينظر لها لثوانٍ بدهشة، فهو لم يكن يعلم أنهم كفار! ربما كان مسلمًا لكنها وراثة.. وراثة فقط.

عاد لينظر في المصحف من جديد، وبدأ يتابع:

-،"فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا . فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا.."

ظل يتابع قراءة وكأنه يقرأ رواية شيقة يريد أن يعلم ما سيحدث بها، ولم ينتبه أنها قد

واتاها النوم وهي تستمع إليه إلا حين أنهى السورة كلها.

نظر لها بدهشة وأردف:

-إيه دة إنتي نمتي بجد؟

أغلق المصحف، ووضعه على حاملة الأدراج بجانب السرير، ثم حملها ومددها على الفراش جيدًا قبل أن يدثرها وينام بجانبها.

ظل ينظر لها لثوانٍ قبل يقبل رأسها ثم يضمها إليه بهدوءٍ حتى لا تصحوا. وظل يمسح على شعرها حتى يهدأ هو.. حتى يمني نفسه أنها معه.. فكلما تذكر ما حدث لها شعر بأن روحه تُسلب منه عنوةً حتى أنه لا يدري لماذا تأبى ذاكرته إلا أن تعيد تلك اللحظات الشنيعة مرارًا وتكرارًا. حاول التوقف عن التفكير في أي شيء، إلا النوم

وأغمض عينيه وهو يتشبث بها أكثر حتى

واتاه النوم.....!!!+

.....!!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثالث والخمسون:

+

+

+

أسرع ذاك الرجل ذو البذة السوداء نحوها، وطوق رقبتها من الخلف بيديه بسرعة قبل أن تتحرك، ثم صوب مسدسه نحو رأسها.

ظلت هي تنطر له باشمئزاز، ووقف هو متسع العينين، قلبه ينبض بقوة.. بقوة تكادصوت دقاته تقتله، تنفسه صار سريعًا

جدًا وبدأ يتقدم خطوتان نحوها إلى أن صاح الأخير:

-خطوة كمان والمسدس دة كله هيبقى في دماغها.

توقف صهيب في مكانه، ونظراته تحولت للرعب، الفزع، الذعر..

تخيل أنه يفقدها، يفقدها بعد كل ما مرا به سويًا.. يفقدها بعد أن وجد نفسه بسببها.. يفقد من تكون الحياة بالنسبة له.. من عشق تفاصيلها أجميلة كانت أم غير..

شُلَ، وتعلقت أنظاره بها وكأن الزمان قد توقف عند تلك اللحظة.+

لكنه قرر أنه سينقظها منه وإن كلفه الأمر حياته، فتقدم عدة خطواتٍ أخرى فنظر له الرجل بجمود وصاح فيه:

-إنت اللي عاوز كدة!

ثم قام بإطلاق النار على رأسها....+

+...

انتفض صهيب فزعًا من نومه، فاستيقظت جويرية على إثره ونظرت له بقلق ثم سألته بقلق:

-فيه إيه؟

كان هو حينها يأخذ أنفاسه بصورة هيستيرية كالعادي لمسافاتٍ طويلة، ولكن حين استمع لصوتها نظر لها مباشرةً وكأنه كان يبحث عنها، وظل يتطلع إليها بنظراتٍ غريبة.

وضعت جويرية يدها على كتفه، وسألته بهدوء:

-دة كابوس؟

أنزل يدها من على كتفه، وضم كفها بيديه ولم يتفوه بكلمة، مع أن عينيه لم تفارقها للحظة. حينها وضعت يدها على وجهه وأردفت بخفوت:

-صهيب دي تالت مرة تقوم مجعوز كدة!

لمعت عيناه وهو يحاول الحديث، فخرج صوته مختنقًا:

-بشع أوي الكابوس دة، معتش عاوز أنام.

وضعت يدها خلف رقبته، وعانقته قائلة برفق:

-أنا معاك محصليش حاجة والله

أسند كتفها ووضع يده خلف ظهرها وضمها إليه وهو صامت تمامًا. فظلت تمسح على شعره وهي تردد بعض آيات من القرآن الكريم حتى يهدأ إلى أن شعرت أنه قد نام،

فابتعدت عنه، وأمالته على الفراش، ثم
عادت تمسح على رأسه من جديد..

لم تتصور أنه سيكون بتلك الحالة حالما
يتخيل أنها قد تتركه.. ربما كانت تعلم أنه
سيحزن كثيرًا، لكن لا، ليس لتلك الدرجة!
كلما سألت نفسها ماذا يعني لها لا تستطيع
نفسها الإجابة. لكنها على الأقل واثقة من
أمرٍ ما وهو أنه بات يعني لها الكثير.+

أغمضت عينيها، فتذكرته..

...

خوفه عليها..

اتجهت نحوه وهي تبتسم له بهدوء وكأن
شيئًا لم يكن، ثم قالت:

-كنت شايفاك وانت ماشي ورانا بالعربية و..

صمتت هي حين وجدته يحتضنها بقوة،
حتى كادت تختفي بين ذراعيه، ثم بدأ
يتحدث بنبرة مجهدة:

-معتش هسيبك تخرجي من غيري تاني

دُهشت هي لرد فعله المبالغ فيه، ومع ذلك
تركته يضمها بل وتشبثت به وهي لا تعلم
لما تفعل هذا، هي أرادت هذا وفعلته، ثم
أردفت بهدوء:

-وإيه كمان؟

ناداها هو بخفوت:

-جويرية!

أجبته بخفوتٍ مماثل:

-نعم؟

دمعت عيناه وهو يتابع بألم:

-متسبنيش بالله عليكي

تشبثت فيه أكثر، وقد لمعت عيناها وهي تجيب:

-ما أنا معاك أهو

أغمض عينيه وهو يقول:

-لما شوفته حاطط المسدس على دماغك.. فكرتك هتسيبيني وهتمشي، عارف إنك بتحبي الناس اللي هناك كتير بس أنا مقدرش من غيرك، أنا مقرش أعيش من غيرك، فاهمة!

اختنقت نبرته وهو يتابع:

-لو سيبتيني هموت.. أنا مقدرش من غيرك.+

...

فتحت عينيها، ونظرت له، ومجددًا تذكرته...

...

احتواءه لها..

نظرت جويرية للأرض أسفلها لكي لا يرى دموعها التي انحدرت على وجنتيها و مدت يدها الأخرى لتمسح دموعها بسرعة قبل أن يراها، بينما تابع هو بهدوء:

-يا جويرية أنا مش عارف ليه بس أنا مبقدرش اشوفك بتعاني وأقف اتفرج من بعيد، أنا مبقدرش، فاهمة! إنتي نستيني وجعي بوجعك، والله نستيني نفسي بنفسك!

رفعت رأسها لتواجهه بعينيها المبللتان، وقد ظنت أنها مسحت كل دموعها ولم تنتبه لعبراتها الجديدة التي بدأت تنساب على

وجنتيها، وصدم هو حين رأى عبرتان قد شقتا طريقهما نحو وجنتيها، وظل ينظر لها لفترة وقد سيطرت عليه حالة من الصدمة، فمنذ متى كانت تبكي؟ إلى أي حد تتحمل العذاب؟ هل.. لم يشعر بنفسه وهو يضمها فجأة، لدرجة أنه تفاجأ مثلها تمامًا بما فعل، حاولت هي مقاومته في البداية، لكن بمجرد أن وصل إليها شعور السكينة قلت مقاومتها له. تركته وتركت نفسها فلقد احتاجت لهذا بالفعل. أما هو فلم يدرك ما فعل إلا بعد أن فعل، ولكن هو لم يندم علام فعل.

...

اعتدلت على الفراش، وأستندت رأسها للخلف وهي تنظر له بهدوء، وعادت ذاكرتها للعمل..+

...

تخفيفه عنها..

أردف بعد صمت طال لخمس دقائق:

-عارفة أنا نفسي في إيه؟ تناديني قبل ما تحتاجيني، وقبل ما تخلصي نداء هكون عندك.

سألته هي بهدوء بعد أن هدأت قليلاً وشعرت أن لديها القدرة بالتحكم في نبرتها:

-إنت عاوز مني إيه يا صهيب؟

-عاوزك

تلك كانت إجابته بدون تفكير، ثم تابع:

-ومش عاوز حاجة تانية

لم ترد لفترة، واستمر هو بضمها إليه ولم يقل شيئًا. ثم ردت فجأة:

-بس أنا صعبة المنال يا صهيب.

أجابها بساطة:

-وأنا ميهمنيش هنفضل لحد امت كدة إنتي حاجة كبيرة أوي عندي.+

...

تهوينه عليها..

-أوحش حاجة ممكن يعملها الإنسان أول ما يقوم من النوم، يفكر في اللي فات!

قاطع هو شرودها بتلك الكلمات، فنظرت إليه، بينما انتصب هو واقفًا وتابع بهدوء:

-كل يوم بيبقى شايل من الهموم اللي على أده ومفيش مكان لليوم اللي احنا فيه لهموم اليوم اللي قبليه.

...

رسائله لها..

"خذي رأسي ولا تمنعي إبتسامتكِ أن تطال عيني

خذي قلبي وظلي معي لحظة قضاء أجلي

خذي عيني ولا تريني دمعة تحرقِ قبل أن تطأ وجنتيكِ"

...

ابتسامته لها..

أغمض عيناه وهو يضم يدها بيده.. كان خائفًا، خائفًا من معرفة شيءٍ آخر، خائفًا أن يصدم مجددًا

-ما كلف الله يومًا إنسيًا إلا قدر طاقته.. ما وضع الله ثقلاً إلا له حامل، حتى الألم وإن زاد فائقه.. فصبرًا فليس الأجرُ إلا لصابرٍ لله من فضله سائل.

كانت تلك هي الكلمات التي قالتها ارتجالاً، فنظر لها بحنان، وابتسم رغم كل شيء فقد خففت عنه كثيرًا، لقد كان يكفيه أن يشعر أنها تحاول التخفيف عنه، كفاهُ أن أمره يهمها وأراحه كثيرًا.

...

إضحاكه لها...

نظر صهيب للوردة باشمئزاز ثم حرك رأسه نافيًا وهو يردف بأسف:

-حتى الورد بقى مفتري!

لم تقاوم طريقته أكثر من ذلك فضحكت من كل قلبها لدرجة أنها قد سعلت من شدة الضحك، فقد كان يتصنع الجدية بنظراته ونبراته بطريقة مضحكة حقًا.

نظر مصدومًا وهو يراها تضحك، فهو لم يظن أنها يتفعل، نعم كان يمزح لكن..

حسنًا، سيطرت عليه رغبة بالضحك هو الآخر، فشاركها الضحك.

...

استلقت على الفراش مجددًا، ثم أمسكت يده بيديها وتخللتها بأصابعها وهي تنظر له بدفئ، ثم وبيدها الأخرى ظلت تمسح على شعره برفق وهي تبتسم بدون سببٍ واضح!+

.....+

استيقظ صباحًا على صوت هاتفه يرن، نظر لها فوجدها ما تزال نائمةً، فأسرع بإمساك هاتفه، وإيقاف صوت رنينه المستمر، وحين قرر الإجابة وجاء ليجلس وجدها ممسكة

بيديه، ويدها الأخرى فوق شعره! كيف لم ينتبه للأمر حينما استيقظ؟!

أغلق هاتفه، وتركه بجانبه، هو يتذكر أنها لم تنم البارحة جيدًا بسببه فقد أيقظها عدة مرات بسبب ذاك الكابوس اللعين.

رفع يدها الممسكة بيده أمام عينيه بحذر، وابتسم.. تلك الإبتسامة التي تخفي في طياتها الكثير.. الحب، الإمتنان، السعادة، والخوف.. الخوف! أغمض عينيه وقد بدأ يتذكر ما حدث معها البارحة، والكابوس، و..

حاول التخلص من كل هذا، ماذا به؟ لما لا ينسى ما حدث وينتهي الأمر.. هي معه الآن، هي بخير.. بخير!

أخذ نفسًا عميقًا ليتخلص من كل هذه الأوهام، ثم مد يده فوق شعره وأنزل يدها

برفق ليقبل باطنها ثم يتركها ويحرر يدها الأخرى من يده بتأنٍ لينزل بعدها من على الفراش وهو ينظر لها.+

+...

كان قد أعد نفسه للذهاب إلى العمل، وكاد أن يخرج من الغرفة إلا أنه عاد فجأة، وجلس على مكتبه.. أمسك قلمًا، وورقةً وبدأ يدون بعض الكلمات عليها، ثم أمسك ورقة أخرى ودون بعض الكلمات بالخط العريض عليها..

وبهدوءٍ شديد تسلل إليها وفرد احدى الورقات فوق وجهها وهو يمنع نفسه من الضحك بصعوبة، ثم طوى الأخرى جيدًا وفتح يدها اليمنى ووضعها بداخلها..

ما لاحظه صهيب أنها مثله لا تتقلب أثناء نومها، يعني أنها ستحافظ على الوريقات حتى تستفيق.

أبعد الورقة عن وجهها قليلاً، ثم قبل جبهتها وهو يهمس:

-مش هتأخر، ساعتين بس.

وأعاد وضع الورقة من جديد بابتسامة مرحة. ابتعد لثلاثة خطوات ليلاحظ المصحف الذي أهدته له البارحة.. وبدون فهمٍ لنفسه مد يده وأمسك به، ثم رحل آخذًا إياه معه..+

.....

تمددت على مقعد السيارة بعد أن أوقفتها أمام الشركة، ثم أرجعت رأسها للخلف، وهي تفكر وتفكر.. تتذكر البارحة بكل تفاصيلها وكأنها الآن..+

+....

دخلت هي ذاك المطعم الهادئ الذي أخبرها
عنه، وظلت تتفرس في أوجه الحاضرين
بنظراتها الثابتة.. نعم قبلت عرضه ولم تدرِ
لما، لكنها لن تظل طويلاً بذاك التخلف!
يجب أن تعود كما كانت في أسرع وقت.

وجدته يتقدم نحوها، وصدمت من مظهرهره
الأنيق كالعادة لكنه اليوم أكثر جاذبيةً
ووسامة، وقف أمامها وبدون مقدماتٍ
تحدث بهدوءٍ وهو ينظر في ساعته:

-٣ دقايق تأخير

رفعت حاجباها وهي تجيبه غير آبهة:

So-

مد يده لها حتى تمسك بها، فنظرت له
بترددٍ، وظل هو يتابعها باهتمام ليعلم ما هي

ردة فعلها. وبعد القليل من الثواني مدت يدها ووضعتها في يده، فابتسم مجاملاً وسارا معًا إلى أن وصلا إلى الطاولة في الركن البعيد الهادئ.

ظل الصمت هو سيد الموقف حتى جاء النادل وأخذ طلباتهم. ليبدأ هو بعدها بالحديث بجدية وهو يثبت نظره عليها:

-مسبتكيش فترة طويلة، عملتي إيه بعد ما مشيتي من العيادة عندي؟

أجابته بهدوء:

-مشيت في الشارع واختارت الطرق الزحمة.. كنت بحاول أواجه مخاوفي.

ابتسم وهو يرجع رأسه للخلف ويقول:

-عظيم، وبعدين؟

ردت بضيق:

-كنت بتخنق في الأول، بس فضلت أمشي واشتري حاجات كتير مش عاوزاها واتعاملت مع بياعين كتير لحد بعد حوالي ٣ ساعات بدأت أحس الموضوع usual شوية. ولحد ما شوفتك تاني فضلت اليومين دول أعمل كدة.

-لأني لقيتك اتحسنتي بسرعة جدًا فاستغربت، عامةً أنا عاوز اشكرك.

قوست حاجباها وسألته بحيرة:

-تشكرني؟

أومأ رأسه ببساطة وأجاب مبتسمًا برقة:

-عشان لبيتي الدعوة بتاعتي

-أها، أخدتها على إنها زي بقيت التعاملات عشان أتحسن.

-تعرفي ليه مرضتش أعالجك؟

-ليه؟

-عشان أنا علاجي كان هياخد وقت أطول، وإنتي عندك قوة تحدي من خلالها كنتي عاوزة تثبتيلي إنك بيا أو من غيري هتنجحي وتتخلصي من كل دة.

نظرت له بذهول، وأجابت ببرود:

-وبعدين؟

هز كتفه، و رد ببرودٍ مماثل:

-وبس

-الطلب يا فندم.

قالها النادل بابتسامة مجاملة وهو يضع الطلبات أمامهم، ثم غادر علي الفور.

-متقدريش تنكري إن أنا السبب الأساسي في إنك تبقي أحسن!

أردف بها بغرور، فنظرت له بحنقٍ وتحدثت:

-أعتقد لو فيه حد يستحق الشكر، يبقى أنا.

تعلقت أنظاره بمن يقف خلفها، فاستعجبت، وقبل أن تدير رأسها لتنظر وجدته يتقدم ويجلس على المقعد الثالث.. هذا المقعد الذي أثار حيرتها وجوده في البداية والآن فقط علمت ما فائدته..

-إياس!

نطقت بها بحدة وهي تقف فجأة، يبدوا أنهما كانا يتحالفان ضدها و..

-كاثرين please اقعدي شوية

أردف بها إياس مترجيًا إياها، فنظرت لهما بغضب وأردفت:

-ازاي تـ..

قاطعها لؤي بجدية وهدوء:

-كاثرين اقعدي، افهمي الأول وبعدها امشي.

هزت رأسها نافية وهي تجيب بنبرة نارية:

-أنا غلطانة إني وثقت فيك وجيت.

ثم تركتهما وخرجت، فذهب إياس خلفها وظل الأخير في مكانه.

ظلت هي تسير وهو يسير خلفها وينادي إلا أنها لا تجيب حتى أسرع أكثر واستطاع أن يقف أمامها قبل أن تصل لسيارتها..

كان شعرها يتطاير من أثر الهواء، وامتلأ وجهها بعلامات الغضب، والحنق، ثم نظرت له بحدة وهي تردف:

-ابعد عني تعرف! إنت وعدتني هتسيبني في حالي! قولتلي هتمشي لو قولتلك مش عاوزاك ودة اللي أنا قولته..

لم يقاطعها وظل يستمع لها وهي تهدر به غاضبة:

-لكن إنتم كلكم زي بعض، كلكم خونة مبتعرفوش توفوا بوعدكم..+

قاطعها إياس بغضبٍ وهو يمسك يدها ويهزها بقوة:

-لأ مش كلنا زي بعض! أنا عملت كل اللي أقدر عليه عشان أوصلك.

ارتجفت قليلاً من طريقته الحادة، وآثرت الصمت بينما ظهرت في عينيه الدموع وهو يضع يده على وجهها فتنظر له بصدمة وهو ويتابع:

-عشان أنا حبيتك من يوم ما شوفتك، مش عشان حاجة تانية!

أنا كلمت لؤي عشان يساعدني أخلصك من اللي إنتي فيه، وفضلت بعيد عنك الفترة دي كلها، حتى نقلت في قسم تاني عشان متشوفينيش، وقررت أسيبك شوية لأني مقدرتش أتقبل رفضك ليا.

ظلت تنظر له بهدوء، وأنزل هو يده من على وجهها وابتعد عنها خطوتان وهو يتابع بهدوءٍ بالرغم من ألمه:

-بس أنا الوقت بس فهمت إنك فعلاً مش عاوزاني في حياتك، وأنا أوعدك إن دي آخر مرة تشوفيني فيها.

بدون قصدٍ منها آلمتها جملته، طوال حياتها كانت تكره..

-مع السلامة

...كلمات الوداع.

ثم انصرف هو بعد أن ودعها، فدمعت عيناها بلا سبب، أو ربما لأنها شعرت بالذنب لأول مرةٍ منذ وقتٍ طويل.. شعرت بالذنب تجاهه!

-حقيقي كان مؤثر!

نظرت له لتجده مستندًا على سيارة سوداء أمامها، فردت عليه باختناق:

-لؤي مش نقصاك!

اقترب منها ووقف أمامها مباشرًا، ثم وضع يده على كتفها وقال:

-الخيار برضوه هنا هيرجع ليكي، إما إنك تسيبيه، أو تسمعيه..

أمممم بس أنا برجح إنك هتفكري بحكمة قبل أي قرار، ومش معنى إننا صحاب هجبرك عليه.. أو أقنعك بيه غصب! احنا كمان صحاب وهنا أنا هضطر أكون معاكم إنتم الإتنين، فكري حلو.. وبعدها اتصرفي.

بدأت تبكي وهي تجيبه:

-مش عارفة، مش عارفة، أنا بقيت بدمر كل حاجة بنفسي، مش عارفة آخد قرار.

أخرج منديلاً من جيبه، وقدمه لها وهو يرد بهدوء:

-عن ثقة هتاخدي القرار الصح+

أخذت منه المنديل، ثم بدأت تمسح عينيها، خمس ثوان فقط لتنظر له مجددًا فلا تجده.. اختفى من جديد، أخذت نفسًا حادًا وهي تتقدم نحو سيارتها، ثم ركبتها وانطلقت.

....

وهاهي الآن ما تزال تفكر، ماذا عليها أن تفعل؟ أتبدأ من جديد وتسمح لرجلٍ آخر بأن يدخل حياتها! وهل سيدمرها من جديد؟ أم أن بإمكانه مساعدتها في تجاوز محنتها!

زفرت بضيق، وقررت أن تلج للشركة، فترجلت من سيارتها ودلفت إليها وهي تبحث بعينيها في كل طابق عنه علها تجده.. لم تتوقف عند هذا بل سألت عليه أيضًا في الأقسام الخاصة، فلم تجده حتى علمت مصادفةً أنه انتقل إلى فرع الشركة في محافظة بورسعيد، ولم تعلم ما الذي دهاها

حتى طلبت عنوان منزله، وخرجت مسرعةً متجهةً إلى مقصدها.. وبالرغم من أنها كانت تشك في وجوده من عدمه إلا أنها قررت الذهاب!

وبالفعل وصلت إلى العنوان المطلوب بعد نصف ساعة من البحث، ثم صعدت إليه...

وقفت أمام الباب مترددة لثوانٍ حتى واتتها الجرأة ورنت الجرس.

لم يجبها مجيب، فعادت ترن الجرس من جديد.. وأيضًا لا فائدة، فاستدارت لتذهب وهي تتذكر حين وعدها أنها لن تراه من جديد، فعبست ملامح وجهها أكثر، و ما إن نزلت ثلاث درجات حتى سمعت صوت الباب يفتح، فاستدارت سريعًا لتراه بحالة رثة يفرك عينيه وقد تجمعت هالات سوداء تحت عينيه.. يبدوا أنه نام جيدًا!

-كاثرين!

أردف هو بها بدهشة، فارتبكت هي ولم تعلم ما الذي عليها قوله.. صعدت الدرج من جديد حتى وقفت أمامه، وتحدثت بخفوت:

-آه

نظر لها لثوانٍ قبل أن يفسح لها المجال وهو يقول:

-اتفضلي..

ولجت للداخل لتجد المنزل يعج بالفوضى وكأنها حظيرة حيوانات لا منزل!

-آسف، مكنتش عارف إنك جاية أكيد كنت هظبط الدنيا شوية.

تذكرت غرفتها السابقة في منزلها القديم مع والديها، فدائمًا ما كانت توبخها والدتها على

تركها لغرفتها بتلك القذارة، المشهد كارثي بحق مما جلها تضحك وهي تنظر في أركان الغرفة، هنا سروال من الجينس فوق التلفاذ! وهاهي علبة البيتزا على ما يبدوا منذ أكثر من أربعة أيام متروكة هنا على الطاولة، وحذاءه الأسود فوق الأريكة!

وثيابٌ كثيرة هنا وهناك..

ضحكت بحقٍ من مظهر غرفته، ثم تحدثت:

-لأ عادي ولا يهمك

نظر لها بدهشة هذه أول مرة تضحك فيها، ومع ذلك قاوم الشعور في نفيه بإخبارها أن ضحكتها لا تضاهيها ضحكة، وتحدث بتريث:

-كان فيه حاجة؟

استدارت له، ونظرت له مطولاً وهي تحاول إيجاد الكلمات المناسبة حتى بدأت بتعلثم:

-آآآ.. أنا كنت.. كنت جاية عشان آآ.. عشان أعتذر منك.

قوس حاجباه وسألها باهتمام:

-ليه إنتي عملتي إيه؟

زفرت بحنق وأجابته:

-إياس، بلاش الطريقة دي please أنا اصلاً بتكلم بصعوبة. أنا عارفة إني أذيتك كتير و.. و مديتكش ولا فرصة، و..

صمتت قليلاً وهي تنظر له لتجده يتابعها باهتمام، فتابعت باختناق:

-أنا بس مكنتش عاوزة ادمر حياتي تاني، إنت متعرفش اللي حصلي، ولا تعرف..

-لأ عارف يا كاثرين، عشان كدة متقبلتش رفضك ليا في الأول، بس بعد كدة.. حسيت فعلاً إني بزعجك و..

قاطعته هي بجدية:

-أنا موافقة

نظر لها بدهشة وسألها:

-على إيه؟

أشاحت وجهها عنه وهي تجيب:

-هديك فرصة

اقترب منها وهو غير مصدقٍ لما نطقت به للتو، وسألها بجدية أكبر:

-قولتي إيه؟

-هديك فرصة يا إياس

نظر لها بامتنانٍ وأجاب:

-و.. و أنا أوعدك هبقى عند حسن ظنك.

وضعت يدها على بطنها وقالت بهدوء:

-بس أنا.. حامل

-طب ما أنا عارف

-مقصدش، هتقدر تعامله زي ابنك

أمسك يدها وقبلها قائلاً بمودة:

-ما هو هيكون ابني فعلاً!

سحبت يدها بتمهل، ثم سارت عدة خطواتٍ لتصل للباب وتابعت:

-عرفت إنك حولت لفرع تاني.

ابتسم وأجابها ببساطة:

-اعتبريه محصلش

أخذت نفسًا عميقًا، ثم فتحت الباب لتذهبت

بعد أن ودعته بهدوء.....!!!+

.....!!!!+

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الرابع والخمسون:

+

+

"لقد تغزل الشعراء قبلنا بتفاخر..

وقالوا في زوجاتهن كل الكلام الفاخر..

أما أنا فيكفيني السكوت..

فإن جئت أكتب فيكي أبت الحروف أن

تشكل كلمة تقلل من شأنكِ، لم يأبَ قلمي

إلا تأدبًا، وتخوفًا في وصفه لكِ أن يخطَ عبارة

بها شوب أو بهوت.."

تلك العبارات هي من قرأتها توًا بهدوء. لم يبدُ على ملامحها التغير كثيرًا.. وظلت تنظر للورقة لفترة بصمت، حسنًا مع أن طريقة التقديم لم تكن جميلة، إلا أنها كانت تفهم لما فعل ذلك، لقد أراد أن تراها أول شيء حين تستيقظ.

انفرجت شفتاها بابتسامة رقيقة وهي تتذكر من جديد حين استيقظت ووجدت الورقة على وجهها!

لاحظت فجأة أن يديها اليمنى بداخلها شيء ما، ففتحتها لتجد ورقة أخرى مطوية بداخلها.. كيف لم تشعر بالأامر من البداية! بل كيف استطاع وضعها بدون إيقاذها فنومها خفيف جدًا؟!

تركت الورقة الأولى بجانبها، وفتحت الثانية بتمهلٍ وبدأت تقرأ بخفوت:

-"زوجتي العزيزة.. لا تتركي المنزل بدوني من جديد"

وضعت يدها على جبهتها بقلق.. هناك ما يشغل تفكيرها وهو أنه لا يعلم كل شيء، إلم تخرج اليوم فستفعل غدًا هي تكره كثيرًا المكوث لفترات طويلة بالمنزل.. علاوةً على ذلك حياتها مهددة بالخطر في أي لحظة، فقد استلمت رسالة من أخيها بمجرد عودتها أمس مفادها "أن من لاحقوهما كانوا من نفس العصابة ويسعون للإنتقام، غير هذا أن من أمسكوهم فقط ثلاث، وبعد تهديد أحدهم اعترف أنه ما يزال هناك من يسعى خلفهم فهم يريدون آعادة تنظيم العصابة من جديد.. عصابة آل سبر"

لو علم صهيب هذا الأمر سيزجنها هنا.. ربما لن ينام من جديد، لقد رأته يصارح أسوء

الأحلام ليلاً فقط لأنه اعتقد أنها ستموت..
ستتركه!

أخذت نفسًا عميقًا، وبرغم كل هذا حين
نظرت للورقة مرةً أخرى ابتسمت بهدوء، ثم
تركت الفراش وذهبت نحو مكتبه وهي تفكر
في أمرٍ ما، وحين جلست على المقعد،
وأخذت ورقة وقلم بدأت بسكونٍ تدون..

"مضى الآن بضعة أشهرٍ على اليوم الذي
سكبت فيه الماء على بنطالك"

ابتسمت وتابعت بتأنٍ..

"أتعلم! لقد سكبته عن قصدٍ يومها لأنك
كنت متكبرًا جدًا، لقد أثرت حنقي يومها
وكان هذا ما استحققته، فنظراتك للجميع
وحتى من يطلب منك أن تمليه رأيك كانت
نظرات استعلاء وهذا ما لا أطيقه أنا..

جديًا يا صهيب كل شيءٍ يتغير، فأنا لم أعتد على الحكم على الناس من الإنطباع الأول، وبرغم هذا في المرة الثانية التي رأيتك فيها محوت اعتقادي بأنك مغرور.. لقد علمت أمرًا مهمًا وقتها، أنت تخبئ نفسك خلفك قناع التكبر لكيلا تنكشف.. و رغم ما وضحته لي الأيام من تسلطك وعنجهيتك، وبالرغم أنك كنت تحاول التفوق علي في فتوري إلا أنني استطعت أن أفهمك بسهولة ليس لأنني ذكية ولماحة، بل لأنني بدأت أرى فيك نفسي ولم أشعر بهذا إلا في الأيام الأخيرة.

أتدري! رغم أنه من كان المفترض أن أعاديك بسبب طريقة زواجنا، ولتسرعك ولجعلي آخذ قرارًا بدون تفكيرٍ لأول مرةٍ في حياتي، إلا أنني لم أفعل.. لم أستطع أن أكرهك، أو حتى أشعر بالنفور منك.. لم أستطع أن

أعاديك، لم يكن لدي رغبة في محاسبتك.. لم أرد فتح ملفات الماضي.. مع الأيام فهمت لما؟ لأنك لم تترك لي المجال، صحيح أننا تزوجنا في ما كنت أنا أتألم وأتعذب، لكنك استطعت التخفيف عني، استطعت جعلي أشعر بالسكينة، لم أنساهم لكنك جعلت الألم أقل، بطريقة أو بأخرى لقد ساعدتني وأنا لا أدري كيف...!

إلى أي مدى يا صهيب.. إلى أي مدى يستطيع الإنسان التحمل.. الألم، الحزن، الإنكسار، الإختناق، الإشياق.. بدون أن يظهر ضعفه حتى لنفسه..

سأخبرك أمرًا قد تعجب إن سمعت به.. أنا أردت البقاء معك منذ الأيام الأولى، سأعترف أنني كنت في أمس الحاجة إليك وأنت لم تقصر، وسأعود لأعترف أنني لم أرد الإنفصال

ليس فقط لأنه لقراري ويجب علي تحمله،
بل لأنني كنت أجد راحتي ببقائي معك؛ وبعد
كل هذا لن أشكرك.. فهذا واجبك كزوج،
وواجبي كزوجة أن أبرد الجو إن تعطل
المكيف..

ودعًا،

زوجتك جويرية.."١

+.....

مضت ساعتان..

فتح صهيب باب منزله بعد أن عاد من
العمل.. وبمجرد دلوفه قوس حاجباه في
عجب.. هناك صوتٌ عالٍ لقرآنٍ في المنزل،
وهو ليس بصوتها!

سار على غيرى هدى في اتجاه مصدر
الصوت حتى وجد التلفاز هو من يصدر ذاك

الصوت، وضع يديه على ذقنه وظل ينظر حوله في المنزل، فلم يجدها، فقرر الذهاب لغرفتها وأيضًا لم يجدها.. وحين دخل لم يجدها في الحديقة.. لحظة ما هذا الصوت!

سار في اتجاه الصوت إلى أن رآها في المطبخ تحضر الطعام على الأرجح! فاستند على الحائط وكانت هي منهمكة لم تنتبه لتواجده. تضع الطحين هنا، والعجين هنا، وتفرده ولا يفهم ماذا تفعل لكن بالطبع هذا طعام!

اقترب منها بهدوء حتى لا تلاحظ تواجده، ثم...

-صهيب، معلش ناولني العلبة دي.

نظر لها بغيظ، فالتفتت ناظرة له ببرود وهي تردف:

-مأخدتش بالي إنك كنت عاوز تجعزني!

ضحك من طريقتها، ثم وضع يده خلف رقبتها واستدار مديرًا إياها معه وهو يسألها بمرح:

-إيه البتاع دة؟

نظرت هي للعجين المفرود أمامها ثم أجابته بهدوء:

-بيتزا

رفع حاجباه بدهشة وسألها:

-بجد!

-تخيل!

-تخيلت أهو، طب استني هروح اغير عشان أشوف البتاع العجيب دة بيتحول بيتزا ازاي!

ابتعد عنها واستدار ليذهب، لكنه تفاجأ بسؤالها الجاد:

-و رحيل؟

استدار وقد بدأت قسمات وجهه بالتحول إلى الإنزعاج وسألها بضيق:

-ماله؟

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تتحدث بروية وهي تثبت عينيها عليه:

-مش هتكلمه؟

-جويرية أرجوكي بلاش نـ..

-لأ يا صهيب، لازم نفتح الموضوع دة وحالاً، رحيل دة أبوك وعاش كل الوقت دة ورباك من غير ما يسمع كلمة بابا ولا مرة.

صمتت وقد بدأت نبرتها تحتد قليلاً، ثم اقتربت منه وتابعت بنبرة أكثر سكونًا وتأنيًا:

-عارف يعني إيه عمره ما سمع كلمة بابا؟ عمره ما قالك على الحقيقة عشان متكرهوش زي ما كرهت والدتك.. صهيب، أنا عارفة إنك مش بتبطل تفكير في الموضوع دة، بس مينفعش تسيبه كل الفترة دي لوحده!

-طب والكدب اللي كنت عايش عليه طول الفترة دي؟ طب ونسبي اللي لسة معروف، تخيلي أنا حسيت بإيه لما عرف إني ابن حـ..؟!

وضعت يدها على فمه ليصمت، ثم نظرت له وتحدثت بنبرة أقرب للهمس:

-أنا عارفة إحساسك كويس أوي، وعارفة إنت بتفكر في إيه.. بس دة مش ذنبك، آخر واحد ممكن تلومه هو إنت، ثم إن الموضوع دة هيفضل سر بينا.

أنزل يدها عن فمه برفق ولم يتركها وهو يتابع بشرود:

-بس دة مش هينفي الحقيقة!

-اللي اعرفه إن اللي بيغلط بيتحمل غلطه وإمت ملكش دعوة!

-آه بس..

-بس إنت لو كلمت رحيل واتصافيت من ناحيته الوقت صدقني كل حاجة هتبقى أحسن، هو بيحبك جدًا ومش هيتحمل رفضك ليه أكتر من كدة، وكمان آخر مرة شوفته فيها كان شكله تعبان جدًا.

كاد أن يتحدث، لكنها تابعت بابتسامة ودودة:

-القرار ليك في النهاية وأنا عارفة إنك هاتختار الصح.

ابتسم لها هو الآخر، ثم قبلها على رأسها بحنو قبل أن يذهب..

فظلت هي تنظر له بشجن، تتمنى لو لم تفتح هذا الموضوع معه، لكن بحق لا يمكنها تحمل افتراق الإبن عن أبيه أكثر. أعادت النظر للعحين من جديد، وبرغم أن معنويتها قد انخفضت إلا أنها أوجبت على نفسها إنهاء ما بزأت به.+

+.....

حين وصل صهيب لحجرته، اتجه نحو خزانته عابس الوجه لتبديل ثيابه، وبالفعل اختار ثيابه البيتية المريحة، ثم بدأ بارتدائها.. و ما أن انتهى حتى اتجه نحو الباب ليخرج إلا وأنه قبل أن يستدير لفت انتباهه تلك الورقة المطوية على الفراش.. ظن في البداية أنها ما كتبه لها صباحًا، فسار متمهلاً نحو الفراش،

ثم مد يديه ليمسك بها وفتحها، لكن بدى على قسمان وجهه العابسة التغير حين بدأ بقراءتها، فتارةً يبتسم وأخرى يكتفِ بتنهيدة هادئة، إلى أن رفع حاجباه في النهاية وهو يردف ساخرًا:

-مُبرد للجو! مصدقك والله

لكن الشيء الأكيد أنه كان سعيدًا بعد قراءته لها لدرجة أنه نسي ما كان يفكر فيه قبلها.

جويرية.. جويرية.. جويرية.. آهٌ يا فتاة لقد عبثتِ بأفكاري حتى تتمحور كلها حولكِ. لقد استطعتِ تحطيم سدود من الأحجار صُنعت منذ الأزل في قلبي. لقد ماتت رغبتي في المقاومة طالما كنتُ معكِ.

طوى الورقة بشيءٍ من الإحتراز كأنه يطوي ثياب العيد الجديدة في يده، وبقبضته غلفها بعد أن تجلت تلك الإبتسامة الراضية على ثُغره. ثم خرج من الغرفة متجهًا لها..

حين عاد إلى المطبخ وجدها ما تزال منهمكة في صنع الطعام، فاقترب منها، ثم أمسك يدها من الخلف، وكانت هي ممسكة بالجبن في يدها في ذلك الحين فسألها هو ببرود:

-إيه البتاع الأصفر دة!

رفعت حاجبها وهي تجيبه ببرودٍ مشابه:

-إنت موقفتش مع حد بيطبخ قبل كدة؟

رد ببساطة:

-لأ كان بيجيلي لحد عندي، هقف ليه؟

حررت هي يدها بسرعة من يده، وبدأت تضع الجبن على العجين وهي تتحدث بهدوء:

-دي جبنة، ومتخافش شوية وهتبقى عارف الأكل دة بيتحضر ازاي، أنا بحالات مش كل يوم هطبخ.

ابتسم باستفزاز وأجاب:

-بسيطة نجيب دلڤـ..

-ومبحبش الأكل الجاهز

قوس حاجباه وسألها بدهشة:

-قصدك إيه؟

استدارت تنظر إليه ببرود، وهزت كتفاها وهي تردف بجدية:

-إيه دة بجد مش فاهم!

أغمض عينيه عدة مرات ثم فتحها، وأخذ يقلب كفيه بغيظ وهي يكتلم:

-بقى أخرتها صهيب، صهيب اللي الناس بتعمله ألف حساب مراته تقوله اطبخ!

عادت تستدير للطعام من جديد وهي تعيد على مسامعه بنبرة أكثر خفوتًا:

-فاكر لما قولتلك إنك عملت ذنوب كتير في حياتك، وربنا ابتلاك بيا؟

ضحك في قرارة نفسه، وابتسم لها وبكل بساطة قرر أن يفعل ما لم تحسب له حسابًا، فلف ذراعاه حولها من الخلف، وهمس في أذنها بمرح:

-بس البلاء دة عاجبني.. لو كل البلوات زيك كدة أنا موافق عاوز بلوة كل يوم!

ضحكت على طريقته الجديدة، ثم أجابته باسمة:

-للأسف، لقد نفذ رصيدكم من البلوات اليوم

ضحك هو الآخر وأردف:

-لأ متخافيش معايا بلوة تكفي لحد آخر العمر.

هزت رأسها مرتين وهي تبتسم، ثم وضعت يدها على يده تحاول نزعها بعد أن قالت بجدية:

-إيدك بقى عشان أجيب الزتون دة!

تمسك بها أكثر وهو يجيبها ببرود:

-لأ مش عاوزك تروحي

تركت يده وتحدثت:

-من عينيا، ناولني إنت الزتون دة.

أجاب بغيظ:

-طب إيه الفرق؟ وبعدن استني هي البتاعة دي تكفي كام واحد؟

-أولاً البتاعة دي إسمها بيتزا، ثانيًا أيها المتفلسف هتكفي اتنين يادوب.

-يعني كل دي تكفي اتنين بس

-آه أصل بحب البيتزا أوي!

برغم دهشته فالصينية كبيرة عليهما، لكنه أردف:

-طب اعملي واحدة كمان.

استدارت تنظر إليه بحيرة، فتابع بانزعاج:

-إيه إنتي مش قولتيلي كلم رحيل!

ابتسمت، وظهرت السعادة على ملامح وجهها وهي تسأله بجدية:

-يعني قررت تكلمه!

أخذ وقتًا قبل أن يسألها بهدوء:

-مش إنتي شايفة إن دة صح؟

-آه

-خلاص أنا بثق في رأيك، وعارف إن هو دة الصح، في النهاية كل دة كان في الماضي..

صمت للحظات وهو يراها تنظر له نظراتٍ غامضة، فسألها ببرود:

-إيه؟

ببرودٍ مشابه وهي تحرك يدها بلا مابالاة أجابت:

-حلال الواحدة تبص لجوزها على فكرة.

-طيب بصي الصنية التانية هيتفضل فيها شوية، نجيب براء؟

حكت رأسها مفكرة وهي تسأله:

-وأفضل أفصل بينكم زي العيال الصغيرين!

-طب أنا مالي لو أخوكي بيشوفني عدوه!

جثت على ركبتها بحركة مفاجئة له لتخرج
من بين يديه، ثم تحدثت بهدوء بعد أن
وقفت وسارت وهي تتجه نحو الزيتون:

-خلاص كلمه إنت، وكلم رحيل وبعدها تعالى
عشان تعمل الصنية التانية..

وقف مصدومًا من حركتها المباغتة،
مدهوشًا مما قالته، وعاد يسألها بغيظ:

-أنا اللي أعمل آيه؟

أجابته ببساطة وهي تتابع عملها:

-الصنية التانية، بس يلا اتصل.

وضع يده على شعره فقد أفقدته القدرة على الرد، وقبل أن يقوم بأي شيء، كانت أمامه تمد يدها له بكوب ماء وهي تحدثه ببرود:

-بيقولوا الماية بتهدي الأعصاب

هل فهم الآن ما معنى "وواجبي كزوجة أن أبرد الجو إن تعطل المكيف.."

هل تعطل المكيف وهو لا يعلم؟ أين الكهربائي.....!!!

+!!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الخامس والخمسون:

+

+

+

-بس أنا أول مرة آكل بيتزا حلوة كدة!

تلك بها الجملة التي نطق بها هذا العجوز الهرم وهو يبتسم، وبهدوءٍ بادلته هي الإبتسامة وأجابت عليه وهي تنظر لزوجها بجانبها:

-هنبقى نجيب من المطعم دة على طول.

ابتسم زوجها بسكونٍ وعاد يتابع تناوله للطعام، ربما كان ينظر لها أكثر مما يأكل.. لكن في كل الأحوال كان يأكل بشراهة!

الجميع كان يأكل بشراهة حتى ذاك الذي لم يبتسم ابدًا حتى الآن.. إذا نظرت له من بعيد ستجزم أنه يأكل ليتغلب على غضبه، وغيظه وهو ينظر إليه.. لا يستطيع تقبل

زواجهما.. بالطبع هو يرغم أخته بطريقة أو بأخرى على البقاء معه.. بالطبع فهو لا يطاق!

اتحكت شوكته بالطبق بقوة، فكان الطبق أن ينكسر فنظروا له جميعًا مما جعله يقف فجأة ويردف بجدية:

-أنا شبعت الحمد لله، جويرية أنا همشي أنا.

هزت جويرية رأسها عدة مرات بثباتٍ وهي تجيبه:

-لأ عاوزاك شوية استنى.

أخذ نفسًا مطولاً، ثم استدار وهو يجيبها بهدوء:

-طيب هستناكي برة في الجنينة

لم تجبه، ولم ينتظر هو أي إجابة منها بل ذهب على فوره.. حينها نظرت هي لصهيب

الذي وجدته يقف ليذهب خلفه وتحدثت بخفوت:

-هتعرف؟

ابتسم لها ابتسامة جذابة، وغمز لها ثم استدار ذاهبًا وهو يجيبها بغرورٍ وثقة:

-عيب دة أنا صهيب برضوه.

راقبته مبسمة إلى أن ذهب، وهنا بدأ رحيل يتحدث بجدية:

-مش عارف أشكرك ازاي عشان..

-الموضوع مش محتاج شكر يا عمي، دة واجب.

-لأ يا بنتي كنتي تقدري بكل بساطة تبعديه عني أكتر، وخاصة إني عارف إن صهيب مستحيل كان يسامحني لولا تدخلك!

-إنت بتقلل من قيمتك عند صهيب لما تقول الكلام دة! إنت متعرفش صهيب بيحبك ازاي.. مكنش هيتوجع منك لو مكانش بيحبك!

ابتسم لها رحيل وأجاب بهدوء:

-أنا عارف إني لفترة طويلة كنت غالي عليه..

-ومازلت، محدش هيقلل من القيمة دي

وقف رحيل، وسار حتى وصل إليها، ثم وضع يده على كتفها وهو يردف بامتنان:

-أنا مش زعلان، أنا كان اهم حاجة عندي إنه يسامحني.. أنا بس الوقت عرفت إن ابني محظوظ جدًا برغم الحظ اللي اتحرم منه لفترة طويلة.. بس هو محظوظ بيكي، محظوظ إنك بقيتي مراته، مش هنكر إني في البداية مكنتش حابك بس دة لأني لقيت كل

حاجة تمت بسرعة، بس بعد كدة فهمت انه فعلاً عمره ما هيلاقي زيك، وأنا حاليًا في نهاية عمري هتمنى إيه أكتر من ابني يبقى كويس، ويلاقي الست اللي تراعيه؟١

+.....

وضع صهيب يده على كتف براء الواقف موليًا إياه ظهره، فانتبه له واستدار وهو يردف بانزعاج:

-جويرية إنتي عارفة إني..

صمت حين وجده صهيب، وبدى الحنق جليًا على قسمات وجهه أكثر حين تساءل بضيق:

-إيه اللي جايبك؟

أخذ صهيب نفسًا عميقًا، ثم بدأ يتحدث بهدوء:

-بص يا براء، العلاقة بينا كانت وما زالت متوترة.. دة لأن كل حاجة في البداية حصلت بطريقة مش روتينية.

صمت لثوانٍ يتابع تعابيره المتشنجة ليتابع بجدية بعدها:

-فاكر لما سألتني أنا عاوز جويرية ليه؟ أنا نفسي وقتها مكنتش عارف الإجابة.. بس الوقت عرفتها كويس..

سأله براء باستخفاف:

-وإيه الإجابة؟

أجابه مبتسمًا بدون تردد:

-بحبها

نظر له براء بصدمة، ولكن سيطر الغضب عليه فجأة فأمسكه من ياقة قميصه وكاد

يصيح به إلا أن صهيب وضع يده على فمه بقوة وبدأ يتحدث بحدة:

-إنت مجنون أنا جوزها أقول اللي أنا عاوزه

ابتعد عنه براء وهو ينظر له بغضب، فسأله صهيب:

-إنت إيه اللي مضايقك؟

نظر له بحدة وتكلم:

-اللي مضايقني إنك خدتها غصب، مفيش اشهار، سمعتها، والله أعلم إنت بتهددها بإيه عشان تفضل معاك!

ببرود سأله:

-و المفترض أعمل إيه؟

-تـ..

-وأحسنلك متجبش سيرة الطلاق على لسانك.

عقد براء ساعديه، حاجبيه، مشيحًا وجهه وهو يزفر بغضب، فظل صهيب واقفًا في محله وحدثه بهدوءٍ قدر الإمكان:

-يا براء، حاليًا احنا عيلة، سوءًا تقبلتني أو لأ!

نظر له براء بحنق، فتابع الأخير بجدية:

-ولو عاوز تتأكد إني مبجبرهاش على حاجة كلمها واتأكد!

-وأنا إيه يأكدلي إنك مجبرتهاش تـ..

-براء!

قالتها جويرية بهدوء وهي تتقدم نحوه، فنظر لها وسألها بضيق:

-يعني حاليًا إنتم الاتنين عاوزين تكملوا وأنا أطلع!

كتف صهيب يده وأشاح وجهه وهو يهمس لنفسه:

-والله تبقى عملت فينا خدمة.

-سمعتك على فكرة.

أردف بها براء بغيظ ثم عاد لينظر لأخته وهو يقول:

-شوفتي بيقول عليا إيه!

نظر له صهيب ببرود وتحدث:

-كويس إنك سمعت عشان متبقاش غيبة!

-والله أنا غلطان إني..

أوقفهما صوتها الغاضب وهي تهدر:

-دة لو عيال مش هيحصل كدة!

كتف كلاهما يداه بتذمر، فسارت هي نحو براء إلى أن وقفت أمامه مباشرًا ثم بدأت تتحدث بهدوء:

-براء، أنا مش فاهمة مالك بجد!

وضع براء يداه على كتفاها، وأخذ ينظر لصهيب بضيقٍ وهو يتحدث:

-قوليلي يا جوري بس لو بيهددك بأي حاجة وأنا آآ..

قاطعته هي بنفاذ صبرٍ وهي تنظر له:

-فيه إيه يا براء، هو إنت متعرفنيش.. يعني أنا لو كنت متهددة مكنتش هعمل حاجة لحد الوقت!

-أيوة بس..

-يا براء أنا عاوزة النزاع اللي بينكم دة يتشال.

-طب والطريقة اللي اتجوزك بيها، وتهديدك، و..

نظرت لصهيب الذي يقف خلفها ثم عادت تنظر لأخيها وهي تجيبه ببساطة:

-مسمحاه!

نظر لها بدهشة، فهو يعرفها جيدًا فمن المستحيل أن تسامح أحدًا قد آذاها، أو سبب لها الضرر لتلك الدرجة فما بالها بمن هددها!

-بجد مسمحاه! ببساطة كدة!+

كان صهيب يستمع إليهما باهتمامٍ إلى أن جاءه اتصال فاضطر للإبتعاد قليلاً حتى يجيب، وما إن رآه براء يبتعد حتى نظر لها بجدية وقال:

-إيه السبب مش فاهم! عاوزة تقعدي مع الكائن دة ليه؟

عقدت كتفاها أمام صدرها، وأخذت نفسًا طويلاً قبل أن تجيب بصبر:

-جوزي!

-حتى ولو وهو كان..

-وبحبه!

بترت هي بكامتها أي تفكيرٍ في الكلام داخله، واستمر ينظر لها للحظاتٍ ينتظر أن تضحك وتخبره أنها تمزح، لكن جدية وجهها ونظراتها الهادئة أخبرته أنها جادة.. وتمامًا.

تابعت جويرية بروية وهي تثبت عينيها عليه:

-فممكن بقى تتصافوا؟!

سألها بجمود:

-يعني دة آخر كلام عندك؟

وضعت يدها على وجهه وتحدثت بحنان:

-آخر كلام عندي إنك أخويا قبل ما يبقى هو جوزي، وإني مش عاوزة ازعل حد فيكم لأنكم غالين عليا إنتوا الاتنين.

نظر لها للحظاتٍ قبل أن يجيبها بضيق:

-بس أنا أخوكي من زمان، أما هو جوزك من أقل من شهرين!

ابتسمت وهي تمنع نفسها من الضحك بصعوبة لتجيبه بعدها بتريث:

-بطل غيرة وبعدين إنتناوي تتجوز إمت مش أمك باين كانت جابتلك عروسة!

رد بغيظ وهو يكتف يداه:

-عاوزة تخلصي مني يا جوري.. ماشي!

صمت لثوانٍ ثم تابع ببرود:

-وبعدين أنا شوفتها ومعجبتنيش، طول القاعدة عمالة تضحك ولأ.. استغفر الله سيبك، بس دة مش معناه إني مش ناوي يعني!

أنزلت رأسها للحظاتٍ وهي تفكر، ثم عادت ترفعها متسائلة:

-دة معناه إن فيه حد عجبك!

حك رأسه بتوترٍ وهو يشيح وجهه عنها، ثم أجاب بتعلثم:

-آه هو.. هي آآ.. بصي الحكاية.. آآآ

-مالك؟

-بصي الحكاية بسيطة، أنا كنت مكلم الدكتور اللي كان بيديني زمان في كلية

الحقوق، وكنت عاوز نتقابل لأن كان عندي شوية استفسارات، وهو كان واحشني جدًا..

المهم روحت بيته وفضلنا نتكلم وبعدها بالصدفة بنته كانت لسة جاية من برة..

دخلت وقالت السلام وبعدها مشوفتهاش تاني طول القاعدة، بس أنا فضلت أفكر فيها معرفش ليه.. وسألت الدكتور عنها فقالي إنها بنته الكبيرة وعندها ١٩ سنة واسمها "ديما" وشوفتها تاني مرة في الشارع كانت ماشية لوحدها، بس موريتهاش نفسي.. بس بصراحة..

-أعجبت بيها!

أجاب بهدوء:

-أيوة

-امممم وإيه مانعك تتقدملها؟

-مش عارف، بس ماما وبابا اتطلقوا

سعلت جويرية فجأة من الصدمة وسألته:

-نعم!!

أجاب بفتور:

-عادي يا جوري كدة كدة كانت المشاكل بينهم بتزيد، وبيقفوا لبعض على الوحدة.. أنا اصلاً الفترة دي كنت سايبهم وعايش في البيت بتاعي عشان اتخنقت ورجعت مرة اكتشفت انهم اتطلقوا.

شعرت جويرية بالضيق من نفسها فهي كانت بعيدة تمامًا عما يحدث، وقبل أن تتحدث تكلم هو ببساطة:

-بس والله عادي الفرق الوحيد بس إن كل واحد فيهم عايش في بيت لوحده، وبطلوا شكل وخناق!

-يعني إنت مش متضايق!

هز كتفه وأجاب ببرود:

-وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا!

رفعت حاجباها بسخرية فهي تعرفه جيدًا لتتكلم:

-هنستعبط، شكلك مش فارق معاك أصلاً!

حال ساعديه وسأل بانزعاج:

-أنا مالي، كنت كل يوم أرجع البيت يبقوا عاملين شكلة، ومرة رجعت لقيت الجيران بتهدي بينهم، يا بنتي كل حاجة كانت منتهية ولو عاوزة الحقيقة أنا كنت بشجع طلاقهم طلاما دة هيريح كل طرف فيهم!

-وهما كدة مرتاحين؟

-جدًا

توقف الإثنان عند تلك النقطة، واستدارت هي تبحث بعينها عن أحدهم، فأردف براء:

-باين فيه تليفون مهم اجاله فمشى

أعادت النظر إليه وتحدث بجدية:

-طيب يا براء، بس خلاص معدتش أشوفك ماسك فيه تاني!

أجاب باقتضاب:

-طيب

أومأت رأسها ثم أشارت له قائلة:

-واحنا عزمناك النهاردة عشان تقضي يوم كامل مش تتغدى وتمشي!

-بـ..

-اتفضل جوة يا براء.

زفر بانزعاج وولج للداخل وهو يتمتم بتذمر، فضحكت بخفوتٍ على مظهره، حتى شعرت بأحدهم يضمها من الخلف، ويمسك يداها الإثنتان بيديه. فتحدثت بهدوء:

-كنت واقف بعيد ليه؟

أجابها بخفوت:

-جالي اتصال، وبعدها فضلت اسمعكم من بعيد.. أصل كل ما بيشوفني بيتعصب أكتر فقولت عشان نخلص. بس أنا فيه حاجة مش فاهمها!

-إيه؟

أجابها بنبرة قد بدى فيها الضيق:

-مفيش أوراق بتثب إنكم اخوات ليه؟

أجابته بهدوء:

-لأن احنا مش اخوات قانونًا، احنا اخوات شرعًا بس.

-ازاي؟

-اخوات في الرضاعة فهمت!

-اللي هو لما اتنين يرضعوا من نفس الأم يبقوا اخوات صح؟

أومأت رأسها باسمة، فتنهد هو بارتياح وهو يجيب:

-للحظة افتكرته مش أخوكي وكان عايش من صغره معاكي فمعتبراه زي أخوكي! أصل تصرفاته غريبة، أنا شوفت اخوات بيقتلوا بعض.

استندت هي بظهرها عليه، ثم اقتربت من أذنه لتهمس له:

-وفيه اخوات بيقتلوا عشان بعض، وفيه أزواج مبيناموش من كتر خوفهم يخسروا بعض!+

+.....

كان معتصم جاسًا يطالع الحاسوب أمامه بضجر وابنته كانت نائمة بجانبه.. فجأة سمع صوت هاتفه يرن، فأمسك به ونظر للإسم، ثم زفر نحنقٍ قائلاً:

-هما مش هيسيبوني في حالي بقى!

أجاب بهدوء على الإتصال:

-السلام عليكم.

أتاه الصوت بهدوءٍ مماثل من الجهة الأخرى:

-وعليكم السلام، بقى كدة يا معتصم تستقيل كدة من غير ما تعرفني حتى!

أخذ معتصم نفسًا ثم أجابه بجدية:

-لأ طبعًا يا مأمون بيه، بس حضرتك كنت مسافر و..

-حتى لو مسافر فيه تليفون، وبعدن إنت ازاي تفكر تمشي أصلاً إنت وأبان من غير ما ترجعولي!

أجابه معتصم بثبات:

-حضرتك أكيد عرفت اللي حصل، علاوة على إن رشدي بيه هددني في وسط مكتبي!

رد عليه مأمون بغضب:

-ودة يخليك تكلمني وتقولي على كل اللي حصل مش تفضل ساكت! وبعدين رشدي

اتحول للتحقيق هو وكل الرتب اللي ساعدوه واكتشفوا تورطه في حاجات أكتر بكتير من القضية دي!

استعجب معتصم وتحدث بدهشة:

-بس أنا معنديش علم بكل دة

-لأن جنابك سبت الشغل والتحريات دي أنا شخصيًا اللي أشرفت عليها وكانت سرية، وبعدين أنا ووالدك الله يرحمه كنا أكتر من اخوات يبقى ابنه يحصله كل دة وأنا قاعد اتفرج!

-أصل..

-بلا أصل بلا فصل، استقالتك إنت وأبان مرفوضة وهعتبر دي كانت أجازة..

بدب على وجهه الإمتعاض وهو يجيب:

-حضرتك مش فاهمني، أنا كدة مرتاح مش خايف أظلم حد أو..

-يعني إنت عشان تبقى مش خايف تظلم حد تسيب الناس تتظلم؟ لو كل واحد نزيه بيخاف على الحق عمل كدة يبقى سيبتولنا مين يشتغل؟ الفاسدين!

أنا مش هتكلم ولا كلمة تاني يا معتصم، ومستني أشوف قرارك من بكرة!

وبدون أن يتفوه هو ببنت شفة كانت المحادثة قد انتهت وتبعها نظراته المختنقة، وقبل أن يغفعل أي شيء سمع الهاتف يرن من جديد، فنظر للهاتف بفتورٍ سرعان ما تبدل حين رأى هذا الإسم أمامه، وأجاب على عجالة:

-السلام عليكم.

أجاب الآخر من الجهة الأخرى بجدية:

-وعليكم السلام، إزي حضرتك يا أستاذ معتصم

أجاب معتصب بهدوء:

-إيه يا سهيل الرسمية دي، أنا معتصم عادي، إيه في جديد؟

رد سهيل عليه عبر الهاتف بنبرة مرحة:

-آه فيه جديد!

-إيه؟

-فيروز وافقت

اتسعت عيناه بسعادة وسأله من جديد:

-بجد والله!

-آه والله، فجأة لقيتها بتقولي أنا موافقة من غير مقدمات!

-طب أجيلكم إمت نحدد ميعاد الخطوبة!

-تنور أي وقت

-طب حضروا نفسكم هاجي أنا وتالا بالليل.١

+.....

في اليوم التالي.. صباحًا+

خرجت من منزلها توًا، وسارت بهدوءٍ نحو البوابة لتخرج.. لكنها ظلت في مكانها حين وجدته أمامها يستند بكوعيه على سيارته وينظر لها باسمًا. عقدت حاجباها بدهشة ثم سارت نحوه وهي تسأله بدهشة:

-إياس؟!

أومأ رأسه قائلاً بهدوء:

-كنت رايح الشغل وقولت أحود عليكي، إنتي عارفة بيتي قريب من بيتك!

رفعت حاجباها وهي تتحدث بسخرية:

-أنا بيتي في أول المحافظة وبيتك في آخرها وتقولي قريب!

أشار بيده نحو سيارته وهو يردف بجدية:

-طب اركبي يلا

رفعت حاجباها أعلى وهي تجيب باستنكار:

-طب ما أنا عندي عربية هركب..

-يا كاثرين بجد متتعبنيش معاكي.

زفرت هي بضيق ثم استدارت لتجلس في مقعد السائق فنظر لها بدهشة وتحدث:

-أنا بقولك أقعدي هنا مش في مكاني!

-دة اللي عندي وإلا هنزل أركب التانية

استسلم هو لها وركب السيارة وهو يزفر بحنق، ثم أغلق الباب بقوة فضحكت وهي تنظر له من زجاج السيارة وتتكلم:

-شكلك حلو وإنت متعصب!

نظر لها بعجب وإعجاب، ثم أخرج المفاتيح من جيبه وأعطاها لها بصمت، فانطلقت هي بالسيارة..

كانت تقود ببطءٍ حين أخبرها أنهما قد تأخرا كثيرًا بدأت تسرع قليلاً، فسألها بعد لحظاتٍ بهدوء:

-أكيد مفيش مقارنة بين أمريكا ومصر!

ضحكت بجدية من حديثة وأجابته بانفعال:

-هه Never! أمريكا الناس فيها على حالتين، يا إما أشرار أو طيبين مش خبثة وبيتلونوا، أما مصر بلد غريبة بكل المقاييس الناس بيبان عليهم طيبين وبيكونوا خبثة، بحس هنا مفيش أمان وكل الناس هنا بيتعاملوا حلو بس هما من جواهم وحشين، فاهمني؟

-بس مش معنى إنك جربتي حد وطلع وحش يبقى تحكمي على الناس كلها بإنها وحشة!

-غصب عني يا إياس، يمكن مع الوقت هبدأ آخد عنهم فكرة تانية!

وضع يده على يدها التي تقود بها، فنظرت له لثانيتين قبل أن تعيد النظر في الطريق في حين تحدث هو بابتسامة ودودة:

-وأنا معاكي لحد ما تخلصي من كل دة، و..

كاثرين خلي بالك..!!!

لم تنتبه كاثرين وهي تقود لتلك السيارة

المارة بسرعة وحين انتبهت وحاولت

الانحراف عن المسار اصطدمت السيارة بقوة

في الرصيف.....!!!+

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السادس والخمسون:

+

+

+

مكتفة اليدين، منزعجة العينين، متذمرة الوجه كانت. زفرت للمرة العشرون منذ أن استيقظت وحتى الآن، ثم تحدثت بتذمر:

-لأ مش كل يوم كدة، مش هفضل في البيت لحد ما يرجع مستحيل!

نزعت الغطاء عنها بعنف، ونزلت من على السرير، ثم جيئة وذهابًا أخذت تسير وهي عابسة الوجه. وتتحدث مع نفسها بحدة:

-أنا مش هفضل كدة والله، أنا بكره قاعدت البيت دي!

جديًا صار الأمر مزعجًا، لن تستيقظ كل يومٍ لتجده في العمل وتجلس هي في المنزل لتنتظره! لا فإن كانت هذه قاعدته ستخرق القاعدة أم أنه لا يعلم من هي زوجته!

سارت فجأة متجهة إلى الخزانة، وأخرجت ثيابها سريعًا، وحجابها الطويل وهي تتابع بجدية:

-مش هفضل قاعدة في البيت كدة، زهقت!

ثم أخذت الثياب بعدها واتجهت للحمام سريعًا...+

+.....

-سايبك بمزاجي يا عقاب، المهم ميزدش عن يومين كمان لأن الشغل الجاي هبقى محتاجك فيه.

أردف بها صهيب عبر الهاتف بنبرة طبيعية وهو ينظر لشاشة حاسوبه النقال، ثم صمت قليلاً ليتحدث بعدها بجدية:

-عقاب قولت ميزدش عن يومين اتنين وبس سمعت.

أومأ رأسه وهو يتابع بهدوء:

-طيب زي ما قولتلك، يلا سلام.

أغلق الهاتف ووضعه بجانبه، ولم يمضِ أكثر من عشر دقائق حتى وجد أحدهم يطرق الباب..

-ادخل

دلفت فتاة حمراء الثياب، شقراء الشعر، على الأرجح وقعت في علبة الطلاء قبل مجيئها إلى هنا.. المهم أنها اقتربت منه ممسكة بملفٍ ما وذهبت لتضعه على مكتبه بقوة وهي تردف بانزعاج:

-اتفضل الملف اللي طلبته!

لم ينظر لها، بل أمسك الملف وأخذ يعبث بمحتوياته قليلاً قبل أن يعيد النظر للحاسوب ويتحدث باقتضاب:

-اتفضلي.

نظرت له الفتاة بغيظ، وظلت واقفة في محلها، وللعجب ظلت أكثر من خمس دقائق تنظر له، وهو ينظر لها في حالة من التجاهل التام، أو ربما هو لم ينتبه لها من الأساس، لأنه اندهش فجأة حين وجدها تقف بجانبه، وتمد يدها لتضعها على كتفه قائلة بدلال:

-هو أنا وحشة للدرجادي عشان متبصليش، دة أنا ليلية واحدة و..

نفض يدها عنه بدون لمسها كأنه يخشى أن تلوثه، ثم وقف ونظر لها نظراتٍ أرعبتها مع أنها ظلت محلها، ليحاول هو السيطرة على نبرته وهو يردف:

-إنتي مجنونة! أنا مش قولتلك اتفضلي؟

اقتربت منه من جديد ووضعت يدها على كتفيه، فظل ينظر لها بصدمة.. خطر في باله فجأة زوجته وهي تضع المسدس على رأس الرجل لأنه أمسك بها عنوةً، لقد كان يرى ملامح وجهها حينها، خالية من الرعب، لا تخلوا إلا من الإشمئزاز! كيف لهاتين أن ينتميا لنفس الفصيلة؟ الإناث..!!

حين شرد هو استغلت هي الفرصة وأخذت تتحدث:

-أنا هنا في الشركة من زمان، عمرك ما لاحظتني.. أنا بحبك جدًا و..

رفع هو يده ليزيحها عن يده، و في ذات الوقت ولجت جويرية إلى الداخل، فرأتهما على ذاك الوضع، حينها كتفت يديها ورفعت حاجبيها، ولم تتحدث.. مما جعل الأخرى تذهب ناحيتها وتهدر بها بغضب:

-إنتي ازاي تدخلي كدة من غير ما تخبطي!

ابتسمت هي وظلت على نفس وضعها، فتابعت الأخرى بغيظ:

-أنا بكلمك على فكرة!

كان صهيب حينها قد استند على مكتبه يراقبها تستنزف دمها باستمتاع، فقد استحقت ما سيحدث لها وبجدارة.. لكنها أثارت حنقه أكثر حين صرخت بوجهها من جديد، مما جعله يذهب ويقف بجانبها، ثم وضع يده على كتفها وجذبها إليه قائلاً ببرود:

-الطريقة دي تكلمي بيها حد في الشارع مش مـ..

نظرت له جويرية بهدوء وقاطعته وهي تعيد النظر إليها:

-لحظة يا صهيب، سيبها تقول اللي عندها.

نطرت لهما الفتاة بصدمة قبل أن تتحدث بغضب:

-اشمعنا دي يعني!

رفع كلاهما حاجباهما بدهشة ثم سألتها:

-اشمعنا أنا إيه؟

-سامحلك تقربي منه، حتى لما كنتي بتيجي الشغل مكنش بيشيل عينه من عليكي!

ببرودٍ عادت لتسألها:

-طب إنتي عاوزة تقربي منه بصفتك إيه؟

حدثتها الأخرى بنحق:

-طب وإنتي بصفتك إيه سمحاله يقرب منك، طب ما احنا زي بعض في النهاية!

لم يتحمل صهيب أكثر من هذا فتشبيهها بها أثار حنقه لدرجة رهيبة، فثار عليها وهو يتحدث:

-دي مراتي أولاً، ثانيًا لو سمعتك بتشبهي نفسك بضافر من ضوافرها هيبقى دة آخر يوم في حياتك، واتفضلي من هنا!

كادت أن تخرج غاضبة الوجه إلا أنه أوقفها بجملته الأخيرة:

-ومتنسيش تستلمي ورقة رفدك، وتطلعي أوقعهالك.

تجمدت الفتاة في ملحها بعد أن استمعت له، وحين استدارت وجدته ينظر لها والشرار يتطاير من عينيه، فآثرت الخروج.

نظرت له جويرية بضيق وبدأت تتحدث:

-مين البت دي!

أجابها بهدوء:

-كانت السكرتيرة، مش عاوز أقولك إني غيرت أكتر من ٥٠ سكرتيرة لحد الوقت، أنا مش عارف إيه دة!

-الله وكيل، دي مش أشكال والله!

نظر لها باسمًا وتحدث بهدوء:

-بس إيه المفاجأة دي؟

ابتعدت عنه ووضعت يدها في خصرها وهي تجيبه بتذمر:

-يعني إنت كل يوم هتصحى تروح الشغل، وترجع على آخر النهار ولا أيًا يكن واكون أنا قاعدة كل دة في البيت!

ضيق عينيه بحيرة وتساءل:

-وأنا المفترض اعمل إيه؟

صمتت قليلاً قبل أن تجيب ببساطة:

-عاوزة اشتغل!

كاد أن يرفض، ودلت تعابيره على ذلك، وفي المقابل اتخذت هي تعابير الدفاع، إلا أنها تفاجأت به يقول:

-لو معايا أنا موافق.

فكرت قليلاً قبل أن تجيب بجدية:

-والمرتب كام؟

ضحك هو لسؤالها، فرفعت حاجباها وهي تتابع قائلة:

-لو أقل من ألف منيش لاعبة!

وضع يده على كتفها، وسار معها للدخال وهو يحاول ألا يضحك وهو يجيب:

-ألف لأ كتير ٨٠٠ حلو

-لا طبعًا ألف

-طب ينفع اتنين

جلست على المقعد، وجلس هو على المجاور لها ثم نظرت له مليًا وهي تتصنع التفكير قبل أن تجيب:

-ألفين، امممم مش بطال!

ابتسم هو وتابع متسليًا:

-وواحد كمان عشاني!

نظرت له وهي تقوس حاجباها وتتحدث:

-إنت بتحاول تستعبطني بقى، ماشي موافقة، بس مش هقبل تنازلات أكتر من كدة!

-وكمان واحد عشانك!

-ما اول اتنين عشاني!

-لأ أول اتنين بتوع الشغل، وواحد عشاني، وواحد عشانك، ركزي!

ضحكت بخفوت وهي تردف:

-ماشي موافقة

-وواحد عشان العيال!

رفعت حاجباها متسائلة:

-فين العيال دول؟

كتف ذراعاه وهو يجيب بجدية مصطنعة:

-ما العيال لسة هتيجي ركزي بقى الله!

وقفت هي وضرت على المكتب بيديها قائلة بانفعالٍ زائف:

-لأ إنت بتخم!

ضحك عليها فهي بارعة في التمثيل إلى حدٍ كبير، ثم أجاب بهدوء:

-معلش عشاني

-ما أنا هاخد ألف عشانك، لأ كدة عملت كتير أوي عشانك!

وقف هو بجانبها ثم رفع وجهها إليه، فلم تقوَ على التحمل وضحكت، فظل ينظر لها وهي تضحك وكأنه يراقب لوحة فنية أبدع الرسام فيها إبداعًا. وحين توقفت، تحدث هو باسمًا:

-معلش كمان المرادي استحمليني.

جلست هي على المكتب، ونظرت له بتأنٍ قبل أن تتحدث:

-يعني في البيت، وهنا كمان.. دة إنت هتشوف أيام ما يعلم بيها إلا ربنا!

استدار هو ناحية المكتب، وأخرج منه بضعة أوراق، ثم أعطاها لها قائلاً بهدوء:

-إيه الجديد، ما من يوم ماشوفتك أيامي اتلخبطت!

هزت كتفاها ثم قالت ببرود:

-إنت اللي بتجيبه لنفسك!

لتنزل بعدها من على المكتب وتسير بداخله وكأنها تتفحصه، فوجدته يمسك يدها فجأة ويديرها إليه وهو يسألها ببساطة:

-وأنا اشتكيتلك؟

ثم تبعها بوضعه بعض الأوراق في يدها، وتابع:

-يلا ابدأي من الوقت.

نظرت له نظراتٍ دافئة بالرغم من محاولتها إخفاءها، فأكمل هو حديثه بجدية:

-المكتب واسع هخليهم ينقلولك مكتبك هنا.

-طب هات..

ثم صمتت، فسألها بحيرة:

-أجيب إية؟

أجابت بهدوء:

-قلم عشان اشتغل!+

+.....

-طب هي حالتها إيه يا دكتور الوقت؟

هذه هي الجملة التي نطق بها هو بقلقٍ بالغ وهو ينظر نحو الغرفة التي أمامه..

أخذ الطبيب نفسًا هادءًا، ثم بدأ يتحدث باتزان:

-مش هخبي عليك، حالتها خطيرة خصوصًا إنها كانت لسة في شهور الحمل الأولى.. واحتمال كبير أوي للأسف نفقد الجنين لأن الإرتجاج كان قوي عليها.

تراجع للخلف قليلاً بعد سمع تلك الأخبار المحزنة، لكن سرعان ما استعاد توازنه وهو يسأله بتلهف:

-المهم هي ميجرلهاش حاجة، هي هتبقى كويسة صح؟

-والله يا فندم لسة هنعملها العملية دي يمكن نقدر ننقذها، بس ساعتها هنضطر ننزل الجنين! أو ممكن منعملش العملية ساعتها حياتهم هما الاتنين هتبقى في خطر.

نظر له بصدمة فقد أصبح هو الآن المسؤل الأوحد عن اعطاء القرار له، خاصةً أنه وحده من يعرفها هنا الآن..

كل قرار من كلا القرارين مؤلم، أيتخلى عن طلفها لتبقى هي على قيد الحياة، أم يـ..

-إياس إنت كويس؟

التفت إياس نحو مصدر الصوت فوجد صديقه وزوجته ينظران له بقلق.. لقد كانت رأسه مضمضةً ومعصميه، وكان يبدوا عليه الإنهاك التام وبرغم كل هذا كان يقف ثابتًا يحاول الإستفسار عن حالتها..

-إياس إيه اللي حصل؟ وفين كاثرين، اللي جابكم هنا اتصل بيا وقالي على مكانكم وانكم عملتم حادثة! فرجعت البلد على طول.

انتبه له، ونظر إليه بحزنٍ وأجاب:

-كاثرين في الطوارئ.

أسنده رفيقه وذهب به نحو إحدى المقاعد ليجلسه عليه، بينما ذهبت زوجته للطبيب لتسفسر عن حالتها بعد أن أشار لها زوجها وهو ينصرف..

سألته بهدوء:

-خير يا دكتور؟ كاثرين عاملة إيه؟

-إن شاء الله يبقى خير احنا بنعمل اللي علينا والباقي على ربنا، بس لازم حد يدينا التفويض اننا ننزل الجنين عشان حياتها في خطر.

نظرت له بصدمة وتحدثت:

-آآ إيه! تنزلوا الجنين؟!

أجابها بروية:

-دة الحل اللي في ادينا، ولازم تاخدوا القرار بسرعة لأن الوقت بيفرق.

أخذت هي نفسًا عميقًا وزفرته على عجالة، ثم حاولت أن تهدأ نبرتها وهي تتحدث:

-خلاص يا دكتور، شوف إيه اللي المفروض يتعمل عشان تفضل بخير

-طب وجوزها معندوش رأي تاني

-دة مش جوزها كلنا هنا صحابها وهي معندهاش أهل هنا.

أومأ الطبيب رأسه ثم سار على عجالة نحو الغرفة، بينما ذهبت هي نحوهم فسألها زوجها بجدية:

-الدكتور قالك إيه يا حور؟

أجابت بحزن:

-لازم ينزلوا الولد عشان تفضل كويسة وفرصة نجاتها تبقى أكبر، وأنا وافقت يا عقاب.

بدى على ملامح عُقاب الكآبة، في حين نظر لهما إياس، وتحدث بقلق:

-إن شاء الله تقوم، بس أرجوكم محدش يقولها لما تصحى إن احنا وافقنا ننزله، إحنا هنقول إنه نزل لما عملت الحادثة على طول.

ربت عقاب على ظهره برفق، ثم أردف مطمئنًا له:

-متقلقش، كل حاجة هتبقى كويسة وهي هتقوم..+

...+

مضى الوقت ثانية كساعة ساعة كدهر..
يُحمل نفسه كل لحظة الذنب، لماذا ذكرها بتأخرهما على العمل! أما كان يستطيع أي يصمت، فليذهب العمل إلى الجحيم حين تتأذى هي أي عملٍ سيفيده!

نزلت دموعه، وبدأ الدوار يلف رأسه من جديد، فظل يقاومه.. فقط يريد الإطمئنان عليها.. فقط يريدها أن تكون بخير.

خرج الطبيب فجأة، و هو يهديهم بسمته لتريحه بها نفوسهم، فتقدم إياس نحوه وبدأ يسأله بتلهفٍ عن حالها حتى أجاب طبيبها:

-متقلقش العملية نجحت الحمد لله، هننقلها لأوضة عادية وتقدروا ساعتها تطمنوا عليها.

تنفس الصعداء بعد هذا الخبر، وتلاه تنهيدات ارتياح منه ومن الإثنين اللذان يقفاه حوله.+

+.....

كانت جالسةً على الأريكة، ممسكة ببعض الأوراق تتفحصها بعناية، فلم تلحظ ذاك الذي يختلس النظرات إليها، ولم تشعر به وهو يسير نحوها ببطءٍ حتى صار واقفًا بجانبها تمامًا..

حينها انحنى قليلاً ليستطيع أن يهمس لها بهدوء:

-إيه رأيك نـ..

تركت هي الأوراق ونظرت وأخذت نفسًا عميقًا وهي تغمض عينيها قبل أن تتحدث بانزعاج:

-يا صهيب الله يرضى عليك متجتزنيش كدة!

ابتسم، لتتحول بسمته بعدها إلى ضحكة قصيرة، ثم سألها مندهشًا:

-بجد اتجعزتي!

أجابته ببساطة:

-آه

-مع إني حاولت كتير وفشلت!

-واتكتبلك النجاح أخيرًا.

قالتها وهي تقف وتترك الأوراق على الأريكة لتسأله بعدها ببرود:

-إيه رأيي في إيه؟

نظر غير مستوعبٍ أنها اهتمت بما سيقول، اقترب منها خطوات قليلة، فرفعت بصرها له

ولم تتحدث، حينها تكلم هو بخفوتٍ وهو يقترب من أذنها:

-نخرج باقي اليوم.

رفعت حاجباها وردت بجدية:

-و دي محتاجة رأي!

ألقت بالقلم على الأريكة بجانب الأوراق ثم تابعت بهدوء:

-معاك يلا

ازدادت ابتسامته تأقلقًا وهو يبتعد قليلاً عن وجهها، إلا أنه لم يتركه طبع قبلة على خدها، ثم عاد ليهمس وهو يتخلل كفها بأصابعه:

-وأنا كمان معاكي، وهفضل دايمًا.

شاءت أم أبت، دق قلبها بعنفٍ بعد تلك الكلمة وكأن قلبها يؤيده، ابتسمت، وسمحت

لأصابعها أن تنحني لتصل إلى باقي يديه، ثم نظرت له وسألته بكل بساطة:

-و نوع الكلام!

نظر في عينيها وأجاب:

-وعد

-والضمان!

ابتسم، ثم رفع وجهها قليلاً بيده وتحدث:

-اطلبي وهنفذ.

-أيًا يكن؟

-أيًا يكن.

ظلت ابتسامتها كما هي، لتجيبه بثقة بعدها:

-خدت الضمان اللي عاوزاه.

أومأ رأسه مبتسمًا، وسحبها معه وهو يسير في اتجاه الباب بعد أن أردف:

-طب يلا نمشي.+

+...

بعد القليل من الدقائق كانا قد ركبا السيارة، وبدأ هو يقودها بسرعة بدون أن يخبرها على مقصدهم.

لكن العجيب في الأمر هو تبدل ملامحها كلما نظرت لزجاج النافذة في هذه الثواني ثم..

-صهيب! إحنا متراقبين.

قالتها بهدوءٍ حذر وهي تنظر نحوه، فنظر لها بثباتٍ، فتابعت هي:

-متسرعش، هيعرفوا إن إحنا أخدنا بالنا منهم، وأنا هبعت رسالة لمعتصم أقوله!

كاد هو أن يجيب، إلا أنه تفاجأ بأهدهم يطلق النار على دولاب سيارته فبدأت السيارة تتباطأ

-جويرية مين دول!

سألها بحدة، فأجابت بقلق:

-من نفس العصابة اللي كانت السبب في موت أختي

ثم نظرت له و بدأت ملامحها تهتز، وجمودها يقل وهي تقول:

-بص هما عاوزيني أنا بس، وقف العربية ونزلني وأنا هـ..

نظر لها بغضبٍ و صاح فيها:

-إنتي مجنونة!

سمعت هي صوت رصاصة أخرى لكنها أخطأتهما، فلمعت عيناها وهي ترجوه:

-عشان خاطري يا صهيب، مش عاوزة يحصلك حاجة بسببي.

حاول هو السيطرة على انفعاله، ثم مد يده والتقط يدها، وظل ممسكًا بها وهو يقود، ويتحدث بنبرة حاسمة:

-بصي يا جويرية، أنا و إنتي متقابلناش صدفة، لأ كان مكتوبلنا نتقابل.. أنا و إنتي مختلفناش، مافترقناش، برغم إننا كنا بنقرب من غير ما نحس..

جويرية لو دة آخر يوم في حياة واحد فينا هيبقى دة آخر يوم في حياة التاني.

جويرية لو مُتنا هنموت سوا، ولو عشنا يبقى سوا. محدش فينا هيسيب التاني.

عشان كدة عاوزك تفضلي قوية زي ما إنتي، عشان مستحيل أخلي حد يشوفك بالملامح دي غيري.+

أغمضت عينيها لثوانٍ لتحاول التماسك، لقد اعتادت أن تخسر من تحب، من يتعلق قلبها بهم، لذا فقد بدأ الخوف عليه يدب في روحها.

أُطلقت عدة رصاصاتٍ أخرى على باقي إطارات السيارة. ففعلت جويرية ما تجيده.. ألا وهو الإبتسام بثبات وحين توقفت السيارة، نظر كلاهما لبعضهما نظراتٍ لن يفهمها غيرهما إن أبصرهما.. نظرات ثقة، وثبات، نظرات حب، ووداع، ونظرات تحدٍ وإصرار.. الكثير والكثير كانت تحمله لكنها في النهاية قالت بإصرار:

-إنت وعدتني.

إبتسم وأجاب بثقة:

-ومش هخلف.

ثم ترجلا سويًا لينتصفا الطريق الذي قادتهما تلك السيارة السوداء القادمة إليه، ووقف كلاً منهما ظهرًا إلى ظهر، ينظرون للرجال الذين يترجلون من تلك السيارة بثبات، وكسى وجوههم الجمود.

نزل أربعة رجالٍ مُسلحين من السيارة، فأيقن كلاهما أن النجاة تكاد تكون مستحيلة..

حينها تحدث صهيب بخفوت:

-جويرية!

أجابته بهدوء:

-نعم

أخذ نفسًا طويلاً عميقًا، وتابع:

-عاوزك تعرفي حاجة قبل كل دة

-حاجة إيه!

-إني بحبك.

ضحكت برغم أن الموقف الذي هم فيه لا يحتاج إلى الضحك، وأجابته ببساطة:

-طب ما أنا عارفة ياصهيب زي ما إنت عارف إني ببادلك نفس الشعور!

ابتسم لضحكتها، وإجابتها، ورد وهو يرى الرجال الذين لم يعد يفصل بينهم وبينهما الكثير:

-مهما كان اللي هيحصل..

قاطعته هي بجدية تامة:

-متخافش، هنكون مع بعض.....!!!+

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل السابع والخمسون:

+

+

+

اقترب الأربعة رجال كلاً منهم يحمل سلاحه الخاص، ملامح وجهه الخاصة، صمتٌ رهيبٌ أطبق على المكان، إلى أن كسره هذا الرجل الذي تقدم كثيرًا منها وقال:

-إيه يا حلوة، كنتي مفكرة نفسك هتهربي كتير؟

نظرت له جويرية بثبات، ثم تقدمت نحوه، وما إن وصلت أمامه مباشرةً أردفت بهدوء:

-لأ، مش ههرب.. عاوزيني! خدوني بس صهيب ملوش دعوة.

التفت صهيب بمجرد أن تركته، وكاد أن يلحق بها إلا أنه وجد الثلاثة رجالٍ يتكاتفون عليه، فأحدهم قد قام بضربه بقوة في بطنه، بينما آخرٌ قد قام بركله في قدمه وحين كاد الثالث أن يلكمه في صدره صده بعنفٍ ممسكًا بقبضته، ثم ركله في بطنه بقوة فأوقعه، ووقع سلاحه أرضًا فأمسك هو به...

نظر الرجل لجويرية للحظاتٍ قبل أن يردف وهو يضع سلاحه أسفل ذقنها ويرفع وجهها به:

-في الحقيقة أذهلتيني! بس اديني سبب واحد أسيبه بيه عايش؟

ابتسمت له ابتسامة أرعبته رغمًا عنه،

وتحدثت بجمود:

-طب لو اتقلبت الموازين؟

ضيق االرجل عيناه وسأل بحيرة:

-ازاي؟

رفعت يدها قليلاً وبدأت تنزل المسدس
ببطءٍ من أسفل ذقنها، وتركها الرجل لكي
تخبره عما تقصد.. حينها أشارت له بيدها
للخلف و عينيها تتسعان، فنظر الرجل خلفه
عفويًا، فاستغلت الفرصة بأن تنظر جيدًا
لقدمه و وتحسب في رأسها بعض الزوايا،
قبل أن تضع قدمها سريعًا بين قدميه
وتسحب اليمنى بقوة، ثم عمدت إلى مقدمة
رأسه فضربته عليها بقوة حتى لا يقاوم و
يقع على رأسه فاقدًا الوعي..

حينها أمست بسلاحه الذي وقع معه، و وقفت ناظرةً إليه بثباتٍ وهي تقول:

-مسكين، بس كويس عرف ازاي.

استدارت سريعًا لتبحث بعينها عنه، فوجدته يتعارك مع أحدهم، ولكن ما جعل قلبها ينتفضهو ذاك الرجل الواقع خلفه و يرفع سلاحه عليه من خلفه، وبدون تفكير، رفعت المسدس نحوه وأطلقت عليه فاخترقت الرصاصة صدره واصطدمت رأسه بالأرض أسفله.

تنفست الصعداء بينما نظر صهيب نحوها بسرعة ليعلم مصدر تلك الرصاصة، وحين رآها سالمة ممسكة بسلاح والرجل الآخر واقع على الأرض رأسه تنزف، تنهد بارتياح، وكاد أن يبحث عمن أُطلق عليه النار إلا أنه تفاجأ بالرجل يلكمه في صدره، و كاد الرجل

أن يصوب مسدسه نحوه إلا أن صهيب سريعًا سدد له لكمة في وجهه وأخرى في قدمه، وجديدة في معدته، وأخيرة في عينيه حتى أوقعه أرضًا.

ثم التفت نحوها وابتسم، فبادلته الإبتسامة، لكن سرعان ما اختفت الإبتسامة وهي ترى ذاك الرجل الذي أوقعه توًا يصوب سلاحه نحوه ثم صرخت فيه بصوتٍ عالٍ:

-صهيب!

بدى وكأنه فهم ما تعنيه فالتفت خلفه بسرعة و صوب سلاحه نحو الرجل، ثم أطلق النار فيُقى عليه.

أغمضت عينيها لتهدأ، فكلما رأت من يرفع سلاحه عليه.

فتحت عينيها فوجدته يقترب منها، حينها ركضت هي نحوه سريعًا لينتهي بها المطاف وهي ترتمي بين ذراعيه، وقلبها ينبض لدرجة مرعبة..

شدد من قوة ضمه لها حين وجدها تتشبث به أكثر، ثم قال باسمًا:

-قولتلك كله سوا

ابتسمت له وردت بكل ثقة:

-و هنفضل.

-مقولتليش متعلمة تمسكي السلاح وكل دة فين؟

-معتصم كان بيعلمنا أنا وبراء لما كان والده بيعلمه. مش بس السلاح لأ حبة مهارات تانية و ازاي ندافع عن نفسنا، و ازاي نغير

الدفة لصالحنا، بس أنا لما كملت ١٥ وقفت معاه.

-ابقي فكريني اشكره

ثم رفع رأسها قليلاً عنه وتابع:

-عشان بسبب اللي علمهولك إنتي الوقت كويسة.

حاوطت رقبته بيداها وأجابته بخفوت:

-تؤ تؤ، اوعى تشك في مراتك، حتى لو مكنتش اتعلمت كانت هتدافع عن نفسها برضوه.

أهداها إحدي أجمل ابتساماته، ودنا منهى أكثر ليعيد احتضانها من جديد.. صدمة الأحداث الماضية أعطته شحنة جديدة من الرعب، الخوف، و لكنها أكسبته ثقةً عمياء، أكسبته الثقة في أنهما لن يبتعدا، لن يتركا

بعضهما ما كانت الشدائد، هذا الشيء المسمى بالحب مخطئٌ من يظن أنه هو ما يجمعهما، لا بل يجمعهما أكثر من ذلك بكثير، يجمعهما الداء و دواؤه، يجمعهما الحزن وأسباب السعادة، يجمعهما الألم وعلاجه.. يجمعهما الكثير.

-جويرية!

-نعم!

-هما مش كانوا أربعة؟

قالها بعد أن ابتعد عنها ونظر خلفه، فأجابته بهدوء:

-الرابع هرب، بس متخافش معتصم مسكه.

نظر لها بدهشة وسألها:

-معتصم!

-كنت بعتله رسالة زي ما قولتلك، و هو اتعقب إشارة التليفون بتاعي، و بعد ما أنا قتلت الراجل، التاني هرب، بس حالاً وصلني رسالة إنه مسكه وجاي وبيسألني عاملين إيه؟

أمسك يدها و بدأ ينظر للرجال المقتولين وغير باشمئزازٍ قبل أن ينظر لها ويسأله بجدية:

-قتلتيه ليه؟

تنفست بعمقٍ قبل أن تجيبه:

-القاعدة الأولى متوقعش حد و في إيده السلاح و تسيبه، أكيد هيحاول يقتلك!

نظر لها وكاد أن يتحدث، إلا أن صوت سيارات الشرطة سبقته، فالتفت ليجد عددًا من السيارت واقفة على مقربة منهما، و من

السيارة الأولى ترجل معتصم وبدأ الرجالون الآخرون يتوافدون من خلفه..

حين اقترب منهما وبدأ ينظر لجثث الرجال تنفس الصعداء، وأردف بنبرة قد بدأ القلق يختفي منها:

-مرديتيش عليا ليه، بجد قلقت جدًا

أجابته بهدوء:

-مكنتش فاضية ارد!

أومأ رأسه ثم اقترب من صهيب ووضع يده على كتفه و هو يتحدث بجدية:

-الحمد لله على سلامتكم، الحمد لله. المهم اهدوا ومتخافوش.

نظر له صهيب باستنكار، ثم أجابه ببرود:

-إنت واثق إن احنا اللي خافين مش إنت؟

نظر له معتصم بصدمة لثوانٍ، ثم عاد لينظر إلى جويرية الواقفة بجانبه ليردف بعدها بخفوت وكأنه يحدث نفسه:

-هي لحقت تعديه؟ و لا هو كان كدة!

بدأ رجال الشرطة حينها بحمل المجرمين وجثثهم إلى سياراتهم، وتابع معتصم أسئلته حتى يعلم ماحدث تمامًا.. ثم انتبه للسلاح في يد كل منهما فنظر لصهيب أولاً و أردف بهدوء:

-هات المسدس عشان هنحتاجه في التحقيقات.

أعطاه صهيب إياه، فنظر لها معتصم وطالبها بنفس الطلب، فنظرت جويرية للمسدس لفترة ثم هزت رأسها نافيةً و هي تقول:

-لأ عجبني.

بصعوبة استطاع صهيب ألا يضحك، في حين رد عليها معتصم بحنق:

-بجد يا جويرية هاتيه.

-قولت لأ، اعتبرها حرب و دي الغنيمة.

وضع صهيب يده على كتفها خلف رقبتها، و همس لها بخفوت:

-إديهوله واجيبلك غيره.

هزت رأسها نافيةً مرةً أخرى، فعلم أنها لن تتخلى عنه، لذا وببساطة قال:

-اعتبره ضاع.

نظر له معتصم بغضب، فهو كان يتحمل الحديث مع جويرية بصعوبة، فما باله الآن بشبيهها المذكر!

-المفروض تقنعها تجيبه مش تشجعها!

هز كتفه و نظر لها للحظة ثم عاد يتنظر له و تابع الحديث:

-هي عاوزاه، يبقى تدور على غيره و تحط عليه بصمات الراجل.

وضع يده على جبهته، فوقت الجدال قد ولّا، ثم تركهم و ذهب بعد أن أبدل إطارات سيارتهم المثقوبة كما طلب منه صهيب.

وأخبرهم بأن يرتاحوا قيلاً ثم ليأتوا لكي يقدموا البلاغ..+

+.....

-ليه مرضتيش تديله المسدس؟

كان هذا سؤال صهيب المهتم و هو يقود السيارة بسرعة، فظلت هي تنظر له لثوانٍ قبل أن تجيبه:

-بحب أحتفظ بكل الأسلحة اللي تتصوب عليا.

ثم فتحت له درج سيارته ليندهش هو حين يراها تخرج مسدسًا آخر، و تتابع:

-دة أول واحد اللي الراجل حطه على راسي من كام يوم، و دة التاني بتاع النهاردة، وعندي اتنين تانيين في البيت، مسدس و مطوة.

سألها باهتمام:

-اتنين!

-واحد فيهم كان أيام ما كنا بنحاول نمسك أفراد العصابة اللي اعتدوا على اختى و أنا عرفت يومها بالصدفة إن معتصم رايح يجيبهم، فاستخبيت في شنطة العربية

-نعم!!

-ما أنا مقدرتش أتحمل إنه ينتقم لوحده، وبعدها طلعت في توقيت غلط فاترفع عليا السلاح، بس الحمد لله قدرت أطلع نفسي منها.

أخذ صهيب نفسًا طويلاً فيبدوا أنه مهما علم عنها، سيظل هناك هذا الغموض الحائم حولها، ثم سألها:

-يعني إنتي كنتي معاه لما مسكهم؟

-مش كلهم كانوا اتنين بس، ولأن معتصم كان متهور جدًا كان رايح لوحده، وعرفت بعد كدة إن فيه حد بيديله معلومات عن كل الأماكن اللي بيتواجدوا فيها.

-طب ومسكتوهم؟

-قدرنا نمسك الاتنين دول في اليوم دة، بس أنا قولتله هننتقم منهم كلهم مع بعض،

وبسبب طبعًا إنه لاقاني ممكن أتهور وافق
إنه هيمسكهم كلهم ونروح احنا التلاتة
نقتلهم، بس ساعتها مقدرش يمسك إلا
أربعة والخامس كان مسافر، وطبعًا بعدها
لما رجع قتله.

-والتاني؟

-فاحر لما قولتلك إن فيه رجالة كانت
بتضايقني في الشارع وراجلين نزلوا
وساعدوني.. واحد منهم طلع مطوة وحطها
على رقبتي بس الراجل عرف يخلصني منه،
بعد ما أنا عرفت أبعده عني.. وبعدها خدت
المطوة من إيده.

-طب بما إن المسدس كان هنا
مطلعتيهوش ليه؟

-عشان لو طلعته كان فات حد فينا اتقتل.

نظر لها بحيرة وسأل:

-ليه؟

-أفرا العصابة دي بيستخفوا باللي مش مُسلح! وعلى فكرة هما ضعفاء جدًا مش زي الشائعات اللي كانت طالعة عليهم.

-مش بتخافي لما المسدس بتصو ناحيتك؟

استندت على مقعد السيارة خلفها، وبدأت تتحدث بهدوء:

-يقولون يا عزيزي.."لا تخف وقع طلقات المسدس، فلو كان لجسدك نصيبٌ بها لما سمعتها أذنك" فلمَ أخاف إذًا..؟!

مخطئٌ من قال أن ذكاء المرأة نقمة على الرجل، فإجاباتها، طريقتها في التحدث، إدراكاها لكل ما حولها يجعله يُعجب بها أكثر كل يومٍ عن الذي قبله.

نظر لها بإعجابٍ، ثم عاد للنظر أمامه من جديد وصمت.

ظلت هي تنظر من النافذة وتعلقت عيناها بطائرٍ أبيض شديد الجمال يطير فبكي الجو بحرية، فتحدثت بشرود الذهن:

-كتير كنت بسأل نفسي الطيور دي بتحس بإيه لما بتطير بحرية كدة!

ثم نظرت إليه و تحدثت بانفعال مفاجئٍ و هو يراقبها باهتمام:

-أنا عاوزة أركب طيارة.

ابتسم لها وقال:

-ماشي هركـ..

إلا أنها قاطعته بنفس النبرة المتحمسة:

-و اقع منها.

أوقف السيارة بعد أن سمعها، ثم نظر لها وسألها بجدية:

-جويرية، إنتي عاوزة تموتي؟

هزت رأسها نافية، وتابعت:

-لأ إنت فهمت غلط، عاوزة أقع ببراشوت، صحيح كان نفسي أعرف إيه احساس الناس و هما بيقعوا من الطيارة وتنفجر بيهم، بس متخافش عاوزة انزل ببراشوت بس

رفع حاجباها، وأجابها بهدوء:

-رغم انها مخاطرة، بس نجرب ليه لأ؟ بس حطي في حساباتك هنكون مع بعض خطوة بخطوة.

تحمست هي للأمر كثيرًا ولم تبذل جهدًا لتخفي سعادتها التي بدت جليةً على

قسمات وجهها، في حين أمسك يدها و سألها برفق:

-دة هيفرحك؟

سحبته هي من يده قليلاً حتى استطاعت أن تهمس له:

-فوق ما تتخيل.

ثم ابتعدت و هي تبتسم له برقة..

حينها تابع القيادة و هو يفكر فيما سيفعله لتلك الرحلة المجنونة+

+.....

بعد مُضي ساعة..

كانت جويرية جالسة على الفراش في غرفتها تقرأ في إحدى الروايات حين دلف هو للداخل

و في يده صينية الطعام.. وضعها على الفراش بعدها ونظر لها قائلاً بمرح:

-متتعوديش على كدة!

تركت الرواية من يدها، و نظرت للطعام باشتياقٍ و هي تردف:

-تصدق إني كنت جعانة و ناسية!

ثم راقبها هو و هي تمد يدها لتأكل، بعد أن تمتمت بشيءٍ ما مع نفسها، فسألها بروية:

-عاوزة أسألك سؤال؟

رفعت بصرها إليه و ابتسمت في ودٍ ثم أجابته بجدية:

-اتفضل.

صمت قليلاً قبل أن يردف بنبرة مستفهمة:

-أنا بلاحظ حاجات كتير بتعمليها و عاوز أسألك عليها.

-معاك.

-بتقولي إيه قبل ما بتعملي أي حاجة في سرك؟

-زي إيه؟

-الأكل.

-بقول الدعاء

-إيه هو؟

-اللهم بارك لنا فيما رزقتنا و قنا عذاب النار، بسم الله.

-و قبل ما بتنامي؟

-بسمكَ اللَّهم أموتُ وأحيَ.

-و بعد ما بتصحي؟

-الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور.

-و قبل ما بتطلعي من البيت؟

-بسم الله، توكلت على الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

-قبل ما بتركبي العربية؟

-سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون.

-أما بتطلعي من الحمام.

-لما بدخل بقول، اللهم إني أعوذ بك من الخبث و الخبائث

لما بخرج بقول، غفرانك.. غفرانك.. غفرانك.

-بعد ما بتخلصي صلاة؟

-آية الكرسي.. "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"

أستغفر الله العظيم.. أستغفر الله العظيم.. أستغفر الله العظيم.

صمت فلم تختفِ ابتسامتها و هي تضيف:

-كتبتهملك في ورقة على فكرة، بس كنت مستنياك تسأل.

ضيق عيناه و سألها بحيرة:

-و مين عرفك إني كنت هسأل؟

-بحس بكدة كل مرة إنك هتسأل بس بتسكت.

-إنتي ما بتفوتيش حاجة؟

-دة على أساس إنت اللي بتفوت!

نظر لها مطولاً، لها، لعينيها، بل لأعماق أعماق عينيها، فبادلته النظرات.. لا تختلسها بل تنظر له بجرأة و كأنها تخبره في كل نظرة أنه و عيناه لها دونًا عن غيرها..

أرأيت نظرة أمٍ لطفلها يوم يولد! أرأيت نظرة أنثى الغزال حين يقترب أسد من صغيرها!.. و حتى إن رأيت فنظراتها تفوقها امتلاكًا، و عطفًا يختلف كل الإختلاف عن نظرات العامة من البشر..

-ماذا أفعل لو أن تفاصيلكِ تهمني! ماذا لو كانت إيماءات، و ابتساماتك، و ضحكاتك، و

استفزازك، و حتى برود أعصابك يروقني؟
ماذا لو أنكِ احتللتِ أفكاري، و عقلي، و قلبي!

أما يحق لي الإكتراث بأقل تفاصيلك دقة بعدها؟

ابتسمت، و أجابته ببساطة:

-ماذا لو أنكَ جننت!

ضيق عينيه قليلاً و هو يقترب منها، ثم أردف بخفوت:

-و من أخبركِ أنني عاقل! ثم من أخبركِ أنكِ و العقل تتفقان؟

رفعت حاجباها باستنكار، و هي تسأله بجدية:

-أتظن ذلك حقًا!

-مممم تتمنين الوقوع من الطائرة في منتصف الجو! مممم تحتفظين بالأسلحة التي هي من المفترض كانت أداةً تستعمل ضدكِ في يومٍ من الأيام! تعشقين المغامرة برغم هدوء عيناكِ و سكون نبراتكِ! بلى أنتِ مجنونة بلا شك!

-و ماذا عنك؟

-صدقيني، أضاهيكِ جنونًا.

-هل أخبرتك يومًا أنني أعشق لغتني الأصل؟

سألته بهدوءٍ فأجابها بسكون:

-أعلم.

-كيف؟

-ليس من الطبيعي إرسال رسالة باللغة العربية إلا لهاوي اللغة!

-مممممم هذا لا ينفي أنك منهم؟

-و هذا لا ينفي أنكِ الوحيدة التي تعلمين هذا.

-أنا أعلم عنك الكثير، أعلم عنك أكثر من شخصٍ قد فنى عمره بجانبك.

-و هذا لا ينفي أن معرفتي بكِ مطابقة.

-و هذا لا ينفي أنني جائعة!

ضحك، فابتسمت، ليبدأ كلاهما في تناول الطعام بعدها....!!!١

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الثامن والخمسون:

+

+

+

ثقلٌ رهيبٌ فوق عينيها، و جفنيها، تحاول من جديد فتح عينيها و هي تستمع إلى بعض أصواتٍ من الهمهمات، و الذبذبات حولها، و في نهاية المطاف بذلت المزيد من الجهد حتى استطاعت فتح عينيها و بدأت ترى ما حولها، رغم أن الرؤية كانت ضبابية في بادئ الأمر إلا أنها بدأت تتعرف على هوية ذاك الممسك بيدها، جالسًا بحذرٍ إلى جانبها، ثم...

-إإ.. إياس!

كان هذا ما نطقت به و هي تحاول تذكر ما حدث، بينما ابتسم هو لها و الدموع ما تزال

في عينيه، و ربت على يديها فاسطردت حديثها بحيرة:

-هو إيه اللي حصل؟

ثم التفتت للمكان حولها و هي تتابع:

-و.. و احنا فين، وإيه جابنا هنا؟

اختفت ابتسامته و بدأ يتحدث بجدية:

-في المستشفى، عملنا حادثة و.. و جينا هنا..

شعر برغبةٍ ملحةٍ بالصمت خاصةً بعد تذكره أنها فقدت جنينها الذي لم يرَ الدنيا يومًا..

نظرت حولها، لصديقها وزوجته اللذان اقتربا منها بابتسامة صافية، فبادلتهما الإبتسامة قبل أن تسمع الزوجة تتحدث بمودة و هي تربت على كتفها:

-ألف سلامة عليكي يا حبيبتي، عاملة إيه الوقت؟

ابتسمت لها بهدوء، و أجابتها بنبرة خافتة:

-شكرًا حور، أنا كويسة

جاء الأخير و وقف بجانب زوجته و بدأ يردف بمزاح:

-كل دة عشان تفوقي عطلتينا!

ضيقت عيناها ناظرة له بانزعاجٍ زائف، ثم حولت أنظارها نحو إياس الذي كان ينظر لها بحزن، و قالت:

-إيه اللي خلا الزفت دة ييجي هنا، هو مش كان مريحنا شوية!

فغر الأخير فمه في صدمة مصطنعة و هو يتساءل:

-مين أنا؟

ضحكت حور على طريقته بينما استمرت كاثرين بالنظر لإياس الذي بدى شاردًا برغم نظره إليها، فقررت أن تحرك انتباهه..

-إياس!

نظر عقاب و زوجته لإياس هما أيضًا.. هما يحاولان تأخير الحقيقة لأطول وقت بينما هو لا يعطيهما فرصة بتلك الطريقة، و ذاك الوجه العابس و..

-كاثرين، أنا عاوزة أقولك حاجة مينفعش أخبيها عليكي..

كان هذا ما قاله إياس بنبرة حزينة و هو يضم يدها بكلتا يديه، فرفعت أنظارها له بذهولٍ و أجابته بقلق:

-فيه إيه؟

نظر عقاب و حور له بانزعاج، و حاولت هي التدخل بـ:

-هي لازم ترتاح الوقت و..

بغضبٍ صاح الأخير مقاطعًا:

-لأ مينفعش نخبي عليها أكتر من كدة.

انتفضت حور على إثر صوته العال، بينما أبصره عقاب بنظراتٍ قاتمة، و تحدث بانفعال:

-إياس! صوتك ميعلاش على مراتي

زفر إياس يُحاول التنفيس عن غضبه، في حين ظلت كاثرين تنظر لهم بقلقٍ و هي لا تفهم ما يحدث حولها.. لكن لما اجتاحتها تلك الرغبة برفع يدها إلى حيث يسكن طفلها..!

-معلش يا عقاب بس..

-خلاص إحنا هنسيبكم و إنت قولها زي ما انت عاوز

ثم رفع يده ووضعها على كتف زوجته من الخلف و سار معها ناظرًا له بحدة لم يستطع إخفاءها..+

حينها حول إياس أنظاره بالكلية نحو تلك الجالسة أمامه تنظر له بقلقٍ، وحيرة، فأغمض عينيه لثوانٍ قبل أن يبدأ بهدوء:

-كنا متفقين نأخر الخبر عليكي شوية

ثم نظر لعيناها بعمقٍ و تابع:

-بس مقدرتش لما شوفتك صحيتي.. حسيت لازم تعرفي عشان متعيشيش في وهم

سألته بجدية و رعب:

-فيه إيه يا إياس بدأت أخاف!

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يجيب:

-الحادثة أثرت على.. على الجنين و..

ضمت هي نفسها بيدها من منطقة بطنها و سألته بانفعال:

-و.. وإيه قول؟

-خسرناه

ظل وقع الكلمة المدوية على الإثنان يتردد في أذنهما و كأنه ليس هو من قالها، بل آخر قالها من بعيدٍ و هرب..

و ظلت هي تنظر له بصدمة، و بدأت دموعها تنساب بغزارةٍ، و لم تتفوه بكلمة و كأنها معقودة اللسان،

استمر الصمت و تبادل النطرات بينهما لدائق قبل أن تبدأ هي الحديث بانفعالٍ هيستيري:

-مات ازاي؟ ليه مات؟

كان يعلم أنه عاجلاً أم آجلاً سيواجهها بالأمر، سيواجهها و يجب أن يخفف عنها و..

زاد من قوة الضغط على يدها و دمعت عيناه و هو يجيب:

-مش عـ..

قاطعته هي و نبرتها تعلوا و تنخفض، و تذهب و تأتي، و البكاء بات بيِّنًا في صوتها:

-ليه يا إياس أنا عملت إيه وحش في حياتي عشان يحصل لي كل دة؟

صمتت لثوانٍ قبل أن تتابع و هي تنتحب:

-ليه بعد ما حبيته و اتعلقت بيه يسيبني و يمشي؟ ليه أنا بيحصل معايا كل الحاجات الوحشة ليه..؟!

بدأت دموعه تتساقط هو الآخر، لا يعلم ماذا عساه أن يفعل لكي يخفف عنها، لا يعلم إلى متى سيظل ينظر لها و هي تتألم بدون أن يُقدم لها المساعدة!

تابعت هي و أنفاسها تتقطع، و نبراتها تهتز:

-ليه لما بفوق من صدمة بيحصل اللي يرجعني ورا تاني، ليه كل اللي بحبهم بيسيبوني ليه، عشان خطري قولي ليه؟ ليه؟

انفعل هو من نفسه و لم يشعر بها إلا و هو يضمها بقوة و يجيبها بدفئ:

-مش هترجعي لورا تاني يا كاثرين أنا بوعدك، هفضل معاكي لحد ما نرجع كل

حاجة زي الأول، قوليلي بس عاوزة حياتك عاملة ازاي و هعملك كل اللي إنتي عاوزاه، بس بلاش تعيطي، أنا..

استندت هي عليه و تابعت البكاء و كأنها لم تعد تحتمل.. لا بل هي بالفعل لم تعد قادرةً على التحمل أكثر من هذا..

وتحدثت بألم:

-هو أنا ظالمة؟

شدد هو من ضمها، وربت على شعرها بحنانٍ و هو يرد عليها:

-مستحيل.

تقطعت نبراتها بين البكاء و الحديث و هي تسأله:

-طب مش الظالمين بس هم اللي بيحصل معاهم كدة؟ أنا ليه بيحصل معايا كل دة؟

ابتعد عنها قليلاً حتى ينظر لوجهها، و تبصر هي دموعه التي تنهمر من أجلها.. من أجل أنينها..

ليبدأ بعدها الحديث بجدية ممزوجة بالحنان و الرفق:

-اديني فرصة واحدة، و أنا أوعدك هعوضك عن كل دة.. عن اللي فات كله، عن كل لحظة ظلم عشتيها.

لم تجبه بل عادت تلتمس احتواءه لها، عادت تبكي بداخله حتى تبللت ثيابه و استشعر هو دفئ عبراتها.. لكنه اعتبرها اجابة.. لقد سمحت له بالفعل بأن يتقرب منها..

سمحت له أن يكون جزءًا من مداواة أحزانها و هذا يكفيه.

فظل يمسح على شعرها برفق، و يشدد من ضمها إذا ما شعر بازدياد نوبات بكائها إلى أن بدأت تهدأ قليلاً فبدأت لوعته تخف تدريجيًا، و تذكر أنه لم ينادِ الطبيب بعد!

لكنه لم يهتم بل ظل على ذاك النحو إلى أن لاحظ سكونها المفاجئ.. رفع رأسها إليه قليلاً فوجدها قد ذهبت في سُباتٍ عميق، مسح عن وجهها تلك الدموع الساخنة، و مددها على الفراش بهدوءٍ ليجلس بعدها بجانبها واضعًا يداه بين خصيلات شعره و هو يفكر بتريثٍ أن أول ما يجب فعله هو الزواج.. يجب أن يُتما زواجهما في أقرب وقتٍ حتى يصبح قادرًا على المكوث معها أطول وقتٍ ممكن.

ابتسم لها برغم كل شيء، و وضع يده بداخل يدها الممددة على الفراش ليحادثها بخفوت:

-وعد مني و الله هعوضك عن كل الألم دة.. هرجعك زي ما كنتي و أحسن كمان.

ثم رفع يدها إلى فمه و قبلها ناظرًا لتعابير وجهها الحزينة بشجن..

هل سبق له أن تألم من أجل أحدهم إلى هذه الدرجة؟

كيف يعقل أن هذا ليس إلا ألمها، وجعها، حزنها إذا ما كان هو يشاركها إياه لهذا الحد..!

+.....

كانت نائمة على فراشها، أو بالمعنى الأصح شاخصة العينين للسقف فوقها، تنظر له بخواء..

آلاف الذكريات بدأت تجتاحها.. ذكرى حزينة، و أخرى سعيدة، و ثالثةٌ ذكرى قد كان الزمن كفيلاً بأن يطوي أجزاءها فتتبقى الحواف تلوح من البعيد طالبة القليل من الجهد كي تسترسل أحداثها من جديد..

أخذت نفسًا عميقًا، و دنى منها الشعور بالاضطراب حين تذكرته... البارحة فقط قد أتى ليتفق معهما على ميعاد الخطبة!

و هي قد وافقت، لماذا وافقت؟! لما أقحمت نفسها في هذه التجربة التي لا تعلم إلى أي نفقٍ تسوقها! ربما بسبب كل مرةٍ رأت فيها نظرات ابنته بعد علمها بالخبر! كانت نظراتها تخبرها بأنها سعيدة، أو ربما بعد سماعها منها أنها سعيدة لحصولها على أم!

لا أبدًا لقد كان شعور بالفضول يعتريها، أو ربما ليس الفضول ربما هو الـ..

نهضت بشكلٍ مفاجئ، وجلست و هي تتحدث مع نفسها بانزعاج:

-يووووه يا فيروز، حرام عليكي نفسك بطلي تفكير بقى!

صمتت، ضمت ركبتاها، و نظرت أمامها للفراغ و هي تتابع بحزن:

-بس افرضي اجى يوم من الأيام و عايرك؟

دمعت عينها بدون أن تشعر، لتجيب على نفسها بضيق:

-بس هو قال ننسى كل دة!

مدت يدها لتمسح دموعها و هي تتابع بجدية:

-عارفة إن حياتي مش ساحة للتجارب، بس أنا مع ذلك هجرب الخطوبة مفيهاش ضرر!

نزلت من على الفراش و اتجهت نحو خزانتها، أخرجت من صندوقٍ بداخلها القلادة التي أهداها لها أخيها من قبل، ثم ضمتها بيدها بقوة قبل أن ترتديها..

+.....

دلفت تلك الصغيرة إلى الغرفة، فقابلها وادها بحفاوة الإبتسامة، حينها ركضت هي إليه، و جلست إلى جانبه على الفراش و هي تهتف بسعادة:

-بابا، بابا!

جذبها هو ليجلسها على قدمه أثناء إجابته عليها باسمًا:

-نعم يا حبيبة بابا!

وضعت الفتاة إصبعها في فمها و عضت عليه قليلاً قبل أن تردف بترقب:

-هو أنا غلطت في حاجة يا بابا؟

تذكر هو أنه حين عاد للمنزل كان ما يزال مشغولاً بتلك القضية التي كادت تودي بحياة أخت صديقه و زوجها إلى الهلاك.. و لأن الصداقة بينهم ليست مجرد صداقة عادية، بل من أخوَّة لذلك يعتبر أن أخت صديقه هي أخته و يقع على عاتقه حمايتها..

لكن بعد عودته للمنزل تحدث مع ابنته بانفعالٍ لم تعتده هي منه و هاهي الآن تظن أنها قد أخطأت في شيءٍ ما!

وضع يده على وجنتها، و سألها بهدوء:

-من قالك كدة؟

أجابته بنبرةٍ طفولةٍ حزينةٍ:

-لما جيت زعقتلي، و..!

قاطعها هو بجدية:

-بصي يا تالا، فيه وقت بابا بيكون متضايق فيه فلما بيقول أو بيعمل حاجة مش بيكون قصده!

ثم ابتسم لها برفقٍ و تابع:

-و بعدين أنا عمري ما زعلت منك أبدًا، بابا بيحب تالا و مش بيزعل منها أبدًا.

ابتسمت الفتاة و كأنها كانت خائفة أن يصرخ بوجهها من جديد حين ولجت إليه و ابتسامته هي ما جعتلها تُسرع نحوه..

حينها ضمته تالا بقوة فضمها الأخير إليه ليسمعها بعدها نقول بتذمرٍ طفولي:

-طب معدتش تزعق لتالا تاني عشان تالا بتخاف.

قبل رأسها بحنوٍ و هو يجيب:

-حاضر من عنيا، و بعدين ماما فيروز هتيجي تعيش هنا معانا قريب..

ثم أكمل بينه و بين نفسه بخفوت:

-أنا واثق إنها هتعاملك زي بنتها مفيش فرق يا تالا.. هتبقى أمك بجد..+

+.....

خرج من الحمام حاملاً المنشفة في يدٍ ليجفف بها الأخرى، رفع بصره نحوها فتعلقت أنظاره بها و هو يراها نائمة بهذا الشكل.. ممسكة بالمصحف في يدها و مستندة بظهرها إلى السرير خلفها، علق المنشفة خلف رقبته، وتقدم نحوها بهدوء.. حين دخل إلى الحمام منذ قليل كان يسمع

صوتها و هي ترتل، والآن فقط أدرك سر توقفها المافجئ.. لقد غفت.

كان هاتفه على حاملة الأدراج بجانبها، فأخذه وعبث بالقليل من أزراره قبل أن يتركه ويعيد النظر إليها..

ابتسم لها بحنانٍ، ثم اقترب منها أكثر وطبع قبلة دافئة على رأسها، أغمض عينيه للحظات، مازال وقع صوت الرصاص يدوي في أُذنيه، مازالت الذكرى عميقة لم تنضب بعد.. قد يتخيل أنه يفقد أي شخصٍ إلا هي، قد يتخيل أنه يخسر كل ما يملك ولا يرى لحظةً بدونها..+

أليس هذا عجيبًا؟

أن تحتل كيانه تلك التي كان النفور من جنسها أقرب إليه من أنفاسه! أن تتجلى

أمامه كما شعاع الشمس إذا ما أضاء على
بلدٍ لا تشرق به الشمس إلا كمراتٍ حنت
فأضاءت.. فتُصبح التي بها الحياة وبدونها
أقرب للممات؟ لا بل هو الممات أُقسم!+

أليس هذا عجيبًا؟

أن يعيش حياته كاملةً بجميع نواقصها
وتكتمل في لحظاتٍ بها!

كيف يشكر الإنسان شخصًا ما على تواجده
في حياته؟ كيف يشكره على تهشيم شوكات
فؤاده؟ كيف يشكرها وأي شكرًا تلك التي
تكفي لشُكرها؟+

كلماتٌ وكلماتٌ تنحني أمامه حين يفكر بها..
وكأن عقله لا يتوقف بعد الإشارة إليه بها..

اتسعت ابتسامته، ومد يده نحو يدها لينتزع
المصحف الذي كانت تحتضنه بيدها، وبحذرٍ

شديد استطاع سحبه منها بدون أن تصحوا..
لكنه وبمجرد أن وضعه على حاملة الأدراج
بجانبه وجدها تفتح عيناها وتفركها وهي
تردف بصوتٍ ناعس:

-كويس إنك صحيتني

سألها متحيرًا وهو يعقد حاجباه:

-ليه فيه حاجة؟

أنزلت قدماها من على الفراش و وقفت
وهي تنظر للساعة أمامها ثم لتجيبه بعدها
بهدوءٍ يحمل الإرهاق:

-معدش غير نص ساعة على آذان الفجر،
وعاوزة أتصحر عشان هصوم بكرة إن شاء
الله.

بدهشة سألها:

-تصومي؟

أومأت رأسها بهدوء، فسألها بجدية:

-هو فيه إيه بكرة؟

-الخميس

-الخميس!

أمسكت يده وسارت بتمهلٍ وهي تسحبه معها قائلة بخفوت:

-تعالى معايا و أنا بحضره أفهمك

رفع حاجباه، وهز كتفاه مستعجبًا، لكنه ذهب معها ولم يبالي بما في نفسه من أسئلة..+

حين توسطا المطبخ وبدأت هي بإعداد الطعام، غسلت أولاً وجهها ثم يديها، فوجدته يسألها:

-ليه بتصومي؟

بدأت هي تتحدث بهدوءٍ وهي تحضر الطعام:

-بص يا صهيب، لما الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم اتسأل عن صيام يوم الإثنين قال: (فيه ولدتُ، وفيه أُنزل عليَّ) يعني صيام الاتنين و الخميس دول سنة مؤكدة عن الرسول صل الله عليه وسلم و..

-أيوة مش السنة اللي هي مش فرض صح؟

سألها باهتمامٍ وهو ينظر لها، فأجابته باسمة:

-السنة مش فرض يا صهيب، لكن إيه اللي بيفرق العباد عن بعض؟ مش التقوى؟ مش إنك تدور على اللي بيرضي ربنا ورسوله وتعمله؟

جلس على المقعد الذي بجانبه وهو يصغي لها، وما إن انتهت حتى سألها باستفهام:

-يعني الصيام ليه ثواب كبير

كانت هي قد أخرجت بعض الطعام من الثلاجة، ثم وضعتهم على المائدة وهى تجيبه بتأنٍ:

-الله عزوجل قال في حديثه القُدسي: كُل عَمل ابن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنّة،وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني إمرؤ صائم، والذي نفس مُحمدٍ بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرَّى صوم الاثنين والخميس)

يعني لما بتصوم مش بتكون بس بتعمل سنة، لأ إنت بتعمل سنة، وفي نفس ذات

الوقت بتعمل الحاجة اللي ربنا بياخدها ليه، وتخيل إنت أجرك عند ربنا إيه!

نكس رأسه ولم يتحدث، فلاحظت هي هذا السكون المفاجئ، وبدى عليها أنها فهمت ما يفكر فيه..

فخطت بضع خطواتٍ إلى أن وقفت بجانبه، ووضعت يدها على كتفه، فرفع رأسه ليواجهها بعينيه الحزينتين، وأردف بندم:

-عمر ما حد قالي الكلام دة، عارفة؟ عمري في حياتي ما صُمت! أجابته هي برفق:

-(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

-بس أنا..

-وكما أنا.. بس دة ربنا يا صهيب، ربنا عارف يعني إيه رينا؟ عارف يعني إيه لما تكون لوحدك بس معاك ربنا؟ عارف يعني إيه تعدي من كل اللي المصايب و الأزمات دي بس عشان معاك ربنا؟

بكت وهي تتابع بانفعال:

-في يوم من الأيام يا صهيب مكنتش بصوم، ولا بصلي ولا بعمل أي حاجة من اللي ربنا يستحقها، عارف كمان؟ فضلت لحد الـ١٧ سنة بنت عادية، وبرغم القرآن اللي كنت حافظاه، و العلم اللي كان عندي أنا نفسي مكنتش بعمل بيه.

أخذت نفسًا عميقًا وبدأت تمسح دموعها التي نزلت على غفلةٍ تلك، وهدأت من روعها وهي تتابع مع نظراته المصدومة لها:

-عارف يا صهيب أنا كنت بسمع أغاني كمان، وصدقني لو قولتك إن كان جت عليا فترة كانت الأغاني دي زي الإدمان، كنت بفضل أكتر من سنة ممسكش المصحغف ييجي سبع تمن مرات على بعض.. كنت بقطع أو أجمع في الفروض!

بس أول ما لجأت لربنا، مبصش لكل اللي كنت بعمله زمان.. مقالش دي كانت بتعصيني.. لأ وقف معايا ساعدني، وطلعني من محنتي..

أنا مكنتش أنا يا صهيب، أوعى تفكر إن الأوان فات، تعرف إمت الأوان بيفوت، لما الإنسان يموت..

بس إنت أهو، ولسا قدامك تتوب.

لم يكد يصدق ما نطقت به.. فكيف له أن يصدق هذا؟

جويرية كانت تسمع الأغاني؟ لا تصلي؟ جويرية!!

-تخيل إن أكتر حاجة تدي للإنسان الثقة إن ربنا بيحبه إنه يحط قدامه إشارات توجهه للطريق الصح، ويزرع جواه الندم.

ثم ابتسمت له ابتسامة توازي صفاء نهرٍ في بُقعة لم تمسها الريح ليومٍ كامل، ثم أمسكت يده تتابع بهدوء:

-أوعى تكون بتسأل عن الإشارة وأنا موجوة؟

بادلها الابتسامة وهو يضم يدها بكلتا يداه، ثم تحدث بصوتٍ قد عادت بعض الحيوية إليه:

-طب هصوم معاكي

شعرت بالسعادة حين سمعته يقول هذا، و أومأت رأسها بنفس الإبتسامة وهي تجيبه بحفاوة:

-طيب

ثم لدقيقين أخرتين تركته لتتابع إعداد الطعام، وما أن انتهت حتى وضعته أمامهما وبدأ كل منهما بتناول الطعام..

برغم كل شيء باتت الحياة مستقرة أكثر.. بدأت السعادة تتسلل إلى حياتهما بهدوء، وبدأ كل شيءٍ يصبح أفضل..+

-بكرة متجيش الشغل.

رفعت أنظارها إليه رافعة حاجباها منتظرة تبيريره، فتحدث بجدية:

-جديًا بكرة آخر يوم في الأسبوع، و هروح ساعتين وهرجع لأن مفيش شغل كتير، أما الأسبوع الجاي اللي الشغل فيه كتير..

-امممم طيب.

مع أنها كات واثقة أن هذا ليس السبب الرئيسي إلا أنها آثرت الصمت ففي النهاية ستعرف كل شيء.

أكمل كلاً منهما طعامه بهدوءٍ بعدها، وحين انتهيا، وكاد هو أن يرحل أمسكت يده، فنظر لها متسائلاً، لتبتسم هي له وتقول:

-أنا معاك دايمًا يا صهيب، صدقني مش هدخل الجنة إلا معاك

ظهرت ابتسامة مشرقة على وجهه وقد اقترب منها كثيرًا قبل أن يضمها بقوة وهو يجيبها:

-وانا مش هسيبك لوحدك حتى في الجنة يا جويرية

ثم ابتعد عنها قيلاً وقبل رأسها متابعًا بجدية:

-صدقيني هعمل كل اللي هقدر عليه عشان ابقى معاكي هناك

ابتسمت له و هي تجيبه بمودة:

-وانا واثقة إننا هنبقى هناك سوا.....!!!١

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل التاسع والخمسون:

+

+

+

بدأ صباحه بطريقةٍ مختلفةٍ اليوم، حيث أنه لم يفطُر، كان الشعور الذي يجتاحه جميلٌجدًا، شعورٌ بالنقاء.. بالسلام الداخلي، و التفاؤل.

ذهب إلى العمل و عاد بعد ساعتان، و كان قد حضَّر لتلك الرحلة المجنونة اليوم.. إن كانت تريد هذا فلها ذلك، حتى و لو كان في الأمر مخاطرة سيحرض على سلامتها أو يتأذى معها..!!

نظر لها و هي ما تزال نائمة، وظل هو يبدل ثيابه وينظر لها بين الحين و الآخر، إلى أن أنهى تبديل ثيابه و اقترب منها ثم انحنى قليلاً نحوها و قبل رأسها و هو يبتسم لها برفقٍ.. ليتركها بعدها و يتجه نحو حقيبة العمل خاصته، يُخرج منها مصحفه الذي أهدته له، ثم هاتفه، و يخرج من الغرفة..+

استند على تلك الشجرة في الحديقة بعد أن وصل إليها، ثم فتح المصحف على الصفحة ٤٩ من سورة البقرة، وعبث قليلاً بأزرار هاتفه حتى انبعث منه صوتها و هي تُرتل:

-" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"+

سِره الخاص الذي لم يخبرها به.. كلما كان يسمعها تُرتل القرآن الكريم، كان يسجل صوتها بدون أن تشعر به، و اعتاد أن يستمع إليه في الوقت التي لا تكون معه فيه، كوقت العمل و غيره..

و اليوم قد أنهى سورة البقرة كقراءة كاملة، و حفظ منها ٣ صفحات، غير أنه قد حفظ بضع آياتٍ منها و هو يقرأها فقط.+

صُدم فجأة حين وجدها تقف أمامه فاغرةً فاها تنظر له بصدمة، ولم تتفوه بكلمة حتى الآن، فانتبه هو إلى صوت الهاتف الذي بدأت فيه بقراءة سورة آل عمران، كاد أن يغلقه إلا أنها تقدمت نحوه وسحبته منه بصورة مفاجئة وهي تنظر له قائلة بدهشة:

-كنت بتسجل صوتي؟

قوس حاجباه، و وقف مجيبًا إياها بتعلثم:

-آآ دة، دة.. واحد صاحبي!

حدقت فيه بصدمة لعدة ثوانٍ قبل أن يركز هو فيما قال، ثم يضحك بقوة، أما هي فقد هزت رأسها عدة مراتٍ إلى الجانبين و هي تحاول إخفاء ابتسامتها عنه.. ثم نظرت له و قد اختفت الإبتسامة و سألته محاولة أن تبدوا جادة:

-بتستغفلني يا صهيب؟

أومأ رأسه عدة مرات و البراءة في عينيه، فأمسكته هي من ياقة قميصه و هي تضيق عينيها و تتحدث بوعيد:

-و بتقول آه عادي كدة مش خايف؟

هز رأسه نافيًا، فنظرت له بغيظ و تابعت:

-قول إنك خايف و أنا هسيبك!

اقترب من أذنها، و همس لها بخفوت:

-و مين قال إني عاوزاكي تسيبيني؟

ابتسمت و هي تضع يدها الأخرى في خصرها و تردف بهدوء:

-اممممم بتستغل الأمور لصالحك يعني!

ضحك بخفوتٍ على طريقتها، فتابعت هي ببرود:

-بس دة ميمنعش إنك استغفلتني؟

وضع يده على ذقنه مفكرًا و هو ينظر له ويجيبها:

-اممممم فعلاً معاكي حق! مع إن مكنتش عاوزك تعرفي!

-و أنا كالعادة هكون كريمة و همسع التبرير

-جمايلك كترت مش عارفة هوديها فين بعد كدة!

ضيقت بيدها على ياقته أكثر، و وقفت على أطراف أصابعها حتى تهمس له محذرةً:

-متلعبش بالنار! و اتكلم..؟

يا إلهي كم تبدوا جادة، حسنًا لننزع هذا القناع عنها الآن..

-ليه؟

نظرت له بثباتٍ و أردفت:

-عشان النار بتحرق!

وضع طرف إصبعه في فمه و هو يسألها بجدية:

-إوعي تكوني بتشبهي نفسك بالنار!

أشاحت وجهها عنه محاولة إخفاء ابتسامتها، فأدار وجهها إليه و تابع باسمًا برفق:

-بسجله عشان كنت عاوز اتعلم القراءة صح، و على إيدك إنتي مش حد تاني.

ابتسمت له بمودة، ثم تركت و هي تجيبه بجدية:

-مقولتليش ليه؟ كنت هعلمك بنفسي..!

صمت قليلاً قبل أن يجيبها بخفوت:

-يعني.. بتعلميني حاجات كتير و.. مش عاوز آآ..

قاطعته هي بنبرة حاسمة:

-يا صهيب أنا هنا عشانك، أنا موجودة معاك في كل وقت، في أي حاجة هتحتاجها بجد هعملها و أنا فرحانة، قبل أي حاجة دي طاعة

و عبادة لربنا، و تاني حاجة عشان إنت يا صهيب أخدت مكانة كبيرة في قلبي و في حياتي، و أنا مبخلش بوقتي على اللي حياته هي حياتي.

وضع يده على و جهها ورفع له قليلاً و ابتسامة حنونة تعلوه، ثم أردف بصوتٍ أجش:

-إنتي اتغيرتي كتير يا جويرية!

بادلته تلك الإبتسامة الدافئة و هي تجيبه:

-لو فاضل حاجة حلوة فيا بعد كل اللي حصلي دة فمحدش غيرك يستحقها.. و بعدين إنت كمان اتغيرت تمامًا! و بعدين كمان كفاية كدة عشان مبحبش اللحظات المؤثرة دي!!

ضحك و هو يجيبها:

-بس دي مفيدة، مش عارف هنرجع النهاردة من الجنون دة و لا لأ!

-جنون إيه؟!

أجاب ببساطة و هو يعبث بخصيلات شعرها المنسدلة:

-مش طلبتي تقعي من الطيارة؟!

تحمست كثيرًا و هي تسأله:

-إيه دة بجد جهزتلها النهاردة؟

-أيوة

لم تستطع التماسك أكثر من ذلك، و أخذت تضحك بقوةٍ، لتتحدث بعدها بمرح:

-متنكرش إنك عاوز تعمل كدة إنت كمان!

رفع يديه الإثنتان لأعلى و هو يجيبها:

-مش هنكر الصراحة! بس المهم بعدها كدة إن شاء الله متقوليليش نفسي آخد سلفي مع الأسد!

-إيه دة إنت عرفت ازاي؟!!

رفع رأسه للسماء وقال:

-صبرني يا رب!!+

+.....

بعد مرور أربعة ساعات..+

في الأعلى، حسنًا أعلى قليلاً بعد.. أجل هكذا

الآن هما على متن الطائرة التي تطير في منتصف الجو، يقفان يمسك كل منهما بيد الآخر، وقد بدأ العد التنازلي لقفزهما من الطائرة..

نظر لها صهيب و عينيه تلمعان ببريق المتعة، ثم سألها بهدوء:

-ها واثقة؟

أجابته و نفس البريق في عينيها بنبرتها الحاسمة:

-أكيد، يلا نتكل على الله

و لم ينبس أحدهما بكلمة بعدها بل بالفعل قفزا سويًا، ولم يترك أحدهما يد الآخر.. بل فتحا ذراعهما الآخر و أغمضا عيناهما لثوانٍ فقط ليستمتعا بهذا الهواء المنعش الذي يتخلل كل جزء من روحهما،

شعورٌ عجيب ملأهما و كأنهما قد ثملا من شدة الشعور بالنشوة، في منتصف السماء، يسقطان بسرعةٍ تتجاوز سرعة سيارة تنطلق بسرعتها القصوى، و هل هناك ما هو أمتع!+

آلآن شعرتِ بالحرية يا جويرية؟

سألت نفسها و أجابت في فورها.. ألستُ كطير؟ كطائرة؟ ألستُ كعصفورة تطير الآن؟ ما ينقصني أكثر من ذلك؟ أخذت الكثير في هذه الأيام.. الكثير من السعادة التي لم أحصل عليها منذ فترة طويلة، أخذت هذا الشعور بالبهجة في داخلي، ماذا ينقصني أكثر من ذلك..!!

بالطبع أشعر يا نفسي، بالطبع أشعر.+

كان الوقت يمر دون أن يلاحظا أنهما نسيا المنطاد، و نسيا أن عليهما اطلاقه، فقد كان هو الآخر شارد الذهن سعيد بهذا الهواء، بهذه الأجواء..

لكنه فتح عينيه فجأة، ثم نظر للأسفل، فوجد أنهما اقتربا كثيرًا من الأرض، فاتسعت

عيناه في صدمة، و سريعًا سحب البالون لينتفخ في الجو و يحملهما، نظرت له جويرية، و حاولت سحب خاصتها، إلا أنه لم يعمل، هنا بدأت تحاول انتشال يدها من صهيب و هو يزداد تمسكًا بها، إلا أن صرخت به:

-صهيب سيبني!

أجابها بانفعالٍ هو الآخر و هو يمسك بيدها أكثر:

-مستحيل

الأوان قد فات فقد بدأت سرعتهما تزداد نتيجة الجاذبية، كما أنها لم تفتح بالونها الخاص و هذا أدى إلى زيادة الوزن عليه..

حين علمت جويرية ألا مفر، لن يتركها ذاك المتيم، لن تنجح في إنقاظه، هي السبب..

كل الأفكار التبست لديها، و ظلت بنفس جمود عينيها، و حتى أنها من شدة شرودها لم تنتبه أنه أمسك يدها الأخرى أيضًا، للحظة سألت نفسها، أنتهى كل شيء؟ تموت و يموت هو بسببها؟ الله يشهد أنها غير معترضة على قضائه و قسمته، لكنها تمنت أن تموت ساجدة، أن تلاقي ربها و هي تعبده، تمنت لو أنها..!!

-جويرية، مش هيحصل حاجة إن شاء الله صدقيني.. جويرية اهدي إنتي أقوى من كدة، حبيبتي اهدي..

كانت تلك الكلمات التي أخرجتها من شرودها، فنظرت له لتجده يبتسم لها.. هل هذه آخر مرة سترى فيها بسمته الحانية تلك؟

برغم كل هذا لم تنتبه أنه بدّل وضعيته
بحيث صارت هي بالأعلى و هو بالأسفل،
نظرةٌ أخيرة له... ثم اختفت الرؤية تمامًا..

لا تراه.. أين هو؟ صهيب! لا لا تمزح معي تلك
الألعاب لا أحبها أتفهم!!

و تصرخ:

-أتفهم؟ صهيب!!

و أين هو من يفهم..؟!!

+.....

الظلام يحيط بالمكان، لا ليس الظلام بل هذا
اللون الذي يأتي بعد انعدام الألوان، و مع
ذلك الرؤية واضحة تمامًا..

اقتربت منه، لماذا هو نائم على فراش
المشفى هذا؟ ألا يعلم أنها تكره المشافي؟ و

أسرتهم الرهيبة! أمسكت يده و هزته بعنفٍ و هي تتحدث بغضب:

-صهيب! منذ متى لم يكن فراشك يعجبك حتى تتخذ من هذا فراشًا؟ أليس من الأفضل لو طلبت تبديله بدل أن تجيء إلى هنا؟

لم يجبها، فزاد غضبها و هي تتابع:

-أنت تعلم أنني لا أحب الحديث معك دون أن تجيب! صهيب أجب ماذا به فراشنا أخبرني؟

الدموع! يا إلهي من أين أتت تلك الدموع، بدأت تمسح دموعها التي تزداد بصورة هيستيرية، و تساءلت مستنكرة:

-يا الله ما هذه الدموع؟ و لما تنهمر هكذا؟

ثم تعيد النظر له و تضع يدها في خصرها و تكمل بضيق:

-صهيب، هيا الآن لست معتادة منك على تلك المعاملة الجافة!

الدموع تزداد، و قلبها بدأ ينبض بقلق، ثم بدأت تهزه بقوة و هي تتابع بجدية:

-صهيب، أرجوك، لا تختبر صبري أكثر من هذا!

بللت عبراتها ثيابه و هي تقترب منه لتهزه بانفعالٍ أكثر:

-صهيب، أخبرني ماذا به فراشنا، أنبدله؟

مسحت دموعها بعنف، و استكملت معه بنبرة هادئة:

-يمكنك فقط إخباري بما تريد و سأفعل، لكن تلك الطريقة قاسية، ما رأيت زوجتك تعاني يومًا و تركتها!

أمسكت يديه، و تخللت أصابع يديه بيدها، ثم قبلتها و هي تسأله بنبرة خافتة:

-أتترك زوجتك تعاني الآن بتلك القطيعة يا صهيب؟ أأنت راضٍ عن نفسك؟ أخبرني!

ثم أمسكت بيده أكثر و هي تتابع بنبرةٍ أعلى قليلاً:

-لقد وعدتني يا صهيب، أخبرتني معًا إلى الجنة، أخبرتني لن تتركني في الدنيا أو الآخرة، كثيرًا ما كنت أسمعك تدعوا الله ألا يفرقنا ما حيينا و ما متنا ثم في الجنة اللقاء الأبدي، و الآن أخبرني يا صهيب ما بال وعودك أأصبحت بالية؟

ازدادت عبراتها انهمارًا، و سقطت على قدميها غير قادرة على الوقوف أكثر، لكنها ظلت ممكسة بيديه متشبثة بها إلى أقصى حد، قبلت يده من جديد و هي تتابع بألم:

-أرجوك يا صهيب، لا تتركني، لقد تركني الجميع و قد تمسكتُ بوعدك تفكيرًا، و كنت واثقة بك، خِلت أنك ستظل معي للنهاية!

بكت بقوةٍ و هي تتابع:

-لقد تحملت من الألم الكثير، لقد فارقت الكثيرين، لكن بعدك أنت محالٌ أن يتبقى لدي ذرة من الطاقة لأستكمل ما بدأت

حاولت الوقوف بصعوبة حتى تقترب منه، وتضمه بقوةٍ و ما تزال تردد:

-هيا قُم، أقسم لك ما عاد بإمكاني التحمل

أقسم لك أنا أموت يا صهيب، لن أتحمل المزيد.. لن أتحمل!

رفعت رأسها أمام رأسه و تلمست وجهه بأصابعها المرتجفة، و قالت و هي تبكي:

-لقد أدمنتك يا صهيب، أتدري ما معنى أدمنتك؟

أي أن أنني لا أستطيع الآن بدء يومي بلا رسالتك الصباحية! لا أطمئن إلا بعد رؤية ابتسامتك الحانية، لا أشعر بالدفئ إلا بعد أن تحتويني بذراعيك، الآن أنا أضمك و أنت لا تُبالي! منذ متى لجأت إليك فنبذتني؟

استندت عليه و تركت دموعها تنهمر، و تنهمر، و تنهمر..+

+.....

الظلام يحيط بالمكان، لا ليس الظلام بل هذا اللون الذي يأتي بعد انعدام الألوان، و مع ذلك الرؤية واضحة تمامًا..

اقترب منها، لماذا هي نائمة على فراش المشفى هذا؟ ألا تعلم أنه يكره المشافي؟ و أسرتهم الرهيبة تلك! أمسك يدها و هزها بعنفٍ و هو بتحدث بغضب:

-جويرية! أجننتي؟! ما الذي جاء بكِ إلى هنا؟ أتدرين كم بحثت عنكِ؟

لم تجبه، فزفر بضيق و تحدث بجدية:

-جويرية أجيبي! لقد كنا قد انتهينا من هذا الأسلوب كنتِ تحاديثيني في كل شيء هيا أجيبي!

لم تجبه مجددًا فاقترب منها و قبل رأسها و هو يتابع:

-حبيبتي هيا أجيبي، لا أعلم لما قد أتاني هذا الشعور بالشوق الشديد لكِ فجأة!

أخذ نفسًا، بدى عليه الإنفعال، تظاهر بالهدوء، عاد لينفعل، ثم ليسيطر، ثم ليقلق..

-جويرية! أأخطأت في شيءٍ حبيبتي؟

هزها بقوة، لا تجيب، نادى بخوف:

-بِربك أيا حبيبتي لماذا تفعلين بي هذا؟

حسنًا أنا آسف على كل شيء بالطبع أنا أخطأت في شيءٍ ما حتى لو لم أكن أتذكره! أنا أعتذر، فقط أخبريني بالمقابل و أُعيد إصلاح كل شيء!

دمعت عيناه، قلبه بدأ ينبض بقوة، أنفاسه باتت تتقطع..

أمسك يدها و ضهما بيديه، ثم تحدث بنبرة عالية:

-جويرية! توقفي الآن هيا، ثم لماذا يدكِ باردة هكذا؟!

لا شيء، بدأ يحاول تدفئة يدها بلا فائدة، يهزها و يناديها بلا فائدة، نزل على ركبته بعد أن استشعر ثُقل ما يحدث عليه.. سقطت دموعه و هو ينادي عليها بصوته المتقطع ثم يردف:

-لكن أنتِ يا حبيبتي لا تكسرين كلمة قلتها! لقد اعتدت منكِ على الصدق، لقد رأيت منكِ ما لم يره غيري، لقد وعدتني معًا للجنة! أما تتذكرين؟

مسح دموعه فتجددت و هو ينظر لها بألمٍ و يتابع:

-أتدرين؟ أنا لن أتحمل إن ذهبتِ و تركتني!

ثم أن..

وقف فجأة و نظر لها ثم تحدث بغضب:

-أنا أعلم أنكِ لن تفعلي، لدي ثقة لا حد لها بكِ، و الثقة الأكبر هي في ربي و ربك!

من أين كنتِ تظنين أنني أخبركِ أننا لن نغادر هذه الحياة إلا سويًا؟

من أين كنتِ تظنين آتية طمأنتي لكِ؟

من ذي الجلال و الإكرام، لقد وثقت في أنه لن يضيعنا للحظة، و أقسم لكِ حين كنت أصلي كنت أشعر أنه يخبرني ألا أخاف.. هل تُراكِ الآن تظنين أنكِ بسبب ما تفعلينه أصدق أنكِ تركتني؟

لا يا حبيبتي، هذا وهم.. وهم!

أسمعتني.. هذا وهم!

صرخ بها، في هذه اللحظة اختفت جويرية، و اختفى الفراش كألم يكُ له أثرٌ يومًا! ظل يبحث عنها و يدور حول نفسه و يناديها، فلم يجدها..

سار للأمام، و أخذ يسير و يسير و يسير.. أين هي؟ هل غضبت منه؟

يمسح دموعه و يتابع البحث عنها، لحظة فقط! ما هذا الصوت؟

صوت بكاء مرتفع، و تتبعه شهقاتٍ حادة، اقترب من هذا الصوت أكثر، و ما إن وقف على بُعد بضع خطواتٍ منها لم يصدق عينه! لقد كانت تبكي بشدة و كأنها ترى أحدهم وتبكي عليه، لم يتحمل رؤيتها تبكي بهذا الشكل، و اقترب منها بسرعة، حتى بات

على بُعد خطوة واحدة فقط منها، و سمعها تتحدث و هي تبكي:

-لقد أدمنتك صهيب، أتدري ما معنى أدمنتك؟

أي أن أنني لا أستطيع الآن بدء يومي بلا رسالتك الصباحية! لا أطمئن إلا بعد رؤية ابتسامتك الحانية لي و إن كنت لا أُبدي،

انهارت مقاومته و نزل على ركبتيه بجانبها، و دمعت عيناه لأجلها، فأخذت تبكي هي و تتابع:

-لا أشعر بالدفئ إلا بعد أن تحتويني بذراعيك، الآن أنا أضمك و أنت لا تُبالي! منذ متى لجأت إليك فنبذتني؟

-بحق اللّٰه توقفي جويرية، أنا لن أتحمل أكثر!

قالها فجأة فاستدارت تنظر له سريعًا، و حين رأته أجابته باكية:

-إذًا لا تتركني!

فتح ذراعاه لها و دموعه تنهمر، فارتمت بين ذراعاه فى نفس اللحظة و كأنها كانت تنتظر الفرصة فقط، و ظلت تبكي و هي تتابع بتقطع النبرات:

-أأنت هنا حقًا؟

-بالطبع حبيبتي

بكت أكثر و هي تتابع:

-لن تذهب بعد قليل، أنا لا أتوهم وجودك صحيح؟

أطبق ذراعاه عليها بقوة و هو يجيبها بنبرة جادة، هادئة:

-يجب أن يكون لديكِ ثقة بزوجك أكثر من هذا!

لم تتوقف عن البكاء و الرجفة و هي تتابع:

-لن أنظر للخلف مجددًا أنت هنا و لن تتركني! لن أنظر.. لا لن أنظر

أبعدها عنه للحظاتٍ، فتشبثت به أكثر، فنظر لوجهها و أردف بنبرة حانية:

-جويرية.. حبيبتي هذا وهم! أين ذهبت ثقتكِ بالله، أنا هنا حبيبتي، هنا لن أتركك أبدًا إن شاء الله.. هنا و لن أتحمل أن أرى تلك الدموع أكثر، أنتِ لا تعلمين ماذا فعلتِ لقلبي لقد أصبح مرهقًا بسببكِ!

هزت رأسها نافيةً و هي تسأله باكية:

-لن تتركني! و إذا ما التفت لن أجدك جثة هامدة، تاركًا إياي وحدي في مفترق الطرق، سأجدك هنا فقط؟

أومأ رأسه و هو يجيبها برفقٍ:

-أخبرتكِ حبيبتي أنا هنا، لما قد أتركِ إذًا؟

نظرت للجانب الآخر لتتفاجأ أنها جالسة على الأرض لا الفراش! و لا أحد غيرهما في المكان!

عادت لتنظر له و تتحدث بتقطع:

-و.. ولكن.. أنت آآآ

أجابها بتفهم:

-أخبرتكِ هذا وهم، أنا معكِ الآن أريدكِ أن تهدأي

-و.. ولكن..!

-ألم أعدكِ أنني لن أتركِ أبدًا؟

نظرت له مليًا و أجابت:

-بـ.. بلى

ابتسم لها ليشعرها بالطمأنينة، ثم قال:

-و هل لا تثقين بزوجكِ؟!

أغمضت عيناها و عادت لتختفي بين ذراعاه

و هي تبكي، و تجيبه بصوتٍ متقطع:

-أنا.. أنا أثق بك أكثر مما أثق بنفسي

صهيب، لكن ما حدث كان قاسيًا، أنا آسفة

ظل هو حينها يمسح على شعرها مطبقًا

ذراعه عليها و هو يردد:

-لا تعتذري حبيبتي.. لا تعتذري+

+....

كانا ما يزالان فاقدان الوعي على أرض الصحراء الساخنة، وكل منهما ممسك بيد الآخر، لم يتركا أيديهما مع كل ما حدث!

فتحا أعينهما سويًا و نظرا لبعضهما و كأنهما يتأكدان تواجدهما، حاول هو الجلوس، في حين ظلت هي كما كانت تنظر له و كأنها تتأكد من تواجده معها، اقترب منها أكثر، وسحبها بيديه لتجلس هي الأخرى و هو يبتسم لها برفق، ثم سألها بمرح:

-أدمنتيني؟

كانت حركة مفاجأة أن ضمته بكل قوتها و أخذت تبكي!

-آه بقيت إدمان يا صهيب

دق قلبه، هو يشعر بها ما تزال تعيش فيما حدث، لم يذهب المشهد من عينيها و رأسها

بعد، و برغم كل ما يحدث لم يفكر أحدهما أن رؤيتهما لنفس الحلم أمرٌ عجيب، بل تحدث بهدوءٍ و هو يمسح على شعرها:

-حبيبتي اهدي أنا معاكي خلاص

لم تتوقف عن البكاء، ما يزال المشهد يُعاد أمامها، ما يزال مشهد نومه أمامها بلا حراكٍ يتكرر.. فأخذ هو يقرأ من آيات القرآن التي حفظ منها لتهدأ، حتى بدأ يلاحظ أنها سكنت تمامًا، فبدأ يردف بنبرة هادئة:

-عاملة إيه الوقت؟

-بحبك

اندهش هو لما قالته فجأة، ثم ابتسم قائلاً بدفئ:

-و أنا كمان بحبك و الله

-أنا آسفة، أنا سبب اللي حصل، مش هطلب حـ..

-شششش بطلي غباء بقى، اللي حصل كان لازم يحصل دة قدرنا، ثم إني أنا كمان بحب الجنون دة! جيت و اشتكيت؟ لأ يبقى اسكتي خالص.

ابتعدت عنه قليلاً جدًا و هى تجيبه:

-أنا اللي مقدرش أعيش من غيرك يا صهيب! مقدرش أتحمل إني أكون السبب في أي ضرر يحصلك..!

ابتسم و رد بمزاح:

-هو من ناحية ضرر فأنا حاسس إني متكسر!

أومأت رأسها قائلة بندم:

-آسفة بجد مـ..

هز رأسه نافيًا ثم وضع يده على وجنتها قائلاً بجدية:

-ممنوع تعتذري تاني، ممنوع خالص فهمتي!

أومأت رأسها ثانيةً، فأخذ هو يمسح عبراتها الشاردة هذه و هو يتحدث بحنوٍ:

-و بعدين كفاية دموع لحد كدة، بجد بدأت أقلق أول مرة تعيطي كدة!

لم يقل أحدهما أي شيء آخر لأن الطائرة كانت قد استقرت بالقرب منهما، وخرج منها الطيار و هو يهتف بقلق:

-إنتم كويسين، أنا شوفتكم و انتم بـ..

لم يُرد صهيب أن يتابع، فقاطعه بحدة:

-آه إحنا كويسيين، اركب إنت و هنحصلك!

أومأ الرجل رأسه و ذهب، فحاول صهيب الوقوف، إلى أن استطاع أن يفعل بصعوبة، ثم مد يده لها، فأمسكتها ثم وقفت، ليسيرا بعدها و يدخلا الطائرة من جديد..

حين ولجا للداخل أراد صهيب أن يعيد لها مرحها السابق، فسألها باسمًا:

-بس دونًا عن كل اللي حصل، إنك تقعي من الطيارة حاجة حلوة و لا وحشة؟

ابتسمت له و أجابت بهدوء:

-حاجة تحفة جدًا

تذكر صهيب أنه قد علم كل ما يجب عليه فعله في حالة حدوث خطأ حين يقفزا فهو كان قد جهز نفسه و علم كيف يقوم بتخفيف الوزن لكي تتحملهم، مع ذلك كان

حملهما ثقيلاً عليها فوقعا بقوة و فقدا وعياهما..

لكنهما الآن بخير، و هذا هو أهم ما في الأمر..

-تيجي نكررها تاني؟

هزت رأسها نافيةً، فمد ذراعه خلف ظهرها، ثم سحبها إليه قائلاً بثقة:

-مش هتاخدي أكتر من أسبوع و تغيري رأيك أنا عارفك

أخذت نفسًا عميقًا و أجابته بهدوء:

-أنا عاوزة نفضل مع بعض، و دة الأهم عندي+

+.....

بعد بضع ساعات..

كانت جالسة في غرفتها تقرأ القرآن الكريم، في حين دلف هو عليها ممسكًا بشيءٍ ما في يده.. اقترب منها إلى أن جلس إلى جانبها، فتوقفت عن القراءة و نظرت له باسمة، حينها مد هو يده، ثم أخذ المصحف منها و وضع العلامة إلى حيث انتهت، ثم أغلقه وتركه بجانبها و رفع حاجباه و هو يمد يده ليمسك بيدها، وقد كانت تراقبه بصمتٍ دون أن تسأله عما يفعل،

أخرج خاتمًا

من علبة حمراء كانت معه و ألبسها إياه، فارتفع حاجباها، لتسمعه يردف بجدية بعدها:

-جبت الاتنين دول إيه رأيك؟ مش المتجوزين بيلبسوهم برضوه؟

قالها و هو يريها خاصته فضحكت، فشرد في ضحكتها.. للحق اشتاق لضحكتها كثيرًا اليوم! لكنه تظاهر بالإنزعاج و ضيق عيناه قائلاً بتحذير:

-لو مش عاجبك يا هانم تقولي، مش تضحكي!

أخذت هي الخاتم الآخر الذي في العلبة الحمراء، و أمسكت يده و هي تلبسه إياه، ثم نظرت له قائلة بضحك:

-مش مش عاجبني! أنا مش قادرة أقول عجبني!

تظاهر بالبرود و رفع حاجباه و هو يقول:

-طب ما مانلفش و ندور و نقول إنه مش عاجبك؟

هزت رأسها نافية و على وجهها ابتسامة عذبة، ثم أجابته بجدية و هي تنظر للخاتم فى يدها:

-دة على أساس إن إحنا هنتشابه في كل حاجة و نختلف في الزوق! ثم من إمت أنا بخاف اقول رأيي بصراحة؟

-و أنا إيش عرفني إن زوقك مش أوحش من زوقي!

أبعدت هي المصحف و وضعته على الحاملة بجانبها، ثم نزلت من على السرير، لتقف أمامه فجأة وتدفعه على الفراش بقوة و هي تقول بوعيد:

-أنا زوقي وحش يا صهيب؟!

تظاهر بالخوف مَزحًا وهو يقول:

-لأ لأ دة مش حد هنا..! آآآ أقصد جويرية واحدة تانية!

رفعت حاجباها لأعلى و هي تسأله بترقب:

-و إنت تعرف جويرية تانية منين؟

-آآ لأ لأ آآآ مش قصدي..

-انطق منين!!!

لم يسيطر على نفسه أكثر و ضحك ثم سحبها إليه قائلاً بروية:

-لأ أنا اعرف واحدة بس اسمها جويرية، واحد كدة أستغفر الله لو غلطت معاها تاكلني!

قبلت هي وجنته كحركة مفاجأة، ثم نظرت له ثانيةً و هي تجيب:

-لأ مش هتاكلك شوفت هي طيبة ازاي؟

هز رأسه نافيًا و هو يرد عليها ساخرًا:

-جدًا الطيبة بتتنطط منها مقولكيش!

عقدت حاجبيها و نظرت له ببرود ثم قالت:

-تصدق الواحد ياكلك أحسن!

ضحك ثم جلس معها، و مد يده نحو العلبة الحمراء، أمسك بها و أعطاها إياها و هو يقول:

-لسة فيها حاجة ليكي

و قبل أن يقف قبل و جنتها هو الآخر ثم تركها مبتسمًا و دلف إلى الحمام..

أما هي ففتحت العُلبة، لتجد بداخلها ورقة مُزينة، ففتحتها و أخذت تقرأ ما فيها بخفوت..

"أما رأيتِ الماسَ لمعتهُ... كرقراق دمعات عيناكِ قيمتهُ

كوهج نجوم ليلٍ من الظلمات أضوته... و
برغم نورها اختفت ابتسامته

فقد أضنى ظلام الليل عبرتكِ... و أفنى الدهر
ينتظر ابتسامتكِ

أيا ماسة، أيا نجمة أما آن الأوان لتنفرج
ابتسامتكِ و تدمع عيناكِ فرحًا بلا همٍ"..!!

أمسكت بالورقة بقوة في يدها، و أسرعت نحو
الحمام، و أخذت تطرق الباب بقوة و هي
تردف بجدية:

-اطلع يا صهيب، عارفة إنك مبتعملش
حاجة اطلع!!

خرج ثم نظر لها و هو يحاول التظاهر
بالجدية، و سألها بخفوت:

-في إيـ..

قاطعته و هي تضع يدها في خصرها، و تتحدث ببرود:

-مين علمك الشعر دة؟

تظاهر بعدم الفهم، و سار عدة خطواتٍ أمامها و هو يسألها:

-شعر إيه؟

فتحت الورقة مع أنها تعلم جيدًا أنه يفهمها، ثم سارت نحوه قائلة بهدوء:

-دة، و اللي قبله

أمسك الورقة ثم نظر لها بدون أن يتحدث، فكررت سؤالها، حينها اقترب منها و وضع يده على وجنتها قائلاً برفق:

-حبيبتي، أنا مش بعرف أكتب شعر، أنا بكتب اللي بشوفه و بحسه فيكي بس، لكن

معرفش أكتب عن أي حاجة تانية عن حد غيرك!

-طب مش بتقف قدامي ليه لما بديهولي؟

هز كتفاه تلقائيًا و أجابها ببساطة:

-أنا عارف إنك مبتعرفيش تردي على المديح!

ابتسمت له، و أجابته بهدوء:

-بس إنت غير..

ثم ابتعدت عنه عدة خطواتٍ إلى أن وقفت أمام خزانتها، فتحتها و أخرجت من تحت ثيابها ورقة بيضاء مطوية، و ذهبت إليه و هي تتابع بنفس الهدوء مع نظراته المتعلقة بها:

-إنت غير..

ثم أعطته الورقة و ذهبت لتستلقي على الفراش و قد بدى عليها الإرهاق الشديد، أما هو فقد فتح الورقة بفضولٍ و أخذ يقرأ ما دون فيها بخفوت..

"إذا ما كان للأسرى قيودٌ.. فأسيرةٌ أنا في هواكَ حرةٌ بلا قيود

إذا ما كان العشق يُضني شاعِره.. فبربكَ سرى داخلي، شَفىَ سُقمي و أقامني كما العمود

إذا ما كان الحب فياضٌ فيه يغرق صاحبه.. تالله حُبك كان زورق، كان قارب، كان سدًا من السدود

تملكتني، و ما أدراكَ ما تملكي.. إذ يوجِب علي أن أخط العهود

عهدٌ بأن أُحبكَ، أَصونكَ، أَحفظكَ عِشتُ كُنتُ.. أم تحت الترابِ أُسقى بالدعاءِ و برحمةِ الودودِ

عهدٌ بأن أَسير في الدربِ دربُك حتى الخلاصِ.. من الدُنيا كان الأمرُ أم مِن طريقٍ بابهُ مسدود

أدنوا مِنك في المفترقِ أُرشدكَ.. أُخبركَ أن اليمينَ خيرهُ مشهود

تنظر إليَّ بهمكَ، أُبشركَ أن السعادة و إن الآن في الكفنِ.. فيومَ القيامةِ بعد الهُدى هي حقك الموعود

أبكي أمام الله كُل عشيةٍ أسأله من، خيرٍ لنا، و حياتنا، و الجود

و لا أُكبر في الصلاة إلا همسًا.. فصوت المأمومِ علاهُ غير محمود

و لأنك أنت الإمام فكما.. بلالٌ كن، و لا تكن بكنودِ

ما ينطبق على الأُلى يا سكني.. يختلف إن، سكنَ فؤادي فؤادُكَ إن أنت كنت بداخلي، فحبل الوِصالِ بيننا مشدود..."

كانت عيناه تبتسمان و كأنها تقرأ عن ملاذها الوحيد، أن يمتلك كل شيءٍ يُسعده بعد أن كان يمتلك كل شيءٍ بلا روح، يمتلك الأموال و قادرٌ على فعل ما يريد بها، يمتلك السُلطة، لكن الشيء الأهم كان يفتقده.. كان يفتقد السعادة، فما فائدة المال إذًا؟!

هذا الشعور الذي يأتي بعد أن يُحرم منه الإنسان طويلاً.. هذا الشعور بالسكينة التي لم تطأ قلبه إلا حديثًا.. هذا الشعور رائعٌ جدًا!+

نظر للورقة لثوانٍ ثم عاد لينظر لها ليجدها قد قد ذهبت في سُباتٍ عميق.. يبدوا أنها كانت مرهقة جدًا. ضم الورقة بيديه و ذهب نحوها، و ما إن وصل إلى الفراش حتى استلقى بجانبها و هو ينظر لها بحنوٍ و بدأ يهمس:

-يا ريت قابلتك من زمان، أنتِ غيرتيلي حياتي بالكامل، بقت لا تقارن بحياتي من قبلك..

قربها إليه حتى استقرت بين ذراعيه، ثم طوقها برفقٍ و هو يغمض عينيه و يتابع بجدية:

-بس أنا قولتلك محدش فينا هيسيب التاني أبدًا.. أنا واثق في ربنا زي ما علمتيني.....!!!

+!!!!!.....

واصل قراءة الجزء التالي

الفصل الستون و الأخير:

+

+

+

٢٠١٦

كانت ممسكة بخصلةٍ من شعرها و تمررها
على وجهه و هو نائم، حتى بدأت عيناه
تتحركان، و بدأ يتحدث بصوتٍ ناعسٍ
منزعج:

-إرحميني بقى عاوز أنام، النهاردة أجازة!

أجابته بهدوءٍ و هي لاتزال تضايقه:

-ما عشان النهاردة أجازة لازم تصحى بدري!

فتح عينيه لثوانٍ ثم نظر لمعصم يدها قبل أن يسحبها بسرعة و يحتجزها بين يديه قائلاً و هو يعيد إغلاق عينيه:

-نامي يا حبيبتي النوم جميل و الله

هزت رأسها نافيًا عدة مراتٍ قبل أن ترفع يديها إلى وجهه و تضع إصبعها على وجنته، ثم أنفه، ثم عينه، ثم جبهته..

-جوري!

-أمممم؟

-بتعملي إيه يا حبيبتي؟

-بصحيك

-ليه؟

-عشان النهاردة الجمعة! و المفروض نصحى بدري عشان نلحق الصلاة

-الساعة كام؟

٨-

-حسبي الله!

-فيا!

-لأ طبعًا، بس ممكن يعني نص ساعة كمان؟

ضحكت، ففتح عينيه لينظر لها.. حسنًا بالطبع النوم جميل لكن ضحكتها أجمل.

أجابته هي بهدوءٍ بعدها:

-أصل أنا جعانة

اعتدل هو على الفراش و أردف بيأس:

-أنا عارف لما تحطي في دماغك تصحيني، لازم أصحى

نزلت هي من على الفراش سريعًا و هي تقول:

-خمسة و الأكل يبقى جاهز، أعبال ما تكون إنت غسلت وشك

ثم خرجت من الغرفة، فنزل من على الفراش و هو يتحسر على نومه الذي قل في الآونة الأخيرة، لكنه لم يذهب للحمام الذي في غرفته بل خرج من الغرفة ذاهبًا في نفس المسار الذي سارت منه منذ قليل.. ليقف في النهاية على عتبة المطبخ يرقبها و هي تحضر الطعام، لكنها لم تكن وحدها، كان هناك طفلة صغيرة تقف على كرسيٍ صغير و تغسل بعض حبات الطماطم بجانبها، و طفلٌ آخر مشابهٌ لتلك الطفلة كثيرًا يضع الأطباق على الطاولة..

ابتسم عفويًا و قد كُتفت يداه و هو ينظر لهما بتلك النظرة الحانية، تلك النظرة التي تقول.. هذه مملكتي الخاصة لا أحد يقترب.

-أبي!

انتبه هو لطفله الذي يقف على مقربةٍ منه، فانحنى قليلاً ليصبح بمستواه، ثم حمله قائلاً بمرح:

-بتساعدوا أمكم؟

أومأ الطفل رأسه مبتسمًا، فقبل وجنته قائلاً برفق:

-طب يلا انزل معطلكش أنا روح ساعدها

ثم أنزله فركض الطفل إلى حيث كان بينما كانت الفتاة قد انتبهت لوجوده فأنزلتها جويرية لتذهب إليه، بينما هو قد سار

نحوهما و حملها هي الأخرى قائلاً و هو يتظاهر بالجدية:

-شكلها تعبتكم معاها صح؟

هزت الفتاة رأسها معترضة و هي تجيبه:

-لأ يا أبي، أمي بتقول مش تعملوا كتير عشان مش تتعبوا، بس أنا بحب أعمل

-و أنا كمان

قالها الصغير و هو يتقدم نحوهم، بينما نظرت له جويرية بتشفٍ و هي تكتف يداها

-إمممم يعني كلكم ضدي ماشي

ابتسمت له زوجته بهدوءٍ و هي تمسك بإحدى أطباق الطعام، و من ثم أجابته بروية:

-أبدًا يا حبيبي مين قال كدة؟

ثم وضعت الطبق في يديه و هو ينظر لها بدهشة لتتابع هي بعدها بجدية:

-يلا ودي الطبق دة هناك و تعالى خد التاني

رفع حاجباه باستنكار، بينما ضحك الطفلان معًا، فأنزل هو صغيرته، و تحدث بغيظ:

-يومٌ لك و يومٌ عليك!

ثم ذهب و وضع الطبق على الطاولة، و جلس متذمر الوجه، فأمسكت هي بيدي طفليها، و ذهبت نحوه بابتسامتها المعهودة، و حين وقفت أمامه نظرت لطفليها و قالت بجدية:

-أُثيلة، أَثال، إحنا زعلنا أبي ينفع كدة؟

رفع هو حاجباه ساخرًا، في حين بادلها التوأمان نظرةً هزلية، فتابعت بهدوء:

-أنا هصالحه الأول و بعدين دوركم..

ثم دنت منه و قبلت خده هامسة في أذنه برفق:

-عملالك مفاجأة النهاردة

نظر لها باسمًا و سألها بحماسٍ مفاجئ:

-مفاجأة إية؟

ابتسمت له و لم تجبه بل حركت رأسها نافيةً و نظرت لطفليها قائلة:

-يلا دوركم

هجم عليه الطفلين قبل أن تنهي هي حديثها حتى، ففتح هو ذراعاه لهما و احتضنها و هو يضحك مردفًا بـ:

-طيب طيب حيلكم!

قبلته أُثيلة في خده الأيمن و فعل أَثال في خده الأيسر، فضمهما هو إليه و قبل كل واحد منهما في رأسه، ثم أنزلهما و قد تعلقت عيناه بتلك المبتسمة خلفهما ترمقهم بنظراتٍ لو وزع دفؤها على الأرض لما انتهت، أحيانًا كان يسأل نفسه من أين لها بهذه النظرة الحنون؟ يكاد يُقسم أنه قد شعر بحنو تلك النظرات مُذ رآها أول مرة، حتى خلف كل ذاك الجليد كانت نظراتها الحانية تطفوا في بحور عينيها..

-صُهيب!

انتبه لها تناديه، فأجاب بهدوء:

-نعم؟

نظرت للطعام و تحدثت:

-الأكل هيبرد..

ثم أمسكت رغيفًا و قدمته إليه متابعةً:

-يلا كُل

أخذ الرغيف منها، و بدأ يتناول طعامه بعد أن ذكر الله تعالى و اختصه بالشكر..+

+.....

-يا فيروز إنتي بتدلعيها كدة بجد، دي أخدت مني في الأسبوع دة بس ٣٠٠ ج و معرفش وديتهم فين!

هذا ما أردف به معتصم بغيظ حين رآها تعطي ابنته بعض النقود، فنظرت له تالا بحزن ثم أعادت المال و هي تقول بضيق:

-خلاص يا ماما، مـ..

أغلقت فيروز يدها على ما معها من مال، ثم قاطعتها قائلة بصرامة:

-تالا أنا قولتلك خديهم، و يلا عشان متتأخريش على الدرس بتاعك

أومأت رأسها ثم خرجت من الغرفة و هي ترمق والدها بحزن، و هو ينظر لها بانزعاج حتى غادرت، فتقدمت فيروز و وقفت أمامه قائلة بهدوء:

-معتصم، أكيد أنا مش بدلعها و عارفة بنتي صرفت الفلوس دي في إيه عشان كدة ساكتة

نظر لهبحيرة و سألها:

-قصدك إيه؟

أخذت نفسًا هادءًا قبل أن تستطرد:

-في اليوم اللي إنت اديتلها فيه مصروف الأسبوع هي راحت المدرسة و عرفت إن واحدة من زمايلها عندها مرض خطير أجارنا

اللّه، مريضة بالسرطان، و هي لازم تسافر برا تتعالج هناك، و أهلها معهومش اللي يكفي الموضوع دة، فهي أول ما عرفت راحت قالت لصاحبتها يتجمعوا و يجيبولها فلوس عشان تتعالج، و هي بدورها إتبرعت بكل الفلوس اللي معاها، حتى اللي كانت محوشاهم.

تملك معتصم الشعور بالصدمة و ظهر ذلك جليًا في نبرة صوته و هو يسألها:

-تالا قالتلك كدة؟

حركت رأسها نافيةً و أجابته بجدية:

-لأ أنا لما لقيتها صرفت كل فلوسها استغربت خاصةً إنها أصلاً من النوع اللي مبتصرفش كتير دة في الطبيعي أصلاً آخر الأسبوع بلاقيها محوشاهم.. فاتصلت

بصاحبتها و سألتها و اتفاجأت إنها اتبرعت بيهم كلهم!

وضع هو يده بين خصلات شعره و تحدث بندم:

-آسف، ظلمتها!

-أنا معرفتهاش إني عارفة يا معتصم، متعرفهاش إنت كمان لأنها مبتحبش تعمل خير و تقول عليه

ابتسم لها رغم ما يعتريه، و دنى منها أكثر، ثم أمسك يدها و قبلها قائلاً برفق:

-ما هي مكنتش هتطلع كدة أصلا لولا تربيتك!

بادلته الإبتسامة و أجابته برقة:

-لا يا حبيبي، إنت طبعًا اللي..

و ما كادت تنتهي حتى سمعت بكاء طفلٍ صغيرٍ يصدر من غرفتها.. فهزت كتفها و رأسها قائلة بابتسامة مرهقة:

-أثير صحت تاني هروح اشوفها

اعترض طريقها و هو يرد عليها بجدية:

-ارحمي نفسك شوية، إنتي منامتيش من امبارح..

-بس أثير بت..

قاطعها بهدوء و هو يقودها لغرفة تالا:

-أنا مع أثير و إنتي مع النوم يلا يا حبيبتي ارتاحي شوية

ثم تركها حين أدخلها الغرفة و تأكد أنها جلست على الفراش ليذهب هو إلى طفلته

الصغيرة، فحملها و ظل يدندن ببضع كلماتٍ
حانية في أذنها حتى تنام من جديد...+

+.....

انحنى هو حتى يصل لمستوى تلك الجالسة
على الأريكة و تبكي، ثم وضع يده على
ذقنها ليرفع رأسها إليه و يتحدث بخفوت:

-طب إنتي بتعيطي ليه الوقت؟

زادت دموعها غزارة و هي تجيبه بانفعال:

-عشان كل يوم أكون عاوزة نخرج سوا و
نقضي وقت مع بعض تقول عندك شغل،
حتى النهاردة الجمعة، بجد زهقت يا براء!

رفع يده الأخرى إلى وجهها و أخذ يمسح
دموعها و هو يجيبها برفق:

-بس قولتلك مش هطول، شوية بس و هرجع و هنخرج بعدها!

وقفت هي و مسحت دموعها المتبقية، ثم تركته و هي تتحدث بغضب:

-روح يا براء الشغل خلاص..

وقف سريعًا و أمسك يدها ليمنعها من الذهاب، ثم ناداها بهدوء:

-ديما؟

نظرت له و الدموع ما تزال تترقرق في مآقيها، فترك هو حقيبة العمل التي كان يمسك بها و ألقاها على الأرية بجانبه قائلاً:

-يولع أم الشغل اللي يخليكي تزعلي كدة، تعالي نخرج

هزت رأسها بضيق و هي تجيبه:

-لأ خلاص روح مش عاوزة اعطلك

ضم يدها بكلتنا يديه و هو يجيبها:

-عارف والله إني مقصر جامد بس كانت قضية صعبة جدًا، بس خلاص يا ستي هكلمه النهاردة و اعتذر عن المقابلة.

ثم وضع يده على كتفها قائلا بمودة:

-المهم مشوفش الدموع دي في عينك تاني، و خاصةً لو كانت بسببي!

نظرت له للحظة قبل أن تردف بقلق:

-أنا كدة هخسرك القضية صح؟

قربها إليه و هو يبتسم بهدوء و يجيبها:

-لا يا حبيبتي، لسة أسبوع كامل على ميعاد المحاكمة النهائية، و النهاردة بس كنا عاملين قاعدة عشان نتناقش في كذا حاجة في

القضية دي.. لو أجلت لموضوع لبكرة مفيش مشكلة.

سألته بترقب و هي تفرك عيناها لتزيل أي أثرٍ للدموع فيها:

-بجد!

-بجد

ثم تابع و هو ينزع مِشبك الشعر عن شعرها بسرعة:

-يلا يا هانم روحي البسي

ضيقت عينيها بغيظ من حركته التي باتت تتكرر كثيرًا، و أجابته بجدية:

-و هنروح فين؟

-امممم عاوزة تروحي على فين؟

ظلت تفكر قليلاً قبل أن تجيبه بسعادة:

-الملاهي

ضحك على طريقتها الطفولية و أشار بيديه ناحية الغرفة و هو يجيبها ببساطة:

-البسي و نروح

أهدته ابتسامة عذبة قبل أن تذهب نحو الغرفة، إلا أنها توقفت في منتصف الطريق و استدارت لتسير نحوه مجددًا، فضيق هو عيناه مستفسرًا ليجدها تضمه بقوة فجأة، فأطبق ذراعاه عليها قبل أن تتحدث هي بخفوت:

-شكرًا يا براء على كل حاجة.. عارفة إني نكد و الله بس أنا مش بعرف أتحكم في نفسي أما بكون زعلانة. و إنت بقيت بتخرج من البيت كتير و بتوحشني، و يوم الجمعة

بيكون بتاعنا لوحدنا و مش بحبك تشتغل فيه

قبل رأسها و هو يرد عليها بحنان:

-المجنونة مراتي، يا بت أنا بحبك كدة، و إنتي لو معتبراها عيب أنا معتبرها ميزة.. البنات بيتخلقوا ضعاف و مش من حق حد يمنعك تعيطي لو عاوزة، و دة ميخليكيش نكدية!

شرد هو للحظاتٍ في خياله و هو يتذكر أخته، فزوجته هي النقيض من أخته، زوجته لا تستطيع أن تخبئ مشارها كما أخته، و مع ذلك أحبها كما لم يحب أحدًا قَبلاً، ربما فقط بعد أن رآها أدرك أن الفتاة لا يضعفها بكاؤها.. أو أن أخته بالفعل كانت تحتاج لطبيب نفسي!

ابتسم لذكرياته، و عاد يبعدها عنه قليلاً و هو يتابع:

-يلا بقى روحي البسي..+

.....+

شيء من الأيام السابقة..

٢٠١٢

طرقت هي باب ذاك المكتب و انتظرت الرد، لكن بلا فائدة، فكررت و كررت و لكن بلا أي فائدة تُرجى، فقامت بفتحه بهدوء و هي ممسكة ببعض الملفات العاجلة في يدها، و حين وجدتهما يصليان في منتصف الغرفة عقدت حاجباها بذهول و ظلت تنظر إليهما و كأنها ترى ما لم تره يومًا..

و ما إن انتهيا حتى نظر هو لها بانزعاجٍ و سألها:

-إزاي تفتحي الباب كدة؟

انتفضت من صوته برغم أنه لم يكن عاليًا لكنها كانت شاردة، ثم أجابته بتعلثم:

-آآ I'm sorry بس files دول مهمين أوي، كنت ناوية أحطهم على المكتب و امشي..

كانت تلك الجالسة بجانبه تنظر لها بحيرة و كأنها تحاول تذكر شيءٍ ما، ثم وقفت فجأة و سارت نحوها و هي تتحدث بهدوء:

-هو احنا اتقابلنا قبل كدة؟

نظرت لها للحظات قبل أن تردف بصدمة:

-جويرية!

ابتسمت لها جويرية، و كتفت يداها و هي تجيب:

-طلاما افتكرتيني يبقى فكريني..

أجابت بخفوت:

-أنا مستحيل أنساكي، فاكرة لما جيتي مرة تشتغلي عندنا في البيت و..

أومأت جويرية رأسها و هي تسألها:

-آه افترتك، إنتي اللي اديتينا الدليل اللي يدين جوزك، مش هنسهالك أبدًا شكرًا ليكي..

كان صهيب حينها قد جلس على مكتبه ينظر لهما بعدم فهم..

-أنا اللي المفروض مديونالك كونك خلصتيني منه، أنا حاولت أوصلك كتير بعد ما وقفت على رجلي.. بس مقدرتش أوصلك

-الدين لله وحده

أخذت الأخيرة تنظر بحيرة لها تارة و لصهيب أخرى قبل أن تسأل بدهشة:

-إنتي مراته؟

أومأت رأسها باسمة، فأعطتها الملفات و هي تقول بهدوء:

-طب الملفات دي مهمة و عاجلة

ثم نظرت لصهيب و تابعت بروية:

-و آسفة جدًا تاني عشان فتحت الباب كدة..

أومأ صهيب رأسه متفهمًا، فانصرفت هي بسرعة، حينها نظر لها صهيب منتظرًا تفسيرها لما حدث، فوضعت هي هذه الملفات أمامه قائلة بتريث:

-أكيد إنت فاكر بيجاد! دي بقى مراته

-نعم و انتي تعرفيها منين؟!!

-فاكر لما جيت عندك المكتب أول مرة
بيجاد مكنش أول مرة يشوفني، أنا قبلها
كنت اشتغلت عندهم يومين أطبخ و بعدها
هو مرة حاول يتعدى حدوده فضربته بالقلم..
و بعدين أنا شوفت مراته مرة قبل المحاكمة
و اتكلمنا شوية و هي اتفقت معايا إنها
هتديهم أي دليل عندها يثبت إدانته..+

+...

شيء من الأيام السابقة..

٢٠١٣

كانتا جالستان أمام البحر الهادئة أمواجه،
تتجاذبان أطراف الحديث، ثم نظرت هي لها
فجأة و تحدثت بجدية:

-يعني إيه ديانتك؟

أخذت الأخرى نفسًا طويلاً قبل أن تجيب بهدوء:

-أنا من أمريكا يا جويرية، أغلبنا هناك من غير ديانة محددة، أنا معنديش دين.. و عايشة الحياة عادي

ابتسمت لها جويرية بمودة، و أردفت بصوتٍ متريث:

-طب إيه رأيك تجربي دينا؟

-ليه هيزودني حاجة أو هينقصني حاجة؟ أنا عايشة كدة حلو

حركت جويرية راسها بالنفي و هي تجيبها:

-أنا قولت مش هيزودك؟

نظرت لها و سألتها بترقب:

-قصدك إيه؟

-كاثرين، إحنا آه عايشين حلو، بس إيش عرفنا إننا لما نموت برضوه هندخل الجنة؟

-يا بنتي أنا أصلاً عارفة إن الواحد لما يموت كدة خلاص انتهى معدش هيقوم تاني هو..

-طب افرضي إنتي نظريتك غلط؟ افرضي قام تاني!

-أنا بعمل حاجات حلوة كتير في حياتي، أكيد هدخل الجنة!

-طب لو شرط تكوني مؤمنة عشان تدخليها!

-آآ طب افرضي مكانش فيه

-هنرجع لنفس النقطة تاني اللي تخليكي تسألي نفسك سؤال مهم، ليه مبقاش ضامنة آخرتي؟

صمتت كاثرين حين لم تجد ما تجيبها به، فتابعت جويرية بهدوء:

-أنا مش بقولك ادخلي كدة و خلاص، أنا بقولك جربي يوم، جربي الإسلام.. جربي تدعي، جربي و لو متحملتيش خلاص.

-ماشي هجرب بس لو..

-متقوليش بس، أنا واثقة إنك هتحبيه جدًا..

ثم قفت و مدت يدها لها قائلة بجدية:

-يلا تعالي عشان اقولك تكوني مسلمة ازاي

وضعت يدها في يد الأخرى و وقفت و هي تنظر لها و تردف:

-لولا بجد إني واثقة إنك بتعملي كدة لمصلحتي زي ما ساعدتيني في حاجات كتير

طول السنة اللي فاتت، مكانش فاتني

سمعتلك، بس أنا واثقة فيكي..+

...+

شيء من الأيام السابقة...

٢٠١٤

-إياس أنا عاوزة ألبس الحجاب..

نظر هو لها بدهشة بعد تلك الكلمة و سألها

بجدية:

-بجد؟!!

أومأت رأسها عدة مراتٍ و هي تتابع:

-أنا كنت عاوزة ألبسه من بدري و..

-بجد و الله؟

-آه و الله

ابتسم لها بسعادة و بدأ يتحدث:

-متتصوريش أنا كنت بحلم باللحظة دي من إمت!

ابتسمت و قد غلف قناع السعادة وجهها و هي تسأله:

-يعني إنت موافق؟

-طبعًا

دمعت عيناها من فرط السعادة و احتضنته بقوة و هي تقول:

-أنا بحبك أوي

حاوطها هو بيداه و هو يجيبها:

-و انا كمان بحبك أوي، متتخيليش لما إنتي قولتيلي إنك دخلتي في الإسلام أنا فرحت

ازاي، أنا مكنتش بحب أضغط عليكي، و مكنتش عارف ابدأ معاكي ازاي!

ابتعدت عنه و تحدثت بمرح:

-ما عشان أنا عاوزة أخنقك على طول لازم أكون معاك هنا و هناك

قبل رأسها و هو يقول:

-و انا بحب الخنقة اللي تجمعنا أنا و انتي و ابننا ديمًا

ضحكت و هي تنظر خلفه قائلة:

-جبت في سيرته أديه إجى أهو!

نظر خلفه فوجد طفله الصغير يفرك عيناه و يسير بنعاسٍ و هو ينادي بخفوت:

-ماما!

ذهبت نحوه وحملته باسمة مجيبة إياه برفق:

-يا روح ماما أنا أهو

ثم قبلت وجنته و هي تتابع:

-جعان يا يزيد؟

ذهب إياس نحوهم و وضع يده على كتفها قائلاً:

-لو هو مش جعان أنا جعان جدًا

ضحكت هي ثم أعطت ولدها له متحدثة بهدوء:

-طب خد هروح اعمل أنا أكل...+

...

و بالعودة للزمن الحالي..

٢٠١٦

أنهى صهيب طعامه و حين دلف لحجرته وجد حقيبة زرقاء موضوعة على فراشه فذهب نحوها و أمسك بها، و حين فتحها وجد بداخلها جلبابًا ناصع البياض، و وجد سجادةً للصلاة و زجاجة عطر، فابتسم و نظر خلفه فقد شعر بها و هي تدخل، و أردف باسمًا:

-استني هجربها

ابتسمت له و أومأت رأسها، فذهب هو سريعًا و ارتداها، و حين عاد لم يجدها فاستعجب، لكنه ذهب نحو المرآة لينظر لنفسه، و أثناء هندمته لثيابه رأى شيئًا عجيبًا في المرآة خلفه، فنظر ليجدها تقف خلفه و ترتدي ثيابها كاملة.. لا بل أكثر من كاملة!

-إيه رأيك؟

رفع حاجباه بدهشة و هو يسألها:

-نقاب!

أومأت رأسها و هي تجيبه بهدوء:

-أنا عارفة امبارح إنت اتخنقت ازاي لما واحد في المطعم كان عمال يبصلي، و كنت هتقوم تتشاكل معاه، لولا إنه مشى بسرعة، ففكرت في نفسي ليه أسيب أي حد ميسواش يشوفني!

شعر هو بالفخر من داخله، ثم سألها باسمًا:

-يعني دة السبب الوحيد؟

-العلماء احتاروا لو النقاب فرض و لا سنة، فكنت ناوية ألبسه، بس اللي حصل دة خلاني أستعجل

-خير البر عاجله

قالها بنبرة سعيدة و هو يحتضنها، فضحكت مردفة بحماس:

-يعني مش متضايق؟

سألها بجدية:

-أتضايق عشان مراتي عاوزة تصون نفسها و تحفظ شرفي؟ و لا أتضايق عشان مش عاوزة حد يبصلها غيري؟

مستحيل، أنا فرحان جدًا، حسيت إنك بتخصيني بنفسك أكتر..

-و أنا كمان فرحانة جدًا إنك فهمتني..

-أنا واثق إنك هتكوني أد النقاب دة، و هندخل الفردوس الأعلى كلنا مع بعض، إنتي و أنا و أثيلة و أثال

ثم أغمض عينيه لثوانٍ و هو يدعوا داخله أن يحفظهم الله له، و ينجيهم من كل مكروهٍ و سوء...١

تمت بحمد الله